مجلة الأزهر

٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٧١

المجلد الثامن والخمسون ـ القسم الأول

السنة ١٤٠٦هـ

الأزهر الشريف

سقيفة الصفا العلمية

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

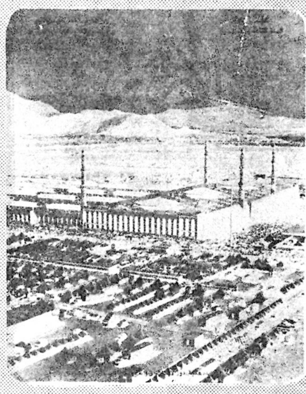
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



مسجد نمرة بعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث عن
المحرم وعاشوراء

وحديث « المحرم » لا يغنى عن ذكر « عاشوراء » فاذا تصدر « المحرم » شهور العام علما على بدايتها ، فان لعاشوراء تاريخا ـ وحده ـ يختص بالنبوة لدى الصفوة من أولى العزم من الرسل فكان يوم عاشوراء « يوم الأمم من قبلنا » كما أن « يوم عرفة » يوم الامة الأسلامية الى يوم الدين ٠

و « المحرم » شهر حرام يبدأ به العام الاسلامى وله حرمة الامن والسلام فيحرم فيه الأذى والقتل والتخريب ، ويسود فيه السلام شريفا فى عزة سيدا فى كرامة ٠

الجزء الأول * السنة الثامنة والخمسون

* المحرم ١٤٠٦ هجرية * سبتمبر/اكتوبر ١٩٨٥ ميلادية *

وليس من المصادفات أن يبدأ العام الاسلامى بالمحرم ، وهو شهر حرام ثم يبدأ نصفه الاخير بـ « رجب » وهو شهر حرام ، ثم ينتهى العام ـ كما بدأ ـ بذى الحجة ، وهو شهر حرام ، فذلك تقدير العزيز العليم الذى جعل حرمتها تملى على المسلمين حقوقها فى التزام السلام بين المؤمنين بعضهم لبعض ، فلا تفترق لهم مودة بفتنة ، ولا يفتر لهم وئام بخصومة • فهى من آن لآن تذكرة لما ينبغى أن يكون ، والزام بالمودة والوئام • فلا تراق دماء المسلمين مرضاة لأثيم•

وقد اجتمع لعاشوراء عديد من الفضل :

فهو ـ أولا ـ يوم مختار ، اختاره الله ـ عز وجل ـ ليكون ظرفا لنجاة أوليائه المكروبين ، تم فيه نجاة نوح وموسى ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ـ بمعجزة ذات صبغة واحدة هى النجاة من الغرق •

روى أبو هريرة وابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ هذا الحديث ، فجاء ـ بمسند أحمد ـ لفظ أبى هريرة قال :

« مر النبى ـ ﷺ ـ بأناس من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا من الصوم (١) •• ؟

قالوا : هذا اليوم الذى نجى الله موسى وبنى اسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون ، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى ، فصامه نوح وموسى شكراً لله تعالى •

فقال النبى ـ ﷺ ـ :

أنا أحق بموسى ، وأحق بصوم هذا اليوم ، فأمر أصحابه بالصوم » •

البقية صفحة "٧٨"

(١) وهذا السؤال مصحوب من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعلمه بصيام قريش ـ فى الجاهلية ـ له ...... وسيأتى ذلك . والله اعلم .

مع فضيلة الإمام الأكبر

كلمة الهجرة

كلمة فضيلة الإمام في عيد الأضحى المبارك

كيف يرى الإمام الأكبر
الدور الثقافي للأزهر

من دروس

الهجرة الشريفة

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
"شيخ الأزهر"

فى ذكرى هجرة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - من مكة الى المدينة ينبغى أن نستذكر ان هذا الحدث كان له مابعده فى سير الدعوة التى بعث الله بها رسوله ، وان نأخذ من أحداثها ، بل ومن مقدماتها ، وما أعد لها هاديا لنا فى مواجهة المصاعب التى تلاقيها الدعوة الاسلامية ، اذ لابد من الترتيب والتدريب ، والتخطيط وتجميع كل القوى العاملة فى هذا المجال ، حتى تتوحد الجهود فى خطة مرنة تسلك أسلوب العصر ووسائله ابلاغا للرسالة واغاثة للانسان ، كل انسان مما يلاقيه من فكر ضال مخرب للقوى الانسانية ، ومعرقل لنموها الروحى بالتدين الحق الذى جاء به الاسلام ، انقاذا للانسان من براثن الحيوانية المادية ، وارتقاء به وسموا الى مايؤهله لقيادة هذه الحياة بالعدل والاحسان .

واذا علينا قراءة واقعات الهجرة النبوية لنتخذها اماما فى التدبير والتفكير لما استجد من أحداث ألمت بالأمة الاسلامية ، فما أشبه الليلة بالبارحة .

هاهم أعداء الاسلام والمسلمين قد نشطوا فى الالتفاف حول الأمة ينتقصون منها الأرض ويثلمون العرض .

هاهى الاغراءات المادية تتوالى على الشعوب الاسلامية فى صور شتى من المعونات التى فى ظاهرها الرحمة ، وفى باطنها الفتنة عن الدين ، والصد عـــن سـبيل اللــه .

هاهم المسلمون فى بعض البلاد التى لاتتحدث اللغة العربية قــد اختلطت عليهم أمور الاسلام فلم يعودوا يعرفون الحلال من الحرام ، بله أركان الــدين وفرغت قلوبهم من القرآن الذى يعصمهم من الزيغ ، وتبث بينهم دعاة الزيــغ ، وهواة الفتنة ، كيدا للاسلام ، وثلما لوحدة المسلمين ، وباسم الانســانية فتنوا المؤمنين والمؤمنات عن دينهم .

وحتى أولئك الذين مازالوا يحملون شعيرة الاسلام ويقيمون بعض أركانه قد أغرتهم الكسوب فتجاوزوا الحلال الطيب الى الحرام الخبيث ، استكثارا للمال وانتهابا للأرزاق ، غافلين عن وصايا القرآن وتوجيهات صاحب الذكرى صــلى اللــه عليه وسلم الى تحرى الكسب الحلال « **ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه** » .

قلة من المؤمنين لزموا طاعة الله منيبين اليه يرجون رحمته ويخافون عذابه كما كانوا قلة مؤمنة بالله وبرسوله وقت الهجرة ، لكن هؤلاء كانوا أشد حرصــا على نشر الدين ، لم يبالوا فى سبيله بالتضحية بالمال والولد ، فهمـــوا أنهم اصحاب هذه الدعوة ، وأنهم حملتها ، وأن عليهم أن يسلكوا الى ابلاغها للناس كل الطرق المشروعة ، لأنها شرع الله ودينه الذى ارتضاه لخلقه .

هذا الاستذكار لواقع المسلمين وقت الهجرة وماكانوا عليه ــ مع ضـــآلة عددهم ــ يبصرنا بواجبنا الآن نحو الحفاظ على هذا الدين فى صدور من ممنوا به واتبعوه سواء بولادتهم مسلمين أو كانوا ممن هداهم الله الى الاسلام .

واجبنا أن نأخذ بالأسباب التى توصلنا الى تلك التجمعات المسلمة فى كــل

من دروس الهجرة

مكان على هذه الأرض نشد من أزرها ، ونثبتها على دينها الاسلام ، ليكونوا قدوة حسنة ، ودعاة الى الله على بصيرة .

واجبنا أن نراجع خططنا نحو الدعوة الى الاسلام حتى تتضح لنا معالم الطريق فان متغيرات العالم اليوم تقتضى اليقظة ، وتطوير الخطط .

واجبنا أن نتأمل مواقع العلل فى المجتمع الاسلامى لتحديدها ، وتقرير أوجه علاجها ، اذ متى أصاب الدواء الداء كان الشفاء باذن الله .

نأخذ من الهجرة الشريفة القدوة فى الاعداد للأمور ، فما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهاجر الى المدينة الا بعد أن استوثق من متانة دينهم ووفائهم بما تعاهدوا معه عليه ، فلا نقدم على أمر لا قوام له ولا سناد ، وانما نفكر ونقدر حتى اذا ما استبان وجه النفع كان المضى على الطريق الى غايته .

نأخذ من الهجرة تلك الحكمة التى قالت : خذ الرفيق قبل الطريق — فقد كان المؤمنون فى مكة يتوقون لافتداء الرسول من كل آذى ، لكنه صلى الله عليه وسلم وثق بأول من آمن به من الرجال فاتخذه رفيقا وصديقا — آبا بكر — رضى الله عنه حيث شارك فى الاعداد للهجرة وتحمل مخاطر الطريق ، وهو يعلم أن ما أقدم عليه جد خطير ، ولكنه عمق الايمان ، وصدق اليقين ، وقوة الدين .

ولهذا ينبغى آن نختار الدعاة من هذا الصنف الذى وهب جهده وحياته لدينه ، يهاجرون فى سبيل الله ، يبتغون فضله ورضوانه ، لا يألون فى ذلك جهدا يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ، يعرفون آنهم قد حملوا الأمانة التى حملها الرسل من قبلهم ، تلك الأمانة التى عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الانسان .

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

نأخذ من الهجرة التوكل على الله ، والاستعانة به ، وليس التواكل واغفال الأخذ بالأسباب فهاهو الرسول صلوات الله وسلامه عليه — يرتب مع صاحبه كل خطوات الرحلة ، ويؤمن الطريق بالوسائل الميسورة ، ولكن الرفيق يلح عليه

الحزن والخوف من متابعة الأعداء ، فيبث الرسول فى نفسه الأمان والاطمئنان **« لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا »** لقد رتبا الأمر واستصحبا كل مايضمن النجاح وذلك واجبهما ، وماعداه فهما من قبل ومن بعد فى كنف الله وحمايته **« وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ »** .

وكان النصر باذن الله ، فقد بلغ الرسول غايته ، ودخل المدينة فى حضون أهلها مستقبلين مهللين مكبرين مرحبين منشدين :

طلع البدر علينا ..

من ثنيات الوداع .

وجب الشكر علينا ..

ما دعا لله داع ..

دخل الرسول وصاحبه المدينة بسلام وأمان واثقا بوعد الله :

(لاتحزن ان الله معنا) .

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

فى عيد الأضحى المبارك

نحمد الله الذى هدانا للاسلام دينا ، وأنعم علينا بالقرآن هاديا الى خير العلم والعمل ، وجعلنا نحن المسلمين خير أمة أخرجت للناس .

أيها الاخوة

هذا يوم عيد الأضحى ، أهنئكم بمقدمه .

فقد جاء عن الرسول — صلى الله عليه وسلم — فيما رواه أبو داود « أعظم الأيام عند الله يوم النحر » .

كما روى أيضا « أمرت بيوم الأضحى عيدا جعله الله لهذه الأمة » .

نعم : اختص الله هذا اليوم الذى اختاره وفضله بسمات يسمو بها على غيره من الأيام فهو يوم بر ، واحسان ، وصلة للفقراء والمساكين والأهل والاقربين والجيران ، بل هو من أعظم أيام التكافل الاجتماعى فى الاسلام .

ففى حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الذى أخرجه أصحاب السنن وصححه الترمذى (يوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام ، وهى أيام أكل وشرب) .

واذا كان الله سبحانه قد اصطفى من البشر رسله وأنبياءه ، فقد اصطفى من الأيام أعيادا اختصها بمزيد من فضله ورحمته ، ومن الأوقات ما اتخذه ميقاتا لعبادته ومن الأماكن ما باركه وجعله مثابة للناس وأمنا ليرشدنا أن أيام الاعياد وأوقات وأماكن العبادات ينبغى أن تصفو فيها النفوس ، وينتشر البشر والتسامح والتقارب ، بل والتعاطف وصلة الرحم .

تلك من شعائر هذا العيد ، ينبغى أن نملأ بها القلوب ، وأن نحيى بها الصلات حتى تستقر بين المسلمين وتصبح سمة لهم ، ولحمة وسدى لمجتمعاتهم ، يقوى بها نسيج المجتمع الاسلامى فيكون مجتمع التلاحم والتراحم الذى وصفه رسول

الاسلام – صلى الله عليه وسلم – : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ولقد كان أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما وصفهم الله يمثلون هذا الوصف الجميل الجليل حيث قال مثنيا عليهم : « رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا » .

ولقد علم الله أمة الاسلام بأن يصل حاضرها ماضيها مودة واخاء ، وصفاء ، ونقاء ، تتعاقب أجيالها متوائمة متكاملة ، لايشنأ الأحفاد الأجداد ، وانما يستكملون مسيرتهم وسيرتهم فى رفعة الاسلام وجمع كلمة المسلمين ، ينقون قلوبهم ويطهرون بواطنهم من الغل والحقد والحسد « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » .

ولقد شرع الله لنا فى هذا اليوم سنة الأضحية ، سمة من سمات التكافل فى المجتمع الاسلامى ، وطريقا الى البر بالفقراء ووسيلة للتهادى بين الأقارب والمعارف والجيران تذهب بها حفيظة النفوس .

والأضحية فى يومنا هذا سنة مؤكدة على كل قادر عن نفسه وعمن يعولهم ، ومن الأئمة من رآها واجبة على كل مستطيع وبقدر استطاعته ، ومن تطوع خيرا فهو خير له .

وتمتد أيام الأضحية الى اليوم الرابع لهذا العيد المجيد .

هذه شعائر توحى الينا أن هذه الأيام باركها الله وأتم فيها الدين ففيها نزل قوله سبحانه : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » .

نعم اكتملت فيها شعائر الحج ومناسكه ، ولهجت الألسنة والأفئدة بالتكبير والتهليل والذكر اتباعا لقول الله سبحانه : « لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ » .

فهلا تذاكرنا هذه الشعائر ، واستعدنا الصفاء والنقاء لأمتنا •

تلك الأمة التى أعزها الله بالاسلام ، وأقام بنيانها على العدل والطهر والايمان فأرست قواعد الحرية التى تزكو بها المدارك وأسس المساواة التى يقوم عليها العدل ، وزمام الأمن الذى ينعم الناس فيه بثمرات العمل وكوامن الأمل •

هلا تذاكرنا أننا فى الأشهر الحرم : «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ » •

فمالنا تظالمنا ، وتقاتلنا ، فقتل المسلم أخاه ، لادفاعا عن الدين ، ولا ردعا عن معصية الله ، وانما استعلاء فى الأرض وطلبا للسلطان على الناس ونشر مبادىء وعادات ما أنزل الله بها من سلطان •

ومالنا أهلكنا الحرث والنسل ، وتغافلنا عن الاحتكام الى شرع الله وكتابه الذى قال عنه : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ » •

ومالنا قد أعرضنا عن كل نصح ، فقست منا القلوب وسرت فينا عوامل الوهن، بما شاع بيننا من النزاع والخصام ، واحتدام الفرقة ، والتمزق ، وأحيينا ما أماته الاسلام من عصبية عرقية ، ونسبية مع أن الاسلام هو نسبنا ، وهو عرقنا وهو وطننا وحسبنا •

ومالنا قد مالت فى أيدينا الموازين ، فلم نعد ندرك أين مصالح هذه الأمة ، فقد ضحينا بوحدتنا ، فاغتصب أعداء المسلمين أرضنا واستنزفوا ثرواتنا ، وأوقعوا الفتنة فيما بيننا فاشتعلت الحروب بين المسلمين ، فهذه الحرب بين ايران والعراق قد احتدمت وامتدت سنوات وهذه الفرق والفرقة فى لبنان قد التهبت • وكلما خبت ، زادها المفسدون فى الأرض اشتعالا حتى احترق الأخضر واليابس ، وأكلت البشر والوبر •

ولقد اجتمع مؤتمر علماء المسلمين لثانى مرة يذكرون بحكم الله •

« وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » •

يا قومنا أجيبوا داعى الله وأوقفوا هذه الحروب وحافظوا على الحياة التى وهبها الله لكم ، أبنائكم ، وأموالكم ودياركم ، اذ كل أولئك أصبح وقودا لحرب طالت واستطالت ، ولا يستفيد منها الا أعداؤكم المتربصون بكم الدوائر •

ليكن هذا العيد حافزا للتضحية بالأهواء والشهوات والأحقاد ، ولنرتفع به فوق هذه المحن والفتن لنصون مجتمع الاسلام وأمة المسلمين من الفرقة والتمزق •

علينا أن نأخذ على أيدى أولئك الذين أشعلوا النار ودأبوا على اشاعة الالحاد، وبذر الفساد وتفجير القبلية والعنصرية بين صفوف المسلمين حتى صار بأسهم بينهم شديدا وقلوبهم شتى •

ان هذا العيد يذكرنا بأن رسول الله ﷺ أعلن فيه ما نسميه الآن بحقـــوق الانسان • كان مما قال :

« الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » •

« المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله » •

هلا نذكر أن الله جمع أبناء وبنات الشعوب الاسلامية بالأمس على عرفات جنبا الى جنب ذاكرين الله ملبين نداءه • « وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ » لم يعـرف أحدهم وهو فى هذا الموقف الجليل الا أنه مسلم ينتسب الى أمة الاسلام ، وليس الى أرض ولا الى ملك أو رئيس فعلام اذا هذا القتال وتلك الحروب ، وهذه الحدود والسدود ؟؟

ان شعوبا أخرى ليست بينها أواصر القربى والوحدة التى بين المسلمين سعت وتسعى جاهدة للتقارب والتعاون والتعالى على أسباب الخلاف لتصنع الحياة لبلادها ولتصون استقلالها •

فمالنا وقد جمع الاسلام بيننا وهو أقوى صلات القربى قد هجرنا تعاليمـــه وغفلنا عن قول الله « وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ » •

ان الأزهر الشريف يهنىء أصحاب الجلالة والفخامة الملوك والرؤساء العرب والمسلمين بهذا العيد ويناديهم أن تقدموا وأصلحوا واجمعوا الصفوف ، وتخطوا العقبات فان خطرا داهما يتربص بالمسلمين فى كل مكان ، أسرعوا واحموا البلاد والعباد من أن تكون حقل تجارب لأسلحة الدمار والخراب التى تخربون بها بيوتكم وتقتلون بها أولادكم وينهب بها ــ غيركم ــ أموالكم وثرواتكم •

سارعوا الى مغفرة من ربكم ، بالوحدة وجمع الصفوف ، تخطـــوا أولئك

◄

المتخلفين المناوئين الذين يعملون ضد صالح الاسلام والمسلمين خذوا من هــــذا العيد ، شرف التضحية ، وكونوا عبادا لله اخوانا ، ولنسمع نداء الله ولنعمل به :

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّــارِ فَأَنقَذَكُم مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » ٠

اللهم أهدنا وولاة أمورنا اليك ، والى اصلاح ذات البين وجمع الكلمة ووحدة الصف ٠

اللهم ارفع عنا ما نزل بنا من فرقة وشتات ، وأوقف برحمتك هذه الحروب التى أهلكت الحرث والنسل اللهم اشدد أزر أهل دينك المسلمين فانهم أولياؤك وانت نعم المولى ونعم النصير ٠

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠

شـيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

كيف يرى الامام الاكبر

الدور الثقافى للأزهر

اثارت صفحة « دنيا الثقافة » قضية الازهر وما كان له من دور ثقافى فى حياتنا افتقده فى ظل قانون تطوير الازهر .

لقد بات الازهر يخرج المهندسين والاطباء والمحاسبين لكنه لم يعد يخرج اصحاب الفكر والابداع .

وامتدت القضية وتشعبت لتغطى مساحة زمنية عريضة ، وشارك فيها بالرأى الصفوة المستنيرة من كبار علمائنا ومفكرينا وكتابنا .

وكان لابد فى خاتمة المطاف من أن تطرح « دنيا الثقافة » ماقيل فى شكل تساؤلات على فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر ليرى فيما قيل رأيه .

*** فضيلة الامام الاكبر .. ألا ترى مع الكثيرين أن الازهر يخرج الآن الأطباء والمهندسين لكنه يتراجع من حيث تخريج أصحاب الرأى والفكر والابداع ؟**

** ان أصحاب الفكر والرأى أو لعل الأحرى أن نقول : ان الفكر والرأى لايخرجان من المدرسة أو الجامعة ، وانما لابد بعد التخرج من وقت للصقل والتجربة والاحتكاك بالحياة العملية .

ان أحدا لاينكر أن الأزهر يخرج المئات والألوف فى شتى التخصصات لكن المتخرج بمجرد تخرجه لابد وأن يباشر الحياة العملية ، ولابد أن ينزل الى المنافسة والى اكتساب الخبرة ، وهذه هى التى تصقله وهى التى تظهر مواهبه .

هناك الكثيرون ممن تخرجوا من الأزهر لديهم الخبرات ولديهم المواهب ، ولكن ما مدى علم الاعلام بهم ؟.

ان الاعلام المقروء ويتمثل فى الصحف ينبغى أن يعرف الرأى العام بهم .

ان الاعلام قد اغلق فى وجوه الخبرات الجديدة .. ان صفحات الصحف موزعة أو أستطيع أن أقول انها مسندة اسنادا كاملا الى الصحفيين أرباب المهنة، وهذا لاشك قد أقفل الباب أمام هؤلاء الذين يمكن أن يعرضوا على الناس خبراتهم ومواهبهم ، ويمكن أن ينصقلوا بنشر المواهب والخبرات التى يزاولونها .. فمن أين اذن نتعرف على هؤلاء اذا غلقت الأبواب أمامهم ؟.

قرار التطوير ليس هو السبب الوحيد

*** بعض علمائنا ومفكرينا يرون ان قرار تطوير الازهر هو السبب الذى يكمن وراء تقلص دوره الثقافى ، فهل ترى فضيلتكم ما يرونه ؟.**

**** أعتقد أن فى هذا الرأى تجاوزا .. قد تكون هناك معايب فى التطبيق لكن قانون التطوير ليس هو كل السبب .. مثلا لم تكن اللغات تدرس فى المعاهد** الأزهرية قبل قانون سنة ١٩٦١ وأصبحت دراستها اجبارية ، ولم تكن العلوم الرياضية وغيرها تدرس أيضا بصفة أساسية فأصبحت تدرس ، لكن امكانات التفوق فى هذه الدراسات ليصل الطالب بعد دراسته الاعدادية والثانوية الى جامعة الأزهر وليدخل هذه الكليات المعملية كما يطلق عليها لابد وأن تكون دراسته دراسة عميقة مؤهلة لتلقى الدراسة العليا فى هذه الكليات ، والأمر الواقع ليس فى معاهد الأزهر فقط وانما فى التعليم العام ككل أن دراسة اللغات ليست بالمستوى المجزى أو الذى يؤهل للتفوق حتى بدرجة جيدة فى مواصلة الدراسة العالية فى هذه الكليات ، هذا الى جانب اثقال طلاب المعاهد الازهرية بالمناهج الكاملة للعلوم العربية والشرعية مع هذه المواد العلمية الأخرى .

وينبغى أن يكون هناك تنسيق بين هذه المناهج ، وهناك مقترحات تدرس الآن لعلاج هذا الخلل الدراسى الذى أدى فعلا الى ضعف الطلاب وعجزهم عن المواصلة الدقيقة الجيدة للدراسة فى الجامعة لاسيما فى الكليات المعملية .

ما أريد أن أؤكده هو أن ما جاء به قانون سنة ١٩٦١ ليس هو السبب الوحيد فيما نحن بصدده .

لم يتحقق الهدف من التطوير ؟

*** كان الهدف كما قيل من انشاء الكليات العلمية والعمليـــــة بالأزهر كالطب والهندسة ٠٠ الخ هو توفير الدعاة الذين يجمعون بين الثقافتين العلمية والدينية لايفادهم الى الدول الافريقية الاسلامية المحتاجة الى التخصصين معا العلمى والدينى ٠٠ فهل تحقق هـــذا الهـــدف ؟٠**

** لم يتحقق فعلا ٠٠ ونحن حتى فى بلادنا فى حاجة الى هذا النوع من الدارسين ، فلدينا المحافظات التى أطلقنا عليها النائية كسيناء والبحر الاحمـر وغيرها من أطراف بلادنا التى ينبغى أن نعنى بها وأن يكون الطبيب أو المهندس الذى يعمل فى هذه البلاد جامعا بين ثقافته التخصصية المهنية وبين الثقافـــة الاسلامية ليكون قادرا على أن يؤم الناس فى الصلاة وعلى أن يفتيهم فى أمـور دينهم ، هذا فضلا عما أشرت اليه من حاجتنا الى الدعاة الاسلاميين من هـــذا النوع ، لكن وبكل أسف لم نستطع توفير هذا الداعية للآن ، ولعل السـبب هو ضعف الدارسين أيضا فى اللغات ثم انصرافهم بعد الالتحاق بالكليات المعمليـة كالطب والصيدلة والهندسة والزراعة والعلوم ٠٠ الخ عن الدراسات الاسلامية بحيث أصبحت معلوماتهم فى هذه الناحية ضحلة وضئيلة لاتؤهل واحدا منهم لأن يتصدى للافتاء أو التعليم ٠٠ انهم ينظرون فى تلك الكليات الى الدراســات الاسلامية أو الثقافة الاسلامية أو أى مسمى يطلق على هذه الدراسات لديهم كما ينظر اخوتنا وزملاؤنا فى التعليم العام الى دروس التربية الدينية ٠٠ انهم لا يأخذون الأمور بجد اطلاقا ، وهذا أمر يجب أن يعالج على مســتوى جامعة الأزهر ، وأن يعنى فعلا بهذه الدراسات أو الثقافة الاسلامية للدارسين فى الكليات المعملية حتى يمكن أن يتحقق ما هدف اليه القانون من انشاء هذه الكليات ٠

كل عمـــل لابد أن يراجـــع ٠٠

*** الآن وقد مضى على قانون تطوير الأزهر ربع قـــرن ٠٠ ألا ترى فضيلتكم وجوب اعادة النظر فيه على ضوء التجربة وتقييمــــه لتلافى السلبيات وتدعيم الايجابيات ان وجدت ؟ ٠**

** لاشك أن كل عمل لابد أن يراجع وأن يستظهر ، أو يستظهر القائمون على التطبيق الايجابيات والسلبيات التى ترتبت عليه ، وهذا القانون وقد مضى على تطبيقه ربع قرن كما هو واضح ينبغى أن تراجع ايجابياته وسلبياته حتـــى

يمكن أن نسارع أو يسارع المسئولون فى الأزهر بوجه عام الى أن تكون الايجابيات أكثر من السلبيات •

*** هل ينبغى على أزهرنا كى يستعيد دوره الثقافى أن يواكب روح العصر وأن ينفتح على الفكر الحر المستنير وأن يمزج بين القديم والجـــديد ؟•**

** لعلى أقول لهؤلاء الذين يدعون دائما الى التخلى عن الماضى : ان هؤلاء الذين وضعوا أقدامهم فوق القمر ، وهؤلاء الذين يجوبون الفضاء فى كـل يـوم لم يرتقوا الى هذا الا بعلوم الأولين • وان علم الانسانية دائما متصل منذ كـان آدم عليه السلام ، وهو متطور دائما فلا انفصال بين الحديث وبيــن القـديم ، وتخصص الأزهر أو اختصاصه قائم دائما على أساسين لا غنى عنهما هما القرآن والسنة عليهما وحولهما تدور كل تخصصات الأزهر قديمه وحديثه •• كل ماينبغى على الأزهر أن يرعاه هو ألا يقف عند القديم ، وأن ينظر دائما فيما يدرسه أو فيما يقدمه للناس الى أن أقوال السابقين هادية ومرشدة وقد تكون وسائلهم قـد تجاوزها هذا العصر وينبغى أن تكون الوسائل عصرية وأن تكون العلوم المستحدثة فى خدمة الثقافة الاسلامية والعربية •

فلنأخذ من تراثنا ما يصلحنا ••

*** عملية انتقاء واختيار كتب التراث وعدم وقوف الأزهر عند التراث لمجرد أنه تراث •• ألا تساعد على استعادة الأزهر لـدوره الثقـافى ؟ •**

** كما قلت : التراث لاغنى عنه ، والتراث كتب بلغة عصره وبما وصل اليه الانسان فى هذا العصر ، ونحن نجد دائما أن أية أمة تهمل تراثها لايكون لثقافتها كيان أو قوام ، ومن هنا لاينبغى أن نهمل القديم لأنه قديم ، وانما علينا أن نأخذ منه زادنا لعصرنا •

اننى من الذين يدعون الى نفض التراب عن هذا التراث ، وأن نأخذ منـه ما يصـلحنا •

ان العادات والقيم والثقافة ليست بنت يوم أو سنة أو شهر وانما هى بنت التاريخ ونحن لنا تاريخ كأمة اسلامية وعربية يمتد الى أكثر من ألف وأربعمائة سنة •• لاينبغى أن نهدر هذا التراث وهذا التاريخ وهذه القيم بل ينبغى أن نحتفظ بذاتيتنا وشخصيتنا وسماتنا المميزة •

ان هؤلاء الذين يدعون الى تجاوز الماضى كله انما يدعوننا الى أن نترك شخصيتنا وأن نتقمص شخصية الآخرين •

اننا نباهى بأن الغرب أخذ عن الشرق لكن هل ترك الغرب شخصيته أم احتفظ بها ؟ •• لم ونحن نستقدم من الغرب حضارته المادية ونلهث لنلاحق به نريد أن نمحو شخصيتنا وقوميتنا لم نريد أن نذوب فى غيرنا ؟•

ان من الخير أن نحتفظ بتراثنا وأن نستفيد منه وأن نعرضه على الناس كمرحلة من مراحل هذه الحياة لأن الله سبحانه خلق الانسان وأرسل الرسل مراعيا تطور الانسان واستعداده لتقبل الرسالة حتى اذا شب الانسان وصار أهلا لتلقى الرسالة الخاتمة وهى رسالة الاسلام كانت هذه الرسالة التى ليست بعدها رسالة من السماء لأنها صالحة •

ألا نرى أن الاسلام فى قرآنه وفى سنة رسوله كان هاديا وداعيا للعلم ؟

ان أول ما نزل من القرآن قول الله تعالى: « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ » •

ثم تتوالى آيات القرآن فى الحث على العلم والتعليم وعلى النظر فى السموات والأرض ومعرفة أسرار هذا الكون ، فقعود المسلمين عن اللحاق بركب العلم أيا كان نوعه انما هو عجز شخصى وليس لدينهم ولا لتاريخهم ، ومن قبل استوعب المسلمون ثقافة الفرس والرومان ولم يكونوا فرسا ولا رومان وانما كانوا مسلمين لأنهم استفادوا من هذه الثقافات حتى صارت اسلامية واصطبغت بالصبغة الاسلامية •

كيف يرى الامام الاكبر الدور الثقافى للأزهر

اننى لأتمنى أن نأخذ عن الحضارة المعاصرة وهى حضارة فى جملتها مادية ما ينفعنا وما يفيدنا فى بلادنا وفى رقى أنفسنا دون أن نترك تراثنا ولا ديننا ولا سماتنا الذاتية ٠

*** وما رأيكم فيما ينادى به البعض من أنه ينبغى على المهتمين بأمور الثقافة فى أزهرنا الشريف أن يحذفوا ويستبعدوا كل ما يؤدى الى السخرية من العلم والحضارة والعقل وتصوير حضارة الغرب بأنها ظلام فى ظلام ؟ ٠**

** أن من يصور الحضارة الحالية للغرب بأنها ظلام فى ظلام ٠٠ أعتقد أنه غير مبصر ولا بصير ٠٠

لاشك أن الحضارة الغربية لاسيما فى العقود الأخيرة من هذا القرن قد تطورت تطورا سريعا وهى حضارة فى جملتها مادية ، لكن الغرب خاو كانسان نحن نريد أن نأخذ عن الغرب ما ينفعنا من هذه الحضارة وما تزدهر به حياتنا فى بلادنا ، لكن لا ننصرف اطلاقا عن الجانب الآخر الذى ربانا عليه الاسلام وهو الجانب الروحى ٠

اننى كما قلت : ان هذا الغرب لم تنشأ حضارته من فراغ انما أخذ ما كان لدى الشرق من علم وبجدة وسعيه اتسعت أمامه آفاق هذا العلم وطوره وتطور به، وهذا ما ينبغى أن نسلكه لا أن نقطع صلتنا بتاريخنا وتراثنا والا أصبحنا كمن يستبدل ساقيه اللتين خلق بهما بعكازين من خشب قد ينكسران ٠

البحوث والدراسات مآلها المخازن

*** ثمة من يرى أرتباطا بين بحوث الأزهر ودراساته وبين دوره الثقافى ويتساءل : أين بحوث الأزهر التى يمكن اعتمادها أساسا لتطوير المجتمع المصرى اسلاميا ؟ ٠٠ ان المستقبل الثقافى للأزهر كما يقولون ليس معزولا عن الظروف الاجتماعية على المستوى القومى ولا على المستوى العالمى ؟٠**

❋ ان الدراسات التى يقوم بها الأزهر تتمثل فى الأغلب فيما ينتجه الباحثون فى الدراسات العالية ، ونحن نعرف مدى قدرة هؤلاء الدارسين فى ابراز دراساتهم •

انه من القصور الواقع وأعتقد أنه ليس فى الأزهر وحده وانما فى كافة جهاتنا الثقافية على اختلاف درجاتها أن الباحثين يجدون ويجتهدون ويدرسون وينتجون ثم يكون مآل هذه الدراسات الى مخازن كلياتهم التى درسوا فيها ، ومن استطاع منهم بجهده الفردى النشر أو الاذاعة أو الحديث عنها أو اذا انفتح له عمود أو صفحة فى الصحف لتبشر به أو تخبر عنه كان سعيدا •

ونحن لا نرى فى حياتنا الثقافية لاسيما فى الصحف ما كنا نراه ونحن طلاب •• كانت الصحف تخصص للأدباء وللشعراء وللكتاب فى شئون الاجتماع والدين والسياسة صفحات وصفحات •

لقد كان هذا ابرازا للمواهب وتشجيعا لها وتنمية واستكثارا منها وخلقا لروح التنافس بين الشباب بل وبين الشيوخ أيضا فأين صحافتنا مما كانت عليه فى الماضى ؟•

اننا لنرجو أن تنفتح صدور الصحافة على اختلاف أنواعها للناشئين وأعتقد أنها سترى الكثير وستقوم هذه المواهب وتصقلها •

لو فعلنا ذلك فسوف نرى انتاجا وأجيالا جديدة يمكن أن تظهر وأن تكون فى المستوى الذى ننشده •

❋ والآن وبعد أن استعرضنا ما يراه علماؤنا ومفكرونا •• كيف يمكن فى رأى فضيلتكم أن نعيد للأزهر دوره الثقافى ، أو كيف يمكن أن نوجد توازنا بين دوره التعليمى ودوره الثقافى بحيث لايطغى احدهما على الآخر ؟•

❋ اعتقد أن الدور الثقافى للأزهر قد اتسع مداه الآن •• اننا اذا نظرنا الى عدد العلماء الذين يعملون فى المجالات العامة غير التعليمية لوجدنا عددا كبيرا وله جهد ينبغى أن يذكر وأن يشكر ليس فى مصر فقط وانما على مستوى العالم الاسلامى •

ان للأزهر أكثر من خمسة آلاف من العلماء يعملون خـــارج مصر ليس فى المدارس فحسب وانما فى مجال الثقافة والتثقيف فى البلاد التى يعملون بها ٠

انهم يعلمون الناس ويثقفونهم ويكتبون وينشرون فى صحف تلك البـــلاد لكننا فى مصر لا نحس بهم ٠

ان فى مصرنا الان علماء ينتشرون فى كل محافظات مصر يدرسون فى معاهد الأزهر التى تربو على ١٥٠٠ معهد ، وفوق أنهم يدرسون يعملون فى الثقافة العامة ٠٠ يلقون المحاضرات ٠٠ يحضرون الندوات وكل هذا هو مجال الثقافة العامـــة الميسورة أو الميسرة لهم ، لأن سبل التثقيف متعددة ومتنوعة وهـــى بكـــل أسف ليست فى يد الأزهر وحده ٠

ان الأزهر ليست له صحيفة ٠٠ ليست له وسيلة من الوسائل التى يســـتطيع أن يستخدمها لابراز دور أبنائه فى الثقافة بوجه عام سوى مجلة الأزهر وهـــى تصدر شهريا وقارئها يستطيع أن يحكم على ما تنشر وتقـــدم من مواد ثقافيـــة متنـــوعة ٠

لا أقول ان الأمر بلغ مرتبة الرضا التام لأن كل انسان دائما يتطلع الى أن يصل الى درجة أعلى مما هو فيه ، وأتمنى على اخوتى العلماء أبناء الازهر أيا كانت مواقعهم أن يجيدوا أعمالهم وأن يعملوا دائما على نشر الثقافة وأن يتعاونوا فى ذلك بمزيد من العناية مع كافة الهيئات والجهات حتى ينتشر العلم والثقافة بيـــن مواطنينا فى مصر وبين أمتنا العربية والاسلامية التى يحمل الأزهر عبئـــا كبـــيرا فى سبيل نشر الثقافة بين أفرادها ٠

دراسات إسلامية

الهجرة وأنواعها وأحكامها

من علوم القرآن "الإعجاز" القبر أول منازل الآخرة

الشريعة في مجلس الشعب

الهجرة وأنواعها وأحكامها

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدي الطير

« وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ .. » .

سورة النساء : ١٠٠

الهجرة — بكسر الهاء ، وضمها : لغة الخروج من أرض الى أخرى .

وتطلق على مطلق الترك كالهجر .

وفى عرف الاسلام هى : الخروج من دار الكفر الى دار الاسلام .

وقد أوجبها الله على المسلمين حين اشتدت فتنة الكفار وايذاؤهم اياهم بمكة — أوجبها عليهم — حماية لدينهم وعصمة لأنفسهم ، وتوعد من لم يهاجر منهم بعذاب الجحيم ان كان قادرا على الهجرة قال تعالى : « **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِى أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** » (١) .

واستثنى الله من هذا الوعيد المستضعفين العاجزين من الرجال والنساء والولدان بقوله « **إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا** (٢) .

وحرم المقصرين فى الهجرة من ولاية المسلمين لهم بقوله : « **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا** » (٣) .

وفى الآية موضوع المقال « **وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ** » يرغبهم الله فى الهجرة بأنهم سيجدون فى أرض الله أماكن كثيرة صالحة

(١) سورة النساء : الآية ٩٧ .
(٢) سورة النساء : الآيتان ٩٨ ، ٩٩ .
(٣) سورة الانفال : من الآية ٧٢ .

للهجرة وسعة الرزق ، وأن من أدركه الموت فى أثناء الهجرة لله ورسوله وقبل أن يصل الى دار الهجرة التى أرادها لسلامة دينه ونفسه فان أجره واقع على الله تعالى ، كما لو كانت هجرته قد وصلت الى غايتها ، وانتهت الى مداها .

والمراغم هو المكان الذى يتجه اليه المهاجر يبتغى المقام به ، مأخوذ من الرغام وهو التراب — يعنى أن من يهاجر فى سبيل الله ، يجد فى أرضه تعالى أماكن كثيرة خالية تصلح مبتغى لمعاشه .

قال السدى : المراغم المبتغى للمعيشة .

وقال القرطبى : المراغم موضع المراغمة ، فكأن الكفار من قريش أرغموا أنوف المحبوسين بمكة ، فلو هاجر منهم مهاجر لأرغم أنوف قريش — أى ألصقها بالرغام وهو التراب — لحلوله فى منعة منهم ، فتلك المنعة هى موضع المراغمة ومنه قول النابغة الذبيانى

كطود يلاذ بأركانه
عزيز المراغم والمهرب

وتفسير السعة بأنها البسطة فى الرزق مروى عن ابن عباس والربيع والضحاك .

أما قتادة فيفسرها بما يشمل الدين والدنيا فيقول : سعة من الضلال الى الهدى، ومن العيلة — أى الفقر — الى الغنى .

وقال مالك : السعة سعة البلاد ، وهذا أشبه بفصاحة العرب فان بسعة الأرض وكثرة المعاقل ، تكون السعة فى الرزق واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرج ،

ونحو هذا المعنى قول الشاعر :

وكنت اذا خليل رام قطعى
وجدت وراى منفسحا عريضا

وهكذا قال القرطبى تعقيبا على رأى الامام مالك .

وقد استفدنا من الآية أن من أدركه الموت فى أثناء هجرته وقبل وصوله الى مهجره أثابه الله ثواب من أتم هجرته .

« سبب نزول هذه الآية »

اختلف فى الرجل الذى نزلت بسببه هذه الآية ، فعن عكرمة مولى عبد الله بن عباس أنه ضمرة بن العيص .

وحكى الطبرى عن سعيد بن جبير أنه هو العيص بن ضمرة بن زنباع ، وكان من المستضعفين وكان مريضا ، فلما سمع ما أنزل الله من وجوب الهجرة ومؤاخذة من لم يهاجر « **فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** » قال: أخرجونى ، فهيىء له فراش ووضع عليه ، وخرج به فمات بالتنعيم فى الطريق الى المدينة،

فأنزل الله فيه « **وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** » .

وقيل غير ذلك ، ولما أشرف الرجل على الموت صفق بيمينه على شماله فقال : (اللهم

هذه لك وهذه لرسولك ، أبايعك على ما بايع عليه رسولك ﷺ ومات عقب هذه البيعة .

وحكم هذه الآية يتناول كل مهاجر الى الله ورسوله يدركه الموت فى الطريق ، قبل وصوله الى مهجره فى أى عصر من العصور ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

« حكم الهجرة بعد فتح مكة »

كانت الهجرة من مكة الى المدينة فرضا على القادرين ، نصرة للنبى ﷺ وحماية للدين ووقاية للنفس من أذى المشركين ، فلما أتم الله نعمته على المسلمين بفتح مكة انتهى الوجوب بقوله ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » ولكن بقيت هجرتان واجبتان **احداهما :** هجرة المحرمات لقوله ﷺ «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

والثانية: هجرة أهل المعاصى — أى تركهم حتى يرجعوا تأديبا لهم ، فلا يخالطون حتى يتوبوا كما فعل ﷺ مع كعب بن مالك وصاحبيه الذين تخلفوا عن رسول الله فى غزوة تبوك ، قال تعالى « **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** » .

« أقسام الهجرة فى الأرض وأحكامها »

قال ابن العربى : قسم العلماء الذهاب فى الأرض قسمين « هربا وطلبا » .

فالأول : مقسم الى ستة أقسام (الأول) الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام ، وكان فرضا قبل فتح مكة — منها الى المدينة — ثم انتهى الوجوب باسلام أهلها ، ولكن هذه الهجرة لاتزال واجبة الى يوم القيامة من أى بلد عامة أهله كفار ، الى ديار المسلمين ، فمن بقى فيه كان عاصيا — أقول — وقد أجاز العلماء البقاء لرجل قوى الايمان لا يخشى على نفسه الفتنة، فان بقاءه قد تكون له آثار صالحة فيمن حوله من الكفار ، اذ ربما أثر عليهم فآمنوا ، كما يصنع تجار المسلمين الذين أسلم بسببهم بعض الكفار ، كما حدث فى الفيلبين وأندونيسيا .

(الثانى) الخروج من أرض تعم أهلها البدعة ، **اذا لم يقدر على تغييرها أوبذل** النصح لأهلها ، لقوله تعالى : « **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ** » — أقول — قياسا على ما تقدم : انه اذا كان واثقا من نفسه أنها لا تنحرف فله البقاء .

(الثالث) الخروج من أرض غلب عليها الحرام، فان طلب الحلال فرض على كل مسلم.

(الرابع) الخروج فرارا من الأذى فى البدن، وأول من فعله ابراهيم — عليه السلام — فانه لما خاف من قومه بعد أن ألقوه فى النار قال

« إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى » وفعله موسى ، قال تعالى « فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ » .

(الخامس) الخروج حذر المرض ، من الأرض الوخمة الى الأرض النظيفة التى طاب مناخها ، وصلح جوها ، فقد أذن الرسول ﷺ للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا الى المسرح فيكونوا فيه أصحاء .

وقد استثنى من ذلك الخروج من أرض الطاعون ، فقد منعه ﷺ .

قال ابن العربى : بيد أن علماءنا قالوا ان الخروج من الأرض الوخمة مكروه — أقول — ولعل الكراهة بسبب أن الهجرة تكون سببا فى نقل المرض من تلك الأرض الوخمة الى الأرض النظيفة ، فان من فيها يحملون ميكروبات الأمراض الموجودة بها ، وذلك هو اللائق بمحاسن الشريعة ، قال ﷺ فيما صح عنه « لا ضرر ولا ضرار » .

(السادس) الخروج لتفادى الايذاء فى الأهل والمال ، وهو مشروع بل قد يكون واجبا اذا كان الايذاء عند البقاء متوقعا بأرجحية ، فان حرمة الأهل والمال كحرمة الدم .

وأما الخروج للطلب ، فاما أن يكون لطلب دين واما أن يكون لطلب دنيا ، فالهجرة لطلب دين ، كالسفر للعبرة والاتعاظ — وهو مندوب قال تعالى « أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ » وكالخروج للحج — وهو فريضة على كل مكلف مستطيع لم يسبق له الحج ، وكسفر الجهاد ، وهو اما فرض عين أو فرض كفاية أو سنة حسب اختلاف الأحوال ، وكالهجرة لطلب المعاش ، فمن ضاق عليه العيش فى بلده ، وجب عليه أن يهاجر الى حيث يجد كفايته من الرزق ، أما طلب الزيادة فمباح بشرط الاطمئنان على الدين والنفس والعرض فى أرض الهجرة ، وليأخذ معه القرآن الكريم ومراجع فى العقيدة والشريعة والأخلاق ، حتى يعيش فى جو اسلامى ، ويحمى نفسه من الانزلاق فى أوحال الشبهات والمعاصى .

ومن الأسفار المباحة السفر لمجرد التجارة والكسب الزائد على القوت ، فيباح للمسلم الانتقال من بلده الى آخر لذلك ، والعودة الى بلده بتجارته أو بثمنها وربحه ، ويدل لهذا والذى قبله قوله تعالى « وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » وذلك فى الرزق الضرورى لابقاء الحياة ، وقوله تعالى «فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ » وقوله : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ » وذلك فى الرزق الزائد على القوت الضرورى ، ويدخل فيه أيضا الرزق للضرورى من باب أولى .

وقد يبدو عند أول النظر أن السفر لطلب الرزق بمختلف أنواعه السابقة يعتبر سفرا لغرض الدنيا ، ولكنه معتبر فى جانب السفر لطلب الدين ، ان صحبته نية أداء حقوق الله والتوسعة على المحتاجين ، والاستمتاع بنعمة الله وشكره عليها .

الهجرة وأنواعها وأحكامها

ومن الهجرة لطلب الدين السفر لطلب العلم وهو فرض كفاية ، قال تعالى « فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » .

ومن الهجرة فى سبيل الدين أيضا السفر الى البلاد المقدسة الثلاثة مكة والمدينة وبيت المقدس لغرض العبادة فى مساجدها ، وتكثير الثواب بذلك ، لقوله ﷺ « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد» وذكر مسجده ﷺ والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ، والسفر لذلك مندوب .

ومن الهجرة فى سبيل الله : الخروج الى الثغور الواقعة بيننا وبين الأعداء للمرابطة فيها لرد الأعداء عن البلاد ، كما كان يفعل السلف الصالح ، ومنها السفر لزيارة اخوانك فى الله تعالى ، والسفر لذلك مندوب .

لقوله ﷺ « زار رجل أخا له فى قرية ، فأرصد له ملكا على مدرجته — أى طريقه — فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد أخا لى فى هذه القرية ، قال : هل لك من نعمة تربها عليه — أى تملكها عليه — قال : لا غير أنى أحببته فى الله عز وجل ، قال فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » أخرجه مسلم وغيره .

وأما الهجرة لطلب الدنيا أو السفر لذلك من غير نية ابتغاء مرضاة الله تعالى بأى وجه من الوجوه فهى مباحة ولا أجر فيها لقوله ﷺ «انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى» ويشترط لاباحة ذلك أن لا يكون للمعصية ، وأن لاتصاحبه معصية ، والا كان حراما .

ودليل اباحة ذلك عند خلوه من المعصية « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ » فالآية شاملة للمتعة بالطيبات جميعا حضرا أو سفرا .

هذه هى أنواع الهجرة وأحكامها التى نقلها ابن العربى عن العلماء ، قدمناها بين يديك بأسلوبنا وتصرفنا فى معظمها ، وقد ذكرنا فيها ما لم يذكره من الأحكام والأدلة ، وليس فيها شىء مما يجنح اليه بعض المتطرفين من هجر اخوانهم ومشاقتهم وخلق المتاعب لهم ، وتأليف الجماعات المنحرفة عن سواء السبيل ،فليسوا أقوم سبيلا ممن يهجرونهم ويشاقونهم « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » .

مصطفى محمد الحديدى الطير

التفكير العلمى والتخطيط في حياة المسلمين

للواء أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

*** مـن دروس الهجـرة التى ينبغـى أن نتدبرها وبخاصة فى هذا العصر الذى تتقـدم فيه العلوم « والتقنية » بسرعة مذهلة والذى يتعرض للهلاك فيه من يتخلف عن مقتضياته ــ درس كبير يتعلق بالتفكير العلمى والتخطيط ، ويوجه انتباه الأمة الى ما يلى :**

١ ــ أنه من الضرورات الحيـوية لنهضـة الأمة أن تقيم كل أمورها على العلم والتخطيط العلمى ، فلا تدعها « تجرى فى أعنتهـا » أو تتركها « لعوامل لم تكن فى الحسبان » .

٢ ــ وأن ترك الحذر واهمال المحافظة عـلى الأسرار والتـواكل والاسـتكانة كلها أمـور ليست من الاسـلام .

٣ ــ وأن معـونة الله مرهـونة بالأخـذ بالأسباب ، فلا تأتى للمتخـاذلين الخـاملين القاعدين عن التفكير والتدبير والعمل .

* والحق أن هجرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مكة الى المدينة كانت آيـة من آيات سلامة التفكير وحسن التدبير واحكام التخطيط وبراعة التنفيذ مع الثقة ــ فى الوقت نفسه ــ فى معية الله تعالى وتأييده ونصره .

ولقد شاءت ارادة الله ــ جل شأنه ــ أن تحتوى الهجرة على هذا الدرس الكبير لتعليم الأمة قدر التخطيط ومكانته العظمى فى تقدير الاسـلام :

١ ــ فلم يشأ ــ جل شأنه ــ أن يجعـل الهجرة معجزة خالصة ، وأن ينقل رسوله من مكة الى المدينة فى لحظات كما أسرى به من مكة الى بيت المقدس وأعاده قبل أن يبرد فراشه ، ولكنه سبحانه ــ وهو القادر على كل شىء ــ أراد أن يجعلها هجرة بشرية بجهود وأسـباب ووسائل بشرية ليعلم الأمة العناية بالأسـباب ثم الاعتماد على الله القادر .

٢ ــ ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم

من وحى الهجرة

ـ وهو يعلم أنه يهاجر فى سبيل الله ، ويثق بأن الله ناصره وحافظه ـ لم يقصر فى الأخذ بالأسباب ، ولم يهمل التدبير والتخطيط واتخاذ الحيطة والحذر •

* بذلك اجتمع للهجرة أسباب النصر والنجاح من ناحيتين :

الأولى : أساسها « الأسباب البشرية » :

اخفاء الهجرة ـ خداع المراقبين للبيت بنوم على ـ فى فراش النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختيار دليل للطريق لا يمكن أن يرد على ذهن الكفار هو عبد الله بن أريقط ـ اتخاذ طريق غير متوقع ـ اللجوء الى غار ثور والبقاء فيه ثلاثة أيام لتحقيق المزيد من تضليل قريش والضغط النفسى عليها ـ التعرف المستمر على أخبار قريش عن طريق عبد الله بن أبى بكر ـ الحرص على ازالة آثار أقدام عبد الله بن أبى بكر بعد زيارته للغار بمرور غنم أبى بكر فوقها ••

والثانية : أساسها « العناية الالهية والمدد الالهى » •

ومن ذلك أن ينسج العنكبوت خيوطه على فم الغار ، وأن تبيض الحمامة بجوار نسيج العنكبوت ، وقد وصل الكفار الى فم الغار حتى لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضى الله عنه ، ومنه أيضا أن تتعثر فرس سراقة بن جعشم الذى لحق بهما أملا فى مائة ناقة جعلتها قريش لمن يأتى بمحمد صلى الله عليه وسلم حيا أو ميتا ، وأن يرى من علامات حفظ الله لنبيه ما يحول اتجاهاته من عدو له الى حارس يرد عنه من يريد اللحاق به •

وصدق الله العظيم :

« إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » ، التوبة ٤٠ •

الاسلام والتخطيط :

* ولقد اهتم الاسلام بالتخطيط باعتباره مظهرا من « مظاهر العلم » الذى نزلت به أول آية فى القرآن الكريم دليلا على تقدير الاسلام للعلم وأهله ، وباعتباره أيضا مظهرا من مظاهر « العمل بالعلم » ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا يعوذ بربه من علم لا ينفع ومن قول لا يشفعه بعمل ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

* « اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » •

(رواه مسلم والترمذى)

التخطيط بعيد المدى :

بل ان الاسلام لا يدعو الى التخطيط قصير المدى فحسب بل يدعو أيضا الى التخطيط بعيد المدى ، وهو بعض ما يفهم من قول عمرو بن

العاص رضى الله عنه : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كـأنك تموت غدا » .

ولا ريب فى أن التخطيط للمستقبل البعيد هو أرقى درجات التخطيط وأرقى مراتب توظيف العقل فيما ينفع المسلم وأمته فى حاضرها ومستقبلها ، فالناس فى استخدامهم للعقل درجات :

١ ـ فمنهم من يتوقف به عند حد تحصيل المعارف .

٢ ـ ومنهم من لا يكتفى بالتحصيل بل يزيد عليه الانتاج العقلى من فكر ورأى وابتكار وغيرها .

٣ ـ ومنهم من لا يقنع بذلك ، بل يرقى الى مستوى استخدام عقله فى التأمل وتقدير احتمالات المستقبل ، ليس على أساس الرجم بالغيب ، ولكن على أساس من امعان النظر فى الحقائق والمعطيات والملاحظة الموضوعية والاحاطة بكل أبعاد المشكلة ، والقدرة على التصور والاستنتاج المنطقى وبعد النظر .

وليس من شك فى أن الطائفة الثالثة من الناس التى تستخدم العقل الى أقصى طاقاته هى الطائفة الموفقة حقا الى التخطيط العلمى السليم الى أبعد مدى ممكن من المستقبل ، وهى أيضا الطائفة التى تقدم أكثر من غيرها أفضل الأفكار وأجل الأعمال لصلاح المجتمع الذى تعيش فيه .

تنمية ملكات التفكير العلمى :

* والأمر الذى يستحق التأمل هو أن الاسلام حرص فى بنائه لشخصية المسلم على أن يجعل منه انسانا ايجابيا قادرا على رفعة شأن أمته وذلك بتنمية ملكات التفكير العلمى لديه ، فالتأمل والنظر والتفكر والتفكير كل ذلك وظائف العقل الذى كرم الله به الانسان ، وتعتبر من جوهر العبادة ، وقد حث المسلمين عليها لاستنباط الحقائق العلمية والوصول الى معرفة نواميس الكون وهو ما يفهم من قوله تعالى : « **قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ** » (العنكبوت ٢٠) .

« **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** » . (يونس ١٠١) .

« **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا** » (سبأ ٤٦) .

« **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا** » (الحج ٤٦) .

* والجمود الفكرى أمر لايرضاه الاسلام للمسلمين ، فنراه يندد به وينعى على المقلدين الذين يأبون التجديد والتطور بحجة أنهم يتمسكون بما ورثوه عن الآباء . قال تعالى :

« **وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** » (الزخرف ٢٣) .

ووصف سبحانه وتعالى المقلدين بأنهم يرددون مايلقنوه كالببغاوات أو العجماوات فقال جل شأنه : « **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ**

من وحى الهجرة

﴿الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ١٧١) •

والرسول ﷺ يقول : « لا يكن أحدكم امعة ، يقول : ان أحسن الناس أحسنت وان أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تتجنبوا اساءتهم »

* وعلى أساس هذا المنهج الاسلامى قامت الحضارة الحديثة كما يشهد بذلك التاريخ والمنصفون من علماء الغرب ، فقد كانت نتيجة تنمية ملكات التفكير لدى المسلمين أنهم اندفعوا الى البحث فى جميع ميادين الحياة : روحية كانت أو عقلية أو مادية ، فصحب انتشار الاسلام رقى حضارى بعيد المدى متعدد الجوانب ،بل ان ازدهار المعارف الانسانية مشى فى ركاب الحكم الاسلامى شرقا وغربا ، فاذا طلاب العلوم الطبيعية والاجتماعية يهرعون الى عواصمه بغية الاستفادة فى شتى مجالات العلوم •

المسلمون فى عصر الثورة الالكترونية

* لكن كل مسلم غيور على دينه وحريص على نهضة أمته يتساءل عن موقع أمته فى ركب التطور فى هذا العصر الذى نعيش فيه والذى يطلق عليه عصر « الثورة الالكترونية » وثورة المعلومات ، ولعل أبلغ تعبير عن طابع هذا العصر قول أحد خبراء الحاسبات الالكترونية « الكومبيوتر » :

« حتى القرن الثالث الميلادى تقريبا ، كان « المتعلم » وصفا يطلق على من يعرف القراءة فقط ولما وصلنا الى القرن الثانى عشر تقريبا صار لقب المتعلم يطلق على من يعرف القراءة والكتابة معا ، وكان العدد فى الحالتين نادرا ، أما فى نهاية هذا القرن (القرن العشرين) فسوف يطلق لقب المتعلم فقط على من يعرف لغة الكومبيوتر !! » •

ويتضح لنا معنى هذا القول اذا ما تأملنا الحقائق العلمية التالية :

١ — ان الحد الفاصل بين القرار السليم والقرار الخاطىء هو توفر أو عدم توفر الحقائق الضرورية •

٢ — ومع تعاظم النشاط فى العمل فى هذا العصر وما نتج عنه من آثار تقنية «تكنولوجية» وثقافية واقتصادية وسياسية فانه ينتج عنه حجم هائل من المعلومات يعجز العقل البشرى عن استيعابها والافادة منها فى عمليات التخطيط وصنع القرارات مالم تنظم بالأسلوب العلمى الحديث الذى يضمن سلامة استقبال هذه المعلومات وتسجيلها وحفظها واسترجاعها بالقدر والسرعة والدقة التى تجعل منها مادة صالحة ومقالة للخطة السليمة والقرار السليم فى الوقت المناسب •

٣ — اذا كانت الحاسبات الالكترونية تؤدى العمليات الذهنية والعقلية بسرعة أكبر مئات المرات من سرعة الانسان ، فان ذلك لا يعنى أنه يمكن الاستغناء عن الانسان ، فمازال الانسان هو الذى يزود الآلة بالبيانات

ويحركها لتؤدى وظيفتها ، وهو فى النهاية الذى يستقبل ما تنتجه من معلومات لكى يصـدر القرار .

٤ — أصبح من الضرورات الحيوية لبناء الانسان الناجح فى هذ العصر أن يوسع من مداركه ، وأن يزيد من استثمار ملكاته العقلية وأن يزود نفسه بقدر كبير من الثقافة العامة التى لا تقتصر على تخصص معين ، وأن يكون على دراية بكل جديد من منجزات عصره .

٥ — ان تطور الحاسبات الالكترونية خلال الثلاثين عاما الماضية من نظم فردية مرتفعة الثمن الى نظم حاسبات بأحجام ونوعيات مختلفة لها برامج عديدة مجهزة (١) أدى الى تيسير استخدامها وخفض أسعارها ونفقات تشغيلها الأمر الذى يشجع الدول النامية على الافادة منها لدفع عجلة النمو والتطور .

الحضارة الحديثة والادارة

* ومما يؤكد على ضرورة مواكبة العصر فى أساليب التفكير والتنفيذ أن علماء الادارة أجمعوا على أن الحضارة الحديثة قد أصبحت تشعر بحاجتها الى « الادارة السليمة » والى « العقل الادارى » بصورة لم تحدث من قبل.

ومن المشكلات التى يواجهانها فى التربية والتوجيه ، فان نمو المجتمع يخلق مصاعب مشكلات جديدة فى الادارة والتوجيه والتنسيق

انها حقيقة يفرضها العصر ، فينبغى أن تكون أساسا لمفاهيم القيادة العصرية والدولة العصرية ، ذلك لأن المجتمع — شأنه فى ذلك شأن الكائنات الحية — « ينمو » ، وكما أن نمو الطفل فى مراحل عمره يزيد من أعباء والديه مع كل درجة من درجات نموه ، تتطلب فى القادة والمسئولين قدرا كبيرا من المبادأة والحسم والابداع والادارة والتنظيم .

* ولو أردنا أن نضرب لذلك مثلا فلننظر الى الجيوش لنجد أن قاعدة النمو تنطبق عليها فمع التطور المذهل والسريع فى أسلحة القتال وأساليبه تضخمت أعباء القيادة المسئولة عن اعداد هذه الجيوش للقتال وعن السيطرة عليها فى المعركة ، وقد أجمع علماء الادارة وخبراء الحرب على أن العامل الحاسم فى ترجيح كفة جيش على آخر فى المعركة هو الوصول الى أقصى درجات التنظيم وأقصى درجات الكفاءة فى الادارة .

* وقد أصبح من حقائق العصر — نتيجة لذلك — أن اقتناء الجيوش لأحدث أسلحة العصر ومعداته لا يكفيها لكى تحقق النصر على عدوها فى الحرب الحديثة ، فقد أصبح العامل الحاسم فى الصراع هو « الادارة والتنظيم »

كذلك أصبح من حقائق العصر أن الكفاءة فى الادارة والتنظيم لها دخل كبير فى تعديل ميزان

◄

---

(١) يشهد العصر الحاضر منافسة شديدة بين أمريكا واليابان فى انتاج هذه الانواع التى يطلق عليها « الجيل الخامس » من أجهزة الحاسبات الالكترونية .

القوى لصالح من يملكها ، وفى تاريخ الحروب أدلة على ذلك فقد استطاعت دول صغيرة مواجهة دول أكثر منها تقدما فى الأسلحة

والمعدات بفضل القيادة السليمة والكفاءة فى الادارة والتنظيم (١) .

* ولقد نوه بذلك « روبرت مكنمارا » وزير الدفاع الأمريكى الأسبق والذى يعد حجة فى علوم الادارة حين قال انه فى مجال

الصراع بينهم وبين الاتحاد السوفييتى فان الولايات المتحدة تمتلك تكنولوجيا عالية جدا وكذلك الاتحاد السوفييتى ولكن العامل الذى سوف يحسم المعركة هو الادارة السليمة .

والسر فى ذلك هو أن « الادارة السليمة » لما تحت يد القيادة من موارد وأدوات من بشر وأسلحة ومعدات ، هى التى تمكن من تحقيق أعلى مستويات « الكفاية فى الأداء » ، ومن تحقيق الأهداف المقررة » بنجاح وبأقل التكاليف والخسائر .

*** وخلاصة القول أن المنظمات « المدنية والعسكرية على حد سواء » التى تدار « بالعقلية الادارية » والتى تواجه مشكلاتها « بالحل العلمى » هى التى تستطيع أن تحقق أهدافها بأقصى قدر من الكفاية وبأقل التكاليف أو الخسائر . فما أشد حاجة المسلمين اليوم الى الأخذ بتعاليم دينهم فى التفكير والبحث والتقدم والتطور وتنشئة أبنائهم عليها والعمل بها فى كل أمور الحياة حتى يعودوا الى مكانتهم التى أرادها الله تعالى « خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » (٢)**

محمد جمال الدين محفوظ

(١) سوف نتناول بمشيئة الله موضوع الادارة العلمية وعناصرها ومبادئها فى بحث قادم مع ربطها بأصولها فى تعاليم الاسلام .

(٢) آل عمران ١١٠ .

الإعجاز

٦

للدكتور احمد إبراهيم مهنا

الصلة بين « الله » و « ما سواه »

واذا كان الله سبحانه هو الخالق وكل ما سواه مخلوقا له ، فما هي الصلة بين الخالق والمخلوق ؟.

ان القرآن الكريم قد أجاب عن هذا السؤال في أكثر من آية ، وهي تقرر أن المخلوقات جميعها – مكلفة وغير مكلفة – خاضعة للخالق ومنقادة له ، رضيت أو كرهت ، يقول الحق سبحانه :

« وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١) ».

« أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » (٢) .

ويلفت النظر الى هذه الحقيقة فيقول جل شأنه :

« أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ » .

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٣) ،

ويقول :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ ◄

(١) سورة الرعد : الآية ١٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٨٣ .

(٣) سورة النحل : الآية ٤٩ .

وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ‥ » (١) .

وخضوع المخلوقات لله وانقيادها له شيء لاغرابة فيه ، فهي في احتياج دائم الى من يمسك عليها حياتها ، وخالقها — وحده — هو الذي يمدها بالعطاء الدائم الذي يوفي باحتياجاتها .

وكل مافي الكون من المخلوقات التي أشفقت أن تتحمل الأمانة — وهي ماعدا الانسان — تسجد لله طوعا ، فكل منها يؤدي رسالته التي خلق لها دون انحراف ولا توقف والى الأجل الذي قدره الله سبحانه .

نقرأ في القرآن الكريم قول الحق للسماء والارض بعد أن خلقهما :

« ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ » (٢) .

ونقرأ قوله تعالى :

« وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » (٣) .

وقوله جل شأنه :

« خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى » (٤) .

وكذلك الانسان المؤمن يسجد لله عن طواعية واختيار ، يسجد حقيقة فيضع جبهته على الأرض خضوعا لعظمة خالقه ، واعترافا بفضله ، واستمطارا لرحمته ، وهو منقاد في كل ما يأتي ومايدع بما شرع الله لعباده يرجو رحمته ويخاف عذابه .

أما الانسان الكافر فهو وان أبى أن يعترف بفضل الله عليه فهو — رغم أنفه — ساجد له، منقاد لأمره ، خاضع لقضائه ، متضرع اليه عندما يصاب بمكروه يعجز عن دفعه ، وهذا هو السجود لله كرها .

ولقد حدث القرآن عن هذا المخلوق الجاحد في أكثر من آية ، وصوره في أكثر من موضع ، يقول الحق تبارك وتعالى :

« وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا . » (٥) ويقول :

« وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ

(١) سورة الحج : الآية ١٨ .
(٢) سورة فصلت : الآية ١١ .
(٣) سورة يس : الآيات ٣٨ — ٤٠ .
(٤) سورة الزمر : الآية ٥ .
(٥) سورة الاسراء : الآية ٦٧ .

يدعُنا إلى ضُرٍّ مسَّه كذلك زُيِّن للمسرفين ما كانوا يعملون . » (١) ويقول :

« هو الذي يُسيِّركم في البرِّ والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريحٌ عاصفٌ وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق .. » (٢) ويقول :

« وإذا مسَّ الإنسان ضرٌّ دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوَّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليُضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار » (٣).

ان موقف العجز الكامل عن دفع ما يصيب هذا الكافر من بلاء أيقظ فطرته فنطق بحاجته متوجها الى من لا يملك الأمر غيره في ضراعة تامة ، انه مكره على ذلك وصدق الله في قوله :

« ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها » . (٤)

يقول الامام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية :

« يخبر الله تعالى عن عظمته وسلطانه الذى قهر كل شيء ودان له كل شيء ولهذا يسجد له كل شيء طوعا من المؤمنين وكرها من الكافرين » .

ويقول الشوكاني في كتابه « فتح القدير » عند تفسير الآية المذكورة :

« لابد أن يحمل السجود المذكور في الآية على معنى حق لله السجود ووجب حتى يتناول السجود بالفعل وغيره ، أو يفسر السجود بالانقياد ، لأن الكفار وان لم يسجدوا لله سبحانه فهم منقادون لأمره ، وحكمه فيهم بالصحة والمرض والحياة والموت والفقر والغنى ، ويدل على ارادة هذا المعنى قوله : « طوعا وكرها » فان الكفار ينقادون كرها كما ينقاد المؤمنون طوعا » .

واذا كانت آية سورة الرعد قد أجملت فاننا نجد تفصيل هذا الاجمال في قول الله تبارك وتعالى في سورة الحج :

« ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس » .

وكل من ذكر يسجد لله طوعا . ثم نجد السجود كرها في قوله تعالى :

« وكثير حق عليه العذاب » .

وهو الفريق الكافر من الناس .

ولو كان الحق سبحانه هو الخالق فحسب لحق على المخلوق أن ينقاد لأوامره وأن يخضع له ولكنه « رب العالمين » ودلائل ربوبيته واضحة لكل ذى عينين ، لقد « أحسن كل

---

(١) سورة يونس : الآية ١٢ .
(٢) سورة يونس : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) سورة الزمر : الآية ٨ .
(٤) سورة الرعد : الآية ١٥ .

﴿شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (١) وضمن لكل مخلوق رزقه وصدق سبحانه فى قوله :

« وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا .. » (٢)

وقوله :

« وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » . (٣)

حتى هؤلاء الذين كفروا نعمته وأنكروا فضله، لقد دعا أبو الانبياء ابراهيم ربه أن يرزق المؤمنين من عباده لأنهم — فى نظره وتبعا لمقاييس الناس — هم الذين يستحقون أن يشملهم الله بفضله ، ولكن الله أجابه بأن الكافر لن يحرم من رزقه ، نقرأ فى ذلك قوله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ . » (٤)

وهذا من أخص مظاهر رحمته سبحانه فهو « الرحمن الرحيم » .

ولو حاولنا أن نحصى مظاهر الرحمة الالهية على الانسان الذى حمل الامانة لاعيانا ذلك ، ويكفى أن نذكر منها :

(أ) أنه تعالى بعث اليه النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ، وذلك لهدايته وانارة الطريق أمامه . ولئلا يكون له على الله حجة .

(ب) وأنه لم يغلق أبواب التوبة أمام العاصين من عباده ، بل دعاهم الى العودة اليه وملأ نفوسهم بالأمل فى رحمته ولو أسرفوا على أنفسهم فى ارتكاب ما يغضبه ، يقول غافر الذنب وقابل التوب :

« قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . » (٥) .

حتى هؤلاء الذين وصلوا الذروة فى العصيان فكفروا به وجحدوا نعمته لا يحرمون من رحمته اذا رجعوا اليه ، يقول سبحانه :

« قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ .. » (٦)

(جـ) وأنه وضح لهم الحد الفاصل بين قبول التوبة وعدم قبولها حتى يكون كل على بينة من أمره فقال جل شأنه :

« إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ

(١) سورة السجدة : الآية ٧ .
(٢) سورة هود : الآية ٦ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية ٦٠ .
(٤) سورة البقرة : الآية ١٢٦ .
(٥) سورة الزمر : الآية ٥٣ .
(٦) سورة الانفال : الآية ٣٨ .

الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما ٠ »(١)

(د) وفى مجازاته لهم لم يعاملهم بالعدل فحسب ، وانما أسبغ عليهم من فضله وكرمه فقال سبحانه :

« من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ٠ » (٢)

(هـ) وحتى السيئة التى لا تدخل صاحبها فى دائرة الكفر قد يعفو الله عن صاحبها ويغفرها له وذلك قوله عز وجل :

« إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ٠٠ » (٣)

وقصارى القول فى هذا نجده فى قول الله تبارك وتعالى مخاطبا عباده : « وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ٠ » (٤)

وكلا الامرين حق لا مراء فيه ، ومن هنا وجب ألا يعبد غيره وألا يستعان بسواه ، وحق علينا أن نتوجه اليه سبحانه قائلين عن يقين : « إياك نعبد وإياك نستعين » ٠

ولنا الآن أن نتساءل :

هل هناك من الانس والجن من يمكن أن يدعى أن كل من فى السموات ومن فى الأرض يخضع له وينقاد لأوامره طوعا أو كرها ؟

وهل هناك من الانس والجن من يمكن أن يدعى أنه يسخر الشمس والقمر أو يسخر الليل والنهار ؟

وهل هناك من الانس والجن من يجرؤ على أن يدعى أنه يضمن الرزق لنفسه فضلا عن أن يضمنه لكل دابة فى الأرض ؟

وهل هناك من الانس والجن من يصل فى السماحة والكرم الى الحد الذى يجعله يفيض من خزائنه على من يناصبه العداء ولا يخضع لما يفرض من نظم ؟

وهل هناك من الانس والجن من تخول له نفسه أن يدعى أنه بعث النبيين مبشرين ومنذرين ؟

وهل هناك من الانس والجن من تحدثه نفسه أن يقول : ان كل مكروب يلجأ اليه ، وان كل نعمة بالناس انما هى من عطائه ؟

اننا كلما عشنا فى رحاب القرآن الكريم تأكد لنا أن وجه اعجازه للانس والجن انما هو بناؤه على الحقيقة الواضحة التى يستحيل على أى مخلوق أن يدعيها لنفسه أو ينسبها الى غير الله ، وصدق الله فى قوله : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ٠» (٥)

أحمد ابراهيم مهنا

---

(١) سورة النساء : الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(٢) سورة الانعام : الآية ١٦٠ .
(٣) سورة النساء : الآية ١١٦ .
(٤) سورة النحل : الآية ٥٣ .
(٥) سورة الاسراء : الآية ٨٨ .

ملة إبراهيم

للدكتور محمد محمد خليفة

قال تعالى : « وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » البقرة ١٣٠ وهى مدنية قيل فى سبب نزول هذه الآية : ان

عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام ، وقال لهما : قد علمنا أن الله تعالى قال فى التوارة : انى باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ، ومن لم يؤمن به فهو ملعون ، فأسلم سلمة ، وأبى مهاجر أن يسلم فنزلت هذه الآية ومن عجب أن اليهود والنصارى ومشركى العرب يفخرون بانتمائهم الى ابراهيم .

أما اليهود فيفخرون بانتهاء نسب اسرائيل (يعقوب) الى ابراهيم ، والنصارى يرون أن نسب عيسى من جهة الأم يرجع الى ابراهيم .

والعرب العدنانيون يرجع نسبهم الى اسماعيل ، وهم يفخرون على القحطانيين باسماعيل الذى جعله الله نبيا كل أولئك يفخرون بالانتساب الى ابراهيم ، ومع هذا لم يؤمنوا بالرسول الذى هو دعوة ابراهيم ولهذا جاء التعبير بالاستفهام على سبيل الانكار والتوبيخ واستبعاد أن يكون من العقلاء ، من يرغب عن ملة ابراهيم الا ذلك الذى سفه نفسه .

والتعبير برغب اذا صاحبه (عن) كما فى الآية دل على الكره واذا صاحبه (فى) دل على الميل وجاءت (من) فى الآية مرتين : الأولى للاستفهام الانكارى والثانية بمعنى الذى ، وقوله : **(من سفه)** فى محل رفع على البدلية من الضمير المستكن فى يرغب ، (لانفسه) نصب على التمييز أو انتصب بنزع الخافض أى سفه فى نفسه .

فقد سفه نفسه وأذلها وامتهنها وأنف بها من يرغب عن ملة ابراهيم ، أو خسرها وأهلكها ، أو جهل نفسه فلم يفكر فيها أو أضل نفسه ذلك الذى يرغب عن ملة ابراهيم وقد حكم الله بسفاهة من يرغب عن ملة ابراهيم ، ثم بين السبب فى سفاهة الذى أضل نفسه ببعده عن ملة ابراهيم فقال : **« ولقد اصطفيناه فى الدنيا »** أى اخترناه للرسالة دون سائر الناس ، وعرفناه الملة التى جمعت بين التوحيد والشرائع والامامة ، ولم يقف الأمر عند اصطفائه وجعله

رسولا واعطائه الامامة والشريعة ، بل أضاف الى ذلك أن جعله من الصالحين فى الآخرة المشهود لهم بالاستقامة والخير ومن كان كذلك كيف يرغب عاقل عن ملته .

(اذ قال له ربه أسلم) اذ فى موضع نصب بتقدير : اذكر ، أو نصب بقوله : اصطفيناه أى اصطفيناه فى الوقت الذى قال له ربه أسلم .

وقد كان قول الله له : **« أسلم »** قبل البلوغ وقبل النبوة وكان ذلك عند النظر فى الكواكب والقمر والشمس ووقوفه على هذا الكون وأنه محتاج الى خالق يدبر شئونه ، وعند احاطة ابراهيم بكل ذلك وغيره قال له ربه : **« أسلم » قال « أسلمت لرب العالمين »** .

وقيل انما كان قول الله له : « أسلم » انما كان بعد النبوة .

والمراد بالاسلام هنا : ١ ــ الانقياد لأوامر الله وقبولها .

٢ ــ أو أن تكون « أسلم » بمعنى أخلص عبادتك واجعلها سليمة من كل شىء .

٣ ــ أو أن المراد بقوله : **« أسلم »** استقم واثبت على التوحيد .

قال تعالى : **« وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »** البقرة ١٣٢ ، ١٣٣ وهما مدنيتان.

الضمير فى قوله : ووصى بها اما أن يرجع الى قوله : **« أسلمت لله رب العالمين »** على تأويل ذلك بالكلمة أو الجملة .

واما أن يرجع الى الملة فى قوله فى الآية السابقة : **« ومن يرغب عن ملة ابراهيم »** وهذا أولى لأنه يعود الى مذكور أما الأول فيعود الى مؤول .

ولم يقل وأمر بها ابراهيم وبنيه وانما قال : ووصى بها ، لأن الوصية تكون عند الموت حيث يكون احتياط الانسان لدينه شديدا مؤكدا ، ويكون القبول أقرب وخص البنين ، لأن شفقة الانسان على أبنائه فى هذه الحالة تكون أكثر من شفقته على غيرهم .

(ويعقوب) عطف على ابراهيم ، والمعنى ، ووصى بها يعقوب أيضا بنيه ، وقرىء بالنصب عطفا على بنيه ، وقوله : يابنى ، على اضمار القول ، أى قال : يابنى ، أو قوله يابنى يتعلق بوصى ، لأنه فى معنى القول **(ان الله اصطفى لكم الدين)** أى اختار لكم وأعطاكم الدين الذى هو صفوة الأديان وخيرها وهو دين الاسلام أو استخلصه وأقام عليه الدلائل والبراهين ثم دعاكم اليه **« فلا تموتن الا وأنتم مسلمون »** أى لا يكن موتكم الا حين تكونون ثابتين على الاسلام حتى الموت ليبعثوا عليه عند بعثهم .

وبنو ابراهيم كانوا أربعة: اسماعيل واسحاق ومدين ومدان .

وقيل ثمانية ، وقيل أربعة وعشرون .

« أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت » .

(أم) اما أن تكون منقطعة واما أن تكون متصلة .

ملة إبراهيم

وأم المنقطعة تقدر ببل والهمزة ، والهمزة للانكار أى بل ما كنتم شهداء والشهداء جمع شهيد وهو الحاضر ، والمعنى : ما كنتم حاضرين حين حضر يعقوب الموت والمراد : حضور أسباب الموت وقبل النزع الأخير .

(واذ) ظرف لشهداء أى ما كنتم شهداء وقت أن حضر يعقوب الموت ، وقدم يعقوب الواقع مفعولا للاهتمام به ، لأن المراد بيان الكيفية التى وصى بها بنيه .

والخطاب مع أهل الكتاب لأنهم كانوا يزعمون أن الدين الذى هم عليه هو دين الرسل فكأن الله يقول لهم : كيف تقولون ذلك وأنتم تشهدون وصايا الأنبياء بالدين ولو شهدتم ذلك لتركتم ما أنتم عليه ، ورغبتم فى دين محمد الذى هو نفس دين ابراهيم ويعقوب وسائر الأنبياء .

والاستفهام الانكارى فى « أم » يتعلق بمجرد ادعائهم الحضور عند وفاته ، وهذا هو الذى أنكره عليهم .

أما اذا قدرت « أم » متصلة فيقدر قبلها محذوف ، وكأنما قيل : كيف تدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ، ومعنى ذلك أن أوائلكم من بنى اسرائيل كانوا شاهدين اذ دعا بنيه فكيف تدعون على الأنبياء ماهم برءاء منه .

و « ما » فى قوله : ما تعبدون : عام والمعنى: أى شىء تعبدون ؟ وقد قيل : ان يعقوب لما دخل مصر رأى أهلها يعبدون النيران والأوثان، فخاف على بنيه وسألهم : ما تعبدون من بعدى حتى يحرضهم على التمسك بعبادة الله وليقر بنوه بالتوحيد .

(قالوا) وهذا استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل حين سألهم : ما تعبدون ماذا قالوا وكان الجواب : قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا وقوله : ابراهيم واسماعيل واسحاق عطف بيان لآبائك ، وقدم اسماعيل على اسحاق لأنه أكبر منه سنا .

والمعنى : نعبد الهك الذى نعترف بأن ألوهيته هى التى تستوجب العبادة وحدها واسماعيل عم يعقوب ، ولكنه دخل فى الآباء باعتبار أن العم أب .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « عم الرجل صنو أبيه » (١).

وقال فى العباس : « هذا بقية آبائى » .

وقال فىالعباس كذلك : «ردوا على أبىفانى أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة ابن مسعود » .

(الها واحدا) بدل من آبائك أو نصب على الاختصاص أى تعنى باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) اما أن تكون الجملة حالا من فاعل نعبد ، أو من مفعوله (الهك) أو منهما معا .

---

(١) لاتزال مجلة الازهر تطلب ذكر مرجع الحديث الشريف اثباتا لقيمته العلمية وتوثيقا لها ، وتحقيقا لطلب القارىء والله ولى التوفيق .

وأما أن تكون الجملة اعتراضية لتحقيق مضمون ما سبق ، أو معطوفة على نعبد وقال تعالى :

« وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » البقرة ١٣٥ والآية مدنية .

ليس مرادهم من هذا التعبير : كونوا هودا أو نصارى تخيير الناس بين اليهودية أو النصرانية ، ولكن المراد : أن اليهود قالوا : كونوا هودا تهتدوا ، والنصارى قالوا كونوا نصارى تهتدوا ، لأنهم وان اتفقوا فى معاداة التوحيد والاشراك فقد اختلفوا .

فاليهود يقولون بالتشبيه .

والنصارى يقولون بالتثليث وقد اتفق اليهود والنصارى على صحة دين ابراهيم ، ودين ابراهيم عليه السلام يقول بالتوحيد لا بالتشبيه ولا بالتثليث فمتى يرجعون الى دين ابراهيم .

وقوله : تهتدوا ، جواب الأمر أى ان فعلتم ذلك تهتدوا .

وقد أمر الله نبيه محمدا ﷺ أن يرد عليهم ، ويرشدهم الى الحق فى قوله : « قل بل ملة ابراهيم حنيفا » .

والمعنى : لا نكون كما تقولون يهودا أو نصارى ، بل نكون أهل ملة ابراهيم .

أو لا نتبعكم بل نتبع ملة ابراهيم .

أو بل اتبعوا أنتم ملة ابراهيم ان كنتم تعترفون بصحة دينه « مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا » .

والحنيف : المائل ، وقد كان ابراهيم عليه السلام مائلا عن الباطل الى الحق والحنيف : لقب يحمله من دان بدين ابراهيم عليه السلام .

وقد أتى ابراهيم بشرائع من حج البيت والتوحيد فمن دان بذلك فهو حنيف وكان العرب يدينون بذلك ، ولكنهم كانوا يشركون الا الحنفاء منهم فقد دانوا بملة ابراهيم ورفضوا الشرك .

وقوله : حنيفا حال من المضاف اليه أو من المضاف .

« وما كان من المشركين » أى لم يكن ابراهيم مشركا ، وانما المشركون من يقولون : « عزير ابن الله » .

ومن قالوا : « المسيح ابن الله » قاتلهم الله انى يؤفكون .

وهؤلاء اليهود والنصارى حين قالوا : ببنوة عزير والمسيح لله قد خالفوا ملة ابراهيم التى تنكر أن يكون لله ولد (**ما كان الله أن يتخذ من ولد سبحانه**) .

وقال تعالى : « قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » البقرة ١٣٦ والآية مدنية .

● ملة إبراهيم

لقد حكى الله عن اليهود والنصارى قولهم للمسلمين : كونوا هودا أو نصارى ، وأمر نبيه — ﷺ — أن يقول لهم : « بل ملة ابراهيم حنيفا » أى نتبع أو اتبعوا ملة ابراهيم ثم أمر أمة محمد — ﷺ — فى هذه الآية : أن يقولوا « **آمنا بالله وما أنزل الينا** » والأمر فى « قولوا آمنا بالله » يتناول محمدا — ﷺ — وجميع المكلفين من أمته •

وقدم القرآن فى الآية فى قوله : « **وما أنزل الينا** » وان كان متأخرا فى النزول لكونه سببا للايمان بالكتب الاخرى حيث أمرنا فيه بالايمان بها ولذلك قدم (**واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط**) لم تنزل عليهم كتب ، وانما كانت صحف ابراهيم هى التى تعبدوا بها ، فجعلت كأنها منزلة عليهم •

والأسباط : جمع سبط وهو الحافد ، وكان الحسن والحسين سبطى رسول الله — ﷺ — ويراد بالأسباط فى الآية حفدة يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر •

« **وما أوتى موسى وعيسى** » من التوارة والانجيل حيث أمرنا بالايمان بهما •

« **وما أوتى النبيون** » ممن ذكروا وممن لم يذكروا (**من ربهم**) من الآيات والمعجزات التى أيدوا بها •

(**لانفرق بين أحد منهم**) كما فعل اليهود والنصارى حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض أما المسلمون فلم يفرقوا بين أحد منهم بل آمنوا بجميعهم وبكل ما أنزل عليهم من الكتب والشرائع ، وان لم يعملوا بما أنزل من الشرائع السابقة ، لأنها كانت لأهل أزمان أولئك الرسل، وقد أمر المسلمون بالعمل بالشريعة التى جاء بها الرسول الخاتم والكتاب الخاتم •

أو لا نفرق بين أحد منهم فلا نقول بأنهم متفرقون فى أصول الديانات ، بل ان الرسل جميعا اجتمعوا فى الأصول التى هى الاسلام (**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**) •

(**ونحن له مسلمون**) أى ان اسلامنا لأجل طاعة الله لا للهوى ، ولذلك فقد آمنا بكل المعجزات التى أيد الله بها رسله ولم نرد شيئا منها •

أما أولئك الذين يؤمنون ببعض معجزات الرسل ، ويردون بعضها فلم ينقادوا ويسلموا لطاعة الله ، ولكنهم انقادوا للأهواء ، وليس بمسلم من اتبع الهوى وقال تعالى « **أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** » •

١٤٠ البقرة والآية مدنية •

(أم) فى قوله : أم تقولون ١ — معادلة للهمزة فى قوله تعالى فى الآية السابقة : قل أتحاجوننا فى الله ومعنى ذلك :

أى الأمرين تأتون ـ أ ـ اقامة الحجة على حقية ما أنتم عليه من التثليث أو التشبيه •

ب ـ أم الافتراء وادعاء اليهـودية أو النصرانية على الأنبياء حيث تقولون **أن ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى)** فأنتم تقتدون بهم •

والمراد بهذا انكار الأمرين جميعا : اقامة الحجة وادعاء يهودية أو نصرانية الأنبياء •

٢ ـ وقد تكون أم منقطعة مقدرة ببـل و« الهمزة » للاضراب الانتقالى حيث ينتقل من التوبيخ على محاجتهم الى التوبيخ على افترائهم على الأنبياء وفى قراءة : «أم يقولون» بالغيبة تكون أم منقطعـة للانكار والتوبيخ **(قل أأنتم أعلم أم الله)** •

ويستفهم الله فينكر عليهم ادعاءهم عـلى الأنبياء بما ادعوا والله أعلم منهم بالدين الذى يدين به ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط •

أما ابراهيم أبو الأنبياء فقد شهد الله له فى قوله : **« ما كان ابراهيم يهـوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما »** •

وقال فيـه أيضـا : **(وما أنزلت التـوارة والانجيل الا من بعده)** •

وقد حملت التوارة الشريعة اليهودية وجاء الانجيل بالنصرانية فكلاهما كان بعد ابراهيم بمئات السنين فكيف يكون يهوديا أو نصرانيا قبل أن توجد اليهودية والنصرانية فى الوجود•

وأما اسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط فقد كانوا على ملة أبيهم ابراهيم وحين كانوا يعيشون فى هذا الوجود لم يكن لليهودية أو النصرانية وجود •

« ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله » أى ليس هناك أحد أظلم من الذى كتم الشهادة التى عنده وهى حنيفية ابراهيم وبراءته من اليهودية أو النصرانية •

والمعنى : أنه لا أحد أظلم من الكتابيين حين يكتمون هذه الشهادة ، ويثبتون نقيضها وهـو أن ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا أو لا أحد أظلم منا لو كتمناها ، ولم نقم الحجة عـلى المخالفين ، وفى هذا تعريض بغاية أظلميته الكتابيين فى كتمان ما يعلمون عن ملة ابراهيم •

وفى ذلك تعريض بأظلميتهم أيضـا حين يكتمون ما جاء فى التوارة والانجيل فى نعـوت محمد نبى آخر الزمان ، وما جـاء فى التوراه والانجيل شهادة من الله لمحمد ومن أظلم ممن كتم ذلك •

« وما الله بغافل عما تعملون » من المعاصى ومن بينها كتمان الشهادة والافتراء عـلى الأنبياء بأنهم يهود أو نصارى وفى هذه الصيغة تأكيد لاحاطة علم الله بكل ما يعملون من افتراء أو اقامة حجج باطلة على زعمهم •

محمد محمد خليفة

القبر أول منازل الآخرة

قال عبد الله بن احمد حدثنى يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف حدثنى عبد الله ابن بحير القاص عن هانىء مولى عثمان قال :

كان عثمان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى من هذا ؟

فقال : ان رسول الله صلى عليه وسلم قال:

« القبر أول منازل الآخرة ، فان ينج منه فما بعده أيسر منه ، وان لم ينج منه فما بعده أشد منه » قال : وقال رسول الله صلى عليه وسلم :

« والله ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه » .

رواه أحمد فى مسنده ، ورواه الترمذى ٣ : ٢٥٨ ورواه ابن ماجة ٢ : ٢٩٤ ورواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٣٧١ واسناده صحيح وهذا الحديث من زيادات عبد الله بن أحمد .

عثمان بن عفان ولد فى السادسة بعد الفيل ، وقتل شهيدا يوم الجمعة لثمان خلون من ذى الحجة سنة ٣٥ هـ وهو ابن تسعين سنة .

وهو أحد السابقين للاسلام ، وهاجر الهجرتين ، وهو ذو النورين فلم يتزوج بنتى نبى غيره ، وأحد المبشرين بالجنة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وأحد أصحاب الشورى الستة .

وحج بالناس فى خلافته عشر سنين متوالية ودفن بالبقيع .

روى عن رسول الله ﷺ ستة وأربعين ومائة حديث اتفق البخارى ومسلم منها على ثلاثة ، وانفرد البخارى بثمانية ، ومسلم بخمسة ، وروى عنه جمع من الصحابة منهم : زيد بن خالد وابن الزبير وغيرهم وخلق من التابعين .

مفردات الحديث :

القبر : معروف ، وهو سكن الجدث من بعد الموت الى البعث .

أول منازل الآخرة أى : فالقبر أقرب شىء الى الانسان .

وشدته أمارة للشدائد كلها .

للشيخ أحمد حسن جابر رجب

ومعنى « منظرا قط » : أى : فى الدنيا .

« أفظع » . أى : أشد وأشنع من جهة الوحشة والوحدة . البكى : تزول الدمع من غير صوت والمعنى يتلخص فى : دواعى البكى، الخشية ، الخوف .

١ ــ الداعى للبكى اما أن يكون خشية من الله أو شوقا .

الخشية من الله هى الخوف المقرون بالجلال وذلك للعلماء بالله قال الله تعالى « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

والشوق يكون لما كشف له مما تقصر العبارة عن بيان أدناه فضلا عن أقصاه .

قال الله تعالى ــ مبينا حال من اطلع على الكتب السابقة وعرف حقيقة المصطفى صلى الله عليه ومسلم ، وما أنزل عليه فى تلك الكتب « ويخرون للأذقان يبكون » لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى وذكر ــ سبحانه ــ الذقن لأنه أول ما يلقى على الأرض من وجه الساجد واللام فى الآية لاختصاص الخرور .

ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى . وقال الله تعالى « أفمن هذا الحديث » يعنى القرآن « تعجبون » انكارا « وتضحكون » استهزاء ، « ولا تبكون » تحزنا على كشف ما فرطتم .

وفى الحديث عن أبى أمامة صدى بن عجلان الباهلى ــ رضى الله عنه ــ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ليس شىء أحب الى الله تعالى من قطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهراق فى سبيل الله تعالى وأما الأثران : فأثر « فى سبيل الله تعالى ، وأثر فى فريضة من فرائض الله تعالى رواه الترمذى فى كتاب الجهاد من جامعه .

وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ، ولا يجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

قوله : « لا يلج النار » يمكن أن يكون نفيا لأصل الولوج فيكون بشرى بالنجاة منها .

ويؤيده ماجاء فى حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت العرش يوم القيامة « رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » رواية الصحيحين .

وفى رواية « ورجل ذكر الله ففاضت عيناه» لابن عساكر .

وفى رواية « وعين بكت من خشية الله » للبيهقى فى الأسماء .

ويحتمل أن يكون نفيا على سبيل التأبيد . حتى يعود اللبن فى الضرع وهو أمر محال عادة والمرتب على المحال محال .

وأما الخوف : فاعلم أن المختار للعبد المكلف حرا كان أو رقيقا ذكرا كان أو أنثى فى حال صحته أن يكون خائفا راجيا ، ليزجره الخوف عن المخالفة ويبعثه الرجاء على اكتساب العمل الصالح .

ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، لأن الغالب فى القرآن ذكر الترغيب والترهيب مقترنين .

وقيل يكون خوفه أكثر .

كذلك يجب أن تعلم أن الذى يحل به اصرار قلبه ، ويحوله عن خطاياه وذنوبه . الخوف والرجاء لربه ، لأن الله نهاه عما يهوى قلبه ، وتشتهيه نفسه فجعله للطبع موافقا مطيعا ، وفى المباشرة لذيذا .

وكذا روى عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حفت النار بالشهوات » فأخبر أن العمل الذى يدخل به عامله النار شهى فى النفوس فمن ترك ما يهوى قلبه وتشتهيه نفسه مما كره ربه فقد احتجب عن النار واستوجب الحلول فى جوار الله .

والأعمال التى أمر الله بها وندب اليها أكثرها مثل للقلب ، متعب للجوارح ، أو مشغل عن أضداده من اللذات وذلك كريه فى الطبع ثقيل على النفس ، ولذلك يقول الله تعالى :

« وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ » .

وقال « فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .

وقال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : « حفت الجنة بالمكاره » فأخبر أن الحجاب الذى حفت به الجنة هو الفعل الذى هو كريه فى النفس ، ثم أخبر أنه من حمل نفسه على ذلك المكروه حتى يؤدى حقوق الله تعالى عليه دخل الجنة .

والله الكريم أعلم بخلقه ، وبما يصلحهم ، فعلم من هذا العبد قبل أن يخلقه أنه اذا طبعه على حب ما وافقه وبغض ما خالفه ، ثم علم مايوافقه مما يخالفه فهاجت لذلك شهواته ونازعته الى ذلك نفسه ، ولا سيما من خاض فى استعمال الشهوات عمره لن يدع ما تشتهى نفسه الا أن يخلق الله له نعيما مقيما ، ثم يرجيه ذلك النعيم ويعده اياه فخلقهما جميعا لعلمه بخلقه وما أراد من كرامة أوليائه ، وهو أن أعدائه ، وعلم أن هذا العبد الضعيف الجاهل اذا غيب عنه الثواب والعقاب ، وصارا مذكورين فى الخبر لا بالعيان لم يسمح قلبه بترك الشهوات وتحمل المكاره الا بالخوف لما خوف والرجاء لما رجى فخوف عباده وتهددهم ورجاهم ووعدهم ليخوفوا أنفسهم ويرجوها فيخافوه ، ولذلك وصف الذين فهموا ذلك عنه وخافوه فقال عز وجل .

« وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى » .

فأخبر أنه لما خاف ربه نهى نفسه عن الهوى .

وقال تعالى :

« وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ »

وقال :

« الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ » .

فأخبر أن ما غاب عنهم من العقاب وهم له خائفون لما رجاهم من الغيب راجون ، وأنهم لما خافوا ورجوا هربوا وطلبوا

وانما جعل الجزاء من العقاب والثواب والرهبة والرغبة من الله تعالى ليذلوا للمجازى فيعبدوه بالخضوع له والذلة ليورثهم فى الآخرة النعيم والعز وأخبر أنهم لما رغبوا ورهبوا خضعوا له بالذلة ، لأن أهل الدنيا من خاف منهم ذل لمن يخافه حتى يعفو عنه ، ومن طمع منهم ذل لمن يرجوه حتى ينال منه ما يأمل وسارع فى محبته . وكذلك وصف أولياءه فقال

« يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ » .

قال الحسن : هو الخوف الدائم .

وقال مجاهد : الذل فى القلب يعنى ذل الخوف ، لأنهم لما رجوا ما غاب عنهم من الثواب تحملوا المكروه .

فالذى ينال به الخوف معرفة قدر العذاب العظيم ، والذى يفطم به معرفة قدر العذاب العظيم التخويف ، والتخويف ينال بالفكر فى المعاد والفكر ينال بالذكر والذكر التيقظ من الغفلة .

وفى الحديث زيارة القبور . وهى للرجال متفق عليها عند العلماء . فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة . وهى للنساء مختلف فيها عندهم أما الشواب فحرام عليهن الخروج . وأما القواعد فمباح لهن .

والزيارة جائزة لجميعهن اذا انفردن بالخروج عن الرجال وعلى هذا يكون قوله صلى الله عليه وسلم « زوروا القبور » عاما .

وأما موضع أو وقت تخشى فيه الفتنة من اجتماع الرجال والنساء فلا يجوز ولا يحل حتى لاتقع الفتنة للرجل أو المرأة . فيرجع كل واحد من الرجال والنساء مأزورا لا مأجورا فمن عظم عليه « ران » القلب ، واستحكمت فيه دواعى الذنب فزيارة قبور الموتى تبلغ فى دفع ذلك مالايبلغه ذكر الموت ولاشاهده المحتضر لأن زيارة القبور معاينة .

قال صلى الله عليه وسلم « وليس الخبر كالمعاينة » رواه ابن عباس ولم يروه أحد غيره ، فزيارة القبور نفعها أسرع والانتفاع بها أليق وأجدر .

وللزيارة آداب تركناها خشية الاطالة .

وبعد فان سيدنا عثمان رضى الله عنه كان ينظر الى الغيب من ستر رقيق فكان يبكى عند

زيادة القبر ، لأن الأمة المحمدية قد امتحنت به امتحانا قاسيا فى حياته وعند مقتله ومعه وبعده وكان عنوانا لبلائها الشديد الى يومنا هذا وميزان المحبة لله ولرسوله ولصحابته لا يميل شعرة لظرف طارىء يحدث فى زمان أو مكان تحت أى ضغط من سلوك معين لأحد من الصحابة رضوان الله عليهم وكل من تظاهر بمحبة احدهم على حساب الآخر فتجارته مع الله خاسرة ويخشى عليه من سوء الخاتمة والله يحسن ختامنا .

احمد حسن جابر رجب

الصوفية

بين ابن تيمية
وأستاذه عبد القادر الجيلانى

ان الحمد لله وحده لا شريك له ، والصلاة والسلام على رسول الله صـاحب المقـام المحمود ، والشـفاعة العظمى ، يوم لا ينفع نفسـا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى اللـه بقلب سليم ، لان سلامة القلب هى مناط الخيـر ، وطـريق النجـاة الى دار الكرامة اذ يوفى الصالحون أجرهم لقاء ما أسلفوا من سوابق الخير ، وسوابغ الفضل فى التجارة مع اللـه سبحانه وتعالى وبعد :

فان خصومة الفكر يجب أن تبعد تماما فى فهمها وتقييمها عن الخصومة الشخصية ، فان ثمة بونا كبيرا بين الخصومة الفكرية ، وبين الخصومة الشخصية لأن الأولى قد تحدث بين أعز الخلان ، وأحب الأصـدقاء ، وهذا أمر مفروغ منه ، لكنه منكر عند الدهماء الذين قل نصيبهم من العلم والتجريب ورجاحة العقل .

وقد عانت ، وتعانى المعـارك الفكرية من خطل الفهم ، وخطأ التقدير وكانت نتيجة ذلك وخيمة فى أكثر الأحيان ولا مجال لبسط القول فيها هنا .

***

وفى حملته الضارية ضد الصوفية الشاطحة كان ابن تيمية عنيفـا قاسـيا وخص منهم الحلوليين الذين تأولوا تأويلات غير مشروعة ، أو مسبوقة باجماع أو قياس صحيح .

فلم تلن قناته ولم تهدأ ثائرته حيث انبرى لهؤلاء الحلوليين وقذعهم بالمنكرات وطاخهم بالقبائح ، ونعرف جميعـا مدى مالاقاه فى حياته من سجن ونفى وتشريد .

والحكم الصحيح على الأمور لا يكون الا بعد فهم صحيح ، والذين حكموا على الرجل من ظاهر أقواله ، أو من بعضها أو اسـتنباطا من آراء آخرين فيه ظلموا الرجل ، وظلموا الصـوفية أيضا ظلما فادحا . ومن ثم كان دورنا فى هذا البحث انصـافا للحق وللرجل رحمـه الله ، فان مصنفاته القيمة وتراثه الضخم يجلى كل غموض وينفى كل لبس .

للدكتور السيد الجميلى

فالرجل كان ثائرا على الحلوليين من الصوفية ، والقائلين بالاتحاد والوحدة بمفهومهما الفلسفى الذى ينكره الدين ، وهو لا ينكر الولاية ، ويصفها بأنها ايمان وتقوى كما يقر بأن (الكرامة) ثمرة طيبة طبيعية للايمان والتقوى ، وهو يشيد بكرامات الأولياء ، كما هى عقيدة السلف رضى الله عنهم • ويصف أولياء الله وكراماتهم بقوله :

« وأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، وكراماتهم ثمرة ايمانهم وتقواهم ، وأكابر الأولياء هم المؤمنون المتقون الذين يستعملون هذه الكرامات للدين أو لحاجة المسلمين ، والمقتصدون قد يستعملونها فى المباحات ، وأما من استعان بها فى المعاصى فهو ظالم لنفسه ، متعد حد ربه ، وان كان سببها الايمان والتقوى » أ هـ •

راجع مجموع الفتاوى (١ / ١٧٧) بتصرف ويصف الشاطحين المتأولين بقوله :

« •• وكذلك من يقول بالحلول كما يقول الجهمية الذين يقولون ان الله بذاته فى كل مكان ، مختلطا بالمخلوقات مثل الكلاب والخنازير والنجاسات فمن أراد هذا فهو ملحد ضال يجب أن يستتاب •

السابق (٢ / ٤٩٠) بتصرف فى اللفظ والعبارة •

ويعرف ابن تيمية (الولاية) « بأنها موافقة الله سبحانه وتعالى لما يحب ، والبغض لما يبغض ، والرضى بما يرضى ، والسخط بما يسخط ، والأمر بما أمر والنهى عما ينتهى ، والموالاة لأوليائه » أ هـ •

وهو يستشهد بأصح الأحاديث فى الولاية ، وهو الوارد فى صحيح البخارى : —

« من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب •• الحديث »

راجع السابق (٢ / ٣٧٠)

وهذا هو مذهب السلف استنادا الى قوله تعالى : —

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »

يونس (١٠ / ٦٢) • راجع جامع البيان للطبرى (١١/١٣٢) •

والقرطبى (٨ / ٣٥٧) ط • دار الكتب والكشاف (٢ / ٢٤٣) ط • المعرفة •

***

وقد كان ينتصر للشيخ عبد القادر الجيلانى الصوفى الكبير المعروف فى أكثر آرائه ، وكان دائما يقول : « يقول سيدى عبد القادر •• » وقد لفت نظرى احترامه وتقديره للشيخ عبد القادر ، فاذا ما خالف رأيه فى مسألة قال : « وقد قيل أن سيدى عبد القادر قد

قال كذا وكذا ، ولا أعتقد أنه قالها ، أو استبعد أن يكون قد قال ذلك ، أو أرجح ألا يكون هذا رأيه » •

وقد بحثت هذه المسألة فاتضح أن عبد القادر رحمه الله كان شيخه الذى تلقى عليه « علم الحديث » فقلت : سبحان الله !!

هكذا يكون احترام أهل العلم والفضل ، وهل يعرف الفضل لأولى الفضل الا ذوو الفضل •

انظر شيئا من ذلك فى « مجموع الفتاوى » (٢ / ٤٥٨)

***

الشيخ نصر المنبجى كان رجلا صوفيا صالحا ، وكان ابن تيمية رحمه الله يجله ويقدره وقد بعث اليه رسالة قال فيها : —

« من أحمد بن تيمية الى الشيخ العارف بالله القدوة ، السالك الناسك (أبى الفتح نصر) فتح الله على باطنه وظاهره ما فتح به على قلوب أوليائه ، ونصره على شياطين الانس والجن فى جهره واخفائه ، ونهج به الطريق المحمدية الموافقة لشرعته •• الخ »

راجع المجموع (٢ / ٤٥٢ — ٤٥٦)

***

ومن الجدير بالذكر أنه حين قدومه الى مصر نزل مدينة الاسكندرية مع غروب الشمس فذهب لصلاة المغرب فى أحد مساجدها ، وكان امام المصلين هو ابن عطاء الله السكندرى الصوفى الكبير فصلى ابن تيمية خلفه ، وبعد أن قضيت الصلاة تعانق الشيخان عناقا طويلا ، واغتبط ابن عطاء الله بلقاء ابن تيمية وهنأه بسلامة الوصول ، وناقش معه قضايا الخلاف الجوهرية بين الفريقين وقارعه الحجة بالحجة فى لقاء علمى رائع أورده بن كثير فى تاريخه المشهور ، وكان مما سأل ابن عطاء الله •

— ما تقول فى يافقيه ؟

— أعرف أنك رجل صالح عالم عامل ورع •

ولقد كانت الفرحة والبهجة تعلو أسارير الوجه ، والانشراح يغمر القلب فوق كل اعتبار يتقاصر ازاءه كل خلاف فى الرأى بين العالمين الكبيرين •

***

ومما يدل على ورع الرجل وتقواه أن الناصر محمد بن قلاوون لما أن مكن له فى السلطان ، وأعطاه ثقة مطلقة أراد أن يقضى على خصومه من الصوفية ، ويبيد خضراءهم ويمحق آثارهم فأراد أن يفتيه فى ذلك فأبى عليه ابن تيمية ذلك وأغلظ له القول وقال : ان دماءهم حرام عليك •

قال السلطان : لقد أرادوا منى قتلك والفتك بك ، فأجابه ابن تيمية على الفور « كل من آذانى اليوم فهو فى حل من جهتى »

راجع أسبوع الفقه الاسلامى بدمشق • أبريل سنة ١٩٦١ م •

شوال ١٣٨٠ هـ • ص ٦٧٩ بتصرف •

كما يرى أن ما سنه الخلفاء الراشدون سنة يجب الاقتداء بها •

المجموع (٢٢ / ٢٣٤)

ويرى أن الكمال فى كمال طاعة الرسول ظاهرا وباطنا •

السابق (١٠ / ٥٤٦ — ٥٤٩)

ولا يكون الترجيح بالالهام والذوق أو القضاء والقدر الا اذا لم يتبين الحكم الشرعى بجلاء ووضوح .

مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٧٠ — ٤٨٠)

وابن تيمية لا ينكر المكاشفة مطلقا كما يتوهم البعض لكنه يرى تقييد الالهام والمكاشفة والتحدث بالمخاطبة بالكتاب والسنة .

المجموع (٢ / ٢٢٦ — ٢٢٧)

ويؤكد أن ترجيح القلب التقى أمر شرعى فى قوله : « القلب المعمور بالتقوى اذا رجح بمجرد رأيه فهو ترجيح شرعى » .

السابق (٢٠ / ٤٢ — ٤٧)

أما عن العلم اللدنى ، فهو يراه « ما يفتح به الله على قلوب أوليائه المتقين ، وعباده الصالحين ، بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه ، واتباعهم ما يحبه ما لا يفتح على غيرهم » .

المجموع (١٣ / ٢٤٥ و ٢٤٧)

ويرى أن الكشف والمنامات انما يستشهد بها فقط فى مسائل العلم والدين ، لكنها تأتى فى المرتبة الثانية بعد الكتاب والسنة .

السابق (٢٤ / ٣٧٤) ومابعدها بتصرف .

كما يرى تلميذه ابن قيم الجوزية أن التصوف الحق هو العمل بالسنة واتباع ما أنزل الله على رسوله فيقول : —

أصل هذا المذهب ملازمة الكتاب والسنة ، وترك الأهواء والبدع والتمسك بالأئمة ، والاقتداء بالسلف ، وترك ما أحدثه الآخرون .

راجع مدارج السالكين (٣ / ٧٤) ط . المنار الأولى .

وسئل عن التصوف فقال : « الصبر تحت الأمر والنهى » .

السابق نفس الصفحة

وسبق ابن تيمية فى وصف الامام الجنيد :

« ولقد كان الجنيد علما من أعلام الحق والهدى » أ هـ .

وخلع ابن تيمية على الصوفية الخلصاء الأبرار أجمل النعوت وأعظمها فى قوله عنهم : —

« انهم من أجل الصديقين ، وانهم أكمل صديقى زمانهم » أ هـ .

وقد توفر ابن القيم على شرح كتاب الامام الهروى الصوفى وأقره وقد اختلف معه حينا ، ووافقه أحيانا لكنه رضى عنه ورضى به .

***

فى مجمل العبارة ينجلى حيالنا أن خصومة ابن تيمية كانت مع طائفة خاصة من الصوفية ، وهذه المعركة الضارية لم تمنعه من أن يصدع بالحق لانصاف الصوفية الخلصاء المتقين الذين آمنوا بالله واتقوه حق تقاته ، وأجمل مانقل عنه قوله : —

« وأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، سواء سمى أحدهم فقيرا أو صوفيا ، أو فقيها ، أو عالما ، أو تاجرا ، أو جنديا ، أو صانعا ، أو أميرا ، أو حاكما ، أو غير ذلك .. »

المجموع (١١ / ٢٢)

نسأل الله أن يرحم هؤلاء وهؤلاء ، وأن يتغمدنا بوابل من رحمته وأن يتقبل منا ومنهم ، وأن يقوى أبصارنا وينقى بصائرنا لرؤية الحق والحقيقة ، والجنف والصدوف عما يغضبه .

اللهم ارحم مشايخنا وعلماءنا لقاء ماقدموا فى صدق نية وحسن طوية وأن تلحقنا بهم فى دار المقامة — آمين .

« السيد الجميلى »

الشريعة

فى مجلس الشعب

للشيخ عطية صقر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد، فأحمد الله الذى أتاح لى الفرصة لأتحدث من أوسع قناة شرعية ورسمية فى موضوع هو أهم الموضوعات بالنسبة الى العالم الاسلامى عامة وبالنسبة لمصر خاصة، ذلكم هو موضوع استكمال تطبيق الشريعة الاسلامية، وقد اخترت تعبير « استكمال » انصافا للحقيقة، حيث لا ينبغى فى الحكم على الشىء التركيز على السلبيات عند القدح ولا على الايجابيات عند المدح، فالشريعة بمعناها الواسع تشمل العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات وجميع النظم الأسرية والدستورية والقضائية والدولية وغيرها (١) .

ومصر — بحمد الله — تمارس جزءا كبيرا من الشريعة على وجه استحقت به أن تكون زعيمة العالم الاسلامى . فشعبها أحسن الشعوب فهما للدين وسلامة فى العقيدة واحتراما للعبادة وتقديرا للأخلاق . وتجاوبا مع التطور المتزن فى الحضارة والعمران، والمطلوب هو استكمال التطبيق فى أمور وان كان حجمها صغيرا فان أثرها كبير، والتطلع الى الكمال سمة الأخيار . فالمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف، والمؤمن لا يشبع من خير حتى يكون منتهاه الجنة، كما جاءت بذلك الأحاديث النبوية .

ان كلمتى فى نقطتين .

أولاهما : فى المطالبة باستكمال التطبيق

والثانية : فى أهمية التطبيق .

أما الأولى فالحديث عنها من منطلقات أربعة، منطلق دينى ومنطلق تاريخى، ومنطلق شعبى، ومنطلق دستورى . وبيان ذلك باختصار .

(١) القى ملخص تلك الكلمة بمجلس الشعب يوم السبت ٤—٥—١٩٨٥

١ ـ أما المنطلق الدينى فنحن كأمة مسلمة نعيش فى بلد دينه الرسمى هو الاســـلام ، يأمرنا الدين بالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولاشك أن كمال التطبيق للشريعة خير ومعروف والتقصير فيه منكر قال تعالى : « **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** » . سورة آل عمران : ١٠٤ .

وعندما أصدر الله سبحانه قراره الحكيم بخيرية هذه الأمة جعل من أولى الحيثيات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال : « **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** » سورة آل عمران : ١١٠ وجعل من الصفات المميزة لهـــا ولاية بعضهم لبعض فى التناصح فقال : « **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** » سورة التوبة : ٧١ وقال : « **وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** » . ومن صور هذه الولاية التشاور فيما لم يرد فيه نص قاطع ، قال تعالى فى صفات المؤمنين « **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** » سـورة الشـورى ٣٨ والتشاور كما يكون بين الأفراد بعضهم مـــع بعض يكون بين القاعدة والقمة ، بين الراعى والرعية قال تعالى لنبيه محمد ﷺ « **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** » سورة آل عمران : ١٥٩ .

وكان ﷺ أكثر الناس مشاورة لأصحابه ، والشواهد على ذلك كثيرة ، فى الحرب والسلم على السواء .

وعلى المستوى الخاص والعام ، وقال ﷺ فى الحديث الصحيح « الدين النصيحة ، لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم » على بعض ما فسرت به النصيحة فى هذا الحديث ولم يكتف الاسلام بحد فى التناصح بل صرح بالأمر به فى نصوص كثيرة ، وقال النبى ﷺ « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » .

ولم يكتف الاسلام أيضا بالأمـر الصريح بالتناصح ، بل أكده بالنهى عن التقصير فيه ، حتى لا نكون ممـن لعنهم الله بقولـــه : « **كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** » سورة المائدة : ٧٩ ، وفى الحديث الذى صححه الحاكم « اذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم » وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا أيها

الشريعة فى مجلس الشعب

الناس انكم تقرءون هذه الآية «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» وانى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده» رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح، وقال أبو على الدقاق، كما فى رسالة القشيرى، الساكت عن الحق شيطان أخرس ·

٢ — أما المنطلق التاريخى فبيانه أن مصر كانت الى ما قبل الاحتلال الانجليزى تحكم بالشريعة الاسلامية وان لم يكن لها دستور مدون على النظام الحديث، فدستورها القرآن والسنة، ولم تكن هناك مجالس تشريعية لعدم الحاجة اليها، حيث سد فراغها الجامع الأزهر الشريف، بما اضطلع به من أعباء عشرة قرون، من تعليم لهذا الدستور، وشرح لقوانينه، بل ورقابة على تنفيذه، الى أن حكمت مصر منذ مائة سنة تقريبا بالقانون الوضعى الغريب الذى عارضه الغيورون على دينهم ووطنهم، وقامت محاولة لتقنين الشريعة على نظام حديث بمعرفة «قدرى باشا» فى كتابه «مرشد الحيران» الذى حالت دون الأخذ به عقبات وعقبات ·

وفى العشرينيات من هذا القرن علت صيحة العودة الى التشريع الاسلامى بجعل القرآن دستورا للأمة · وأخيرا قامت صحوة بوجوب تطبيق ما تضمنه الدستور الوضعى فى مادته الثانية · والاقتراح المقدم الى المجلس اليوم هو حلقة من حلقات هذه السلسلة التاريخية للمناداة بتطبيق الشريعة الاسلامية تطبيقا كاملا ·

٣ — أما المنطلق الشعبى فيتلخص فى أن الحركة الانتخابية الأخيرة شهدت نشاطا كبيرا فى الدعوة، وكثرت الشعارات المكتوبة وغير المكتوبة بأن الشريعة هى المصدر الرئيسى للتشريع، وأخذت العهود بين الشعب والمرشحين لتحقيق هذه الشعارات، ومازلنا — بعد اختيار الشعب لنا — نسأل عن الوعد الذى قطعناه على أنفسنا، فوفاء بالوعد نتقدم بطلب استكمال التطبيق للشريعة الاسلامية، لنكون عند حسن الظن ·

٤ — أما المنطلق الدستورى فبيانه أن أول يوم جئنا فيه هذه القاعة أقسمنا بالله العظيم — وانه لقسم لو تعلمون عظيم — على احترام الدستور والقانون، حتى لا يظل مجرد شعار كغيره من الشعارات وعلى الأخص ما جاء فى مادته الثانية المتعلقة بالتشريع، ومادته الثانية عشرة المتعلقة بالسلوك، حيث نصت على أن المجتمع والدولة مطالبان بالالتزام بمبادىء الأخلاق والتمكين للتقاليد المصرية الأصيلة واذا تجاوزنا الحديث عن واجب المجتمع الذى لا نعفيه من المسئولية فى هذا المقام، وهى مسئولية موزعة كما نص الحديث الشريف «كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته ····» فنحن كنواب عن المجتمع نرى أن بعض الأجهزة لا تعطى الرعاية الكافية للتربية الدينية والخلقية والوطنية كنص

الدستور ، بل ان بعضها قد يسير فى خط مضاد، مما أدى الى كثرة الشكاوى من استيلائها على مشاعر الكبار والصغار على السواء • وتركت بصمتها على سلوكهم جميعا ، حيث اقتحمت عليهم أبوابهم ولاحقتهم فى مخادعهم طوعا أو كرها • ومن هنا نطالب بتطبيق هاتين المادتين بوجه خاص •

تلك هى مبررات المناداة باستعمال تطبيق الشريعة الاسلامية ، واسمحوا لى فى دقائق أن أتحدث عن أهمية التطبيق نفسه ، مع ثقتى بأن جميع المواطنين أو أكثرهم حريص على هذا التطبيق ، ويعلم كل العلم أن السعادة كل السعادة فى التمسك بالدين •

ان كل عمل يحتاج فى تطبيقه الى أمرين ،

أولهما : وجود المقتضى •

والثانى : عدم المانع ، والمقتضى للتطبيق ليس واحدا بل مقتضيات عدة ، نكتفى منها بمقتضى دينى ومقتضى تاريخى ومقتضى وطنى •

١ — فالمقتضى الدينى هو أمر الله باتباع أمره وطاعته ، والتحذير من مخالفته ، ومعصيته والنصوص فى ذلك أشق من أن تذكر وأكثر من أن تحصر ، نكتفى منها بما يلى :

فى الأمر قال الله تعالى « **اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ** » سورة الاعراف : ٣ وقال « **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** » سورة الانعام : ١٥٣ وقال « **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** » سورة الجاثية : ١٨ ، ١٩ وقال « **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** » سورة المائدة : ٤٩ وقال « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** » سورة النساء : ٥٩ •

وفى التحذير قال سبحانه « **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** » سورة النور : ٦٣ •

ونحن لا نحب أن نكون ممن شملهم عموم الآية الكريمة أو شبيهين بمن نزلت فيهم خاصة ، وهى قوله تعالى « **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** » سورة المائدة : ٤٤ وكذلك قوله « **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** » سورة النساء : ٦٥ وقوله

◀

الشريعة فى مجلس الشعب

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا »

سورة النساء : ٦٠ ، ٦١ .

٢ ــ والمقتضى التاريخى أن بلدنا منذ عهد الفراعنة نرى على حضارتها مسحة دينية ، بنت من أجلها الأهرام وحنطت الأجسام ودفنت معها بعض الأطعمة ليقوم بعد الموت ويتمتع بعد المساءلة والحساب والميزان .. ولا عجب فى ذلك فقد ولد وأرسل فيها نبى من أقدم الأنبياء هو ادريس عليه السلام نشأ بمصر وحكم ودعا الى التوحيد « أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ » وكذلك يوسف عليه السلام ، وولد كذلك ونشأ وأرسل ــ فى مصر ــ موسى وهارون عليهما السلام ، وشرفها أيضا عيسى عليه السلام ووقف أتباعه وقفة الأبطال ضد وثنية الرومان واستشهد منهم كثيرون فى الثمانينيات من القرن الثالث الميلادى ثم فتحوا صدورهم للعرب الفاتحين لما عرفوه عنهم من رحمة وعدل وأطل على مصر نور الاسلام منذ أربعة عشر قرنا وظلت بفضل الجامع الازهر الشريف حفيظة على الدين واللغة العربية دراسة ونشرا وممارسة قوية عزيزة ردت الغزاه على أعقابهم خاسرين فى عين جالوت وخلصت القدس من أيدى الصليبيين فى حطين ، ووقفت ضد الاستعمار صفا واحدا صامدة مقاومة حتى رحل عنها بفضل قوة الدين الذى غرس فى نفوسهم تعشق الحرية وحب الاستقلال ورفض الذل والهوان ، وكان عبورها فى أكتوبر المجيد تحت راية الله أكبر وهم صائمون . ان أمة بهذا التاريخ الدينى الطويل يعز عليها مالا يتلاءم مع شخصيتها ولا مع مركزها الأدبى الرائع بين دول العالم الاسلامى .

ومن هنا كان الدين والتدين ضرورة لا غنى عنهما .

٣ ــ أما المقتضى الوطنى فيبدو واضحا فى مثل واحد من أمثلة كثيرة . ذلك أن رخاء المجتمع الذى ننادى به اليوم ونطمع اليه لحظة تلو لحظة ، أساسه تنمية موارد الثروة وترشيد الاستهلاك ولا يكون ذلك الا بالانضباط وعدم التسيب وهاتان الكلمتان ترجمة عصرية لكلمتى الطاعة وعدم المعصية وهما جناحا التقوى التى هى امتثال الأوامر واجتناب النواهى ، وذلك سلوك لا يقبل عند الله ولا يؤدى الغرض منه الا اذا كان نابعا من ايمان يرجى به الثواب على الطاعة ونخشى منه العقاب على المعصية ، وبتعاون الايمان مع التقوى يكون الخير كله ، وليست هذه النتيجة قرارا أو وعدا من شرق أو غرب بل من رب الشرق والغرب جميعا ، وهو الله سبحانه حيث قال « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ »

سورة الاعراف ٩٦ والبركات بالجمع والتنكير بركات شاملة عامة تأكدت بالنص على أنهما من السماء والأرض أى من كل مكان وفى أى مجال قــال

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » سورة النحل ٩٧ .. وقال « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا » سورة النور ٥٥ وقال « وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ » سورة الجن ١٦ وقال « قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » سورة المائدة : ١٥ ، ١٦ والنبى ﷺ قال « انى تركت فيكم ما ان تمسكتم به فلن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى » رواه الحاكم وصححه .

ان الأديان بوجه عام رسالات سماوية تستهدف الاصلاح الشامل ، وقد قال الله لآدم حين أهبطه الى الأرض ليباشر مهمته « فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى .

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى » سورة طه ١٢٣ ، ١٢٧ والاسلام بوجه خاص رسالة كاملة وافية بكل مقومات السعادة ، قال تعالى « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » سورة المائدة ٣

قال « إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ » سورة الاسراء ٩ وقال « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ » سورة النحل ٨٩ — واذا عرفنا أن الاسلام يقدس العمل ويرفع منزلة العاملين فى أى قطاع من القطاعات ويوزع المسئولية على كل المجتمع — عرفنا كيف يكون أثر تطبيق الشريعة فى الرخاء الشامل . والنصوص فى ذلك كثيرة .

تلك هى باختصار شديد المقتضيات لتطبيق الشريعة تطبيقا كاملا ، ولا أزعم — وهذا ما يجب أن يفهمه كل مسلم — أن كل المجتمعات الدينية — حتى فى عصورها الزاهية — بلغت

ذروة الكمال فى التطبيق ، أو خلت من السلبيات فالناس بشر أبوهم آدم الذى أكل من الشجرة لحكمة أرادها الله ، وكل بنى آدم خطـــاء كما جاء فى الحديث ولكن المجتمعات تتفاوت فى هذا التطبيق ، فان لم تصل الى الكمـــال فحسبها أنها جاهدت لتصل ، وكما جاء فى الحديث « الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا .. » رواه البخارى أما عدم المانع فيكفى أن أضع أمامكم هــــذه الحقائق :

١ ــ نحن نعتز بأننا نملك اصدار القــرار بأنفسنا ، وبكامل حريتنا ، لا نتملق فيه أحدا ولا نرهب أى سلطان ، وهذا أمـر يجب أن يفاخر به كل مؤمن حر كريم ، ويقتضى ذلك أن نجعله واقعا حيا ، ولا يبقى مجرد شعـار نزهى به ونفاخر ، قال تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** » سورة الصف ٢ ، ٣ .

٢ ــ عندما قرر الله سبحانه عـــدم تمكين المشركين من دخول المسجد الحرام ، مع أنهم كانوا ذوى نشاط اقتصادى يفيد منـه أهـل مكة ، كما يفيد الناس من العملة الصعبة اليوم عن طريق السياحة والاتفاقيات ــ قال الله مع ذلك « **وان خفتم عيلة ــ أى فقرا ــ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** » سورة التوبة ٢٨ فهو عليم بما نحتاجه حكيم فى وضع القرار المناسب ، ذلك أن القيم لا تشترى بالمال والدين يرخص فى سبيله كل غال :

٣ ــ نحن نملك رصيدا كبيرا من الحكمـة والخبرة والدقة وحسن التخطيط وبعد النظـر ما نتفادى به ردود فعل سيئة أو أخطاء تحدث عند التطبيق ، وأسلوب الاسلام معروف فى كل تشريع من هذا القبيل .

٤ ــ الاسلام ليس شبحا مخيفا ولا سيفا مصلتا على رقاب الناس ، سواء منهم من آمن به ومن لم يؤمن ، فهو مع المؤمنين يقـــول « **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** » ســورة البقرة ٢٨٦ وفى الحديث الشريف « ادرءوا الحدود بالشبهات » .

ومع غيرهم دين عدل وانصاف وتسـامح فى أعلى الدرجات ، فقد نعم فى ظله كل صاحب فكر وعقيدة فى حدود الحفاظ على أمن المجتمع وسلامته ، قال تعالى « **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** » ســورة الكهف ٢٩ وقال « **فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ** » سورة التوبة ٧ وقـال « **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** » سورة الممتحنة ٨ ، وأوجب على المؤمنين ان يحترموا كل الرسل ويؤمنوا بهم جميعـا

« لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ » سورة البقرة ٢٨٥ وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم « الأنبياء أخوة من علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لانه ليس بينى وبينه نبى » وحافظ على وحدة المجتمع لدرجة أنه ﷺ قال « من آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة » رواه أبو داود بأوسع من ذلك .

والأمثلة كثيرة فى التاريخ تؤكد الحرص على أمن المجتمع مهما تعددت أديانه وتاريخ مصر بالذات يشهد تعاونا رائعا فى هذا المجال، ففى ثورة ١٩١٩ وقفت الأمة كلها أمام الاستعمار تطالب بالاستقلال ، وفى عبور أكتوبر لم يفرق المدفع بين مواطن ومواطن ، فالكل يدافعون عن النيل الذى شربوا من مائه جميعا .

٥ ـ فقه الشريعة أصبح ميسورا للفهم والتطبيق بعد أن قامت اللجان المختصة من فقهاء الشريعة والقانون بوضع مشروعات القوانين على النظام الحديث وأقرها الازهر الشريف وأودعت أمانة مجلس الشعب منذ مدة طويلة . وبعد ، فاسمحوا لى أن أعرض أمامكم قضيتين :

الأولى : أناشد فيها القضاة والمستشاريين أن ينظروا فيها بعقولهم وقلوبهم وأن يحكموا فيها بعلمهم وضمائرهم معا : رجل استقر فى داره زمنا طويلا ثم جاء غاصب جبار احتل داره وطرده منها ، أو زاحمه فيها ، ومعه وحش كاسر يرهب به أصحاب الدار ، وكم شكا الرجل فلم تسمع شكواه لأن الخصم فى قضيته هو الحكم وشاء الله أن يرحل هذا الطاغية وترك وحشه كأثر من آثاره ،

أليس من العدل أن ننصف صاحب الدار فنعيده اليها ، أو نمكنه من التمتع بها بدل أن نبقى على الوحش الذى رحل سيده ، ونحاول استئناسه بتقليم أظافره أو خلع أنيابه ، أو نحاول حشد المبررات والحجج لنثبت شرعية احتلاله ونعمل على استقراره بدل ازعاجه .

ان السبع سبع ولو كلت مخالبة وان استقرار صاحب البيت أولى من استقرار الظالم الجبار .

والقضية الثانية : أضعها أمام الكتاب والفلاسفة والمصلحين ، لبسنا ثوبا منسوجا من مادة مناسبة استراحت لها أجسامنا وهدأت أعصابنا ثم أرغمنا على خلعه لنلبس ثوبا من ألياف صناعية بموادها الكيماوية التى أثارت الحساسية فى أجسامنا والقلق فى أعصابنا ،

وهو فى الوقت نفسه لا يقى حرا ولا يدفع بردا، بل انه لرقته وشفافيته كشف باسم الحرية عما كان ينبغى أن يستتر ، وأغرى باسم المدنية على ارتكاب السوء والمنكر والآن وقد قامت أعظم بيوت الخبرة فى الأزياء ، باعادة ثوبنا الأصلى على طراز جمع بين أصالة الجوهر وحسن المظهر ، أفليس من الخير أن نعود اليه بدل أن نحاول تطويع أجسامنا وأعصابنا لتتلاءم مع الجديد الغريب ، أو نعالج كيماوياته بما يمنع الحساسية ، أو نرقعه بما

الشريعة فى مجلس الشعب

يسد خروقه ، ان الذى خلق أجسامنا بقدرته ألبسنا الثوب المناسب بحكمته ، فأين صنع البشر من صنع رب البشر « **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً** » سورة البقرة ١٣٨

« **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** » سورة المائدة ٥٠ .

« **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** » .

واذا كان فيما يحيينا انفتاح وتوازن وحرية وتمدن فليكن فى اطار الدستور الذى أقررتموه فى مادته الثانية ، فى اطار الدين كما يقول رب العزة « **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** » سورة النساء ٥٩ فكم من أخطاء ارتكبت باسم هذه الشعارات ، وذلك لخطأ فى الفهم أو لخطأ فى التطبيق .

أستطيع الآن أن أقول بكل ارتياح « اللهم قد بلغنا فاشهد ، ويا أيها الشعب قد وعدنا فأوفينا بالوعد ، ويا أيها التاريخ سجل أن مصر مازالت على العهد بها مؤمنة بربها متمسكة بدينها ، لم تمت ضمائرها مهما اشتد الضغط ولم يتبلد حسها حتى لو طال العهد ، فالخير موجود فيها الى يوم القيامة .

وآخيرا اذا كان لى من نصيحة فهى الى الزملاء ممثلى الشعب الذين يقننون للشعب ، وهى أن يضعوا أمام أعينهم قول النبى ﷺ « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » رواه مسلم .

وأن يكونوا خير قدوة للشعب فى صدق الالتزام حتى تدوم الثقة بهم وحتى يبارك الله جهودهم ، ان التاريخ لا يرحم والله على كل شىء شهيد .

واذا كان لى دعاء فهو دعاء من الأعماق لمصرنا العزيزة بدوام الرقى والازدهار ، ولولاة أمورنا بكمال التوفيق والسداد فى ظل الشريعة الغراء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عطية صقر

الفتاوى

للأستاذ عبد الحميد السيد شاهين

س : من السيد / ع ٠ أ عبد الله ٠٠ من الشرقية ٠

عندنا مسجد فرش بالسجاد ولكن وجد بالسجاد رسم للصلبان ٠٠ فما الحكم ؟

ج : ينبغى أن يراعى فى فرش المسجد أن يكون بدون نقوش ، فاذا وجدت هذه النقوش وكان من بينها رسم الصليب وجب أن يطمس رسم الصليب بلون ثابت ، والا طويت ولا يصلى على هذا السجاد ٠

س : من السيد / م ٠ ع صقر ٠٠ البحيرة ٠

حلفت والدتى على المصحف بالا تأخذ أية حاجة من أولادها ونريد الآن أن نعطى أمنا حاجاتها ٠٠ فكيف نكفر عن هذا الحلف ؟

ج : على هذه الأم أن تأخذ ما تشاء من أولادها ، وعليها كفارة يمين وهى : اطعام عشرة مساكين ، فان لم تستطع فعليها صيام ثلاثة أيام ٠

س : ب ـ زيد ٠ الجيد من الاسكندرية ٠

شاب يريد الزواج من بنت خالته

ولكنه رضع من جدته لأمه مع خاله أكثر من خمس رضعات ٠٠ فما الحكم ؟

ج : برضاع الشاب من جدته لأمه أكثر من خمس رضعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع صار ابنا للجدة وأخا لجميع أولادها

٠٠ وعلى ذلك فلا يجوز لهذا الشاب الزواج من بنات خالته ولا بنات أخواله ، لأنهن صرن أولاد اخوة وأخوات له من الرضاع ، والرضاع يحرم به ما يحرم بالنسب ٠

س : من السيد / ع ٠ ع مندور ٠٠ مصر القديمة ٠

ما حكم البيع بالتقسيط بمعنى أن السلعة التى ثمنها ١٠٠ جنيه فورا تباع بالتقسيط بمبلغ ١٢٠ جنيها مثلا وهل فى هذا البيع ربا ؟

ج : البيع بالتقسيط حلال شرعا اذا ما حدد البائع للسلعة ثمنا حالا قدره ١٠٠ جنيه وثمنا مؤجلا ١٢٠جنيها واختار المشترىأى السعرين حسب مقدرته ٠٠ وبذلك فلا حرمة فى هذا البيع ولا ربا فيه ٠

س : من السيد / م ٠ م ابراهيم من الغربية ٠

طلقت زوجتى طلقتين منجزتين ، الأخيرة منهما على البراءة ، ثم تزوجت مطلقتى بآخر وطلقها قبل الدخول بها ٠٠ وقد عقدت عليها عقدا جديدا تعهدت فيه بأن أستمر فى دفع خمسين جنيها شهريا نفقة زوجية لها ولأولادى منها ، فاذا لم أستمر فى تسديد النفقة شهريا حسب الاتفاق عن طريق أخيها تكون زوجتى طالقا منى ، وقد نويت بذلك ايقاع الطلاق ٠٠ فما الحكم ؟

ج : الطلقتان الأولى والثانية يقع بهما طلقتان ، وحيث ان الطلقة الثانية كانت على البراءة فيقع بها طلقة بائنة بينونة صغرى ، وحيث انه راجعها بعقد ومهر جديدين فان العقد صحيح شرعا ٠

أما الثالث فانه يمين معلق ، وحيث ان الحالف ينوى به الطلاق اذا لم يسدد فانها تطلق منه اذا لم يسدد ، وبهذه الطلقة تكون مكملة للثلاث ، وتكون بائنة منه بينونة كبرى لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولا حقيقيا ٠٠ فاذا طلقها أو مات عنها وانقضت عدتها منه حلت للأول بعقد ومهر جديدين ٠

س : من السيد / م ٠ عطية ٠٠ بنى سويف ٠

توفيت امرأة عن : ثلاثة ذكور ، وبنت ٠ أولاد ابن ذكور واناث ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد

الابن المتوفى قبل أمه بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ فتقسم التركة تسعة أجزاء :

جزءان منها وصية واجبة لأولاد الابن يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى وهو نصيب والدهم لو كان حيا عند وفاة والدته المورثة ٠

والباقى وهو سبعة أجزاء هو الميراث للأبناء الذكور الثلاثة والبنت الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ٠

استدراك

الحاقا للفتوى المنشورة بالمجلة بعدد ذى القعدة سنة ١٤٠٥ تحت عنوان « طلاق بالاكراه » نحب أن ننبه الى أن الطلاق اذا كان رجعيا ومات الزوج أثناء عدة المطلقة ورثت منه باتفاق العلماء ٠٠ أما اذا كان الطلاق بائنا وفى مرض الموت فانها ترث أيضا مادامت فى العدة وذلك حسب القانون المعمول به المستمد من مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ٠

والله أعلم ٠٠

« عبد الحميد السيد شاهين »

عبد المتعال الصعيدى

العالم الأديب المصلح

ترجم الاستاذ عبد المتعال الصعيدى لنفسه ترجمة وافية فى كتابيه (قضية مجاهد فى الاصلاح) و (تاريخ الاصلاح فى الازهر) وحديث الاستاذ عن نفسه ينبىء عن شكوى متكررة لما ناله من غمط ، اذا قورن بزملائه ممن تبوءوا أعلى المناصب دون أن يقدموا فى عالم التأليف بعض ما قدم ، فاذا أضيف الى ذلك تعرضه للمساءلة الرسمية وما أعقبها من حكم يراه مجحفا بحقه ، فاننا نعذره فى التنفيس عن بعض ما يكن .

وقد كان الرجل مرموق المكانة بين زملائه وتلاميذه ، وله فى المحيط الأدبى ذكر مسموع يمتد حيث تمتد المجلات العلمية الراقية فى مصر والعالم العربى ، وكان عليه أن يعلم أن نباهة الذكر العلمى أعلى قدرا من نباهة المنصب اذا لم تؤيده جهود علمية تصون منزلته .

وقد تتلمذت على الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالأزهر ، وعرفت جهده العلمى بها ، اذ كان أستاذا مرموقا للأدب العربى حين التحق بالتدريس فيها ، ثم أختير لدراسة البلاغة ، فالحديث ، فالفلسفة ، فالمنطق ، وله فى كل علم كتاب ذائع ، فاذا كان الأستاذ متعدد المعارف . متنوع المواهب يتصدى للتدريس فالتأليف فى علوم شتى لا تنتمى الى أصل واحد ، فله أن يحمد الله كثيرا على ثروته العلمية ، ولكن ملابسات الترقيات ، واختلاف درجات الصعود والهبوط ، تترك الأثر المؤلم — حقا — فى نفس من يرى أنه لم يبلغ مبلغ من قصروا فى التأليف العلمى مؤثرين التبريز فى المسائل الادارية وحدها ! ومن يدرى لعل تفرغ الاستاذ للعمل العلمى وحده هو الذى بارك وقته ، وعدد مؤلفاته ، فلو ابتلى بالرآسات الادارية ما أتيح له أن يكتب أكثر من عشرين مؤلفا ، والامام المراغى زعيم الاصلاح الدينى فى عصره مع حدة ذكائه ، ووفرة علمه . وفصاحة بيانه ، لم يترك من المؤلفات ما يكافىء منزلته العلمية ، وامامته الفقهية ، لان أعباء

للدكتور محمد رجب البيومي

المنصب قد ملأت فراغه ، فاذا كتب أو حاضر أو خطب فعن اضطرار .

نشأ الاستاذ الصعيدى نشأة موفقة ، اذ أسس فى القرية على أصول نافعة فى يقظة الذهن . وحسن التربية . وحين التحق بالازهر أفادته نشأته العلمية فى القرية . فوثب فى سنوات الدراسة . مجتازا بعضها . اذ كانت قوانين الازهر اذ ذاك تسمح بالتقدم للشهادات النهائية دون التزام بالنظام الرتيب فلطالب السنة الاولى فى القسم الثانوى أن يتقدم لامتحان الشهادة الثانوية مثلا . دون مراعاة لتكميل السنوات . وقد تقدم الطالب فجلى وسبق . ونال العالمية فى أمد قريب . وكان ترتيبه الأول على الطلاب فعين مدرسا بالمعهد الأحمدى لعامه . وقد زاول التأليف فى السنة الأولى لتعيينه . فأصدر مؤلفا فى النحو يجرى على غير السنن المألوف فى دراسة هذا العلم للمبتدىء بالازهر ، اذ كان متن الأجرومية وشرح الكفراوى أول مايدرس الطالب المبتدىء وقد بدىء المتن بقول ابن آجروم (الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع) وهو تعريف تمتد شروحه فى كتاب الكفراوى لتشمل مسائل من المنطق ، وما يعرف باخراج المحترزات !. وأين عقل المبتدىء من هذا كله ؟ لذلك رأى الأستاذ الصعيدى أن يؤلف فى النحو كتابا على



الطريقة الاستنتاجية ، وقد ذكر فى ترجمته الشخصية أنه سبق بذلك كتاب (النحو الواضح) للأستاذ الجارم . وليس لدينا اليوم كتاب الصعيدى حتى نفصل بين الكتابين بما يبين فضل السابق . وان كنت أعرف أن الأستاذ حفنى ناصف وكوكبة من زملائه قد بدءوا بتذليل التأليف النحوى فى أول هذا القرن ، فشاع لهم كتاب ذو أجزاء تحت عنوان (قواعد اللغة العربية) ومهما يكن من شىء

من أعلام الأزهر
"عبد المتعال الصعيدي

فالصعيدى هو السابق قطعا فى مضمار التذليل النحوى فى محيط الأزهر ! وتلك سابقة تحسب له ، وله مقال جيد نشره فى (المجلة الأزهرية) سنة ١٩٢٤ تحت عنوان (نظـــرات فى متن الأجرومية) يقول فيه (١) :

« اننا لانـــزال ندرس متن الأجـرومية للمبتدئين فى النحو ، على حين أن غـيرنا من رجال التعليم فى مصر وغيرها قد هجـروه من عشرات السنين ، فقد جاء فى كثير من أبوابه مجملا الى حد يضيع معه الغرض المقصـــود من تدريسه ، هذا الى ما فى تعليم المبتـدئين بطريقة شرح المتون من تصعيب ، لأنه يصرف المعلم من اختيار أسهل الطرق لفهم مســائل العلوم ، ويقيده باختيار أســهلها الى فهم المتون) .

ولم يكن النحو فى دراسة الأزهر وحــده ميدان نقده ، بل اتجه الى اصلاح شامل لنظام التعليم بالأزهر فأصدر الأستاذ الصعيدى فى سنة ١٩٢٤ كتابا مستقلا تحت عنوان (نقــد نظام التعليم الحديث بالأزهر) قدم له بدراسة عن قانون التخصص بالقسم العالى ، ثـم عن فائدة العلوم الحديثة بالنظـر الى الطـالب الأزهرى الذى يرى طلبة المدرسة يعلمون مالا يعلم من المواد الثقافية والحضارية .

أما أهم ما اتجه اليه الاستاذ من النقد فهو حملته على كتب المتأخرين ذات المتون والحواشى والشروح والتقارير ، لأن دراستها تقوم على أســاس من فهم عبـــارة المتن ثم توجيـــه الاعتراضات اليها ، ومحاولـــة تبرير القـــول المنقود ، أما الوصول الى لباب القاعدة العلمية فلا يصل اليه الطالب الا بعد عناء طـويل فى فهم الماحكات وقد لا يصل فى طوفان يعمه من نواح كثيرة ، وهو لا يزال طالبا مبتدئا . كما أن هذه الكتب تنهج نهجا واحدا فى التأليف ، بحيث يجد الطالب فى السنوات الابتدائية ما يجده فى الســنوات التاليـــة ، فهى لا تتدرج بالطالب من عهد الى عهد بل تأخذ المبتـدئين بأساليب المنتهين ، وقد كان أسلوبها الجــاف حائلا دون ثقافة الطالب بالتعبير الجيد ، حيث لا يستطيع من اقتصر عليها من الطلاب أن يجد مددا قويا لأسلوبه العلمى ، وبذلك يعجز عــن تحرير مسألة ، فاذا صار عالما عجز عن كتابــة مقالة يطالعها الجمهور فى نصاعة وبيان ، أمــا طريقة التدريس فلا تستند الى أساليب التربية الحديثة ، ولا تنتفع بثمار التخصص فى شئون التعليم ممن نهلوا من الثقـــافة المعاصرة ، وأدركوا أثر علم النفس فى تفهم عقلية الطالب والاهتداء الى ما يكفل تنمية المواهب ، وتربية الملكات كما أن التخصص مفقود بحيث يدرس الأستاذ الواحـد مسائل الفقـه والأصـول والتوحيد والبلاغة والنحو والصرف معـــا وتفرق جهوده فى شتى العلوم يجعله سطحيا فى جميعها ، والأولى أن يجيد شعبة واحدة مـن شعب الدراسة ليعكف على تعمقها ، والاجادة فى علومها ، وقد يسعفه الذكاء بابتكار الجديد ،

---

(١) تاريخ الاصلاح فى الازهر ص ٢٥٦ جـ ٢ .

وخاض المؤلف كثيرا فى مسائل الامتحانات بالأزهر وطريقة الانتساب اليه ، كما أشار بضرورة تعليم اللغات الأجنبية لتمد الطالب بسلاح المعرفة فى عصره المتطور وتجعل من الأزهرى داعية للدين فى بلاد لا تعرف اللسان العربى !

وكل ما أشار به المؤلف فى سنة ١٩٢٤ قد وجد تنفيذا فيما بعد . مما يدل على سداد النظرة ، وصواب الاتجاه !

ولكن صدور هذا الكتاب فى زمنه المضطرب قد أثار ثائرة الخصوم ، فعارضه مدرسو الجامع الأحمدى ، وعقد مجلس ادارة المعهد الدينى جلسة خاصة بمحاكمة المؤلف فتقدم الأستاذ الصعيدى بدفع قانونى يشير الى ما أباحته اللائحة الداخلية من حق المدرسين فى نقد المناهج التعليمية ، وهو حق مشتهر لا يجوز انكاره ، ولكن الضجيج الصاخب حول الكتاب دفع بالمسئولين الى عقاب المؤلف بخصم نصف مرتبه الشهرى ! وهو اجراء كان من الأوفق العدول عنه لأن الرجل قد نقد المنهج باعتباره مدرسا يضع يده فى النار ، ويعرف أسباب القصور فى تدريس كثير من المواد ! ولكن حكم المسئولين وجد المعارضة فى الصحف من كبار العلماء بالأزهر ومنهم الأساتذة يوسف الدجوى وعلى سرور الزنكلونى وعلى محفوظ، وقام الخطيب الأزهرى الشيخ مصطفى القاياتى بكتابه مقال قوى فى تأييد وجهة المؤلف وتحبيذه ، ويشير الى مبلغ اهتمامه بالأزهر ، وحرصه على نفع الطلاب ، وتفانيه فى خدمة الاسلام ، ومقال الأستاذ القاياتى مسجل بكتاب تاريخ الاصلاح ص ٩٨ ، ويقول الأستاذ الصعيدى ان دفاع المخلصين عنه قد جاه من شر كبير اذ كانوا يتجهون الى فصله من وظيفته ! وما أظن ذلك ، فخصم نصف المرتب الشهرى يدل على أن اللجنة لم تستشعر خطورة تبعث على الفصل ! ولكن حكمها قد آلم الأستاذ وحق له أن يألم ! اذ كوفىء على اجتهاده بغير ما يليق .

ثم جاء عهد الامام المراغى فكتب مذكرته الاصلاحية ، ففرح بها قوم ، وتنكر لها قوم ، وامتلأت الصحف بالحديث عن رأى المراغى فى الاصلاح ، واصراره عليه . وكان الأستاذ الصعيدى من مؤيدى الامام المراغى فنهض للرد على معارضيه فى مقالات متسلسلة نشرها الأستاذ أمين الرافعى فى جريدة الأخبار سنة ١٩٢٨ ، وفند رأى من يقول من هؤلاء — وهو الشيخ عبد الرحمن عليش — أن الاسلام لا يطلب من أهله معرفة كل شىء فى الحياة ، منكرا تدريس العلوم الحديثة ، فأورد الصعيدى من آيات القرآن ما يوجب النظر فى أمور الكون وما فى السموات والأرض من ظواهر طبيعية ، وهى آيات مشتهرة لا ينكرها أحد ، كما رد على هجومه الصارخ على تدريس الفلسفة فذكر من كتب الاثبات فى التراث الاسلامى ما يعضد منحاه . وأكبر ما اهتم به الصعيدى فى الرد على عليش هو انكاره للاجتهاد مخافة أن يدعيه الجهلاء فقال الصعيدى ان هذا الخوف كان موجودا فى عهد أبى حنيفة والشافعى ومالك من كبار المجتهدين ولم يوصد

باب الاجتهاد بسببه أما ماذكره المراغى من عكوف الأزهريين فى عصور التدهور على كتب لفظية لا تفيض بروح البحث . فقد حبذه الصعيدى . وضرب الأمثلة عليه بكثير من المؤلفات ذات الجدل اللفظى . وكذلك عارض الشيخ عليش الدراسة المقارنة للأديان لأنها فى رأيه تبعث على التعصب .وتفتح باب الجدل بين رجال الدين الاسلامى وغيرهم من رجال الدين المسيحى ناسياأن المبشرين قد فتحوا هذا الباب على مصراعية . فهاجموا الاسلام فى موطن الأزهر بما يدعو الى رد الخطأ عن الصواب . ولن يكون ذلك بغير الدراسة المقارنة للأديان . وهكذا وجد الشيخ المراغى نصيرا قويا فى قلم الأستاذ الصعيدى !

على أنه كان ذا استقلال حر حين سجل ما لم يرض عنه فى مذكرة الشيخ الأكبر . اذ رأى أنها تحبذ دراسة بعض الكتب القديمة . فى حين يدعو الصعيدى الى تأليف معاصر يضعه الأساتذة . كل عالم فى مادته لتجدد المحاضرات العلمية . بتجدد التدريس . على أن تكون كتب التراث مرجعا أساسيا لا أن تكون وحدها مجال التدريس !

ويخيل الى أن المسألة ليست مسألة قدم أو حداثة فى اختيار الكتاب المنشود لطلاب الأزهر . ولكن المسألة هى اختيار المؤلف الجيد ذى البحث الدارس والنظر الصائب سواء كان كاتبه معاصرا أو غابرا . فالاصرار على الكتاب الحديث وحده تشدد لا مبرر له وبخاصة اذا لم تهيىء الظروف لبعض الأساتذة أن يبدعوا على نمط يفوق نتاج الأقدمين . وحينئذ لا محيد عن الاحتفاء بكتب التراث فى قاعات الدرس . لا أن تكون مصادر بعيدة عن أيدى الطلاب . وقد نوه الامام المراغى فى مذكرته الاصلاحية بما فى الكتب القديمة من بعض المزايا . فهى تدرب الطلاب على البحث . وتمنحهم طول الباع فى الجدل وتفرض عليهم التعمق فى فهم الكلمة ومدلولها ومنطوقها ومفهومها . اذ ليست كلها مماحكات لفظية تدور حول المتن فى الشرح والحاشية والتقرير . كما أنها تمثل حقبة طويلة من تاريخنا لايجوز لنا أن ننساها أو نهملها . ومع اعتراف الأستاذ الصعيدى بذلك كله فانه يقول تعقيبا عليه .

« ولكن تقديرنا لمثل هذه الكتب لا يمكن أن يغير رأينا فيها اذ لا تصلح أساسا للدراسة فى الأزهر لأن بها من العيوب أضعاف ما بها من المنافع . ولو لم يكن فيها الا التربية على القديم دون التجديد لكفى . ومع هذا لانمانع فى أن يدرس الطالب المنتهى كتابا منها على الطريقة الأزهرية القديمة . حتى يكون ذا استعداد لفهمها . وحتى يمكنه أن يستخلص منها ما بها من الفوائد . وبهذا لا تهمل كل الاهمال .

ثم يلج الأستاذ الصعيدى باب الانصاف اذ يتابع حديثه قائلا وانى أضيف الى ماذكره الشيخ المراعى من مزايا الأزهر القديم مزية أخرى كان لها أثر فى تدريب الطلاب على الصبر والبحث والتعمق فى الدرس . وطول الباع فى الجدل . رهى ما كان من مشاركة الطلاب

للأستاذ فى الاستعداد للدرس الجديد ، اذ كان الدرس ينبه الطلاب حين ينتهى من درسه الى نهاية درس الغد ، ليستعدوا له أيضا ، فكانوا يجلسون جماعات جماعات ويأخذون فى مطالعة دروس الغد الى أن يمضى زمن طويل من الليل . ومنهم من كان يتعمق فى فهم الدرس مثل أستاذه أو أكثر ، وهنا يكون الدرس درس أساتذة لا درس أستاذ وطلاب وهنا يدور الجدل بين الاستاذ وطلبته ، ويحتدم النقاش حتى يقتل (١) الدرس بحثا ونقاشا ، وكان لهذه الطريقة أثرها الخلقى فى استقامة الطلاب وانصرافهم عن كل شىء الا للعلم . ولهذا كان الناس ينظرون اليهم بعين التبجيل . ولايبخلون عليهم بما يستحقون من التعظيم . أما الآن فلاأثر لهذه الطريقة بالأزهر اذ انصرف الطلاب الى سواها .

وقد أراد الصعيدى أن يتحدث عن سلف عظيم من علماء الاسلام . يدعو الى البحث الحر دون التقيد بألفاظ الكتب ومحاولة الاعتراض عليها . ثم الجواب بما يدفع الاعتراض . فكتب فصلا عن ابن خلدون ، يفصل اعتراضه على ما سماه «كتب الأعاجم» داعيا الى طريقة القدماء من أمثال الغزالى فى الاستفاضة والامتاع والاستقصاء . ومؤثرا أن يكون الطالب فسيح الآمال متشعب المعارف بحيث يكون الكون الشاسع ميدان بحثه لا أن تضيق عليه الحلقة بين المتون والشروح . حتى ألف بعضهم كتابا فى اعراب « زيد قائم » فجعل لهذه الجملة مائة وثلاثين بحثا وليت شعرى أى عناء كابده هذا المعرب حتى افتعل هذه الأعاريب .

يقول الأستاذ الصعيدى .

ولكن ابن خلدون لم يجد من يسمع له فى عصره فلا نسير فى تلك الطريقة العقيمة التى ينقدها ، وتسير أوربا فى البحث الفلسفى فى كتاب الكون فتتقدم ، ونصل الى ذلك التأخر الذى وصلنا اليه » .

ولعل ما لدنيا الآن من الكتب الأزهرية بعد أن خاض الأساتذة ميادين التأليف على النسق المبتكر ، يدعو الى موازنة منصفة بين كتب التراث ، وكتب التعليم الجامعى الحديث ، مع الاعتراف بأن كليهما مكمل للآخر وأن النبع يرفد المصب بمائه الغزير .

الحديث موصول

محمد رجب البيومى

---

(١) تاريخ الاصلاح فى الازهر ص ٣٠ ج ٢ .
(٢) تاريخ الاصلاح فى الازهر ص ٢٤٧ ج ١

(١) يقتل .

عباقرة مصريون

المرحوم أحمد باشا كامل

عالم الآثار المسلم الذى كشف الصلة بين اللغة العربية ولغة المصريين القدماء

وصفه مدير تحرير « الاخبار » القاهرية بقوله : كان أحمد باشا كمال وحيد زمانه ورائد طريق عصره ، وعبقرية فذة فى علوم الآثار القديمة وفى إختصاصه بهذا الفن الذى بعثه حيا ينبض بكل دلائل الحياة وشهادة فخر لمصر والمصريين .

وتقول عنه الآنسة مى زيادة الأديبة اللبنانية التى عاشت فى مصر فى مطالع القرن العشرين يوم بلغها خبر وفاته : كان أحمد باشا كمال مثالا للكمال فى البحث العلمى والعمل العلمى والخلق العلمى ومثله بين العلماء قليل.

وذلك هو أحمد كمال باشا المولود فى القاهرة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى الذى تخصص فى دراسة الحضارة المصرية القديمة وكان طريقه فى البحث هو الطريق الذى ابتدعه العلامة الفرنسى (شامبليون) عندما ترجم كتابات (حجر رشيد) الى لغة مفهومة .

عكف أحمد كمال باشا على ترجمة أوراق البردى ففهم الحضارة المصرية عن طريق اللغة. وقد وهبه الله تعالى اجادة فى اللغات العربية والفرنسية والانجليزية والالمانية والتركية والهيروغلوفية لغة المصريين القدماء كما كان على علم تام باللغة القبطية واللغة الحبشية (١) .

الوظائف والأعمال التى تولاها :

عمل أحمد كمال باشا بمصلحة الآثار المصرية حتى وصل فيها الى منصب الأمين المساعد فى المتحف كما عمل عميدا لكلية الآثار المصرية التى طالب بانشائها فاستجابت له

---

(١) جريدة الاخبار القاهرية فى السنوات الماضية .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

الحكومة وقتئذ . ومع أربعين عالما أجنبيا اشترك فى وضع الفهرس العلمى لمتحف القاهرة الذى لايزال من أهم مراجع الآثار .

وبعد خدمة استمرت فيها لمدة ثلاثين سنة تركها عام سنة ١٩١٤ . وخلال تلك الفترة قام بعدة حفريات ونشر دراساته فى المجلات العلمية العالمية خصوصا مجلة (أنالين) كما استعانت به الجامعة المصرية القديمة ليعمل أستاذا فيها للحضارة القديمة نظرا لبراعته فى علوم « المصريات » وتمكنه فى أبحاث الحضارة القديمة وآثارها (١) .

كيف كشف تلك الصلة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة :

يقول فى ذلك المرحوم أحمد باشا كمال : (ان كثرة مطالعاتى فى اللغة المصرية القديمة منذ كنت فى الثامنة عشرة الى أن بعث الستين مهدت لى سبيل الوصول الى اكتشاف غريب مفيد ألا هو **أن اللغة العربية واللغة المصرية القديمة ترجعان الى أصل واحد** (٢) ان لم تكونا لغة واحدة افترقتا كما حدث فى كل اللغات القديمة . وأن الاختلاف الظاهر بينهما ليس الا نتيجة لما يعترى الكلمات من القلب



والابدال واختلاف النطق باختلاف اللهجات وما وقع من اسقاط لبعض الكلمات فى بلاد العرب وبقائها فى وادى النيل أو ما يكون على العكس من ذلك . وكنت قبل أن ادرس اللغة المصرية القديمة على الأسلوب الذى تلقيته من أستاذى المستر (هنرى باشا بركس) مقتفيا منهاجه كغيرى من الأثريين أرى للألفاظ العربية مثيلا فى اللغة المصرية القديمة فكنت أدونها شيئا فشيئا حتى كثرت . وأخيرا اطلعت على مقالة

---

(١) أبحاث وأوراق العالم الاثرى داوسون .

(٢) عن مجلة المقتطف الصادرة سنة ١٩١٤ .

عباقرة مصريون "المرحوم أحمد باشا كمال"

للعلامة الأثرى (تافيل) أبان فيها بناء على النقوش الموجودة فى الدير البحرى زمان الدولة الثامنة عشرة أن المصريين الاول اشتهروا باسم (الاعناء) (١) وتعنى فى لغة العرب أقواما من قبائل شتى (٢) وأنهم هم الذين أسسوا المدن فيما بين طيبة جنوبا الى أقصى مدينة منف شمالا حيث استعمروا تلك المناطق ثم كثروا وانتشروا بعد ذلك .

والعجيب أن نصا من تلك النقوش يوضح أن فريقا من هؤلاء « الأعناء » هاجر غربا الى جهة تونس والجزائر وسمى نفسه (أعناء التحنو) .

وذهب فريق آخر الى أواسط أفريقية وسمى نفسه (أعناء الستو) .

ومضى فريق ثالث لعله بعض من الفريق الثانى الى بلاد الصومال ثم اجتاز البحر الأحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين وسمى نفسه (أعناء منتو) .

فهذا الانتشار يوضح لنا أن الأعناء سكنوا تلك الجهات الشاسعة والمناطق الواسعة وبعثوا فيها لغتهم فصارت لغة أصيلة للبلاد . ثم استنبط أعناء وادى النيل طريقة الكتابة مكان لهم الفضل على غيرهم لكنهم حصروها فى ضفاف النيل ودونوا كتابتهم على الآثار بقلم الحفر البارز أو المجوف . كما أنهم رشقوها على أوراق البردى والحجارة والأقمشة والخشب .(٣)

مؤلفاته العلمية :

وضع ذلك العالم الفذ عددا من المؤلفات العلمية تمتاز بدقة البحث وغزارة العلم نذكر منها الكتب الآتية :

١ — كتاب العقد الثمين فى تاريخ مصر القديم .
٢ — كتاب بغية الطالبين فى علوم قدماء المصريين .
٣ — كتاب ترويح النفس فى مدينة عين شمس .
٤ — كتاب الدر المكنون فى الخبايا والكنوز.
٥ — كتاب الحضارة القديمة فى مصر والشرق الى ظهور الاسلام .
٦ — رسالة فى التحنيط والجنائز عند قدماء المصريين .
٧ — رسالة فى مدينة منف .
٨ — كتاب فى الأجرومية العربية والالمانية.
٩ — كتاب المعجم الكبير وهو أضخم وأعظم عمل فنى استغرق منه خمسا وعشرين سنة من العمل المتواصل ، وفيه جمع ذلك العلامة

---

(١) كتاب صفحات مضيئة من تراث الاسلام للاستاذ أنور الجندى — الباب الثالث الفصل الرابع اللغة الهيروغليفية — احدى اللغات العربية — أعناء — بتشديد النون .

(٢) وهذا يشير الى أن تلك القبائل فى أصولها عربية .

(٣) كتاب صفحات مضيئة من تراث الاسلام للاستاذ أنور الجندى .

مفردات اللغة المصرية القديمة وما يقابلها باللغات العربية والفرنسية والقبطية والعبرية، وقد بلغت مخطوطات ذلك المعجم اثنين وعشرين مجلدا وكل مجلد يبحث فى حرف واحد فقط .

ومع ذلك فهو ليس كتاب لغة فقط بل يبحث فى التاريخ والآثار وعلم الاشتقاق والفلسفة واللغة . ورتب كل حرف فى مجلده واضعا أولا الرسوم « الهيروغلوفية » ثم الحروف الصوتية ثم ما يقابلها فى العربية ثم كتابة الرسوم والحروف معا ثم يقابل الكلمة باللغات الأخرى وهكذا وفى هذا المعجم أثبت اشتراك أكثر من عشرة آلاف كلمة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة مما يدل على اتحاد اللغتين فى أصليهما .

الاستعمار حارب ذلك المعجم :

بعد أن انتهى أحمد كمال باشا من تأليف معجمه الكبير سنة ١٩٢٣ طلب من وزارة المعارف المصرية وقتئذ « وزارة التربية والتعليم » حاليا أن تقوم بطبعه على نفقتها وأحيل الجزء الذى يبحث فى حرف (القاف) الى مدير المطبوعات الانجليزى فأحاله الى كبير أمناء مصلحة الآثار وكان انجليزيا أيضا . ثم عرض على مجموعة أخرى من الخبراء الأجانب فاعترضوا على الطبع وعند هذا الحد لم تهتم وزارة المعارف بموضوع طبعه بل ونسيته كلية (١) .

ويبدو أن المحاولة تكررت مرة أخرى اذ يقرر الأستاذ أنور الجندى أن أحمد كمال باشا طلب من الجامعة المصرية أن تقوم ادارتها بطبع المعجم المشار اليه الا أن الدكتور طه حسين اعترض عليه بمقولة أن هذا الامر لا يرضى عنه المستشرقون (٢) .

وبالاعتراض على الطبع سواء من وزارة المعارف العمومية أو من جانب الجامعة المصرية قبر ذلك المعجم الذى يدحض نظريات الاستشراق والتغريب التى تدعو الى الفرعونية وتباعد بين أصل جنس الشعب المصرى وبين الجنس العربى .

ماذا يقول الأثرى المصرى الكبير

المرحوم الدكتور سليم حسن :

يقرر الدكتور سليم حسن أن رأى هؤلاء الأجانب ومن شايعهم فى رأيهم ضد المعجم الكبير الذى وضعه المرحوم أحمد باشا كمال صدر عن محاولة لمحاربة جهد عظيم لعالم مصرى . ومما تجدر الاشارة اليه أن أكثر من عالم فى الآثار ألف فى هذا الموضوع لكن ماكتبه المرحوم أحمد باشا كمال كان أكثر عمقا وأوفى فى أدلته التى اعتمد عليها ، فلقد كانت الفكرة السائدة عند علماء الآثار منذ زمن طويل أن

(١) جريدة الاهرام القاهرية فى السنوات الماضية .

(٢) كتاب صفحات مضيئة من تراث الاسلام للاستاذ أنور الجندى .

اللغة المصرية القديمة « لغة حامية » لكن ما كشفت عنه البحوث الحديثة وأخصها أبحاث المرحوم أحمد باشا كمال أكدت أنها لغة « سامية » والألفاظ التى دخلت عليها من « اللغة الحامية » كانت محدودة أما الكلمات الموجودة بها من أصل سامى عربى فانها تصل الى (٧٠٪) سبعين فى المائة (١) ٠

رأى المرحوم السيد محمد رشيد رضا :

يقول ذلك العالم الاسلامى ان أحمد باشا كمال بتأليفه ذلك المعجم الكبير أظهر من مقدار الاتحاد والألفة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة ما لم يكن فى الحسبان فلقد أورد فيه ألوفا من الكلمات الهيروغلوفية الموافقة للغة العربية المصرية اما موافقة تامة واما موافقة بضرب من التحريف أو القلب والابدال المعهود مثله فى اللغتين ٠

ومن المعروف أن اللغة المصرية القديمة كانت هى السائدة فى بلاد العراق وسوريا وقد ضاع أكثر لغتهم ولعلها لو دونت كاللغة المصرية لفسرت لنا من اللغة المصرية القديمة ما لم يفسر الى اليوم حتى فيما نراه يخالف منها المصرية بتحريف أو قلب أو ابدال (انتهى كلام المرحوم السيد محمد رشيد رضا) (٢) ٠

وخلاصة القول : ان المرحوم أحمد باشا كمال يرى أن اللغة العربية أصل للغة المصرية القديمة المدونة بالقلم الهيروغلوفى ومن لوازم هذا أن أصحاب تلك المدنية كانوا أصلا من العرب (٣) ، ولا يفوتنا أن نشير فى هذا المقال أنه وقد استبانت الصلة بين لغة العرب ولغة المصريين القدماء أن نذكر شيئا ولو قليلا عما تمتاز به اللغة العربية عن غيرها من اللغات :

١ ــ فهى أوفر عددا فى أصوات المخارج التى لا تلتبس ولا تتكرر بمجرد الضغط عليها بمعنى أنه ليس هناك مخرج صوتى واحد ناقص فى الحروف العربية ٠

٢ ــ وباللغة العربية حروف لا توجد فى اللغات الأخرى كالضاد والظاء والعين والقاف والحاء والطاء ، وقد توجد بعض هذه الحروف فى غيرها أحيانا ولكنها ملتبسة مترددة لا تضبط بعلامة واحدة ٠

٣ ــ وهى لغة انسانية ناطقة يستخدم فيها جهاز النطق الحى أحسن استخدام يهدى اليه الافتنان فى الايقاع الموسيقى ٠

٤ ــ كما أن فن النظم بهذه اللغة فن دقيق

(١) جريدة الاهرام القاهرية السابق الاشارة اليها ٠

(٢) كتاب صفحات مضيئة من تراث الاسلام للاستاذ أنور الجندى ٠

(٣) لزيادة الايضاح يمكن الرجوع الى مقالنا تحت عنوان (الشعب المصرى عراقة أصله العربى) ٠ والمنشور بمجلة الازهر ، الجزء السادس عدد جمادى الاخرة سنة ١٤٠٤ هـ مارس سنة ١٩٨٤ ٠

كامل الاداة مستغن بأوزانه عن سائر الفنون فهو فن مطبوع لا كلفة فيه .

٥ ــ وفصاحة النطق مزية نادرة تمتاز به تلك اللغة وهو حقيقة يقررها علم وظائف الأعضاء عن جهاز النطق فى التكلم بها .

٦ ــ كذلك فانها فى طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالم أجمع فلا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تتراءى لنا أطوار المجتمع الذى تنتشر فيه تلك اللغة وذلك من مادة ألفاظه ومفرداته فى أسلوب الواقع وأسلوب المجاز (١) .

ولعل فيما تمتاز به اللغة العربية عن غيرها من اللغات ما يوضح لنا السر فى أن الله سبحانه وتعالى أنزل بها كتابه الخالد فأصبحت لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم ، وقد أجمع الأولون والآخرون على اعجازه بفصاحته فقد ارتبطت بالقرآن فأصبحت لغة أمته ولغة الفكر والثقافة ولغة العبادة للمسلمين جميعا . وسيظل الترابط بين المسلمين وبينها مادام القرآن الكريم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى : (**أنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**) سورة يوسف (٢)

تكريم الدولة لأحمد كمال باشا ثم وفاته .

نال ذلك العالم الأثرى فى حياته كثيرا من الأوسمة العلمية ، وأنعمت عليه الدولة برتبة الباشوية قبل وفاته بأشهر قليلة وكان ذلك فى عام ١٩٢٣ ، ويوم وفاته خرجت جموع كثيرة من الأمة المصرية تشيعه الى مثواه الأخير ، وكان ذلك الموكب آخر صلة للأمة بذلك العالم العظيم وبتراثه العلمى الكبير .

ومما تجدر الاشارة اليه أنه فى اللحظة التى كان يتأهب فيها لاستقبال الموت همس فى أذن ابنه أن يحقق له أغلى أمنية لم تتحقق له أثناء حياته فقد طلب منه أن يسعى جاهدا لطبع ذلك المعجم الكبير الذى أفنى ردحا من عمره فى اعداده لأنه يكشف عن كثير من الحقائق عن عراقة عروبة مصر على امتداد تاريخها الطويل وما كان ذلك الا بجهد وعلم واخلاص ذلك العالم المسلم .

يقول الله تعالى : (**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) سورة الزمر ٩ .

(**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) سورة المجادلة ١١ .

وتوفى ذلك الابن قبل أن يتمكن من تحقيق أمنية والده فهلا قامت الحكومة ممثلة فى هيئاتها العلمية المختلفة كالهيئة العامة للكتاب أو الجامعات بطبع ذلك المعجم الكبير قبل أن تبلى صفحاته أو تندثر معلوماته أو تفقد أجزاؤه ؟ نرجو أن يتحقق ذلك قريبا ان شاء الله .

محمد عزت الطهطاوى

(١) كتاب اللغة الشاعرة ــ مزايا الفن والتعبير فى اللغة العربية للمرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد

طرائف

"الدنيا"

عن عامر بن عبد قيس قال :

الدنيا والدة الموت ، ناقضة للمبرم ، مرتجعة للعطية وكل من فيها يجرى الى مالا يدرى ، وكل مستقر فيها غير راض بها ، وذلك شهيد على أنها ليست بدار قرار .

"العلم ،، والحلم"

قال ابراهيم بن أدهم : ما من شىء أشد على الشيطان من عالم حليم .

ان تكلم تكلم بعلم ، وان سكت سكت بحلم .

يقول الشيطان : أنظروا الى كلامه أشد على من سكوته .

أما لك الى ربك حاجة ؟

صلى رجل الى جانب سيدنا عبد الله ابن المبارك فلما سلم الامام قام عجلا :

جذب سيدنا عبد الله بن المبارك ثوبه وقال له :

أما لك الى ربك حاجة ؟

"يحزن على الانسان"

قال الامام على – رضى الله عنه :

اذا مات الانسان حزن عليه مكانان : مكان فى الارض ، ومكان فى السماء .

أما مكان الأرض فهو مصلاه .

وأما مكان السماء فهو مكان صعود أعماله الطيبة .

أهو موسر ؟

قيل للحسن : فلان خطب الينا فلانة .

قال : أهو موسر ، من عقل ودين ؟

قال : نعم .

قال : فزوجوه .

صنفان

صنفان من الناس فقط يجوز أن نسميهم عقلاء .

مواقف

الذين يعرفون الله ·
والذين يجدون فى البحث عنه لأنهم لا يعرفونه ·

"لم يغيره المال"

كان يحيى بن سعيد خفيف الحال فاستقضاه أبو جعفر المنصور فارتفع شأنه لكن حاله لم يتغير !
فقيل له فى ذلك ·
فقال : من كان له نفس واحدة لم يغيره المال ، ولا الافتقار ·

"تعريفات"

الشرف : اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة ·

اللؤم : احراز المرء ماله ، وبذل عرضه ··

الجبن : الجرأة على الصديق والنكول عن العدو ·

الغنى : رضا النفس بما قسم الله لها وان قل ·

الذل : الفزع عند المصيبة ·

الكلفة : كلامك فيما لا يعنيك ·

"العيد"

سئل أحد الصالحين متى عيدكم ؟
فقال :
يوم لا نعصى الله فذلك عيدنا ·
يوم يتحقق نصر الله للمؤمنين فهذا عيدنا·
يوم نعود الى رحاب الله فنصلح من شأننا فهو عيدنا ··
وليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة ، انما العيد لمن آمن عذاب الآخرة ·

"دعاء"

يا رب لاتجعل قدمى تزل فى الطريق اليك ، ولا قلبى يضل فى التطلع اليك ، أنت العون الذى أبتغيه ، والخير الذى أتمناه فى الدنيا والآخرة ·

أخرجه الامام أحمد بمسند أبى هريرة . وأورده الامام ابن حجر بشرحه لصحيح البخارى — باب صيام عاشوراء . وأورد مثله عن ابن عباس — رضى الله عنهم — وجاء فى الفتح الربانى لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيبانى — عن حديث أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : « سنده جيد » .

وهو — ثانيا — يوم حرام فى شهر حرام . ففيه مزية الأمن الذى جعله الله للأشهر الحرم من يوم خلق الله السموات والارض الى يوم القيامة ثم هو — ثالثا — كما رأينا فى حديث النجاة — يحمل سنة النبوة فى صيامه . وقد أقر هذا الصيام رسول الله — ﷺ — وهنا تدرج الينا الآية الكريمة : **« لا نفرق بين أحد من رسله »** لذا نتبعهم أيضا فيما سنه لنا رسول الله — ﷺ — .

فعن أبى موسى الاشعرى — رضى الله عنه — قال : « كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدا . قال النبى — ﷺ — : فصوموه أنتم » (١) وكان رسول الله — ﷺ يصومه قبل الهجرة . ومن قبل أن ينقل اليه صيام اليهود لهذا اليوم (٢)، قالت عائشة — رضى الله عنها :

كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية . وكان رسول الله — ﷺ — يصومه . فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه .. الحديث (٣) .

ويأتينا — بعد — خاتمة فضائله ، وهى الرابعة ، وتتجلى فى احباطه ذنوب عام خلا ، ففى صحيح مسلم عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد سئل عن صوم يوم عاشوراء ، فقال — عليه الصلاة والسلام :

« يكفر السنة الماضية » .

صدق رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

د. على أحمد الخطيب

« ١ — ٣ » صحيح البخارى — باب صوم يوم عاشوراء .

(٢) من هذا يتبين القارىء خطأ الحكم الذى أورده صاحب « فجر الاسلام » اذ انكر خطبة جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه — بين يدى ملك الحبشة فى الهجرة الأولى لما ورد فيها من صيام وصلاة ، فقد رأى أن المسلمين حينئذ لم تكن لهم صلاة ولا صيام . وقد ثبت صلاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على لون « ما » من التعبد فكان عليه الصلاة والسلام يسجد ويطيل السجود فى البيت الحرام والقى عليه شقى سلاجزور ، هو ساجد ، وهذا صيامه — قبل الهجرة ثابت ايضا ولو رجع احمد أمين — رحمه الله — الى ماثبت فى السنة الصحيحة ما أنكر لحظة لصيام أو صلاة

الشعر والشعراء

من وحي الهجرة

يا ليت لي في العبقرية ريشة

محمد عبد المنعم خفاجي

في ديوان أشواق الحياة

ياليت لى فى العبقرية رشده

للاستاذ أحمد مصطفى حافظ

جاء البشـير .. فيا حمـائم ترجمى
لغـة القلـوب ، ويـاهزار تـرنم

هذا المحـرم قـد أطـل على الورى
بجلالـه .. فى ليـل خطب أسـحم

فلعلـه يزجى مناقب هجـرة
لنبينـا .. ويكـون خـير مترجم

مـا هـاجر المبعـوث يبغى مـأمنا
من شـانئيه .. وبالأشـاوس يحتمى

فمحمـد هـو جـاه كل مطـارد
وظهير كـل منغص متـألم

أقطـاب تـاريخ الأنام .. زعيمهم
يـأبى الخضـوع لواقـع متـأزم

ولقد مضى صـوب « المدينة » شامخا
ليعـود طـودا .. للحطيم وزمـزم

ويتم نصر اللـه والفتـح الـذى
عم الجـزيرة .. بالقضـاء المبـرم

* * *

قـل للـذىيخشى شراسـة معتـد
ـ اذ بالقنابل قد غـدا .. كالمتخم ـ

مـن راح يـدعونا لحكمـة كيس
بـازاء مـا نلقـاه مـن متهجم

ياليتـه قـد ذاق هـول تشرد
لـلاجئين بـدا كهـول جهنم

لو شـاء مصـباح الطريق هــداية مــاراح يشـــكو طــول ليــل مظلم
بل قــال : ــ هــأنذا مضيء ٠٠ للألى ســلكوا الطــريق بهمــة وترســم

❋ ❋ ❋

جمعت مصـائبنا مصابينا ٠٠ فهــل جمعوا الصفوف لسحق خسة أرقم ؟
لاهم قـــد بلغت فاشــهد ٠٠ اننى قــد ذبت مــن غــم وطـــول تجهم
ليكـــاد ينهض مــن ثراه (مكفــن) ليــروح ينفض مـــوته ٠٠ بتبرم !
ويظـــل يقتحم الصـفوف منــاضلا ويعـــد الاستشهــاد خـــير المغنم
هـــل نقتدى بنبينا وجـــــلاده أم نطمئـــن بــواقع ٠٠ متضرم ؟ !
للــه قولتــه التى خلـــدت عــلى طول المـــدى ٠٠ برواء لفظ مفحم :
« الشمس فى يمنــاه لو جاءوا بهـــا والبــدر فى يسراه ٠٠ لم يســتسلم »

❋ ❋ ❋

أو هى الخيـــوط لعنكبــوت حطمت صلف العـــدو ٠٠ بــوحى رب ملهم
نــاهيك بالورقـــاء ، فى الغار ، التى هشـــت لضيفيهـــا ٠٠ بعذب ترنم
ان كــان « آدم » بــذرة للنــاس فى هــذا الــوجود ٠٠ وكــان أول برعم
فمحمـــد بصـــفاته وكمـــاله كــان المنــار ٠٠ الى السبيل الأقــوم

❋ ❋ ❋

يــاليت لى فى العبقريـــة ريشـــة فأمـــدها مــن ذوب قلبى بالـــدم
لتصـــــور الآمـــال والآلام فى صـــدق ٠٠ وتشــكر فضــل رب منعم
ضــاق البيــان ، فليس لى من حسنه الا بقـــــايا مــن يــراع مفعم
ياريشـــة الفنــان حسبك مــوقفى فتــأمليه ٠٠ وما بــدا لك ٠٠ فارسمى

محمد عبد المنعم خفاجي

في ديوان أشواق الحياة

للشاعرة جليلة رضا

عندما يكون الناقد لدراسة أدبية ما «سيدة» ويكون المنقود «رجلا» وعندما تكون هذه السيدة شاعرة لا تملك غير عدة مجموعات شعرية بينما المتلقى نقدها كاتبا وأديبا قد صال وجال فى عالم الأدب وملأ المكتبة المصرية بمئات من المؤلفات الضخمة القيمة .

ما الذى ــ اذا ــ تستطيع قوله تلك المقتحمة أبراج هذا العملاق الأديب .

غير أنى أستطيع أن أقول الكثير بعد أن قرأت ديوان « أشواق الحياة » للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى وأن أمضى فى مقالتى بلا رهبة وتردد .

فالديوان هو الذى يهيب بى أن أكتب ولا سبيل غير الطاعة .

وديوان « أشواق الحياة » وان كان يعد الانتاج الشعرى السادس لصاحبه غير أنه يعد الديوان الأول فنا وأصالة ونضجا .. هو القفزة الأولى لصاحبه نحو القمة .. « وهو الوليد الذى جاء الحياة معلنا ميلاد والده »

واليوم ، اليوم فقط يستطيع كل قارىء للديوان أن يشير الى صاحبه ، هذا شاعر ، وشاعر كبير .. فلقد عرفنا جميعا دكتور خفاجى أديبا أمينا فى بحثه دقيقا فى نقده ، رائدا يجمع بين النبوغ الأدبى الأصيل والثقافة الواعية العميقة ، مع غزارة فى الانتاج بلغت حد الدهشة مما جعل اسمه لامعا وسط الحقل الأدبى بحصاده الوفير المجيد .

انه حصاد متنوع الألوان . ذو قدرة كافية على التقدير وطاقة وافية على التعبير ولكن .. أجل .. ولكن :

ترى ما الذى جرى للخفاجى صاحب

المئات من المؤلفات النثرية كى يميل أخيرا بكل ما فيه من قوة نحو الشعر ؟

فنظرة اليوم الى دواوينه المتتابعة تجعلنا نعترف أخيرا بشاعريته بعد أن ظلت طويلا متوارية وراء الغمام .

نعم .. لقد حدث انقلاب خطير فى شعر الخفاجى . وديوان « أشواق الحياة » خير دليل على هذا الانقلاب فكما تغيرت اتجاهاته ونظرياته تغيرت أيضا موضوعاته وصياغته .

لم يعد شعر الخفاجى يعتمد فقط على الرصانة والجزالة بل انتعشت فيه الروح الوثابة المتطورة وصفقت فى سمائه الطيور المجنحة المغردة . ورقصت عبر سطوره الموسيقى بعنفها وهدوئها وأنغامها المتعانقة .

ومجمل القول . لقد بلغ ديوان « أشواق الحياة » درجة من السمو الفنى ما أغرانى أن أكشف عن وجهة نظرى فيه ولعلنى بذلك أسهم فى امتاع القارئ الكريم ببعض أبيات من قصائد الديوان .

وأول ما يصادفنا فى هذه المجموعة الشعرية تلك القصائد الوجدانية العديدة التى احتلت ما يقرب من نصف الديوان وهى فى الحق قصائد فنية رائعة ولعل جمالها ينبع من صدق تجارب الشاعر ورقة احساسه .

فقد نزع الخفاجى أخيرا ذلك القناع الدائم وألقى به بعيدا عنه حتى يتمكن من



استعادة ذكريات شبابه بما فيها من لوعة وأمل ووصال وفراق . كل ذلك فى جرأة وحماس غريبين علينا فخرجت تلك القصائد عارمة هادرة مشبوبة تفيض جمالا وعذوبة . وكنت أحب أن أقف أمام رائعة الديوان وهى قصيدة « أيام وأحلام » غير أن الناقد الكبير الأستاذ عبد العزيز شرف تكلم عنها ما فيه الكفاية فى مقدمة الديوان ولعلنى أستطيع فى فرصة أخرى أن أتكلم عن قصائده الوجدانية « صدى الذكريات » و « شقاء الحب » و « صوفية الحب » و « فلسفة الجمال » و « لحن الروح » وغيرها الكثير حيث لم

محمد عبد المنعم خفاجى

يترك الخفاجى صغيرة ولا كبيرة الا دونها شعرا .

ولنستعرض بعد ذلك مع القارىء الكريم أجمل وأغلى ما فى الديوان وهى القصائد الدينية السامية التى تتحلى بها المجموعة الشعرية للدكتور خفاجى . لقد ضمت كل المناسبات الدينية الجليلة فمن قصيدة « انسان القرآن » حيث يقول فيها :

اقرأ : وتهتز السماء بقولها
وحى من الله العزيز الأكرم
يا ليلة الوحى العظيم . عن الرسالة
والرسول . عن الكتاب تكلمى

ثم الى قصيدة « انسان الاسلام حيث يقول :

عاش فى الناس ثريا بالتقى
ومشى فيهم بذكر عطر

مسلم فوق العلا جبهته
خاشع فى عزة المنتصر

بين يمناه كتاب نير
بالآيات الكتاب النير

كان كالواحة فى البيد يرى
كان كالظل بواد مقفر

ثم يتجه الى الهجرة حيث يقول فى « موكب علوى » .

هجرة مثلت جهاد نبى
وأمين على الهدى مهدى
وبها كل عزة وجلال
لرسول مكرم يعربى
هجرة كانت للرسالة نصرا
يا لهذا النصر الجليل السنى
هجرة مزقت قناع الدياجى
وأعزت نفس الفقير الشقى

ويتوقف الشاعر قليلا وقد أحس أنه عاجز عن اهداء هذه الهجرة المباركة حقها فى البيان فيهتف لقلمه :

لا تقل شيئا .. كل ما قلته
دون علاها وحقها العلوى
انها الصفحة المضيئة فى
التاريخ تهدى الى الهدى كل حى
لا ورب الجلال انى عيى
وبيانى يا قوم جد عيى

وعلى « جبل عرفاتِ » يناجى الشاعر أجمل ساعات حياته .

عرفات يا أحلا به الأيام
تحلو .. ومنه الوحى والالهام
عرفات : أنت العطر يعبق والهدى
والمجد والأنغام والأحلام
ياشوق أيامى اليك وحبها
عام نودعه ويقبل عام

وتمر بالشاعر ذكريات عرفات ويشعر بالحنين الطاغى الى العودة للمكان المقدس ويهتف شوقا وقد خيل اليه أن سفح الجبل

أمام ناظريه وقد ماج بالشذا والبشاشة كعادته فيتساءل :

ووقفت أدعو ، والدموع تنوشـــــنى
أحقيقة هـــى أم هـــى الأحـــلام
وأفقت من حلمـــى وبيـــن جوانحى
مـــن نـــار حبـــك والـــزمان ضرام
أألام يا عــــرفات فى حبى وكهيامى
وأشـــــواقى وكيــــف ألام
لا والــــذى ســـار الحجيج لبيته
ما فى هـــــواه على المحـــب ملام

***

ولقد لفت نظرى فى ديوانه « أشــــــواق الحياة » كثرة الشكوى من الزمان والانسان وكان يخيل الى دائما أن صاحبه قد خـــلا الا قليلا من هموم الحياة أو بالأحرى رضى بحظه منها فكثيرا ما أراه باسما وقد سكن الى حـــكم الله ايمان وتقوى .

فلنستمع اليه فى قصيدة « سراب » ولنر كيف استهلها بهذا البيت الموسيقى الرائع :

وى لأمسى ولأيامــــــــــــــى وى
ولليـــــلى ونهــــارى العبقـــرى
المنــــى كل المنـــــى قـــد ذهبت
وتلاشــــت بـــددا مـــن راحتى
وبقـــايا الحـــلم كـــانت بيـــدى
أين ما كـــان قريبـــا من يـــدى
وسراب كـــــاذب يخـــــدعنى
كلمـــــا سرت ويعشى ناظـــرى

***

ان ديوان « أشواق الحياة » مغلف بالأسى ومرارة الحزن والتبرم من الحياة ففى قصيدة « هموم الفكر » يثور شاعرنا على أخــــلاق هذا العصر فيتساءل : .

بكيت ويضـــحك القــــــدر
ونمت وغــــــيرنا ســــهروا
وقلـــــت مناجيـــــا نفسى :
لمــــاذا كـــان لى بصــــــر
لمــــاذا كـــان لـــى عقــــل
لمــــاذا كـــان لـــى نظـــر
لمــــاذا منطـــق الأشـــــياء
مقـــــــلوب ومبتســــــر
لمــــاذا عشـــــت فى زمـــن
جميـــــع أمــــوره عبــــــر
نـــــراد ولا نريـــــد ويســـــر
كـــــل حياتنـــــا عســـــر
وقيـــــل لبومهـــــا غـــــــرد
وقيـــــــــل لتربهـــــا درر
لمــــاذا رب كـــــل النـــــاس
بالأوهـــــــــام قـــــد أسروا
لمــــاذا رب كـــــل النـــــاس
ليس تردهــــــم نـــــذر

***

وشعر الخفاجى فى ديوان « أشـــــــواق الحياة » يجمع الى الامتاع الافادة والتوجيه فقد تناول الكثير من الأغـــــراض الاجتمـــاعية والموضوعات المتصلة بالوطنية .

محمد عبد المنعم خفاجى

وقد تمكن من التعبير عن حقائق دنياه فى مرونة وحيوية فوفق فيه الى الابانة عما يجيش فى صدره من آمال وآلام • وهو شعر واقعى شامل صريح لايعرف الغموض ولا الصور الضبابية التىتتحدى ذكاء القارىء •

وهو هنا بكل بساطة وسهولة يقول فى قصيدة :

« الوداع الأخير »

أو أنسى •• اننى لست أنسى
ماضيا أشرق فى الروح شمسا
عشت فيه ثم ولى وأمسى
كحديث خافت ضاع همسا
أركنى للصمت ياذكرياتى
أنت نور فى دجى أمسياتى
بين أحلام المنى الماضيات
كل شىء قدر يا حياتى

***

ومن موضوعاته المنوعة المليئة بالتجارب الحية قصيدته « أقتات السراب » وهى موجهة الى والده المتوفى فيقول :

مازلت أذكره هنا •• وكأن ذكراه المنى
ولى كما ولى السحاب وكان شيخا مؤمنا
وبكيت فى فرح الشباب أبى الحنون ويتمنا
وتثير ذكراه الدموع وكم يجدد جرحنا
وأقول فى أسف : فداؤك يا أبى ياليتنا

ويتذكر والدته وتثير الذكرى شجونه وهو الانسان المرهف الاحساس فيقول فى قصيدة « أماه » ••

أماه لاهم ولاحزن
مثواك دار المنتهى عدن
أنت التى عشت الحياة كريمة
ورمى بفقد شملنا الزمن
أماه كنت لى الحنان جميعه
وبك الرضا والعطف والسكن
ياكل أحلامى وكل رؤاى ما
للعيش بعدك والمنى ثمن
كل الخلال تمثلت علوية
فيها وكل صفاتها حسن

هكذا هى الأم دائما مهما كبر الأبناء ستظل ذكراها عطرة فى أذهانهم وقلوبهم بقدر ما أعطت وبذلت من الحب والحنان والتضحيات •

وبغتة يتذكر الشاعر ولده الوحيد فتتربع السكينة فى صدره ويتسرب العزاء ويمتلىء أملا بالحياة فيهتف اليه فى فرح وغبطة :

مشرق اليمن والمنى والسعود
وسنا النور فى ظلام وجودى
فى وجود مكبل بقيود
وقيود بلا مدى أو حدود
وحياة يفزع الجن منها
من رؤى وجهها العبوس الشديد

بلى •• فقد أشرق الكون بميلاد « ماجد » وعانق والده كل أمانى الحياة وزهو العمر •

ماجد : ياضوء القمر
يا فخر يومى المنتظر
واحة آمالى أنت
فى متاهات السفر
وجئت كالمنى وكالنصر
أتى على قدر

كالشمس بعد الزمهرير
كالشذى عبر المطر
وصرت ياماجد فى
جيدى عقدا من زهر
واعشو شبت بك الحياة
وارتوى بك الثمر
واخضر عشنا وكان
العش مجدب الصور

ويهمس الأب فى سمع وحيدة بقصته كلها فى أبيات تفيض رقة وعذوبة ، وانه لشىء جميل حقا أن يعترف الوالد لابنه بما قاسى قبل مولده وانه لشىء جميل حقا أن يدعو له بكل ما كان يتمناه لنفسه من أمان فى دنياه فيقول :

دنياى يا ماجد كلها فصول من عبر
قطعتها بالصبر والعقبى لمن فيها صبر
واشتد بى العسر وضقت ضقت ذرعا بالغير
وعشت عشت فى لظى جحيم مرى المستعر
حتى أتيت كالضياء فى دجى العمر سفر
فكنت متعة السنين بل ربيعها العطر
انسان عينى ورؤى الروح وبهجة البصر
كل المنى والحظ والغد المعطر النضر
وكل ما أحب من يمن وعز وظفر
وكل ما عجزت عن تحقيقه من الخير
أدعو بأن تكون لابنى فى العشى والبكر

***

ولقد حرصت حين بدأت الكتابة عن ديوان « أشواق الحياة » على النظر اليه من جميع زواياه فى دقة واعتدال رأى بعد قراءة واستيعاب .

لذلك لم أصب اهتمامى كله على الناحية الجمالية بل تعديتها الى المضمون وقوة الأداء بجانب الموضوعية فالشاعر الخفاجى يعد أحد أبناء مدرسة « أبولو » التى لها خصائصها ومقوماتها ، غير أنه أكثر ميلا الى الأقدمين ممسك بأوتار الشعر فى أزهى عصوره من حيث قوة الصياغة وجزالة اللغة ووضوح المعنى ومراعاة الأنماط المختلفة من تراثنا القيم .

ولذلك فليس هناك من خوف مطلقا أن يضيع الديوان فى زحمة الكتب التى تملأ الحقل الأدبى دون أن يجد الناقد البصير الذى يكشف عن قدره وقيمته . فالديوان أولا وأخيرا يدافع عن نفسه ويشق فى وثوق طريقه بلا حرج أو تردد يحدوه الصدق والايمان به فشاعرنا لا يكتب غير ما يفيض به خاطره ووجدانه . والدليل هو تلك العاطفة المحتدمة التى تنبض فى كل ما يصادفنا من قصائد فى ديوانه .

ويعتز الشاعر بالأزهر الشريف ، الأزهر الذى هو صوت مصر فى صدى طلابه ، والناطق بكل حكمة وهداية ، فمن الطبيعى أن يلهج بالثناء عليه حيث يقول له :

فى كل ركن من جوانبك الملا
شمس تضىء وكوكب بك نير
حرم الكنانة قد حميت زمارها
ودفعت عنها مايذل ويقهر
حجت اليك من القرى أحلامها
ومن البلاد شبابها المتخير
والدين لم ينشره الا فتية
نشأوا بروضك مونقا وتبختروا

محمد عبد المنعم خفاجى

أدى الأمانـــة من ذويـك جماعـــة
ودعـــا بروحـك منـــذر ومبشر

نصروا الفضــــيلة اذ أذاها عابث
نشروا الرســــالة اذ طـواها معشر

ومن النماذج التى أبدع فيها الشاعر حين وجه النصح لشباب الجيل فى قصيدة « الى الشباب المصرى » حيث قال :

شباب الحمى ! مجد الحمى لا تـذله
يـد الاسد الضارى أو الطامع الوغد

أقيموا على الأحداث صفا موحـــدا
يرد ظباة الظالميـــن الى الغمـــد

شباب الحمى : ذودوا كراما عن الحمى
ولا تهنوا فالذل أجـدر بالعبـــد

أصيخوا لداعى المجد اما دعاكـــم
ولبوا نداء النيل فى صولة الأســـد

وئاما بنى قـومى فـان اختـلافنا
خسار ، واخلاصا على النحس والسعد

فـــان حيـاة الطامحين الى العـــلا
وئام وحب الفرد فى اللــه للفرد ..

وبعـــد :

فمازلت أقول . ان الخفاجى أديب كبير قبل أن يكون شاعرا وقد استنزف أيامه فى مزاولة الأدب فى أسلوبه النثرى مما أكسبه اتقانا وبراعة وأصالة فلما زاول الشعر وتمرس جاء ديوانه « أشواق الحياة » وفيه من شفافية الروح ما جعل قارئه يكاد يرى صاحبه من خلال السطور .

وقبل أن أختم مقالتى أحب أن أذكر « ملحمة زاهد يحترق فى النور » وقد استطاع الشاعر أن يشدنى اليها ولعلنى أستطيع يوما أن أجد الحيز الذى يسمح لى أن أتكلم عنها فى استفاضة واسهاب ، فهى حوار بين ابليس وزاهد من الزهاد .

ويقول الخفاجى عنها فى ديوانه .

« لقد سجلها قبل ذلك الغزالى وتوفيق الحكيم ولكنهما سجلاها نثرا وكتبتها أنا شعرا فى هذه الملحمة .

ثم بعـــد ..

فان كان الشعر ــ كما يقول الخفـاجى فى نهاية ديوانه هو روح الشاعر ونبض قلبه وحديث وجدانه ..

وان كان الشعر ــ كما يقول صاحب الديوان هو الخلد والأعماق والتراث الباقى لصاحبه فهنيئا لنا نحن القراء فقد ضم ديوان « أشواق الحياة » أعز مايملك وأغلى مايقدم لنا الشاعر الكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى .

جليلة رضا

العلوم الكونية

الاعجاز العلمي في القرآن الكريم

طبيعة الكهرباء

الهرمونات

الإعجاز العلمى في القرآن الكريم

٦

للدكتور جمال الفندى

هناك عمق من أعماق الاعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز يتصل بالاخبار الصادق بالغيب سواء من حيث الزمان وسبق الحوادث ، أو من حيث المكان وصدق الوصف لما لم تره العين أو ما لم يصل اليه الانسان • وذلك بمعنى أن القرآن الكريم جاء بمعرفة مسبقة لما لدى الناس من علوم وسبق بذلك أحداث الكشف العلمى والتاريخ •

ولا يخفى أن معرفة البشر العلمية السليمة من حيث المكان انما تبنى أولا وقبل كل شىء على المشاهدة الفعلية ثم على الرصد والقياس لما يقع تحت متناول الحس ،أو ما يرقى الى مستوى الحس باستخدام آلات الرصد ، مثل المجال المغناطيسى الذى نتعرف عليه باستخدام الابرة الممغنطة ، أو مثل الاشعة الكونية التى نتعرف عليها باستخدام عدادات جيجر ، أو على غرار الفضاء الكونى الذى نتعرف على خواصه وطبيعته باستخدام آلات الأقمار الصناعية أو اجهزة سفن الفضاء التى نطلقها لكى تصل الى أمكنة لم يصل اليها الانسان من قبل •

ومن أمثلة الاخبار بغيب المكان قوله تعالى فى أوصاف الفضاء الكونى وأعاجيبه من ظلام حالك ، وشمس تضىء باستمرار الى جانب النجوم التى يتكاثر عددها بشكل مذهل ، ومن لزوم الانطلاق عبر الفضاء فى مسارات منحنية أو منعرجة •• قوله تعالى فى سورة الحجر الآيات (١٤) ، (١٥) :

« وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ • لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ » •

والأمثلة المستمدة من الكون عديدة فى هـذا المجال ، وسوف نتحدث هذه المرة باسهاب عن اجابة السؤال الهام :

هل نحن وحدنا ، وهل هناك وعى وادراك فى أرجاء الكون المترامى الأطراف على غـرار ما هو كائن على أرضنا ؟

والاخبار بالغيب بصفة عامة ، سواء فى ذلك ما يتصل بالزمان أو بالمكان ، هـــو العمق الخامس للاعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز . ومن أمثلة ما أخبر به القرآن من ألوان غيب الزمان قوله تعالى :

١ ـ « غُلِبَتِ الرُّومُ . فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِى بِضْعِ سِنِينَ .. » الروم الآيات (٢ ـ ٤) ، وهذا هو عين مـا حدث وأثبته التاريخ .

٢ ـ « وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » . الصف الآية (١٣). وهذا أيضا عين ما حدث وأثبته التاريخ من أمر فتح مكـــة .

أما ما يتعلق باحتمال وجود شبيه الانسان على كواكب نائية يعج بها الفضاء الفسيح فهو أمر نجد الاشارة اليه أو الاخبار به فى مثـل قوله تعالى على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ .. » الشورى (٢٩) ، ٢ ـ « وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّـــمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » النحل (٤٩) . ٣ ـ « يَسْأَلُهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ » الرحمن (٢٩)، وتشير كلمة (من) الى الكائن المدبر العاقـــل كما نعلم .

أما من وجهة نظر العلم فانه حتى الآن لم يتم اتصالنا بشبيه الانسان فى مكان آخر ، الا أن ركب العلم يسير ، ووسائل الاتصال تتقدم . ويتطلب موضوع الدراسة الخاصة باحتمـال قيام مدنيات خارج نطاق المجموعة الشمسية ، مع بيان ما يمكن أن يكون عليه حالها ، ومـدى ما يتوفر لها من طاقات ، كل ذلك يستلزم عمل نتائج منطقية مبنية على أساس سليم من حقائق العلم وبديهياته .

ولقد نشأ الانسان وتطور علمه (ليكـون خليفة الله على الأرض) على أشبه شىء بهباءة الغبار الدقيق اذا ما قـــورنت الارض التى يعيش عليها بحجم الكون المترامى الاطراف . واليوم أصبح الانسان سيد هذه الهباءة بـلا منازع ، وهى تجرى به منطلقة مـع الشمس فى بحر لجى من الشموس أو النجوم المستعرة:

١ ـ « وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَـــزِيزِ الْعَلِيـمِ » ـ يس (٣٨) ،

٢ ـ « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً » ـ البقرة (٣٠) .

وراح الانسان فى مراحل نضوجه الفكرى يدرس عشرات آلات الظواهر الطبيعية لكى يقف على مكنون أسرارها ، كما راح يعمل على ترتيب وتبويب ما جمع من معلومات بالرصد والتتبع والقياس لما فى الكون من ظواهر ، على امل أن تضىء له تلك المعلومات الطريق الموصلة الى الكشف عن بعض أسرار الكون التى يؤمن عن ثقة وجدارة بأنها تنطبق على العالم البعيد عنا بعدا لا يمكن من الوصول اليه بقدر انطباقها وصلاحيتها هنا على الأرض :

١ ـ « وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً » ـ فاطر (٤٣) .

٢ ـ « وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً » ـ الفتح (٢٣) .

وسريعا ما وقع الانسان فى مأزق حرج ، اذ ألفى نفسه فجأة كالطفل أمام كون ضخم قديم بلا حدود مرئية . كالعملاق الذى يفوق حدود الوصف والخيال بالنسبة مثلا الى كل الكائنات الحية التى عاشت على الأرض خلال مدة من الزمن ربت على نحو خمسة بلايين من السنين منذ نشأتها .

ان العقل البشرى يستطيع قطع المسافات الخيالية فى لمح البصر عبر كل من الزمان والمكان لعله يصل الى بصيص من الحقيقة المنشودة ، هذا كما أن عمق فلسفاته . وعظم حكمته ، وما يكمن وراء تصوراته العلمية من عبقريات .... كل ذلك انما يدل

ويشير بجلاء الى ما قدره له الخالق جل شأنه من امكان السير على الطرق الموصلة الى التفوق والمقدرة وامكان التحكم فى الأرض وما عليها :

« حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا .. » ـ يونس (٢٤) .

وفى الحقيقة يبقى علينا أن نتساءل : الى أى اتجاه يسير بنا العلم ؟

هل هو يسير بنا الى اسعاد البشر كما فعلت الأديان السماوية . أم هو يسير بنا الى مجرد السيطرة والتحكم ثم الدمار ؟

هذا هو ما لم يجب عليه أحد حتى الآن .

ويلوح . على أية حال . ان من بين معالم العلوم طريق توصل الى داخل الانسان نفسه، حيث تتمركز تعاليم الدين وفلسفات تتعلق بطبيعة العقل البشرى .

ولقد علمنا الحكماء منذ القدم مثلا أن

الحقائق الخالدة يمكن أن يماط عنها اللثام بالتفكير الخالص .

ومن أجل الكشف عن الآيات المنبثة فى الكون علينا أن نسلك طريقين فى آن واحد :

الأول : طريق الرصد والتتبع والقياس .
والثانى : طريق الفهـــم والادراك لتلك الارصاد باستخدام قوى العقل . لأن الطبيعة انما تسلك نظاما ثابتا لا تحيد عنه كما قدمنا ، بحيث أنه اذا تم رصد ذلك النظام بطـــرق سليمة قويمة ، ثم تم فهم ما رصد منها فهمـا دقيقا . عندئذ تتكشف لنا الحقائق العلمية .

وتكون حصيلة الحقائق التى يجمعها الانسان اطار معرفته العلمية . وهو لايستطيع أن يدرك علميا ما لم يرصده . وتظل تلك الأشياء التى لم يرصدها باقية خارج اطار العلم الى حين رصدها بالفعل . وهو كما قلنا قد يستخدم فى سبيل ذلك أجهزة خاصة أو آلات معينة لمــا لا يقع تحت مستوى حسه بصفة مباشرة .

ومهما يكن من شىء فاننا عن طريق التأمل. والقياس . واستخدام المنطق السليم نستطيع الوصول الى آفاق واسعة . وهكذا يمهــد العلماء الطريق الى المستقبل .

واليوم يحدثنا علماء الفلك بأن عمر مجرتنا أو الطريق اللبنى أو طريق التبانة كما سـماه المسلمون الأول ــ يتراوح بين ١٥ و ٢٥ بليون سنة . وعندما نضيف هذه المعلومة الى حقيقة أن ملكوت الخالق لا يمكن أن يقف عند حـــد جنس معين أو نوع خاص من المخلوقات . نؤمن بأن البشر ليسوا هم النوع الوحيـــد المتميز بالوعى بين أرجاء الكون وسط بلايين المجموعات الشمسية المنتشرة عبر خضم الفضاء .

واذا لم يكن الانسان وحيـــدا فليس من اللازم أن يكون هو أرقى تلك الأجناس الواعية المدركة ، ولا أعلاها شأنا . لأن هنـــاك ملايين الكواكب التى توفرت لها بيئات نشأت عليها الحياة وازدهرت على غرار الأرض . ومنها عدد وفير يزيد عليها فى العمـــر بملايين السنين . ومن الطبيعى أن قد نشأت عليهــا حضارات متقدمة سبقت حضارة أهل الأرض.

ولعل هذا يفسر لنا كيف أن الملائكة التى لا تعلم الغيب . ولكن شاهدت ما كان يفعلــه شبيه الانسان (على كواكب سـبقت كوكب الأرض) من الفساد وسفك الدماء . قالت كما جاء فى كتاب الله العزيز : « **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَـــبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** » ـــ البقرة (٣٠) .

واذا كانت النجوم كالناس تولد وتقوى ثم تضعف وتموت . فكذلك المعرفة لا تنعـدم أو تمحى . فهى تعبر من حضارة كـــوكب الى حضارة كوكب آخر مهما كان نائيا وبعيدا فى أعماق المجرة منذ خلقت الى ما يشاء اللـــه تعالى .

ان الحياة البيولوجية تلك التى تطورت فكريا على الأقل الى مستوى الفكر البشرى هى من الأهمية بمكان بالنسبة لنا . ولهذا ندرس بدقة الأسس التى يقوم عليها الذكاء والتفكير ، واليوم يستخدم العقل الالكترونى فى هـذه الدراسات التى تشير الى امكان قيام مجتمعات فوق مستوى البشر .

وليس لدينا أسباب تكفى لتبرير أن كائنات ما وراء مجموعتنا الشمسية قد زاروا أرضنا من قبل ، كما أنه ليس لدينا ما يبرر ادعاء أنهم لا يعرفوننا ، ومجمل القول أنه توجد كواكب أخرى مسكونة داخل نطاق مجرتنا أو الطريق اللبنى ، وان نسبة كبيرة من تلك الكواكب مجتمعاتها على بينة من أمر بعضها ، خصوصا بالقرب من مركز المجرة حيث تكدست مادة الأصل وتقاربت النجوم أو الشموس •

ان شمسنا انما تقع غير بعيد عن أطراف المجرة التى يبلغ طول قطرها مائة ألف سنة ضوئية وتوجد شمسنا على بعد أكثر من ستين ألف سنة ضوئية من المركز • وان أقرب مجموعات الشموس الى مجموعتنا الشمسية مجموعة قنطورس التى توجد على بعد أربعة سنوات ونصف من السنين الضوئية ، أى أن على المسافر من الأرض أن ينطلق بسرعة الضوء التى تبلغ ٣٠٠ الف كيلو متر فى الثانية الواحدة وأن يبقى هكذا مسافرا مدة أربع سنوات ونصف سنة لكى يصل الى مجموعة قنطورس •

وهذا أمر يكاد يكون مستحيلا حتى الآن •• ويبقى الاتصال أو الجمع بينهم على متن أمواج الأثير والله تعالى أعلم ، وقد قال فى كتابه العزيز :

« وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » ـ الشورى (٢٩) •

للحديث بقية

أ • د • جمال الفندى

طبيعة الكهرباء

مهندس محمد ابراهيم حسين

« قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ » (يونس ١٠١) .

الاسلام دين العلم والعمل والحياة ، قدم لنا المنهج لكى نحيا فى الدنيا حياة طيبة ونكون فى الآخرة من الفائزين برحمة الله .

ولم يخاطب هذا الدين — المتمم لما سبق من شرائع — أمة معينة بل خاطب العالمين فى كل أوامره ونواهيه (١) . فأمرنا فى كثير من آياته بالتدبر والتفكر والتعلم والبحث والتنقيب ، ولم يجعل الهدف من ذلك الحياة الطيبة فى الدنيا فقط .

بل جعل لهذا التعلم والبحث والتدبر هدفا ساميا — هو الوصول الى الايمان الحق بالله تبارك وتعالى — خالق كل من فى السموات والأرض . فاذا ما وصلنا الى هذه المرتبة العالية استطعنا أن نكون عبيدا مخلصين لله . ومن ثم نقيم حدوده ونأتمر بأوامره وننتهى عن نواهيه فتكون لنا عزة الدارين . وهذا هو المنهج المستقيم .

ولنتدبر سويا ظاهرة من الظواهر الكونية التى نعيش معها فى حياتنا الدنيا فى كل لحظة عسى أن يهدينا الله الى سواء السبيل .

الكهرباء الموجبة والكهرباء السالبة :

يرجع الكشف الاول لظاهرة الكهرباء الى أنه فى القرون السابقة لوحظ أنه عند احتكاك

(١) محمد — صلى الله عليه وسلم — مبعوث للناس كافة ، فكل من على وجه الارض أمة محمد وهم قسمان : أمة اجابة دعيت فآمنت ، وأمة دعوة حق عليها الايمان بالكتاب ان شاءت آمنت ، وان شاءت لم تؤمن ... مجلة الازهر .

طبيعة الكهرباء

قطعة من « الكهرمان » بالفراء أو القماش فان الكهرمان تصبح له خاصية جذب الأجسام الخفيفة اليه .

وقد لوحظ أن مواد أخرى مثل الزجاج مثلا تصبح لها نفس الخاصية .

عند اجراء تجارب أكثر تقدما على هذه الظاهرة فقد لوحظ أن الزجاج الذى تم احتكاكه بالحرير فصارت فيه شحنة يحدثبينه وبين الأجسام الخفيفة تجاذب .

وعلى العكس فان الشمععند احتكاكه بالفراء يكتسب أيضا صفة الكهربية (١) ولكنه يحدث تنافرا شديدا مع الأجسام الخفيفة التى انجذبت للزجاج ؟!

وبناء على ما سبق ملاحظته فقد اقترح أن تصنف الكهرباء الناتجة الى كهرباء موجبة وكهرباء سالبة .

وبهذا فان أى جسم مكهرب اذا تنافر مع الزجاج المكهرب أو تجاذب مع الشمع المكهرب يعتبر حاملا لشحنة كهربائية موجبة وبالمثل فان أى جسم مكهرب يعتبر حاملا لشحنة كهربائية سالبة اذا حدث بينه وبين الزجاج المكهرب تجاذب وحدث بينه وبين الشمع المكهرب تنافر .

الكهرباء الساكنة والكهرباء الحركية (الاستاتيكية والديناميكية) :

الظاهرة الكهربية التى سبق شرحها عرفت بالكهرباء الساكنة . وقد لوحظ نوع آخر من الكهرباء يحدث عند تلامس أحد الأطراف العصبية لضفدع حديث القتل بمشرط معدنى أثناء حدوث شرارة كهربائية من « ماكينة » قريبة اذ تحدث انتفاضة مفاجئة فى عضلات الضفدع .

وعند دراسة هذه الظاهرة وجد أن تأثيرات متشابهة يمكن حدوثها بعمل تلامس بين قطعتى معدن احداهما تلامس عضلة الضفدعوالأخرى تلامس أحد أطراف الضفدع العصبية .

وبمتابعة دراسة هذه الظاهرة طبيعيا وجد أن العامل الأساسى لحدوث هذا التأثير هو وجود قطعتى المعدن . وقد تم اثبات أنه يمكن توليد الكهرباء باستخدام قطعتى معدن مختلفتين مثل « الزنك والفضة » مثلا وقد تم فصلهما بقطعة من الجلد الرطب . وقد أطلق على هذا النظام الخلية الكهربائية ، وهذا المثل الأخير يوضح النوع الثانى من الكهرباء وهو الكهرباء الحركية .

الجهد والتيار الكهربائى :

يمكن مقارنة الكهرباء بسقوط المياه من

---

(١) الكهربة : تعبير لما يترتب على وجود الشحنة فاذا كانت هذه الشحنة ساكنة ترتب على وجودها **ما يعرف بالكهرباء الساكنة ، واذا كانت متحركة ترتب على تحركها ما يعرف بالكهرباء المتحركة .**

ارتفاعات عالية ، وتعتبر الشدة الكهربية هى « الجهد » ، ويقاس الجهد عادة بوحدات « الفولت » ويشابه « الجهد الكهربى » ارتفاع سقوط المياه •

أما كمية الكهرباء فتسمى أحيانا « الشحنة الكهربية » وهى تشابه كمية المياه الساقطة •

ونتيجة للأبحاث المستمرة على ظاهرة الكهرباء تبين أنه فى الكهرباء الساكنة يكون الجهد مرتفع القيمة بينما تكون الشحنة الكهربية أو الكمية قليلة ، وفى الكهرباء الحركية يكون (الجهد) منخفض القيمة والشحنة الكهربية أكبر • ولحساب الطاقة المتحصل عليها عند مصب المياه الساقطة ، فان الطاقة تساوى حاصل ضرب ارتفاع سقوط المياه وكمية المياه الساقطة ، **ولحساب الطاقة الكهربية الناتجة تستخدم قاعدة مشابهة حيث تساوى الطاقة الكهربية حاصل ضرب الجهد الكهربى فى الشحنة الكهربية •**

ويلاحظ انه فى حالة وجود جسمين مشحونين كهربيا : أحدهما سالب والآخر موجب وقد تم التوصيل بينهما باستخدام قضيب معدنى أو سلك فانه يحدث مرور للشحنة الكهربية وهذا ما يسمى بالتيار الكهربى •

ويعبر عادة عن شدة هذا التيار بوحدات « الأمبير » وتعرف هذه الوحدة بأنها معدل سريان الشحنة الكهربية بين الجسمين المشحونين •

ويلاحظ أنه حتى لو لم يوجد سلك يوصل بين الجسمين وكان فرق الجهد بينهما كبيرا فانه يحدث مرور للكهرباء بينهما فى صورة تفريغ أو شرارة كهربية أو شرارات كهربية متتابعة وتعتبر الاضاءة العادية أحد استخدامات هذه الظاهرة •

وللحصول على تيار كهربى مرتفع القيمة يجب استخدام الخلية الكهربية سابقة الذكر فى الكهرباء الحركية ، وبتجميع عدد كبير من هذه الخلايا على التوالى ينتج ما يسمى بـ (البطارية) حيث يمكن بواسطتها الحصول على جهد كهربى مرتفع للغاية •

كذلك يمكن الحصول كذلك على هذا الجهد المرتفع باستخدام الدينامو وهو ماكينة يمكن بها تحويل الطاقة الميكانيكية الى طاقةكهربائية•

وقد تلاحظ أنه اثناء مرور التيار الكهربى خلال سلك ينشأ مجال مغناطيسى بالقرب من السلك الذى تمر فيه الكهرباء وهو ما يعبر عنه بمنطقة أو (فراغ) ينشأ من خلالها نوع معين عن القوى المغناطيسية ويعتمد على اتجاه مرور التيار الكهربى •

وبالمثل فانه يلاحظ وجود تأثير كيميائى عند مرور الكهرباء فى محلول معين وهو يعبر أيضا عن اتجاه مرور التيار الكهربى • وبهذا فان هذا الاختبار المغناطيسى أو الكيميائى يستخدم فى الدلالة على اتجاه مرور التيار الكهربى •

ويتكون مصدر الكهرباء أساسا سواء كان خلية كهربية أو مجموعة خلايا أو « دينامو »

طبيعة الكهرباء

من قطبين كهربيين يعطى أحدهما علامة موجبة والآخر علامة سالبة أى يعطيان قطبا موجبا وقطبا سالبا •

ويمر التيار الكهربى من القطب الموجب الى القطب السالب •

وهذا التيار الناتج باستخدام الخلية الكهربية البسيطة يسمى بـ « التيار الكهربى المباشر » •

التيار الكهربى المتردد :

أمكن ـ باستخدام بعض أنواع الأجهزة الكهربية ـ انتاج تيار كهربى متردد ، وهو ما يعنى تيارا يتغير اتجاهه باستمرار عند فترات محددة •

وتصبح الأقطاب الكهربية فى هذه الحالة غير محددة الاشارة حيث تارة تكون موجبة وتارة أخرى تكون سالبة • ويمكن الحصول على تيار كهربى مختلف التردد من تردد منخفض الى تردد مرتفع جدا ، مثل تيارات الراديو والرادار • وميزة التيار المتردد هو امكانية زيادة جهده الكهربى أو تقليله بكمية كبيرة باستخدام جهاز بسيط يسمى المحول الكهربى •

ثم يمكن بعد ذلك تحويل هذا التيار المتردد الذى رفعت قيمة جهده بقدر كبير الى تيار مباشر مرة أخرى باستخدام مقوم التيار • والمقومات الكهربية أجهزة بسيطة التركيب وتوجد منها أنواع متعددة •

وبهذا نلاحظ معا هذه المقدمة المبسطة جدا فى شرح هذه الظاهرة الحيوية للغاية فى حياتنا وكيف أن أحداثا بسيطة فى ذاتها يترتب عليها خواطر واستخدامات هامة جدا ، وتلك احدى الاشارات الى عظمة الخالق الذى لا تدركه الأبصار لقصورها وتدركه القلوب والعقول المؤمنة بملاحظتها •

محمد ابراهيم حسين

الهرمونات

كيمائى
منير عبد الفتاح عبد الحميد

« وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ »

أثبتت التجارب التى أجريت خلال ارتياد الانسان سطح القمر أن حياة الانسان وصحته فى انسجام تام مع البيئة الأرضية وأن أى تغير فى ذلك التوازن الدقيق بين الانسان وبيئة الأرض المحيطة به سوف يؤدى الى اضطراب فى صحة الانسان وقد يزداد هذا الاضطراب فيؤدى الى الوفاة ومن أمثلة ذلك ذلك الاتزان الدقيق عمليتى « الهدم والبناء » فى أجسامنا ٠

فكل ما فينا من عناصر يستبدل بغيره من بيئتنا الأرضية عدة مرات فى العام الواحد فى حين نبقى نحن كما كنا ، دون حدوث أى تغيير فى خلايا الجسم ٠

ويقوم الدم بدور الوسيط فى عملية التبادل هذه فهو يحمل الاكسجين من الرئتين ، والغذاء من القناة الهضمية الى جميع الخلايا ، ثم يحمل أيضا ــ عن الخلايا ــ الحرارة المتولدة نتيجة هذا النشاط الحيوى ٠

وثبات التركيب الكيميائى والطبيعى للدم من أهم مقومات الصحة بل الحياة فدرجة حرارة الدم وتفاعلاته ونسب ما به من ماء وأملاح ومواد عضوية ثابتة لا تتغير الا فى حدود ضيقة ٠ ويعنى ذلك أن خلايانا تؤدى وظائفها فى جو ثابت أمين ٠

وتتضافر جميع أعضاء الجسم فيما بينها للحفاظ على التركيب الكيميائى والخواص الطبيعية للجسم وسوائله وينشط عمل كل عضو حينا ، ويبطىء أحيانا حسب ما تقتضيه حاجة الجسم كله من وظيفة ذلك العضو ، ومن

الهرمونات

ثم كان لابد من وسيلة لتنظيم الوظائف الحيوية المختلفة والتنسيق بينها لتكوين وحدة حية منتجة من حصيلتها .

ويوجد بالجسم وسيلتان رئيسيتان لهذا التنظيم هما : الجهاز العصبى والغدد الصم . وتعمل الوسيلتان فى تعاون تام . وسنذكر بمشيئة الله نبذة صغيرة جدا عن الغدد .

يوجد بالجسم نوعان من الغدد : نوع له قناة خاصة تحمل افرازه الى « أحد أسطح الجسم المتصلة بالبيئة الخارجية » حيث يؤدى ذلك الافراز وظيفته ان كان ذا وظيفة كالعرق واللعاب أو حيث يتسنى التخلص منه الى خارج الجسم اذ كان يحوى الفضلات كالبول ويسمى هذا النوع « الغدد ذات الافراز الخارجى » .

وأما النوع الآخر من الغدد فلا قناة له ، ومن ثم سمى بالغدد الصم ، ويصب هذا النوع افرازه فى الدم مباشرة أى فى (بيئة الجسم الداخلية)ولذلك يسمى هذا النوع بالغدد ذات الافراز الداخلى . وهى تشمل : الغدة الدرقية وجارات الدرقية والكظرية والنخامية وخلايا « لانجرهانز » بالبنكرياس والمبيض والخصية والمشيمة وتقوم هذه الغدد بافراز الهرمونات .

والهرمونات مواد كيميائية عضوية ذات فاعلية فسيولوجية شديدة تفرزها غدد الجسم وتسرى فى الدم كما ذكرنا فتنبه الأعضاء الى القيام بوظائف هامة وتقوم بعمليات تنظيمية للنسج فتحافظ على كيانها الحيوى ، فهى تنظم النمو والتمثيل الغذائى للمواد العضوية وغير العضوية والتناسل وما الى ذلك من وظائف حيوية أخرى .

وتفرز الهرمونات بمقادير ضئيلة ، من عدة « مليجرامات الى جزء من « المليجرام » فى اليوم . نظرا لقوة فاعليتها . ولا يبقى الهرمون بعد افرازه طويلا . اذ يحوى الجسم وسائل لابطال مفعوله أو لاخراجه بعد أن يؤدى وظيفته .

وفى الستين عاما الماضية أجرى الكثير من البحوث العلمية وأمكن استخلاص الكثير منها فى حالة نقية وأمكن معرفة تركيب « الهرمون الكيميائى » بل فى كثير من الأحيان أمكن تحضيره معمليا .

وفيما يلى أسماء الهرمونات والغدد التى تفرزها وتركيبها الكيميائى .

الغـــدة	الهرمون	التركيب الكيميائى
١ ـ الدرقية	الثيروكسين	مادة فينولية
٢ ـ فوق الدرقية ؟	الباراثورمون	مادة بروتينية
٣ ـ البنكرياس : خلايا « ا » من جزر لانجرهانز	الجلوكاجون	مادة بروتينية
خلايا « ب» من جزر لانجر هانز	الأنسولين	مادة بروتينية
٤ ـ النخامية : الفص الأمامى	هرمون النمو	مادة بروتينية
	هرمون منشط الحويصلات	مادة بروتينية
	هرمون مهيىء الرحم	مادة بروتينية
	هرمون ادرار اللبن	مادة بروتينية
	هرمون منشط الدرقية	مادة بروتينية
الفص الخلفى	الفاسوبرسين	مادة بولييبيتيدية
	الأوكسى توسين	مادة بولييبيتيدية
٥ ـ فوق الكلوية : اللباب	الادرينالين	مادة كاليشكوليه
	نور الادرينالين	مادة كاليشكوليه
القشرة	الكوريتكو سيترون ومشتقاته	مادة سيترولية
	الكورتيزون ومشتقاته	مادة سيترولية
	الالدوسيترون	مادة سيترولية
٦ ـ الخصية	تستو سيترون	مادة سيترولية
٧ ـ المبيض	استرادبول	مادة سيترولية
٨ ـ الجسم الاصفر	بروجسيترون.	مادة سيترولية

وعلى سبيل المثال فان هرمون الدرقيـــة « الثيروكسين » ينشط أكسدة المواد العضوية وهو فى ذلك يماثل المنفاخ الذى يزيد وقـــود الحياة اشتعالا فتستطيع أنسجة الجســم أن تحصل على الطاقات اللازمة لتأدية وظائفهـا وبنيان كيانها .

وعجيب أمر الدرقية كمثل لتلك الغدد . اذ أنها تتحكم فى الكمية التى تخرجها من هرمونها وتزنها قبل أن تفرزهـا فتمنع الأضرار التى تنشأ عن نقصانها أو زيادتها . فهى تؤدى مثل

الهرمونات

ما يسمى بالتحكم الآلى فى الآلات فكما نلحظ أن المبرد يستمر محركه فى الدوران حتى تهبط درجة حرارة (الماكينة) أو الآلة الى الحد المطلوب ، فاذا انخفضت درجة الحرارة الى ذلك الحد انقطع التيار الكهربائى عن المحرك فتنفصل الدائرة ويتوقف محرك التبريد عن العمل ، ولا يعاود الحركة الا اذا ارتفعت الحرارة مرة أخرى . فكذلك فى أجسامنا يتم تنظيم الوظائف الحيوية منذ بدء الخليقة الى ما شاء الله ، ففى الحالات الطبيعية تقوم نسبة الثيروكسين فى الدم بتنظيم وظيفة الدرقية ، فاذا زادت النسبة توقفت الدرقية عن الافراز وان قلت النسبة عن حد معين عاودت الدرقية افرازها .

والنخامية غدة صغيرة فى أسفل المخ وتتصل به ، وهى بهذا الاتصال تخضع الغدد الصم لتوجيهات الجهاز العصبى فيتسنى لها أن تغير من كمية الهرمونات التى تفرزها زيادة أو نقصانا ، تبعا للتغييرات التى تحدث فى البيئة الخارجية أو الداخلية ، تلك التغييرات التى يتعرف عليها المخ بواسطة الاشارات العصبية التى ترد اليه من أعضاء الاحساس .

وتمثيلا لذلك نرى أنه عند التعرض لجو بارد ترد الى المخ اشارات عصبية من الجلد تنبهه الى برودة الجو ، فيطلب الى النخامية أن تفرز مزيدا من هرمونها المنشط للدرقية فتزداد نسبة الثيروكسين بالدم وتزداد تبعا لذلك كمية الحرارة التى تتولد بالجسم فيستطيع الجسم أن يحتفظ بدرجة حرارته رغما من برودة الجو .

والنخامية غدة صغيرة فى أسفل المخ ومتصلة به وهى بهذا الاتصال تخضع الغدد الصم لتوجيهات الجهاز العصبى فيتسنى لها أن تغير من كمية الهرمونات التى تفرزها زيادة أو نقصا تبعا لظروف البيئة الخارجية .

ولا تقتصر وظيفة الجزء الأمامى من النخامية على تنظيم عمل الغدد الصم الأخرى، بل انها تفرز (هرمون) ينظم عملية النمو فاذا عجزت النخامية عن افراز ذلك الهرمون ظهر الأقزام ، واذا زادت الافرازات عن الحد المطلوب فى مرحلة النمو أصبح الشخص عملاقا وقد يصل طوله الى ما يقرب من المترين والنصف .

ويعتبر الجزء الخلفى للنخاميه غدة صماء مستقلة عن الجزء الأمامى . وتفرز من حيث وظيفتها (هرمونين) : أحدهما يمنع ادرار البول ويحافظ على نسبة الماء بالجسم فاذا تناول الانسان كمية كبيرة من الماء توقف افراز الهرمون المضاد لادرار البول فتستطيع الكلى ان تخرج من الجسم الماء الزائد وأما اذا نقصت كمية الماء بالجسم نتيجة انسيال العرق الشديد أو الاسهال مثلا أفرزت النخامية (هرمونها) فى كثرة فيقل حجم البول ويصبح مركزا

البقية صفحة " ١٢٠ "

مجلة الأزهر من خمسين عاما

تحليل الروح العصرية

للاستاذ محمد فريد وجدى
اعداد: عبد الفتاح حسين الزيات

فى الحديث الشريف: « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها »
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

وانما صلح أول هذه الأمة بفهم الاسلام فهما يضعه فى مستواه الذى أراد الله مع السلوك المستقيم فى اطار هذا الفهم الواعى ·

فكان الاسلام نظاما كاملا للحياة يتناولها فيما بين العبد وربه، وفيما بين العبد ومجتمعه من مختلف الانشطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويظلم نفسه من رأى الاسلام غير محيط أو فعال فى هذه الثلاث، فليس الجهل بعذر ·

ولقد كان ايمان المسلمين أرفع وأسمى ممن قالوا: « لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً » وأعمق شعورا بعظمة الله وقدرته ممن قالوا: « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » عرف المسلمون ربهم خير المعرفة فكانوا أمة وسطا شهداء على الناس، قال تعالى:

« وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » ·

تلك الامة الوسط يتحدث عنها الاستاذ محمد فريد وجدى — رحمه الله — يقول:

كثرت الدعوة الآن فى البلاد الشرقية للأخذ بالروح العصرية الغربية . لتصل شعوبها الى مثل ما وصلت اليه الشعوب الأوربية من رفعة الشأن والعلم والمدنية .

فتوهم كثير من الناس أن هذه الروح تتألف من كل ما يشاهدونه مطبوعا بطابع أوربى . حتى ما كان منه من الاباحيات والالحاديات . وضروب التهتك . والمذاهب المتطرفة. والخروج على القوانين والنظم المقررة . وذهاب كل انسان محلول الرسن الى حيث يدفعه الهوى . ويجره اليه الغى ، ويدسه فى حمأة الباطل .

والواقع أن هذا الخليط من الصفات الذميمة ليس هو الذى أقام صرح المدنية الغربية . ورفع من أعلام علومها وفنونها وصناعاتها وبعث من مخترعاتها ومكتشفاتها . ولكنه مجموع من فتنها وأدوائها وأباطيلها وعوامل تحطيمها .

فمن اوجب الواجبات على المشتغلين بالدعوة والارشاد فى الشرق أن يفرقوا بين الخلال القويمة التى كانت العوامل الحقيقية لنهضة أوروبا هذه النهضة الرائعة . وبين تلك الصفات الذميمة التى أجمع قادة هذه المدنية أن الابقاء عليها يوشك أن يكون سببا فى حلها . كما حل أمثالها جميع المدنيات القديمة . وجعلتها أثرا بعد عين .

من المقررات التاريخية أن أوروبا بقيت طوال القرون الوسطى أى أكثر من ألف سنة فى ظلام حالك من الجهل . والغفلة عن ينابيع الحياة الصحيحة ، مقودة برجال لاهم لهم الا اشباع مطامعهم . تمكنوا من القبض على نواصى أممها بالحديد والنار . وشغلوها بخوض غمرات الحروب والغارات . فلم تجد متسعا من الوقت للتفكير فى حاضرها ومستقبلها . وفى الوسائل التى تعتمد عليها لتخرج من حالة الجمود التى وقعت فيها الى حالة تستفيد فيها من وجودها . وتعود بها ولو الى مثل ما كانت عليه على عهد اليونانيين الأقدمين ، والرومانيين الذين خلفوهم فى زعامة الارض .

ومما تذرع به هؤلاء القابضون على مخنقها ليأمنوا شر انتقاضها عليهم أن عنوا أكبر عناية بالترصد لحركاتها العقلية . فكانوا كلما نجمت ناجمة من فكرة حرة . أسرعوا الى طمس معالمها . وخنقها وهى وليدة . حتى لا تكون أصلا لغيرها . وأنزلوا بمنتجها عقوبة رادعة تمنعه العود الى نشرها . أو الاتيان بمثلها . فان عاد نكلوا به شر تنكيل . وجازوه بالاحراق بالنار . أو بقذفه من شاهق من الجبال . أو مزقوه اربا اربا . لينال وبال أمره . ويرعوى سواه عن مثل فعله .

وفى الوقت نفسه تركوا الباب مفتوحا لصنوف الفساد الخلقى . وضروب الانحلال الأدبى . لتتلهى الشعوب بهذه القاذورات عن الاشتغال بالأمور الجدية التى يتوقعون أنها قد تفتكهم من قبضة أيديهم .

فكان من أثر ذلك أن ماتت العزائم فى أوروبا وعميت البصائر فيها . وعمتها الفوضى ، وذاعت فيها الفحشاء ، وطمست فيها معالم العلوم والفنون والصنائع التى كان لها على

عهد اليونانيين والرومانيين دولة قائمة . وبات الناس من أمورهم على شر ما تكون عليه جماعات أخذت عليها طرق الحياة من كل مكان (راجع ما كتبناه هنا نقلا عن البحاثة المستشرق « جول لابوم » مؤلف « فهرست القرآن » .

فلما أراد الله أن يخرج العالم من هذه المحنة التى طال عليها الأمد أجيالا متعاقبة أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بدين الله . يهيب بالشعوب الى موارد الحياة ويدعوهم الى النظر والاعتبار . ناعيا عليها استسلامها للمتحكمين فيها . وحافزا اياها على التخلص من نيرهم . والتفصى من اسارهم ، وماهى الا مدة قصيرة حتى اجتازت هذه التعاليم جزيرة العرب من مسارب شتى ، فأصغت اليها أسماع . وتأثرت بها نفوس . وحنت اليها قلوب . ولكن أنى لها أن تتحرك وقد أحيط بها من كل جانب . وسدت فى وجوهها جميع طرائق النجاة .

فأراد الله أن يسوغ لها سبيل الحياة . فدفع بالمسلمين الاولين لفتح الاندلس ، وجزء من البلاد الفرنسية والايطالية . فجروا فيها على سنتهم : من فتح المدارس ، والنظر فى العلوم . والاجتهاد فى المذاهب . ودعت طبيعة الجوار الى تسرب تعاليمهم الى من جاورهم من الأمم . ثم تعدتهم الى من وليهم .

واقتضت حاجة التبادل نزوح الافراد من تلك الأمم الى الاراضى التى استولى عليها الاسلام ، فتولدت فى جميع أرجاء أوربا روح جديدة لم تكن فيه من قبل ، واتفق أن التحق بمدارس المسلمين آحاد آخرون نهلوا من علومهم ، وتضلعوا فى معارفهم ، ثم عادوا الى بلادهم ينشرون ما تعلموه سرا فى أول أمرهم . ثم أعلنوه ماطفا بعد ذلك ، كيلا يوقظوا حذر ساداتهم . فكان ذلك سببا فى نشوء ميل قوى فى أممهم الى الخلاص مما هم فيه . مهما كلفهم من الاستبسال والاستماتة فى سبيله .

فنجم من ذلك الحين بين تلك الأمم وبين القابضين على أزمتها نضال ابتدأ فى مجال التفكير والعلم . ثم انتهى الى الحديد والنار فكان النصر حليف طلاب الحرية . ففازوا على خصومهم . ولكن بعد أن أحرق بالنار . أو أغرق فى البحار . أو رمى به من شواهق الجبال أكثر من ثلاثمائة ألف وستين ألفا من العلماء والمفكرين وكبار المجددين . وبعد أن هلك فى الحروب من أبناء تلك الشعوب عدد لايحصى .

بسبب هذه المنازعات القاسية ، والمكافحات المسلحة ، ولدت الروح المدنية فى أوربا مشوبة بتطرفات من ضروب شتى . ولدت متأثرة بعداء للدين لا يقف عند حد ، للقيانها من أهله عنتا لم تلقه الامم فى تاريخ العالم .. وولدت مطلقة للحرية اطلاقا يلحقها بالاباحة ، بسبب ما ذاقته من شرور الافراط فى تقييدها قرونا طويلة . فكان هذا التطرف فى اطلاقها سببا فى التياثها بصنوف شتى من النقائص الأدبية والاغراق فى الشهوات . لأن السادة الأولين تركوا كما قلنا الباب مفتوحا لجميع الميول البهيمية ، الهاء للناس عن التفكير فى الخلاص، فجاءت مدنيتهم ملتاثة بكثير منها ، ولم يقو العلم ولا الفلسفة على ازالتها ، رغما عما

يكتبه قادتهما من التشنيع عليها ، والانذارات المروعة اذا استمر الناس فيها .

هذه هى حقيقة حال الروح العصرية ، ومنها يتضح بأجلى بيان أنها تقوم على عنصرين .

أحدهما : مؤلف من جهود جبارة بذلت فى سبيل العلم والحكمة . والفنون والصنائع ، وكل ما هو نافع وصالح للحياة ، وهو ما يجب علينا الأخذ به ، واحتذاء مثاله ، لنصل الى مثل ما وصل الغربيون اليه من الرقى الباهر فى جميع مجالات النشاط العقلى والعملى .

وثانيهما : مؤلف من افراطات وتفريطات خلقية وأدبية لها أصول قديمة فى كيان تلك الأمم ، لا يجوز الأخذ بها ولا اعارتها التفاتا . بل يجب علينا التدليل على أنها علل وأدواء ينبغى تجنبها والعزوف عنها ، لأنها تقطع علينا سبيل النهوض ، وتبعدنا عن العوامل الحقيقية للمدنية الفاضلة .

وانى لأعترف هنا أن الخلط بين هذين العنصرين للروح العصرية قد أوقع كثيرا من المجددين السطحيين فى الشرق فى ضلال بعيد من هذه الناحية ، بل منهم من خيل اليه أن هذه الانحرافات الخلقية من لوازم النهوض المدنى ، وهذا خطأ فاحش ، فان النقائص الأدبية لايمكن بحال من الأحوال أن تكون مفيدة للأمم ، وخاصة اذا كانت فى بدء حياتها الانتقالية .

محمد فريد وجدى

اللغة والأدب والنقد

اللغة العربية لغتنا الإسلامية

حفيد أبي لهب بين المناقب والمثالب

مفاتيح من المفاتيح

اللغة العربية
لغتنا الإسلامية القومية

للأستاذ الدكتور زكريا البرى

والمحمود الله جل جلاله ، والمصلى والمسلم عليه هو النبى الرسول محمد وآله والمدعو له بالاعتصام بحبل الله ، وبالصلاح والاصلاح واخلاص الدين لله ، وبوحدة الهدف الاسلامى ووحدة الصف كأنهم بنيان مرصوص هو الأمة الاسلامية ، والشعب العربى ، نساؤه ورجاله. أما قبل :

فهذا (١) شهر القرآن الكريم . والنبأ العظيم ، شهر الكتاب المبين ، الكتاب الذى لا ريب فيه من رب العالمين ، هدى للمتقين . الكتاب الذى اشتمل على شريعة العدل والحق والخير العام والخاص . فكانت هذه الشريعة دليلا على اعجاز القرآن ، وأنه من عند الله الحكيم العليم .

نوه بذلك المفسر القرطبى والفقيه ابن القيم حيث يقول :

« الشريعة عدل الله بين عباده . ورحمته بين خلقه . وظله فى أرضه ، وحكمته الدالة عليه . وعلى صدق رسوله » .

هذا شهر القرآن ، ذلك الكتاب . الذى تولى الله حفظه مصداقا لوعده **« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »** .

---

(١) يجد القارىء فى مضمون هذه الكلمة ما يتجاوز زمانا القيت فيه ، فخطورة الموضوع تدعو الى الصحوة المستمرة ، فلازالت اللغة العربية تعانى حتى لتكاد تفقد ما اكتسبته من قوة ونضارة على امتداد نحو قرنين من الزمان بعد الكبوة التى اصابتها فى العصر المملوكى حيث كانت لغة واحدة فقط تحارب العربية هى لغة أهل الحكم ، وأخشى ما نخشاه ان تنتكس أمام قوى اتحدت عليها تمثلها : الانجليزية ، والفرنسية ، والفرنكو آراب حتى اختلطت كلمات هذا الخليط فبدت فى المقالات العلمية والادبية ، وافواه الناس كل ذلك الى جانب موجة شديدة من عدم التعصب لها ، واندثار كثير من الكتاتيب القروية لحفظ القرآن نسأل الله ان يتداركنا برحمته ، فلن تخسر اللغة العربية شيئا أن غابت عنا ولكنا نحن الخاسرون .. مجلة الازهر .

فبقى قرآنا مقروءا ، محفوظا فى الصدور ، متواترا جيلا بعد جيل ، وكتابا مكتوبا فى المصاحف والسطور ، « **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** »

ومع ما أصاب الأمة الاسلامية من ضعف ، وضياع لبعض تراثها ، بسبب من أعدائها وسبب منها ، فقد بقى القرآن محفوظا بحفظ الله ، مما لم يتحقق لأى كتاب ظهر فى الوجود ، حتى الكتب الدينية السابقة عليه .

وبرغم المحاولات لم يتحقق لأى كتاب سماوى آخر ، له أتباعه وأنصاره الأقوياء ، ما تحقق للقرآن المجيد ، وكان هذا — كما يرى العلماء — وجها من وجوه اعجاز القرآن الكريم ودلالة على أنه من عند القادر العزيز الحميد .

ومن ألطف ما قرأت اجابة — لسؤال وجهه عالم لعالم وأظنها من علماء المغرب ، قال السائل : لماذا بقى القرآن محفوظا فى الصدور ، ومكتوبا فى السطور ، يتلى ليلا ونهارا ، بحيث لا تمر دقيقة فى الكون الا وهو مقروء أو مسموع ، هنا أو هناك ، بينما لم يتحقق هذا للكتب السماوية السابقة عليه ، وقد حصل فيها التبديل والتحريف ، مع أنها أيضا كتب سماوية؟

فأجابه العالم الجليل بقوله : ان القرآن تولى الله بنفسه حفظه وصيانته ، فكان لابد أن يصان « **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** » أما الكتب السماوية السابقة عليه ، فلم يتول الله حفظها ، وانما طلب الى أتباعها حفظها ، فى قوله تعالى : « **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ** » وكل اليهم حفظه فجاز التبديل عليهم .

وأضيف الى ذلك أن الكتب السماوية السابقة ، كانت كتبا وقتية ، لديانات وقتية ، فلم يكن من الحكمة الالهية صيانتها بعد نسخها ، بينما كان القرآن كتابا لدين خالد الى يوم القيامة ، فاقتضت الحكمة صيانته الأبدية ، وتولى الله ذلك بنفسه جل وعلا .

هذا شهر تشريف الأمة العربية وتكريمها ، واختيارها دون غيرها ، لتبليغ رسالة الله الخاتمة واختيار لغتها لغة للاسلام والمسلمين ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

شرف الله العرب ، فجعل لسان كتابه الخالد لسانها « **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** » ورفع به ذكر ابن من أبنائها ، ورفع به ذكرها وقوميتها « **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** » « **لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ** ... » .

وأنار بنوره طريقها . وجمع لها بين نورين : نور العقل ، ونور الشرع ، وقرر ذلك فى قوله سبحانه « **نور على نور** » .

ويعبر عن هذا المعنى المضىء الامام الغزالى فيقول : « ان العقل لا يهتدى الا بالشرع . وان الشرع لا يفهم الا بالعقل . فالعقل أساس ، والشرع بناء عليه . ولن يغنى أساس ما لم يكن البناء . ولن يثبت البناء ما لم يكن الأساس .

العقل كالبصر . والشرع كالشعاع . ولن ينفع بصر ما لم يكن شعاع من الخارج . ولن يغنى الشعاع ما لم يكن بصر .

العقل كالسراج . والشرع كالزيت الذى يمده . فما لم يكن زيت لم ير السراج ، وما لم يكن السراج لم يضىء الزيت .

الشرع كالعقل من الخارج . والعقل شرع من الداخل ، وهما متعاضدان ، بل متحدان .

ولكون العقل شرعا من الداخل . قال تعالى فى صفة العقل :

« **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** » فسمى العقل دينا .

ولكونهما متحدين قال — سبحانه — : « **نور على نور** » أى نور العقل ونور الشرع .

سبحانه حمل الأمة العربية أمانة تبليغ رسالته الى سائر البشرية « **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** » « **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** » .

سبحانه — أعطاها قيادة العالم الانسانى بالقرآن وأحكامه وحكمه . حين تأخذ بها . ويراها الناس فى حياتهم . دعوة الى الأخوة الانسانية المشتركة . والى التعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الاثم والعدوان .

دعوة الى السماحة الدينية ، والى أن يكون لغير المسلمين ما للمسلمين فى ظل الاسلام . « لهم ما لنا . وعليهم ما علينا »

دعوة إلى العدل والمساواة وتكافؤ الفرص ، دعوة الى الشورى والديمقراطية والى تكريم الانسان ، أى انسان ، مهما اختلف دينه أو مذهبه ، أو أصله أو فصله ، أو جنسه أو نوعه أو لونه أو وطنه ، أو مكانه الاجتماعى أو مركزه المالى .

دعوة الى التصديق والعمل بالميثاق الالهى العالمى الاسلامى ، قبل أن توجد المواثيق البشرية ، التى صنعها البشر ناقصة وغير وافية وآخرها الميثاق العالمى الذى أصدرته هيئة الأمم المتحدة ، دون أن تطبق ما فيه من خير ، مع اشتماله على أحكام لا يوافق عليها الا ملحد أو منحل ، مما دعا بعض الدول الاسلامية الى

الامتناع عن التصديق عليه ، بينما صدقت عليه أخرى ، مع التحفظ والاعتراض على ماتضمنته نصوصه ، ونصوص الاتفاقيات الملحقه بـه ، من مخالفة واضحة لشريعة العدل شريعـة الاسلام .

دعوة الى العمل بالميثاق العالمى الاسلامى الخالد ، الذى ينادى بألا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ، والعمل الصالح المصلح لخير البشرية . والذى ينادى بنبذ الأنانيـة وعبـادة الذات . وترك الاسـتسلام للغرائز والشهوات المريضة . ونبذ التعصب الأعمى ، وكذب ادعاء التميز والتفوق العنصرى . والذى ينادى بتعادل الحقوق والواجبات وتقابـل المغارم والمغانم .

دعوة الى الميثاق الالهى الاسلامى ، الذى جعل حقوق الانسان واجبات دينية عليه ، يدافع عنها بحسب امكـانه ، وفى اطـار الشرعيـة الاسلامية ، فاذا مات دفاعا عنها مات شهيدا ، ثم جعلها فى الوقت نفسه واجبات دينية على المجتمع ، يحميها ويرعاها ، فاذا مـا قصر فى ذلك ، كان المقصر مسئولا مسئولية دنيويـة ، يتولى أولياء الأمر حسابه عليها ، ثم يتولى الله فى الاخرة بعدله الثواب عليها عند الطـاعة ، والعقاب عند المعصية وما يفوت فى الدنيا لـن يفوت فى الآخرة ، والآخرة خير وأبقى .

الميثاق العـالمى الانسـانى ، الذى بين أن الايمان لا يتحقق الا بالحب ، حب الأخـوة المؤمنين ، فلا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيـه ما يحب لنفسه ، ولا يؤمن حتى يأمن جـاره بوائقه وشروره ، ولا يؤمن من بات شـبعان وجاره لجنبه جائع وهو يعلم . وبذلك وضح أن السـعادة معنى اجتمـاعى ، وليس معنى فرديا .

وقد عبر عن هذا المعنى العظيم . شاعرنـا العربى الحكيم . حين يقول :

فـلا هطلت على ولا بـأرضى
سحائب ليس تنتظم البـلادا

أما بعد :

فهذه المقدمة . وتلك الكلمة كلها . مستوحاة من الزمان والمكان . ذلك أنى لم أحدد معالمها الا بعد أن بدأت الأحاديث . وتعـرفت على نظامها ومنهجها . فقد سعدت بالدعوة لأول مرة وسبقنى الى نفس الموضـوع تقريبا علامة العراق الدكتور بشار معروف . الذى استفدت من علمه وفضله أكبر استفادة .

أما الزمان فهو شهر رمضان الأبرك ، وأما المكان فهذا المجلس المبارك ، الذى تحف بـه ملائكة السماء كمجلس علم ، والذى يرأسه جـلالة الأخ الأكبر ، والأخ الأشرف ، الأخ المسلم العربى الحر ، صاحب الثقافة الاسلامية الممتازة ، واللسان العربى السليم ، جلالة الملك الحسن الثانى ، فى سلسلة الأسرة العلويـة العظيمة ، والحسن الأول فى ثقافته الشاملة ، والذى يسعدنا بحضور شبليه : المحمـد ثم الرشيد . ولا يزالان فى باكورة الحياة . لتكون تربيتهما على عينيه تربية اسلامية وعربيـة وشعبية .

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوده ابوه

أقر الله عينه بهما ، وبارك فيهما ، كما بارك فيه .

واذا كان الناس على دين ملوكهم ، فأمامهم هذه القدوة العالية ، والأسوة الحسنة ، والسنة الحميدة ، ومن سن سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها .

ثم أما بعد :

فان اللغة العربية هى لغتنا القومية كعرب

منذ وجد العرب الى الآن ، والى يوم القيامة بتوفيق الله ، والعروبة لا يكفى فى تحققها دم ونسب ، وانما تتحقق باللسان العربى ، والأثر الاسلامى يقول : « ان الرب واحد ، وان الأب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب وأم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم العربية ، فهو عربى » .

وهذا هو ما انتهى اليه الأمر عند علماء القوميات ، فاللغة عندهم هى معيار القومية واطارها .

وبعد أن استمعت الى كلمة العلامة ابراهيم جوب ، باللغة العربية الممتازة فى اجتماع علماء المغرب والسنغال ، ثم فى درسه بالامس ، وعرفت عن قرب شعب السنغال ودينه ولغته ، وتوفيق قائده ورئيسه عبدو ضيوف أقول :

ان السنغال عربية ، ضمت نفسها بغير اجراءات الى الجامعة العربية .

ثم أن العربى دما ونسبا الذى لا يعرف العربية معرفة تليق بعروبته ، اذا جلس مع عربى آخر يعرفها ، فبأى لغة يتفاهمان ؟!

الأول لا يتكلم العربية أولا يجيدها تقصيرا ، والآخر يجيدها تعبيرا ، معتزا بها ، فهى لغة آبائه وأجداده لغة أهله وشعبه ووطنه ، وخاصة قومه . ثم اذا كانا يعرفان لغة أجنبية مشتركة بينهما وتكلما بها فأين هى العروبة فى لسانهما وفى فكرهما وفى مظهرهما ؟

وأين التقاؤهما على المصادر الدينية ، والتراث الاسلامى ، وجميعها مكتوبة باللغة العربية .

ان اللغة العربية هى لغة الاسلام ولغة المسلمين ، فالقرآن عربى ، ولا تصح الصلاة رأس العبادات الا به ، وترجمة معانيه ، مع أنها ممكنة ومطلوبة ، تبليغا واجبا علينا لغير العرب ، لا تكون قرآنا ، لأن القرآن هو كلام الله ، وهو بالعربية ، فلا تصح الصلاة بهذه الترجمة ، ولا يستدل بها كقرآن ، لأنها ليست الاتفسيرا وترجمة من فلان بحسب ما فهمه من معانى القرآن ، وقد يخطىء فهما أو ترجمة .

والسنة النبوية الشارحة للقرآن ، والمفصلة لأحكامه ، من وحى السماء ، بتعبير أبلغ العرب وليس فوق بلاغته بلاغة بشرية ، فقد وصل القمة ، وأوتى جوامع الكلم ، كما أوتى الحكمة وفصل الخطاب .

ثم تأتى بعد ذلك سائر الأدلة الشرعية ، وجميعها عربية ، أو تعتمد على النصوص العربية .

وقد فصلها — من زاوية المذهب المالكى الرائد ، الوزير العلامة ، والفقيه الأصولى البارع ، الدكتور عبد الكريم العلوى فى فاتحة هذه الأحاديث ، بما لا مزيد عليه .

وأستاذن فى أن أعرض وجهة نظر فى مذهب الصحابى أو الصحابية فيما فيه مجال للرأى ، فان التحقيق عند بعض العلماء ، أن الصحابى مع مكانته وسبقه ليس معصوما ، بحيث يكون اجتهاده وقوله حجة ملزمة . وانما يكون قوله قولا له مكانته ، بحيث لا يقدم أحد من الفقهاء على مخالفته الا اذا كان عنده دليل يؤيده . قرر ذلك بعض العلماء وعبر عنه الامام الشوكانى بقوله :

ان الله — سبحانه — لم يبعث الى هذه الأمة الا نبيا واحدا ، هو محمد عليه الصلاة والسلام ، والقول بالزام الفقهاء من بعد عصر الصحابة بآرائهم الفقهية ، ولو وجد عندهم ما يدعو الى مخالفتها ، صعود بمكانتهم العلية ، الى مكانة أعلى هى مرتبة النبوة والعصمة والتبليغ عن وحى السماء .

ياصاحب الجلالة :

لقد فتحتم أبوابكم وبلادكم للتعريب ، لمجلة اللسان العربى ، وكنتم رائد هذه الحركة الاسلامية العربية المباركة . والرائد الذى لا يكذب أهله . وهذا يدعونى الى أن أتوجه بالأمل الصادق ، الى صاحب اللسان العربى المبين ، أن يتزعم هذه الجهود ويرعاها ، ويتابعها . ويبارك مسيرتها فى الداخل والخارج بحيث تكون اللغة العربية لغة كل مسلم ، تتساوى وتتوازى ان لم تتقدم على اللغة القوميه ، فى الشعوب غير العربية . حتى تصبح هذه الشعوب عربية بلسانها ، بعد أن صارت مسلمة بدينها ولقد قال أحد القادة العسكريين المعاصرين : ان اللغة الانجليزية قد عمت بلاد العالم ، وفرضت نفسها بقيادة الأسطول الانجليزى .

ولسيادتكم أن تنادى : ان اللغة العربية ينبغى أن تعم جميع البلاد الاسلامية طوعا ، على مختلف المستويات الثقافية ، بقيادة القرآن الكريم ، وتوفيق رب العالمين .

والقرآن العربى هو الذى يقوم اللسان العربى ، ويثرى المتعلم بالألفاظ الفصيحة ، والأساليب البليغة ، والحكم الغالية ، والخبر الصادق عن الماضى والحاضر والمستقبل ، فهو جامع دينى ، وجامعة الهية حرة مفتوحة لكل من يتقدم اليها بلا قيد ولا شرط ولا مجموع ، جامعة لا تعتمد على الكتاب الجامعى وحده ، وانما تضيف الى ذلك جميع وسائل الاعلام الحضارية ، وتنتقل الى طالبها فى بيته ، بالليل والنهار .

ومن خير الوسائل لتعليم اللغة العربية ، قاموس عربى بالألفاظ القرآنية ، والأساليب القرآنية ، وبذلك يجمع الدارس بين الحسنيين تعلم العربية ، وحفظ القرآن الكريم .

وصفوة الصفوة التى يضمها مجلسكم الطاهر ، تصلح لأن يكون منها جبهة برعايتكم

اللغة العربية لغتنا الإسلامية

ترعى هذه الغاية وتتابعها ، جبهة أشمل وأوسع مما بدأتموه بالأمس القريب بين علماء المغرب والسنغال . ويكون للقاء المغربى السنغالى فضل السبق والريادة .

ولقد ذهب المحققون من الفقهاء الى وجوب تعلم العربية على كل مسلم ومسلمة . بقدر طاقته ، حتى يستطيع أن يقرأ ويحفظ ما يصحح به صلاته اليومية المتجددة .

كما اشترط بعض فقهائنا الكبار فى صحة خطبة الجمعة التى تشترط لصحة صلاتها أن تكون باللغة العربية ولو فى البلاد غير العربية .

وهذا يستلزم خطيبا قادرا على مراجعة القرآن والسنة والتراث الاسلامى . حتى يستطيع أن يزود سامعيه بالحكمة والموعظة الحسنة .

كما يستلزم مصلين قادرين على الانصات له والاستماع اليه . والفهم لما يقوله ، حتى يستفيدوا من الخطبة الجامعة ، فى المؤتمر الأسبوعى للقرية أو الحى أو المدينة .

ولكل حكم فى شريعة الاسلام حكمه ، وهذه الحكمة فى اشتراط الخطبة بالعربية ، ولو كان المصلون غير عرب ، تنادى بدلالة الاشارة واللزوم التى يعرفها الأسلوب العربى ، وجرى عليها الاجتهاد الفقهى ، بتعلم العربية لجميع المسلمين ، حتى يصبحوا عربا مسلمين ، وحتى يلتقى عندها الأفراد والجماعات ، والدول الاسلامية ، وتتحقق وحدتهم الفكرية ، وتزول حواجز اختلاف اللغات من أمامهم .

أما هذه الصورة الموجودة فى البلاد الاسلامية غير العربية ، خطيب يقرأ الخطبة العربية ، والمصلون لا يعرفونها ، ثم يترجم لهم معانيها ، فهى طريقة مقبولة كحكم وقتى ينبغى أن تزول بانتشار العربية ، فمن المطلوب اسلاميا أن تنتهى هذه الطريقة من أزمان .

بل ان بعض فقهائنا قد اشترطوا فى عقد الزواج أن يتم باللغة العربية لمن يعرفها دون غيرها من اللغات وبلفظ الزواج العربى وما فى معناه من الألفاظ العربية .

ثم قرر المحققون وعلى رأسهم الفقيه الاسلامى الأكبر ابن تيمية الذى أحيا فى عصره فريضتى الجهاد والاجتهاد . كراهة التخاطب بين المسلمين بغير اللغة العربية الا لضرورة أو حاجة تدعو الى ذلك .

وقد سبقتنا الى ما ترجونه وترعونه أفغانستان فى عصر مضى ، أيام المد الاسلامى القوى القادر على حماية نفسه من خصومه وأعدائه ، فكانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية ، الى أن حكمها شعوبى ينتصر للقومية على حساب الدين .

وقد استجابت باكستان من قديم لدعوة اقبال بأن تصبح اللغة العربية لغة رسمية للبلاد كما قررت الجامعات والمعاهد العلمية هناك التوسع فى تدريس المناهج العلمية باللغة العربية

ياصب العقل المستنير والقلب الكبير :

ان الاستعمار اللغوى والثقافى والقانونى هو أخطر أنواع الاستعمار ، لأنه يستعمر العقل واللسان ، وبه يتحول المستعمر بارادته ورضاه الى متابعة مولاه ، فعلينا أن نطارده فى كل مكان وزمان .

واذا كانت الدول الكبرى تبلغ بها حساسيتها الى رفض دخول بعض كلمات أجنبية فى لغتها الى درجة أن الدولة الفرنسية قررت فى السبعينيات معاقبة كل موظف يستخدم فى مكاتبة رسمية كلمة من الانجليزية أو الايطالية مع ما بين هذه الدول من صداقة وجوار وسوق مشتركة ومع ما بينهم من تعاون الأنداد . والى درجة أن من قادة هذه الدول الأوربية من يمتنع فى اصرار عن التحدث بغير لغته . ولو كان على علم بها . فأولى بنا نحن أن نتخذ هذه المواقف . أولى لنا فأولى . ثم أولى لنا فأولى .

ياصاحب المهابة العلمية

مع ظروف الاستعمار العسكرى المباشر من الدولة التى كانت لا تغيب الشمس عن امبراطوريتها . والتى استطاعت أن تجند أبناء الدول المستعمرة . للدفاع عن استعمارها ، يسرنى أن أقول : ان وزارة الخارجية البريطانية كتبت عن وفد مصر المدنى الذى لم يكن وراءه جيش ولا شعب مسلح يسانده والذى ذهب يطلب الاستقلال من ممثليها ، وهم سعد زغلول . وعبد العزيز فهمى . وعلى شعراوى . أن شعراوى هذا كان لا يتكلم الا بالعربية . مع قدرته فى الانجليزية . واعتبرت مذكرة الخارجية البريطانية هذا مظهرا من مظاهر التعصب العربى الممقوت . أما هم اذا تكلموا بلغتهم . ولم يتكلموا بغيرها . واذا فرضوها علينا فرضا . فان هذا يكون مظهرا من مظاهر التحضر الأوربى .

ونأتى الى عبد العزيز فهمى . وله مع اللغة العربية قصة تاريخية ، هى أنه لما رأس محكمة النقض والابرام وكانت تسمى بذلك فى وقته ، استمع الى محام شرعى أزهرى : يترافع فى احدى القضايا مستندا الى قواعد الدلالات الأصولية اللغوية العربية ، كدلالة العبارة ودلالة الاشارة ودلالة الفحوى ،ودلالة الاقتضاء ، ودلالة مفهوم المخالفة ، ودلالة مفهوم الموافقة والى الترجيح بينها عند المعارضة ، بكلام قوى مقنع ، لفت نظره ، فسأله ، وأين أجد ذلك لأتعلمه . فقال له :

فى كتب أصول الفقه فى الأزهر وأرشده الى بعض المراجع الميسرة ، فتعلمها وضمنها أحكامه ، فكان بسبب ذلك أقوى قضاة مصر وأشهرهم ، كانت شهرته القضائية أكثر من شهرته السياسية ، وكانت أحكامه مدرسة لغيره من القضاة ، بينما كانت آراؤه السياسية محل خلاف .

وكان هذا سببا مباشرا لادخال مادة « أصول الفقه » فى مناهج كليات الحقوق ، وعن طريق

اللغة العربية لغتنا الإسلامية

هذه المادة نقل الحقوقيون قواعدها الى دراساتهم وتطبيقاتهم فى النصوص القانونية الوصفية •

وأما زعيم مصر سعد زغلول ، ابن الأزهر ، شقيق القرويين والزيتونة فقد كان سلاحه الأوحد فى تعبئة الشعب المصرى من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، هو مادرسه فى الأزهر •

اللغة العربية التى كان بها وفيها أخطب الخطباء ، وعلم المنطق ، وعلم الجدل وأدب البحث والمناظرة ، الذى جعل كلماته أقوى من أسلحة العدو وجبروته . والتى فرضت على انجلترا أن تنفيه عن وطنه . كما فعلت فرنسا

مع زعيمنا الأشرف ، وبطلنا المسلم العربى الشجاع ، والدكم العظيم ، جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه ، وكان هذا وذاك ضريبة الاستقلال ،فرضها الاستعمار ظلما وعدوانا •

ولهذا لم يكن عجيبا أن يمسك سعد وهو

رئيس للوزراء . وفى وجود الاستعمار وجيوشه وطواغيته أن يمسك بأطباق قدم له فيها

الطعام ، فى مآدبة أقامها له أحد وزرائه ، فيرمى بها فى النيل المبارك . لأنه وجد عليها

اسم وزارة الأشغال باللغة الانجليزية ، وأمره أن يستبدل الذى هو خير بالذى هو أدنى ، وأن يكتب الاسم باللغة العربية بدل الانجليزية •

ومما يدعو ويلح فى ضرورة انتشار اللغة العربية بين المسلمين ، أنهم حين يتجمعون فى موسم الحج استجابة للأمر الالهى الحكيم ،

وأذان ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، يعقد مؤتمر سنوى جامع ، لا يتغير زمانه ولا مكانه فى التاسع من ذى الحجة ، وفى عرفة ، فالحج عرفة ، وفى جوار البيت الحرام ، ليعالجوا فيه قضاياهم ، ويشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله ، ثم ليتابعوا هذه المؤتمرات عاما بعد عام ، بخطة متتابعة ، وخطى رشيدة ،

ومنهج علمى اسلامى . يتشاورون ثم يصدرون التوصيات والقرارات من الأمة الاسلامية ، الملزمة لأفرادها . حكاما ومحكومين . فالشورى فى شريعة الاسلام لازمة وملزمة ، اذا اتبعت فيها القواعد الشرعية وفى كل عام جديد يبحثون فيما جد ، ويتابعون ما صدر من توصيات سابقة ، ما الذى نفذ منها ؟ وماهى العقبات الطبيعية أو المصطنعة التى منعت تنفيذ أى توصية أو قرار ، فيذللونها ، وهكذا عاما بعد عام •

يدعو هذا المؤتمر ويستلزم ويؤكد أن تكون لغة مؤتمرهم هى لغتهم الأولى ، لغة الاسلام بدل هذه الصورة الحالية ، التى يلتقون فيها هناك ، فلا يستطيعون التفاهم بلغة واحدة ،فى

المؤتمر أو فيما حوله ، وفيما بعده وفيما قبله حين التزاحم فى الطواف أو فى السعى أو فى الصلاة ، أو فى الطريق العام وحين يريد أحدهم

أن يأمر بمعروف واجب ، أو أن ينهى عن منكر حرام ، أو يريد أن يشكو أحدهم الى نفسه ، أو يحول بين حاج وآخر يعتدى عليه ، والعلاج الأوحد هو الالتقاء عند لغة الدين ، لغة الاسلام . اللغة العربية . لغة الأدعية العربية المأثورة . التى يرددها بعضهم وراء المدعى . من غير ادراك لمعانيها .

وقد بذلت الحكومة السعودية أقصى طاقتها فى تيسير أمر الحج ، حتى يحقق حكمته . وعلى سائر الدول أن تعاونها فى ذلك . ولعله مما ينبغى عمله أن تنبه الحجيج الى معرفة اللسان العربى . ولو فى حده الأدنى . وأن تجعل لمن يستجيب أولوية على غيره فى أداء فريضة الحج .

ان للغة العربية خصوما فى داخل البلاد العربية والبلاد الاسلامية وخارجها . تعرفهم بسيماهم . حين يسألون الناس الحافا وصفاقة. هجر اللغة العربية . وبصفة خاصة اللغة الفصحى ، الجامعة للعرب . بدل اللهجات المحلية المفرقة ، بدعاوى كاذبة وفاضحة ومفضوحة .

ومن هؤلاء كاتب فى لبنان العربى الشجاع . ممن لا يرجون للاسلام وقارا ، ولا للغته انتشارا ، حيث توقع من سنين طويلة . أن اللغة العربية ، ستزول من الوجود بعد ثلاث سنوات ، لتحل محلها لغة لبنانية جديدة ،تكتب بحروف لاتينية ، فهلك هو ، وبقيت اللغة العربية بحروفها العربية ، وشكلها العربى الذى يضبط اعرابها والنطق بها ، أسهل وأدق من ضبط الحروف اللاتينية ، ذلك أن الله ــ بقدرته وحكمته ــ هو الذى يصونها ، بصيانة القرآن الكريم ، المكتوب بالحروف العربية ، وبالشكل والضبط العربى ، والذى لا نملك تبديله ولا تعديله ، ولا تعريضه لاختلاف الأفكار والأمزجة ، وتبين للناس أن هذا التوقع من صاحبه وهم من الأوهام ، ينضم الى وهم القضاء على المسلمين فى لبنان ، لحساب غيرهم .

وهذا يذكرنى بندوة عقدتها منظمة حقوق الانسان العربى ، واتحاد المحامين العرب ، وعبثت فيها قوى الالحاد والانحلال فى العالم العربى ، وهى قليلة العدد الى حد كبير ولكنها منظمة ، تحاول أن تظهر القلة بمظهر الكثرة ، وقد استجبت لدعوتهم . وألقيت أول بحث فيها ، وتتالت الأبحاث والمناقشات ، فوجدت :

الملحد الذى يدعو صراحة الى البدء كنقطة نظام عنده ــ من الميثاق البشرى الذى أصدرته هيئة الأمم المتحدة . وهجر كل ما عداه ، وما سبقه من مواثيق . ولو كانت فى القرآن الكريم والسنة المطهرة .

ووجدت واحدة تدعو الى سيادة المرأة على الرجل فى الأسرة الاسلامية .

ووجدت من يدعو الى فتح الباب أمام المرأة المسلمة ، لتتزوج بغير مسلم ، ومن يدعو الى الغاء تعدد الزوجات الى أربع ولو وجدت دواعيه ، وكان فى دائرة الحلال الطيب،

◄

الذى أشار اليه القرآن فى قوله : «فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ» مفضلا تعدد الخليلات الى مالا نهاية ، على تعدد الحليلات فى ظل الرحمن ، مع أن القضاء فى أوربا استقر على الاعتراف بالخليلة ، وأعطى لها حقوق الحليلة، وسوى بين ابن الحرام وبين ابن الحلال ، وأعطاه جميع حقوقه ، وسماه الابن الطبيعى ، وحكم للخليلة بتعويض اذا هجرها خليلها ، وتضررت من ذلك ، فماذا بقى ؟

ولما لم تمكن المنصة الملحدة من الرد على كل ما يثار ، ومع استمرار هذا الهراء ، تذكرت قول الله تعالى : « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » الآية ٦٨ الأنعام .

« وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا » .

وانصرفت من الاجتماع ، لألتقى مع الأستاذ الكبير فتحى رضوان ، رئيس المؤتمر ، ورئيس المنظمة ، ولأسلمه خطابا بما حدث ، ووجدت أنه عند حسن ظنى به ، وأن الأمر تم بعيدا عنه .

أيها الأخ الأشرف والمشرف :

ان معاداة الاسلام والعربية حتى فى أوطانها قديمة وليست مستحدثة . فمن قديم نادى أفراد من هيئات المنتفعين بالغزو الثقافى ، وممن لاغيرة لهم على أوطانهم وخصائصها ، وممن ربط الاستعمار مصالحهم الوقتية به ، فاستجابوا لذلك ، وربطوا به مصالحهم وجعلوا هذه المصالح أبدية . نادى هؤلاء الافراد بأن اللغة العربية هى المسئولة عن تخلفنا . وأنها ستموت . وماتوا وأصبحوا ترابا . وما ماتت . وصح فيهم قول القائل .

اذا ذهب الحمار بأم عمرو
فلا رجعت ولا رجع الحمار

ومن أكثر من ثمانين سنة ، وفى أشد عهد الاستعمار . قررت نظارة المعارف فى مصر الغاء تدريس اللغة العربية من كلية الهندسة . ونشرت الأهرام القاهرية هذا الخبر . وعقبت عليه بأن نظارة المعارف لو عملت برأيها كله . لألغت اللغة العربية من سائر أقطار الدنيا . لا من مصر وحدها ، مادامت لم تتشرف بأن تكون لغة سعادة وزيرها . وكان وزيرا مفروضا على مصر ، بقوة الاستعمار وجبروته .

وأعود الى اللغات الأجنبية ومزاحمتها فى تبجح للغة العربية ، فى بيتها وفى جامعاتها ومدارسها واعلامها وأسواقها ، بوسائلها العلنية والسرية ، بحيث حجبت اللغة العربية

حجب نقصان أحيانا ، وحجب حرمان أحيانا ، كما يحجب المتبنى الدعى الدخيل الوارث العاصب ، صاحب التركة كلها .

مع أن جامعة الدول العربية أوصت فى احدى حلقاتها بتدريس العلوم باللغة العربية ، هذا علاوة على أنه ضرورة قومية فانه ضرورة علمية أيضا ، وذلك لأن القارىء يستوعب بلغته (لغة الأم) أكثر مما يمكن أن يستوعبه باللغة الأجنبية ، مهما تكن معرفته بتلك اللغة . يضاف الى أن الفكر الأصيل لا يخلق فى الأمة الا اذا كانت تعلم وتتعلم بلغتها . وتكتب وتؤلف بلغتها أيضا . ولنا شواهد على هذا من العرب وغيرهم من الأمم قديما وحديثا ، وقد

وصل العرب الى حضارة ومدنية انسانية فى وقت لم تكن فيه أوروبا شيئا مذكورا . فلما كانت اشترطت على أبنائها النابهين أن يتعلموا اللغة العربية . لنقل الحضارة العربية كشرط للحصول على « العالمية » الدكتوراه .

ثم تأتى بنت الشاطىء . شاطىء افريقيا عند دمياط ، الأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، أستاذة اللغة العربية فى جامعة عين شمس . وأستاذة التفسير فى جامعة القرويين . وأستاذة الدراسات العليا فى دار الحديث الحسنية . فتعلق على مثل هذا بقولها : لقد بدأت القصة بعزل لغتنا عن العلم ثم الدعوة الى هجر لغتنا . واستعارة الانجليزية أو الفرنسية للعلوم الحديثة . وكأن هاتين اللغتين وحدهما دون الألمانية أو الروسية أو اليابانية مثلا هما المفتاح السحرى لكنوز العلم . وانتهت القصة بكتب فى موسكو فى علم غزو القمر ، فأين نحن من البداية والنهاية ؟!

لقد قلت : ان الأمر قد وصل فى بعض البلاد العربية والاسلامية الى أنها توفد أبناءها وبناتها الى الدول الأوروبية ، للحصول على العالمية « الدكتوراه » من الجامعات الأجنبية فى اللغة العربية وفى القراءات القرآنية . وفى العقيدة والفلسفة الاسلامية ، وفى التفسير والحديث . وفى أصول الفقه ، وفى .. وفى .. ليعودوا بعد ذلك . ويلقنوا أبناءها وبناتنا تلك التهم والشبه حول التراث الاسلامى فى كل ذلك ، والتى لا عمل لأكثر الأساتذة المستشرقين ، أو الأساتذة العرب الا هذه الشبهات الكاذبة الملفقة . طلبا لدنيا يصيبونها أو امرأة يتزوجونها أو .. أو .. وما أكثر الأوأوات عندى ، وما أكثر الآهات عندى وعند كل غيور . وكفى هذا ، ويضيق صدرى . ولا ينطلق لسانى .

ونحن كعرب ومسلمين نصر على ألا تتجاوز اللغات الأجنبية حاجاتنا اليها ، بحيث يتعلمها بعد اللغة العربية ، والتمكن منها ، من يكون فى حاجة اليها ، أو من يكون الوطن فى حاجة الىدراسته لها وبقدر الحاجةفقط ،والضرورات والحاجات تقدر بقدرها ، ولست عدوا لهذه اللغات فقد درست منها الفرنسية ، وضاعت منى مع الزمان لعدم الاستعمال ، وتعلم اللغات الأوروبية والآسيوية والأفريقية كلها من الواجبات الدينية الكفائية التى لايسقط الاثم عن المجتمع الاسلامى الا اذا تعلم هذه اللغة وتلك من يسد حاجة الدولة والشعب .

زكريا البرى

الهرمونات - بقية

وهكذا يتسنى للجسم أن يحتفظ بماء حياته أكبر مدة ممكنه الى أن يتمكن من تناول الماء •

والهرمون الآخر يدعو الى انقباض الرحم ويساعد على عملية الولادة كما يؤدى الى انقباض عضلات الثدى ويساعد الجنين على الرضاعة دون مجهود كبير من ناحيته •

ويحتوى دم الانسان كله على خمسة جرامات (جرام / اللتر) والجلوكوز هو الوقود المفضل لدى أنسجة الجسم بل هو الوقود الوحيد للمخ ، ومع أن كل ما بالدم من السكر لا يكاد يفى حاجة الجسم مدة ربع ساعة الا أن نسبة السكر فى الشخص السليم تبقى ثابتة ويتم ذلك بواسطة توازن ديناميكى دقيق وشديد بين كمية الجلوكوز الذى تستهلكها الأنسجة وكمية الجلوكوز التى ترد الى الدم • ويقوم الأنسولين بتنشيط استهلاك السكر كما أنه يكبح صناعة السكر فى الكبد وتتناسب الكمية مع كمية السكر الموجود فى الدم تناسبا طرديا •

ويقوم الكورتيزول بوظيفة مضادة لوظيفة الانسولين فهو ينشط صناعة السكر فى الكبد كما ينشط الكبد كى تصب فى الدم مقادير زائدة من السكر وبالاضافة الى ذلك فهو يكبح استهلاك الأنسجة للسكر محتفظا به للجهاز العصبى ، وبذلك يمنع نقص سكر الدم • وكلا الهرمونين يفرز بدقة وانتظام والا ظهر البول السكرى والسكر فى الدم •

ويفرز نخاع الكظرية (هرمون الأدرينالين) الذى يقوم بوظيفة التعبئة العامة التى تجعل الجسم أشد قدرة على القيام بمجهود عنيف وهو يفرز فى كثرة الانفعالات النفسية •

وبهذه القطرة فى بحار العلوم المترامية الأطراف يتبين لكل ذى بصيرة عظمة الخالق وتدبيره اللطيف وقدرته غير المحدودة ، وما أزكى قول الله تعالى :

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم • الذى خلقك فسواك فعدلك • فى أى صورة ما شاء ركبك » •

صدق الله العظيم

الانفطار آية (٦ الى ١٢)

حفيد أبي لهب

بين المناقب والمثاقب

للأستاذ السيد حسن قرون

هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب ، واسم أبى لهب عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمه بنت العباس ابن عبد المطلب فهو هاشمى الأبوين .

وكان أبو لهب وضىء الوجه . ولكن العباس كان أسمر سمرة شديدة من جهة جدة لـــه كانت حبشية ــ كما يقول أبو الفرج فى كتــاب « الأغانى » وهو شاعر يذكر اذا ذكر شعراء بنى هاشم ، وكان له جرأة واقدام وله مواقف سياسية تعرض لولاة عثمان بن عفــان رضى الله عنه ونال منهم فعاقبه هو ومن تابعه . ثم شايع على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكــان له صحبة حسنة معه . وقبل أن أتعرض لشعره وموقف الشعراء منه أود أن ألقى ضوءا على أسرته من عهد النبوة حتى أصل اليه . لأن الفخر والمثالب تدور حول جده أبى لهب ومناوأتــه لابن أخيه خاتم الأنبياء والرسل محمــد ﷺ وكان أبو لهب أول مــن هاجم النبى حــين أعلن رسالته ودعا قومه الى الاسلام .

يروى ابن سعد فى الطبقات الكبرى عن ابن عباس قــال : لما أنزلت : « **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** » صعد رسول الله ﷺ على الصفا .

فقال : « يامعشر قريش » .

فقالت قريش : محمد على الصفا يهتف ، فأقبلوا واجتمعوا . فقالوا : مالك يامحمد ؟

قال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونى » ؟

قالوا : نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط قال : « فانى نذيرلكم بين يدى عذاب شديد » . يــابنى عبد المطلب ، يابنى عبد مناف ،يابنىزهرة ــ حتى عدد الأفخاذ من قريش ــ ان الله أمــرنى أن أنذر عشــيرتى الأقربين . وانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة

◄

حفيد أبي لهب

ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لا اله الا الله .

قال : يقول أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ » السورة كلها : ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

« تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَاكَسَبَ . سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ » وسميت السورة سورة « المسد » .

ويذكر ابن سعد أهل العداوة والمباداة لرسول الله فيذكر أبالهب فى المقدمة . وبعد أن يعدد أعداءه من قريش يقول : « والذى كان تنتهى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم أبو جهل ، وأبو لهب ، وعقبة بن أبى معيط . »

وعجيب أمر أبى لهب فقد شذ عن جميع بنى عبد المطلب وبنى هاشم فكان يحارب الرسول حربا نكراء ، كان من جيرانه وكم عانى النبى منه ، فكان هو وزوجه أم جميل بنت حرب ابن أمية ينغصان عليه حياته بالقاء الشوك والقاذورات أمام داره . وقد يعبثان بطعامه . والرواة يذكرون أنه كان يتتبعه فى المواسم حين يعرض نفسه على القبائل ، فينقض ما أبرم ويشوه ما أحسن تقديمه .

فيحكى ربيعة بن عباد الديلى يقول : انى لمع أبى رجل شاب أنظر الى رسول الله صلى عليه وسلم يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضىء الوجه ذو غديرتين يقول : انه صابى كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب ، ويذكرون عنه أنه قال : ان كان ما يقول ابن أخى حقا فانى أفتدى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى ، فأنزل الله تعالى : «مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَاكَسَبَ» وقوله تعالى« سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » .

وقالوا عن امرأته انها كانت تعاونه فى الايذاء فكانت تمشى بالنميمة وتحمل الشوك لتضعه فى طريقه .

قال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة فقالت : لأنفقنها فى عداوة محمد . وعن أسماء بنت أبى بكر قالت : لما نزلت « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ » أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ابن أمية ولها ولولة وفى يدها فهر « حجر ملء الكف » وهى تقول :

مذمما أبينا . ودينه قلينا . وأمره عصينا .

ورسول الله جالس بالمسجد ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله ، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك ،فقال رسول الله ﷺ : انها لن ترانى ، ثم وقفت على أبى بكر ولم تر الرسول فقالت : يا أبا بكر ، انى أخبرت أن صاحبك هجانى . قال : لا ورب الكعبة ما هجاك فولت وهى تقول : قد علمت قريش أنى ابنة سيدها (١) .

---

(١) رفضت ام حكيم بنت عبد المطلب هذا الفخر .

ويرى بعض كتاب السيرة فى عصرنا هـذا أن موقف أبى لهب يوصف بالنفاق ، فهـــو لايغمه نجاح ابن أخيه ولكنه يخاف عـــداوة قريش ومـــن ورائهـا العـرب على أسرتـــه واستئصالها ، وهذا الكلام مردود بما فعـــل أبو لهب مع ابن أخيه دون حاجة الى نفاق أو مجاملة،فقبل أن يعلن الرسول نبوته أصهراليه بزواج ابنيه عتبة وعتيبة رقية وأم كلثوم ، فلما دعـا الى الاسـلام طلق ابناه بنتى محمـد صلوات الله عليه ، ولم تكن قريش فى حـال عـداء له ، وما الذى يدعـوه أى أبا لهب لأن يتبع الرسول حيث ذهب فى المواسم ، كـان يكفيه ألا يدخل فى دينه .

وحين انتقلت الدعوة الى يثرب « المدينـة المنورة » وأصبح ابن أخيه بين قوم ينصرونه ويعزرونه لم لا يهـدأ ويكتفى بالمقـال دون الفعال ؟ فلما جاءت غزوة بدر أرسل بدلـــه « العاص بن هشام بن المغيرة » لـدين على العاص له ، وانظر اليه حين جاءت الأخبـار بهزيمة قريش فى بدر كيف ثـار ولم يقبل أن يسر أحد بتلك الهزيمة ، يقول أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غـلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الاسلام قـد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس بن عبد المطلب وكتم اسلامه ، وأسلمت أم الفضل وأسلمت ــ يقول هذا والعباس أسـير بين أسرى بدر ــ وتحدث الناس بنصر المسلمين . يقول : وأقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس عـــلى طنب (١) من حجرة زمزم ، فكان ظهـره الى ظهرى فبينما هو جالس اذ قال الناس : هـذا أبو سفيان بن الحارث قد قدم ، نقال أبو لهب يابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر النـاس ؟ قال : والله ما هو الا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا ، يقودوننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك مالمت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض والله ما تليق شيئا(٢) ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافـع : فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت : تلك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربـــة شديدة ، وثاورته (٣) فاحتملنى فضـرب بى الأرض ، ثم برك على يضربنى ــ وكنت رجلا ضعيفا ــ فقامت أم الفضل ــ زوج العباس ابن عبد المطلب ــ الى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته فشجت رأسه شـجة منكرة وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ، فقام موليا ذليلا ، فوالله ما عاش الا سبع ليـال حتى رماه الله بالعدسة (٤) فقتلته .

أفهذا الرجل الهائج لسماع هزيمـة قريش نعده مجاملا ليتقى استئصال بنى عبد المطلب؟ انه عدو الله ورسوله .

قال علماؤنا فى شأنه حين تعرضـوا لشرح سورة المسد : وفى هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة ، فانه منذ نزل قولـه تعالى : « **سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُـهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** » ◄

---

(١) حافة (٢) ما تليق شيئا = لا تبقى على شىء .

(٣) ثاورته = قاومته . (٤) العدسة = بثرة مثل الطاعون كانت تخشاها قـريش .

حفيد أبي لهب

فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الايمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لاباطنا ولاظاهرا لا مسرا ولا معلنا فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة :
أكيل السبع من أبناء أبى لهب :

مكثت زمنا طويلا وأنا آخذ بالرواية التى تقول ان أكيل السبع هو «عتبة بن أبى لهب» ثم أجد لعتبة بنين وحفدة منهم صاحبنا الفضل ابن العباس الذى يدور حوله البحث . تقول الرواية ان عتبة طلق ابنة النبى ﷺ

فوقف عليه وقال : أشهد من حضر أنى قد كفرت بربك وطلقت ابنتك . ولم يكن قد دخل بها وهى رقية فتزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه . فدعا النبى على عتبة • ويقول أبو الفرج :

وذكر أن عتبة بن أبى لهب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد أنزل عليه : **(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى)** فقال : أنا أكفر برب النجم اذا هوى

فقال النبى : « اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك » • قال ابن عباس : فخرج عتبة الى الشام فى ركب فيهم هبار بن الأسود حتى اذا كانوا بوادى الغاضرة — وهى مسبعة — نزلوا ليلا فافترشوا صفا واحدا . فقال عتبة بن أبى لهب أتريدون أن تجعلونى حجرة أى ناحية ، لا والله لا أبيت الا وسطكم ، فبات وسطهم • قال هبار : فما أنبهنى الا السبع يشم رءوسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فأنشب أنيابه فى صدغيه ، فصاح : أى قوم ، قتلنى ، قتلنى

فأمسكوه فلم يلبث أن مات بين أيديهم •

وفى كتب السيرة أن عتبة ومعتبا أتى بهما عمهما العباس بن عبد المطلب الى النبى بعد فتح مكة فأسلما وفرح بهما النبى ﷺ ويزيد ابن سعد فى الطبقات أنهما حضرا غزوة حنين وثبتا مع رسول الله ﷺ • فماذا أصنع ؟

بالرجوع الى النقل من « الروض الأنف » وجدت الحقيقة سافرة ، وهى أن أبا لهب له أبناء ثلاثة عتبة وعتيبة ومعتب ، والذى دعا عليه الرسول هو « عتيبة » وهو الذى كانت تحته أم كلثوم وطلقها يوم طلق رقية من عتبة وهو الذى جرى منه ما استحق أن يصيبه من دعاء الرسول • أما عتبة ومعتبا فأسلما — كما قدمنا — ولهما عقب •

أبو لهب وأبو جهل :

قلت فى صدر البحث ان أشد الناس عداوة للرسول بمكة ثلاثة منهم أبو لهب وأبو جهل . وقد تحدثت عن أبى لهب . وانما أذكر أبا جهل لشبهه بأبى لهب من حيث أنهما يعاير بهما من أتوا بعدهما وعداوة أبى جهل كبيرة وحسبه أنه قتل فى غزوة بدر كافرا ولم يتراجع عن كفره حتى ساعة الموت . وقد كان بنو مخزوم يسخر بهم بأفعاله ونكر لقبه « أبو جهل » وليس له شاعر يدافع عنه من قومه • أما أبو لهب فحفيده « الفضل » له لسان وبيان • واليك بعضا مما قيل :

روى المبرد فى كتابه « الكامل » أن رجلا جالس أقواما من بنى مخزوم فأساءوا عشرته وسعوا به الى معاوية بن أبى سفيان فقال :

شــقيت بكم وكنت لكم جليســا
فلســت جليس قعقـاع بن شور
ومــن جهـل أبـو جهـل أخـوكم
غـزا بـدرا بمجمـرة وتور (١)

وقعقاع بن شور رجل مـن شيبان كان اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل لــه نصيبا فى ماله وأعانه على عدوه وشفع له فى حاجته ، وغدا اليه بعد المجالسة شاكرا له حتى شهر بذلك ، وفيه يقول القائل :

وكنت جليس قعقاع بـن شـور
ولا يشــقى بقعقــاع جليس
ضحوك السـن ان أمـروا بخير
وعنـد السـوء مطراق عبـوس

وقال رجل من بنى مخزوم للأحـوص بن محمد الأنصارى الشاعر ليؤذيه : أتعرف الذى يقول :

ذهبت قريش بالمكــارم كلهــا
واللـؤم تحت عمـائم الأنصـار؟

فقال الأحوص : لا أدرى . ولكنى أعرف الذى يقول :

الناس كنـوه أبـا حـكم
واللــه كنــاه أبـا جهل
أبقت رياســـته لأســرته
لــؤم الفروع ودقـة الأصـل

وهذا الشعر لحسان بن ثابت . والبيت الذى أنشده المخزومى للأخطل .

هذا ما نال بنى مخزوم من أبى جهل بعـد أن ذهب لما أعد له من عذاب أليم . فما الذى أصاب الفضل بن العباس بن عتبة من جـده أبى لهب ؟ .

كان الفضل يعتقد فى نفسه أنه جمع الشرف والنسب والحسب ، من جميع الأطراف الزاكيـة فأبوه وأمه يرجعان فى النسب الى عبد المطلب ابن هاشم ويجمع الى ذلك نسب أمية فاحدى جداته أم جميل بنت حرب بن أمية وشرف أمية فى الجاهلية عرف فى « حرب » وأبنائه ، لذلك كان الفضل يعلن فخره فى النادى وفى الطريق وحين يستقى .

ويذكر الرواه أنه مر بالأحوص وهو ينشد وقد اجتمع الناس عليه فحسده . فقـال لـه يا أحوص انك لشاعر ولكنك لاتعرف الغريب ولا تعرب فقال الأحوص : بلى والله ، انى والله لأبصر الناس بالغريب والاعراب ، فأسألك . قال : نعم :

مــاذات حبل يراهـا النـاس كلهم
وسط الجحيم فلا تخفى على أحد ؟
كل الحبـال حبـال الناس من شعر
وحبلها وسط أهل النـار من مسد ؟

وحين قال الأحوص : أسألك ؟ ظن الفضـل أنه يسأله فى الغريب والاعراب ، ولكن الأحوص كان خبيث اللســان فذهب به الى أم جميل زوج أبى لهب وهى من مفاخره فذكر مثالبها من سورة المسد ، فهى « **حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** » فماذا كان رد الفضل ؟ قال :

ماذا أردت الى شـتمى ومنقصتى
وما أردت الى حمــالة الحطب ؟

◄

(١) بمجمرة وتور = المجمرة بكسر الميـم الموقد والتور اناء يوضـــع فيه الماء والمعنى أنه ناعم لا يصلح للقتال .

حفيد أبي لهب

ذكرت بنت قروم سادة نجب
كانت حليلة شيخ ثاقب النسب

وما يقوله الفضل ليس فيه الا أن حمالة الحطب من سادة زوجت نسيبا فاق الأقران ، وليس له قدرة على نقض ما سجله القرآن الكريم ٠

ويذكر صاحب الأغانى أن الحزين الدئلى مر بالفضل يوم جمعة ، وعنده قوم ينشدهم فقال له الحزين : أتنشد الشعر والناس يروحون الى الصلاة ؟ فقال له الفضل : ويلك ياحزين ، أتتعرض لى كأنك لا تعرفنى ؟

قال : بلى والله ، انى لأعرفك ويعرفك معى كل من قرأ « تبت يدا أبى لهب » ولم يسكت عند هذا القول بل هجاه بقوله :

اذا ما كنت مفتخرا بجد
فعرج عن أبى لهب قليلا
فقد أخزى الاله أباك دهرا
وقلد عرسه حبلا طويلا

وهو شعر يرتكن على معنى مكين ، ولكن كل هذا لم يردعه ولم يمنعه من الفخر ، ومن مفاخره التى تعد له وعنيت بها كتب الأدب قوله :

وأنا الأخضر (١) من يعرفنى
أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلنى يساجل ماجدا
يملأ الدلو الى عقد الكرب (٢)
انما عبد مناف جوهر
زين الجوهر عبد المطلب
كل قوم صيغة من فضة
وبنو عبد مناف من ذهب
نحن قوم قد بنى الله لنا
شرفا فوق بيوتات العرب
بنبى الله ابنى عمه (٣)
وبعباس بن عبد المطلب

ويشرح المبرد « المساجلة » بقوله : وأصل المساجلة أن يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما فى سجله « دلوه » مثل ما يخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب ، فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة وبين ذلك الفضل بن العباس ابن عتبة بن أبى لهب فى قوله :

من يساجلنى يساجل ما جدا
يملأ الدلو الى عقد الكرب

ويقال ان الفرزدق مر بالفضل وهو يستقى وينشد هذا الشعر . فسرا الفرزدق ثيابه عنه أى خلع ثيابه ثم قال : أنا أساجله ثقة بنسبه فقيل له : هذا الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب فرد ثيابه عليه وقال :

ما يساجلك الا ٠٠٠ وذكر كلمة قبيحة والمراد أنه لا يفاخره أحد فقد جمع المجد من أطرافه ٠

موقفه من بنى أمية ٠

ولكنه اذا خاطب بنى أمية تراه منصفا

---

(١) الاخضر = الاسود ٠ (٢) الكرب = حبل يشد فى طرف الرشاء الى عرقوة الدلو ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الرشاء ٠ (٣) ابنى أبى طالب جعفر وعلى رضى الله عنهما ٠

يغلب على بيانه العقل والنظرة السليمة ، وان كنت تستشف من شعره المرارة والشجن وهو فى شعره الذى سنقدمه يدعو الى التمهل فى الخصومة والبعد عن الاثارة والهياج ، ولو استخدم هاشم وأمية منطقه لما سالت دماء ولا بعثرت أشلاء ولما قتل الحسين وحفيده ثم قتل ابراهيم الامام العباس ،ولكن التنافس بين الأسرتين اللتين ترجعان الى أب وأم كان شديدا وعجيب أمرهما فلقد ولد هاشم وعبد شمس والد أمية من بطن واحد ، فرحمهما وشيجة وليس بعد هذا قرابة ، وأنا لا أرجح تعقل الفضل فى حديثه عن العداوة لأن جدته أم جميل بنت حرب بن أمية ، وانما أرجع ذلك الى وجدان الشاعر وبعد نظره فى قراءة الأحداث ، وأظنه لو عاش حتى ذهب ملك بنى أمية لما رضى بالقتل الجماعى لبنى العمومة يقول الفضل بن العباس بن عتبة يخاطب بنى أمية :

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا
لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا
لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم
وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
مهلا بنى عمنا عن نحت اثلتنا (١)
سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
اللـه يعلم أنا لا نحبكم
ولا نلومكم أن لا تحبونا
كل له نية فى بغض صاحبه
بنعمة اللـه نقليكم وتقلونا

وظاهر هذا الشعر يعطى انطباعا مريرا من البغض والكراهية ، ولكن بتأمله يبين لك التحسر على الاختلاف والشقاق وامتشاق السيوف واسالة الدماء ، فالبيت الأول فيه دعوة الى الرفق وكرر مهلا للتأكيد ولست مع القائل بأن البيت فيه تهكم على بنى أمية بدليل أنه يختتمه بالنهى عن التحدث عما مضى وانقضى ٠٠ والنهى فى أول البيت الثانى يفيد التيئيس حتى يكف بنو العم فيزول الغم ، ويكرر مهلا فى البيت الثالث ليبعدوا عن نهش الأعراض والنداء « بنى عمنا » والأمر سيروا رويدا » كل ذلك برهان صدقه الى دعوته لترك الخصام ٠٠ وهو لا يطمع فى حبهم ولا يلومهم لأنهما سيان فى الحب والكره ، أما البيت الأخير فالشراح يشرحونه هكذا « انما جعل بغض كل طائفة منهم للأخرى نعمة من اللـه تعالى ، لأنهم مع التباغض يتفرقون وفى تفرقهم صلاح لهم وفى قرب بعضهم من بعض مضرة عليهم » أما أنا فأرى أن كل فريق له اتجاه فى البغض ، فعداوة أمية منافسة لبنى هاشم وذلك أن سيادة هاشم تأكدت على يد عبد المطلب ، وكان معاوية بن أبى سفيان يقول : ان بنى هاشم أعظمنا واحدا يعنى « عبد المطلب بن هاشم » ومنذ وفاة عبد المطلب وبنو أمية ولا سيما حرب يعملون جاهدين على منافسة أقرب الناس اليهم وهم بنو هاشم ، وكانت فرصتهم مواتية فى « حرب الفجار » فقد ظهروا فى منزلة الرياسة بنشاط حرب بن أمية وبنيه واخوته فقد كانوا المحاربين والمتكلمين عن قريش ، والداعين الى السلم

(١) الأثله = الشجرة العظيمة ٠

حفيد أبي لهب

بعد القتال الذى استمر أربع سنوات ، وعرفت كنانة جهود حرب فى تلك الحروب ، وقد حضر هذه الحرب محمد ﷺ وهو دون العشرين من عمره حين كان ينبل لأعمامه . وقد غاظ أحد أعمام النبى وهو الزبير بن عبد المطلب ما جرى من تلك الحرب وأنها تزرى بشأن قريش والبيت الحرام فدعا الى « حلف الفضول » ليمنع الظلم وليسود الأمن فى مكة وقد نجح فى دعوته .. وظهرت النبوة فى بنى هاشم فكان المجد المؤثل والسماء التى لا تطاولها سماء فالمنافسة حدثت بتلك النعمة ، والصورة المثلى فى تقرير المعنى . بنعمة الله التى حبانا الله اياها حسدتم وبغيتم فجازيناكم بغضا ببغض وعداوة بعداوة .

ولقد كان أبو طالب يفخر بعبد مناف فى الجاهلية وفى الدفاع عن ابن أخيه النبى المرسل ولكنى لم أر هاشميا يفخر بعبد مناف بعد قيام الدولة الاسلامية وحاضرتها المدينة ، وبقى بنو أمية يفخرون بعبد مناف ولا يذكرون أمية،

لأن عبد مناف يجعلهم فى مصاف بنى هاشم ، وبنو هاشم وان اعتزوا بعبد مناف فعندهم مجد مجدد فى هاشم وعبد المطلب والرسالة الا شاعرهم الفضل بن العباس فوجدناه يقول:

انما عبد مناف جوهر
زين الجوهر عبد المطلب

وعبد مناف محظوظ فقد بقى الملك فى بنيه منذ عثمان بن عفان رضى الله عنه الى سقوط خلافة بنى العباس فى مصر على يد سليم الاول سنة ٩٢٣ هـ ــ وان تنافس أبناؤه شرقا وغربا على مدى ذلك التاريخ الطويل .

وبيت الفضل :

كل له نية فى بغض صاحبه
بنعمة الله نقليكم وتقلونا

هو الذى دعانى الى ذلك الشرح الطويل . وقد يجد غيرى تفسيرا مريحا لذلك البيت الذى جاء نتيجة لأبيات الشاعر . لكن الشاعر كان له فخر آخر . هو فخره بأبى الحسن على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

يروى ابن عبد ربه فى « العقد الفريد » : قدم الوليد مكة ــ الوليد هو ابن عبد الملك وكان خليفة ــ فجعل يطوف بالبيت والفضل بن أبى لهب ــ هكذا كتب اسمه ــ يستقى من زمزم وهو يقول :

يأيها السائل عن على
تسأل عن بدر لنا بدرى
مردد فى المجد أبطحى
سائله غرته تضى

فلم ينكر عليه أحد » .

يعلن ذلك فى الوقت الذى كان فيه بنو أمية فى غاية البغضاء لعلى بن أبى طالب يلعنونه على المنابر ويحاربون من يذكره مهما دنا أو بعد ولو أنكر الوليد انشاده لأسمعه الفضل ما يكره ، ولكانت مساجلة تشفى صدور قوم مؤمنين .

وفى هذا الصدد يذكر الرواة أن ابنا لحمزة ابن عبد الله بن الزبير انتقص عليا فقال له أبوه : يابنى ، انه والله ما بنت الدنيا شيئا الا هدمه الدين وما بنى الدين شيئا فهدمته الدنيا ، أما ترى عليا وما يظهر بعض الناس من بغضه ولعنه على المنابر ، فكأنما والله يأخذون بناصيته رفعا الى السماء ، وما ترى بنى مروان وما يندبون به موتاهم من المدح بين الناس فكأنما يكشفون عن الجيف .

فعلى عند الفضل وعند جميع العرب بدر منير وبدرى كان فارس غزوة بدر ، وأبطحى من مواليد بطحاء مكة وهى فخر « كعب بن لؤى » سكان البطحاء .. وعلى عندهم ولده هاشم مرتين مرة من أمه « فاطمة بنت أسد بن هاشم » ومرة من أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم ، وبذلك فخر « النفس الزكية » على المنصور سنة ١٤٥ هـ .

وخلاصة القول أن الفضل بن العباس كان يفخر ولا ينكر فخره أحد الا أن الشعراءكانوا يغمزونه بما سجله القرآن على جده وجدته فى سورة المسد . ولكن هذا لم ينزل من قدره ، وانما صور مآل من عادوا الله ورسوله وقد توفى سنة ٩٥ هـ ــ ٧١٤ م

رحم الله الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب فلقد كان سياسيا وشاعرا من الشيعة فى الدهر الأول .

السيد حسن قرون

مفاتيح من المفاتيح

للأستاذ أحمد عبد الله باجور

يتداول بعض المسلمين كتاب (مفاتيح من المفاتيح) طبع مطابع الدجوى وهو كتاب يقـوم بتوزيعـه بعض المواطنين هدية ٠

جمع بين دفتيه الكثير من الآيـات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والكثير من أقوال السلف ، وأهل التصوف ٠

والقارىء يجد فى الكتاب الكثير مما خرج عن المنهج الاسلامى المطلوب كما جاء فى كتـاب ربنا ، ووضحه رسولنا ـ صلى الله عليـه وسلم ـ ٠

ويمكننا أن نلخص بعض ما جاء فى الكتـاب على الوجه الآتى

(أ) بالنسبة للآيات القرآنية :

خرج الكتاب فى بعضها عن الهدف الأسمى الذى من أجله أنزل القرآن الكريم الذى هو كتاب الله حيث أعطى عدة آيات عنوانا : آيات الحرب ٠٠ وكان ينبغى عدم التسرع فى اختيار عنوان بهذه الطريقة ، فان فيهـا شيئا من الخروج ٠

(ب) بالنسبة للسنة النبوية :

حشد جامعا الكتاب الكثير من الأحـاديث النبوية الشريفة بعضها من الصحاح والحسان وفيها الكثير من أحاديث الديلمى (١) وغـيره مما يحتاج الى مراجعة ودقة حتى يتضـح للقارىء درجة الحديث ، وأكثر الأحاديث فى

(١) بالنسبة لاحاديث الديلمى ، راجـع كتـاب الفتاوى الحديثية لابن الصلاح

الكتاب غير معزوة الى مصدر أصلا ، وبعضها معزو الى كتب ليست من كتب السنة ، وهذا أمر يحتاج الى نظر ودقة بالنسبة للأحاديث النبوية التى تعتبر المصدر الثانى بعد القرآن الكريم ، ومما يدل على عدم الدقة فى الكتاب وخلط الحديث بغيره ماجاء فى ص ٦١ سطر ٩ .

تحت عنوان صلاة الاستخارة قال : ومن الثابت قولهم : « لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار » ولا نعرف ما المراد من قوله «ومن الثابت قولهم ... ألخ » مع العلم بأن هذا الحديث رواه الطبرانى فى الصغير ومن طريقه القضاعى من حديث عبد القدوس بن حبيب عن الحسن عن أنس مرفوعا .

وقال : بعد ذكر عدد من الأحاديث وفى الباب : عن أنس ، وجابر ، وابن عباس وعلى ويتأكد بعضها ببعض .. أ هـ .

المقاصد الحسنة للسخاوى ص ٣٦٦ رقم ٩٥٤ و ص ٢٢٢ حديث رقم ٥٠٨ ، ولا أريد الاطالة على القارىء الكريم .

(ج) فى الكتاب الكثير من السجع الذى قد يتناوله .

وقد نهى رسول الله ﷺ (١) ، ولو جاء هذا الكلام الذى يقصد منه جامعا الكتاب تعظيم الله وتمجيده غير مسجوع لكان أولى وأفضل .

(د) أورد جامعا الكتاب الكثير من أقوال السلف والصوفية ، وهى تحتاج الى تمحيص ودقة نظر وبعد فهم ، وتحتاج الى وقفات عند قراءتها لما فيها من مخالفات ، وقد يغيب فهم الكثير منها على كثير من الناس ، وقد تحدث لبعض القراء حيرة فى تفكيرهم واضطرابا فى النظرة الى دينهم .

ولذلك أرى أن الكتاب كان فى حاجة الى مراجعة علمية دقيقة فان منهجه ــ من الاسلام ــ محدود .

والله أعلم .

احمد عبد الله باجور

---

(١) راجع صحيح مسلم ج ٣ ص ١٣١١ طبعة الحلبى

أنباء وآراء

الدين الاسلامى مادة أساسية

فى مدارس المانيا الغربية

قررت بعض الولايات الالمانية جعل مادة الدين الاسلامى أساسية بمدارسها ، وذلك بعد ازدياد عدد الطلاب المسلمين بالمدارس الألمانية .

وبدأت ولاية هامبورج فى استقدام عدد من مدرسى الدين الاسلامى من تركيا ، فقد بلغ عدد الطلبة المسلمين من أصل تركى خمسين ومائة ألف طالب ، وبلغ العدد الاجمالى للطلبة المسلمين من جنسيات مختلفة فى ألمانيا سبعمائة ألف طالب .

بنك اسلامى فى أمريكا

تتم الآن الخطوات التنفيذية للاعلان عن انشاء أول بنك اسلامى فى الولايات المتحدة الامريكية .

أعلن الدكتور جاك برزنجى أحد مؤسسى البنك . أن العقبة التى واجهت اقامة مؤسسة مالية اسلامية فى أمريكا كانت عدم فهم الحكومة الامريكية لمبادىء العقيدة الاسلامية التى تمنع التعامل بالربا « الفائدة » .

يدير البنك الجديد مجلس ادارة يتكون من خمسة أشخاص من بينهم خبيران أمريكيان تعينهما الحكومة الأمريكية الفيدرالية لمراقبة عمليات البنك .

يتوقع خبراء الاقتصاد الاسلامى أن ينجح المشروع فى فتح المجال أمام توسع البنوك الاسلامية داخل السوق المالية الامريكية فسيكون بامكان البنك فتح الحسابات وقبول ودائع المسلمين الأمريكيين الذين لا يريدون ايداع أموالهم فى المصارف التجارية العادية التى تتعامل بالربا .

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح
محمد صلاح الدين حيدر
عز العرب عبد الوهاب جرد

اختفاء الجرائم بعد تطبيق الشريعة

فى باكستان

أعلن الشيخ محمد عبد القادر أذاد رئيس مجلس علماء باكستان : أن تطبيق الشريعة الاسلامية فىباكستان حول المجتمع من الفوضى الى النظام ، ومن الفقر الى الغنى ، ومن الجريمة الى الاعتدال ٠

وقال : ان تطبيق الشريعة الاسلامية جاء بنتائج طيبة انعكست بصورة مباشرة على الوضع الاجتماعى العام والحالة الاقتصادية للبلاد٠ واضاف يقول : ان معدل الجريمة شهد انخفاضا كبيرا خلال السنوات الست الماضية التى شهدت تطبيق الشريعة الاسلامية حيث اختفت جرائم السرقة والزنا التى كانت تزعزع الاستقرار ٠

٢٠٠ مصرف اسلامى فى الهند

أعلن فضيل أحمد القاسمى مدير جمعية علماء الهند أنعدد المصارف الاسلامية ٠ وصل الى مائتى مصرف اسلامى موزعة فى أنحاء الهند ٠

وأضافمدير جمعية العلماء يقول : أنالبنك الاسلامى الذى يجمع هذه المصارف قام خلال عام واحد باعطاء سلف للمواطنين المسلمين بلغت أربعين مليون روبية هندية ، وبلغ عدد المستفيدين ستة وثمانين ألف شخص ٠

وقال : ان البنك قام ببناء المستشفى المدنى للعيون بمدينة (ديويند) وبلغت تكاليف أنشائه مليونا وخمسين ألف روبية هندية ٠

ويقول مدير جمعية علماء الهند : ان بداية انشاء المصرف الاسلامى فى الهند كانت فى ١١ سبتمبر سنه ١٩٦١ حيث قام بتأسيسه الشيخ أسعد المدنى رئيس جمعية علماء الهند ، ورأس مال البنك يلغ فى البداية تسعمائة روبية هندية فقط ٠

وأهداف البنك هى بناء مجتمع أسلامى سليم من شوائب الربا المحرمة ، ومسح دموع المسلمين المنكوبين والمحرومين عن طريق تسليفهم قروضا غير ربوية ، وتعويد المسمين توفير المال وصدهم عن التبذير، وانشاء أقسام الدراسات الفنية الدينية لتدريب الجيل المسلم الجديد فى المجالات الفنية الحديثة ، وتهيئة الفرص العديدة للعمل الجاد والحياة الفضلى• والبنك يعتمد فى مشروعاته الاجتماعية على التبرعات المادية من المسلمين القادرين ٠

الكويت تمنع اللحوم غير المذبوحة شرعا

أصدرت بلدية الكويت قرارا بحظر استيراد اللحوم والدواجن غير المذبوحة على الطريقة الاسلامية يسمح فقط باستيراد اللحوم والدواجن المزودة بشهادة رسمية من المراكز الاسلامية الموجودة فى الدول الاجنبية والمعتمدة فى بلدية الكويت وأى لحوم غير مزودة بهذه الشهادة تعتبر غير صالحة للاستهلاك ٠

الغاء تراخيص الخمارات فى المحلة الكبرى

أصدر المجلس المحلى لمدينة المحلة الكبرى قرارا بالغاء تراخيص جميع الخمارات والحانات التى تقدم فيها الخمور وكذلك (الغرز) والمقاهى التى يثبت أنها تقدم المخدرات ٠

اعتمد المجلس المحلى لمحافظة الغربية قرار مجلس مدينة المحلة الكبرى وتدور الآن مناقشة بين أعضاء المجلس المحلى للمحافظة لتعميم هذا القرار على جميع مدن الغربية ٠

مشروع قانون بمنع الخمر يناقشه مجلس الشعب

أحيل الى لجنة الاقتراحات والشكاوى بمجلس الشعب اقتراح بمشروع قانون يمنع الخمر ويوجب اقامة حد الشراب ٠ لدراسته فى بداية الدورة البرلمانية ٠ يقع المشروع فى تسع عشرة مادة ويقضى بأنه يمنع شرب الخمر ويحرم تعاطيها وحيازتها واحرازها وصنعها وانتاجها وجلبها واستيرادها وتصديرها والاتجار فيها واعطاؤها واهداؤها وترويجها ونقلها والدعوة اليها والاعلان عنها ٠ وأن كل مسكر خمر سواء أسكر قليله أو كثيره وسواء كان خالصا أم مخلوطا ٠

الدين مادة أساسية بكل المراحل

طالبت لجنة التعليم بالحزب الوطنى فى

اجتماعها برياسة الدكتور أحمد سلامة نائب رئيس جامعة عين شمس بضرورة الاهتمـام بالتربية الاسلامية فى جميع مراحل التعليم ، وادخال مادة الدين وحفظ القرآن الكريم كمادة أساسية بحيث يتم حفظ جزء كامل من القرآن الكريم فى كل سنة دراسية ٠

التشريع الاسلامى على مائـــدة

وزراء العدل العرب

أوصى وزراء العدل بالدول العربية خلال اجتماعهم الأخير بضرورة تشجيع الدراسات والبحوث المتعلقة بالشريعة والقانون والقضاء بالتعاون مع الجامعات والمعاهد والمراكـــز الاسلامية والعلمية ٠

أعلنت ذلك أمانة مجلس وزراء العدل العرب وذكرت فى بيانها أن الهدف الاساسى من ذلك هو ابراز ما يشتمل عليه التشريع الاسلامى من تكامل وخصائص ، وايجاد المناخ الملائم لتنمية العقل العربى فى مجالات التشريع والقضاء ٠

١٤ اسرة امريكية تدخل فى الاســلام

أفادت الانباء أن أربع عشرة اسرة أمريكية فى « لوس انجلوس » بولاية كاليفورنيـــا الامريكية ٠ قد اعتنقوا الاسلام جميعا وآلوا على أنفسهم أن يكونوا ركيزة للدعوة الاسلامية فى كل أرجاء الولايات المتحدة الامريكية ايمانا منهم بتعاليم هذا الدين الحق ٠

افتتاح مســجد رومـا

أعلن المركز الثقافى الاسلامى فى العاصمة الايطالية أن المسجد والمركز الاسلامى فى روما سوف يفتحان قبل نهاية العام القادم وقد أقام المركز الاسلامى احتفالا دينيا بمناسبة مرور سنة كاملة على بدء العمل فى بناء المركز ٠

كلية طب الاسكندرية تمنح الماجستير لطالب

حول بحثه عــن اهميــة الوضــوء

فى ازالــة الميكروبات

* ناقشت كلية طب الاسكندرية رســالة الماجستير التى حصل بها الطالب محمد سليم على درجة الماجســتير بامتياز كمــا اختيرت الرسالة بحثــا فى جلســات المــؤتمر الطبى الأسلامى الدولى الذى سيعقد فى شهر ديسمبر المقبل بمبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة ٠

وقد أثبت البحث اختفاء الميكروبات بالكامل عند أكثر من ٤٠٪ من المصلين فى حالة القيام بالوضوء فى المواقيت المحددة للصلاة ٠

اختار الباحث مائتين من طلبة الكلية الذين تطوعوا لخدمة هذا البحث وقسمهم البــاحث الى مجموعتين : الأولى تداوم على الوضــوء لتأدية الصلاة والأخرى لا تؤدى الصلاة وقام بدراسة شكل الأنف من الخارج والداخــل وتحديد المحتوى الميكروبى فى الحالتين ٠

أنباء وآراء

وقد أظهرت نتائج البحث أن الوضوء وسيلة صحية سليمة لطهارة الأنف من الميكروبات وبالتالى حماية جسم الانسان من الامراض الميكروبية وخلو سطح الأنف الداخلى والخارجى من الدهنيات وخلو الشعيرات من الأتربة والقشور •

وقام الباحث باجراء بحث تكميلى آخر على مجموعة من المصلين لمعرفة فترة وجود الميكروبات بالانف وأخذت مسحات طبية من الأنف بعد الوضوء بساعة وبساعتين وبثلاث ساعات وبأربع ساعات فثبت أن الانف تعود الى حالتها من التلوث الميكروبى بالتدريج •

بعد أربع ساعات من الوضوء ويعتبر ذلك أقصى موعد للوضوء الثانى على الأكثر بين الصلوات الخمس •

وقد أشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور مصطفى شحاته أستاذ الأنف والدكتوره عواطف عواد أستاذ الميكروبات بجامعة الاسكندرية وتكونت لجنة المناقشة بالاضافة اليهما من الدكتور محمود البدراوى أستاذ الإنف والأذن بجامعة القاهرة والدكتور فايز الابراشى بطب الاسكندرية •

(ترميم مسجد ابى الذهب)

*** تقوم حاليا هيئة الآثار المصرية بمعالجة وترميم مسجد أبى الذهب بحى الأزهر بالقاهرة •**

ويساهم فى المشروع الذى تشرف عليه الهيئة اكثر من ٥٠٠ طالب من الجامعات والمعاهد والمدارس ويتقاضى الطالب مكافأة يومية قدرها خمسة جنيهات نظير القيام بالأعمال الفنية ودهان المشربيات الخشبية وتركيب السقالات ومن المنتظر أن تنتهى هذه الأعمال فى نهاية الشهر الحالى •

منطقة القاهرة الأزهرية تحتفل بختام الموسم الثقافى

*** أقامت منطقة القاهرة الأزهرية حفلا سنويا بمناسبة ختام الموسم الثقافى والاجتماعى والرياضى وذلك بقاعة الاحتفالات بمجمع المعاهد بمدينة نصر •**

من خير ما كتب

للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام

الاستاذ / أنيس منصور

أنا واحد من الذين تعلموا فى «كتاب القرية» .. والكتاب هو المدرسة البدائية التى تسبق المدرسة المنظمة .. وفيه تعلمنا تحسين الخطوط والحساب ، وأولا ، وقبل كل شىء : حفظ القرآن الكريم وتلاوته وأحيانا تجويده .

وعندما أقارن بين الكتاب والمدرسة الآن ، لا أجد وجها للمقارنة . فعدد تلامذة الكتاب قليلون جدا . ولا يوجد الا مدرس واحد ، وجو الكتاب غير مريح وغير صحى ولكنه قائم على الانضباط التام والتفرغ الكامل للدروس.

ولم يكن آباؤنا يقبلون أى عذر لنا اذا شكونا أن الجلسة على الأرض غيرمريحة ، أو سيدنا ، أى المدرس ـ يكلفنا بكنس الارض أو غسل الأطباق ، أو جمع الحطب من الحقول ، بل انهم يرون فيها دروسا عملية فى الطاعة والتعاون والتواضع . وتطبيقا للمثل القائل : من علمنى حرفا صرت له عبدا ـ فما بالك بالذى علمك أن تحفظ القرآن الكريم ؟!

ولابد أن الذين يحنون الى أيام الكتاب ، يتطلعون الآن بحسرة الى هذه الاعداد الهائلة فى الفصول والقاعات والمدرجات .. حيث تستحيل العلاقة بين المدرس والطالب .. وتستحيل الفائدة أيضا .

فالحياة شاقة وأكل العيش مر : مر للآباء الذين يدفعون الكثير من أجل الدروس الخصوصية ، ومر أيضا للمدرس الذى يشقى ويتعذب ليلا ونهارا فى كل مكان .. فالمرارة على ألسنة الجميع : طلبةومدرسين ومسئولين عن التعليم واصلاحه والتربية وشمولها والثقافة وعمقها ومستقبل مصر .

ولا أمل فى انقاص عدد المتعلمين ، ولا فى الزحام وتوفير المواصلات ولكن لابد أن نتعاون جميعا على تخفيف كل هذه الويلات .

من خير ما كتب

لابد أن يساعد الآباء أولادهم ، وأن تساعدهم الاذاعة والتليفزيون . فمن غير معاونة البيت لا أثر للمدرسة . ومن غير انضباط المدرسة لا فعالية للبيت . وليس من العدل أن نتهم المدرسين وحدهم ، ولا أولياء الأمور وحدهم أيضا .

فان كان لوم ، فليشمل الجميع . وان كان اصلاح ، فليساهم الجميع .. والا فلنبك على الكتاب الذى كان والذى يستحيل أن يكون ! .

السيد/نيل كينوك زعيم حزب العمل البريطانى

حتى تكسب أفريقيا الحرب ضد المجاعة مطلوب من الغرب تخفيف أعباء ديونه وفوائدها

بعد رحلة استطلاعية الى أفريقيا ، عاد نيل كينوك زعيم حزب العمال البريطانى ، الى لندن ليكتب لصحيفة الاوبزرفر المقال التالى :

يكاد كل الأوربيين العاملين فى برنامج الاغاثة العاجل لدول أفريقيا المنكوبة بالجفاف يجمعون على أن معونات الغذاء لا تكفى وحدها أبدا لحل المشكلة . فشعوب هذه الدول ــ كما قال لى أحد البريطانيين ــ تريد طعامها من الأرض وليس من السماء .

وكانت المجاعة الرهيبة التى قتلت الملايين من أبناء أفريقيا جنوب الصحراء قد بدأت منذ عشر سنوات كاملة . وكان واضحا حينذاك أن قبائل افريقيا السوداء تتجه بسرعة نحو الموت جوعا مع حيواناتها بسبب الجفاف وتصحر الارض الزراعية ومنذ ذلك الحين مات الملايين بالفعل ، وبقيت ملايين أخرى تنتظر الموت يسبب المجاعة والامراض وسوء التغذية والفقر .

والسؤال الملح الآن هو كيف نوقف هذه المأساة ؟ والاجابة الواضحة على هذا السؤال تأتى من أثيوبيا ، وكينيا ، وتنزانيا ، وهى أننا لا يمكن أن نوقف المجاعة فى المستقبل الا اذا قمنا اليوم بانفاق مزيد من الاستثمارات على انتاج الطعام .

وقد اعترفت منظمة الوحدة الافريقية خلال قمتها الاخيرة فى أديس أبابا بأن ثمة أخطاء قد تم ارتكابها فى الماضى وأن الدول الافريقية مطالبة بمضاعفة ما تنفقه على الاستثمار فى قطاع الزراعة فى الوقت الراهن وفى المستقبل، وأنه لابد من توفير الاستثمارات وتوجيهها الوجهة الصحيحة . وهذا هو لب المشكلة والحل .

وفى مناقشة مع الدكتور والتر لوسيجى مفوض اليونسكو فى مشروع الاغاثة الكينى وصف لى كيف أن عمليات حفر آبار المياه فى شمال كينيا قد حولت قبائل البدو الى الاستقرار والزراعة . وان جفاف هذه الآبار التى أقيمت دون تخطيط محكم قد حول الأرض مرة أخرى الى صحراء جرداء أو أحراش لا تجود الا بالنباتات السامة .

وتبدو مشكلة التصحر مشكلة غير قابلة للحل . ولكن الناس يقومون بجهود مستهينة لغزو هذه الصحارى وزراعتها . وفى كينيا بدأت هذه الجهود تؤتى ثمارها بالفعل وان كانت لاتزال بعد ثمارا محدودة .

والمشكلة الجوهرية فى هذا الصدد هى أن جهود غزو الصحراء تحتاج الى أموال والأموال لا تأتى الا مكبلة بشروط عديدة يضعها صندوق النقد الدولى • وهذه الشروط هى الآن المعوق الأساسى لجهود غزو الصحراء ومحاربة المجاعة فى أفريقيا • ان برنامج المعونات والقروض الذى ينفذه صندوق النقد الدولى فى العالم الثالث يبدو كأنه مكبل بقيود حديدية صارمة تفقده الكثير من جدواه • فطبقا للشروط التى يضعها الصندوق يتعين على الفقراء أن يفقروا أنفسهم أكثر عن طريق خفض الانفاق وخفض قيمة عملتهم حتى يثق الاغنياء فى قدرتهم على رد ما يأخذونه من قروض •

أى أنه يتعين على الحفاة أن يقفوا على أطراف أحذيتهم « التى لا وجود لها » حتى يمكنهم الحصول على ما يحتاجونه من قروض • ويتضح مدى غباء مثل هذا البرنامج فى بلد مثل تنزانيا • فقد تراكمت الديون ، وتوقفت المشروعات الجديدة حتى تستجيب الحكومة التنزانية لشروط صندوق النقد الدولى • والى أن يتم استئناف حصول تنزانيا على القروض والمعونات ستظل عاجزة عن تحديث أساليب انتاج الغذاء • ولن تستطيع تنزانيا أن تطعم شعبها وتزرع محاصيل للتصدير الا اذا تمكنت من تحديث أساليب الانتاج • وبدون زراعة محاصيل التصدير لن تتمكن تنزانيا من توفير العملات الصعبة اللازمة لدفع فوائد ديونها القديمة والخروج من القائمة السوداء التى أعدها صندوق النقد الدولى للبلدان العاجزة عن السداد •

وهكذا تدور تنزانيا فى دائرة مفرغة سببها شروط صندوق النقد الدولى •

والنتائج واضحة دون لبس حيث توقفت مشروعات تنزانية عديدة بسبب نقص التمويل ، وبعض هذه المشروعات لا صلة له بالزراعة ولكن توقفه — على أية حال — يرجع الى شروط صندوق النقد الدولى وهى شروط يضعها الصندوق لحساب الاغنياء وضد مصلحة الفقراء •

والحقيقة أن الصندوق بهذا الشكل يتصرف طبقا لمعادلة خاطئة من أساسها لأن انتعاش اقتصاديات الفقراء ضرورى لاستمرار تقدم الاغنياء •

لقد قال لى الرئيس التنزانى جوليوس نيريرى ان بلاده تطلب المعونات من أجل تحديث قطاراتها • بينما مصانع القطارات فى بريطانيا تغلق أبوابها ، وتحتاج الى مدرسين بينما يعانى الخريجون فى بريطانيا من البطالة ، ويريد شعبها الدواء ، بينما عمال صناعة الأدوية فى بريطانيا يضربون عن العمل •

واستطرد نيريرى قائلا انه حقيقة لا يفهم لماذا تدفع بريطانيا أجور أناس لا يصنعون الأشياء التى تحتاج اليها أفريقيا •

والحقيقة الواضحة أن البطالة فى البلدان المتقدمة مرتبطة بتراكم الديون والمجاعة فى البلدان الفقيرة • وأن معونات التنمية يجب

من خير ما كتب

أن تكون التزاما أخلاقيا من دول الشمال الغنى تجاه دول الجنوب الفقير لأنها ضرورية لحياة الطرفين معا .

فالشمال والجنوب يمكنهما الانتعاش معا ولكن كل منهما سيكون عرضة للتدهور اذا عاش بمعزل عن الآخر .

وفى بريطانيا على سبيل المثال انخفضت نسبة معونات التنمية التى تقدمها لدول العالم الثالث لتصبح ٣٣ من مائة فى المائة من دخلها القومى بعد أن كانت قد وصلت قبل ست سنوات فقط الى ٥٢ من مائة فى المائة .

والمطلوب من بريطانيا أن تخفف عبء الديون وفوائدها المتراكمة عن كاهل أفريقيا .. وما هو مطلوب من بريطانيا مطلوب أيضا من كل الدول المتقدمة ومن كل مؤسسات الاقراض العالمية وعلى رأسها صندوق النقد الدولى .

والمطلوب من بريطانيا كمثال أيضا أن تعمل على زيادة معونات التنمية التى تقدمها لدول العالم الثالث لتصبح ٧ من مائة فى المائة عن دخلها القومى تنفيذا لتوصية لجنة برانت الشهيرة فى هذا الصدد .

ان انفاق مائة مليار دولار على معونات التنمية فى عشر سنوات سيؤدى الى زيادة الدخل القومى للدول النامية على منتجات الدول المتقدمة أو معناه أيضا زيادة فرص العمل أمام المتعطلين فى الدول المتقدمة والقضاء بالتالى على ماتعانيه من بطالة خانقة . وهذه المائة مليار دولار لا تساوى سوى عشر ماينفقه العالم على التسلح فى عام واحد .

ان أجراس الخطر تدق للجميع « فلو استمرت معونات التنمية فى السنوات الخمس القادمة على حالها الراهن من حيث الحجم والشروط والتوجيه فلن تتوقف المعاناة فى الجنوب والشمال على السواء بل قد تزيد الى حدود لا يمكن أن يتحملها الجميع » .

عبد الفتاح السيد عبد السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى السادة راغبى الاشتراكات فى

مجلة الأزهر

* تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات على العنوان التالى :

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة .

وفيمايلى قيمة الاشتراكات :

* جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك سنويا

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى

بالبريد الجوى

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها .

* باقى دول العالم

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

فهرس العدد

◄

الموضـــــوع	الصـــفحة

الشـــعر والشـــعراء

العلـــوم الكونيـــــة

اللغة والأدب والنقـــــد

Mourning shows how the Prophet (prayers and peace upon him) was deeply concerned in his call and how he is grievous and sorry for those who are overburdened and do not believe in the statements of Heaven and the words of Allah. Mourning accompanied the Prophet (prayers and peace be upon him) because he was sent as mercy for all humans. He was careful to call and expound, and was anxious more about those who remained to oppose the call to Allah and achieve the mercy. No one endured sufferings and agonies as the Prophet did. Allah relieved and eased his soul as the Holy Quran stated:

> " Is he, the evil of those deeds is made fairseeming unto him so that he deemth it good (other than Satan's dupe) Allah verily sendeth whom He will astray and guideth whom He will, so let not they soul expire in sighings for them Lo ! Allah is Aware of what they do".

(Surat The Angels or The Creator XXXV, 8)

Callers for Islam are in need of mourning in deep concern about those who go astray by guiding them and illuminating their path.

To Be Continued

within thyself humbly and with owe below thy breath at morn and evening and be thou not of the neglectful."

(Surat, The Heights, VII, 205)

Remembering Allah keeps man in contact with his Cherisher and safeguards him against all evils and loneliness. It prevents depression and man's inner fears.

Confidence in Allah's support and care comes as a result of deep faith in His power, His finality of will and His control of all creation. Owing to this confidence, Allah has executed His promise and has given victory to His Servant (Mohammad) and He has defeated the hosts of infidels. Confidence in Allah makes man indifferent to what people may plot against him because man knows well that the will of Allah is powerful and Allah will provide him with support and truimph.

The Prophet was so confident of his Lord's aid that he said to his companion Abu-Bakre when they were in the cave on their way to Al-Madinah during Hijrah what the Holy Quran reported:

"Grieve not ! Allah is with us, then Allah caused His peace of reassurance to descend upon him and supported him with hosts Ye cannot see, and made the word of those who disbelieved the undermost, while Allah's word it was that became the suppermost, Allah is Mighty Wise."

(Surat, The Repentance IX, 40).

inviting distinctions were offered him to give up his call for Allah, but he refused and insisted on keeping on his struggle to make people convict and adhere to Islam, to the worship of Allah. He exerted all his efforts by performing all kinds of worships and sacrifices to satisfy that purspose to obey the cherisher and to beg His pardon and countenance. With this unique love for Allah the Prophet Mohammad has been ordained the final success and perpetual truimph.

All believers have to follow the example and the morals, to express their deep love and devotion to Allah, by honest genuine obedience and the struggle for that cause.

Longing for meeting Allah with content of soul is a demand of great importance. It roots from our profound love to the Creator. Longing for Allah and seeking His pleasure , mercy , and bounty are the yearning desire of a true believer. In the hereafter, the challenge of judgement is beyond man's ability. It is the Divine pardon that ultimately crowns all others matters, if it is earned. If man knows what awaits him in the hereafter he will vie for pardon, and for forgiveness from Allah and long for eternal guidance.

Remembering Allah includes frequent glorification,celebrating His praise in commemoration, performing prayers and reciting the Holy Quran. The Prophet (prayers and peace be upon him) guided Muslims to practice all sorts of remembering Allah in all activities in life and at all times of day and night, and to perform their worldly duties with sincere devotion to attain supreme success.The Holy Quran states:

" And do thou (O Mohammad) remember the Lord

Thought distinguishes man above all creations and leads him to knowledge and mental inertia which guide him to belief in Allah and the use of his mental faculties. The Quranic verses praised highly those who understand and think highly in the creation of the Almighty Allah. The Quran stated:

> "Behold! in the creation of the heaven and
> the earth, and (in) the alteration of night
> and day are indeed signs (of His sovereignty)
> from men of understanding. Men who celebrate
> the praises of Allah standing, sitting and
> reclining and consider the creation of the
> heavens and the earth (and say) Our Lord!
> Thou createdst not this in vain, glory be to
> Thee ! Preserve us from the doom of fire."

(Surat Al-Imran, III, 190-191).

The Prophet (prayers and peace be upon him) used to meditate and think of the truth. His long meditation and thought led him to the source of the true faith. This basic fundamental is that there is no deity save Allah who created the whole universe and who will reward mankind on the day of resurrection.

Love is an original and essential neccessity the real faith in Allah. The Prophet (prayers and peace be upon him) loved Allah with all the noble and supreme meanings of love. He devoted his body and soul for the sake of serving Allah and His call. He proved his love in an outstanding and admirable manner. Wealth, high rank,/majesty and all

Knowledge brings man closer to the Almighty Allah and imposes upon him sincere worship. In Islam, knowledge is an attribute of Allah and in an Islamic atmosphere it means reading, uttering and remembering Allah's attributes. It is part of the object of the divine Message. The mission of the Prophet of Allah as defined by the Quran is education and purification.

Allah says in the Holy Quran what means:

> " Our Lord! and raise up in their midst
> a messenger from among them who shall rehearse
> thy signs and teach thy revelation, and shall
> instruct them in the scripture and in wisdom
> and shall sanctify them. For thou, only Thou,
> art the exalted, the wise."

(Surat Al-Baqara II, 129)

The knowledge suggested by the Quran and Sunnah is knowledge in all aspects, and of everything beneficial in the physical and metaphysical worlds and in the sphere of faith and morals. Therefore, knowledge is the Muslim's capital. It is the source of all human understanding and progress. It is the origin of true faith.No one knows Allah as the Prophet (prayers and peace be upon him) did, he was the closest creature to Allah and the most fearful of Him and this was the most profitable capital.

MANNERISMS OF ISLAM

Part 1

BY: NASR ELDIEN ABDEL-FATTAH SHOLKAMY

Praise be to Allah and prayers and peace be upon the Imam of the pious our Prophet Mohammad and upon his Kins, Companions,Followers and Callers for his message till the day of judgement.

Islamic ideology and mennerisms at their climax are rooted to certain attributes which are the fruits of the true understanding of Islamic concepts and ideals.These mannerisms are essentially learned from the conduct and teachings of the Prophet (prayers and peace be upon him).

These mannerisms indicate that knowledge is the Muslim's capital; thought is the source of his belief; Love is his way and rule; longing is his vehicle; Remembering Allah is the companion in life; Confidence is his treasure; Mourning is his mental state.

These short eloquent statements provide the overall description of the way of life of a true Muslim. They indicate the fundamental elements of true Islamic thought and true understanding.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty
7th., Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition.
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah.
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot.
Mouassasa Al-Risalah.
Beirut, 1981.

Rudwan meaning the "Fealty of God's good pleasure" was a wonderful demonstration of moral and material strength, a true victory as ordained by Allah in the words of the Holy Quran.

> "God's good pleasure was on the beleivers when they swore fealty to thee under the tree; He knew what was in their hearts, and He sent down tranquility to them, and He rewarded them a speedy victory".

(Surat Al Fat-h, XLVIII , 18)

Prayers and peace be upon our magnanemous Prophet.

References:

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981.
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library. Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah.
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library-Cairo Printed 1980.

his companions to proclaim fealty and acquiescence. to confront the enemy with no retreat. All the Muslims present proclaimed fealty except one man Al-Gad Ibn Qais. This proclamation of fealty is known as the fealty of Al-Rudwan under the tree. Koraysh became highly concerned about this fealty, and sent fifty men commanded by Mikrez Ibn Hafs to approach the Muslim camp and chance any advantage. They were all taken prisoners by Muslims headed by Mohamad Ibn Maslamah. News then reached the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that Osman Ibn Affan was not killed but was certainly alive.

The leaders of Koraysh deputised Suhayl Ibn Amre to negotiate suspension of hostilities with Muslims, with instructions that Muslims do not enter Macca the particular year. When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) saw Suhayl , he announced to his companions that Koraysh would not send that man except to discuss peace terms. The conclusions of the peace discussions stipulated several important terms between the Muslims and Koraysh. This treaty is known as the Truce of Al-Hadaibiah. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was unwilling to give Koraysh any pretended excuse for violence in the sacred land or during the sacred months. On the other hand, Koraysh had learnt through six long years of bitter experience that their pomp and power were crumbling, and that Islam was growing solid and strong with its moral values and spiritual forces; highly reflected in its potency of organisation and resistance that was inherent in its leadership and infrastructure . The great willing enthusiasm with which the Muslims entered the covenant of fealty in great multitudes united in their devotion to their faith and their great leader; was evidence of the reverence of Prophethood, and the great powers he (prayers and peace from Allah upon him) commanded even in a worldly sence.

The covenant of fealty known in Islamic literature as Baiat Al-

adamant and genuinely faithful in their obediance and protection of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The Muslims had offered a wise plan that Koraysh should accept.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) sent Girash Ibn Umaiah Al-Khuzaay to Koraysh riding a camel. Koraysh killed the camel and tried to kill the man, but he managed to escape back to the Muslims. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) summoned Omar Ibn Al-Khattab to send him as his envoy to Koraysh. Omar answered that he had no one of his clan in Macca to offer his protection, and that Koraysh carried for him an intense hatred; a matter opposing his qualifying to be the appropriate delegate. However, Osman Ibn Affan had Kinsmen in Macca, was highly respected and emotionally accepted by Koraysh was certainly more qualified as a delegate. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) accept the logic reasoning of Omar Ibn Al-Khatab; and sent Osman Ibn Affan to the leaders of Koraysh to inform them that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his companions were not out for war, but came to visit the Kaba in Umra and to show respect and high reverence to the sacredness of the Holy shrine of Kaba. When Osman Ibn Affan entered Macca he was met by Abban Ibn Said Ibn Al-Aas who offered his safeguard and protection till he delivered the message he carried to the leaders of Koraysh. They would allow him to make Tawaf around the Kaba (circumrotate) if he so wished. Osman Ibn Affan refused to make Tawaf before the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) did. Koraysh imprisoned Osman Ibn Affan, and the news reached the Muslims that Osman Ibn Affan was killed on the hands of Koraysh. At this stage, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) declared that they would not depart till they challenge and confront Koraysh in combat.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him)called upon

the arrow in the channel of water. This made the well give affluent flow. The man who stuck the arrow was Najaiah Ibn Jundab the cattle driver.

After the Muslims settled down at the location, a man from Khuzaah named Budayle Ibn Warkaa with few others came to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) , and inquired about his real purpose and intentions.

The answer was that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) came to visit the Holy Kaba by performing Umra in deep respect and reverence to the sacredness of the place. The Muslims were not out for battle, and Koraysh should not interfere between the Muslims and the rest of the Arabs. If the Arabs defeat the Muslims, Koraysh will serve its ends, and if the Muslims are victorious, Koraysh may acclaim Islam or fight the Muslims if they so choose from a position of strength. When these statements reached the heads of Koraysh, they swore that the Muslims will not be allowed into Macca under any condition. They further sent Mikraz Ibn Hifs Ibn Al-Akhiaf, followed by Hulays Ibn Alqama, and both men returned to Koraysh with the same words previously reported. Then they sent Urwah Ibn Massoud Al-Thaqafy who told the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that Koraysh was all out in arms utterly refusing to allow Muslims to enter Macca for any purpose even to perform Umra; and that the group of old grey haired companions would not stand a battle with Koraysh. Few words of reproach and hostility were exchanged between Urwa and Abu Bakre Al-Sidiq; and Al-Mughira Ibn Shuba hit the hand of Urwa several times as the latter touched the beard of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) during their conversation. Urwa Ibn Massoud finally returned to Koraysh and informed that they must debate the matter, for the Muslims were unyielding in their intentions, and were sincerely

ded to go out to Macca to perform Umra by visiting the Holy Kaba and pay tribute to its sacredness; and was not going out for battle. By Arab custom and traditions at the time, every Arab was entitled to visit the sacred Kaba unarmed, and fighting of any kind was prohibited during the sarcred months which included the month of Zu-Al-Qida. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) announced his intentions and summoned Muslims at Al-Madinah and the Arab clans around fearing that Kuraysh would confront him in battle or prevent him from visiting the Kaba. He marched out from Al-Madinah followed by fifteen hundred Muslims and some Arabs. He dressed for Umra, and drove with him the cattle for sacrifice (Al-Hadii) to make people know the reality of his intentions. He appointed Numailah Ibn Abdullah Al-Laithy to minister Al-Madinah . The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) took his wife Um Salamah to accompany him. He ordered that no weapons should be carried except swords in their sheaths.He sent Bishre Ibn Sufian Al-Kabi ahead of him to obtain information on Koraysh.

The expedition marched out south to reach Ussafan on the road to Macca where Bishre Ibn Sufian met them. He addressed the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with the information that Koraysh was gathered and rallied to prevent by force if necessary the entrance into Macca and the performance of Umra of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his companions. After much consultation and deliberation, the final decision was to proceed forward. A man from Bani Aslam lead them through another way other than the usual , an isolated rough track through the valleys till they reached the far side of Al-Hudaibiah, where they finally settled on an expance of land. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) instructed his companious to ask mercy and forgiveness from Allah. The well at which they settled had little water, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him)took one of his arrows and asked his companions to stick

THE FEALTY OF AL-RUDWAN

BY:- DR. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D. PhD.

In the Name of Allah Most Gracious Most Compassionate.

Six years have elapsed since the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the early pioneers of the Muhagereen left their homeland in Macca and made Hijrah to Al-Madinah. During those years the Muslims were bitterly engaged in a perpetual continuous struggle and armed combat with Koraysh, the Jews, the Confedrates and many Arab tribes. During that time, they also sustained an active progress of self education, discipline, society structure and spiritual elevation. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him)was the master, the instructor, the messenger of Allah; ordained to establish the word of Allah as supreme and highest. The Holy Quran and the Honourable tradition were the source of reference. By the end of six years, came the beginning of a new era in the life of the Muslims at Al-Madinah. This was the era of the manifestations of dominance and primacy.This era started with the consequences of the events that took place at Al-Hudaibiah.

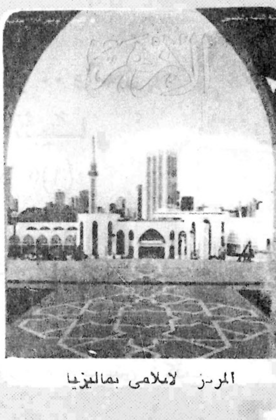
In the month of Zu Al-Qida of the sixth year after Hijrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) declared that he deci-

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



المركز الإسلامي بماليزيا

بسم الله الرحمن الرحيم

حتى يتم للفكر سداده

من توجيه المولى ـ سبحانه ـ اذا أردنا لأنفسنا تفكيرا سديدا لا ينخسه الفساد ، ولا يعدل بالفكر الى اضطراب ، عظته سبحانه :

« قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ :
أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا » .

وكانت الآية الكريمة ـ ومازالت ـ تحثنا على النأى بالفكر عن « الجماعة » حتى نخلص الى تفكير سديد ، يصحبه برهان مستقيم ، ينتهى الى نتيجة فاصلة لازيغ فيها ولا بطلان .

من أجل ذلك :

نستصحب الكتاب العزيز لنرى ـ فى ضوئه المناعة من الضلال والحصانة من الزلل .

الجزء الثانى * السنة الثامنة والخمسون
* صفر ١٤٠٦ هجرية * ١٩٨٥ ميلادية *
* أكتوبر / نوفمبر

حتى يتم للفكر سداده

وحسبنا – لهذه القضية – مراجعة واعية لمادتى : « كثير » و « أكثر الناس » بهذا القرآن العظيم ، لنعلم اذا أردنا فكرا واعيا لماذا نصون الفكر عن « الجماعة » ونلتزم فيه بأنفسنا فقط ، فان زدنا فمع « الأمين المختص » .

قال تعالى : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » .

هنا يعطينا هذا الكنز الخالد احصاء للصفات الغالبة على أكثر الناس ، فاذا مضينا الى تصنيفها حظينا بخلاصة كفيلة – باذن الله – أن تقودنا الى رشاد لا نضل بعده أبدا ، اذ العطاء هنا من خالق الانسان وصانعه ، العليم بمدى مقدوراته ، وما خفى من تكوينه ، البصير بمعارج تفكيره اذا سما ، وبمدارك انحرافه اذا هوى . « وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » فاطر ١٤ .

فأما « الكثير » فيقول عنه العزيز الحكيم :

«وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ » المائدة ٦٦ .

وأما «أكثر الناس » فعنهم يقول – جل شأنه :

« .. بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ » الأنبياء ٢٤ .

« .. وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ » المؤمنون ٧٠ .

« وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ » (١) الأنعام ١١٦ .

وبعد :

فما أجل عظة الله – سبحانه ، وما أعظم سدادها للفكر .. والعمل .

« وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا. وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا »(١).

د. على أحمد الخطيب

---

(١) خرص – بابه نصر خرص الشىء : حزره وقدره بالظن ، ويأتى اللازم منه بمعنى : كذب .
(١) النساء ٦٦ – ٦٨ .

مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر

هذا يوم النصر

بيان من فضيلة الإمام الأكبر عن العدوان

هذا يوم النصر

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

صدق الله ربنا اذ قال :

« إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ » ..

وهذا جيش مصر وشعب مصر نادوا فى مثل هذا اليوم من عام ١٩٧٣ (الله أكبر) فكان الله معهم بالنصر والتأييد ، فانسابت المياه بين أيديهم ، وتحت زوارقهم سلاحا هادرا ، يمهد الأرض ، ويثبت منهم الأقدام ، فكان الاقدام من جيش مصر وشعب عزم على تطهير الأرض وحماية العرض .

كان الاقدام من شعب وجيش تمثل نصر الله لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم بدر وهم فى قلة من العدد والعدد وكان نصر الله لهم بأسلحة أخرى أمضى من السيوف : **« إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ » ..**

لقد من الله على مصر ـ فى مثل هذا اليوم ـ فقد ربط على قلوب المقاتلين فتقدموا ظاهرين ، وعبروا الهزيمة فرحين مستبشرين بنصر الله يقولون بأفواههم وقلوبهم : **« رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » ..** وكان الله معهم ، مع جيش مصر وشعب مصر ، **فثبت منهم**

القلوب والأقدام فكان الاقدام من رجال لم يهابوا الموت ،وما ناموا على ضيم : وما رضوا بالعار ، بل صبروا وصابروا وثابروا يستوعبون أسلحتهم وتدريبهم ، حتى كان النصر لهم ، وكان الله معهم : « **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** » ..

ان النصر فى هذا اليوم وما بعده نعمة من الله تذكر فنشكر طلبا لاستدامتها : « **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** » والشكر لا يكون الا بطاعة الله ، واتباع شريعته ، لا مجرد قول لا يصدقه العمل .

فى هذا اليوم أقدم كل التحية والتكريم لقواتنا المسلحة : جنودا وضباطا وقادة وللقائد الأعلى الرئيس محمد حسنى مبارك ، الذى قاد معركة الجو وحمى العبور الى النصر .

لنتوجه الى الله فى صلواتنا بالشكر . ولنعاهد ربنا وأمتنا على أن نحفظ ديننا ونعمل بشرع الله : « **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ** » ..

ولنؤمن بأن الغلاء ابتلاء . وان أضفينا عليه أسماء وأوصافا تخدع بها أنفسنا : « **إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ** » ..

علينا أن نواجه الغلاء بالانتاج والعمل والكف عن الاسراف ، وعلينا التوسط فى الأمور دون اسراف أو تقتير : « **وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** » .

« **وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** » ..

فبالشكر تدوم النعم . وبالجحود والنكران تحل النقم : « **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** » .. فابتغوا عند الله الرزق وأعبدوه واشكروا له ..

لقد حاربنا فى مثل هذا اليوم باسم الله : (الله أكبر .. فكان النصر ، فوجب أن نستديم النصر بالشكر .. وهذا يكون بطاعة الله والتزام أحكام شريعته أفرادا وجماعات فى بيوتنا ، فى أعمالنا ، فى شوارعنا .. فى كل مجالات حياتنا : « وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » ..

بيان من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن

العدوان على منظمة التحرير
فى تونس وحوادث لبنان

جاءت الأنباء بهذه الغارة الوحشية ، بل والهمجية على مقر المنظمة الفلسطينية فى تونس ، وكأن العالم قد سادته الفوضى ، وكأن هذه المنظمات الدولية لا وجود لها ، ثم وكأن العرب والمسلمين بوجه عام لا وجود لهم ، وكأنهم فقدوا مقوماتها كأمة تربو على الألف مليون ينتشرون فى أنحاء الأرض ،وكأنهم تخلوا عما عرفوا به من النجدة والشجاعة والغيرة على حماية الأرض والعرض ٠

ان الذراع الطويلة التى طوتها حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣ بل كسرتها هذه الحرب المجيدة لاسيما بعد أن التف العرب والمسلمون وشدوا من أزر مصر وجيش مصر ٠ هذه الذراع : بدأت تمتد بل وتشتد متجاوزة الحدود والسدود اذ لم تكتف بهذه المجازر والحرب التى أثارتها وأذكتها فى لبنان فاقتتل أبناؤه وصاروا وقود الحرب ضروس يذكيها هؤلاء الأعداء ، أعداء الله وأعداء الناس ، وبكل أسف يشارك فى اذكائها وفى تفريق كلمة العرب والمسلمين ، بل واشعال النار هنا وهناك قوم من العرب انحسرت من قلوبهم خصائص العرب الأصلية من الوفاء لأمتهم وأرضهم ودينهم ٠

أيها العرب ٠٠ أيها المسلمون :

ان الله سبحانه يناديكم فى القرآن فيقول : « انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) ٠٠

« فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » ٠٠

أيها العرب – أيها المسلمون :

كيف استكنتم الى الذلة ورضيتم بالهوان ..

كيف ارتضيتم أن تمتد هذه الذراع الى تونس لتضرب الفلسطينيين هناك وتطاردهم بعد أن طردتهم من أرضهم وأسروا المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ..

كيف هذا والقرآن يقول : « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ » .

هل تنتظرون من الدول الأخرى حمايتكم والثأر لكم ؟ .

لقد جربتم ما فعل هؤلاء منذ كانت مشكلة فلسطين .. فهم الذين غرسوا هذا السرطان فى قلب العرب والمسلمين ..

أيها العرب – أيها المسلمون :

لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ، نار الذلة والضياع والاستعباد والقهر فى الدنيا تلحقكم وتصيب أجيالكم ، ونار الآخرة لأنكم فرطتم فى أوطانكم ، وتفرقتم شيعا وأحزابا ، تتقاتلون ،وتتقاذفون بالتهم حتى هان أمركم على عدوكم فامتدت ذراعه تطاردكم فى أوطانكم ليست المجاورة له فحسب ، بل كانت هذه المهانة أن تضرب المنظمة الفلسطينية فى تونس العربية المسلمة .

أيها المتقاتلون فى لبنان : قفوا صفا واحدا ووجهوا أسلحتكم الى صدور عدوكم الذى هان عليه أمركم ، فتجاوزكم الى تونس يعربد فيها وينشر الخراب والقتل والدمار .

أيها المتقاتلون من ايران : انكم تقاتلون اخوتكم فى الاسلام ، وهذا عدو الاسلام والمسلمين الذى قال الله فيه : « لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا » .. أوقفوا هذه الحرب ووجهوا جهودكم وجيوشكم الى تحرير المسجد الأقصى ، الى القضاء على هذه الذراع التى تطاولت وأفسدت ، وأشاعت الحرب والدمار والقتل فى بلاد العرب والمسلمين .. أين جامعة الدول العربية ؟ أين منظمة المؤتمر الاسلامى ؟

انى أقترح دعوة هاتين المؤسستين للاجتماع فورا .. اجتماعا مشتركا لاتخاذ موقف محدد تجاه هذا العدوان ، موقف يرفع الهامة ويحفظ الكرامة ،

وينهى هذه الخلافات بين الحكومات لتقف صفا واحدا : « **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**) .

أيها العرب ـ أيها المسلمون :

قديما قيل : ما حك جلدك مثل ظفرك ، فتول أنت جميع أمرك : فلا تنتظروا أن يحميكم غيركم .

خذوا حذركم فإن فيما حدث نذير خطير .. واذا لم تتجاوزوا خلافاتكم وجمعتم شملكم تخطفتكم الأحداث وتكثرت عليكم الحوادث .

احرصوا على الموت توهب لكم الحياة .

تناصحوا وواجهوا هذا الخطر مجتمعين .

واذكروا قول القائل :

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا
واذا افترقن تكسرت آحادا

وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

وها هى الذئاب قد كشرت عن أنيابها ، فقفوا فى وجهها بكل قوة ، متحدين واستعينوا بالله وأحزموا أمركم ، وتجاوزوا المخذلين والمعوقين واحصروهم ، والله غالب على أمره واللهمعكم ولن يتركم أعمالكم :

« وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » ..

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

دراسات إسلامية

صنع الله في القلب

افتراءات المستشرقين على شخصية الرسول
صلى الله عليه وسلم

من أعلام القضاء في دولة الإسلام

الإعجاز الطبي في القرآن الكريم

صنع الله في القلب

القلب هو دعامة الجسم ، وقوام الحياة ، وعضلاته يتصل بعضها البعض فى مدمج خلوى لا تفصل بين خلاياه جدر خلوية Cellwalls كما هو معروف بين خلايا الحيوان والنبات Animal and Plantcells •

ولعل هذا التكوين الخاص للعضلة القلبية Heartmuscle قد جعلها مؤهلة تماما للعمل كوحدة واحدة asone unit يتواتر ايقاعها بقوةوانسجام،لا اراديا un volun taty والعضلة القلبية شديدة النشاط ، ، موفورة القوة ، دائمة العمل ، دائبة الحركة ، لا تكل ولا تمل ، لا تسأم ولا تهرم ، كما لا يتأثر انقباضها تأثرا بينا بالتخدير الكلى General Anaethesia وقد ثبت أن فيها نوعا من المقاومة لمرض السرطان ، ولعل النوع الوحيد الذى يحدث فى القلب ويصادفنا انما هو ذلك الورم الحادث فى الأذين الأيسر والذى يسمونه Leftatrial myxoma

وقد جعل القرآن الكريم القلب فى الواقع محورا لكثير من الأشياء مسئولا عنها منوطا بها •

قال تعالى : ــ « **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** » الحج ٢٢ / ٤٦ •

ونستنبط من الآية الشريفة أن العمى المذكور فيها ليس حقيقيا ، فليس هو عمى البصر ، انما يقصد به عمى البصيرة ، فمن كان أعمى القلب لا يعتبر ولا يتدبر ، وقد ذكر سبحانه وتعالى « الصدور » للتأكيد ونفى توهم المجاز •

قال قتادة • البصر الناظر جعل بلغة ومنفعة ، والبصر النافع فى القلب •

وقال مجاهد : لكل عين أربع أعين ، يعنى لكل انسان أربع أعين : عينان فى رأسه لدنياه ، وعينان فى قلبه لآخرته • القرطبى ١٢ /٧٧-

يقول تعالى أيضا : ــ « **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ**

للدكتور السيد الجميلى

الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ » آل عمران ٣/٧ .

والمقصود من زيغ القلوب فى هذه الآية الشريفة انما هو الجور والحيف والظلم ، فيقال : زغت عن الحق وقوله : (زاغت الأبصار) اذا عدلت وجنفت عن الحق وعن النهج يقول الامام القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن : (٤ / ١٣) ط . دار الكتب المصرية : —

« زاغ يزيغ زيغا ، اذا ترك القصد ، وهذه الآية تعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل ، وصاحب بدعة ، وان كانت الاشارة بها فى ذلك الوقت الى نصارى نجران » أهـ . بتصرف . فالقلب هو محل الزيغ ، ومناط الاستقامة ، فان فيه تجتمع الأمور بنقائضها ، ونواقضها ، والمعصوم من عصم الله تعالى .

***

قال تعالى : « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ » ق (٥٠ / ٣٧) والمقصود بالقلب فى الآية انما هو الفهم والعقل ، لأن القلب — عند القدماء — هو موضع العقل فكنى به عنه . راجع الدر المنثور للسيوطى (٦ / ١١٠) وغريب القرآن ص ٤١٩ . والقرطبى (١٧/٢٣) بتصرف .

قال الضحاك : العرب تقول ألقى فلان سمعه اذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب . مختصر ابن كثير (٣/٣٧٨) .

ويقول سفيان : « لا يكون حاضرا. وقلبه غائب » أ هـ .

قال الراغب : مرض القلب هو الرذائل الخلقية كالجهل والجبن والنفاق والبخل ، وهى تمنع من ادراك الفضائل كما يمنع المرض البدن من العمل ، وهذا المرض يمنع من كسب سعادة الآخرة .

ومرض القلب ورد فى ثلاث آيات فى القرآن الكريم هى على التوالى : —

— « إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ » الأنفال (٨/٤٩) .

— « لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا » الأحزاب (٣٣ / ٦٠) .

ـ « وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا » الأحزاب (٣٣ / ١٢) .

وفى الآيات الثلاث عطف « الذين فى قلوبهم مرض » على « المنافقون » ويدل العطف على تغير المعنى لما يقتضيه ذلك ، من ثم فان هذا المرض غير النفاق ، وقد أتى المرض على المعنى الأصلى من غير تجويز فى آية الشعراء ، أما سائر الآيات الأخرى فيأتى فيها المرض بدلالة مجازية على فساد القلب .

وقد ذكر الامام الفخر الرازى فى تفسيره الكبير (٢٥ / ٢٣١) فى تفسير الآية الثانية : ـ « وعد الله نبيه أن يخرج أعداءه من المدينة وينفيهم على يده ، اظهارا لشوكته » أهـ .

ومن يتأمل القلب على الطبيعة سواء كان قلب انسان أو قلب حيوان ثم أعمل العقل والفهم فى شىء من التفكر والتدبر .... من يتأمل ذلك يرى من عوالم الحق ، وحسن صنعه ، ودقة اتقانه فى هذا الشلو ذلك العضو الذى ينطق بالاعجاز والعظمة ، على صغر حجمه ... يرى فيه مالا يحد من طاقات « فسيولوجية » رهيبة وصبر على العمل المتصل الدائب المستمر من غير تعب أو كلل ومهما قيل فى أمر هذا القلب : (فسيولوجيا) أو (هستولوجيا) أو (باثولوجيا) فان العزم يقصر ، والبيان لا يكتمل والبلوغ لا يوفى لأنه موضوع كبير يقتضى استيعابه وضع أسفار ومجلدات شتى فى كل جزئية من جزئياته التى يتعثر فى بلوغ مراده منها كثير من المتخصصين ، وأرباب هذه الصنعة المتفرغين لها الدارسين لشتاتها .

نسأل الله سبحانه وتعالى آن يجلى بصائرنا ، وينقى قلوبنا ، وأن ينعم علينا بسحائب رحماته ، وموالاة أوليائه ، وأن يجمعنا بالصالحين فى عرصات القيامة وأن نلتقى بأحبتنا فى دار الكرامة حيث يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ، أجرا تاما غير منقوص .

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ..

د. السيد الجميلى

الهدية والرشوة

للدكتور محمد محمود شعبان

عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم : « تهادوا ان الهدية تذهب وحر الصدر ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرش شاة » رواه الترمذى والامام أحمد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ــ قال : قال **رسول الله** ﷺ : «لعن الله الراشى والمرتشى **فى** الحكم » رواه الترمذى وأحمد والحاكم

وعن ثوبان ــ رضى الله عنه ــ قال : قال **رسول الله** ﷺ « لعن الله الراشى والمرتشى **والرائش الذى يمشى بينهما** » رواه احمد .

قال فى مختار الصحاح : الهدية واحدة **الهدايا .**

يقال : أهدى له واليه : والتهادى أن يهدى **بعضهم الى بعض .**

وفى الحديث : « تهادوا تحابوا » .

وأما الهدى فهو : ما يهدى الى الحرم من النعم قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ** » المائدة

وقال تعالى : « **فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** » البقرة .

وقال فى مختار الصحاح عن الرشوة : الرشوة : بكسر الراء وضمها والجمع : رشا بكسر الراء وضمها وقد : رشاه : من باب عدا و «ارتشى » أخذ الرشوة و « استرشى » فى

الهدية والرشوة

حكم طلب الرشوة عليه و « ارشاه » أعطاه الرشوة ٠

الهدية هي : كل ما يقدمه الانسان لأخيه الانسان من طعام أو شراب أو لباس عن طيب نفس ومحبة صادقة وأخوة صافية وتعاون على البر والتقوى ٠

وهي من سنن النبيين وقد كان رسول ﷺ يقبل الهدية ويهدي لغيره ٠

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « ان رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها» البخاري أي يعطي المهدي له مثل هديته أو أكثر ٠

والهدية الى الأقارب والجيران والأصدقاء جائزة شرعا لأنها تجلب المودة والمحبة وتزيد في العلاقة الصادقة بين الناس وتذهب ما في الصدور من الحقد والحسد والغيظ ومن هنا حث عليها رسول الله ﷺ٠

فقال « تهادوا ان الهدية تذهب وحر الصدر » : وفي رواية تذهب بالسخيمة : رواه الترمذي : ووحر الصدر انما هو الغل الذي في الصدور ٠

وأما السخيمة : فهي السواد الذي يعلق بالقدر والمراد تذهب بالسواد الذي يدخل على القلب من أثر الغل والحقد ٠

والهدية تزيل الفوارق بين الناس وتجعل المهدى اليه ينظر الى المهدي نظرة احترام وتقدير واكبار واعجاب وتجعله يحافظ عليه وعلى ماله ومصالحه لأنه يعتقد بأن المهدي صاحب نفس عالية محبة للخير مؤمنة بالتعاون بين الناس وكأنه مشترك معه في ماله ٠

ولذلك قال الغزالي — رحمه الله تعالى — اذا اشتريت فاكهة فاهد لجارك منها فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا تجعل ولدك يخرج بها ليغيظ بها ولده : وليفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى ٠ ومحبة في فعل الخير ومن هنا أثنى القرآن الكريم على الأنصار — رضي الله عنهم.

فقال تعالى : **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** » سورة الحشر ٠

وينبغي الا يستقل المهدي الهدية لأن رسول الله ﷺ قال : لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرش شاه : رواه البخاري والمراد به اللحم الذي بين ظلفي الشاة وهي قطعة رقيقة جدا ٠

وعن أنس بن مالك — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ « تهادوا فان الهدية تذهب بالسخيمة ولو دعيت الى كراع لأجبت ٠ ولو أهدي الى كراع لقبلت » رواه البيهقي ٠

ولكن ليست الهدية فى كل الأحوال جائزة فقد قرر جمهور العلماء بأن الحاكم والقاضى ورئيس العمل لا يجوز له أن يقبل الهدية لأنها تجعله يفرط فى مصالح المسلمين • وربما يقضى لمن أهدى اليه مع علمه بأنه لا حق له فى دعواه أو يعطيه حقا ليس له فيكون بذلك قد ظلم فى حكمه وربما يدخل فى عداد من جار فى حكم وظلم فتحل عليه اللعنة •

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم » • رواه الترمذى وأحمد •

وقال ابن مسعود — رضى الله عنه — من شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فأهدى له فقبل فذلك السحت فقيل له ما كنا نرى السحت الا الأخذ على الحكم قال : الأخذ على الحكم كفر •

وعلى هذا ذكر العلماء بأنه لا يقبل القاضى هدية أجنبى لم يهد اليه قبل القضاء لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هدايا الأمراء غلول » رواه البخارى •

وفى رواية : « هدايا العمال غلول » رواه أحمد : وفى رواية « هدايا العمال حرام كلها » ولأن الظاهر من هذه الهدية انما هو للقضاء له فكان القاضى آكلا بالقضاء فأشبه الرشوة •

وذلك بخلاف من جرت عادته بمهاداته قبل القضاء لأن الظاهر أنه جرى على عادته حتى لو زاد على العادة أو كان له خصومة لا يقبلها ولما روى عن ابن سعد الساعدى — رضى الله عنه قال : استعمل النبى ﷺ عليه وسلم : رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية • على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدى الى •

فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانى استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول هذا لكم وهذا هدية أهديت الى أفلا جلس فى بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته ان كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء • أو بقرة لها خوار • أو شاه تيعر • ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه فقال : اللهم هل بلغت » متفق عليه •

فليحذر الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم من الحكام والرؤساء من قبول الهدايا المقنعة ممن يريدون ابطال حق أو احقاق باطل •

وليتأمل كل واحد من هؤلاء فيما فعله أبو بكر — رضى الله عنه — بعد ماقدم له عبده قدحا من لبن فشرب منه فسأله عن مصدر هذا اللبن فقال انى عملت عملا لجماعة فى الجاهلية فأعطونى اياه فما كان من أبى بكر رضى الله عنه الا أن تقايا ما شرب من لبن عملا بقول رسول الله ﷺ « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » رواه الطبرانى •

الهـدية والرشــوة

وأما الرشوة فهى : ما تدفع من مال وغيره للحاكم أو للرئيس بنية التوصل الى ابطال حق أو تحقيق باطل .

والفرق بينها وبين الهدية النية والقصد .

فالقصد من الهدية استجلاب المودة والمحبة ونزع ما فى النفوس من حقد وحسد وضغينة وغرس التعاون بين الأفراد والجماعات لاصلاح الحال وتوكيد الروابط .

أما الرشوة فالقصد منها : التوصل الى ابطال حق أو احقاق باطل وبذلك تنطبق اللعنة على من فعل هذا .

كما ورد عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش » .

ولقد انتشرت الرشوة فى عصرنا هذا ولم تفد القوانين الوضعية فى منعها وتحريمها وعدم التعامل بها .

فيا أولياء الأمور ينبغى أن تعالجوا هذا المرض الخطير الذى سرى فى الأمة حتى كاد يفتك بها وبروحها وأخلاقها ودينها .

واستمعوا الى ما رواه أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ عن رسول الله ﷺ حيث يقول : « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وأن لكل ملك حمى ألا وان حمى الله فى أرضه محارمه ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب متفق عليه .

اللهم بصرنا بأمور ديننا ودنيانا وارزقنا رزقا حلالا طيبا مباركا فيه : وابعد عنا السحت والحرام والشبهات آمين.

محمد محمود شعبان

افتراءات المستشرقين

على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

للدكتور أحمد عبد الحميد غراب

منذ عدة سنوات نشرت مجلة أرابيا ARABIA التى تصدر بالانجليزية فى لندن (عدد أكتوبر ١٩٨١) مقالا عن المستشرق البريطانى مونتجمرى وات بعنوان : « المسيحى ذو التعاطف غير العادى مع الاسلام » .

والمقال بقلم « ماليزروثفن » ، وهو كاتب ايرلندى يعمل بنشاط فى ميدان الغزو الفكرى ضد المسلمين ، عن طريق الكتابة فى عدة صحف ومجلات انجليزية .

وقد تعرضت لهذا المقال — فور نشره — بالدراسة النقدية المتصلة ، وذلك فى محاضراتى عن « المستشرقين والاسلام » لطلاب التخصص فى الدراسات الاسلامية بكلية الآداب جامعة بايرو — نيجيريا .

ورأيت اليوم أنه من الخير أن أنشر هذا البحث الموجز عن موضوع ذلك المقال ، حتى لا ينخدع جمهور القراء المسلمين عن حقيقة الاستشراق والمستشرقين .

يبدأ المقال بأن يصف المستشرق بأنه قسيس يجمع بين الالتزام بالمسيحية ، والصلة الوثيقة بالمسلمين ، والاتصاف بالموضوعية العلمية فى دراسته للاسلام . ويحاول المقال أن يظهر المستشرق على أنه « استثناء مشرف » من القاعدة العامة وهى تعصب المستشرقين ضد الاسلام .

وكان هذا المستشرق يعمل أستاذا ورئيسا لقسم الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة أدنبرة لمدة خمسة عشر عاما حتى استيداعه سنة ١٩٧٩ . **وقد قام خلال هذه الفترة بتدريس الاسلام ، دينا وتاريخا ، لعدة أجيال من الطلبة ، وكثير منهم مسلمون (عرب وباكستانيون) .**

ويدعى المقال أن من بين تلاميذه « شيخ

أزهر » (سابق) . من هو ؟ الا يذكر المقال أى اسم .

ومن الواضح أن الهدف هو التهويل من شأن المستشرق « العلامة » وأستاذيته حتى لأساتذة المسلمين ! .

ويزعم المقال أن نتائج جهود هذا المستشرق — التى لم يسبق اليها — فى دراسته لمناطق مجهولة (من التاريخ الاسلامى والسيرة) قد أصبحت لا يستغنى عنها ، فلا يستطيع أحد يريد أن يفهم التاريخ الاسلامى والدور الذى تلعبه الأفكار الدينية فى خلق البناء الاجتماعى أو تعديله أن يستغنى عن مؤلفاته .

ويذكر المقال من بين المؤلفات التى كتبها المستشرق لجمهور القراء كتابا بعنوان :

محمد — صلى الله عليه وسلم — الرسول والسياسى .

MUHAMMAD PROPHET AND STATFSMAN

واذا رجعنا الى هذا الكتاب فسيتضح لنا أن وصف المستشرق فى هذا المقال بالموضوعية العلمية ، وبالتعاطف « غير العادى » مع الاسلام — انما هو خداع متعمد للمسلمين ، قصد به اخفاء حقيقة الاستشراق وأهدافه بوجه عام ، وايهام المسلمين أن « بعض » المستشرقين — على الأقل — قد بدأوا يغيرون موقفهم ، ويشعرون بالتعاطف مع الاسلام . والحقيقة أنهم فى تعصبهم « ملة واحدة » ، وان اختلفت وسائل ودرجات هذا التعصب .

وللتدليل على هذه الحقيقة يكفى أن نقرأ من الكتاب المذكور الفصل الأخير بعنوان : « تقييم » ط. جامعة أكسفورد ١٩٦٤ ص ٢٢٩ — ٢٤٠) فنجد أن المستشرق « المتعاطف » يسأل هذا السؤال :

كيف نحكم على محمد — صلى الله عليه وسلم — ؟ أبمقاييس عصره وبلده ؟ أم بأكثر الأفكار استنارة فى الغرب اليوم؟

وفى جوابه على هذا السؤال يقرر أن أعمال محمد — صلى الله عليه وسلم — التى لا يقبلها الغرب الحديث لم تكن موضع نقد خلقى من معاصريه . فمن وجهة نظر عصره لا يمكن تأييد اتهامه بـ « الغدر » أو بـ « الشهوانية » ، لأن معاصريه لم يجدوا فيه مطعنا أخلاقيا من أى وجه .

ويشير المستشرق بـ « الغدر » الى سرية عبد الله بن جحش رضى الله عنه فى رجب من السنة الثانية للهجرة ، وأن قتال المسلمين للمشركين فيها كان انتهاكا للشهر الحرام (أى غدرا) .

وقد كفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم الرد على ما أثير بسبب هذه السرية وذلك فى قوله تعالى : « **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** » (البقرة ٢ : ٢١٧) .

ومن الواضح ان اضطهاد المشركين للمسلمين

واخراجهم من ديارهم ومن المسجد الحرام وصدهم عن سبيل الله ومحاولاتهم ردة المسلمين عن دينهم ــ كل أولئك شر من القتال فى الشهر الحرام ، لأنه فتنة « والفتنة أكبر من القتل » .

ويشير المستشرق بـ « الغدر » كذلك الى مصير بنى قريظة ، (١) وما نالهم من عقاب رادع جزاء وفاقا لنقضهم العهد ، وائتمارهم مع الكفار أثناء غزوة الاحزاب للغدر بالرسول والمسلمين وهم محاصرون بالمدينة فى موقف من أشد المواقف هولا على المؤمنين كما قال تعالى : إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا » (الأحزاب ٣٣ : ١٠ ــ ١١) .

ويشير بـ « الشهوانية » الى زواجه صلى الله عليه وسلم ــ بالسيدة زينب بنت جحش (٢) رضى الله عنها مع أنه يعترف بأن هذا الزواج قصد به التشريع لتحريم التبنى الذى كان سائدا فى الجاهلية ، كما قال تعالى : « فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا » (الأحزاب ٣٣ : ٣٧) .

ويقرر المستشرق أن محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى عصره وجيله ــ يعد مصلحا اجتماعيا ، وذلك لأنه وضع نظاما جديدا للضمان الاجتماعى (أى الزكاة) وأقام بناء جديدا للأسرة ، وكلاهما كان تقدما كبيرا عما كان عليه العرب قبل الاسلام .

بل يعد محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمقاييس عصره كذلك ــ مصلحا أخلاقيا ، وذلك لأنه ــ كما يزعم المستشرق ــ أخذ أفضل مافى أخلاق البدو وتبناها للمجتمعات المستقرة ، وبذلك وضع اطارا دينيا واجتماعيا لحياة كثير من الناس من أجناس مختلفة .

وينتهى المستشرق الى أن يصف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأنه مصلح اجتماعى وأخلاقى ، ولكن بمقاييس عصره وبيئته فقط ، أى بمقاييس العرب الوثنيين والبدو قبل الاسلام ، أى أنه مصلح اجتماعى

---

(١) للتفاصيل راجع د . محمد سعيد رمضان البوطى : فقة السيرة ط . ثامنة بيروت ١٤٠٠ / ١٩٨٠ ص ٣٠٤ وما بعدها .

(٢) ان الرد بالتفصيل على الاتهام بـ « الشهوانية » .. (وهو الاتهام الذى يردده المستشرقون » يخرج عن نطاق موضوعنا ويكفى أن نتساءل : كيف يكون « شهوانيا » من اقتصر على زوجة واحدة أكبر منه سنا وذلك طيلة شبابه حتى بلغ الكهولة ؟ ثم لم يكن كل زواج له بعد ذلك الا وسيلة لنشر الاسلام وتطبيق تشريعاته ؟ وكيف يكون « شهوانيا » من أصبح فى المدينة سيد الجزيرة ومكن الله له فى الارض ومع ذلك رفض حياة الترف وآثر حياة الزهد وما عند الله على ما عند الناس .. ثم أمر بتخيير زوجاته بين الرضى بحياته هذه او الطلاق؟ كيف يكون هذا الانسان العظيم والرسول الكريم « شهوانيا » ؟ وراجع د. محمد حسين هيكل : حياة محمد ﷺ الفصل ١٧ وسعيد حوى : الرسول صلى الله عليه وسلم ثانية بيروت ١٣٩١ــ١٩٧١ ص ١٥٦ ــ ١٧٤

فى اطار هذا التحديد ، وليس رسولا من عند الله .

ويتعرض لموقف المسلمين من رسولهم — صلى الله عليه وسلم — ، وأنهم يرونه مثلا أعلى فى السلوك الأخلاقى لكل البشر (أى فى كل زمان ومكان) . ولكن المستشرق يرى أن كل ما قاله المسلمون عن رسولهم — صلى الله عليه وسلم — فى هذا الشأن لم يقنع الا قليلا من غير المسلمين ، وأن المسلمين لن ينجحوا فى اقناع المجتمع الدولى والغرب المسيحى « المستنير » بأن رسولهم مثل أعلى فى المجال الأخلاقى .

والمستشرق يتجاهل أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان ولا يزال الأسوة الحسنة للملايين من المسلمين طوال أربعة عشر قرنا على مر الزمان فى عصور وبيئات مختلفة ،وأنه كان ولا يزال مثلا أعلى فى السلوك الاخلاقى لمستويات متنوعة من البشر : من العامة والخاصة ، والعلماء والفلاسفة ، والمجاهدين والدعاة من كل الأجناس . وتكفيه شهادة ربه :

« **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** » (القلم ٦٨ : ٤) .

وفى رأى المستشرق أن الصفات الشخصية التى أعلنت الرسول — صلى الله عليه وسلم — على نشر الاسلام هى ثلاث صفات رئيسية :

١ — موهبته كعراف SEER : أى مقدرته على استبصار الأسباب الرئيسية للتخلف الاجتماعى فى عصره ، وعبقريته فى التعبير عن هذا الاستبصار بصورة تثير السامع من أعماق كيانه . وهو يشير بهذا الى القرآن الكريم ، ويرى أن القارىء الأوربى ينفر منه ، ومع ذلك فهو كتاب يناسب حاجات وظروف عصره (فقط !) .

ومن الواضح أن المستشرق ينكر أن القرآن وحى من عند الله . وسنعرض لهذا الانكار فيما بعد .

٢ — حكمته كسياسى : يقرر أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — كان ذا نظر بعيد كمخطط وكمصلح اجتماعى . وهذا يتضح من التوسع السريع لدولته فى المدينة ، حتى أصبحت — بعد زمن قصير — « امبراطورية » عالمية . ويتضح كذلك من تكييف مؤسساته الاجتماعية (أى مؤسسات الاسلام) للتطبيق فى بيئات كثيرة متنوعة ، واستمرار هذا التطبيق حتى الآن .

٣ — مهارته فى الادارة : وتتجلى هذه المهارة فى اختياره للرجال الذين تعهد اليهم الأعمال الادارية اليومية ، وذلك لأن المؤسسات السليمة والسياسة الحكيمة لا تؤثران كثيرا اذا كان التنفيذ خاطئا أو ضعيفا . وقد خلف محمد — صلى الله عليه وسلم — دولة ذات ادارة قوية .

ثم يتساءل المستشرق « المتعاطف » : هل كان محمد نبيا ؟ .

وكما أصدر حكمه من الناحية التاريخية فهو الآن يحاول أن يصدر حكما آخر من الناحية العقائدية أو الدينية .

فى اجابته على هذا السؤال يزعم المستشرق أن الرسول — صلى الله عليه وسلم كان يتمتع

بما يسميه « الخيال المبدع »
CREATIVE IMAGINATION
وهو فى هذه الخاصة يشارك غيره من الفنانين والشعراء والكتاب ذوى الخيال المبدع ، فكل هؤلاء يعبرون بالصيغ الحسية (أى بالصور والقصائد والتمثيليات والروايات) كما يشعر به كثير من الناس ، ولكنهم لا يستطيعون التعبير عنه بأنفسهم ، ومن ثم فان الانتاج العظيم للخيال المبدع يتميز بنوع من « العالمية » ، لأنه يعبر عن مشاعر ومواقف جيل كامل من الناس .

ويرى المستشرق أن الأنبياء والزعماء الدينيين ذوى النبوءات (؟) يشتركون مع الفنانين والشعراء والكتاب فى خاصية الخيال المبدع ، ومن ثم يعلنون أفكارا تتصل بأعمق التجارب الانسانية وأكثرها تركيزا ، مع الاهتمام الخاص بحاجات العصر والجيل .

وعلامة النبى العظيم — فى رأيه — هى ما تحدثه « أفكاره » من جاذبية عميقة (أى تأثير عميق) عندأولئك الذين وجهت اليهم هذه الأفكار .

ويتساءل المستشرق : من أين تأتى هذه الأفكار ؟ .

ويشير الى رأى من يقولون بأنها تأتى من اللا وعى ، والى رأى من يقولون بأنها تأتى من الله (وهؤلاء هم المؤمنون بأديان الوحى). ويرى هو أنها ربما تأتى من تلك الحياة داخل الانسان التى هى أكبر منه ، وهى غالبا تحت مستوى الوعى ، ولها صلة بالله .

ويقرر المستشرق أنه ليس هناك بالضرورة ما يحتم أن تكون كل أفكار الخيال المبدع صادقة وصحيحة . ويتساءل : ما القول فى تلك الأفكار التى ينتجها الخيال المبدع وهى كاذبة أو غير صحيحة ؟ .

وهنا يعرض المستشرق للمقارنة ، فيذكر أن الخيال المبدع عند هتلر كان على درجة كبيرة من التطور ، كما كان لأفكاره تأثير واسع (على الجماهير) ، ولكنه يعتقد أنه كان مصابا بالعصاب (الاضطراب العصبى) ، وأن الالمان الذين اتبعوه الى درجة التعبد قد أصابتهم عدوى ذلك العصاب .

ومن الواضح أن المستشرق يحاول هنا — فى خبث — أن يقارن الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — وما أوحى اليه من الذكر الحكيم بهتلر وما عرف عنه من هستيريا كانت تؤثر فى الجماهير .

فأى « تعاطف » هذا ؟ بل أى أمانة ؟ وأى انصاف ؟.

ويزعم المستشرق أن « أفكار » محمد — صلى الله عليه وسلم — التى أنتجها « خياله المبدع » كانت — الى حد كبير — حقيقية وصحيحة . ولكن هذا لا يعنى — فى زعمه — أن كل ما فى القرآن صحيح ، فبعض « الأفكار » القرآنية حقيقية وصحيحة ، وبعضها الآخر ليست كذلك (؟!) .

وهناك نقطة تبدو فيها « الأفكار » القرآنية — فى زعم المستشرق — غير حقيقية وغير صحيحة ، وهى الفكرة القائلة بأن الوحى (أى ما يسميه هو انتاج « الخيال المبدع ») هو أسمى وأوثق من الطرق الانسانية العادية

كمصدر للحقيقة التاريخية . وهنا يشير الى عدة آيات قرآنية تؤكد أن الله يوحى الى رسوله بأنباء الغيب كقوله تعالى :

« تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا » هود (١١ : ٤٩) .

ويقول انه يقبل أن « الخيال المبدع » يمكن أن يقدم تفسيرا جديدا وأكثر صدقا للأحداث التاريخية ، ولكنه لا يقبل أن يكون « الخيال المبدع » مصدرا للحقيقة التاريخية المجردة (أى مصدرا للانباء بالغيب من حقائق التاريخ ! ويزعم أن هذا مبالغة وكذب (!!) .

وهذه النقطة — كما يؤكد المستشرق — ذات أهمية خاصة بالنسبة للمسيحيين ، وذلك لأن القرآن ينكر قتل عيسى عليه السلام أو صلبه ، ويعتقد المسلمون أن هذا الانكار أهم من الشواهد التاريخية التى تقول بصلب المسيح .

(الواقع أنه ليس هناك « شواهد تاريخية » موثوق بها عن صلب المسيح . والروايات التى وردت فى الأناجيل الأربعة عن قصة الصلب تتضارب تضاربا شديدا ، حتى ليعجب الانسان كيف تختلف هذه الأناجيل فى أصل هام من أصول ديانتهم ، ولو صح أنه أصل لكان اهتمامها به متساويا أو متقاربا .

وقد أورد بعض الباحثين أربعة وثلاثين وجها من التضاد بين نصوص الأناجيل حول موضوع الصلب (١) . ولا شك أن هذا يسقط قيمة الاستدلال بهذه النصوص . ويؤكد أن انكار القرآن لما زعمه اليهود من قتله أو صلبه هو حق لا شك فيه) .

ويزعم المستشرق أن هدف القرآن من هذا الانكار هو أن ينفى ادعاء اليهود قتله أو صلبه ، ليجردهم مما يرونه انتصارا لهم . وهذا زعم واضح البطلان .

فقد كرر القرآن الكريم وصم اليهود بأنهم كانوا يقتلون أنبياءهم بغير حق . فلماذا يستثنى المسيح من بين هؤلاء الأنبياء ؟ مع أن قتله أو صلبه — لوكان أيهما قد حدث — يعد بلا شك وصمة عار تضاف الى سجل اليهود المخضب بدماء الأنبياء والآمرين بالقسط من الناس .

ويزعم المستشرق كذلك أن المبالغة فى دور الوحى قد أدت الى نتائج أخرى ، ومنها المبالغة فى اسهام العرب فى الثقافة الاسلامية على حساب الأجناس الأخرى المتحضرة التى اعتنقت الاسلام فى مصر وسوريا والعراق وايران .

---

(١) قارن مثلا : مرقص ١٥ : ٤٠ — ٤١ ، متى ٢٧ : ٥٥ — ٥٦ (وأيضا ٥١ — ٥٣) . لوقا ٢٣ : ٤٤ — ٥٠ ، يوحنا ١٩ : ٢٥ — ٢٩ . وراجع د . أحمد شلبى : المسيحية : (ط . ثانية القاهرة) ص ١٢٣ . والاستاذ عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء ص ٤٣٣ — ٤٤٨ .

وأخيرا يتساءل المستشرق مرة أخرى : هل كان محمد نبيا ؟

ويجيب بأنه كان رجلا نشط عنده « الخيال المبدع » على مستويات عميقة ، وأنتج « أفكارا » ذات صلة بالمسائل الرئيسية فى الوجود الانسانى ، ومن ثم كان له تأثير واسع ، ليس فقط فى عصره ، بل وكذلك فى العصور التالية .

ويمضى المستشرق فيقرر أنه بالرغم من أنه لم تكن كل « الأفكار » التى أتى بها الرسول — صلى الله عليه وسلم — حقيقية وصحيحة — فقد استطاع أن يقدم للملايين من الناس دينا أفضل مما كانوا عليه قبل أن يصبحوا مسلمين .

ومما سبق يتضح أن المستشرق ينكر (كما ينكر جميع المستشرقين) أن القرآن وحى من عند الله .

وفى مواضع أخرى من كتابه (١) يتخذ هذا الانكار الصورة المتفق عليها بين جميع المستشرقين ، وهى أن القرآن يعتمد كثيرا على الأخذ من العهدين القديم والجديد (أى ما يشمل التوراة والانجيل) .

وليس هنا مقام الرد بالتفصيل على هذا الزعم . ويكفى لتفنيده أن القرآن الكريم قد أتى بالعقائد والأصول العامة التى أتت بها كل رسالات التوحيد الموحى بها من قبله ، كما قال تعالى :

« مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ » (المائدة ٥ : ٤٨) .

ولكن الكتاب العزيز يختلف عن الكتب السابقة من عدة أوجه من أهمها :

١ — أن الكتب السابقة أنزلت على رسل بعثوا لأقوامهم خاصة ، بينما أنزل القرآن للناس كافة .

٢ — أن الكتب السابقة (وبخاصة التوراة والانجيل) قد حرفت تحريفا خطيرا ، بينما حفظ الله تعالى كتابه من كل تحريف .

وهذا الوجه الثانى فى غاية الأهمية بالنسبة لموضوعنا ، فقد أكد القرآن الكريم ، تحريف أهل الكتاب للتوراة والانجيل ، وذلك فى آيات عديدة ، منها على سبيل المثال قوله تعالى :

« فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ » (البقرة ٢ : ٧٩) .

« مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ » (النساء ٤ : ٤٦) .

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (آل عمران ٣ : ٧١) .

وكذلك نعى القرآن الكريم على أهل الكتاب

---

(١) راجع ما كتبه تحت عنوان : « تأثير اليهودية والمسيحية » (فى القرآن) ص ٣٩ — ٤٦ وكذلك ص ١٥ ، ١١٢ .

انحرافهم عن عقيدة التوحيد الى عقائد باطلة ، كعقيدة التشبيه عند اليهود ، وعقيدة التثليث عند النصارى •

كما نعى عليهم ما ترتب على انحرافهم فى العقيدة من انحرافهم فى العبادة والتشريع والأخلاق ، وذلك لأنهم « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا » (التوبة ٩ : ٣١) ، وأحلوا ما حرم الله من الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، واتصف اليهود خاصة بنقض العهد وقسوة القلوب وقتل الأنبياء بغير حق •

فكيف يعقل — بعد هذا كله — أن يأخذ القرآن الكريم عن تلك الكتب التى أعلن تحريفها ؟ وعن أولئك الذين حرفوها ؟ •

وتحريف التوراة والانجيل ، وخلو القرآن من التحريف ، حقيقة لا يؤكدها القرآن فحسب بل يؤكدها كذلك العلماء الباحثون فى الأديان حتى من غير المسلمين ، وقد أسلم بعض هؤلاء بعد اهتدائهم لهذه الحقيقة • وقد بين العالم الفرنسى موريس بوكاى (١) بكل وضوح الأخطاء العلمية العديدة التى وردت فى التوراة والانجيل نتيجة تحريفهما ، وكذلك بين بكل وضوح خلو القرآن الكريم من هذه الأخطاء واشتماله على كل ما أثبت العلم الحديث صحته بعد مرور أربعة عشر قرنا على نزوله على رجل أمى لم يقرأ كتابا ، ولم يدرس علوما ولم يدخل جامعة •

فكيف يقبل عقلا أن ينقل القرآن كثيرا من تلك الكتب « كما يزعم المستشرقون » ثم لا ينقل عنها ولو خطأ واحدا ؟ ولايأتى الا بالحق الذى لاشك فيه ؟

أليس هذا وحده دليلا على أنه وحى من الله وانه «لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (فصلت ٤١ : ٤٢) •

ونعود الى المقال فنجده يذكر أن المستشرق البريطانى قام كذلك بدراسة (مقارنة) عن فلسفة الدين ، وأنه مدين فى هذه الدراسة — وبخاصة فى تحليله لوظيفة الدين — لعلماء الاجتماع الدينى وبخاصة ماكس فيبر (١٨٦٤ — ١٩٢٠)واميل دور كايم (١٨٥٨ — ١٩١٧) وكلاهما ملحد منكر لوجود الله ولحقيقة الوحى والنبوات ، ومع ذلك لايعتبرهما المستشرق من أعداء الدين !

ومن المعروف عن« اميل دوركايم » بوجه خاص أنه لا ينكر وجود الله وحقيقة النبوات فحسب ، بل ينكر كذلك ثبات المبادىء الاخلاقية والاجتماعية ، ولا يرى فى الدين (أى دين) الا أنه ظاهرة اجتماعية بشرية لا علاقة لها بوحى السماء ، لأنها من آثار « العقل الجمعى » التى تفرض وجودها على الأفراد ، بل وتلغى

---

(١) فى كتابه : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة : الترجمة العربية ط • رابعة دار المعارف القاهرة ١٩٧٧ ص ١٧ — ٢٢ ، ٣٩ — ١٣١ ، ١٣٥ — ٢٥٤ •

شخصية الفرد ووعيه وارادته الغاء كامــــلا والفرد الممتاز ـــ نبيا كان أم مصلحا ـــ ما هو الا معبر عـــن الاتجاهـــات الاجتمـــاعية لهذا « العقل الجمعى » •

ويذكر المقال أيضا أن المستشرق البريطانى قـــد أثرى دراســـة السيـــيرة بالمعلـــومات الاقتصادية والاجتماعية ، ولهذا السبب فقــد أثنى عليه المستشرق الفرنسى مكسيم رودنسون وهو يهودى ماركسى ألف هو الآخـــر كتـــابا عن محمد ﷺ ترجم ونشر بالانجليزية (ط • رابعة سلسلة بنجوين لندن ١٩٨٣) وهـــو مشحون بالافتراءات الحاقدة على الرســـول الكريم ﷺ ورسالته وشخصيته • ومعظم هذه الافتراءات مستمدة من التفسير المادى للتاريخ عند « كارل ماركس » من ناحية ، ومن التحليل النفسى (الجنسى) للانسان عند « سيجموند فرويد » من ناحية أخرى • وكلهـــا افتراءات ساقطة مبتذلة ، نعف عن مجرد ذكرها فضـــلا عن الرد عليها •

وبعد ، فرسولنا الكريم ﷺ قد عصمه الله من الناس ، وهو الصادق المصدوق ، بشهادة ربه ، وشهادة التاريخ ، وشهادة الملايين الذين آمنوا به وصدقوه فى مشارق الأرض ومغاربها فلا يحتاج الى شهادة مستشرق مـــوتور ، ولاتنال منه أكاذيب حاقد مغرور •

وانما أردنا أن نبين للمخدوعين من المسلمين أن المستشرقين ليس بينهم منصف ، فضلا عن « متعاطف » •

فهم جميعا ـــ وبـــلا اســـتثناء ـــ ينكرون الوحى ، ويكذبون الرسول ﷺ ويطعنون فى سيرته وسننه وشخصيته •

وهم يسلكون الى ذلك مســـالك مختلفـــة ، ويتخذون أساليب متعددة ، ولكنها جميعـــا تنبعث عن حقد دفين على محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى النور الذى أنزل معه :

« يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » (الصف ٦١ : ٨)

د• أحمد عبد الحميد غراب

جعفر الصادق

وماذا يقول علماء الغرب عن ريادته الفكرية والعلمية

ان اضاءة التاريخ الاسلامى ، والكشف عن أصول حضارة الاسلام ، وتجلية الفكر العلمى والروحى والتقدمى لأئمة الاسلام ، ودراسة حياة أعلام المسلمين دراسة منهجية قائمة على حقائق التاريخ ، لهو فرض على كل قادر عليه ، مستطيع له ، وواجب محتوم على العلماء والمفكرين المسلمين .

فتقديم الاسلام فى صورته الحضارية واجب الجيل نحو أجيال الشباب المسلم ، الذى بعدت حياته عن مصادر الفكر الاسلامى وفى تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى ، وحياة أئمة الاسلام الكثير من المفاخر التى يقف الانسان أمامها مذهولا .

واذا كان علماء الاستشراق فى أوربا قد عنوا عناية كبيرة بالكشف عن أصول حضارة الاسلام ، فما أجدرنا ــ نحن العلماء من أبناء المسلمين ــ بأن نجرد القلم للاسهام فى هذا الواجب المحتوم بحظ من الحظوظ ، على قدر ما نستطيع .

والغرب الذى قد طالما أفاد من علوم الشرق وحضارته ، وانتفع بها ، والذى تعد مدنيته مدينة للمدنية الاسلامية منذ عهد طويل بديون كثيرة لا يفوت علماؤه أن يبينوا كيف عملت الحضارة الاسلامية أعمالا جادة من أجل التقاء الحضارات ، وامتزاج الثقافات والافادة من كل ما وصلت اليه الانسانية فى تاريخها الطويل من أجل رفاهية الانسان ، واستمرار التقدم ، ومن أجل التعرف الى مقومات التقدم والنهضة والمعرفة ، والحصول عليها ، وبلوغ الغاية فى سبيل ذلك كله .

فليس اذن أمام الجامعات العربية الا أن تسير فى الطريق ، وتؤدى ما عليها نحو العلم نفسه ونحو الاجيال القادمة التى تريد أن تعرف كل حقائق التاريخ ودروسه ومعجزاته ومنجزاته خلال العصور السالفة .

وأمامنا الآن جامعة استراسبورج الفرنسية التى قامت بعمل جليل من أجل خدمة الدراسات الاسلامية والشرقية . فها هى ذى تخرج بين

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

الحين والحين ومنذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادى حتى اليوم العديد من البحوث القيمة التى تتميز بالعمق والموضوعية حول الشئون الاسلامية والشرقية •

ومن أجل هذه البحوث التى قامت بهـا الدراسات الأكاديمية التى ألقيت فى الـدورة العلمية المعقودة فى شهر مايو سـنة ١٩٦٨ ، عن التاريخ العلمى والحضـارى للامـامية ، وحياة الامام جعفر الصادق وفكره ، ولقـد شارك فى هذه الدورة أكثر من عشرين عالما من أعلام المستشرقين والعلمـاء فى الجـامعـات الاوربية وشاركهم علماء متخصصون مـن جامعـات لبنان وايران •

وقد نشرت هذه البحـوث الاكاديمية دار المطبوعات الجامعية الفرنسية فى باريس عام ١٩٧٠ •

وقام بنقلها الى اللغة الفارسـية بتصرف ذبيح الله منصورى •

ثم قام بنقلها من الفارسـية الى العربيـة أستاذ كبير متخصص فى الدراسات الشرقيـة والاسـلامية وفى تـاريخ الشرق الأوسـط وحضاراته ، وهو الدكتور نور الدين آل على وراجع هذه الترجمة علم من أعلام الترجمـة

فى عالمنا العربى هو الأستاذ وديع فلسـطين • ثم نشرها على نفقته الحاج العـالم محمـد قبازرد • وكان لى شرف تقديم هذه الدراسات الى قراء العربية ، والى الباحثين والمتخصصين فى كل مكان من الشرق أو الغرب على السواء •

— ٢ —

والامام الصادق جدير بعنـاية البـاحثين والدارسين ، فهو عبقرية اسلامية كبيرة ، وهو امام من أئمة الاسلام العظام •

وان القارىء لهذه الفصـول ليقف أمـام صفحاتها المضيئة مذهولا حقا ، ولسوف يجد نفسه أمام عظمة هذه الروح العلميـة ، التى انعكس ضوؤها على هذه الدراسات ، فكـان من وراء ذلك عالم فسيح كشـف عنه هؤلاء العلماء وبدا فى صدر هذه الصور الرفيعـة صورة الامام جعفر الصادق ، مشرقة شامخة بفكره الرفيع وبشخصـيته الجليلة المهيبـة ، وبحكمته الصادقة وتجاربه الواسعة فى فهـم الحياة والناس •

وتجلت عظمة هذه الشخصية فى عظمة هذه البحوث ، فكان من وراء ذلك كله حقيقة رائعة لم نكن نعرف عنها شيئا ، حقيقة هذا العقـل العظيم الذى بنى للانسانية وللانسان أروع ما يمكن أن يبنيه من أصـول حضارة الدنيـا ورفاهيتها •

واذا ذكرنا الامام الصادق ، ذكرنا أرفـع منقبة ، وأجـل مأثرة ، وأعظم شخصية مـن الشخصيات الرائدة فى تاريخ الفكر الاسلامى

جعفر الصادق

والحضارة الاسلامية ، وفى نشأة المذاهب الفقهية التشريعية لأئمة علماء المسلمين .

وحدث عن الامام الصادق ولا حرج ، حدث عن سليل بيت النبوة ، ووارث فضائلها ومناقبها ، ومفاخرها وعلومها وحكمتها .

حدث عنه فى ورعه وزهده وفى دينه وتقواه وفى علمه وفقهه ، وفى عراكه للأحداث ونضاله للخطوب وفى مجابهته الظلم ومقاومته للطغيان وفى خبرته بالحياة ، ومعرفته العميقة بالزمان وناسه ، وفى حبه للسلام ، وكراهيته لاراقة الدماء ، بل فى كل محمدة من المحامد يذكر بها الناس ويعرف بها عظماء التاريخ .

جعفر الصادق .

ابن الامام محمد الباقر .

ابن السجاد زين العابدين على بن الحسين

ابن امام الشهداء الحسين .

ابن الامام على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه .

سلسلة رفيعة من النسب النبوى الشريف ، وما أجل وأكرم ، وما أرفع وأعظم هذه السلسلة الذهبية النبيلة من سلاسل النسب فى تاريخ الاسلام والمسلمين . أنذكر جده الأعلى رسول الله ، وخاتم النبيين ، محمد صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

أم نذكر الامام الأكبر ، ابن عم رسول الله صلوات الله عليه ، على بن أبى طالب .

أم نذكر جده زين العابدين ، على بن الحسين « ٣٨ — ٩٤ هـ » الذى كان أعلام المسلمين يقولون عنه : انه سيد الناس .

والذى كان الامام ابن شهاب الزهرى (١٢٤ هـ) يقول فيه : « ما رأيت أفقه من زين العابدين » .

ويقول عنه كذلك : ما رأيت قرشيا أفضل منه .

ويقول عنه أيضا : ما رأيت هاشميا أفضل من على بن الحسين ولا أفقه منه .

والذى قال عنه الامام الشافعى : هو أفقه أهل المدينة .

أم نذكر أباه الجليل ، الامام محمد الباقر (٥٧ — ١١٤ هـ) ، الذى قال عنه الامام التابعى الجليل ، الحسن البصرى (١١٠ هـ) ذلك الذى يشبه كلامه كلام الانبياء » .

أم نذكر جدته الكبرى سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء ، بنت رسول الله وزوج الامام على ، والتى قال فيها شاعر الاسلام ، محمد اقبال :

هى بنت من ؟
هى زوج من ؟
هى أم من ؟
من ذا يدانى فى الفخار أباها ؟

أرفع نسب ، أنبل وراثة ، أكرم بيت ، أشرف أبوة وأمومة ، أعظم عشيرة ونجار فى الاسلام .

على أن أم الصادق أيضا هى بنت القاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه .

وماذا نقول فى الامام الصادق جعفر ، وقد قال عنه الامام مالك رضى الله عنه (١٧٩ هـ): « ما رأت عين ، ولا سمعت اذن ، ولاخطر

على قلب بشر ، أفضل من جعفر الصادق فضلا وعلما ، وعبادة وورعا » .

وماذا نقول عن الصادق ؟ الذى تتلمذ عليه الامام أبو حنيفة (١٥٠ هـ) وعلى أبى حنيفة تتلمذ مالك (١٧٩ هـ) ، وعلى مالك تتلمذ الشافعى (٢٠٤ هـ) ، وعلى الشافعى تتلمذ الامام أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) . وبذلك يكون الصادق امام الفقهاء وأستاذهم بلا استثناء .

كما تتلمذ على الصادق كذلك أربعة آلاف من الرواة ، وكتب عنه أربعمائة كاتب وحسبك من تلامذته أبو حنيفة ، ومالك ، وسفيان بن عيينة ، وسواهم .

وكان الامام الصادق يجيد عدة لغات من بينها الفارسية لغة (جدته شهريانو بنت كسرى يزدجرد بن شهريار) التى تزوجها الحسين بن على ، رضى الله عنه ، فكان له منها ابنه زين العابدين .

كما كان الصادق كذلك يجيد السريانية والنبطية .

ولقد كانت معارف الامام الصادق واسعة فى : الطب والكيمياء وعلوم الهيئة والنجوم وعلوم الفيزياء والفلسفة والجغرافيا .

وقد سمع عن كتاب «المجسطى» لبطليموس فى درس والده ، كما سمع نظرية بطليموس عن (كروية الأرض) ، وخطأ بطليموس فى رأيه بوجود حركتين للشمس .

وقد درس الامام الصادق علوم الطب لتلاميذه فى مدرسته ، التى كانت أول مدرسة فى الاسلام . كما فند الصادق أيضا القول بالعناصر الأربعة ، وكان أول من اهتدى الى (الاكسجين) . وكانت له نظريات حول (أشعة النجوم) ، وحول الزمان والمكان ، وحول الضوء ، وحول نشأة الكون ، وحول حقائق كثيرة فى الفكر والدين والحضارة والحكمة والفلسفة والطبيعة والبيئة والتاريخ وغيرها مما سبق فى كثير منه علماء الغرب المعاصرين .

وكان شعار مدرسة الصادق حرية الرأى والفكر ، وقد دونت العلوم فى عصره الذى كان عصر انبعاث لحركة التجديد فى تاريخ العالم الاسلامى . وكان الصادق ينهى عن المغالاة فى العقيدة وعن الخلاف ، وعن العزلة .

بل ان الصادق كذلك هو مؤسس العلوم العرفانية والروحية فى الاسلام ، وكان أول من دعا الى (المذهب التجريبى) ، وأخذه عنه تلميذه (جابر بن حيان) أول كيميائى فى المسلمين . والصادق أيضا أول من رصد جائزة أدبية فى تاريخ العرب .

وكان أديبا بليغا ، وأدبه وحكمته جديران بالدراسة والبحث .

هذا هو الامام الصادق ، كما يراه المستشرقون وعلماء الغرب ، وهذا هو البحث الأكاديمى الرائع الذى يعد من أعمق البحوث العلمية الجامعية فى السنوات الأخيرة .

— ٣ —

وشخصية الامام الصادق شخصية جليلة متميزة من بين الشخصيات الاسلامية الكبيرة

جعفر الصادق

فى القرن الثانى الهجرى ، قرن تأسيس الحضارة الاسلامية الزاهية .

ولقد عاش الصادق فى عصر الطغيان السياسى الكبير ، الذى سادت فيه دولة بنى أمية ، وتبعتها دولة بنى العباس ، حيث أسرفوا جميعا فى اضطهاد آل البيت وتعقبهم بالقتل والتشريد والحبس والنفى والمصادرة ، خوفا من نفوذهم الروحى الشعبى الكبير ومن وثوبهم الى الخلافة وطلبهم لها .

وكان الصادق عميق الفهم لعصره ومجتمعه وللناس من حوله ، فاستطاع أن يحفظ على نفسه حياته ، وان يبقى عليها حتى لايراق دمه بيد الأمويين أو العباسيين من بعدهم .

وكان يكره السياسة والتطلع الى مافى أيدى الحاكمين ، يرى الغنم والسلامة فى البعد عن ذلك كله . وحاول الخلفاء — أمويين وعباسيين — أن يجروه الى أرض المعركة للقضاء عليه وسفك دمه ، فما استطاعوا الى ذلك سبيلا . ولم يستطيعوا كذلك الامساك بأى خيط يدل على تطلعه الى الخلافة ، أو على اشتراكه فى أية مؤامرة على الدولة ، أو زعامته لأى تنظيم ، أو تشجيعه لخارج على الخلافة .

وحين انتصر أبو مسلم الخراسانى فى القضاء على دولة بنى أمية كتب الى الامام الصادق يقول له : « انى قد أظهرت الكلمة ، ودعوت الناس الى الانصراف عن بنى أمية والى موالاة أهل البيت فان رغبت فلا حزن عليك » .

فرد عليه الامام : ما أنت من رجالى ، ولا الزمان زمانى .

لقد كان الصادق بحق يكره أن تمس كرامة الانسان كما كان يكره اراقة الدماء ، وكان عميق الفهم لطبيعة نفوس الحاكمين ، يرى أن الحمق كل الحمق ، انما هو فى التطلع الى ما فى أيدى الحكام من شئون الحكم .

وان تربية الاجيال من شباب الامة أهم بكثير جدا من التطلع الى زعامة سياسية أو دنيوية .

وكان الامام يحاول جهده ابعاد آل البيت عن حمق التردى الى حافة الهاوية والى منازعة الحكام خلافة المسلمين . وكان من رأيه دائما البعد عن السياسة ، والانصراف الى العلم وحلقاته وحدهما . وبذلك نجا وسلم من المؤامرات والفتن والأحداث .

هذا هو الامام الصادق ، رحمه الله .

وهذه هى شخصيته .

وتلك هى البحوث القيمة التى تناولت الصادق من جميع جوانب حياته والتى تحدث فيها كبار العلماء من مختلف الجامعات فى أنحاء العالم .

ولا ريب أن هذا البحث جدير بالاهتمام والتقدير ، لأنه يؤرخ عصر الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى ، عصر نشوء المذاهب الفقهية فى الاسلام .

رحم الله الصادق الامام ، وأجزل له الأجر والثواب . فى دار رحمته ، دار البقاء والخلود

د . محمد عبد المنعم خفاجى

الإسلام والمسلمون في الصين

للدكتور عبد الودود شلبى

هذا الشرق الأقصى .

أى سحر تحتويه هـذه الكلمـات الآسرة ؟ .

بل أى خطر يكمن فى الولوج الى هذا العالم بأسراره الغامضـة ، وأنـواره العجيبة الباهرة ؟ .

لقـد هام « جـوته » الشـاعر الألمانى الفيلسـوف بهذا الشرق فكتب فيـه أجمـل قصائده .. هناك فى ظل النقاء والصـدق .. تطيب لى الرجعى الى نشـأة الانسـانية الأولى ..

الى الأزمان التى تلقى فيها بنو الانسـان كلمة الحق . منزلة من الله بلسـان أهـل الأرض .

أريد التملى من عصور الفطـرة بأفقها المحدود .

أريد معاشرة الرعـاة فى المنتجعـات والاسترواح فى ظلال الواحات . والارتحـال مع القوافل متجرا فى الشـيلان . والبن . والمسـك .. طارقا كـل درب من البـوادى والحضر .. بينما يترنم الحادى على ظهـر « برذونة » بأناشيد صاغها من ضوء القمـر ليوقظ بها النجوم الوسنى . ويرهب بها قطاع الطريق .. ولا بأس بالرعود كلهـا ترعد .. وبالسماء تتجاوب أقطـارها بالبرق .. فـان الغيث المنهمر لهابط بهذا الغبار المثار على وجه الأرض طينة مخضلة ..

وسرعان ما تنبعث الحياة .. فاذا كل شىء فى كل ناحيـة ينتعش ويترعرع .. واذا كـل شىء يخضر وينضر ... (١) .

---

(١) الشرق والاسـلام فى نظر « جوته » عبد الرحمن صدقى — المكتبة الثقافية ص ١٠١ - ١٠٢ .

هذه الصورة الأخاذة الموشاة بعبق التاريخ والجمال والسحر • لم تكن غريبة عنى مذ درجت فى طريق المعرفة • بل منذ كنت حدثا صغيرا يتعلم فى « كتاب القرية » حيث كان المثقفون من طلبة الأزهر يتبادلون قراءة صحف « الجهاد » و « المصرى » • بالاضافة الى جريدة « الأهرام » التى كان اقتناؤها خاصا بـ « العمدة » و « تجار القطن » و « صراف القرية » ••• !

كانت كلمة « الصين » مألوفة ••• وتكرارها دائم على الألسنة : فقد فرضت الصين وجودها واسمها على كل « طبق » يقدم فيه الطعام •• بل فى كل قدح من القهوة يقدم الى الضيوف الكرام •• ! •

وكيف لا تكون « الصين » فى قريتنا مشهورة •• وفيها العشرات من أساتذة الأزهر وعلمائه الذين يرددون كل يوم تلك الحكمة المأثورة « اطلبوا العلم ولو فى الصين » وسواء أكان ذلك قولا مأثورا • أو حديثا نبويا • فقد ترك هذا كله فى خيالنا أثرا يشدنا الى هذا البلد البعيد من أقطار الشرق ، وأشعل فينا جذوة العلم المقدسة الى حين التحاقنا بحلقات الدرس والعلم •

ان أسماء مثل « شنغهاى » و « بكين » و « كانتون » والنهر الأصفر •• ونهر اللؤلؤ ونهر « التنين الأسود » والحرب بين اليابان والصين •• و « شيانج كاى شيك » •• لم تكن غريبة على مسامعنا فى هذه الفترة المبكرة من العمر •• كانت أحداث الحرب اليابانية الصينية من أهم الأخبار فى صحيفة « المصرى » اليومية •

ولا أزال أذكر حتى هذا اليوم صور المعارك الطاحنة التى كانت تدور بين الصين واليابان فى هذه الفترة من أواخر الثلاثينيات فى الصفحات الأولى من هذه الصحيفة • كما لا أزال أذكر التحليلات السياسية لأسباب هزيمة الصين فى هذه الحروب وكيف لعب « الأفيون » دوره فى انهيار هذه الامبراطورية الشاسعة بملايينها الهائلة • بل كيف حاول الغرب الاستعمارى ـ بقيادة بريطانيا ـ تخدير هذا المارد العملاق حتى لا يفيق من نومه لحظة واحدة •

تقول كتب التاريخ : (١) •

كان الأفيون يأتى من فارس وبلاد الهند الى التجار الانجليز فى ميناء كانتون •

وقد ذكر الممثل البريطانى فى كانتون ، فى عام ١٨٣٦ ، أنه كان « أهم جزء من تجارة وارداتنا » •

وكان التهريب يتم بتشجيع وبمشاركة من جانب « جمعية التجار » وبعض الموظفين الصينيين •

وفى عام ١٨٣٩ رغبت حكومة الصين فى أن تطبق اجراءات المنع بشكل فعال • ولا شك

(١) الشرق الاقصى : دكتور جلال يحيى ، ص ٥٠ وما بعدها طبعة القاهرة .

فى أنها كانت ترغب فى أن تظهر للتجار الانجليز أنها قادرة على القيام بردود فعل تجاه المحاولات التى كانت تهدف اقتحام بلادها .

واستخدم المندوب لين LIN الذى أرسل خصيصا من بكين وسائل نشطة : فطالب التجار باعطاء الوعد كتابة بوقف استيراد الأفيون ، وهدد بتنفيذ حكم الاعدام فى أولئك الذين لن يحافظوا على هذا التعهد ، وأمر بالاستيلاء على المخزون منه ، واعدامه ، بعد أن حاصر المراكز التجارية وحاول « تشارلز أليوت » ممثل الحكومة البريطانية أن يتفاوض ، ولكن بدون جدوى ، ورفض لين الاستماع لأى شىء .

فقررت الحكومة الانجليزية فى شهر أكتوبر ١٨٣٩ . وطبقا لرأى « أليوت » القيام بعملية تدخل مسلحة . ولقد لاحظ « بلمرستون » أنه كان من حق الحكومة الصينية ، بدون شك ان تمنع استيراد الافيون . ولكنه لم يكن من الممكن قبول أن تقوم السلطات الصينية — وبعد أن كانت قد تحملت وجود هذه التجارة لفترة طويلة — باستخدام وسائل العنف ، والمستخدمة بدون تمييز ضد كل التجار الانجليز — المتهمين أو غير المتهمين بالتهريب .

وكانت هذه وجهة النظر التى دافع عنها يوم ١٩ مارس ١٨٤٠ أمام مجلس العموم ورغم احتجاج جلادستون — عن سبب تركهم الهند تصدر الأفيون — حصلت الحكومة — وبالكاد ، على الأغلبية . وهكذا تمت موافقة البرلمان على ارسال الحملة .

ولقد استمرت « حرب الأفيون » ثمانية عشر شهرا . وبعد ان كان الانجليز قد أملوا فى أول الأمر فى نجاح عملية بحرية — ضرب القلاع الموجودة عند مصب نهر سى كيانج — اضطروا الى نقل العمليات الى منطقة يانج تسى ، واستخدام فرقة انزال . ولقد استولوا على شنغهاى فى شهر يونيو ١٨٤٢ ، ثم استولوا بعد شهرين من ذلك على نانكين ، دون صعوبة كبيرة .

وكانت معاهد نانكين — التى أنهت يوم ٢٦ أغسطس ١٨٤٢ هذه الحرب بين انجلترا والصين — لا تشتمل أية فقرة تتعلق بمسألة الأفيون ، والتى كانت هى سبب هذا الصدام . ولكنها سوت المسائل المتعلقة بالمبدأ ، والمسائل العملية ، والتى كانت تتعلق بحقوق الممثلين الدبلوماسيين الانجليز ، والتجار الانجليز .

وكان التجار البريطانيون قد أصروا على ضرورة الحصول على نظام يخلصهم من المعوقات التى كانت تفرض على نشاطهم التجارى . وكسبوا هذه المسألة والى مدى بعيد . ولم يعد ميدان التجارة الانجليزية محددا بميناء كانتون وحدها . بل شمل خمسة موانى صينية بعد ذلك هى :

كانتون . وشنغهاى ، وآمون ، وفوتشيو ، ونينج بو .

فى زيارتى الأخيرة الى بريطانيا قدر لى أن أنزل فى فندق قديم قريب من جامعة لندن اسمه RUSSELL HOTEL

لقد تراءت لى فى أبهاء هذا الفندق وقاعاته

صور غلاة الاستعماريين من أمثال «دزرائيلي» و « جلادستون » و « تشرشل » وأن الهجوم على معظم بلاد الاسلام ، والشرق خطط له في هذا الفندق ، وتصورت الأدميرال « سيمور » الذي أطلق مدافعه على مدينة الاسكندرية يقف شاهرا سيفه على ظهر البارجة قبل التحرك ... !

لقد كان شغفي بالتاريخ باعثا على استقصاء الحقائق عن هذا الفندق . وعن استكشاف غوامض الأحداث بين جدرانه التي يستحيل أن تنطق .. !

كان الشاعر الانجليزي « كيبلنج » يرى أن الشرق شرق . وأن الغرب غرب . وأنهما لن يلتقيا . وانما يمكن لهذا اللقاء أن يتحقق بقوة البوارج .. وغزو الجيوش فقط ... وقد تحولت هذه المقولة أو النبوءة الى واقع في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين .

وكان هذان القرنان من أسوأ قرون التاريخ سوءا على البشرية التي لا تزال تئن من آثار ما حدث فيهما الى اليوم .

قبل هذين القرنين كانت العلاقات بين الشعوب ميسرة وسهلة .

فالرحالة المغربي « ابن بطوطة » : جال في مشارق الأرض ومغاربها دون عقبة .

و « ماركو بولو » الايطالي فعل ما فعله ابن بطوطة ، حتى السفاح البرتغالي « ماجلان » فعل بالعالم الاسلامي ما فعل بينما كان دليله في رحلته المشئومة رجل مسلم اسمه « أحمد بن ماجد » من سلطنة عمان ومسقط .

كان طريق الحرير SILKRD ومضيق باب المندب ، ومضيق مالقا في جزر الملايو كانت كل هذه الطرق . وكل هذه المضايق تقع في بلاد الاسلام الذى أبت سماحته ان يمنع من العبور أى أحد ... ، وكان للمسافرين وعابرى السبيل — في حضارة الاسلام — من الاكرام والرعاية ما يستحيل مثله في أفخم فندق .

وكان من أهم الرحلات التي قام بها «مصرى» الى الشرق الأقصى هذه الرحلة العجيبة التي قام بها صحفي غيور مسلم اسمه على أحمد الجرجاوى « صاحب جريدة « الارشاد » ففي

يوم ٣٠ يونيه ١٩٠٦ سافر هذا الصحفي المسلم الى اليابان — ولأول مرة — لحضور مؤتمر الأديان الذى دعا اليه امبراطور اليابان آنذاك ..

« ويعتبر على احمد الجرجاوى أول داعية مسلم قام بالفعل بنشر الاسلام في اليابان واذا قلنا أن عمر الاسلام ١٤ قرنا من الزمان . فان اليابان ظلت ١٣ قرنا لا تعرف شيئا عن الاسلام . ولم يدخل الاسلام خلال هذه القرون الثلاثة عشر سوى مسلم واحد فقط في أواخر القرن الماضي .

ومن رحلة الجرجاوى الى اليابان في عام ١٩٠٦ بدأ نور الاسلام يشرق على بلاد الشمس المشرقة .

وصل الجرجاوى الى ميناء يوكوهاما اليابانى ومنها انتقل الى طوكيو وأقام فى اليابان كما يقول فى كتابه (الرحلة اليابانية) ٣٢ يوما زار فيها ٤ مدن يابانية هى طوكيو ويوكوهاما واوزاكا وكيوتو عاصمة اليابان القديمة •

كانت طريقة الجرجاوى للدعوة الى الاسلام طريقة فريدة • فقد استأجر فى طوكيو منزلا من رجل يابانى من كبار تجار طوكيو • وكان الجرجاوى قد شرح له الاسلام ودعاه ، لاعتناقه فاعتنق الاسلام وخصص منزله للدعوة الى الاسلام وكان مع الجرجاوى داعية هندى مسلم يتحدث العربية والانجليزية • وكان الجرجاوى قد التقى به ضمن الوفود التى حضرت لحضور مؤتمر الأديان فى طوكيو •

وكان الجرجاوى يدعو اليابانيين الى هذا المنزل ويكتب ما يريد من معلومات عن الاسلام باللغة العربية ـ ثم يقوم الهندى المسلم بترجمتها من العربية الى الانجليزية ويقوم اليابانى المسلم فى النهاية بترجمتها من الانجليزية الى اليابانية •

وبدأت أفواج اليابانيين تتجمع فى ذلك المنزل وكانت تدور بعد ذلك مناقشات

عديدة حول الاسلام • وكما يقول الجرجاوى : « وكان كل من وردت عليه شبهة فى موضع يرسلها الينا كتابة • وكنا نجيب عنها أيضا كتابة » •

وقد عقد الجرجاوى فى طوكيو ١٨ جلسة لشرح الاسلام لليابانيين • اعتنق بعدها الاسلام ١٢٠٠٠ اثنا عشر ألف يابانى كما يقول :

ويؤكد ذلك بأنه مستعد لتحديد أسمائهم فى هذه البلاد (١) •

ويقول الجرجاوى أيضا : « غادرنا بلاد اليابان بعد أن قضينا بها اثنين وثلاثين يوما •

وبعد أن قمت بمهمتى وبعد أن صرفت من جيبى الخاص ما قدرنى الله تعالى عليه بدون التماس مليم واحد من أحد من الناس سواء كان فى مصر أو الخارج وهذه يدى شهيدة على بذلك •

وقد كتب الأستاذ الجرجاوى يقول فى مقدمة كتابه عن سبب هذه الرحلة فقال :

ان للعادة حكما لا يمكن الخروج عنه وقد سن الأدباء قديما سنة احتذى مثالها ونسج على منوالها من جاء بعدهم من أهل حرفتهم • ومن تلك العادات وهاتيك السنن أن يؤلف العالم والكاتب فى فنون شتى مؤلفات برسم بعض الأكابر والأعيان وليس لهم حظ ما فى الفوائد المادية اللهم الا اذا سعت اليهم بنفسها وانما جل قصدهم من تأليف الكتب برسم الاعيان زيادة الاعتناء بها لدى الكافة وان كانت فى الدرجة القصوى من البلاغة

---

(١) مذكرات خاصة بالاستاذ محمود الشريف •

وجلالة الموضوع والذى قوى عندهم العزيمة على التأليف اقبال الأكابر على مطالعة المؤلفات المفيدة فى الأوضاع الجميلة .

هذا كتاب : « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان ألفه برسم الخليفة المتوكل : وكتاب « العقد الفريد » للملك السعيد .

وكتاب « الهدية السعيدية فى الحكمة الطبيعية » ألفه الامام محمد فضل الحق الخيّر أبادى وأهداه الى مليك بلاده محمد سعيد خان بهادر .

ولو أردت احصاء المؤلفات المهداة الى الأمراء وأهل الفضل والأدب لغلطت فى العد وضاع الحساب .

هذا وانى وضعت هذا السفر فى رحلتى الى بلاد اليابان وأودعته من أخبار تلك الأمة الراقية ما تغنى مطالعته عن النديم والسمير ومن أشياء شاهدتها فى ذهابى وايابى فى البلاد الأخرى رأيت من اتمام الفائدة ذكرها فى هذه الرحلة .

وحسبى شرفا أنها رحلة أول مصرى وطئت قدمه تلك الأرض من قديم الزمان الى الآن وقد اتبعت سنة أولئك المؤلفين ولكن رأيت أن أهدى رحلتى الى كل عالم وأديب فى مصر خصوصا الناشئة الحديثة التى هى موضع آمال الأمة .

وهنا مقصد آخر أرى من الضرورى الالماع اليه . وهو أننا أصبحنا فى عصر تتسابق فيه الأمم الى احراز قصب السبق فى ميدان الحضارة فأجدر بالشبيبة المصرية أن تطالع مثل هذه الرحلة ليروا أن فى الشرق أمة فى الثلاثين ربيعا من سنى حياتها الجديدة تنظر اليها الأمم الأخرى نظرة الاجلال والاعتبار حتى اذا قرأوا مالم يصل الى علمهم عنها دبت فى نفوسهم الحمية فنزعوا رداء الكسل .

وقالوا حى على خير العمل . فاذا عرف هذا علم أننى لم أتحمل الاخطار ووعثاء الاسفار ولم أعتمد فى الانفاق الا على الخلاق الا لأجل نفع بلادى وخدمة دينى وجامعتى فهذا أول مبرر لوضع هذه الرحلة .

هذه الرحلة اليابانية المباركة . قلما يسمع بها أحد هنا فى مصر .. بل اننا لا نجد لمثل هذه الرحلة نظيرا عند بعض الرواد والمكتشفين ممن حاولوا ارتياد بعض الآفاق فى أفريقيا وآسيا .

وربما تكون رحلة أستاذنا الكبير العلامة الشيخ ابراهيم الجبالى الى الهند فى الثلاثينيات — احدى المحاولات التى لم يقدر لها النجاح حين سافر على رياسة وفد من العلماء لدراسة أوضاع « المنبوذين » فى الهند وامكانية دخولهم فى الاسلام وبالطبع فان الاستعمار البريطانى والارساليات المسيحية بادرت باتخاذ كل الوسائل لافشال هذه المحاولة التى كان من الممكن أن تحدث تغييرا هائلا لصالح الاسلام والمسلمين فى شبه القارة الهندية قبل التقسيم .

وقد كان بين الأستاذ الأكبر الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى — والعلامة الدكتور محمد اقبال — مكاتبات كثيرة حول هذا الموضوع .

.. ولكن « الصين » كانت بعيدة عن هـذه المحاولات الارتيادية . ولم يكن الاهتمام بها داخلا فى اطار الاهتمامات الخارجية للأزهر . ولم يحدث هذا الاهتمام والالتقاء الا فى بداية الثلاثينيات ، وقبل الحرب العالمية الثانيـــة بسنوات .

لقد بدأ المصريون يتعرفون على الصين من خلال طلابها الذين حضروا الى مصر للالتحاق بالأزهر الشريف ، وكـانت معرفتى بهـؤلاء الطـلاب ـ فى معهـد القـاهرة الأزهـرى العريق ـ حيث كانوا يقيمـون فى الطـابق الأرضى فى العمارة التى تشغلها حاليا « كليـة المعاملات » والتى كانت واحدة مـن ثـلاث عمارات كان يشغلها معهد القاهرة آنذاك . كما سافر الى الصين كل من صاحب الفضيلـــة الشيخ محمد فليفل ، وفضيلة الشـيخ سيد الدالى لدراسة أحوال المسلمين هناك .

هل تكفى كل هذه الصور للتعـرف عـلى الصينيين والصين ؟

من المستحيل أن نقرر ذلك عن بلـد تبلـغ مساحته أكثر من أربعة ملايين وثلاثمائة ألف ميل ويبلغ عدد سكانه أكثر مـن ألف مليـون نسمة ، وينقسم اداريـا الى اثنتين وعشرين ولاية والى خمسة أقاليم مستقلة اسـتقلالا ذاتيا . (١)

وفوق هذا كله فانك تجد « الصين » فى كل مكان من شرق آسيا . وغربها وجنوبهـــــ فى « تايـــلاند » وفى « هونج كونج » وفى « مانيلا » أو « آمان الله » قبل آن تغير على يد الأسبان الى اسمها الحالى المعروف .

كما نجد الصينيين والصين فى «سنغافورة» وفى « ماليزيـــا » وفى « برونـــاى » وفى « اندونيسيا » حتى فى أقصى الجنوب بمدينة « سيدنى » باستراليا تقابلك ـ قبل عبـور جسرها الشهير ـ مدينة خاصة هى المدينـــة الصينية .. بل فى داخل « سيدنى » نفسـها وبجوار المسجد الذى كنت أخطب فيه فى حى سرى هيلز SURRY HILLS يكون الصينيون أغلبية ساحقة من معظم السـكان فى هذه المنطقة .

وفى ابان الثورة الثقافية . بدأت شـعوب هذه المنطقة تشعر بالخطر . وتتوقع الكارثة . وتنتظر قدوم الجيش الأحمر فى أية لحظة .. وسواء أكانت هذه التوقعات صحيحة .... أم كاذبة . فان الخوف من الصين أصبح علامة مميزة وظاهرة واضحة لدى كل الحكومات فى المنطقة .

وفى لقاء مع أحد علماء المسلمين فى احـدى هذه العواصم المسلمة أخذ الشيخ يحدثنى عن يأجوج ومأجوج وعن الخطر الأصفر ، وعـن السدين اللذين بناهما الاسكندر الأكبر وعـن التتار وهجومهم المنتظر ... ، ... ، ...

(١) القاموس السياسى : احمد عطية ـ حرف الصاد ـ طبعة القاهرة ١٩٨٠ .

وبدأ الشيخ يحوقل ، وكأنما حانت منيته فجلس يستعيذ بالله ويستغفر • (١)

كانت الثورة الثقافية ، وما صاحبها من أعمال وحشية وهمجية جريمة فى حق الصين نفسها ، قبل أن تكون خطرا على جيرانها •

وقد أعطت (الثورة الثقافية) وما صاحبها من تجاوزات لا انسانية كل المبررات لخصوم الصين وأعدائها • وقد أدى ذلك الخوف من الصين الى ثورات شعبية — ضد الصينيين — فى كثير من دول شرق آسيا ، ربما كان أهمها وأخطرها ماحدث فى اندونيسيا ، وكيف مثل بالصينيين والشيوعيين فى أعقاب المذبحة التى دبرها الشيوعيون لجنرالات الجيش بقيادة الزعيم الشيوعى الأندونسى « أديث » •

وفى الصين نفسها • هدمت المساجد وأحرقت الكتب الاسلامية وسيق العلماء والأئمة الى المصانع للعمل فيها بالقهر والقوة (٢) •

كما انعكس صدى هذه الثورة على المسلمين فى الدول الشيوعية المجاورة فأبيد ثلثا المسلمين فى « كمبونتشيا » وكان الاعدام يتم بطريقة مبتكرة • حيث يوضع المسلم فى كيس من « النايلون » ويظل معلقا فيه بعد احكام اغلاقه لمدة طويلة •

وقد رأيت — ولازلت محتفظا بما رأيت — فى صحيفة سيدنى مورننج هيرالد SYDNEY MORNIN HERAID هرما يبلغ ارتفاعه خمسة عشر مترا — من جماجم الشهداء والقتلى الذين تولت عصابة « خميرروج » قتلهم وابادتهم •

كانت نهاية عصابة الأربعة GANOG OFFOUR حدا فاصلا بين الصين الدموية الرهيبة وبين الصين الدولة المتحضرة الحديثة •

لقد أسدل الستار — بعد القضاء على هذه العصابة — على فترة مظلمة من تاريخ هذه الدولة •

وفى الوقت الذى فتحت فيه نوافذها على دول العالم ، وفى الوقت الذى توقفت فيه عن التدخل فى شئون غيرها من الدول • وفى الوقت الذى أدركت فيه مسئوليتها تجاه شعبها الذى أرهقته المجاعات والمحن •

لقد تغير وجه الصين تغيرا كاملا •• فالوداعة والابتسام يحلان مكان العبوس

---

(١) ياجوج وماجوج لم يثبت من هم • وان قال بعض المفسرين انهم من التتار الذين ساحوا فى البلاد الاسلامية فخربوها ودمروها • ومما يجعل هذا الرأى مقبولا : ان بعض الرحالة الاجانب عثروا على سد من الحديد قريب من مدينة « ترمذ » وأنه قد يكون السد الذى بناه ذو القرنين « فى ظلال القرآن » « سورة الكهف » •

(٢) لقد أعادت الحكومة الصينية فتح المساجد ، وأمرت باصلاح ما خرب منها ومنحت المسلمين حرية واسعة ، وقد رأيت هذا وسمعته من العلماء والائمة .

كما اثلج صدرى ما نشرته صحيفة « الصين اليوم » التى تصدر باللغة الانجليزية فى بكين ان الحكومة الصينية تمنح الطلبة المسلمين فى جامعاتها مبلغا اكبر من غيرهم حيث انهم لا يأكلون لحم الخنزير الرخيص الثمن ، والذى يأكله غيرهم .

التقليدى فى وجه القادة وفى وجه الساسة ، وفى وجه الاقتصاد . وفى وجه الشعب الذى كان محروما حتى من التوجع والألم حتى لا يظن به الضعف فى مواجهة امبريالية امريكا التى وصفها « ماوتسى تونج » بأنها نمر من الورق .

فى . بكين .. وفى كانتون .. وفى فندق جبل العطر THEFRAGRANT HQTEL

وفى محلات الصداقة
THEFRIEND SHAPSHOPS

كنت أظن هذه الفنادق وهذه المخازن مخصصة للأجانب فقط . ولكن هذا الظن يتلاشى عند أول خطوة تخطوها داخل أى محل أو فندق . فالأدوات الكهربائية . ولفائف التبغ الأجنبية والكوكاكولا والمرطبات العالمية الشهيرة كلها متاحة لأى صينى من أى طبقة وبسعر فى متناول يد أى عامل أو أية عاملة .

لقد سقطت القيود .. وانفرجت فى سور الصين العظيم أبواب للدخول والخروج .

وخرج الشعب الصينى من السجون .

كنت مشوقا الى زيارة الصين بعد آن زرت معظم بلاد الشرق الأقصى التى تحيط بها من الشرق الى الجنوب .

وكانت أمنية غالية لا تتحقق مالم تكن هناك فرصة من تلك الفرص التاريخية التى ينـدر حدوثها فى زماننا العجيب وكانت زيارة الصين نفسها ضربا من المحال كالعنقاء والخل الوفى الذى تتحدث عنها الأساطير .!

ولقد أتيحت لى هذه الفرصة على يد وزير الأوقاف الصديق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور ، فقد حرص على تمثيل الأزهر فى رحلته التى تمت بدعوة من حكومة الصين لزيارة المسلمين فى هذا البلد الذى يحرص على مودة العرب والمسلمين .

كانت رحلة تاريخية بكل المقاييس . كرما وحفاوة ، وكان الأزهر على لسان كل الناس مسلمين وغير مسلمين .

كما كانت هذه الرحلة امتدادا لرحلة أخرى قديمة قام بها الأستاذ المرحوم الشيخ / أحمد الباقورى قبل عشرات السنين .

وبعـــد ...

فماذا عن الاسلام وكيف وصل الى الصين ... ؟

وماذا عن المسلمين ومكانتهم فى بلد تتكون مساحته من أكثر من أربعة ملايين وثلاثمائة ألف ميل ... ؟

وماذا عن عدد المسلمين فى البلد الأكثر من بليون ... ؟

ثم ماذا عن الصين نفسها بعد « الثورة الثقافية » . وبعد وفاة « ماوتسى تونج » وبعد القضاء على عصابة الأربعة وبعد الانفتاح على العالم الذى اذهله وفاجأه هذا التطور السريع فى الصين ؟

فى مقالاتنا الثلاث المقبلة اجابات عن كل هذه الأسئلة ... بمشيئة الله .

د . عبد الودود شلبى

من أعلام القضاء في دولة الإسلام

أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم

علم من علماء الاسلام فى العصر العباسى الأول ، رفع العلم قدره وأعلى الفقه شأنه من تلميذ فقير تعهده أستاذه حتى وصل بـه الى وظيفته السامية ومنصبه الرفيع فى دولة الاسلام قاضيا لثلاثة من خلفاء بنى العباس هم المهدى والهادى ثم هارون الرشيد الذى حظى عنده بالتكريم والاجلال حتى كان أول مـن لقب فى عصره « بقاضى القضاة فى الاسلام » .

ذلك هو القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيمبن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبته الأنصارى ، وكان لجده سعد بن حبته صحبة مع رسول الله ﷺ وهو مشهور فى الأنصار بأمه وهى حبته بنت مالك من بنى عمرو بن عوف (١) .

كيف كانت نشأته

كانت نشأته الأولى فى الكوفة ثم سكن فى مدينة بغداد وتتلمذ على المشاهير من فقهاء عصره وهم عطاء بن السائب وأبى اسحق الشيبانى وسليمان التيمى ويحيى بن سعيد الانصارى والأعمش ، وهشام بن عروة ومحمد بن اسحق بن يسار وجالس محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى والليث بن سور ثم جالس أبا حنيفة النعمان وتفرغ له (٢) .

صفاته

كان شديد الاقبال على العلم وافر الذكاء متصفا بالوفاء عظيم الفطنة ما أن اختلف الى مجلس الامام أبى حنيفة النعمان حتى شمله بالرعاية واتخذ منه ابنا وتلميذا وجعله مقدم حلقته وكاتبها والأمين على مسائلها وكان ذا حافظة قوية فى حديث رسول الله ﷺ فقد كان يسمع المحدث فيحفظ منه خمسين أو ستين حديثا ثم يقوم ويمليها على الناس ، وأحيانا كان يحفظ الأحاديث التى نسيها رواتها وتأويلاتها (٣) .

---

(١) كتاب وفيات الأعيان لأبى العباس شمس الدين بن خلكان ـ الجزء الخامس .
(٢) المرجع السابق .
(٣) كتاب الأئمة الاربعة للدكتور مصطفى الشكعة .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

لقد رعاه أبو حنيفة رضى الله عنه وتعهده فأحسن تأديبه كما أحسن تعليمه وأوصاه بأنفس الوصايا فعمل بها ومن ثم خرج الى الحياة العامة والخاصة علما من أعلام العلم واماما من أئمة الحديث وقاضيا من أعدل القضاة وعينا من أعيان دولة بنى العباس واليه يرجع الفضل فى نشر مذهب الامام أبى حنيفة (٤) .

شىء من وصايا الامام أبى حنيفة

الى أبى يوسف :

هذه الوصية التى سنذكرها اشتملت على كل جوانب النصح التى يمكن أن يوصى بها أب ابنه أو أستاذ تلميذه ويمكن تقسيمها الى عناصر متنوعة لما تضمنته من نصائح غالية ومواعظ حسنة .

ففيما يتعلق بالعلاقة بالسلطان

يوصى أبو حنيفة تلميذه يعقوب بقوله

« وقر السلطان وعظم منزلته واياك والكذب بين يديه ، ولا تدخل عليه فى كل وقت وفى كل حال ما لم يدعك لحاجة علمية ، فانك ان أكثرت الاختلاف اليه تهاون واستخف بك وصغرت منزلتك فى عينيه فكن كما أنت من النار تنتفع بها وتتباعد عنها ولا تدن منها فانك تحترق وتتأذى منها ، فان السلطان لايرى لأحد ما يرى لنفسه .

وعن حاشية السلطان يوصيه فيقول

« ولا تواصل أولياء السلطان وحاشيته بل تقرب اليه فقط وتباعد عن حاشيته ليكون محلك وجاهك باقيا » .

وفى شئون العلم مع

السلطان يوصيه فيقول

واذا رأيت من سلطانك مالا يوافق العلم فاذكر ذلك له مع طاعتك اياه فان يده أقوى من يدك .

تقول له : أنا مطيع لك فى الذى أنت مسلطن فيه على غير أنى أذكر من سيرتك مالا

(٤) كتاب علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الاسلامى للمرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف .

يوافق العلم • وأفعل ذلك مرة أومرتين ليعرف منك الجد فى الدين والحرص فى الأمر بالمعروف أما اذا كان مبتدعا فناظره ولو كان سلطانا واذكر له ما يحضرك من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فان قبل ذلك منك والا فاسأل الله أن يحفظك منه » •

وفى التعامل مع العامة ينصحه فيقول

« ولا تتكلم بين العامة الابماتسأل عنه ، واياك فى الكلام فى المعاملة والتجارة الا بما يرجع الى العلم كى لا يوقف منك على رغبة فى المال فانهم يسيئون الظن بك ويعتقدون ميلك الى أخذ الرشوة منهم وبسط اليد اليهم •

ولا تضحك ولا تتبسم فيما بين العامة ولا تكثر الخروج الى الأسواق ولا تكلم الصبيان المراهقين ، ولا بأس أن تكلم الأطفال وتمسح رءوسهم •

ولا نمش فى قارعة الطريق مع المشايخ من العامة فانك ان قدمتهم أزرى ذلك بعلمك وان أخرتهم ازدرى بك من حيث أنهم أسن منك فان النبى ﷺ قال (من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا فليس منا) (٥) •

وفى نطاق النشاط العلمى يوصيه فيقول

« واياك أن تكلم العامة فى أصول الدين وعلم الكلام فانهم قوم يقلدونك فيشتغلون بذلك ، ومن جاءك فى المسائل فلا تجب الا على سؤاله ، ولا تضم اليه غيره فانه يتشوش عليه جواب سؤاله •

ولا تعرض عن العلم وان بقيت عشر سنين بلا كسب ولا قوت فانك اذا أعرضت عنه كانت معيشتك ضنكا على ما قال الله تعالى :

« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » (٦)

وأقبل على تلاميذك كأنك اتخذت كل منهم ابنا وولدا لتزيدهم رغبة فى العلم ، ناقشك من العامة والسوقة فلا تناقشه فانه يذهب ماء وجهك ، ولا تحتشم أحدا عند ذكر الحق ولو كان سلطانا » •

وفى مجال الوعظ والحض على العبادة

« وأكثر ذكر الله تعالى فيما بين الناس ليتعلموا ذلك منك ، واتخذ لنفسك وردا خلف الصلوات تقرأ فيه القرآن وتذكر الله تعالى وتشكره على ما أودعك من الصبر وما أولاك من النعم واتخذ لنفسك أياما معدودة من كل

---

(٥) رواه أبو داود والبخارى فى الادب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن •

(٦) سورة طه ١٢٤ •

شهر تصوم فيها ليقتدى غيرك بك فى ذلك ولا ترض لنفسك من العبادات بما ترضى به العامة » .

واذكر الموت واستغفر لأساتذتك ومن أخذت عنهم العلم وداوم على تلاوة القرآن وأكثر من زيارة القبور (٧) .

مدى ما كانت عليه مكانة أبى يوسف عند الخليفة هارون الرشيد

تكاد تجمع الأخبار على أن الرشيد كان يكرمه ويجله ، وأنه كان عنده محظيا مكينا ذلك أن الخلفاء والحكام لا يجلون العلماء لعلمهم وحسب وانما يجلونهم اذا ما كانوا صادقين مع أنفسهم صادقين مع الناس مترفعين عن الصغار بعيدين عن النقائص رافضين للنفاق .

كيف كان قضاء أبى يوسف

كان أبو يوسف عادلا فى حكمه حازما فى قضائه ذكيا فى الخروج من المآزق التى يتعرض لها رجال القضاء وخاصة اذا كانت تلك القضايا ذات صلة بالخليفة أوذى سلطان يحكى أنه لما خوصم الخليفة الهادى فى بستان له وشهد الشهود لصالح الخليفة سأله الخليفة عن حكمه فى تلك القضية فأجابه أبو يوسف بأن خصم أمير المؤمنين يسألنى أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق فقال له الهادى وترى ذلك ؟

فقال : قد كان ابن أبى ليلى يراه

فقال الخليفة فى الحال وقد فهم مقصد أبى يوسف « أردد البستان عليه فى الحال » . أى للخصم . وهكذا لم يداهن أبو يوسف الخليفة فيحكم له ظلما وانما تصرف بذكاء وأصدر حكما عادلا لصالح أحد الرعايا ضد الخليفة(٨)

مثال من فتاويه

كان لأبى يوسف فتاوى كثيرة ومثيرة لكنها جميعها كان مصدرها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أو الاجتهاد السليم والقياس الدقيق فى ضوء الكتاب والسنة ومن أطرف تلك الفتاوى فتواه التى أفتاها للخليفة هارون الرشيد عندما اختلف مع زوجته الأثيرة لديه السيدة زبيدة بنت جعفر فحلف عليها يمينا بالطلاق ألا تبيت ليلتها فى بلد يدخل فى ولايته ومقتضى اليمين آنذاك هو طلاقها من الخليفة فلقد كانت دولة الاسلام التى يتولى أمورها هارون الرشيد شاسعة الأرجاء واسعة الأنحاء ولم يكن فى الاستطاعة أن تغادر السيدة زبيدة مملكة الرشيد قبل قدوم الليل .

وفزع رجال البلاط العباسى الى أبى يوسف حتى ينظر فى هذه المشكلة لعله يجد لها حلا

◄

---

(٧) كتاب الأئمة الأربعة للدكتور مصطفى الشكعة .

(٨) كتاب أخبار القضاة لوكيع محمد بن خلف ابن حيان ــ الجزء الثالث .

ولشد ما دهشوا عندما ذكر لهم أبو يوسف الحل فى يسر وسرعة اذ أمر أن تبيت السيدة زبيدة فى المسجد لأنه ليس لأحد فى العالم ولاية على المساجد ولو كان الخليفة هارون الرشيد نفسه وهذا ما قرره الاسلام من حكم نص عليه كتاب الله وذلك فى قوله تعالى :

« وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا » (٩) .

وبناء على هذه الفتوى الصريحة حملت زوج أمير المؤمنين الى مسجد بغداد حيث قضت ليلتها فى أكرم بيت وأطهر مكان ساهرة ساجدة بعيدة عن كل ولاية الا ولاية الخالق الأعظم رب السموات والأرض وما بينهما . وبهذه الفتوى لم يقع يمين الطلاق عليها من زوجها الرشيد (١٠) .

الكتب التى الفها أبو يوسف

ترجم المؤرخون لأبى يوسف نحوا من سبعة عشر كتابا هى :

١ ـ كتاب الصلاة
٢ ـ كتاب الزكاة
٣ ـ كتاب الصيام
٤ ـ كتاب الفرائض
٥ ـ كتاب البيوع
٦ ـ كتاب الحدود
٧ ـ كتاب الوكالة
٨ ـ كتاب الوصاية
٩ ـ كتاب الصيد والذبائح
١٠ كتاب الغصب والاستبراء
١١ ـ كتاب اختلاف الأمصار
١٢ ـ كتاب الرد على مالك بن انس
١٣ ـ كتاب الجوامع
١٤ ـ كتاب الآثار
١٥ ـ كتاب الرد على ابن أبى ليلى
١٦ ـ كتاب الرد على سير الأوزاعى
١٧ ـ كتاب الخراج

وهذه الكتب جميعها هى فى حكم المفقودة باستثناء الكتب الأربعة الأخيرة وهى كتاب الآثار وكتابه فى الرد على ابن أبى ليلى وكتاب الرد على سير الأوزاعى وكتابه فى الخراج (١) .

لمحة عن كتاب الخراج

كتاب أبى يوسف فى الخراج هو فى الحقيقة رسالة كتبها عن مسائل كان الخليفة هارون الرشيد كلفه بالاجابة عنها فى مسائل الخراج والعشور والصدقات والجاليات فسجلها وأجاب عنها مسألة مسألة مدعما اجاباته بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأفعال

---

(٩) سورة الجن ١٨ .
(١٠) كتاب الأئمة الأربعة للدكتور مصطفى الشكعة .
(١١) المرجع السابق .

الصحابة وآراء أستاذه الامام أبى حنيفة ، كما تكلم عن الغنائم وما عمل به فى السواد وحرر فصلا فى الجزائر فى دجلة والفرات والغروب وفصلا فى أرض الشام .

والكتاب يعتبر ثروة فقهية نفيسة ومفخرة للتشريع الاسلامى حول كل ما يتعلق بأمور الخراج وما يتصل به من قريب أو بعيد فهو فى الحقيقة كتاب فقه وحديث ومحاسبة وقانون واجتماع وفكر وأدب وجغرافيا ورحلات وبحث وحوار (١٢) .

وجاليات جمع جالية وهى الجزية المفروضة على أهل الذمة لان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أجلاهم عن جزيرة العرب تنفيذا لأمر النبى ﷺ قبل وفاته ... (أنظر لسان العرب الجزء ١٨ فصل الجيم حرف الواو والياء) .

وفاة أبى يوسف

عاش ابو يوسف تسعا وستين سنة هى الفترة ما بين سنة ميلاده سنة ١١٣ هـ وبين سنة وفاته سنة ١٨٢ هـ ورغم ماعرف عنه من الأجتهاد وتحرى العدل فى أحكامه فقد أثر عنه أنه قال يوم وفاته . اللهم انك تعلم أنى لم أجر فى حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمدا ، ولقد اجتهدت فى الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك ﷺ وكل ما أشكل على جعلت أبا حنيفة بينى وبينك وكان عندى والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه (١٣) .

رحم الله القاضى أبا يوسف فلقد كان درة القضاة فى دولة الاسلام ، ووسام شرف فوق جبين علمائها لما اتصف به من نزاهة وصدق وعفة وأدب وخلق ودين ومروءة وعلم مع طهارة العرض وحسن السمعة وجلال التاريخ قال تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » (١٤) .

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

(١٢) المرجع السابق .
(١٣) كتاب وفيات الأعيان لأبى العباسى شمس الدين بن خلكان ـ الجزء الخامس .
(١٤ سورة فاطر ٢٨ .

المؤتمر الإسلامى الدولى حول

الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم
ودور الأزهر فيه

انعقد فى القاهرة المؤتمر الاسلامى الدولى حول الاعجاز الطبى فى القرآن فى الفترة من ٩ : ١١ محرم ١٤٠٦ هـ (٢٤ ـ ٢٦ سبتمبر ١٩٨٥ م تحت رعاية سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية .

ورياسة فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

ويعتبر هذا المؤتمر خطوة مباركة لفتت الأنظار الى بعض ما فى القرآن من ابداع واعجاز فى ميدان الطب ، ونافذة جديدة للتعرف على الله من خلال العلم المرتكز على كلمات الحق تبارك وتعالى ، وفصلا واسعا من فصول الهداية الى الاسلام .

ولا عجب فى هذا ولا غرابة .. فلقد توج هذا المؤتمر باسلام واحد من كبار العلماء الباحثين الذين حضروا اليه ، وساهموا فيه بأبحاثهم ، وهو مستر آرثر اليسون أستاذ الهندسة الألكترونية والكهربائية بجامعة « سيتى » بلندن ، والرئيس السابق لجمعية الدراسات النفسية والروحية البريطانية .

وقد أشهر هذا العالم الكبير اسلامه رسميا أمام فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه وسمى نفسه « عبد الله اليسون » وأعلن أمام فضيلة الامام بأنه سيكون جنديا مخلصا من جنود الاسلام الداعين اليه ، والمدافعين عنه كما أعرب عن سعادته بانضمامه الى الأسرة المسلمة والمجتمع الاسلامى ، وأشاد بالاسلام كدين يلائم الفطرة السليمة ، ويحث على العلم والبحث والمعرفة .

ولقد وصل عدد الأبحاث التى قدمت لهذا المؤتمر أكثر من مائتى بحث من علماء ينتمون أو يمثلون ٢٨ دولة من مختلف أنحاء العالم ،

دارت أبحاثهم حول علوم الأجنة والتشريح ، والوراثة ، والخلية ، والأمراض الجلدية والتناسلية ، والعقم ، وأمراض النساء . وطب

للشيخ مهدى عبد الحميد مصطفى

الأطفال ، والرضاعة الطبيعية ونحـو ذلك •

بالاضـافة الى بعض الموضـوعات الطبيـة المعاصرة ، مثل : الطب الشرعى ، والمـوت ، والأبحاث التجريبية للأدوية على البشر ، ونقل الأعضاء والدم ، والتلقيح الصناعى ، والمشاكل التى تواجه الطبيب المسلم عند استخدام الأساليب الطبية الحديثة •• وغير ذلك •

ولقد أقيم هذا المؤتمر ـ كما جاء على لسان أمينه الأستاذ الدكتور محمد حسن الحفناوى نتيجة الدراسات الطبية المتعمقة التى كشفت النقاب عن أسرار الخلق المذهلة •

تلك الصحوة الاسلامية الرائعة التى شهدتها المؤتمرات الطبية أخيرا •واهتمام كبار العلماء فى مختلف أنحاء العالم بالدراسات القرآنيـة بعد أن تبينت لهم اشـارات علمية معجزة فى آيات الذكر الحكيم •

وكيف لا ؟ وقد قرر المجلس الأعلى لعلوم التشريح والأجنة تغيير المصطلحات العلميـة المتداولة فى علم الأجنة ، واستخدام المعـانى اللفظية القرآنية لهذه الأطوار لما بها من دقـة واعجاز •• ولقد حمل هذه المهمة على عاتقـه ثمانية من كبار العلماء الدوليين ، أحـدهم : العالم الأمريكى «كيث مور » الذى شارك فى هذا المؤتمر ، وصاحب المؤلفات الكبيرة والعالمية فى علم الأجنة •

وروعى فى أبحاث هـذا المؤتمر أن تكـون متفقة مع الاشارات العلمية التى أوردها الذكر الحكيم ، دون مغـالاة فى اخضـاع النص للنظرية لأن العكس هو الصـحيح فالقـرآن الكريم لا يتناقض أبدا مع الحقائق العلميـة وعندما تخالف النظرية النص القرآنى فلا بد وأن تكون هذه النظرية خاطئة ، أو بها قصور وتحتاج الى اعادة نظر •

ولقد سـلطت الأضواء على هـذا المؤتمر وأبحاثه ، وتناقلت أنباءه وسـائل الاعـلام المختلفة فى الداخل والخارج ، ولكن ربما مما لا يعرفه الكثيرون دور الأزهر الشريف فى قيام هذا المؤتمر ونجاحه •

والحقيقة أن هذا المؤتمر قد تبنى فكرتـه منذ البداية الأزهر الشريف ممثلا فى شـيخه فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق عـلى

جاد الحق شيخ الأزهر .. حيث عرضت عليه فكرة هذا المؤتمر على أن تقوم به نقابة أطباء القاهرة ، ولكن فضيلة الامام نصح بتوسيع القاعدة لهذا المؤتمر لتكون اطار النقابة العامة للأطباء وليست نقابة أطباء القاهرة وحدها ،

وهذا قد أسهم بلاشك فى تضافر الجهود وتعدد وتنوع الأيدى العاملة فى صرح هذا المؤتمر .

كما كان لفضيلة الامام الأكبر دوره الكبير فى السعى لدى الجهات المختصة والمسئولة فى الداخل والخارج لمساندة هذا المؤتمر وتدعيمه

وكان من نتيجة ذلك مشاركة عدد كبير من الهيئات العربية والاسلامية فى هذا المؤتمر ،

وكانت رعاية سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية لهذا المؤتمر عاملا فى نجاحه والاقبال عليه .

ولقد كانت بحوث المؤتمر تحت الرقابة من الناحية الشرعية حيث روجعت بحوثه بمعرفة لجنة من أساتذة كليات جامعة الأزهر

المتخصصين فى علوم الشريعة والقرآن للوقوف على مدى موافقة الأبحاث لما ارتكزت عليه من آيات القرآن الكريم .

وكذلك شارك خمسة وعشرون عالما من الأساتذة والأساتذة المساعدين والمدرسين بكلية طب الأزهر فى أبحاث هذا المؤتمر ، حيث قدموا خمسة وعشرين بحثا حول : خلق الانسان ، والطب الاسلامى ، والطب النفسى ، والتربية الاسلامية للطفل ، وتنظيم النسل بين الفقه الاسلامى والطبى ، ومشروعية نقل وزرع

الأعضاء ، وختان الذكور ، وختان الاناث ، والأمعاء ، والنباتات الطبية ، والتنفس ، وأثر الثقافة الاسلامية فى بناء الطبيب المسلم ،

والاخصاب الصناعى ، والبنان ، والأمراض الجلدية الناتجة عن الكحول ، والعورة فى الاسلام ، والقرآن المكين وحول قول الله

« وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ »

والعظام . وغير ذلك من الأبحاث .

وقد أوصى فضيلة الامام الأكبر المؤتمرين فى جلسة المؤتمر الافتتاحية بالاستفادة بما فى القرآن من آيات الله فى الكون والانسان ، ليأخذوا الضياء من هدى السماء ، وقال فى كلمته :

ان انعقاد هذا المؤتمر الكبير الذى يشارك فيه وفود العالم الاسلامى ، لهو دعوة للالتفاف حول مائدة القرآن ، لنأخذ منه الهداية والعبرة والمعرفة .

وصدق الله العظيم :

« إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » .

فالقرآن دستور يحقق خيرى الدين والدنيا معا ، ويحث فى توجيهاته على التمسك بما يحقق للانسان سلامته النفسية والجسمية والعقلية ·· فهو خير للانسانية جمعاء ··ان أحدا لا ينكر الحقائق التى أوردها القرآن الكريم ، والتى أوضحتها وفصلتها الأبحاث والتجارب العلمية الحديثة ·

والقرآن دعانا الى ما يسمى فى الاصطلاح العلمى بالطب الوقائى ، وذلك بما شرعه من الطهارة والنظافة وأدب الطعام وعدم الاسراف فيه ، وأعتزال النساء فى المحيض وغير ذلك كثير وكثير ·

وقد حث الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ على التداوى ، وذلك فى معنى قوله : « تداووا ، فان الله خلق الداء والدواء ، فاذا صادف الدواء الداء تحقق الشفاء » فهذه دعوة اسلامية للانسانية ، تحث على استخدام الطب والأخذ بالاسباب توصلا الى الشفاء ·

كما أعرب فضيلة الامام الأكبر عن تمنياته بنجاح المؤتمر والاستفادة بما جاء به من أبحاث ·· وطالب باسم الأزهر والمسلمين الى الالتفاف حول مائدة القرآن ، لأنها مائدة الله ·

ومن هنا نرى دور الأزهر فى انعقاد هذا المؤتمر ونجاحه واضحا وملموسا وفعالا ، مما جعل المؤتمر يقدم شكره فى جلسته الختامية أول ما يقدم الى الأزهر الشريف معترفا بفضله ودوره العظيم ·

كما أبرزت توصياته حتمية الرجوع الى الأزهر الشريف فى الأبحاث الطبية التى ترتكز على المعانى القرآنية ·

وهكذا يبقى الأزهر قائدا ورائدا حتى فى مجالات العلوم الانسانية ·

مهدى عبد الحميد مصطفى

قرارات وتوصيات المؤتمر

قرر أعضاء المؤتمر ارسال برقية شكر وتقدير الى السيد محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية على قبوله شمول المؤتمر برعايته .

يقرر المؤتمر ان العلم بما كشف عن حقائق علمية اخبر عنها القرآن والسنة قبل أربعة عشر قرنا ليؤكد أن الاسلام هو الدين الصالح لكل زمان ومكان .

اولا ـ توصيات عامة :

١ ـ يوصى المؤتمر بانشاء هيئة عالمية لتطوير وتمحيص ونشر أبحاث الاعجاز العلمى فى القرآن واصدار الدوريات وارسال الوفود عن طريق الأزهر الشريف ـ ورابطة العالم الاسلامى ـ والمنظمة العالمية للعلوم الطبية الاسلامية ونقابات أطباء مصر وجمعياتها الطبية وكافة الهيئات الأخرى المهتمة . وأن تقوم هذه الهيئة بعقد مؤتمرات دولية عن الاعجاز الطبى كل ثلاث الى خمس سنوات بواسطتها أو بواسطة احدى هيئاتها .

٢ ـ التوصية بانشاء هيئات من السادة علماء الشريعة والطب المهتمين بالدراسات ذات العلاقة وذلك فى كافة الدول الاسلامية .

٣ ـ تبادل الوفود والأبحاث بين العلماء المسلمين ودعم الاهتمام الدولى العلمى الطبى بالدراسات القرآنية ذات العلاقة .

٤ ـ تدعيم الاتصال بالجمعيات والهيئات التى تعمل فى مجال الطب الاسلامى فى أنحاء العالم وربطها بالمؤسسات الشرعية فى الدول الاسلامية .

٥ — التوصية بالتزام الدول الاسلامية بعمل دليل طبى اسلامى للأدوية الخالية من الكحول والمواد المحرمة الأخرى ، وحث شركات الادويـة العـالمية لانتاج هـذه الأدوية .

ثانيا — فى مجال التعليم الطبى :

١ — حث الجامعات على تسجيل رسائل الدراسات العليا فى كليات الطب والعلوم فى مجال الموضوعات ذات العلاقة بالقرآن الكريم والسنة وعلاقاتهمـا بالعلوم الحديثة كما توصى وزارة التربية والتعليم باعـادة النظـر فى المنـاهج العلمية التى يتنافى أو يتعارض بعضها مع حقـائق القـرآن الكـريم كالأحياء وغيرهـا .

٢ — يوصى المؤتمر جميع المؤسسات والهيئات العلمية بتنشيط حركة التأليف والترجمة والنشر وبصفة خاصة تعريب الطب وسائر العلوم ويناشـد المؤتمر أن تتخذ الخطوات الايجابية لتعليم الطب باللغة العربية .

٣ — يوصى المؤتمر الدول الاسلامية بدعم المؤسسات المعنيـة بأبحـاث الاسلام والعلوم التجريبية فى شتى المجالات ويؤكد المؤتمر على توصـيات المؤتمرات الطبية الاسلامية السابقة .

٤ — يدعو المؤتمر جميع المؤسسات التعليمية فى العـالم الاسـلامى الى اعادة صياغة مناهجها بما يتوافق وحقائق هذا الدين عقيـدة وشريعة والعمـل على تنقية هذه المناهج من مظاهر التناقض بين العلم والدين والاستفادة مما ثبت من الاعجاز القرآنى والسنة فى العالم .

٥ — الاستفادة من المنهج الاسلامى فى مجـال الصحة والطب فى تطوير التعليم الطبى ومناهج الدراسة بكليات الطب فى البلاد الاسلامية مع نشر أوجـه الاعجاز القرآنى بين هيئات التدريس . وقد وضعت بين يدى المؤتمر وثيقـة الكويت المسماة الدستور الاسلامى للمهن الطبية والتى اعتمـدها المؤتمر الأول للطب الاسلامى الذى انعقد بالكويت سنة ١٤٠١ هـ الموافق ١٩٨١ م

قرارات المؤتمر

ثالثا ــ فى مجال اداب مزاولة المهنة :

١ ــ الاستعانة بالآداب والأخلاقيات المستقاة من القرآن الكريم والسنة المشرفة فى تطوير لوائح آداب مزاولة المهنة بما يسهم فى ايجاد مستوى ملائم لمزاولة المهنة بالصورة التى تخدم البشرية .

٢ ــ العمل على أن يكون قسم الأطباء من هدى القرآن والسنة وتعميمه فى كافة البلدان الاسلامية .

رابعا ــ فى مجال متابعة اعمال المؤتمر :

١ ــ نشر الأبحاث التى أقرت وتوزيعها على كافة المؤسسات العلمية الاسلامية وغيرها .
وغيرها .

٢ ــ متابعة استمرارية البحوث فى مجال هذا المؤتمر .

٣ ــ اصدار دورية طبية لنشر كل مستحدث فى التقدم الطبى والعلمى والذى له علاقة باعجاز القرآن الكريم .

أمين عام المؤتمر

أ ٠ د٠ محمد حسن الحفناوى

رئيس لجنة التوصيات
أمين عام نقابة الاطباء
د٠ عبد الفتاح شوقى

الفتاوى

إعداد
الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : مـن الســـيد / ع ٠ م ٠
أبو الذهب ٠٠ أسيوط ٠

رجل أخذ من آخر أوقية من الفضـــة منذ خمســين عاما ، ثم أراد أن يردهـــا اليه اليوم ٠٠٠ فهل يدفع قيمتها اليـــه بسعر اليوم أو بالسعر الذى كان يـــوم أخذ هذه الأوقية ؟ ٠

ج : اعطاء أوقية الفضة لآخر ، اما أن تكون على سبيل القرض أو الوديعة . والوديعة اذا لم تكن نقدا يجب ردها بعينها . وان كـــانت نقدا وجب رد مثلها٠٠٠ ، أما القرض فان كان عينـــا وجب رد مثله ؛ وان كان نقدا وجب رد مثله أيضا عند الجمهور . وأجاز بعض العلماء رد قيمته قبل يوم طلبه وقبل يوم سداده ٠

وعليه فيجب رد أوقية من الفضة مثل التى أعطيت له ٠

س : من السيد / د ٠ ف ٠ المسكين ٠ الواحـــات ٠

هل الدعاء يبطل الصلاة أم لا ٠٠ ؟

ج : ان الصلاة دعاء : فالفاتحة دعاء ، وورد أن الدعاء مستحب وقت السجود ، فأقـــرب ما يكون العبد الى ربه وهو ساجد ، والقنوت دعاء ٠٠٠ ولكن بشرط ألا يكـــون الـــدعاء بمحرم ٠ وأن يخلو من خطاب الآدميين ٠

س : من السيد / م ٠ م ٠ ناصـــف القاهرة

تقدمت لخطبة فتاة واشترطت عليهـــا أن تكون محجبة ، وبناء عليه قـــدمت

شبكة ذهبية عبارة عن اربع أساور، ومصحف ، وسلسلة ، ودبلة ، تقدر بمبلغ ألف وسبعمائة جنيه مصرى (١٧٠٠ جنيه) .. وسافرت الى السعودية ثم عدت فوجدت الشرط لم يتحقق وهو الحجاب . وبناء عليه تم فسخ الخطبة .. فما حكم الشبكة ؟.

ج : الشبكة جزء من المهر ، والمهر لا تستحقه المخطوبة الا بالعقد عليها ، ومادامت الخطبة قد فسخت فان الشبكة جميعها ترد الى الخاطب ، ولا شىء للمخطوبة فيها لأنها أجنبية .

س : من السيد / ح . ق . البرنس البحيرة .

ما حكم الشرع فى رجل طلق زوجته بعد العقد عليها وقبل الدخول بها بقوله لها : أنت طالق ، ويريد أن يدخل عليها ؟

ج : بقوله لزوجته غير المدخول بها هذه : أنت طالق يقع به طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى ، لا تحل له الا بعقد ومهر جديدين وبرضاها ، على أن تكون معه على طلقتين .

س : من السيدة / أ . ح . الصورانى .

تزوجت ابنتى من مصرى مسلم ، وقد سمح لها بالسفر الى بلد عربى منذ مايو سنة ١٩٨٤ هى وأولادها ، ولم ينفق عليهم جميعا من هذا التاريخ حتى الآن ، فقامت الزوجة برفع دعوى أمام القضاء بطلب الطلاق غيابيا لعدم الانفاق .

فهل يعد طلاق القاضى لها غيابيا طلاقا شرعيا صحيحا ؟ .

ج : اذا صح قولها : فى أن ابنتها رفعت دعوى أمام القضاء لطلب الطلاق بينها وبين زوجها بسبب عدم الانفاق عليها وعلى أولادها ... فاذا طلقها القاضى أصبح الطلاق واقعا شرعا ، وجاز لها الزواج من آخر بعد انقضاء عدتها منه شرعا .

س : من السيدة / س . م . المنصورة .

توفى رجل عن : زوجة ، بنتين ، اخوة أشقاء ، اخوة لأب . فمن يرث ومانصيبه .

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث . وللبنتين الثلثان فرضا لعدم وجود من يعصبهما وللاخوة الأشقاء الباقى تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .. ولا شىء للاخوة لأب لحجبهم بالاخوة الأشقاء .

س : من السيد الدكتور / محمد فائق الطوبجى .

توفيت امرأة عن : اخوة الأم ذكور واناث ، وأخ لأب ، فمن يرث وما نصيبه ؟ .

ج : للاخوة لأم الثلث فرضا لعدم وجود من يحجبهم يقسم بينهم للذكر مثل الأنثى ، والباقى للأخ لأب تعصيبا .

والله أعلم ..

عبد الحميد السيد شاهين

طرائف

قالوا .. عند الوفاة

عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — :
وددت أن أخرج منها كفافا كما دخلت فيها ، لو أن لى اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع » •
عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه •

اللهم انك أمرتنى فقصرت ، ونهيتنى فعصيت ، وأنعمت على فأفضلت ، فان عفوت فقد مننت ، وان عاقبت فما ظلمت الا أنى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله •

هشام بن عبد الملك : «جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم عليه ما حمل ، ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له •

أبو الدرداء :
ياليتنى كنت شجرة تعضد وتؤكل ثمرتى ولم أك بشرا •

متى تجب الجنة ؟

من ملك نفسه حين يرغب •
وحين يرهب •
وحين يغضب •
وحين يشتهى •

أنواع الظلم

ظلم لا يغفره الله ، وظلم لا يتركه الله ، وظلم لا يعبأ الله به شيئا •
فأما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك به •
وأما الظلم الذى لا يتركه الله فمظالم العباد بعضهم بعضا •
وأما الظلم الذى لايعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى :

تأثير الغنى والفقر فى الاخلاق

كتب عمر بن الخطاب أمير المؤمنين — رضى

ومواقف

عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

الله عنه ــ الى عامله على العراق أبى موسى الأشعرى يقول له:

لا تستقضين الا ذا حسب ومال ، فان ذا الحسب يخاف العواقب ، وذا المال لا يرغب فى مال غيره .

ورى عن بعض سلفنا الصالح قوله :

انى وجدت خير الدنيا والآخرة فى التقى والغنى ، وشر الدنيا والآخرة فى الفجور والفقر .

وقال بعض الشعراء :

ولم أر بعد الدين خيرا من الغنى
ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

إبن المقفع يصف صديقا له

وصف ابن المقفع صديقا له فكان مما وصفه به قوله : كان لى أخ أعظم الناس فى عينى ، وكان رأس ما عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه ، وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة .

وكان خارجا من سلطان لسانه ، فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يمارى فيما علم ، وكان أكثر دهره صامتا ، فاذا قال بز القائلين .

وكان لا يلوم أحدا فيما يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما عذره .

وكان لا يشكو وجعه الا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يستشير صاحبا الا أن يرجو عنده النصيحة .

وكان لا يتبرم ولا يتسخط ، ولا يتشكى ولا يشتهى ، ولا ينتقم من العدو ، ولا يغفل عن الولى ، ولا يخص نفسه بشىء دون اخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته .

فعليك بهذه الأخلاق ان أطقتها ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

دعاء

اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، اللهم اجعلنا سلما لأوليائك ، حربا على أعدائك ، اللهم انا نحب بحبك من أحبك ، ونعادى بعداوتك من عاداك .

من أعلام الأزهر

عبد المتعال الصعيدى

العالم الأديب المصلح

٢

تعددت مؤلفات الأستاذ الصعيدى ، وتنوعت موادها ، اذ كان ملما بنواحى الثقافة الاسلامية فى أظهر ميادينها ، وله فى كل مادة درسها ودرسها رأى يجمع الطريف الى التليد ، لقد ألف الأستاذ فى التشريع الاسلامى وفى الأدب العربى وفى التاريخ الاسلامى كما وقف على نشر بعض كتب التراث ، وقام بالتعليق عليها ، موجزا تارة ، ومسهبا تارة أخرى ، ومحاولة استقصاء كل ما كتب الأستاذ من مؤلفات مما يضيق به هذا المجال ، وهذا غير مقالاته التى لم تجمع فى كتب خاصة وهى كثيرة كثيرة • لأن الأستاذ كان مجادلا مقاولا ما يكاد يطالع فى صحيفة علمية بحثا ذا أهمية ، حتى يلهمه من الخواطر ما يدفعه الى التعليق ، وقد جادل كثيرا من أعلام العصر على صفحات الرسالة نذكر منهم الأساتذة عبد الحميد العبادى وعباس محمود العقاد وزكى مبارك ومحمد أحمد الغمراوى ، وعلى عبد الواحد وافى وغيرهم ، وليس الجدال ذا بال اذا لم يكن فى مسائل جوهرية ، وكان صاحبه ضليع الرأى ثاقب النظر فسيح الصدر ، وهكذا كان الأستاذ الصعيدى فى أكثر ما خاض •

ونبدأ بالالمام ببعض بحوثه فى مسائل التشريع الاسلامى ، اذ جال جولات موفقة فى ايضاح محامد الشريعة • وبيان مرونتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، وله كتاب « مستقل تحت عنوان (فى ميدان الاجتهاد) بدأه ببحث شاف هادف عن ضرورة الاجتهاد فى مسائل التشريع ، بعد أن أوصدت القرون المتأخرة بابه ، وأفتى علماؤها بوجوب التقليد نظرا لغياب المجتهد ، فبين أن باب الاجتهاد كان مفتوحا فى عهد السلف ، وفى ميدانه ظهرت آراء السابقين من أئمة المذاهب الدينية، ثم أنشئت المدارس الفقهية الرسمية ابتداء من سنة ٤٥٠ هـ كالمدرسة البيهقية والمدرسة العيدية بنيسابور والمدرسة النظامية ببغداد ، فحددت المذاهب التى لا يجوز أن ينظر الطلاب

للدكتور محمد رجب البيومي

فى غيرها ، فكان ذلك خطوة أولى فى التضييق التشريعى ، وحين جاء صلاح الدين الى مصر بنى المدرسة الناصرية سنة ٥٦٦ والمدرسة الصلاحية سنة ٥٧٢ وخصهما بتدريس الفقه على مذهب الشافعى وحده ، ثم رأى أن ينشىء مدرسة ثالثة لتدريس الفقه الحنفى ، فلما كانت سلطنة الظاهر بيبرس فى عصر المماليك عين قضاة للمذاهب الأربعة ، وجعل الدروس الفقهية لا تحيد عنها بحال فى كل مدارس القاهرة والاسكندرية وغيرهما .

يقول الأستاذ الصعيدى« وفى هذه المدارس أقفل باب الاجتهاد ، وقبرت المذاهب الفقهية عدا المذاهب الأربعة ، وقد كانت هناك مذاهب كثيرة لأهل السنة والجماعة بقى بعضها الى القرنين السابع والثامن ، ومن هذه المذاهب مذهب البصرى والثورى ولم يعمل بهما أمدا طويلا لقلة أتباعهما ، ومذهب الأوزاعى وقد بطل العمل به بعد القرن الثانى للهجرة ومذهب أبى ثور وقد بطل العمل به بعد القرن الثالث ، ومذهب ابن جرير الطبرى وقد بطل العمل به بعد القرن الرابع ، ومذهب الظاهرى وقد طال أمد العمل به حتى القرن الثامن) .

وهذا القول يدل على أن هذه المذاهب الفقهية قد درست قبل انشاء المدارس ، ولم يتح البقاء لغير المذهب الظاهرى بعد انشائها ! فقول الأستاذ ان انشاء المدارس الفقهية ابتداء من سنة ٤٥٠ قد أضعف ميدان الاجتهاد حيث فرض التدريس بمذهب خاص ، لا يخلو من نظر ، اذ أن هذه المدارس المندرسة لم تكن ذات أتباع ومؤلفات حينئذ ، وانما كان الذيوع لغيرها ، واذا كان من الفقهاء من تعصب لمذهبه ، فمنهم لا محالة من خلا من روح التعصب ، ونظر فى آراء المذاهب السائدة ، وقام لديه ترجيح ما يختار واذا كان منشئو المدارس من الحكام والوزراء قد فرضوا مذهبا فقهيا خاصا بالتدريس ! فلم يمنعوا فقهاء غير هذه المدارس من التأليف الفقهى كما يشاءون ! ولم يمنعوا الاجتهاد فى حدود المذهب أو خارجه كما يقال ، ولكن جمود الفقهاء على المتوارث من الأقوال فى العصور المتأخرة قد أوقف النماء الفكرى لمسائل الفقه ، اذ لم نجد غير أفراد قلال شاركوا بالرأى الصائب فى مسائل التشريع ، ونحن الآن فى القرن العشرين نرى الداعى

عبد المتعال الصعيدى

ملحفا ملحا فى وجوب النظر الفقهى المطلق دون تقييد بمنحى خاص الا بالدليل الواضح من كتاب الله وسنة الرسول ، وما يتسع به المجال من القياس ! وقد دعا الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى الى ضرورة الاجتهاد ، ولاقى من المعارضين حملات كثيرة ساعدت الصحف المغرضة على اثارتها ، ولكنه وجد من أبناء الأزهر من أيدوه وآزروه ، وكان الأستاذ الصعيدى فى طليعة هؤلاء المؤيدين ، ولكنه عارض الأستاذ المراغى حين ألف لجنة الفتوى بالأزهر وحدد لها محيط الافتاء حين فرض أن تجيب اللجنة طالب الفتوى على المذهب الفقهى الذى يحدده المستفتى فاذا لم يعين مذهبا خاصا أجابته بحكم الله المؤيد بالأدلة من غير تقييد بمذهب من المذاهب الشرعية » .

يقول الأستاذ الصعيدى تعقيبا على ذلك ما فحواه ، ان الخضوع لارادة المستفتى فى تحديد مذهب خاص غير وارد اذ على اللجنة أن تفتى بما يترجح لديها دون اعتبار آخر ، فاذا ثبت لديها بالدليل ترجيح حكم على حكم هتفت به دون رعاية لميل خاص . ثم أفاض الأستاذ فى الحديث عن أصول الاجتهاد ، وهى معروفة مشتهرة ودعا الى تأليف موسوعة جامعة لمسائل الفقه فى شتى المذاهب الاسلامية دون الاقتصار على المذاهب الأربعة ، لتكون هذه المسائل قريبة من الأفهام ، ومجالا للترجيح والنقد ، مما يعد خطوة أولى لفتح باب الاجتهاد ! ثم أنهى البحث معترفا بأنه انسان يخطىء ويصيب ، ويقدم الرأى ليتداوله الناقدون من المتخصصين .

وبعد هذا التمهيد الداعى للاجتهاد ، كتب الأستاذ فصلا عن الحجاب فى الاسلام ، اذ اعتنق بعض زعماء المنبوذين فى الهند دين الاسلام لمناداته بالمساواة ، ووقف أتباعهم مترددين أمام ما يدعونه من فرض الحجاب على المرأة المسلمة ، واهتمت مشيخة الأزهر حينئذ بتصحيح الرأى فأصدرت فتوى قالت فيها باجماع الأئمة على أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، وليس على المرأة من بأس أن تزاول أعمالها خارج بيتها ، وأن تمارس مهنا لكسب قوتها على شريطة ألا تظهر ما يثير العاطفة من جسمها ، فالاسلام لم يفرض على المرأة أن تعيش كما تعيش الأنعام أو أن تسجن كما يسجن المجرمون ، ولكنه على العكس أمر ان تحضر الصلوات فى المساجد فى صفوف خلف الرجال وأن تشهد اجتماعات المسلمين العامة فى الأمور الهامة ولم نمنع قط من ابداء الرأى فيها ، هذا بعض ما جاء بتقرير مشيخة الأزهر ولكن بعض الكتاب قد عارضه فى الصحف ، فرأى الأستاذ الصعيدى أن يفرد بحثا شافيا مسهبا فى مسألة الحجاب ينحو فيه منحى الفتوى الأزهرية الصائبة ، فيذكر الآيات القرآنية الخاصة بزوجات النبى ﷺ مبينا أن المقصود من حجاب أمهات المؤمنين ابتعادهن عن الأنظار فحسب ، ولا حرج عليهن فى الخروج للحج ، ولا أن يبلغن أحكام الرسول لمن سأل عنها ، ونقل من النصوص الكثيرة الشافية ما يثبت ذلك عن جزم ويقين مستشهدا بأحداث التاريخ فى مسألة الجمل وموقف السيدة عائشة رضى اللهعنها من سيدنا

عثمان ، فاذا خلص من ذلك تحدث عن غير أمهات المؤمنين من النساء فذكر أن الحجاب غير مفروض عليهن ، واستشهد بمواقف الصحابة والتابعين من زوجاتهم ، موضحا أن بعضهم قد حاول حجابهن بحكم الغيرة الشخصية لا بحكم الدين ، وأن منع المانع كان لأسباب خاصة لا لأمر دينى ، واستشهد بما رواه عبد الرازق عن معمر عن الزهرى أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت تحت عمر بن الخطاب وكانت تشهد الصلاة فى المسجد ، وكان عمر يقول لها : والله انك لتعلمين أنى ما أحب هذا فقالت والله لا أنتهى حتى تنهانى ، قال عمر : فانى لا أنهاك ، فلقد طعن عمر يوم طعن وانها فى المسجد ، وبعد استشهاد متعدد بالأحداث والمواقف قرر الأستاذ أن المرأة المسلمة فى حل من هذا النقاب الذى فرض عليها فى دينها فاذا شاءت سترت وجهها ، واذا شاءت تركت وجهها بلا نقاب .

وقد دعا بعض المتسرعين الى مساواة المرأة بالرجل فى الميراث ، وألقى محاضرة متهافتة تدل كما ادعى على الظلم التشريعى فى عدم المساواة ، ونشرت الصحف ما قال المحاضر ، وعقبت بما يدل على التأييد من نفر لا يسرهم ان يلتزموا وجه الحق . افتنانا بما درسوه فى أوربا ، وتحدث بعض الناس عن المواريث فى الاسلام حديث من يوقف التشريع موقف الاتهام اذا قيس بقوانين الغرب ، فرأى الأستاذ الصعيدى أن يفرد كتابا مستقلا عن الميراث فى الاسلام وفى غيره من الشرائع المعاصرة فقام بدراسة مقارنة تكشف الغشاء عن عيون يملؤها الظلام ، وقد راج الكتاب فى مناسبته ، وتعددت طبعاته فى زمن يسير اذ صادف وعيا حيا من القراء ، وقد بدأه المؤلف بتفصيل شاف لأحكام الميراث فى الفقه الاسلامى وانتقل فى الفصل الثانى الى المواريث فى الشرائع القديمة فتحدث عن قوانين المصريين القدماء ، والعرب فى الجاهلية ، واليونان فى أثينا ، والرومان فى ايطاليا ، واليهود فى كتبهم المقدسة ، وجاء الفصل الثالث ليتحدث عن المواريث فى الشرائع الحديثة ، ومن بينها القانون الفرنسى الذى يراه المحاضر مثلا أعلى فى التشريع ، وبعد أن تقرر ذلك ، وعرف القارىء منحى الأمم من قديمة وحديثة فى اتجاهها الميراثى ، جاء الفصل الأخير ليقيم الموازنة العادلة بين الاسلام وغيره فى هذا الباب ، وقد امتد نطاق الموازنة ، فشمل حق الارث ، والتسوية بين الذكور والنساء والتسوية بين الاخوة والأبوين ، والتسوية بين الاخوة ، وحلول أولاد الوارث محله ، وتوريث ولد الزنا وتوريث المختلفين فى الدين ، وحجب البنات بالأبناء ، وحجب الأصول والحواشى بالبنات ، وحجب الجدود بالاخوة ، وحرمان الحمل من الارث ، واباحة مال من لا وارث له ، وتعليق الارث على القضاء ! ولكل مسألة من هذه المسائل تعليلها العقلى ، ودليلها الشرعى من نصوص الكتاب والسنة مقارنة بغيرها فى المواريث الوضعية ، وهذه دراسة مقارنة ناجحة ، من الخير أن تعم جميع الأبواب الفقهية فيتجرد نفر من الدارسين الى عقد مقارنات دقيقة بين الشرائع والقوانين ،

عبد المتعال الصعيدى

مظهرين وجهة الاسلام فى منحاه التشريعى وهذا ما تحقق بعضه فى نطاق محدود نرجو له أن يمتد ويستزيد ان شاء الله .

واذا كان الصعيدى يتابع ما يدور من نقاش علمى فى الصحف ، ويسهم فى ابداء الرد فى حوار لا ينقطع ، فانه لا محالة قد يتعرض لبعض الخطأ فيما يقول ، لأن الكمال لله وحده ، وقد فتحت جريدة السياسة الأسبوعية سنة ١٩٣٧ صدرها لمناقشة مسألة الحدود فى الاسلام ، وغلا بعض الكاتبين ، فردد ما يقوله أذناب المستشرقين عن قسوة الحدود كقطع يد السارق ورجم الزانى ، بينما جوبه بردود حاسمة تنفى مظنة هذه القسوة ، لأن الشرائع الوضعية جميعها توجب القصاص ، وتحكم بالقتل على القاتل ، كما تحكم به على من يتجسس لحساب دولة أخرى ، أو ينهض بثورة مسلحة ضد الحاكم ، فاذا كان حكم الاعدام مشروعا فى حالات كثيرة ، دون أن يزعم أحد أنه مثل للقسوة المفرطة ، فان الحكم بالرجم وقطع اليد مشروع اذا وجه لمن يستحقه . ! وفى غمرة هذا النقاش بدا للأستاذ الصعيدى أن يشير الى رأى فى الحدود ، قد احتاط له كل الاحتياط ، وأعلن أنه يعرضه للبحث فحسب ، لأنه يحتمل الصواب والخطأ ، يقول الأستاذ عن رأيه الجديد .

« وانى ألجأ الى عرضه على الناس رأيا لا يظهر فيه ترجيح « لناحية اثباته أو نفيه ، بل أتركه لمن يتناوله بالبحث من أهله على صفحات السياسة ، وقد أخوض فى ذلك مع من يخوضون فيه اذا رأينا ما يستدعى هذا منى ، ولا أريد الا أن أعرض فكرة سنحت فى النفس لأعرف رأى الباحثين فيها وأعلم صوابها من خطئها » (١)

أما لباب الفكرة فهى أن قول الله عز وجل **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم »** وقوله تعالى : **(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدةولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)** هذان الأمران الكريمان قد يكونان للاباحة لا للوجوب ، بمعنى أن يكون القطع فى السرقة أقصى عقوبة فيها ، فيكون الطرف الأعلى فى حدها ، ويجوز العدول عنه فى بعض الحالات الى عقوبات أخرى رادعة وان كانت أحق منه، ثم استشهد بعدة وقائع عدل فيها عن تنفيذ حد السرقة لبعض الظروف .

هذا ما عرضه الأستاذ على الباحثين ليتبين خطأه من صوابه ، فهو لا يجزم بالصواب بل يتقدم مستفهما مستوضحا ، واذا كان

البقية صفحة ٢٥٥

---

(١) قضية مجاهد فى الاصلاح ص ١٢٦ .

شعر وشعراء

إشراف: د. حسن جاد

الله أكبر

"نجاة شاور" الروح الشاعرة

خواطر إسلامية

للأستاذ محمد صيان الدين

أيسـام خسـفا جائرا ويضام ... مـن كان منهج عيشـه الاسلام
أتضيق أرض الله وهى رحيبـة ... بالمسـلمين وانهم لكـرام
فى كل ركن من بلاد الله مذبحـة ... يشـيب لهـا فتى وغـلام !
شحذ الأباطرة الطغاة لها المدى ... ان الـدماء لدى الطغـاة مـدام
ملكوا زمـام المسلمين فأخضـعوا ... أمما لهـا فوق السها أقـدام
وتحكموا بالجـور حتى يطفئـوا ... حقـدا لـه بين القلـوب ضرام
فقـراهم للجـائعين تعلـة ... وسقاؤهم للظامئين جهـام
الأرض مـائدة تفيض بخيرها ... قد حازهـا بيد الـدهاء لئـام
فيهـا لكـل ذوى أنتحـال مـرتع ... وبنو الحنيفة حولهـا أيتـام
قـد حلطيبهـا لاجنـاس الورى ... لكنهـا للمسلمين حـرام
ما بالهم يتكففون القـوت مـن ... أعـدائهم فى طبـه الآلام
وهم الـذين تبوءوا الارض التى ... تجـرى بها الأنهار والأنسـام
وكنـوز باطنهـا نضـار سـائل ... وأديم ظـاهرها جنى وطعـام
يتسـولون العلم وهـو تراثهم ... قـد ضـيعوه وحـازه الأقوام
وارحمتـاه لأمـة قـد طالمـا ... خفقت لهـا فى عزة أعـلام

الله عـــدل فى الخليقة انمــا الا نســـــان فى نزواتــه ظــــلام

فالمسلمون غثــاء سيل أغـــرموا بالغث مــن متــع الحياة وهــاموا

وتقاعســـوا عـــن كل مكرمـــة لهم واستعذبوا صاب الخنوع ونامــوا

ميــدانهم عنـــد النفيــر مــلاعب وسيوفهم فى الغاشيات كـــلام

باللـــه أنى يســـــتقيم لأمـــــة أمر وقـــد فتكت بهــــا الأسقام

ماعز فى الـــــدنيا سـفيه خـــائر بل راشـــد زاكى الفؤاد همـــام

لا لا تلومـــوا المعتـــدين وانما لوموا الذين على الهوان أقامـــوا

ان كـــان حـــــراس الحمى متواطئين فمــا عــلى اللص المغـــير مـــلام

شر الـــوريث مفــرط فى تـــالد خشعت أمـــام جــلاله الأيـــام

يـــامعشر الاسلام ان عـــدوكم سهران لا يغفو وليس ينـــــام

متســـتر خلف الـــدمى فى كفـــه للمســــلمين أسنة وســــهام

من كـــل معتــل الفـــؤاد مسـخر يضــــفى عليه بريقــه الاعــلام

فهــراؤه فـــوق المنابر حكمـــــة تثرى العقـــول وهذره الهـــام

ليهز بالقـــول الأثيم عقيـــدة غراء قـــــد أوحى بهــــا العلام

وكأنمـــــا فقـــه الأئمة والثقـــا ت استعجمت عن كشـفه الأحكام

فأتى ربيب الجاحدين مسفهـــا ما اســتنبط العلمــاء والأعــلام

يـــارب أيـــة فتنـــــة تلك التى حارت أمــام ضبابهــا الأفهــام

لكن نـــور الحـــق لا يخبـــو وان غشاه مـــن ذرو الصــغار رغــام

فله رجــال يكشــفون ضـــياءه فى كــل حين للعيـــون عظـــام

هل يكشــف الغمم النوازل بالحمى الا عليم مـــؤمن وحســـام ؟

الله أكبر

للأستاذ أحمد قاسم أحمد

حين أَسْعَى لِلصَّلَاةْ — أبتغى رُوحَ الحياةْ
أبتغى طَوْقَ النجاهْ — أبتدى لقيا الإلهْ
قائلا : « الله أكبر »

حين أَرْنُو لِلْأُفُقْ — قد تغطى بالشَّفَقْ
وَأَرَاهُ يَأْتلِقْ — اذ بصوتى يَنْطَلِقْ
عَالِيًا : « اللهُ أكبرُ »

حين أغْدو فى البُكورْ — وأرى سرب الطيورْ
فى صُفوفٍ كالسُّطُورْ — يهتف القلب الذكُورْ
قَائِلاً : « اللهُ أكبرْ »

عندما يأْتِي الأَصِيلْ — وَأَرَى الشمس تَمِيلْ
أرقب اللوح الجميل — فَإِذا قَلْبِى يقولْ
هَاتِفًا : « اللهُ أكبرْ »

حين أَلْقى الكائناتْ — غاديات رائحاتْ
فى مَراءٍ بَاهِراتْ — أجتليها مُعْجِزَاتْ
قائلا : « الله أكبر »

حين أُصْغِي لِلصَّغيرْ — قد تولاه السرورْ
ضاحكا ٠٠٠٠ مثل الزهورْ — أكبر المولى القديرْ
قَائِلاً : « اللهُ أكبرُ »

عندما يُشْفَى المريضْ — أو أرَى الرَّوْضَ الأَرِيضْ
نَاظِمًا أَحْلَى قَرِيضْ — أُسْمِعُ الكونَ العريضْ
صَيْحَتِى : « اللهُ أكبرْ »

نجاة شاور

الروح الشاعرة

بقلم: جليلة رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

.. وانى لحريصة على (اسم الله) أستهل به هذه الكلمة التى أقدم بها الى القراء شاعرة مؤمنة بالله .

واسم الله يشيع فى شعر « نجاة شاور » حتى لأتخيلها راكعة أو ساجدة ، ضارعة ، مبتهلة .

فاذا خرجت من بيتها الهادىء فعلى بركة الله . واذا أجادت عملها فبفضل من الله . واذا عادت الى صغارها فالحمد لله . واذا ألمت بها الحيرة لجأت الى الله ، ومشت بالقلم فوق الورق ، ترفع شكايتها اليه :

« أنا جئت ياربى اليك .. جعلت وجهك قبلتى
وطرقت بابك فى خشوع كى تبدد حيرتى
وبسطت كفى نحو عرشك ، هل قبلت شكايتى ..؟ »

انه ليسعدنى أن أقدم الى القارىء أول ديوان للشاعرة نجاة شاور ليرى فيه فيض الالهام ، ونبض الأحلام ، وحنان الأم ، ووفاء الزوج ، وحب الوطن ، وقداسة الفداء ، وعذوبة التأمل فى الطبيعة حين تزاوج بينها وبين الناس ، ولنستمع اليها فى قصيدة صلوات صامتة » :

« فى الهزيع الأخير والليل ساج
وقلوب أحلامها نشوانة
والسكون الرهيب يضفى على الـ
كون خيالات شوقه الظمآنة ..

حتى اذا فرغت من الخيال اتجهت الى الواقع :

« بعد حين يطالع الناس فجر
فى صفاء على الربا الولهانه

سيعود الضجيج يملأ حيى
في ازدحام ونورة ملآنه
هكذا المرء فى الحياة جهاد
وعراك وصحوة فتانه
ثم موت وغفوة وفناء
ثم بعث وعزة أو .. مهانة
يوم لا ينفع الأنام شفيع
غير من جاز فى الحياة امتحانه

وهكذا كل شىء فى شعرها ينتهى الى الله . ينتهى الى يوم الوقوف بين يديه سبحانه .. ولأن (نجاة) تباشر فى الحياة تربية النشء وامتحانه .

فقد عقدت للعباد نفس الامتحان ، وطوبى لمن « جاز فى الحياة امتحانه » ..

ولعلك تلاحظ أيها القارىء ، أن شاعرتنا تنتمى الى الرومانسية ، والخيال المجنح ، وأنها تهيم بالطبيعة منذ الطفولة ، فالماء ، والخضرة ، والليل ، وحفيف الورق ، والنسيم الحالم النشوان ، والترعة السمحة السمراء .. كل هذه المفاتن صادفت فى نجاة موهبة الشعر ، فأعطتها كل هباتها ، أعطتها قيثارة الشاعر فغنت : ..

النسيم الحالم النشوان يهفو فى خفر
أنا أهواه بما يحمل من نفح عطر
وبما يطرب سمعى من أهازيج الشجر

***

وهنا بالحب كم همت بلحن الساقيه
وأنا الطفلة ألهو فوق تلك الرابيه
أرضع الحسن وأحبو بين هاتيك الصور

وليس فى وسعى أن أقدم اليك — أيها القارىء — هذا الديوان بالمعنى الكامل للكلمة . ولكنى أحاول فى الحقيقة ، أن أقربه اليك ، لأقدم من خلاله صاحبته ، قبل أن تلتقى بها على صفحاته ، ولكن الشاعرة أغنتنى عن كل عناء فى هذه المحاولة ، فقدمت نفسها بنفسها ، حين قالت فى قصيدة « أنا روح شاعرة » :

أنا لحن نابض فيه المعانى الزاخرة
أنا تغريد والهام ونفس طاهره
أنا شوق وحنين . أنا عين ساهره
أنا همس أنا نجوى أنا روح شاعره

ومهمتى هنا أن أقول لك : « وأنا أشهد بذلك ..

واذا كان قد حلا للبعض أن يرى أن : « أعذب الشعر أكذبه » ، فأنا أقول لك صادقة : ان نجاة شاور قد وصفت نفسها فى هذه الأبيات وصفا صادقا أمينا . فهى كأم عين ساهرة ، وهى كزوجة نفس طاهرة ، وهى كشاعرة تغريد ونجوى . وهى أولا وأخيرا روح شاعرة .. هى العين الساهرة على

طفلها ، حتى قبل أن يجىء ، ولنستمع اليها فى قصيدة « الى خطيبى » :

غـدا سـوف يجمعنـا عشـنـا
ترفـرف فى جانبيـه المنـى
تمـوج سـتائره الناعمـات
اذا ما النسـيم هفـا لينـا
وفى كـل ركـن تـرى جنـة
تهـز المشـاعر مـن حولنـا

***

وطفـل صـغير سـيحبو هنـاك
أنـاديه هيـا وقبـل أبـاك
أنـا الأم غـذيت طفلى الصـغير
وعلمتـه كيف يهـوى رؤاك
هـو ابنى ورمز هـوانا النضـير
واشراقـة حلـوة •• من سـناك

ثم تنتقل بنا الشاعرة الى عشها الحبيب وقد

أصبحت زوجة وأما لزهرتين ، وتحرك الثالث جنينا •• تتمنى أن يكون ذكرا هذه المـرة •• فتخاطبـه فى مناجاة جنين هى أعذب ما نظمته من القصائد :

تسـمعت نبضـك فى مهجتى
وصـور لى خـاطرى منظـرك
تخيلت رسـمك بين الشـغاف
وسـيما ، ذكيـا •• فما أنضرك

وفى سؤال رقيق مشـحون بالتمنى تسأل الله : ••

وأسـأل ربى مـا نوعـه
تـرى يا الهى مـاذا يكـون ؟
أطفـل حبيب مـع الزهـرتين
يعطـر بيتى بسـحر البنين ؟

وتعود فتخشى أن تتحدى مشيئة الله : ــ

وكـل الـذى قـد وهبت جميـل
فهـذى « صفاء » وتلكم « سناء »
لأجلهما قـد عشـقت الحيـاة
وأرجـو « تنـوع » هذا العطـاء

***

والشاعرة كزوجة تظل مشبوبة العاطفـة لا تشغلها زهور الحديقة عن البستانى،وحسبنا أن يغيب الزوج عن بيتـه أيامـا ، فيهـولها الفراغ ، ويثور عليهـا كـل شىء فى البيت ، فتهتف :

كـل ركـن فى منـزلى مشـتاق
وبقلبـى تلهـف واحتـراق
الفـراغ الـرهيب يمـلأ ذاتى
والسـكون القتـال والأشـواق
رب بيتى ياواحـة فى حيـاتى
طـاب فيهـا الجنى وطـاب المذاق

والآن •• يسعدنى أن أتحدث عن شاعرتنا كمواطنة مصرية فى وطنها العربى الكبير •

ولكنى لن أطيل ، فهو حب كبير كبير ، أتركه لك لتلتقى به ، أو ليطل عليك من خلال القصائد الحرى ، التى يزدان بها الديوان •• حسبى

نجاة شاور الروح الشاعرة

أن أقول لك ان الشاعرة تعيش أحداثنا التاريخية ، تعيش باحساس فلسطين السلبية ، وتذكر القدس والمسجد الأقصى وحياة اللاجئة :

المسجد الأقصى هنالك والبقاع الطاهره
والهيكل القدسى يوحى بالمعانى الزاخرة
والكرمة الولهى تعذبها الدموع الثائرة
والبرتقال قد ارتمى فوق الغصون الصابره

أجل .. البرتقال الأشم الذى كان يتعالى فى أجواء بستانه ، قد انتهى الى الارتماء فوق صدور الأمهات الصابرات ، أى « الغصون الصابره » .. ولكن نجاة ، كعهدى بكل مواطن أبى ، تسترد روح الكفاح والثورة والأمل ، فتقول على لسان الفدائية :

نغم الثورة فى سمعى وما أحلى النغم
مفعم بالويل ، بالحقد ، بثأر المنتقم
لا أبالى النار والاعصار يغلى بالحمم
فالدم الفوار فى صدرى نار ليس دم
كل آمالى وأحلامى على درب الكفاح
لحنها المشبوب ممزوج بأنات السلاح

ولعل قصيدة حرب وسلام تصور أصدق تصوير موقف كل عربى وعربية من قصة السلام ، الذى نتبناه ، وقصة الحرب التى خضناها ، وسنخوض غيرها اذا تعذر السلام المنشود ، والملاحظ فى هذه القصيدة أن الشاعرة تجيد فن الاقتباس من الذكر الحكيم :

اذا جنحوا نحو شط السلام
فسارع الى السلم واجنح لها
ومادام حقى يرد الى
سأترك حربا وأهوالها
ولست أخاف اقتحام الردى
وانى أزلزل زلزالها
وانى صنعت أسود الحروب
وأطلقت للحرب أبطالها
وأشعلت نارا تشيب الوليد
وأخرجت الأرض أثقالها

وقبل أن أهم بمصافحة الشاعرة ، أحب أن أعرض هنا للون جديد من الشعر ، لم أكن أتصور أنها تجيده ، فهى هنا فى هذه القصيدة الخفيفة الظل والروح ، تدافع عن سمرة لونها ، فى ظرف ومرح :

أجل سمراء سمراء
ولون السمر اغراء
تألق فيه ماء النيل
ان النيل ارواء
شعاع الشمس غذانى
كأن الضوء صهباء
فصار اللون خمريا
له بالسحر ايحاء
وتزعم أنه عيب ؟
فعينك أنت .. حولاء !

وبعد ... أرانى راضية عن نفسى بعض الرضى ، لأنى استطعت أن أؤدى بعض واجبى نحو شاعرة أصيلة وأن تواصل (نجاة شاور) المزيد من التغريد ، فى ديوانها الثانى ، الذى نأمل أن نراه فى القريب ، وأن نرى فيه وثبة جديدة ، تضيف الى الشعر العربى ثروة جديدة ، يسجلها تاريخ الفن لحساب الشاعرات .

جليلة رضا

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الأرصاد الجوية وحل المشاكل البيئية

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

أ.د. محمد جمال الدين الفندى

العمق السادس من أعماق الاعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز عمق يضع حدا لعبادة أجرام السماء أو التقرب بها من الخالق سبحانه جل شانه .

والناحية العلمية فى هذا العمق انما تتجلى فى اظهار حقيقة أمرها أى أجرام السماء مهما عظم شأنها وتعددت منافعها وتجلى بهاؤها ، مثل : الشمس والقمر والكواكب السيارة والنجوم وتجمعاتها وما تصوره الانسان منذ القدم من أشكال مواقعها كالبروج .

وفى هذا المقال سوف نفسح المجال للحديث عن الشمس التى هى من منن الخالق القدير لتكون مصدر الطاقات على الأرض . فهى التى كونت الفحم الحجرى وهى التى رسبت البترول ، كما أن طاقتها تدفع بالرياح فى مسالكها ، وأشعتها تضىء الأرض بضوء النهار .... :

« وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ »

« وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى إِلَى أَجَلٍ مسمى

ويظن البعض خطأ ان الشمس ثابتة لا تتحرك ، وأن الأرض وحدها هى التى تدور من حولها ، الا ان الواقع هو أن الشمس تجرى ومعها سائر أفراد المجموعة الشمسية داخل الطريق اللبنى ، كما أنها تدور وتلف حول مركز المجرة بسرعة فائقة .

وتضىء الشمس القمر ليعكس أشعته الفضية على الأرض ، وهى الأشعة التى طالما

سحرت أعين الناس ببهائها وتغنى الشعراء بجمالها ، وعبد فريق من الناس القمر ، كما استخدم التقويم القمرى فى حساب الشهور والسنين .

ويضع القرآن الكريم حدا لتقديس أجرام السماء ، أو التقرب بها من الخالق ، فيقول مثلا فى سورة الأنعام الآيات (٧٦ — ٧٨) :

« فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ » .

وتشير الآيات الكريمة الى منطق ابراهيم عليه السلام عندما استنكر عبادة أجرام السماء واستبعد ربوبيتها .

ويقول الخالق القدير كذلك فى سورة فصلت الآية (٣٧) :

« وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّـهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » .

والمعنى ان من دلائل قدرته سبحانه وتعالى — الليل والنهار — والشمس والقمر ، وعليكم ان لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله وحده الذى خلقهن ان كنتم حقا تعبدون الله وحده .

ومن وجهة نظر العلم هناك للشمس قصة ، شأنها فى ذلك شأن سائر المخلوقات فى هذا الوجود ، فهى تولد وتشب ثم تهرم لتموت أو تموت قبل أن تهرم ، وبموتها تنتهى قصة المجموعة الشمسية كما نعهدها الآن ومن بين أفرادها الأرض التى نعيش عليها .

وأصل مادة الشمس من الغاز الكونى ، وهو الأيدروجين الذى يتحول داخل الشمس على التدريج تحت تأثير الضغوط والحرارات العالية الى العناصر المختلفة ابتداء من غاز الهيليوم وذلك بالالتحام النووى ، مما يجعل الشمس أشبه شىء بمعمل ضخم متفجر كالقنبلة الايدروجينية التى تحول قبضة جاذبيتها العالية دون انفجارها وتناثر مادتها فى خضم الفضاء الكونى .

وهكذا تظل الشمس مصدرا للحرارة والضوء لأهل الأرض ، سخرها الله تعالى دون مقابل أو أجر لعلهم يشكرون .

ويقدر عمر الشمس الآن « من معدلات تحول الايدروجين فيها الى هيليوم ...

بنحو عشرة بلايين سنة . أما عمرها الكلى المقدر لها اذا بقيت على حالها فهو ٥٠ بليون سنة . ومعنى ذلك ان الشمس لا تزال فى مستهل حياتها ، الا أنها قد تنفجر فجأة لاختلال اتزان الطاقات المتولدة فيها والمنطلقة من سطحها الى خضم الفضاء الكونى ، وعندئذ تنتهى قصتها وقصة سائر أفراد مجموعتها ، كما تنتهى الحياة على الأرض مهما بلغت من من ازدهار :

« .... حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ... » ـــ يونس (٢٤) .

ومعنى (أو) فى قوله تعالى (ليلا أو نهارا) هو العطف بمعنى (ليلا ونهارا) ، ذلك لأنه عندما يكون نصف الكرة الارضية المواجه للشمس نهارا يكون نصفها الآخر ليلا . وهذا تعبير معجز علميا كذلك .

وحقيقة ضوء النهار انه « كما سبق أن وضحنا فى مقال آخر » ناجم عن تشتت أو تناثر ضوء الشمس فى الطبقة السطحية من غلاف الأرض الجوى المرتفع الكثافة نسبيا ولا يتجاوز سمك هذه الطبقة ولا يزيد على نحو ٢٠٠ كيلو متر فوق سطح الأرض ،وهى بذلك انما تمثل طبقة رقيقة من الجو تواجه الشمس دائما ، وتنسلخ . من باقى الغلاف الجوى المظلم بطبيعته ، بل ومن الفضاء الكونى المعتم والممتد الى ماشاء الله ، بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس لتبقى دائمة أبدا مواجهة للشمس التى هى مصدر الضوء :

« وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ » يس (٣٨) ، واستخدام كلمة (نسلخ) فيه اعجاز علمى واضح اذ ينسلخ النهار من الليل كما نسلخ جلد البعير من جسم البعير مثلا .

ومن نعم الله علينا أن جعل ضوء النهار يقبل من كل الاتجاهات بسبب تشتت أو تناثر الضوء فى الطبقة السطحية من غلاف الارض الجوى .

وعلى ذلك نستطيع أن نضىء غرفنا بضوء النهار أثناء النهار بمجرد فتح نوافذها ، حتى ولو لم تكن تلك النوافذ تواجه الشمس ولا تدخلها أشعة الشمس المباشرة .

الطاقة الشمسية :

ظلت الطاقة الشمسية قبل عصر العلم « عملة صعبة » لا سبيل الى صرفها على هيئة صورة من صور الطاقة التى يستغلها الانسان مثل الكهرباء الا عن طريق التعرض المباشر لحرارة الشمس طلبا للدفء مثلا . وظلت مملكة النبات وحدها هى التى تختزن أو تدخر

ضوء الشمس أثناء النهار بواسطة اليخضور أو الخضر أو « الكلوروفيل » ، وذلك على هيئة خشب ، أو سكر ، أو زيوت ، أو نشا :

« وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا » •

الأنعام (٩٩) •

فبواسطة الخضر ، حسب تعبير القرآن الكريم ، وفى ضوء الشمس « وهو طاقة أقل بقليل من نصف الطاقة الكلية التى ترسلها الشمس الى الأرض » يحول النبات ، عن طريق تفاعلات كهرضوئية ، ثانى أوكسيد الكربون الذى فى الهواء الى مواد عضوية • فالمعروف علميا أن ثانى أوكسيد الكربون الذى يمتصه النبات من الجو أثناء النهار يتحد مع ايدروجين الماء الذى يمتصه النبات من التربة (الأرض) بعد أن يتحلل هذا الماء الى عنصرية الايدروجين والاوكسيجين • ويخرج الأوكسيجين الى الجو لينقيه ولكى يستنشقه الانسان ومملكة الحيوان • وعلى هذا النحو تتم عملية « التمثيل الكلوروفيلى » وبها يتكون الخشب ، والنشا ، والسكر ، •••••

كما قدمنا ، وبهذه الوسيلة يختزن أو يدخر ضوء الشمس ، اما على هيئة وقود كالخشب ومنه الفحم ، أو على هيئة غذاء ومنه النشا والسكر :

« الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ » •

يس (٨٠) •

أما الطاقة الحرارية التى ترسلها أو تصرفها الشمس فهى تعادل نحو ٤٦ فى المائة من الطاقة الكلية للاشعاع الشمسى • وتصل هذه الأشعة الى سطح الارض وتسبب تسخينه وتبخير الماء من الأسطح المائية ، وبذلك تتحول الى طاقة حرارية تصاحب تيارات الهواء الساخن أو تيارات البحر الدافئة ، أو تتحول الى طاقة وضع كما هو الحال فى مساقط المياه والشلالات ويحاول الانسان فى هذا العصر استغلال هذه الطاقات •

وعلى وجه التقريب يتحول نحو ثلث أشعة واشعاعات الشمس الحرارية التى تصل سطح الأرض الى حرارة يستغل جزء كبير منها فى تبخير الماء من أسطح البحار والمحيطات• وتحمل الرياح تلك الأبخرة الى مناطق اثارة السحب حيث تتكاثف الى نقط من الماء أو بللورات من الثلج تبعا لدرجات الحرارة السائدة فى تلك الطبقات • وعندما تدأب الرياح على تلقيح السحب المثارة وامدادها ببخار الماء وبنوى التكاثف مثل أملاح البحار ومنها ملح الطعام ينهمر المطر الذى يجرى ماؤه فى الأنهار أو يغذى المياه الجوفية ، ثم يسرى الى البحر ليعيد الكرة من جديد :

« وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِعَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ »

الحجر (٢٢)

البقع الشمسية وظاهرة الفجر القطبى :

تنفجر من الشمس براكين جبارة وتنبثق نافورات عظمى من غازات ملتهبة ومتأينة تندفع الى خضم الفضاء الكونى عبر ملايين من الكيلو مترات • ومن هذه الانفجارات ما يعرف باسم البقع الشمسية ، وهى أعاصير جبارة فى جو الشمس ، يبلغ قطر الاعصار منها نحو ٥٠ ألف كيلو متر ، أى أنها يمكن ان تبتلع الارض وما عليها •

وعندما تصل تلك الجسيمات ذات الطاقات العالية • « والتى تكون نوعا رئيسيا من الأشعة الكونية » الى جو الارض الخارجى يعمل مجال الأرض المغناطيسى « الذى ينتشر من حول الارض ويضرب نطاقا حاميا ودرعا واقيا لها » ويحول دون وصول تلك الأشعة الفتاكة بصفة مباشرة الى سطح الأرض ، بل يجعلها تحيد فى مسارها وتتركز فوق القطبين حيث تحدث سلسلة من التفريغات الكهربائية تعرف أضواؤها باسم (الفجر القطبى) •

ويبدو الفجر القطبى فى السماء على هيئة ستائر من الضوء المختلف الألوان ، أو قد يبدو على هيئة نوافذ ذات أضواء رائعة فى كبد السماء ، فلا يغيب جمالها عن ذاكرة من يراها طوال حياته •

وتقل فرصة مشاهدة الفجر القطبى بالبعد عن القطبين حتى أنه فى مناطق الشرق العربى مثلا يكاد لايرصد الفجر القطبى الا مرة واحدة كل ١٠٠ عام ، ولهذا ربما أطلق عليه خطأ اسم « ليلة القدر » التى وصفت على هذا النحو بأنها طاقة من النور ترى فى كبد السماء !

وبطبيعة الحال أنوار ليلة القدر هى أنوار أخرى الهية لا دخل للفجر القطبى بها :

« إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ • لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ » • القدر (١ ــ ٣)

وفى أى مكان على الأرض تشرق وتغرب الشمس كل يوم من وفى مواقع مختلفة ، وذلك كما هو معروف فلكيا بسبب ميل محور دوران الأرض :

« فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ » ــ المعارج (٤٠) ــ •

اذا الشمس كورت :

ليست الشمس صادقة التكوير ، بل هى فى الواقع على هيئة سحابة غير منتظمة الشكل والذى نراه منها مكورا هو كرة الضوء • ولا تكون هذه الكرة سطح الشمس الخارجى ولكنها توجد فى الداخل • وسوف تمر الشمس بعدة مراحل تنتهى بتكويرها وهو مستقر أمرها • ويشير القرآن الكريم الى ذلك فى اعجاز أخاذ اذ يقول :

١ ــ « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » •

التكوير (٧) •

٢ ــ « وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ... »

يس (٣٨)

واعلم أيها القارىء أن الشمس سوف تظل على حالها مادام هذا النظام الشمسى قائما ، وبذلك تظل الحياة على الأرض يانعة مزدهرة ينعم بمفاتنها الانسان ويتفنن فى الاستمتاع بها على النحو الذى نرى جانبا منه الآن •

ولكن الثابت فلكيا أن الشمس سوف تتمدد أو تنفجر فجأة ، وبذلك تملأ الفضاء الكونى الذى من حولها ، وتتصل الى حيث تسبح الأرض ويدور القمر • وقد حدث أن انفجرت شمس (أو نجم بعيد) ورصده الفلكيونى منذ نحو ٣٠٠ سنة فأحرق كل ما يدور فى كنفه وملأ الفضاء من حوله بنيران مستعرة •

ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحقائق فى اعجاز رائع اذ يقول فى سورة يس مشيرا الى عدم جواز انفجار الشمس أو تمددها ليصل جسمها الى حيث القمر طالما بقى نظامنا الشمسى قائما فيقول :

« لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ »

وعندما يشاء الخالق القدير انهاء أمر المجموعة الشمسية ، ومن ثم انهاء الحياة على الارض ، سوف يوحى الى الشمس فتتمدد أو هى تنفجر فجأة بسبب لا نعرفه ولا نحسبه وعندها تملأ الفضاء والسماء بغازاتها الملتهبة فلا يستطيع الانسان الفرار الى مكان آخر رغم وفرة ما يكون تحت يديه من سفن الفضاء والصواريخ التى يصنع أنواعا منها فى هذا العصر ، والواقع أن كلمة (غاز) هى لفظ افرنجى يقابلها بالعربية لفظ « دخان » •

ويقول القرآن الكريم :

١ ــ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ... »

الدخان (١٠)

٢ ــ « فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ »

القيامة (٧ ــ)•

وهذا لون من ألوان الاعجاز بالاخبار بالغيب العلمى وحقائقه •

ومن الواضح أن جمع الشمس والقمر الذى لا يبعد عن الأرض الا بنحو ٣٥٠ الف كيلو متر •

سوف لا يكون بخروج الشمس عن مسارها ولكن بتمددها • ثم تعود الشمس بعد كل ذلك وتنكمش وتتحول الى « قزم أبيض » صادق التكوير وهو مستقرها ، والله تعالى أعلم •

للحديث بقية

جمال الفندى

الأرصاد الجوية
وحل المشاكل البيئية

للدكتور ربيع سيد فولى

تزداد المشاكل البيئية تعقيدا يوما بعد يوم نتيجة لأمور متعددة منها التقدم الصناعى والتكنولوجى ، والانفجار السكانى ، وتطور وسائل المواصلات المختلفة والقفز فى رحاب الفضاء ، وانشاء محطات القوى النووية ... الخ .

وأهم هذه المشاكل البيئية :

تلوث الهواء .

وتلوث المياه .

وتلوث التربة .

والتأثيرات المختلفة لكل منها على صحة وسلامة الانسان والكائنات الحية الأخرى .

ويتلوث الهواء نتيجة لتسرب الغازات المختلفة والمواد الصلبة التى تتواجد مع (عوادم) السيارات والطائرات ، والتى تنتج عن الصناعات والأنشطة المختلفة للانسان .

ويجب علينا أن نهتم اهتماما بالغا بالمحافظة على نقاء هذا الهواء الذى نستنشقه لأن الملوثات الجوية (غازية أو سائلة أو صلبة) تضر بصحة الانسان وسلامته وتضر بالكائنات الحية الأخرى ضررا بليغا قد يؤدى الى الوفاة (تحت ظروف جوية معينة) من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الانسان لا يمكنه البقاء بضع دقائق بدون هواء .

هذا ويتوقف نقاء الهواء الجوى ليس فقط على معدلات انبعاث الملوثات الجوية من مصادرها المختلفة ومعدلات نفاذها ولكن أيضا على كفاءة عمليات انتقال وانتشار هذه الملوثات فى جو الأرض (أى على محصلة

العمليات الديناميكية والحرراية والتفاعلات الكيماوية والفوتوكيماوية التى تتم بالنسبة

للملوثات الجوية منذ انبعاثها من مصادرها وحتى نفادها) .

وسنوضح فيما يلى الدور الهام الذى تؤديه الأرصاد الجوية فى المجالات المختلفة (زراعية — صناعية — تخطيطية — صحية .. الخ) ، ومساهمتها فى حل بعض المشاكل البيئية فى هذه المجالات .

فى مجال الزراعة :

من المعروف جيدا أن العوامل الجوية تؤدى دورا هاما فى مجال الزراعة اذ أنها تؤثر على مراحل نمو النبات المختلفة وكذلك على أمراض النبات وحشراته وعلى صحة حيوانات الزراعة وانتاجها ، وفى النهاية يصل تأثير العوامل الجوية والعوامل المناخية على انتاجية الفدان .

ومن معرفتنا الدقيقة للتغيرات التى تحدث فى العوامل الجوية والعوامل المناخية فى كل منطقة ، وبالتعاون مع خبراء الزراعة يمكننا

تحديد أنسب الأوقات للزراعة والرى والحصاد بالنسبة لكل محصول وفى كل منطقة وكذلك وقاية المحاصيل من العوامل الجوية غير الملائمة مثل الصقيع حيث يمكن مقاومته بواسطة الرى أو التدفئة ومكافحة أمراض النبات وحشراته فى الأوقات المناسبة التى تعتمد على الأحوال الجوية .

ولذلك فانه من الضرورى ان نعمل على تضافر الجهود بين خبراء الزراعة وخبراء الأرصاد الجوية باستخدام كل الامكانيات المتاحة للتوصل الى نتيجتين هما : —

(أ) زيادة جودة نوع المحاصيل المختلفة .

(ب) رفع مستوى معدل انتاج الفدان لكل محصول وذلك نظرا لما لهذه النتائج من أهمية بالغة فى تحسين مستوى الصحة العامة لأفراد الشعب وتغطية ما نحتاج اليه وتقليل الواردات ما أمكن ذلك وكذلك زيادة الصادرات

لبعض المحاصيل وهذا بالطبع يؤدى الى زيادة النقد الأجنبى الذى نستطيع الاستفادة منه فى حل مشاكل أخرى .

فى مجال الثروة المائية :

نظرا للتفاعل المستمر الذى يحدث بين الغلاف الجوى والمحيطات والبحار والأنهار فانه ينتج عن ذلك أن تتغير درجة حرارة الماء فى الطبقة العليا من الأسطح المائية المختلفة تبعا لتغير درجة حرارة الهواء الجوى الملاصق لهذه الأسطح ، وكذلك تتوقف درجة ملوحة المياه على معدل سقوط الأمطار ،

وتصل أيضا بعض الملوثات الجوية الضارة الى هذه الأسطح المائية بفعل العوامل الجوية.

وبذلك يمكننا استنتاج أن تركيب الطبقة العليا (٥٠ ــ ١٠٠ متر) من مياه المحيطات والبحار يتوقف على التغيرات التى تحدث فى العوامل الجوية والعوامل المناخية ، وكذلك تركيز الملوثات الجوية التى قد تصل الى

الأسطح المائية بفعلها ، أى تركيب الطبقة العليا من الغلاف المائى يتوقف على تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى .

من ذلك يتضح أن تأثير العوامل الجوية لا يقتصر على غذاء الانسان من النباتات والحيوانات بل يمتد هذا التأثير أيضا الى الأسماك والكائنات البحرية الأخرى عند انتقالها من مكان الى آخر نتيجة للتغيرات التى تحدث فى درجة الحرارة ، وقد ثبت أن كميات

الأسماك فى مياه الشواطىء تتوقف على هذه التغيرات التى تحدث فى درجة الحرارة وكذلك ملوحة المياه التى تتوقف بدورها على معدل سقوط الأمطار .

أى أن العوامل الجوية والعوامل المناخية تؤثر على الثروة المائية ومعرفتنا الدقيقة للتغيرات التى تحدث فى هذه العوامل تمكننا ليس فقط من المحافظة على ثروتنا المائية ولكن أيضا من تنميتها .

فى مجال تخطيط المدن :

يتناول علم تخطيط المدن كثيرا من المشاكل المعقدة المختلفة فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والهندسية والصحية ، ونظرا لأن هذه المشاكل ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا فانه يجب علينا معالجتها مجتمعة وايجاد الحلول المناسبة لها .

عند تخطيط مدينة يجب عدم اغفال أهمية دور الأرصاد الجوية لأن العوامل الجوية تؤدى دورا هاما فى كيفية انتشار الملوثات الجوية (سواء كانت صلبة أو سائلة أو غازية) فى طبقة الغلاف الجوى القريبة من سطح الأرض وكذلك انتقال هذه الملوثات الضارة من منطقة الى أخرى سواء كانت هذه الملوثات ناتجة عن مصادر داخل المدينة أو خارجها .

ومن الممكن الاستفادة من المعلومات والدراسات المناخية لأية منطقة وكذلك الدراسات والبحوث الخاصة بمقدرة الغلاف الجوى على انتشار الملوثات الجوية المختلفة عند تخطيط مدينة ما .

وعلى وجه التحديد :
يمكننا تحديد أنسب المواقع للمدن الجديدة وتحديد اتجاهات الطرق الرئيسية والفرعية

لها ، والارتفاع الأمثل للمبانى ... الخ .

بحيث يكون تأثير التلوث الجوى الناشىء عن الأنشطة المختلفة للانسان أقل ما يمكن على صحة وسلامة الانسان والكائنات الحية الأخرى .

وبالاضافة الى ذلك فقد وجد أن أخذ العوامل الجوية والمناخية فى الاعتبار عند تصميم المبانى يؤدى الى توفير ١٠ – ٢٠ ٪ من تكاليف التبريد والتسخين وللتوصل الى نتائج أفضل يجب وجود تعاون وثيق بين مهندس البناء وخبراء الأرصاد الجوية لاستغلال المعلومات الفنية والدراسات والبحوث المناخية بأنسب الطرق .

وسنتحدث فى المقالة المقبلة باذن الله تعالى عن دور الأرصاد الجوية فى مجالات : الصناعة والطاقة ، والمواصلات الجوية والبحرية والبرية ، وتخطيط حركة مرور المركبات ، وحل بعض المشاكل البيئية فى هذه المجالات .

د. ربيع سيد فولى

مجلة الأزهر
من خمسين عاما

دحض مفتريات المستشرقين

للأستاذ محمد فريد وجدى

دائما أبدا سيظل الدين الاسلامى المستهدف موضـع البحث بين المثقفين الباحثين من ابناء الغرب والشرق على السواء ٠

وهذا شأن كل عظيم ٠ ومطمـع كل طالب ومطمح كل راغب وأمـل كـل باحث ٠

ربما لاتســاع ساحته أو امتــداد مساحته ٠ أو لكونه الدين الذى لم يلبس نفسه ثوب التعالى بل تعامل مع الناس على أنه الأب والأخ والصـديق فدخل فيه الناس افـواجا عن اقتنــاع وحب وطواعية واختيار ٠ مما ولد عن البعض ـ من غير أبنائه ـ أحاسيس متبايـنـة ونوازع شتى ورغبات لا يعلم خبـأها الا الله الــذى « يعلم خائنـة الأعين وما تخفى الصدور » ٠

وأمام معادلة صعبة أو رآها المنكرون صعبة نشط البحث لحل هذه المعـادلة :

هناك امتداد للاسلام لا يتــوقف ٠

وليس هناك منظمة مالية أو حكوميــة أو أهليــة تدفع بــه فكيف تأتى هــذا المـد ٠٠٠ ؟ ! ٠

ودخل الاستشراق الميدان أمـلا فى سـد الطريق فخاب فأله وخبا ضـوؤه وانتشر الاســلام ٠

يقول الأســتاذ :

نشر بعض المستشرقين كتابا فى أوروبا الموا فيه بذكر ابراهيم ـ عليـه الســلام ـ ، واستطردوا من ذلك الى التعرض لما ورد عنه فى القرآن الكريم ، مما خيل اليهم أنه يصـح

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

أن يعتبر شبهات على كتاب الله فيما ذكروه عن والد ابراهيم ، وصلة ابراهيم بولده اسماعيل – عليهما السلام – ، وعن بنائهما الكعبة ، وعن نسبة العرب الاسماعيلية الى الى هذا النبى الكريم الخ • ونحن نلخص تلك الشبهات ، ثم نكر عليها بالرد ، احقاقا للحق ، وازهاقا للباطل ، فنقول :

قال هذا المستشرق ما ملخصه :

١ – ان ما ورد من اسم والد ابراهيم فى القرآن ينافى ما ورد عنه فى التوراة ، فان القرآن أسماه (آزر) والتوراة دعته (تارخ) •

٢ – ان شخصية ابراهيم مرت فى القرآن بدورين ، فقد ذكر عنه فى أولهما بالسور المكية أنه رسول كسائر الرسل ، أرسل لقومه المعاصرين له ، ولم يذكر له صلة باسماعيل ، وصرح فيها بأن العرب لم يرسل اليهم قبل محمد – صلى الله عليه وسلم – من نذير ، ولم يذكر عنه فى هذا الدور أنه أول بان للكعبة ، ولا أنه أول المسلمين •

فلما انتقل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الى المدينة تغيرت الحال ، فجاء ذكر ابراهيم فى السور المدنية مشفوعا بأنه مؤسس لملة لا يرغب عنها الا من سفه نفسه ، وأنه حنيف مسلم ، وأنه هو الذى بنى الكعبة ومعه ابنه اسماعيل •

قال : وسر هذا التطور أن محمدا كان قد اعتمد على اليهود فى أول أدوار دعوته للاسلام بمكة ، فلما لم ينصروه التمس نصيرا غيرهم بتلك الدعوى •

فهداه ذكاؤه الوقاد الى اعلان أن ابراهيم أب للعرب ، فخلص بذلك من يهودية عصره ، الى يهودية ابراهيم نفسه ، تلك اليهودية التى يزعمون أنها أساس للاسلام الذى انتدب لنشره •

فلما أصبحت مكة تشغل جل تفكير الرسول ، نسب الى ابراهيم اقامته لبيت الله الحرام بمكة •

هذه شبهات أولئك المستشرقين ، ونحن نكر عليها بالدحض بحسب ترتيبها فنقول :

أما عن الخلاف الموجود بين القرآن والتوراة فى اسم والد ابراهيم ، فلم يجعله خلافا غير هذا المستشرق ، اذ لم يعلنه أحد قبله ، وكان أحق بهذا الاعلان وبالطنطنة به اليهود المعاصرون للنبى – صلى الله عليه وسلم – ، فانهم كانوا أحرص الناس على ابطال دعوته ، وصرف الناس عن رسالته • وكانوا من أجل ذلك يترصدون لجميع ما يبدر منه من أقوال وأفعال ، ليتخذوا من بعضها وسائل للارجاف ، وذرائع للخلاف • فلو كانوا رأوا فى مسألة والد ابراهيم وجها لاثارة شبهة لملأوا الجو بها اعتراضا ، ولاتخذوها تكأة

قوية لهم للتشكيك فى القرآن • فأما وقد مرت عليهم هذه التسمية ولم يتشبث بها أى معترض ممن كانوا يناوئون رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فمعنى ذلك حتما أنها لا تستدعى أقل التفات ، ولا تثير أوهى شبهة •

فلقد مرت على وجود هذه التسمية أحقاب متطاولة ، واحتدم الخلاف كثيرا فى أدوار شتى بين المسلمين واليهود ، فى الدين ، وفى الكتاب الذى جاء به محمد — صلى الله عليه وسلم — ، وتهيأت ظروف كثيرة للارجاف والتشنيع من المنافقين واليهود ، كل هذا حصل ولم يستطع أحد من هؤلاء الخصوم العتاة أن يتمسك بما يسميه المستشرق اليوم خلافا بين القرآن والتوراة •

أفلا يدل هذا قطعا على أن كلمة (آزر) كانت تطلق فى ذلك العهد وقبله على (تارخ) اطلاقا صحيحا شائعا بين العرب واليهود ، فهو اما أن يكون لقبا عرف به والد ابراهيم ، أو صفة غلبت عليه فجرت مجرى العلم ؟ •

ان هذا المستشرق يفترض أن محمدا كان يعتمد فى نشر الاسلام على يهودية ابراهيم المزعومة ، فهل يعقل أن يخطىء فى اسم أبيه وهو بين ظهرانى ألوف مؤلفة من اليهود ، وفى أيديهم التوراة مترجمة الى العربية ، وذكر ابراهيم ذائع بينهم كل الذيوع ، ويسهل عليه أن يعرف اسم أبيه من أى طريق شاء ؟ •

هذا ما يتعذر فهمه كل التعذر ، ويسوغ لنا أن نقول : انه ليس لهذه الشبهة قيمة على الاطلاق •

فلننظر الآن فى بقية ما نشره ذلك المستشرق من الشبهات ، وهو أن شخصية ابراهيم قد مرت بدورين : فاعتبر أولا واحدا من المرسلين ، ولم تذكر له صلة باسماعيل ، وصرح القرآن بأن العرب لم يرسل اليهم قبل محمد — صلى الله عليه وسلم — من نذير ، ولم يذكر عنه أنه أول بان للكعبة ، ولا أنه أول المسلمين • فلما انتقل النبى — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة تغير ذلك كله ، فاعتبر ابراهيم حنيفا مسلما ، وعد مؤسسا لملة لا يرغب عنها الا من سفه نفسه ، وأنه بنى الكعبة مع ابنه اسماعيل ، الخ •

رتب هذا المستشرق هذه الخيالات يقصد من ورائها أن يقول فى صراحة : ان القرآن الكريم ليس من كلام الله وانما هو من وضع محمد — صلى الله عليه وسلم — ، وانه قد اتخذ فيه ما رآه من ضروب السياسة ومصلحته الشخصية أمام العرب « **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا** » ! •

ونحن نقول : ان هذا الكلام قد أملاه على قائله جهل بحقيقة الاسلام ، وخبط فى تاريخ أدواره ، وغفلة عن الأصول التى بنى عليها من أول يوم ايحائه •

وقبل أن نعرض لبيان هذه الشئون نتصدى لبناء هذه الشبهة ، فنبين تفكك أجزائها ، وتداعى أركانها ، ونثبت أنها أسست على جهالات تاريخية لا تغتفر لكاتب •

فأما أن القرآن جعل ابراهيم واحدا من المرسلين ، مثله كمثل سائر النبيين ، فهذا لا علاقة له بأحد دورين دخلت فيهما

شخصيته ، ولكنه وصفه الملازم له فى جميع الأدوار ، فكل مسلم من أول وجود الاسلام الى اليوم يقول بذلك ولا يعدوه الى غيره ، فان كان لابراهيم شأن فى تاريخ الاسلام غير ما لاخوانه من الرسل ، فذلك لأنه الجد الأول لفريق كبير من العرب ، ومؤسس البنية التى كانوا جميعا سواء الاسماعيليون منهم والقحطانيون يحجون اليها فى كل عام مرة ، وكان يدين بدينه منهم رجال كانوا موزعين فى جميع قبائلهم .

والعرب أجمعون بفريقيهم قبل الاسلام كانوا يعتقدون أن بيت الله الحرام بناه ابراهيم وابنه اسماعيل ليقيما فيه الصلاة .

هذه كانت عقيدة العرب فى الجاهلية ، ولذلك اتخذوا هذه البنية بيتا مقدسا يحجون اليه فى كل عام مرة ، ولم يختلف أحد منهم فى شخصية بانيها ، وقد اختلفوا فى كل شىء حتى فى أسماء معبوداتهم الا فى نسبة هذه البنية الى ابراهيم واسماعيل . وليس فى الأمر نفسه ما يوجب العجب من أية ناحية حتى يتخذ منه الناقدون المعاصرون شبهة على القرآن الكريم ، فالمسألة أصبحت بعد هذا البيان تنحصر فى هل نزل ابراهيم عليه السلام بلاد العرب ؟ فالعرب يقولون : نعم ، وبنى فيها هذا البيت الذى نحج اليه ، واليهود الذين يعتمد المستشرقون على كتابهم يوافقون العرب على ذلك ، ويعينون المكان الذى نزل فيه وأودعه امرأته هاجر وابنه منها اسماعيل (راجع التوراة ، الفقرة الثامنة عشرة من الاصحاح الخامس والعشرين ، والفقرة العشرين من الاصحاح الحادى والعشرين) .

هذا كله كان يعرفه العرب الجاهليون واليهود النازلون بين ظهرانيهم ، أفيعقل أن ينسب الى الاسلام أنه مخترع هذه القصة ؟ واذا عقل بعضهم هذه الشبهة ، فهل يعقل معها أنه هو الذى وضعها فى التوراة نفسه ؟ !

وما معنى قول هذا المستشرق : ان القرآن فى أول أمره لم يصرح بصلة ابراهيم باسماعيل ؟ أفكان منه هذا الصمت لأن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يجهلها وهو بمكة مع وجودها فى التوراة وشيوعها على ألسنة اليهود هنالك ؟ .

غريب أمر هذا المستشرق ! يزعم أن القرآن فى أول عهده وفى سوره المكية لم يصرح بصلة ابراهيم باسماعيل ، مع أنه قد ذكر تصريحا فى احدى تلك السور المكية وهى سورة ابراهيم ، فقد قال الله تعالى فيها على لسان ابراهيم : (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**) . فعلى أى أساس شيد هذا المستشرق زعمه الذى زعمه غير جهله بالسور المكية وما ورد فيها ؟ أيعقل أنه كان يطنطن بدعواه هذه ويقيم عليها تلك المفتريات التى رتبها عليها اذا كان قد وقع نظره على سورة ابراهيم المكية ووجد فيها صراحة صلة ابراهيم باسماعيل ؟ .

نحن نعلم أن من المستشرقين من يفترى الكذب على الاسلام ، ولكنا كنا نظن أنهم

يستحيون من نفى شىء ذكر صراحة فى كتابه الكريم .

أما قوله : وقد صرح القرآن بأن الله لم يرسل الى العرب رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم مستندا الى مثل قوله تعالى : (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) فليس بصحيح ، لأن المراد من مثل هذه الآية أن الله لم يرسل الى تلك الطبقة من العرب المستعربة رسولا قبل محمد ، ولم يقصد بما قاله فى أمثال هذه الآيات نفى ارسال أى رسول الى العرب فى كل الأجيال على الاطلاق ، فقد ذكر القرآن الكريم نفسه فى نصوص صريحة بأنه أرسل هودا — عليه السلام — الى بنى عاد ، وصالحا الى بنى ثمود ، وجميع هؤلاء العرب من طبقة العرب البائدة .

وقد صرح القرآن الكريم أيضا بأن اسماعيل رسولا نبيا . وليس بخاف أنه نشأ فى بنى جرهم الذين أصهر اليهم ، فنشأت من هذا الاختلاط طبقة العرب الاسماعيلية الذين منهم قريش وربيعة ومضر وغيرهم ، فكان اسماعيل عليه السلام موجودا فى أول أدوار تكوين تلك الطبقة .

وأشار الكتاب الكريم الى أن رسالته خصت عشيرته الأقربين ، فكان يأمرهم بالصلاة والزكاة ومكارم الأخلاق ، ولم يكلف أن تعدو رسالته تلك العشيرة ، فلم يكن مبشرا ونذيرا عاما ، وعلى رأس انقلابات كبيرة كما كان شأن محمد — صلى الله عليه وسلم — .

وقد دل التاريخ على أنه منذ أن نشأت القبائل العدنانية الى عهد خاتم النبيين لم يرسل الى العرب نذير قبله — صلى الله عليه وسلم — . فما ذكره القرآن صحيح وموافق للتاريخ العام كل الموافقة ، ولا تناقض فيه من أية ناحية من نواحيه .

أما قول ذلك المستشرق : ان النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يعتمد فى قيام أمره على يهود مكة ، فليس بصحيح ، ولا يوجد فى الكتاب ولا التاريخ ما يثبته ، فلم يوجه اليهم الدعوة مرة واحدة ، ولم ينقل أنه كان يجتمع بهم يشاورهم فى أمر الدعوة الاسلامية . والذى ورد فى الكتاب أنه فى أول أمره أمر أن يدعو الى دينه سرا ، ثم بأن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أمر باعلان دعوته ، فعاداه قومه ولهذا السبب ، وعملوا على ابطال أمره ، ولم تذكر اليهود فى تلك الأدوار ولا مرة واحدة ، ولم يبين لنا ذلك المستشرق نوع تلك المساعدة التى كان يرجوها منهم، أهى مساعدته فى نشر الدعوة ولم يوجه اليهم الخطاب مرة واحدة ، أم اعانته بالقوة ولم يكونوا ذوى عدد يخشى لهم بأس فى وسط تلك القبائل القوية ، بل ما كانوا يغنون عن أنفسهم فيها ؟!

ان الله لم يصارح أحدا بالعداء فى القرآن الكريم كما صارح اليهود ، فكيف يتملقهم محمد ويستعين بهم ! اللهم ان هذه أقوال ملقاة على عواهنها ، وليس فيها ظل من التحقيق العلمى .

اذا كان هذا الأمر صحيحا ، أما كان الواجب أن يرد فى القرآن الكريم مايستوجب عطفهم ، ويستنزل جنوحهم ، من التنويه بسلامة عقائدهم ، أو الاشادة بذكر قرابتهم ؟ فكيف ذلك وهو يقول بأن الكتاب لم يعلن أبوة ابراهيم للعرب الا فى المدينة ، أليس كان أولى أن يكون هذا وهو بمكة يستميح فيها عون اليهود ، من أن يكون بالمدينة وهو يصارحهم فيها العداء ، ويكشف عن سيئاتهم ؟ أليست هذه شبهة مفككة الأوصال ، منحلة العرى ، داحضة من نفسها دحوضا لا قيام لها بعده ؟ ! .

ثم قال ذلك المستشرق : انه لما يئس من اليهود وجه وجهه شطر قوم آخرين . فمن هم أولئك القوم الآخرون ؟ النصارى ، ولم يكونوا بذوى عدد فى بلاد العرب ، ولا يأبهون لقرابة العرب الى ابراهيم وابنه ، ولا بأنهما هما اللذان بنيا الكعبة ؟ أم كان أولئك القوم الآخرون هم أهل المدينة ، وقد كانوا من القبائل اليمنية الذين نزحوا بعد سيل العرم الى بلاد العرب ، وكان لا يعنيهم من أمر ابراهيم شيئا ؟ أم كانوا أولئك الأفراد الذين كانوا يدينون من العرب بدين ابراهيم ، وكانوا نفرا يعدون عدا موزعين فى القبائل ، ولا تجمعهم جامعة فى طول بلاد العرب وعرضها ؟ أم كانوا قوما آخرين لا نعرفهم ولا يعرفهم التاريخ نفسه ؟ .

لقد تبين القارىء من كل مامر أن هذه الشبهات التى أوردها ذلك المستشرق لا تقوم على أساس مطلقا ، وما أملاها عليه الا الخيال المحض ، وارادة الغض من كرامة الاسلام بمثل هذه الأقوال الفارغة .

وقد غفل هذا المستشرق عن أمر جلل ، وهو ما بنى عليه الاسلام من أصول عالية ، وما أقيم عليه صرحه من وطائد عالمية راسخة .

ان الاسلام لم يعتمد فى قيامه على تأليف شعب مختار تستند أبوته الى شخصية ممتازة ولكن رمى الى تأليف أمة عالمية تذوب فيها الجنسيات والفوارق الاجتماعية ، باسنادها الى الأبوة العامة المتفق عليها ، وهى أبوة آدم فقال تعالى مخاطبا الناس كافة :

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

أما عن الاعتزاء الى الشخصيات الممتازة ، والأبوات الماجدة ، فقد قال الله تعالى :

« أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

فالاسلام يسوى فى الحق بين من كان أبوه ابراهيم الخليل أو محمدا خاتم النبيين وبين من كان أبوه عبدا أسود أو من لا يعرف له أب أصلا ، فليس هو بالدين الذى بنى أمره

على هذه الشئون التى لو راجت فى زمان محدود ، أو لدى طائفة معينة فى دور من أدوار عقليتها الساذجة ، فلا تروج فى كل زمان ومكان ، ولا لدى الأقوام الذين ارتقت عقولهم ويعدون أمثال هذه الأمور حاطة بكرامة الاجتماع •

الاسلام دين شرع للناس كافة: أبيضهم وأسودهم ، عربيهم وأعجمهم ، فسوى بينهم مساواة لا محل فيها لأبوة ممتازة ، ولا لأصل ما جد ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لقد أزال الله عنكم دعوة الجاهلية واعتزازها بالأنساب ، كلكم من آدم وآدم من تراب » •

وقد رمى الى تأليف أمة عالمية ذات دين موحد ، لا هو دين ابراهيم ولا دين نوح ، دين الله نفسه ، القائم على الفطرة التى فطر الناس عليها،وعلى العقل والعلم ، فقال تعالى:

« **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** » وقد قرر الله فى غير آية أن الاسلام هو الدين الأول الذى أوحاه الله الى أول رسول ، فقال تعالى : « **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا** » •

فاذا كان الكتاب يقول عن الاسلام بأنه دين أبيكم ابراهيم فلذلك ، لا باعتبار أنه أول من جاء به ، فان عبارة الآية السابقة تمنع ذلك ، ولكن باعتبار أنه كان أكبر ممثليه فى العالم • واذا كان الكتاب قد صرح بأن ابراهيم أول المسلمين ، فذلك بمعنى أنه فى مقدمة من دان بالاسلام ، لا بمعنى أنه واضعه أو أول من تلقاه عن الله تعالى • وذلك على حد قول الله تعالى : « **قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ** » فمعناه أن محمدا يبادر الى عبادته ، لا أنه أول من قام بعبادته من الناس أجمعين •

فالاسلام كما ترى لا يقوم على أمثال هذه الأصول التى أتعب ذلك المستشرق نفسه فى تخيلها ، ولكنه يقوم على أصول عالمية عامة ، لم تقم على مثلها أمة الى اليوم ، وتعترف أرقى فلسفة بانها أكمل الأصول وأولاها بالاجلال • وهو فى كل أوامره ونواهيه ينحو هذا النحو العالمى العام ، ويحطم فى سبيل ذلك جميع الفوارق الاجتماعية التى أقامتها جاهلية الشعوب ، وروجتها عصبية القوميات فى أدوار التاريخ • وليس بين هذا الاسلام وبين أن يكون دين العالم كله ، الا أن تعرفه الأمم حق معرفته ، واذ ذاك يصبح الاسلام الدين البشرى العام ، فيتحقق معنى قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » •

« **وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** » •

محمد فريد وجدى

اللغة والأدب والنقد

من روائع تراثنا المخطوط "غراس الأساس"

الصيغ التي تأتي بمعنى "مفعول"

التصوف كما عرفته الثقافة الإسلامية

من روائع تراثنا المخطوط

غراس الأساس

للحافظ ابن حجر العسقلاني

* (بعض) كلفنى مُـخّ البعوض : أى الأمر الشديد .

* (بعق) تبعق المطر وابتعق : انفتح بشدة . وانبعق (١) فلان بالجود : أكثر . وانبعق عليهم (٢) الخوف : فاجأهم .

* (بعل) بعل النخل : فحلها . وبعل الدار : ربها .

* (بغث) خرج فلان فى البغثاء (٣) : أى أخلاط (٤) من الناس .

* (بغض) يقولون : أنعم الله بك عينا ، وأبغض بعدوك عينا (٥) وبغض جده (٦) : اذا عثر .

* (بغل) اشترى بغلة حسنة : أى جارية . وفى بيت فلان بغال . واشتريت من بغال اليمن (ولكن بغالى (٧) الثمن . ونكح فلان فى بنى فلان (٨) فَبَغَّلَ أولادهم : أى هجنهم .

* (بغم) امرأة بغوم : رخيمة الصوت ، وباغمها : غازلها .

* (بغى) بغى الجرح : ترامى الى الفساد. وبغت السماء : ألح مطرها، والفرس له بغى فى عدوه : أى مرح .

* (بقع) سنة بقعاء ، وعام (٩) أبقع : لعام الجدب (١٠) وابن بقيع (١١) وهو باقعة من البواقع للكيس الداهية من الرجال ، شبه بالطير الذى يرد البقع ، وهى المستنقعات ، دون المشارع (١٢) خوف أن يصاد . وفلان حسن البقعة عند أميره : أى المنزلة .

* (بقل) بقل وجه الغلام اذا بدا نباته ، وبقل ناب البعير : طلع .

---

(١) فى الاساس هذه الزيادة .
(٢) فى الاصل المخوف .
(٣) فى الاصل : فى البغيا .
(٤) فى الاصل : أحلاط
(٥) فى الاصل : أبعد الله بعدك عينا .
(٦) فى الاصل وَبعض بالمعين .
(٧) فى الاصل : بغال .
(٨) الزيادة من الاساس .
(٩) فى الاصل : وعالم أبقع .
(١٠) فى الاصل : الجذب بالذال .
(١١) ابن بقيع : هو الكلب ، وفى الاساس : وتشاتما فتقاذفا بما أبقى ابن بقيع .
(١٢) فى الاصل الشارع .

تحقيق الدكتور
توفيق محمد شاهين

* (بقى) ركبوا المبقيات : أى الخيل التى لا تخرج ما يجيدها من الجرى (١) وناقة مبقية : لا تعطى الدرّ كله •

(بكأ) بكؤت العين • قل ماؤها • وركِيّ بَكِيّ : قليلة الماء • وعيون بكاء : قليلة الدمع • وألسنة بكاء : قليلة الكلام • وأيد بكاء : قليلة العطاء • وأبْكأ فلان : صار قليل الخير •

* (بكر) بكّر بالصلاة : صلاها أول وقتها • وبكر إلى الجمعة : خرج اليها سابقا • وابتكر الشىء (٢) : أخذ أوله • وابتكر الفاكهة : أكل باكورتها • وابتكر الجارية : افتضها • وابتكر الخطبة:سمع أولها • ونخلة باكرة وبكور : تبكر بحملها • وغيث باكر وبكور : وقع فى أول الوسمىّ • وأشد الناس بِكْرُ بن بكرين (٣) • وضربة بِكْر : لا تثنى • وما هذا الأمر منك ببِكْر (٤) ولاثنىّ : أى لا أولا ولا ثانيا • وكرم بكر : حمل أول حمله •

* (بكع) كلّمتُهُ فبكعنى بجواب خشن • وخشيت (٥) أن يبكعنى بما أكره • وأصل البكع : الضرب الشديد •

* (بكى) بَكَتِ السحابة فى أرضهم : سكبت الماء •

* (بلج) صَباحٌ أبلج والحق أبلج • ويقال للرجل الطلق:وجه الكريمِ أَبْلَج ولو كان أقرن • وبلجت به الصدور : إذا فرحت (٦) • تقول : ثلج (٧) به صدرى وبلج بعد ما حرج (٨) •

* (بلد) ان لم تفعل كذا فهى بلدة بينى وبينك : أى قطيعة ، والمغنى : أباعدك ويفصل بيننا بلدة من البلاد • ويقال للمتلهف تَبَلَّدَ : أى ضرب بلدته ، وهى صفحة راحته على صدره • وبلدت الجبال : تلاصقت فى رأى العين من ظلمة الليل (٩) •

* (بلط) انها لحسنة البلاط : اذا جردت واعترضه اللصوص فأبلطوه : أى تركوه على ظهر الغبراء ولم يبقوا له شيئا •

* (بلع) بلّعنى ريقى : أى أمهلنى أقول وأفعل • وقدر بلوع : كبير تبلع ما يلقى فيها

* (بل) بلّوا أرحامكم • وبلّك الله بابن (١٠) وما أحسن بلّة لسانه : اذا وقع

---

(١) فى الاساس : ركبوا المبقيات ، وجنبوا المنقيات : أى تجنبوا ذوات النقى التى لاتغلب •
(٢) زيدت الشىء من الاساس لايضاح المعنى •
(٣) فى الاساس : بكر ابن بكر •
(٤) فى الاصل : مبكر •
(٥) فى الاصل : وحسبت •
(٦) فى الاصل : اذا افرجت •
(٧) فى الاصل : بلج وبلج •
(٨) عبارة الأساس : تقول ثلج به صدرى وبَلِج من بعد ما حرّ وحرِج ص ٤٩ •
(٩) عبارة الاساس : تقاصرت فى رأى العين من ظلمة الليل •
(١٠) فى الاصل : بلل الله باين •

غراس الأساس

على مخارج الحروف ولا تبلّك (١) عندى بالّة : أى لا يصيبك عندى خير • وابتل فلان وتبلل: حسن حاله • وطويته على بلّته : أى على فساده (٢) ، وأصله السقاء يطوى وهو مبتل فيعفن •

— (بلم) (٣) المال بيننا شق الأبلُمَة : أى سواء (٤) ، وهى خوصة المقل •

* (بله) هو فى شباب أبله وعيش أبله يراد : غفلة عن الطوارق • ومنه : هو فى بلهنية من عيشق • وجمل أبله : لا ينحاش عن حمل ثقل • وفلان يتبله فى المفازة : أى يتعسف من غير هداية ولا مسألة •

* (بلو) بلوت الشىء شممته •

* (بنق) جعبة مبنقة : زيد فى أعلاها (٥) •ومشية مبنقه : متسعة (٦) وطريق مبنق : واسع • ومفازة مبنوقة بأخرى : موصولة (بها) •

* (بنن) أبنوّا بالمكان : أقاموا به • وأصله ما يحدث فيه من بنّة نعمهم (٧) ثم كثر حتى قيل لكل اقامة ابنان • وأبنت السحابة : اذا دامت أياما •

* (بنى) بنى على أهله : دخل (عليها) ، وأصله : أن المعرس (٨) كان يبنى على أهله خباء ، فقالوا : بنى بأهله : أى أى أعرس بها ، واستبنى فلان وابنتى : (اذا أعرس) ، استبنى على ظهر : تزوج وهو مسافر على ظهر فرسه أو جمله • وبنى مكرمة وابتناها وهو من بناة المكارم • وملعون من هدم بنيان الله : أى ماركبه الله وسواه •

وبنى الأكلُ فلانا وبناه : اذا سمّنه • وجمل مبنى : سمين • وبنى له الراعى سناما (٩) وبنى كلاما وشعرا ، وهذا كلام حسن المبانى • وبنى على كذا : احتذاه • وبنى فلان على الحرم : لبث عليه • وكل شىء صنعته فقد بنيته • وطرحوا له بناء ومبناة وهى النّطع ؛ لأنه كان يتخذ منه القباب • وألقى (فلان) بوانيه : اذا أقام • والبوانى : ضلاع الصدر • وبنى البيت على بوانيه : أى على قواعده • واسْتَبْنَتِ الدارُ : تهدمت و ''بت البنا •

وطلع ابن : (وهو) الصبح • وصادوا بنا فى الماء : الغراس (١٠) • وابن جلا : الرجل المشهور • وابن ليلها : الرجل المنكر • (١١) وابن أقوال : للذى يكثر الكلام • وابن أحذار : للحَذِر • وابن الفلاة :ملازمها (١١)

---

(١) فى الاصل : لايبلك •
(٢) فى الاصل : على فساد •
(٣) عدها الاساس مع مشتقاتها حقيقة لا مجازا •
(٤) فى الاساس : المال بيننا وبينك شق الأبلمه •
(٥) فى الاساس : زيد فى أعلاها شبه بنيقة لتتسع •
(٦) فى الاصل : متسع
(٧) فى الاصل : من بنة يعممهم •
(٨) فى الاصل : العروس •
(٩) فى الاساس : وبناه : اذا سمنه •
(١٠) فى الاساس ، وهى الغرانيق •
(١١) فى الاساس وابن ليلها وابن ليلتها : لصاحب الأمر الكبير •

وابن البلدة : الملك (١) • وابن الطود : الصدى • وابن البليدة : الحرباء •

وخذ بابنى مِلَاطَيْه : وهما عَضُدَاه (٢) والملاطان : الجنبان (٣) وهذه من بنات فكرى •

وغلبتنى بنات الصدر : الهموم • وبنات الليل : الصوادق الأحلام (٤) وبنات الدهر : النوائب (٥) وبنات السحاب البرد • وبنات المِعَى : البعر •

[ونزلت بنابنات بئس] (٦) وهى الدواهى • وبنات غيْر •• وهى الأكاذيب • وبنات المثال : النساء •

والمثال : الفراش • وبنات الليل : المنى • وبنات طارق ، وبنات الملوك ، وبنات صهّال : الخيل (٧) وبنات شحّاج (٨) : الخيل • وبنات الدوّ (٩) وبنات صعدة وبنات أخدر : حمر الوحش • وابن المسرة : الريحان • وابن المزنة : المطر • وابن طامر : البرغوث • وذهبوا فى بنيات الطريق •

✽ (بوأ) الناس فى هذا الأمر بواء : أى سواء • وأجابوا عن بواء واحد : أى نسق (١٠) وفلان طيب الباءة : للعفيف الفرج • وطيب الباءة : وهى المنزل • ورحب المباءة : السخى • وقرأ كتاب الباه : اذا كان كثير الجماع •

✽ (بور) بارت البياعات : اذا كسدت • وبارت الأيم (١١) : لم يُرْغَبْ فيها، وبارت الأرض : اذا لم تزرع • وأرض بوار • وبر لى ما عند فلان : أخبر •

✽ (بوق) فلان ينفخ فى البوق : إذا كذب • ونطق بوقها : أى باطلا • وتبوّق فلان • تكذب • وتبوّق الدبا (١٢) فى الماشية : كثر فيها •

✽ (بهج) رأيت (١٣) ناقة لها سهام مبهاج ،وأسنمة مباهج : سمان (١٤) •

✽ (بهر) قمر باهر : اذا عظم ضوؤه وغطى ضوء الكواكب • وطاول صاحبه فبهره : أى أعلاه البهر • وبهرت السيف فيه فما حاك (١٥) فيه : أى بالغت فى الضرب به • وقطع الألم أبهره : أى أهلكه ، والأبهر عرق مستبطن الصلب ، اذا انقطع لم يبق صاحبه •

✽ (بهرج) كلام بهرج ، وعمل بهرج ، وكذا كل موصوف بالرداءة • ودم بهرج : هدر (١٦) وبهرج بهم الطريق : اذا أخذ فى

---

(١) فى الاساس : ابن الفلاة ، وابن البلد ، وابن البليدة : وهو الحرباء •
(٢) فى الاصل : وأبناء ملاطفة :العضدان ، ثم بياض بعد ذلك •
(٣) زيادة من الاساس لتوضيح المعنى •
(٤) فى الاساس : بنات ليله : صوادق ، وهى أحلامه •
(٥) فى الاصل : وبنات (ثم بياض) الدواهى •
(٦) مابين المعقوفتين من الاساس •
(٧) فى الاساس : بنات طارق : أى بنات الملوك ، وقد ملك بنات صهال ، وبنات شحاج : أى الخيل والبغال •
(٨) فى الأصل : سحاح •
(٩) فى الأصل : بنات الدر بالراء •
(١٠) أى لم يختلف جوابهم •
(١١) الأيم : من لا زوج لها ، وكان الرسول ﷺ يتعوذ من بوار الأيم •
(١٢) فى الأساس : الوباء •
(١٣) فى الأصل : زايت •
(١٤) لأن البهجة من السمن •
(١٥) فى الأصل : فما سناك •
(١٦) فى الأصل : هذر بالذال •

غراس الأساس

غير الحجة • ومـاء مبهرج : مهمل •

* (بهظ) (١) بهظنى هذا الأمر ، وأمـر باهظ (٢)

* (بهل) رجل باهل : متردد بغير عمل • وراع باهل يمشى بغـير عصـا • وابتهـل : تضرع واجتهد •

* (بهم) أمر بهم ومبهم ، وأبهم علىّ الأمرُ واستبهم : أشكل • وكـلام مبهم : لا وجه له •

واستبهم عليهم : ارتج • وصوت بهيم : لا ترجيع فيه •

* (بهى) حلب اللبن فعلاه البهاء : أى وبيص الرغوة •

* بيت) بيت الرجل : يطلق على امرأته ، قال الشـاعر :

هنيئا لأرباب البيـوت بيـوتهم
سـوى بَعْلِ جُمْلٍ لا هنيئـا له جُمْلُ

وبات فـلان : اذا تزوج فدخـل • وبنى عليه بيتا : أعرس • وتزوجت على بيت : أى على فـرش (٣) يكفى البيت •

* (بيض) يحوط بيضة الاسلام ، وبيضة قـومه • وباض بنى فـلان وابتاضهم : دخل فى بيضتهم وأوقعـوا بهم فباضوها : أى استأصلوا : بيضـتهم ، وباضت الأرض : أنبتت الكمأة وهى بيضـة الأرض •

ويقال : أذل (٤) من بيضـة البلـد • وباض الحر :اشتد • وبيضة القيظ وبيضـاء القيظ : صـميمه بين (٥) طلـوع سهيل والدبران • وبايضنى فـلان : جاهرنى : مأخوذ من بيـاض النهار • وفـرس ذو بيض : وهى غدد تحدث فى المشـاعر (٦) وبيضة الخدر (٧) ، وبيضةالحجال ، [وفى مثل كانت] (٨) بيضـة العُقْـر : الأخيرة • ولا يزايل سـوادى بياضك أى (شخصى) شخصك : وبيض الاناء : ملأه وفرّغه •

وفى مثل : (سـدّ ابن بَيْضٍ الطريق) •

* (بيع) باع فلان على بيعك ، نزل بواديك : أى قام مقامك • وما باع على بيعك أحد : أى ما سـاواك • وجـارية بائعٌ : أى نافقة : كأنها تبيع نفسـها ، كما يقـال : ناقة تاجرة • وباعه من السلطان : وَشَى به • وباع دنياه بآخرته : استبدلها •

يتبـع

د• توفيق شاهين

---

(١) المادة كلها فى الأصل بالطاء ، والصحيح الظـاء •
(٢) فى الأصل : باهط بالطاء •
(٣) فى الأصل : على فرس •
(٤) لأن الكمأة لا قوة لها •
(٥) فى الأصل : ومن طلوع •
(٦) فى الأصل : أشاعره •
(٧) فى الأصل : الحذر •
(٨) الزيادة من الاساس •

من أعلام الأزهر
بقيه

الصواب قد جانبه فان من الحكمة أن نبين له وجه الخطأ كما طلب ، ولكن لجنة علمية شكلت لدحض المقال ، وهذا هو الواجب ! على حين شكلت لجنة أخرى من كبار أساتذة الأزهر ، والقائمين على أمره لمحاكمته وانتهت الى أن يحرم من الترقية خمس سنوات ، وأن ينقل من التدريس بكلية اللغة العربية بالقاهرة الى القسم العام بطنطا ! وكان الحكم بالأغلبية لا بالاجماع ، ويخيل الى أن الرد الفقهى بايضاح وجه الخطأ كان كافيا ، لأن الباحث مستفهم يطلب وجه الصواب ، وليس مصرا على رأى ارتآه ، وقد نشط فريق من علماء الأزهر لدحض ما يراه الأستاذ الصعيدى ، وكان من أقوى الردود مانشره الأستاذ محمد الخضر حسين بمجلة الهداية الاسلامية (١) حيث جزم بأن الأمر للوجوب الدائم لا للندب ، وأتى بأدلة قاطعة من منطوق كتاب الله ، وأقوال الكبار من أهل التفسير ! وفيما كتب محمد الخضر رضى الله عنه وأمثاله مقنع للأستاذ الصعيدى ! وتحقيق لما طلب من ابداء الرأى .

وكان صدور الحكم بمنع الترقية ، والنقل الى القسم العام بطنطا مصدر كدر للأستاذ ، ولكنه لم يحل دون مشاركته الرأى فى المسائل الدينية على صفحات الجرائد والمجلات ، فان انتاجه العلمى قد ازداد وانتشر وكانت مجلتا الرسالة والسياسة الأسبوعية وجريدتا البلاغ وكوكب الشرق ميدانا فسيحا لأفكاره ، حتى تهيأ له أن يجمع من ثمار هذه الحقبة كتبا شتى فى التاريخ الاسلامى ، والأدب العربى ، والنحو والبلاغة ، ثم أعيد ثانية الى كلية اللغة العربية بالقاهرة ، فزاول نشاطه العلمى مع طلابه الكبار ، ومما يذكر له أنه كتب بحثا شافيا عن سر تحريم لحم الخنزير بعددين من مجلة الرسالة صادف قبول المنصفين ، وترجمه أحد الباحثين الى اللغة الأوردية ليقرأه المسلمون فى الهند ، كما كتب عدة فصول نحوية يرد بها على مشروع لجنة القواعد العربية فى تيسير النحو ، وامتد بحثه الى تقييم كل ما كتب عن النحو ، فى مجال التيسير المعاصر فناقش آراء الأساتذة ابراهيم مصطفى وأمين الخولى وأعضاء لجنة التيسير ، ونشر كتابا مستقلا يجمع هذه المناقشات ، مضيفا اليه آراءه الخاصة فى تذليل النحو ، وهذا الكتاب يسمى (بالنحو الجديد) .

د. محمد رجب البيومى

(١) مجلة الهداية الاسلامية محرم سنة ١٣٥٦ .

الصيغ التى تأتى بمعنى "مفعول"

للدكتور محمد محمد محمد سعيد

مما هو معلوم أن اسم المفعول من الثلاثى يأتى على زنة ((مفعول)) .

وهناك صيغ كثيرة تخالف صيغة ((مفعول)) فى الوزن ولكنها تدل دلالتها ولذلك تعد منها مثل :

١ ــ فعيل بفتح الفاء وكسر العين ، وهذه الصيغة كثيرة فى كلام العرب كقتيل بمعنى مقتول وذبيح بمعنى مذبوح ، وكحيل بمعنى مكحول ، وحبيب بمعنى محبوب وأسير بمعنى مأسور ، وطريح بمعنى مطروح .

ويستوى فى هذه الصيغة المذكر والمؤنث ان علم الموصوف ، تقول : امرأة جريح ورجل جريح .

فان لم يعلم الموصوف بأن استعمل استعمال الأسماء لحقتها التاء خوف اللبس نحو عندى ذبيحة ورأيت جريحة .

قال سيبويه : ((وأما فعيل اذ كان فى معنى مفعول فهو فى المؤنث والمذكر سواء ، وهو بمنزلة فعول ولا تجمعه بالواو والنون ، كما لا تجمع فعول ، لأن قصته كقصته واذا كسرته كسرته على فعلى ، وذلك قتيل وقتلى وجريح وجرحى وعقير وعقرى ولديغ ولدغى ، وسمعنا من العرب من يقول : قتلاء يشبه بظريف لأن البناء والزيادة مثل بناء ظريف وزيادته .

وتقول شاة ذبيح ، كما تقول : ناقة كسير وتقول : هذه ذبيحة فلان وذبيحتك ، وذلك أنك لم ترد أن تخبر أنها قد ذبحت ألا ترى أنك تقول ذلك وهى حية ، فانما هى بمنزلة ضحية)) (١) .

---

(١) أنظر الكتاب ٣ـ٦٤٧ .

فان كانت « فعيل » بمعنى فاعل لحقتها التاء الفارقة نحو رحيم ورحيمة وكريم وكريمة وقد تلحق التاء فعيلا بمعنى مفعول حملا على « فعيل » بمعنى فاعل لشبهه به لفظا ، فقد قال العرب : سنة حميدة وخصلة ذميمة ، كما حمل « فعيل » بمعنى فاعل على « فعيل » بمعنى مفعول فى التجرد من التاء كما فى قوله تعالى « قال من يحيي العظام وهى رميم »(١)

« فعيل »

بمعنى مفعول بين القياس والسماع

اتفق العلماء على أن « فعيل » تأتى بمعنى مفعول بكثرة .. الا أنهم اختلفوا .. هل يكتفى بالمسموع .. أم يقاس عليه ؟

اكتفى ابن مالك بما سمع ومنع القياس عليه فلا يقال : ضريب بمعنى مضروب ولا عليم بمعنى معلوم والى ذلك أشار بقوله :

وناب نقلا عنه ذو فعيل
نحو فتاة أو فتى كحيل

أى ناب عن بناء وزن مفعول فى الدلالة على اسم المفعول من الفعل الثلاثى ذو فعيل أى صاحب هذا الوزن وذلك نحو كحل عينه فهو كحيل ... وهو كثير فى كلام العرب ، والمراد بقوله : نقلا : أى فيما نقل لا فيما قيس .

وقال ابن الناظم : « ينوب عن مفعول « فعيل » مثل كحل عينه فهو كحيل وقتله فهو قتيل وطرحه فهو طريح وجرحه فهو جريح وذبحه فهو ذبيح بمعنى مكحول ومقتول ومطروح ومجروح ومذبوح ، وهو كثير فى كلام العرب ، وعلى كثرته لم يقس عليه باجماع »(٢)

فابن الناظم يكتفى بالمسموع ... ويقول القياس مرفوض بالاجماع ، وفى قوله هذا نظر لأن والده « ابن مالك » قال فى التسهيل : عند ذكره نيابة « فعيل » عن مفعول :

« وليس مقيسا خلافا لبعضهم » (٣) أى ابن مالك هو الذى حكم بمنع القياس مع اعترافه باجازة غيره له .

ومن العلماء من قال : « فعيل » بمعنى مفعول مقيس فى كل فعل ليس له « فعيل » بمعنى فاعل كجريح وقتيل ، ولا ينقاس فى الأفعال التى يأتى منها « فعيل » بمعنى فاعل مثل رحم وعلم وسمع وشهد ، لأنهم قالوا رحيم وعليم وسميع وشهيد بمعنى راحم وعالم وسامع وشاهد .

٢ ــ **فعل** بكسر فسكون كقطف (٤) بمعنى مقطوف ، وطحن بمعنى مطحون ومنه المثل « اسمع جعجعة ولا أرى طحنا » (٥) أى شيئا

---

(١) سورة يس الآية ٧٨ .
(٢) شرح الألفية لابن الناظم ص ١٧٢ .
(٣) التسهيل لابن مالك ص ١٣٨ .
(٤) القطف : ما قطف من الثمرة ، والعنقود ساعة يقطف ، و : اسم الثمار المقطوفة .
(٥) اللسان : طحن .. والطّحن : الدقيق .

مطحونا ، وذبح بمعنى مذبوح كما فى قوله تعالى «وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ» (١) وحمل بمعنى محمول ، والقد بمعنى مقدود وبسط بمعنى مبسوط ، تقول : هذه يد بسط أى مبسوطة مطلقة ، وقرىء : وقالت (٢) اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه بسطان » بكسر الباء (٣) والعرب تقول :

ألقِ أخاك بوجه مبسوط وبوجه بسط بكسر الباء وضمها ، وعلم بمعنى معلوم كما فى قوله تعالى « وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ » (٤) أى معلومه ٠

٣ — فعل بفتح الفاء وسكون العين نحو خلق بمعنى مخلوق كما فى قوله تعالى : « إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ » (٥)

وقوله تعالى : « هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ » (٦) أى مخلوقه ، ولفظ بمعنى ملفوظ وصيد بمعنى مصيود ، وضرب بمعنى مضروب كما فى قولك هذا درهم ضرب الأمير أى مضروبه ٠ قال سيبويه : « وقد يجىء المصدر على المفعول ٠٠ كقولهم الخلق انما يريدون المخلوق ، ويقولون للدرهم ضرب الأمير ، انما يريدون مضروب الأمير » (٧) ٠

ومنه غزل بمعنى مغزول ، وجد بمعنى مجدود ، تقول هذا رجل جد أى مجدود محظوظ ٠

قال الجوهرى : تقول جددت يافلان أى صرت ذا جد فأنت جديد حظيظ ومجدود محظوظ (٨) ٠

ومنه ضعف بمعنى مضعوف ٠

قال الفراء : « والعرب تقول للضعف مضعوف ، وليس له عقد رأى ومعقود رأى فيجعلون المصدر فى كثير من الكلام مفعولا » (٩) ٠

٤ — فعل بفتحتين كما فى قولك نفضت الورق أو الثمر من الشجرة اذا أسقطته ، فالورق أو الثمر نفض بمعنى منفوض ، وفى اللسان : النفض بالتحريك : ما تساقط من الورق والثمر وهو فعل بمعنى مفعول ٠

ومثل ذلك خبطت الورق من الشجر فهو خبط فعل بمعنى مفعول ، وفى اللسان ٠٠٠ وفى حديث تحريم مكة والمدينة نهى أن تخبط شجرها ٠٠ وهو ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها ، واسم الورق الساقط : الخبط بالتحريك فعل بمعنى مفعول وهو من علف الابل ، ومن هذا الباب جنى كما فى قوله تعالى:

---

(١) سورة الصافات ١٠٧ ٠
(٢) سورة المائدة ٦٤ ٠
(٣) معانى القرآن للفراء ١ـ٣١٥ وفيه قرأ عبد الله : « بل يداه بسطان » بكسر الباء وضمها ٠
(٤) سورة البقرة ٢٥٥ ٠
(٥) سورة ابراهيم ١٩ ٠
(٦) سورة لقمان ١١ ٠
(٧) الكتاب ٤ـ٤٣ ٠
(٨) الصحاح : جدد ، والجد : الحظ والبخت ٠
(٩) معانى القرآن ٢ـ٣٨ ٠

« وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ » (١) ومنه قبضت المال، فالمال قبض بمعنى مقبوض ، وحسبت المال بمعنى عددته فهو حسب أى محسوب معدود قال ابن منظور (٢) « والمعدود محسوب ، وحسب أيضا وهو فعل بمعنى مفعول مثل نفض بمعنى منفوض » . ومن هذا الباب قنص وجزر وسلب وجلب وولد وعدد بمعنى مقنوص أى مصيد ، ومجزور أى مذبوح ومسلوب ومجلوب ومولود ومعدود ، وحفر بمعنى محفور ، وقد قيل للبئر التى حفرها أبو موسى الأشعرى قرب البصرة : حفر وهى ركايا احتفرها على حادة الطريق من البصرة الى مكة والقلم الذى يكتب به فعل بمعنى مفعول ، ولهذا لا يسمى قلما الا بعد البرى ، وانما سمى قلما لأنه قلم مرة بعد مرة ، ويسمى قبل البرى قصبة ، ونزح بمعنى منزوح ، تقول : هذه بئر نزح أى لا ماء فيها فهى منزوحة .

قال الفراء : ويقولون للجلد مجلود (٣) .

وقال سيبويه : وقد يجىء المصدر على المفعول وذلك قولك لبن حلب انما تريد محلوب (٤) .

٥ ــ فعل بفتح فكسر نحو كذب بمعنى مكذوب فى قوله تعالى : « وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ » (٥) .

قال الفراء : « معناه مكذوب والعرب تقول للكذب مكذوب » (٦) .

وقال ابن منظور : قال أبو القبلى : بدم كذب .. هذا مصدر فى معنى مفعول ، وقال الزجاج : أى ذى كذب والمعنى دم مكذوب فيه . (٧) ومنه زين تقول : رجل زين أى مبتلى بين الزمانة ، والزمانة : العاهة ، فعيل بمعنى مفعول ، والجمع زمنى مثل جريح وجرحى وكليم وكلمى (٨) .

٦ ــ فاعل نحو دافق بمعنى مدفوق كما فى قوله تعالى « خُلِقَ مِن مَاءٍ دَافِقٍ » (٩) ، قال الفراء : « والعرب تقول هذا ليل نائم وسر كاتم وماء دافق فيجعلونه فاعلا ، وهو مفعول فى الأصل ، وذلك أنهم يريدون وجه المدح أو الذم (١٠) ، فيقولون ذلك لا على بناء الفعل ، ولو كان فعلا مصرحا لم يقل ذلك فيه ، لأنه لا يجوز أن تقول للضارب مضروب ولا للمضروب ضارب ، لأنه لا مدح فيه ولا ذم » (١١) .

وقال أيضا : « أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم ، أن يجعلوا المفعول فاعلا اذا كان فى

---

(١) سورة الرحمن ٥٤ .
(٢) اللسان : حسب .
(٣) معانى القرآن ٢ـ٣٨ .
(٤) الكتاب ٤ـ٤٣ .
(٥) سورة يوسف ١٨ .
(٦) معانى القرآن ٢ـ٣٨ .
(٧) اللسان : كذب .
(٨) اللسان . زمن .
(٩) سورة الطارق ٦ .
(١٠) أى أن من سنن العرب أن يجعلوا ما هو مفعول فاعلا عند ارادة المدح أو الذم .
(١١) معانى القرآن ٣ـ١٨٢ .

الصيغ التى تأتى بمعنى "مفعول"

مذهب نعت كقول العرب هذا سر كاتم وهم ناصب وليل نائم ... » (١) .

وعاصم بمعنى معصوم كما فى قوله تعالى : « **لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ** (٢) » ومن هذا الباب قول الخطيئة : (٣)

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

أى المطعم المكسو .

ومنه قولهم طريق شارع وطريق قاصد بمعنى مشروع ومقصود ، ومكان عامر بمعنى معمور ، وغامر بمعنى مغمور ، وهو ضد العامر (٤) ، وراضية بمعنى مرضية كما فى قوله تعالى « **فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** » (٥) .

٧ ــ فعال بكسر الفاء نحو كتاب بمعنى مكتوب ، وفراش بمعنى مفروش وبساط بمعنى مبسوط واله بمعنى مألوه معبود ، وركاز بمعنى مركوز وهو المال المدفون ، ولفافة بمعنى ملفوفة .

٨ ــ فعلة بضم فسكون نحو سبة (٦) وضحكة (٧) .. وهزأه أى مسبوب ومضحوك عليه ومهزوء به .. فى الأمثلة السابقة

وما أشبهها دلت صيغة « فعلة » على المبالغة والتكثير .

وقد تأتى بمعنى اسم المفعول دون مبالغة نحو نسخة ــ بمعنى منسوخ وأكلة (٨)

بمعنى مأكول ومضغة بمعنى ممضوغ وغرفة بمعنى مغروف ، قال تعالى : « **إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ** » (٩) وقبضة بمعنى مقبوض وهو ما قبضت عليه من شىء يقال : أعطاه قبضة من سويق أو تمر أى كفا منه .

٩ ــ فعل بضم الفاء والعين تقول هذا باب فتح أى واسع مفتوح ، وهذا باب غلق (١٠) أى مغلق ، وهذه قارورة فتح وهى الواسعة الرأس وما ليس لها صمام .

١٠ ــ فعول بفتح الأول نحو ركوب وركوبة بمعنى مركوبة وهى الناقة التى تركب كما فى قوله تعالى : « **وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ** » (١١) وقرأت السيدة عائشة رضى الله عنها : فمنها ركوبتهم .

---

(١) معانى القرآن ٣ ــ ٢٥٥ .
(٢) سورة هود ٤٣ . وأنظر معانى القران للفراء ٢ ــ ١٥ ، والبيان فى غريب اعراب القرآن للأنبارى ٢ ــ ١٦ .
(٣) من قصيدة له يهجو فيها الزبرقان بن بدر
(٤) اللسان : غمر ، والغامر من الارض والدور : خلاف العامر وهو فاعل بمعنى مفعول .
(٥) سورة الحاقة ٢١ .
(٦) السبة : العار و : من يكثر الناس سبه .
(٧) الضحكة : من يكثر الناس الضحك منه .
(٨) الأكلة والأكلة كاللقمة واللقمة يعنى بهما جميعا المأكول .
(٩) سورة البقرة ٢٤٩ ، الغرفة : المرة الواحدة والغرفة بالضم اسم للمفعول منه لأنك ما لم تغرفه لا تسميه غرفة ، أنظر البحر المحيط ٢ ــ ٢٦٥ .
(١٠) باب غلق : مغلق وهو فعل بمعنى مفعول ، اللسان : غلق .
(١١) سورة يس ٧٢ .

قال الفراء وابن جنى (١) وأبو حيان : قرأ الجمهور ركوبهم وهو فعول بمعنى مفعول كالحلوب ٠٠٠٠ وهو مما لا ينقاس ٠٠ وقرأ أبى وعائشة ركوبتهم بالتاء وهى فعولة بمعنى مفعولة والركوب : المركوب من الدواب وغيرها ، والركوبة : المخصصة للركوب ، ويقال : طريق ركوب أى مسلوك ممهد ، وتقول هذه ناقة حلوب وحلوبة أى محلوبة ؛ ولبوس بمعنى ملبوس ومنه ما أنشده ابن السكيت لبيهس الفزارى ٠

البس لكل حالة لبوسها
اما نعيمها واما بوسها (٢)

ويدخل فى هذا الباب رسول بمعنى مرسل (٣) كما فى قوله تعالى : « **وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ** » (٤) ٠

وكقوله تعالى : « **قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ** » (٥) ٠

١١ ــ فعال بضم الأول نحو جذاذ بمعنى مجذوذ أى مقطوع قال تعالى : « **فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ** » (٦) وحطام بمعنى (٧) محطوم أى مكسور ؛ وركام بمعنى (٨) مركوم أى مجموع قال تعالى : « **ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما** »

١٢ ــ فعل بضم الفاء وسكون العين نحو سؤل بمعنى مسئول ونكر بمعنى منكور ، وعرف (٩) بمعنى معروف ٠

د٠ محمد محمد سعيد

---

(١) أنظر معانى القرآن ٢ــ٣٨١ ، والمحتسب ٢ــ٢١٦ ، والبحر المحيط ٧ــ٣٤٧ ٠

(٢) البوس مخفف من البؤس وهو ضد النعيم ٠

(٣) أى فى الدلالة على المفعولية على الرغم من أن وزن مرسل مفعل ٠٠ لا مفعول ، لأن الفعل أرسل ٠

(٤) سورة ابراهيم ٤ ٠

(٥) سورة الأعراف ٦٧ ٠

(٦) سورة الأنبياء ٥٨ ، وفى البحر المحيط ٦ــ٣١٩ ، أى فجعل الأصنام جذاذا أى مفككة الأجزاء ٠

(٧) الحطام : ما تكسر من اليبيس ٠

(٨) شىء ركام : بعضه على بعضه ، وقال الجوهرى ٠

(٩) العرف والعارفة والمعروف واحد : ضد النكر وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن اليه ، والعرف والمعروف : الجود ٠

التصوف
كما عرفته الثقافة الإسلامية

اذا بحثت عن كلمة « تصوف » أو « صوفيه » أو متصوفه فى الكتب الأدبيه والتاريخية التى ألفت فى العصر العباسى الأول لم تجد لها ذكرا .

وتجد الجاحظ فى « البيان والتبيين » وفى الجزء الثالث منه يعقد فصلا بعنوان « باب الزهد » وفيه طائفة من أقوال الزهاد تنبع من التعاليم الاسلامية لا تخرج عما فى الكتاب والسنة ، وكذلك ما يجىء فى كتاب « الكامل » للمبرد وفى غيرهما مثل الطبقات الكبرى لابن سعد وغيره . والجاحظ توفى سنة ٢٥٥ هـ والمبرد توفى سنة ٢٨٥ هـ لكن ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » والمتوفى بقرطبة سنة ٣٢٨ هـ يروى « لمساور الوراق » وهو ممن يروى عنهم الجاحظ ـ قوله فى أهل التصوف ولم يروه الجاحظ . قال مساور :

« تصوف » كى يقال له أمين
وما معنى التصوف والأمانة ؟
ولم يرد الاله به ولكن
أراد به الطريق الى الخيانة

وهذا الشعر هجاء لمن تصوف .. وقد كان التصوف قبل هذا الشعر يسمى زهدا ، عرفه الصحابة رضى الله عنهم لأنهم كانوا زاهدين فى الدنيا راغبين فى الآخرة امتثالا لما حفظوا من القرآن الكريم وسمعوا من عظات رسول الله وهو القدوة الحسنة فى الزهد ، ومن الصحابة من غلا فى الزهد الى درجة الشكوى من زهده مثل الصحابى القرشى « عثمان ابن مظعون» والأنصارى «أبى الدرداء» ولكن النبى ﷺ أنكر عليهما موقفهما وهداهما الى الحنيفية السمحة ، وبين لهما الزهد كما يراه الاسلام . ولكن هذا لم يمنع بعض التابعين من الغلو فى الزهد ، فظهر جيل زاهد مثل «مطرف بن عبد الله الشخير» المتوفى سنة ٨٨هـ ولأبيه صحبة بالنبى . ومن كلامه : «لاتنظروا الى خفض عيشهم ولين ثيابهم ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم »وصديقه عا[مر] بن عبد القيس » الذى نفاه والى البصرة الى الشام بأمر عثمان رضى الله عنه ، لأنه لا يأكل اللحم ولا يتزوج ولا يقبل الأعمال أى

للأستاذ السيد حسن قرون

الوظائف ، وهو القائل حين نفى : «ما آسى من العراق الا على ثلاث : ظماء الهواجر ، وتجاوب المؤذنين ، واخوان منهم الأسود ابن كلثوم » .

ولما جاء العصر العباسى وامتزجت الشعوب الاسلامية بعضها ببعض بالتزاوج والتعامل والاختلاط نشأ مجتمع مسلم لا يتميز فيه جنس عن جنس وكثرت الأموال ببغداد ، وظهر الغنى الفاحش يقابله الفقر المدقع فكان أن برزت طائفة من الزهاد ينعون على الأثرياء انغماسهم فى اللهو واللعب وظهر شعراء يمثلون مذهب الزهد على رأسهم « أبو العتاهية » توفى سنة ٢١١ هـ .

وكان « فضيل بن عياض التميمى » معاصرا له مخلصا فى زهده مسلما وجهه لله وهو محسن له مكانته بين العامة والخاصة وعند الخلفاء توفى ١٨٧ هـ . قالوا : كان فى أول أمره قاطع طريق يتخذ من النهب والسرقة مرتزقا . وذات يوم تسلق بيتا ليسرق فسمع قارئا يتلو : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ » آية ١٦ من سورة الحديد . فقال وهو راجع عما نوى . لقد آن . ومن هنا اتخذ الزهد مذهبا ، وغلا فيه حتى عرف به وصار له تلاميذ على مذهبه . قال بعضهم : ومن يومه عرف الزهد باصطلاح جديد هو « التصوف » و « الصوفية » .

ويروى الجاحظ عنه أنه قال لسفيان الثورى : دلنى على جليس أطمئن اليه .

قال : هيهات تلك ضالة لا توجد ، والسؤال والجواب يدلان على غلو فى العبادة وضعف ثقة فى الناس والدنيا لم تخل يوما من الأطهار الأخيار الذين يخشون الله فى الليل والنهار . ولكن ماذهبا اليه لم ينكره أحد فهو سلوك خاص بهما ولا يجلب لغيرهما ضرا . ولكن التصوف حين صار « علما » تؤلف فيه المؤلفات وتقنن له المصطلحات مثل الحقيقة والطريقة والمجاهدة والتجلى والقطب خافه المثقفون من الشعراء والمفكرين وأساء الظن به الفقهاء وراحوا يفندونه ويبينون خطره على الناس . فرأينا « ابن القارح » يكتب الى « أبى العلاء المعرى » فى شأن التصوف ويجيبه أبو العلاء فى « رسالة الغفران » يقول ابن القارح فى رسالته : حدثنى أبو على الفارسى قال : رأيت « الحلاج » واقفا على حلقة « أبى بكر الشبلى » وأبو بكر يخاطبه : « أنت بالله ستفسد خشية » ومعناها بموقفك ستفسد الشعور بخشية الله . فنفض الحلاج كمه فى وجهه وقال :

يا سر سر يدق حتى
يجل عن وصف كل حى

وظاهراً باطناً تبدى
من كل شيء لكل شي
يا جملة الكل لست غيرى
فما اعتذارى اذا الى

وهو يعتقد أن العارف من الله بمنزلة شعاع الشمس منها بدأ واليها يعود ومنها يستمد ضوءه . وهذا ما يعرف بمذهب الحلول .

ويستمر ابن القارح فى رسالته قائلا : وحرك أى الحلاج يوما يده فانتثر على قوم مسك ، وحرك مرة فانتثر دراهم . فقال له بعض من حضر ممن يفهم : أرنى دراهم معروفة أومن بك وخلق معى ان أعطيتنى درهما عليه اسمك واسم أبيك . فقال : وكيف هذا وهذا لا يصنع ؟ قال : من أحضر ما ليس بحاضر صنع ما ليس بمصنوع ، يريد أن يوهم الناس أن له كرامات كما للرسل معجزات ، وقد راجت هذه المقولة عند بعض الصوفية .

يقول بن القارح : فلما شاع أمره ، وعرف السلطان خبره على صحة وقع بضربه ألف سوط وقطع يديه ثم أحرقه بالنار فى آخر سنة تسع وثلثمائة .

ومساق كلام ابن القارح يبين عن تحامل عليه وتشف فيه : لأنه كان يعتقد أن هذا المنطق الذى ينتحله الحلاج خطرا على الاسلام ومن ثم يروى شعرا لشاعر معاصر له اسمه «طاهر» يقول فى ايراده أنشدنى الطاهر لنفسه .

أرى جيل التصوف شر جيل
فقل لهم واهمون بالحلول :
أقال الله حين عشقتموه
كلوا أكل البهائم وارقصوا لى ؟

فأجابه شيخ المعرة فى رسالة الغفران اجابة فيها العطف على الحلاج والزراية بمذهب المتصوفة فى زمان الحلاج يقول : وكم افترى على الحلاج والكذب كثير الخلاج « المنازعة » وجميع ما ينسب اليه مما لم تجر العادة بمثله فانه المين الحنبريت « الكذب الخالص » لا أصدق به ولو كريت (نعست) ومما يفتعل عليه أنه قال للذين قتلوه : أتظنون أنكم اياى تقتلون ؟ انما تقتلون بغلة « المادرائى » وأن البغلة وجدت فى اصطبلها مقتولة .وفى الصوفية الى اليوم (كان أبو العلاء كما جاء فى الغفران يملى الرسالة سنة ٤٢٤ هـ) من يرفع شأنه ، ويجعل مع النجم مكانه . وبلغنى أن « ببغداد » قوما ينتظرون خروجه وأنهم يقفون بحيث صلب على دجلة يتوقعون ظهوره .

وهذا الكلام شبيه بما يقوله غلاة الشيعة من أن المهدى المنتظر « محمد الحسن العسكرى » سيخرج اليهم من حيث اختفى فهم ينتظرونه أمام السرداب الذى اختفى فيه كل ليلة ، ونحن نشتم من كلام أبى العلاء السخرية بهذا العمل .

وقد عقد ابن خلدون فى مقدمته فصلا كبيرا عن التصوف اتخذ فيه أسلوب المؤرخ والمقرر مما تناول فيه معنى التصوف وطريقة القوم ومدى فهم مؤلفاتهم وأفكارهم ، وأنكر مانسب من التناسخ والحلول ووحدة الوجود بمعنى أنه لايوافق من يهدف بمثل هذا المنطق، ويدير الحديث عن الاسم واشتقاقه وينقل عن القشيرى أن الصوفية لا تعرف اللغة العربية اشتقاقه لا من جهة « الصفا » ولا من جهة « الصفة » ويعود ابن خلدون ليقول : والأظهر عندى ان قيل بالاشتقاق أنه من الصوف ، فهم

فى الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف .

ويقول عن طريقتهم ان أصلها كلها محاسبة النفس على الأفعال والتروك . ولو سلكوا هذا المسلك وقالوا به لكان ضربا من النصح والارشاد ، ولكنهم جعلوه علما له قواعده ومصطلحاته مع أنه وجدانى لاتستطيع وضع قواعد له .

وابن خلدون — وفد على مصر فى أوائل عهد المماليك البرجية « الجراكسة » وأولهم الظاهر برقوق وابنه فرج ، وكانت للصوفية مكانة كبيرة ، بنيت لهم الدرر وحبست عليهم أوقاف ، وصار لهم تراث من ابن الفارض وأبى الحسن الشاذلى وتلميذه أبى العباس المرسى والبوصيرى ولكل منهم ضريح يزار — تعرف عليهم فقرأ كتبهم فوجد منها ما يتحدث عن الكون وخالقه وصلة الانسان بربه .

وينقل عن « الفرغانى » قوله فى مقدمة شرحه قصيدة ابن الفارض : ان الوجود كله صادر عن صفة « الوجدانية » التى هى مظهر « الأحدية » وهما معا صادران عن الذات الكريمة التى هى « عين الوحدة » لا غير .

ويسمون هذا الصدور بالتجلى ، وأول مراتب التجليات تجلى الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال بافاضته الايجاد والظهور لقوله فى الحديث الذى يتناقلونه : « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفونى » .

وما من شك فى أن هذا جاءهم من اطلاعهم على أقوال فلاسفة اليونان الذين يقولون بالعقل الجوهر وترتيب الكائنات . أى وحدة الوجود . أما الحلول فقد جاءهم من اختلاطهم بغلاة الشيعة القائلين بالهية الأئمة ، فالامام المعصوم يحل فيه الاله ولا يكون غيره اماما الى أن يموت فيحل فى غيره ، ومن هنا قال الصوفية « بالقطب » الذى لا يساويه أحد فى مقامه فى المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورثه آخر من أهل العرفان . أنكر هذا القول الفقهاء ورأوه خروجا على الدين . وابن خلدون لا يرى لهذا الكلام أصلا يعتمد عليه لأنه ترجمة عن أحاديث الوجدان فهو من الأمور الخطابية التى لا تثبت عند اقامة البرهان .

أرأيت كيف زايل هذا المذهب ما جرى عليه زهاد الأمة الاسلامية فى العصر الاسلامى والعصر العباسى الأول ؟

لقد كان الزهد الطاعة والخشية والايمان الصادق وتغليب دعوى الآخرة على مظاهر الحياة الدنيا ، وأقوالهم كانت صادرة من قلوب عامرة بتقوى الله بعيدة عن الفلسفة التى لا تقوم على أساس .

على أن أناسا من الفقهاء الذين نعتز بعلمهم قد رضوا بالصوفية طريقة ، مبتعدين عن الشرين : الحلول ووحدة الوجود منهم الشيخان الجليلان : محمد الأمير والشيخ أحمد الدردير . فترى الأول يعظم ابن الفارض ويراه سيده والأخير الدردير عقد فصلا فى آخر كتابه « الشرح الصغير » فى الفقه المالكى كان عنوانه « خاتمة » جاء فيها حديث عن الصوفية هذا نصه :فأهل الشكر صفوة الله تعالى اصطفاهم وخلصهم من كدر القلب ، ويقال لهم « صوفية » من صفا يصفو اذا خلص ، أو من « صوفى » اذا صافاه غيره ، أو نسبة للبس

الصوف ، لأنه شأنهم تباعدا عن الترفه . قال أبو العباس المرسى :

الصوفى مركب من حروف أربعة ، فالصاد صبره وصدقه وصفاؤه ، والواو وجده ووده ووفاؤه ، والفاء فقده وفقره وفناؤه ، والياء للنسبة اذا تكمل نسب الى حضرة مولاه .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ليس معنى قولهم لا يكون الصوفى صوفيا حتى لا يكتب عليه كاتب الشمال شيئا عشرين سنة أن لا يحصل منه ذنب ، بل كلما أذنب تاب قبل مضى مدة الامهال (حددها الشيخ الصاوى بست ساعات) أى أنه لا قرار له على المعصية ، فهؤلاء أهل الشكر من عباده وهم المقربون .

ومع أن كلمة صوفى لا يعرفها على رضى الله عنه ولم تذكر الا فى شعر مساور الوراق زمن الجاحظ الا أن الكلام يصلح لكل مسلم يخاف ذنبه ويستغفر ربه كلما وقع فيه .

وأنا أعتقد أن الشيخ الأمير والشيخ أحمد الدردير لا ينظرون الى التصوف نظرة فلسفية ولا يأخذان من جوانبه الا ما كان عليه السلف الصالح من الاستجابة لقوله تعالى : « **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** » .

كما أعتقد أن التصوف اليوم عاد من تبعه ، ولم يبق من البدع الا الذكر والاحتفال بأصحاب الأضرحة .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أذكر رأى الأستاذ عباس محمود العقاد ، فقد أذاع فى الاذاعة المصرية بحثا كأنه رد على ما جاء فى مقدمة كتاب اسلامى ترجمة أحد براهمة الهند حيث شجع غاندى مثل هذه الترجمة ورآها نافذة على الأديان وخير ما قالته .. « وألا نظل كتلك الضفدعة التى تظن فى بئرها أن الكون كله ينتهى عند جدرانها فلا يخطر لنا أن ديانتنا وحدها هى التى تحتوى الحقيقة كلها وأن ماعداها زيف وباطل » .

رضى العقاد عن اهتمام « المهاتما غاندى » بالتصوف الاسلامى حين نقل اليه باللغة الانجليزية بترجمة كتاب عبد الله الأنصارى الا أن غاندى فى رأى العقاد لم يفرق بين الصوفية والانقطاع عن الدنيا . فان الاسلام يتسع للصوفية ولكنه لا يحض على الانقطاع عن الدنيا . فلارهبانية فى الاسلام كما هو معلوم وكذلك لا يجب للمسلم أن ينسى نصيبه من الدنيا لأنه مأمور بذلك فى القرآن الكريم .

ووجد العقاد مجالا للقول فبين أن الصوفية عرفت فى الهند وفى الديانة المسيحية وفى الاسلام . وقارن بين الجميع وخرج بأن المسيحية والديانة الهندية أخرجت أعدادا من الرهبان والنساك أكثر ممن أخرجه الاسلام من الزهاد المنقطعين عن الدنيا لكن من حيث الأقوال والآراء فان صوفية الاسلام تربو أقوالهم وما خلفوه من كتب على كل من الديانتين . ان صح الجمع بينهما وكعادة العقاد فى كتاباته من التقنين والجمع بين أن الصوفية من حيث الموضوع نوعان : نوع العقل والمعرفة ، ونوع القلب والرياضة . وأنها من حيث موقعها من الدنيا كذلك نوعان : نوع يتخطاها وينبذها ، ونوع يمشى فيها ويصل منها الى الله وينأى من الخلق الى الخالق جل وعلا .

وكل هذه المذاهب عرف فى الاسلام على

أوقاف ، فمن الصوفية العقليين طلاب المعرفة ، من يحسب في عداد الفلاسفة الأفذاذ ، ولا نعرف في عقول الفلاسفة عقلا يفوق عقل الغزالي في قوة التفكير ، ولا نعرف موضوعا من موضوعات الحكمة الالهية لم يلتفت اليها محيي الدين بن عربي ، وقد قيل : ان ذا النون المصري كان في طبقة جابر بن حيان في علوم الكيمياء ، وانه كان من الباحثين في طلاسم الآثار الفرعونية • وهؤلاء الصوفيون العقليون يذهبون بالعقل الى غاية حدوده ولا يتهيبون الشكوك والاعتراضات بل يقولون بلسان الغزالي : أن الشك أول مراتب اليقين ولكنهم متى بلغوا بالعقل غايته ملكتهم نشوة الوجدان فأسلموا أمرهم كله الى الايمان •

أما الصوفيون القلبيون فهم يلتمسون المعرفة المباشرة برياضة النفس على قمع الشهوات وعندهم أن شهوات الانسان هي الحائل بينه وبين النور • وعلى هذا فالاسلام لا يرفض رياضة القلب ، وانما يرفض مذهبين منتشرين في الصوفية على عمومها : ينكر مذهب الحلول كما ينكر المذهب القائل بوحدة الوجود ، فلا يقر الاسلام مذهبا يقول بحلول الله في جسد انسان ، ولا يقبل مذهب القائلين بفناء الذات الانسانية في الذات الالهية واذا تحدث المتصوف المسلم عن الفناء فسره بفناء الشهوات أو فناء الأنانية وحلول محبة الله محلها من القلوب والأرواح • ولا يقر الاسلام مذهبا يقول بوحدة الوجود أو يقول بأن الله هو مجموعة هذه الموجودات وأن الكون كله بسمائه وأرضه ومخلوقاته العلوية والسفلية هو الله • واذا أجاز المسلم المتصوف معنى من معاني الوحدة الوجودية فهي عنده وحدة الفضائل الالهية ووحدة التوحيد • وقد يوفق الصوفي المسلم بين الظاهر والباطن ، فيقول : ان الشريعة من غير الحقيقة رياء وكذب ، وان الحقيقة من غير الشريعة اباحة وفسوق•ولم لا يكون المتصوف المسلم كما قال « الزهري » توفي سنة ١٢٤ هـ : « الزاهد من لم يغلب الحرام صبره ، والحلال شكره » •

ويدعو بدعاء « عبد الله بن مسعود » الصحابي القانت : « اللهم وسع على في الدنيا وزهدني فيها ، ولا تزوها عني وترغبني فيها »

وقد سحت معك سياحة غير طويلة فيها اشارات الى التاريخ ومقالات القوم والدارسين لها والمقدمين لأقوالها وجعلت ختامها مناقشات العقاد لما دبجه غاندي • ولك أن تراجع ما كتب حديثا في شأن التصوف الاسلامي وهي كتابات فيها غذاء للعقل والروح معا •

وللعقاد شعر يدل على مذهبه في الحياة ، ويدلنا على ثقافته في التصوف وعمقه فيه قال :

زاهد الهند نعى الدنيا وصام
أنا أنعاها ولكن لا أصوم
طامع الغرب رعى الدنيا وهام
أنا أرعاها ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حد قوام
وليلم من كل حزب من يلوم

ألا تراه ينطق عن حكمة تنبع من تعاليم الاسلام ؟

السيد حسن قرون

أنباء وآراء

التطبيق الفورى للشريعة ضرورة

دعا فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر السابق الى المسارعة فى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية . وأكد أنه لا مجال للتزرع بتهيئة المناخ . فالمناخ اليوم مهيأ تماما لاستقبال حكم الله .

كما دعا الأمة الاسلامية حكومات وشعوبا الى المسارعة فى التوجه نحو الاسلام والاستمساك بتعاليمه السمحة . وقال : ان التراخى فى تطبيق الشريعة الاسلامية من شأنه أن يحدث فتنا وفسادا كبيرا فى الأرض .

ترجمة الأحاديث النبوية الى اللغة الانجليزية

يجرى حاليا اعداد ترجمة شاملة للأحاديث النبوية الشريفة الى اللغة الانجليزية ضمانا لمواجهة حملات التبشير فى افريقيا وأمريكا . ودعم البرامج الدينية لخدمة المسلمين . ويشرف على الترجمة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة .

وقف التراخيص لمحلات الخمور ، ومنع لعب القمار

قررت محافظة أسوان عدم تجديد الرخص لمحلات ومستودعات الخمور فى مختلف مدن المحافظة .

يشمل القرار عدم السماح للمحلات الأخرى غير المرخص لها ببيع الخمور ضمن السلع الأخرى . على أن يقتصر تقديم الخمور ف الفنادق السياحية فقط .

ومن ناحية أخرى قرر المجلس التنفيذى للمحافظة منع لعب القمار فى الأماكن العامة تتولى جهات الأمن بالمحافظة تنفيذ القرارين اعتبارا من تاريخ صدور القرارين .

يابانيون يعلنون اسلامهم

أشهر أحد عشر يابانيا اسلامهم أثناء انعقاد المؤتمر السنوى لجمعية « مسلمى اليابان » .

قررت الجمعية ايفاد عدد من الطلبة المسلمين اليابانيين الى مصر لدراسة العلوم الاسلامية ألف نسخة من الترجمة اليابانية لمعانى القرآن واللغة العربية . كما قررت طبع ثمانية عشر الكريم ، وافتتاح فصول لتعليم اللغة العربية.

المؤتمر الأول للصحة النفسية

يعقد بمدينة لاهور الباكستانية فى الخامس من ديسمبر ١٩٨٥ م المؤتمر الأول للجمعية الاسلامية العالمية للصحة النفسية . يناقش المؤتمر دور المسجد فى وقاية وعلاج الادمان .

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح
محمد صلاح الدين حيدر

ويحضره عـدد مـن العلمـاء المهتمين بالطب النفسى •

منع التعامل مع شركات الخمور

أصدر وزير المالية الكويتى تعليمات مشددة الى مكتب الاستثمار الكويتى فى لندن بالتخلى عن أسهم احدى الشركـات المنتجة للخمـور واجبار المكتب على طرح أسهم الشركة للبيع •

وكان مكتب الاستثمار الكويتى فى لندن قد اشترى أسهم شركة الخمور بأربعة عشر مليونا من الجنيهات الاسترلينية •

وقال وزير الماليـة الكويتى ان المكتب يجب أن يكون أكثر حكمة فى تعامـلاته الاستثمارية مستقبلا حيث انه طبقا للشريعة الاسلامية لا يجوز تعاطى الخمر أو الاتجار فيها •

التوسع فى انشاء المراكز الاسلامية

أوصى الملتقى التاسع عشر للفكر الاسلامى ــ الذى عقد مؤخرا فى الجزائر ــ بالتوسـع فى انشاء المراكز الاسلامية فى الخارج لرعايـة المسلمين • وطالب الملتقى بانشاء منظمـة اسلامية مسـتقلة فى كل شىء تعنى بشـئون الجاليات الاسلامية وحقوق الاقليات وارسال مشاهير الـدعاة والعلمـاء اليهم فى زيـارات وجولات لشرح شـعائر الاسـلام وتعاليمـه والتوسع فى تخصيص منح الجامعات والدارس فى البلاد الاسلامية •

من مكتب فضيلة الدكتور وكيل الأزهر صدر القرار رقم ٧٥٤/٧ لسنة ١٩٨٥ م •

بندب الشيخ فتح الله ياسين جزر للقيـام بأعمال مدير عـام الادارة العـامة للبحـوث والنشر والترجمة بمجمع البحوث الاسـلامية اعتبارا من أول سبتمبر سنة ١٩٨٥ م •

فى مقال « رسم المصحف » لفضيلـة الشيخ ابراهيم عطوة عوض والمنشور فى عدد ذى الحجة سنة ١٤٠٥ هـ من « مجلة الأزهر » وقع خطأ مطبعى فى كتابة الآية الكريمة رقم ٤٧ من « سورة الذاريات » فى قوله تعالى من الآية « بأييد » فقـد سقطت الباء التى تلى الألف وفقا للرسم الاملائى الحديث •

وقد سبقت الآية الكريمة للنص عـلى فضل زيادة الياء ــ التى حذفت ــ بعـد الألف وأن لها صلة بزيادة فى المعنى ، كما أن المقال كله ينتصر للحفاظ على الرسـم العثمانى •

احمد قاسم احمد ــ قنا

من خير ما كتب

للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام

شيخ الأزهر يتحدث عن تطبيق الشريعة الاسلامية

مازال الحديث متصلا عن تطبيق الشريعة الاسلامية .. بل وتتسع دائرته ويكثر أطرافه يوما بعد يوم .

وللحقيقة فلا خلاف عند أحد حول ضرورة الاحتكام الى شريعة الله فى كل شىء .. وانما يرى البعض توقيتا لبدء التطبيق يختلف عن توقيت الآخرين .

ولكل رأى وجاهته مع توفر صدق النوايا عند أصحابه .. ولأهمية الموضوع فقد بدأ « الأهرام » منذ أكثر من شهرين فى نشر العديد من المقالات التى تعبر عن كلا الاتجاهين أو الرأيين من حيث التوقيت .. كما نظم الأهرام منذ شهر ندوة للغرض نفسه ينشر آراء المشتركين فيها تباعا .

وقد أدلى فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بحديث لجريدة المدينة المنورة والتى تصدر فى جدة تناول فيه عددا من الموضوعات الهامة التى تستحوذ على اهتمام الناس هذه الأيام وكان موضوع الشريعة من بين هذه الموضوعات .

قال فضيلة الامام الأكبر :

ان الأزهر يواصل دعوته الى تطبيق الشريعة الاسلامية ويؤازر كل الجهود التى تبذل فى ذلك وان تطور الحياة القضائية ونظمها سواء فى مصر أو فى العالم كله ، يستوجب أن توضع الأحكام الشرعية فى نسق قانونى خاص قد ألفه الناس فى هذا العصر وهذا هو ما يعنيه الناس بوضع قوانين مستمدة من الشريعة الاسلامية يمكن للقضاة أن يطبقوها فى الخصومات التى ينظرونها .

وأضاف فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر أنه منذ سنوات قامت فى مصر حركة تبتغى وضع مشروعات لهذه القوانين ، وتم فعلا وضع عدة مشروعات لقوانين أساسية :

كالقانون المدنى وقانون العقوبات والقانون التجارى وقانون المرافعات وغيرها وهناك قوانين لا تزال فى طور الاعداد وكل هذا توطئة للتطبيق الفعلى لهذه القوانين بعد أن تأخذ حظها من الدراسة المتأنية على أن الأمر لا يفهم منه أن مصر بعيدة عن الحكم الاسلامى .

فالقانون المدنى الحالى أكثر مواده متوافقة مع أحكام الاسلام لا يخرج منها سوى تلك

المواد التى تبيح الربا •• وهذا أمر يمكن علاجه فى المشروع الذى تم اعداده •

وكذلك فان قانون العقوبات السارى الآن والقوانين التى ألحقت به تدخل جميعها فى باب « التعازير » الشرعية •• فقط تنقصها الحدود وهذا ما تم فى المشروع الذى جرى اعداده •

الأستاذ / أحمد زين

« بلا مشاكل »

ونحن نبدأ عاما هجرياجديدا نبتهل الى الله أن يطهر العالم الاسلامى من النفاق وسوء الأخلاق وهذان هما أساس تحول العالم الاسلامى الى التأخر والى ما نحن فيه •

فالنفاق أبعدنا عن الحق فضاعت كلمته وقربنا من الباطل فعلت رايته وجعلنا نفعل كل ما يغضب الله ناسين أن الله يسمع ويرى •

وقادنا النفاق الى الكذب لنرضى من نظن أنهم أصحاب النفوذ وقادنا الكذب الى الافتراء لنتهم الناس بالباطل ونلصق اتهامات ظالمة للأبرياء •

وهكذا انقلبت الموازين كلها ولم يعد هناك ميزان يحكم العالم الاسلامى بل أصبح الهوى هو الذى يحكم وهو الذى يقول كلمته وأصبحنا نبرر ما نفعله خطأ ونلبس الزيف ثوب الحق •

واليوم ونحن نبدأ عاما هجريا جديدا تتطلع الى الله أن يخلصنا من النفاق الذى ملأ القلوب وندعو الله أن يضع فى نفوسنا المقاييس الحقيقية للدنيا لنعرف أن كل شىء فيها ذاهب وأنها طالت أو قصرت هى سنوات معدودة فلا تغرنا الدنيا والمنصب والجاه ونجرى وراء الباطل •

يارب •• علمنا الحقيقة فى أن كل شىء زائل وكل سلطان ذاهب واذا ابتليتنا بالخير فكن رحيما بنا حتى لا يغرنا ما أعيت ونظلم ونتكبر ونتجبر وننسى الحق وننسى أن النعمة منك وأن الفضل لك •

من ذكريات العبور

الأستاذ / سليمان عبد الحميد عبد الله

عبورنا فى العاشر من رمضان السادس من اكتوبر له ذكرياته الأصيلة وآثاره العظيمة •

فلقد كنا قبل العبور يخيم علينا اليأس ونشط اعلام اسرائيل يثبط الهمم ويعلن للعالم أجمع بأن اسرائيل قوة ضاربة وجيشها لا يقهر وبخط بارليف اعتقدوا أنهم بهذا الحصن لا يصل اليهم أحد «**وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**» •

وركنت اسرائيل الى قوتها الظاهرية وزين الشيطان لقادتها موسوسا لهم قائلا « لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم : مصداقا لقوله تعالى :

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) •

وفى لحظات العبور تجلت ارادة الله وتوكل القواد والجنود على الله ورفعوا شعار « الله أكبر » تحوطهم عناية الله وأمدهم بجند من عنده

فهرس العدد

REFERENCES:-

1- The Holy Quran.
By: Marmaduke Pickthall.

2- Scientific methods between Islam and modern civilization.
By Dr. Abdul Haleem Mahmoud 1397.
Al-Azhar magazine, Safar.

3- Message of peace a treatise on Islam.
Part 2, The Prophet Mohammad. 1398.
Al-Azhar Magazine, Shawwal.

4- Mohammad the Prophet of Islam.
By: Abd Assamii Al Misry.

5- Morals and transactions in Islam.
By: Dr. M. Abdel-Monaim El-Gammal.

6- Worship in Islam.
By: Dr. M. Abdel-Moniam El-Gammal.

****

st also be constant and perpetual in an unending struggle to attain chastity and correctness. The life of the Prophet (prayers and peace be upon him) is characterised by a constant struggle and challenge; a performance of the highest degree of self discipline to reach the distinguished rank of spiritual elevation and sublimation to be qualified in the Holy Quran as the most highly praised. Struggle encomposses all the qualities demanded by the Muslim, with the understanding that such qualities cannot be achieved except by struggle. In fact the true understanding of life is the struggle it requires to attain descency, respect, honour, preservation and emancipation.

How far away nowadays are all human societies from these concepts. How diverted and disrupted humanity is. How disintegrated, degenerated and diseased is man now. How far away are we from the correct healthy patterns of life. The remedial measures are there, and the elements of healthy decent life are within other hands; yet we contradict, argue, and afflict; and man remains the easy obedient tool to the devil and satan, performing deeds and actions that even animals restrain from doing.

Let us all pray for redemption and forgiveness, let us all learn and heed the elements of the correct path. All hail to thee our magnanemous Prophet Mohammad (prayers and peace be upon him).

The acceptance of content and poverty should arise from the realisation that the life of man on earth is transit, and can be lived in any manner as long as dignity, honour, and the bare essentials are preserved. This brings up the subject of the outlook of the Muslim to life. Islam advocates that life should not be the only matter of concern to a Muslim. This life on earth is transient and temporary; while the life in the hereafter is permenant and lasting. Therefore, the question is which of the two lives requires the real concern of man and his efforts ? This life on earth should be given only the efforts it merits, and the remainder **should** be directed to develop and cultivate for the harvest of the hereafter. To attain such capacity of action and ability of performance, the power of Faith, and the potency of piety must prevail in the heart and mind of man. The realization of Truth becomes the fountain of support; the precursor of Faith, and Faith is the womb of piety. The three dimensions for the cultivation of asceticism and austerity of man in his life on earth.

These elevated and graceful qualities of human behavior are achieved with obedience and self discipline. Obedience to Allah the Creator, to His words of instruction, and obedience to the directions of the Prophet (prayers and peace be upon him). obedience is the proof of total submission and ideal obligation. There is nothing that excells obedience to Allah and his Messengers. The Prophet (prayers and peace be upon him) was a supreme example of perfect obedience and preached that to his companions; a matter that formulated coherance of structure in the Islamic society. The Holy Quran directs Muslims to obey Allah, His Prophet, and men of jurisdiction among them.

Struggle formulates the widest spectrum of the efforts of man in life, it is the supreme function of human existance. Man should struggle against his own whims and devilish thoughts to purify his soul and attain sublime attributes. Satan is a constant companion of man, and therefore man's struggle to follow the correct path mu-

ing the endless more and more. The Prophet (prayers and peace be upon him) was always most content with the minimal of requirements of food, clothing, habitation and all life's demands. He that could attain all he desired, yet he was humble and content, never abused what he had, and never went beyond the limits of equity. He was never haughty or arrogant, and never looked for appearances of magnificence or distinction. He prevented his companions from standing up in respect for him as he came upon them. He addressed them repeatedly saying " Do not flatter me, I am the subject of Allah and His Messenger" The faculty of content is a characteristic of the spirit, while the body is always in demand; a demand that is beyond satisfaction. Because of this Islam teaches man to develop the qualification of content by having authority and control over the demands of the body when they exceed the needs.

Poverty with dignity is advocated by Islam not in liking of poverty but in accepting it without shame or self degredation. The Prophet (prayers and peace be upon him) lived a life of dire poverty always possessing much less that his needs and requirements. The honourable Sunnah describes his state of poverty in the words of Aysha (blessings from Allah be upon her), said, " A month or two might elapse without fire kindled in the Prophets hearth"." never did the family of the Prophet eat their fill of barely bread for three full days in succession". Several other statements related by the Prophet's wives indicate how very poor he lived. The extreme poverty in which the Prophet (prayers and peace be upon him) is not dictated upon Muslims, but they are encouraged to enjoy the fruits of life. However, poverty and poor people should be looked upon with great respect, and dignity, and practical objective sympathy. Public social wellfare systems are fundamental essential aspects of Islam called "Zakat"; besides the practice of charity is greatly encouraged. Poverty in Islam is considered with great prestige, much pride, and true respect.

and suffered from hunger and thirst but he was the most patient and tolerant of men. Aysha (blessings from Allah be upon her) says "Never was the Prophet inclined to retribution for any harm done to him unless the limits of Allah were violated; he did not smite anything save in the cause of Allah or strike a woman or a servant all his life". Patience essentially means the acceptance of fate brought about by Allah unto man. Whatever is brought about by Allah unto man is essentially good and should be accepted with patience and understanding inspite of its outward meaning. The Prophet (prayers and peace be upon him) and all messengers and Prophets and Callers for the Worship of Allah before him practiced very extreme patience in their lives. The ultimate outcome of patience is always success, and man must develop the art and understanding to dress himself with patience in order to survive the various material and psychological afflict of life. This is what Islam teaches and advocates, in order that man may attain the inherent quality of strength.

Content is certainly the inexhaustable wealth of man and the root of his happiness. The worldly needs and requirements of man to maintain decent life are basically very limited. Also the greater part of such requirements are satisfied except when there is some major disorder in the socio-economic or government to affect the basic requirements in the life of the society; in a Muslim society or any other. With these basic needs ensured, content should prevail, but it is always covetousness and lust for more that spoil the balance, attaining these aims on the expence of others. Very few attain it through ligitimate channels, and then the whole balance is disrupted. In a well balanced society where the essential needs and requirements of man are satisfied, content is certainly advocated, and is certainly the inexhaustable wealth and root of happiness. It is only when greed, covetousness, gluttony, and want of riches, rank, and power that man becomes unhappy, his satisfaction is unlimited always seek-

knowledge to strengthen belief in Allah therefore becomes the weapon of the Muslim. Islam in its scientific approach is wider, more accomodative and by far more penetrative than modern scientific civilization. It differs basically in its intentions, purpose, motives and objectives; it combines the elements of modern science with the organs of experimental and spiritual knowledge. It relates all creation to the supreme powers of the Creator; and the more we learn, the more we bow and prostrate in recognition of the fact, the more.solid our belief and faith. Human knowledge is meaningful only in conjunction with Divine Widom; and best knowledge of science is when associated with piety to Allah; and the most knowledgable and learned are the most pious and conscious of Allah. With such understanding, all search in science is fruitful. The scientific methods of search as adopted by modern civilization were originally quoted from Islamic principles, as acknowledged by Rogers Bacon the founder and true father of modern methods. Scientific search as it stands today is void of the spiritual element, it seeks to establish independence on its own principle, neglecting the reality and origin that all creation is subject to the Divine Law and Power of Allah.

Patience is the inherent quality of man's real strength. The teachings of the Holy Quran have on repeated occasions advised patience as an essential requirement in man's life.It is the shield and armour to face difficulties, affliction, disease, distress, misfortune, fear, hunger, or loss of life or property. The Prophet (prayers and peace be upon him) was known to be of utmost patience. True worship demands patience. The worldly life of man also demands patience. The life of the Prophet (prayers and peace be upon him) gives us superb illustrious examples of his utmost patience. The Prophet's tooth was broken and his face lacerated at Uhud. He lost his Kins and was often exposed to murder and insolence. He was mocked and wounded by the tribe of Thaqif,

THE MANNERISMS OF ISLAM

(PART II)

BY: NASR ELDIEN ABDEL-FATTAH SHOLKAMY.

Praise be to Allah, and prayers and peace be upon the Imam of the pious our Prophet Mohammad and upon his Kins, Companions, followers and callers for his message till the day of judgement.

Islam is known to be a way of life in which man conducts himself in such manner and attitude to excell in all performance. Besides the religious rights that Islam dictates, there are other characteristic traits that attribute quality of manner and grace of behaviour and depth of perception to man when he distinguishes with such features. Islam advances and promotes several of these characteristic traits; some have been discussed in a previous article such as Knowledge, Thought, Love and Longing for Allah, Remembrance of the Creator, Confidence in the All Mighty, and Mourning in face of the day of judgement. Several other of these Islamic mannerisms are worthy of mention. Science is the weapon of man; Patience is the inherent quality of strength; Content is the inexhaustable wealth; Poverty with dignity is human pride, Faith and Piety is power; Truth is reality of support; Obedience is honour, and Struggle in life is man's most Supreme function.

Science is the search into all creation and the intricate balance of the universe. Nothing is really and truely rich except the inexhaustable wealth of nature - Allah's creation - We see only the surfaces, but in reality she is a million fathoms deep. Science to seek

ple with reality and truth of faith, and infilterating into the depths of human nature.

It was in the latter months of the sixth year that the obligation of pilgrimage (Hajj) was prescribed upon Muslims to perform.

Prayers and peace be upon our magnanemous Prophet.

References:

1. Alsira Alnabawiah
3rd. Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library. Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah.
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library-Cairo Printed 1980.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty
7th., Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition.
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah.
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot.
Mouassasa Al-Risalah.
Beirut, 1981.

> thee, and guide thee on the straight way. And
> that Allah may help thee with powerful help.
> It is he who sent down tranquility in the hearts
> of the believers, that they may add faith to their
> faith. For to Allah belongs the forces of heavens
> and earth, and Allah is of **infinite knowledge and**
> wisdom.
>
> (Surat Al-Fat-h, XLVIII, 1-4).

This Sura from the Holy Quran is referred to the treaty of Al-Hudaibiah, being revealed soon after the return of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to Al-Madinah By this treaty and its consequences, the pagans of Koraysh in Macca recognised at last after many years of unrelenting conflict with Islam, that Islam has grown to become an equal if not a superior challenging power. That in reality the gates were now wide open for the free spread of Islam throughout the whole Arab land.

After the events of Al-Hudaibiah, and during the remaining time of the sixth year after Hijrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) decided to send written messages with envoys to the heads of states, calling them to Islam. Dihyah Ibn Khalifah Al-Kalbi was sent to the Roman King; Abd- Allah Ibn Huzafah Al-Sahmi to the Emperor of Persia; Hatib Ibn Abi Baltaa to Al-Muqauqas head of copts in Egypt; Shugaa Ibn Wahb to Al-Harith Ibn Abi Shamre Al-Ghasani in Syria, Saleet Ibn Amre Al-Amri to Huza Ibn Ali Al-Hanafi King of Al-Yamama; and Amre Ibn Umayah Al-Damri to king Al-Nagashi of Etheopia. A total of six delegates with six messages to six heads of states calling them to Islam. Some of these messages were accepted with polite deliberation and thought; while others were received with malignant rejection and stubborn conciet. History remains to reveal how Islam came to encompass these territories and much more, invading the hearts and minds of peo-

When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was at Al-Madinah, a man called Abu Basir Utbah Ibn Ussaid Al-Thaqafy managed to escape from Koraysh to the Muslims at Al-Madinah. Koraysh sent two men to bring him. According to the terms of the treaty of Al-Hudaibiah, Abu Basir was sent back to Macca with the two men. On their way at Tha Al-Hulayfa, Abu Basir managed to kill one of the men, and the other escaped to report the matter to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Abu Basir returned to Al-Madinah where he realised that he will be sent back to Koraysh again. Recognizing the situation, Abu Basir went out of Al-Madinah to the sea coast. Abu Gandal Ibn Suhayl Ibn Amre again escaped from Koraysh and joined Abu Basir. Several other Muslim captives also made their way to Abu Basir after escaping from Koraysh in Macca, knowing that if they went to Al-Madinah, they would be returned to Koraysh.At the coast, a group of Muslim runaways from the atrocity of Koraysh in Macca, gathered where they threatened the trade convoys of Koraysh travelling north. Koraysh appealed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him)to call upon the Muslim group at the coast to join the Muslims at Al-Madinah in safe conduct inspite of the terms of the treaty.According to the request of Koraysh, this particular clause of the treaty of Al-Hudaibiah was cancelled and any individual reaching the Muslims at Al-Madinah could remain without being wanted by Koraysh.

The treaty of Al-Hudaibiah ultimately resulted to the full benefit and advantage of Muslims. It was the prelude of a manifest overwhelming triumph arising from wisdom, devotion, faith, patience and cool courage. In the text of the Holy Quran, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was promised the grandeur of a notable victory, and the magnificence of elevation.

> " Verily we have granted thee a manifest victory
> that Allah may forgive thee thy faults of the
> past, and those to follow, fulfil his favour to

As the whole party was about to move north to Al-Madinah after the events at Al-Hudaibiah, a group of Muslim women from Koraysh came to join with the Muslim party. According to the treaty of Al-Hudaibiah, they should be sent back to Koraysh. However, on this occasion Quranic revelation directed the exact action to be taken in this situation, and specified the patterns of social and matrimonial relations between believers and unbelievers (Muslims and Pagans).

> " O ye who believe ! when there come to you believing women refugees, Examine and test them: Allah knows best as to their Faith: If Ye ascertain that they are believers, then do not send them back to the unbelievers. they are not lawful wives to the unbelievers, and the unbelievers are not lawful husbands to them. Pay to the Unbelievers what they have spent. And there will be no blame on you if you marry them on payment of their dower to them. And hold not to your guardianship unbelieving women: ask for what you have spent on their dowers, and let the unbelievers ask for what they have spent. Such is the command of Allah: He judges between you. Allah is full of knowledge and wisdom."
>
> (Surat Mumtahana, LX, 10)

The rest of the Sura indicates directions on how women entering Islam should pledge themselves when they come from pagan society. When these pledges are sincerely given for future conduct, acceptance into Islam is open. All past actions and conduct are forgiven in sincere repentance. Allah is oft-Forgiving, Most Merciful.

dividual. On the other hand, converts into Islam from Koraysh when returned to Koraysh would certainly act as centres of influence for Islam, and Allah will provide patience and support for them. When the treaty was concluded, it was witnessed by Abu Bakre, Omar Ibn Al-Khattab, Abdel Rahman Ibn Aof, Abd Allah Ibn Suhayl Ibn Amre, Saad Ibn Abi Waqas, and Ali Ibn Abi-Taleb as writer of two munuscripts of the treaty. When the treaty was finalised, the Arab tribe of Khuzaah acclaimed alliance to the Muslims, and the tribe of Banu Bakre acclaimed alliance to Koraysh.

After the treaty of Al-Hudaibiah was signed, Abu-Gandal the son of Suhayl Ibn Amre appeared cladded in chains escaping from Koraysh. when the father saw the son, he took hold of hi[m], and dragged him back to Macca saying that the agreement was signed. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) approached Abu Gandal and said " A treaty has been signed, and we must remain true to what we have promised. Have patience Abu Gandal, and Allah shall be your support and savior". The man was taken back to Koraysh in Macca.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him)announced to his group to cut their hair and sacr[illegible] the cattle to satisfy the rights of ending Ihram (the dress for Umra or Hajj). The men were heavy and very reluctant, since they were gravely depressed by the terms of the treaty, believing that they should have been allowed to make Tawaf around the Kabba or battled their way to do that. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him)complained their reluctance to his wife Um Salamah. She advised that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) should go out and without addressing one word to anybody; should sacrifice his cattle and cut his hair as the final acts of ending Ihram. When the Prophet (prayers and peace upon him) did what Um Salamah advised him to do, everybody followed his example by sacrificing and cutting their hair; in order to end the Ihram.

est to Abu Bakre. Receiving no acceptance of his protest from Abu Bakre, Omar protested to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), who told him "I am the Messenger of Allah, I shall not disobey, and Allah shall not abondon me". Omar Ibn Al-Khattab continued to repent and regret that incidence of the protest.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) called Ali Ibn Abi-Taleb to write the terms of the truce, and dictated him to write - "In the name of Allah most Gracious most Merciful", Suhayl Ibn Amre objected and said " If I believe that, I would not appose you, but write; In your name O God; The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) instructed Ali Ibn Abi-Taleb to write what Suhayl dictated, and continued to dictate " This is Mohammad the Messenger of Allah and His Prophet made peace with Suhayl Ibn Amre". Again Suhayl objected and said"If I confess that you are Allah's Prophet, I would not be your enemy, but write your name and that of your father". The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) dictated "This is what Mohammad Ibn Abd-Allah agreed with Suhayl Ibn Amre." The terms of the peace treaty were concluded. The treaty stipulated: (1) That there was to be peace and suspension of hostilities between the Muslims and Koraysh for ten years. (2) That any Arab tribe at large or any individual was free to join either party or make an alliance with the party of choice. (3) That if any person from Koraysh joined tha Muslims, he (or she) should be returned to Koraysh; but if any Muslim were to go to Koraysh, he should not be returned to the Muslims (4) That the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his party were not to enter Macca that year, but that they could enter unarmed the following year. The third item of this treaty appeared unreciprocal, however, it was in reality to the great advantage of Muslims as explained by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). It is highly improbable that any Muslim would be an apostate or renegade from Islam to paganism; and if it ever happens, Muslims were better off without that in-

THE TRUCE OF AL-HUDAIBIAH

BY. DR. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D. PhD.

In the Name of Allah most Gracious most Merciful.

The fealty of Al-Rudwan caused great concern among the leaders of Koraysh; they realised that the Muslim group gathered at Al-Hudaibiah were very serious in their demands. Koraysh was also very certain that the Muslims would defend their cause and stand very firm and solid in support of their faith, and as directed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Based on such consideration,Koraysh was very reluctant to confront Muslims in armed combat; they prefered to give the matter some deliberation and negotiations to serve their ends in preventing the Muslims from entering Macca. Koraysh certainly feared armed combat with Muslims to save themselves the possibility of indignant defeat. They delegated Suhayl Ibn Amre, a man reputed for his capacity of diplomatic negotiations and shrewdness; with instructions to discuss armistice terms with Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) on condition that Muslims do not enter Macca that year.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and Suhayl Ibn Amre carried out long discussions and were ready to write down the terms of the truce. At this stage, Omar Ibn Al-Khattab feeling that Muslim rights were undermind and compromises and concessions were given placing Muslims in undersize position, declared his prot-

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة

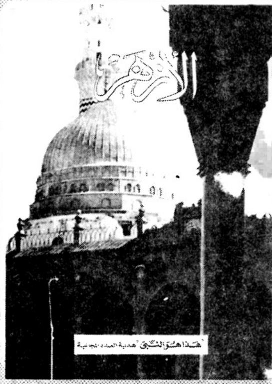
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



المسجد النبوى الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مع ربيع التاريخ

كان ربيع الحياة .. !

ربيعُ الحياة الذى دام زهوُه ، وزها ضوؤُه فأخرج الصالحين من الظلمات الى النور ، وأتاح للمؤمنين نعيم الخلد أبد الآبدين .

فى الربيع من التاريخ كان ربيع الحياة السرمدى ، ربيعُ الروح الذى سبغ الكون :

بمولد سيدنا رسول الله ، محمد بن عبد الله خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، ودعوة ابراهيم ، وخير الخلق وسيدهم أجمعين .

وبمولد الرسالة التى عرف بها المؤمنون ربهم ،وقرت به أعينهم فرضى عنهم ورضوا عنه . ذلك هو النبى الكريم ، رحمة العالمين .

مع ربيــع التاريخ

طب القلوب ودواؤها ..

وعافية الأبدان وشفاؤها .

اختار الله ـ سبحانه ـ له مكة مولدا ، فدرج عليها محبا لهـا مبغضا لكل نزواتها .

واختار الله ـ سبحانه ـ له مكة مبعثا ، فنادى ـ فى رباها وأســـواقها وحشرها وجمعها : **((لا اله الا الله ، وحده ، لا شريك له)) .**

فلماذا مكة بالذات ؟ .

انما كانت مكة لأنها عاصمة الجزيرة التى اجتمع بها أديان الخلق جميعا . **ولو بعث** ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الصين ، أو فى أوربا لما التقت به ـ حيا ـ هذه الأديان التى صُرِعَتْ بباطلها تحت قدميه :

"فمن الألف الثالثة إلى الالف الثانية من قبل الميـــلاد أقام فى تلك الجزيرة أناس من أتباع كل عقيدة دينية عرفت فى تلك العصور".

أقام فيها من الهند البوذيون والزُّط والمِيدُ والسيابجة والأحامرة ، والتكاكرة والبياسرة بمختلف أديانهم ولغاتهم الهندية .

وسكنها الأساورة من الفرس بمجوسيتهم وأقاموا فيها أكثر من مملكة،وحل بها الرومان فى جالية ضخمة ، ومثلهم اليونان ، ويحفظ التاريخ من مستعمراتهم « أنبلونة » على مقربة من ساحل "عسير" أو ساحل الحجاز شمال جدة ، وشادوا قديما امبراطوريتهم بـ « تدمر » وبنوا معابدهم الوثنية .

وحَلَّ بها أهل الكتاب من العبرانيين سبط راحيل من نحو عام ١٢٢٥ ق .م، ونزلها النصارى ، فحلوا بها شـــمالا وجنوبا ، وشادوا لهم بها ملكا وأديرة،وماج هذا الخليط بوثنية هاجت حتى أحاطت بالكعبة .

هنا كان محمد النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ليتصـــدى لأقـــوى مواجهة تشترك فيها أديان الأرض جميعا ، وليقيم على أنقاضها دينه الـــذى جعله الله للناس أجمعين .

وثبت دين الله ـ سبحانه ، وتلاشى الزور تحت قدمى رســوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وطهرت مكة إلى الأبد .

فياله من ميلاد عظيم لم تعرف البشرية له نظيرا ..

د/علي أحمد الخطيب

مع المؤتمر العالمى الرابع

للسيرة والسنة النبوية





كلمات الافتتاح

١٩ من صفر ١٤٠٦ هـ - ٢ من نوفمبر ١٩٨٥ م

المتحدثون

حسب ترتيب الكلمات

فضيلة الشيخ
عبد الله الأنصارى

فضيلة الأستاذ
الدكتور محمد السعدى فرهود

فضيلة الأستاذ الدكتور
الحسينى عبد المجيد هاشم

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق

السيد الرئيس
محمد حسنى مبارك
رئيس جمهورية مصر العربية

على مدى أربعة عشر قرنا يمتد خلالها الاسلام شرقا وغربا لا عن قوة مادية ، ولا اغراء أو اكراه ، يحمل هذه العقيدة المستقيمة والشريعة السمحة على لواء رفعه رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم النبيين والمرسلين ورحمة العالمين الذى طبعه الله على صدق القول وأمانة التبليغ وجمع له ميثاق النبيين ٠

فكان الايمان بالقرآن جزءا من الايمان بالاسلام ٠

وكان الايمان بحديثه ﷺ الجزء المتمم لعقيدة الاسلام ٠

وأمام ما طرأ فى هذا القرن ،وبخاصة فى هذه الأيام من الخوض الآثم ، والجهل الأليم فيما يخص رسول الله صلى الله عليه وسلم سنةً وسيرةً اندفع العلماء المتخصصون إزاء هذه البلوى يبينون آثامها الشريرة

فعقدوا لذلك مؤتمرات أربعة آخرها هذا المؤتمر الذى شهدته القاهرة فى أحضان الأزهر الشريف برعاية الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية وحضوره ،وتم فيه لقاء هؤلاء العلماء رُكَّعًا سُجَّدًا ظهر الجمعة ١٨ من صفر ١٤٠٦ ـ أول نوفمبر ١٩٨٥ ٠

وخطبهم الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر من فوق منبره وحمل الأثير كلماته الى العالم كله ٠

خطبة الجمعة
التى ألقاها
فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا. قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا •

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له بيده ملكوت كل شىء واليه المرجع والمآب •

وأشهد أن محمدا ـ رسول الله أرسله الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا •

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين • وعلى آله وأصحابه ومن تابعهم باحسان الى يوم الدين •

أما بعد :

فقد قال الله سبحانه فى القرآن الكريم **« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » •**

أيها المسلمون :

هذه آية من كتاب ربنا رسمت لنا طريقا مستقيما لا عوج فيه ولا أمتا ، من اتبعه سلم وغنم ، ولم تتشعب به المسالك • هذا الطريق يقوم على أمرين :

أولهما : طاعة الله بالعقيدة الصحيحة والعمل الصالح والسلوك المستقيم وذلك بأداء فرائض الله ، وبالتزام سنن رسول الله وبالبعد عما نهى عنه الله ، واصلاح النوايا واخلاصها لله ، اذ الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى •

وثانيهما : الاحساس بالمسئولية يوم يقوم الناس لرب العالمين ، أو متى قدر الانسان المسلم أنه مسئول وان أعماله مسجلة ، وأنه لو استقام على الطريق كانت مثوبته من الله جزاء لما قدم من أعمال صالحات ، وان حاد عن هذا الطريق وأتبع نفسه هواها ،هوت به عن مقام الصالحين ، وسلكته فى مكان

٥

خطبة الجمعة

المفسدين الذين أسرفوا فى الآمال والأمانى وأعرضوا عن آيات الله ، فكانوا من الخاسرين .

ولقد كان من رحمة الله أن أرسل الى الناس رسلا يهدونهم الى هذا الطريق المستقيم ، ويحذرونهم من الغواية والضلال ، وتنوعت الرسالات وتتابعت ، حتى تهيأت الانسانية للرسالة الخاتمة ، المؤكدة لما جاءت به الرسالات السابقة من أصول العقيدة ، مصححة لمسارها ، موضحة لمعالم هدى الله للناس بما يتناسب مع ما صار عليه المجتمع الانسانى ، وكان هذا القرآن حجة الله على الناس وكلمته اليهم ، مبينا صحيح العقيدة ، مؤصلا المنهج التشريعى معلما للناس كيف يسوسون أمورهم ، وكيف يبنون حياتهم ويعمرون هذه الأرض منتفعين بكل ماسخره الله وخلقه لسعادتهم .

« إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا » .

نعم كانت هذه الرسالة الخاتمة كما قال الله « **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** » .

وقد واجه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وهو يبلغ هذه الرسالة الى الناس ، المصاعب ، والمتاعب ولكنه صابر وثابر فبدا بتأسيس العقيدة ، اقامة للبناء على قواعد راسخة .

وهكذا ينبغى أن نقتدى بالقرآن وبسنة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم وسلوكه فى الدعوة الى الله ، فنؤصل فى المسلمين قواعد الاسلام ، عقيدة وشريعة حتى يعرفوا الفرائض ويتمرسوا على أدائها .

ان الاستقامة على الطريق الواحد تأخذ بيد المسلمين الى أن يكونوا أمة واحدة وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

علينا أن نميز الخبيث من الطيب فى قولنا وأعمالنا ، وأن نحذر المغالاة فى الدين ، والتزيد على ما شرع الله وبينه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فان هذا من قبيل الخروج عن الطريق المستقيم الذى ابتغاه القرآن ، واتبعه رسول الله عليه الصلاة والسلام .

علينا أن نحذر الفرقة والانقسام امتثالا لقول ربنا « **وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** » فانه متى تشعبت بنا السبل ، اختلفنا ، وتخلفنا ، ولعل هذا هو ما يمثل حال الامة الاسلامية اليوم ، فهذه الحروب الدائرة قد استحكمت ، والعرقية قد برزت ، والاقليمية قد سيطرت دون وفاء حتى بحقوق الجوار التى شرعها الاسلام وأوصى بها خير الانام محمد عليه الصلاة والسلام .

أيها المسلمون :

ان من سمات هذا الدين أنه يدعو الى السلام ويحث عليه قال الله سبحانه : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** » .

وسلم مع النفس فتحجبها عن الشرور والآثام وتلزمها بطاعة الله امتثالا لأمره وترقبا لأجره وطلبا لرزقه .

« **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** » .

« **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** » .

وسلم مع الأسرة : المجتمع الصغير لكل انسان ، فيرعى شئونها ، ويدبر أمور معيشتها بالكسب الطيب الحلال ، ويربى أفرادها على الاستقامة على أمر الله « **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** » .

وسلم مع الجيران فى السكن ، وفى العمل ، كل من ينطوى تحت اسم الجار ، كما أمر الله فى آيات القرآن .

وسلم مع الناس جميعا ، حتى تسعد الانسانية بالدخول فى دين الله أفواجا ، وحتى يكون المسلمون فى توادهم وتراحمهم أسوة لغيرهم من الأمم . كما كانوا يوم أن التزموا بكتاب الله وسنة رسول الله .

ان هذا السلم الذى يدعو اليه الاسلام مآله وثمرته الأمن على النفس والمال والعرض وسائر الحقوق ، وبه يسعد الناس أفرادا وجماعات .

ولقد قرر الاسلام عدة ضمانات لتوفير الأمن والسلام :

ففى طريق الدعوة قال : « **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** » .

ونهى عن كل ما يثير الحفيظة ، ويفضى الى القطيعة من السخرية والاستهزاء ، والهمز واللمز وسوء الظن والتجسس . وعد ذلك فسوقا يتنافى مع الايمان وفضائل الاسلام .

ولقد حث الاسلام على المودة والرحمة والتعاطف والتعاون على البر والتقوى ، ونصرة المظلوم ورد الظالم عن ظلمه ، واغاثة الملهوف ومعونة المحتاج ، واصلاح ذات البين ، مشيدا بفضل من يأخذ بزمام المبادرة من المتخاصمين فيبدأ بالكلام وبالسلام . ففى المروى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم قوله :

« لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

وقوله : — صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

خطبة الجمعة

وقوله : عليه الصلاة والسلام « لا يـؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

عبـاد اللـه :

لقد ظل المسلمون فى قوة ووحدة وقت أن كانوا عاملين بهذه الوصايا مثـابرين عـلى الاستمساك بها ، فاقتدى بهم غـيرهم ، لم يفرضوا دينهم وشريعتهم على الناس قسرا ، ولكنهم عرضوها ، فاستجاب المنصفون ودخل الناس فى دين الله أفواجا . وحـين انصرف المسلمون عن كتاب ربهم ونسوا سنة رسولهم، وقع اليأس بينهم ، وشاع اليأس فى قلوبهم ، واحتدمت الخلافات فتفرقوا أحزابا متناحرة، بل ومتشاجرة متقاتلة حتى تسلط عليهم غيرهم تارة باحتلال بلادهم وانتهـاب خـيراتهم ، وأخرى باذاعة الأفكار والمذاهب التى أوهنت بنيانهم وزلزلت أركانهم ، **وعبدوا أربـابا أطاعوهم من دون الله الذى أنزل اليهم كتابا هاديا وبعث رسوله مبشرا ونذيرا .**

ترك بينهم أصلين أساسين فيهما السعادة فى الدنيا والآخرة فقال : « **تركت فيكم أمرين لن تضلـوا ما ان تمسـكتم بهما كتـاب الله وسنتى** » .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » .

وحياتكم فى العودة الى كتاب ربكم وسنة رسولكم ، واحذروا ما يراد بكم ويساق اليكم من فكر شارد تحادون به الله ورسوله .

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » ولا يكن أمركم عليكم غمة ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون . أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، وأدعو الله امتثالا لأمره ويقينا بوعده فى قوله « ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » .

كلمات الافتتاح

كلمة فضيلة الشيخ عبد الله الأنصارى

ممثل الوفود

سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية

أخى الفاضل سماحة الشيخ جاد الحق على جاد الحق الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف.

ـ اخوانى الأفاضل العلماء والوزراء والحاضرون .

أحييكم بتحية الاسلام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وأبدأ القول بما بدأ الله به .

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله ألف بين قلوب المؤمنين ، وألزمهم كلمة التقوى (١).

الحمد لله : شرفنا أن هدانا لهذا الدين القويم ، وجعلنا من أمة سيد المرسلين ، وهيأ لنا التعارف والتآلف ، لنجتمع على نور الاسلام ، وهدى القرآن الكريم ، وصلاة ربى وعظيم تسليماته على الذى أمره الله بتبليغ الرسالة ، وخصه بالذكر الحكيم ، وعلى آله وصحبه أئمة الخير ، ونجوم الهداية وسلم تسليما كثيرا ، وبعد .

فهنا على ثرى مصر ، وهى الكنانة التى تحفظ فيها سهام الدين ، ويرفع فيها منار العالمين ، وتربى على أرضها أجيال المسلمين ، وتصان فيها علوم الحق والصدق واليقين .

هنا على أرض مصر ، وهى البلد الدين الطيب ، والشعب الخلوق ، الذى علم الدنيا كيف يكون الكفاح فى كل ميدان ، وصان الحضارة الإسلامية من أن تنال من مغول أو تتار أو صليبيين ، ووقف شعبها يحول بين ايدى العابثين بمبادىء الانسانية وبين أفكارهم وانحرافاتهم ووضح قيم الاسلام الرفيعة ، فضمد بذلك جراح الأمة ، وأنار لها الطريق .

هنا نلتقى ، لنسلم الأمانة للأمناء على حضارة الاسلام وتاريخه .

الى هنا قدمنا لنسلم المسئولية للربان الذى قاد سفينة التعليم الدينى أكثر من ألف عام .

الى هنا جئنا لنلقى العبء على أقوى من يستطيع تحمله ، بجهاز متكامل وجامعات متخصصة ، وتيار علمى دافق .

ثبت للأحداث ولم يكترث بها ...

---

(١) اقيمت جلسة الافتتاح بقاعة « الامام محمد عبده » بجامعة الازهر بالدراسة صباح السبت ١٩ من صفر ١٤٠٦ ٢ من نوفمبر ١٩٨٥

كلمة الشيخ الأنصاري

وزلزل النوازل ولم يتزلزل بها ...
وأدار دفة التاريخ ربانا ماهرا ، خبيرا ، لم يبال بأنوائها أبدا .
ما أشرف الغرض الذى من أجله اجتمعنا ..
وما أنبل الغاية التى عليها التقينا ..

أيها الاخوة الأفاضل :

ان هذا المؤتمر الذى نتشرف اليوم بحضورنا فيه له تاريخ جدير بالذكر : ـ

فقد انعقد المؤتمر الأول فى اسلام أباد بباكستان عام ١٣٩٦ هـ .

وانعقد المؤتمر الثانى فى استانبول بتركيا عام ١٣٩٧ هـ وفى كلا المؤتمرين كان تحت اسم (مؤتمر السيرة النبوية) .

وفى حفل الختام للمؤتمر الثانى بتركيا دعونا لعقد المؤتمر الثالث فى دولة قطر :
على ضوء ما كنا نعلم من طموح أميرنا المفدى وغيرته وكرم هوايته لتأييد العلم ، واعلاء الحق ، ونشر سيرة سيد الخلق أجمعين ، فاستجاب المؤتمر مشكورا للدعوة ، وقمنا بتشكيل لجنة تحضيرية له ، واستقدمنا للمشورة بشأنه خبراء من جهات متعددة ،

وكان من المفروض أن يعقد فى العام التالى (أى عام ١٣٩٨ هـ) الا أننا فضلنا التريث والتؤدة ، حتى يكون العمل متقنا ، ومحققا للغاية التى من أجلها دعونا له ، وقد استكملنا ولله الحمد ما استطعناه .

وكان أول ما فكرنا فيه أثناء اجتماعات اللجنة التحضيرية ، أن تضاف السنة النبوية للسيرة فى البحوث ، وقد جاء ذلك فى وقت كانت تتعرض فيه السنة الشريفة لهجمة غادرة من قوم أبرزوا عداءهم لها ، فوقفوا لها بالمرصاد ، يشككون فيها تارة ، ويطعنون فى أسانيدها تارة أخرى .. كل ذلك كان قصدهم عداء للحق وتقليلا من مقام السنة المطهرة ، وحربا على الله ورسوله ، وشاء الله أن يبطل أعمالهم ـ وينصر سنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصدق فيهم قول القائل :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
« وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ »

من هذا المنطلق ـ الحريص ـ سرنا فى المؤتمر الثالث وحددنا الأبحاث واستكتبنا العلماء .. وجاءت بعد ذلك ثمار الجهود يانعة ـ ولله الحمد ـ تدل على خصوبة العقل المسلم ، وصفاء قريحته ، وانقاد ذكائه .. وجاءت أبحاث السنة معادلة لأبحاث السيرة ، وكأنما هما فرسا رهان ، ولا شك أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم قد أعطى القرآن ومثله معه ، وأنزل عليه الذكر ليبين للناس ما أنزل اليهم .

واجتمعنا فى دوحة قطر..على ضفاف الخليج فى غرة محرم الحرام عام ١٤٠٠ هـ للهجرة .
وكان مؤتمرنا ـ ولله الحمد والمنة ـ خصبا بعلمائه ورجاله ثريا بأبحاثه التى قدمت فيه

وقد بلغت سبعة وسبعين بحثا ، بينت بوضوح وجلاء ثراء السنة ، وشمولها وكفايتها والسيرة ووضوحها •

كل ذلك كان بفضل الله ، ثم بفضل الجهود التى بذلت من العلماء الأجلاء ، وقد طبعنا البحوث بعد ذلك فى سبع مجلدات ، قدمناها لكثير من علماء الأمة للانتفاع بها ، وها نحن أولا نقدمها لمن لم يحصل عليها : هدية من هذا المؤتمر المبارك •

ولقد كان من المفروض أن يعقد المؤتمر الرابع قبل اليوم بأعوام عديدة ، ولكن حالت ظروف وظروف دون انعقاده ، وكم سعينا وحاولنا فى ذلك مرات ومرات اذ كان من المفروض أن يعقد فى غير مصر ، ولكن شاء الله تعالى ألا يعقد الا فى مصر ، وأراد الله أن تفوز أرض الكنانة به •• وهى الدولة المضيفة لمؤتمركم الآن •

وهكذا دائما مصر فى كل حال ، هى البلد المنقذ وأزهرها الشريف هو دار العلم ، أرفع منار فى الأرض بعد الحرمين الشريفين ، له المجد والبطولة والتاريخ المجيد والعلم والهدى القويم ، قد شع منه النور •• وملأ عطره أرجاء الشرق والغرب •

أيها الاخوة الأفاضل : ـــ

لا أحب الاطراء ـــ ولا أجيده ـــ ولكنها الحقيقة تتفجر من وجدانى اذ كان على أن أسرد تاريخ مؤتمركم هذا بعد أن ناء كاهلى بحمله ما يقرب من سبع سنوات ، وكنت أخشى أن أفارق الدنيا قبل أن ينعقد هذا المؤتمر ، ولكنى اليوم والحمد لله ، مطمئن النفس ، هادىء البال ، مرتاح الضمير ، وأنا أسلم الأمانة الى الأخ الفاضل الجليل سماحة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف •

والأزهر كما هو معلوم خير من يحمل الأمانة ويحافظ عليها وهو والحمد لله قلعة الاسلام منذ ألف عام •

أيها الاخوة الأكارم : ـــ

اننى ـــ نيابة عن الاخوة الأجلاء أعضاء الوفود ـــ أتقدم بالشكر الجزيل الى الحكومة المصرية ممثلة فى قائدها سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك •

والى الأزهر الشريف ، لرعاية هذا المؤتمر ، الذى ندعو الله له بالتوفيق والسداد •

كما أشكر لاخوانى الأفاضل العلماء أعضاء اللجنة التحضيرية وهم الجنود المجهولون فى هذا المؤتمر ، ولكل اخوانى من العلماء الذين كان لهم جهد فى عقده •

كما أشكر كل اخوانى العلماء الذين استجابوا للحضور ، راجيا من الله أن يحقق الأمل المرجو منه ، لخدمة السيرة والسنة النبوية الشريفة •

ومن هذا المكان ـــ نتوجه الى الله ـــ بالدعاء أن يحقق الآمال وأن يوحد كلمة الأمة الاسلامية ـــ على الخير والرشد والنصر ، وأن ينقذها من هذا التية المهلك الذى تتردى فيه ، وأن يسخرها لتحكم الشريعة الاسلامية

كلمة الشيخ الأنصارى

فى مهماتهـا ، وأن يهيىء لقـــادتها البطانة الصالحة لتسير على النهج القويم والهـدى المستقيم .

وانى أحمل الاخوة والعلماء الأجلاء أمـانة الى حكوماتهم ، والى الجهات التى قـــدموا منها ، بأن يكونوا رسل خير ورشـد . فـان الرائد لا يكذب أهله ، ولابد للحقيقـة مـن لسـان صـدق .. لينطق بها ، وأنتم أيهـا الاخوة الأجـلاء أحق النـاس بهذه المنزلة السامية .

أيها الاخوة — أننى بالأصـالة عن نفسى وبالنيابة عن رئيس وفد قطر الشيخ محمد بن حمد آل ثانى وزير التربية والتعـليم — أنقل اليكم جمعيا تحيات سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى — أمير دولة قطر ، وسمو ولى عهـده الشـيخ حمد بن خليفة آل ثانى ، والشـعب القطرى ، راجيا من الله تعالى لنا ولـكم التوفيق والسداد .

وأختم كلمتى .

مرة أخرى مكررا الشــكر لمصر ولقائدها الرئيس محمد حسنى مبـارك ، ولأزهرها الشريف — والله من وراء القصد ، هو مولانا ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الدكتور محمد السعدى فرهود

رئيس جامعة الأزهر

سيدى يارسول الله

السلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وصلى الله عليك فى الأولين .

وصلى عليك فى الآخرين .

وصلى عليك الى يوم الدين .

يا من بعثك الله رحمة للعالمين ، وأرسلك للناس كافة بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا .

فبلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، وأقمت الحجة ، ورسمت للناس المحجة .

سيدى يارسول الله .

ماذا أقول فى هديك وهو من هدى الله .

ماذا أقول فى منطقك وما تنطق عن الهوى .

« إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى » .

ماذا أقول فى أدبك وقد صنعك الله على عينيه .

ماذا أقول فى سيرتك « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » .

ماذا أقول ... وان فى سنتك لرسوما للشريعة وأصولها وأحكامها وآدابها .. لو اجتمع الانس والجن على ان يعرضوا آفاقها لطال عليهم الأمد ، وان كان البحر الزاخر لأقلامهم هو المدد .

ولكنها عجالة الكلمة الجامعة ، باسم هذه الجامعة ، التى تقوم على الدعوة وأصول الدين بما يجب لها من الذيوع والانتشار ، وتحمل عبء الشريعة الحاكمة بما يجب لها من الحجية والاحتكام ، وتعنى العناية الكاملة باللسان العربى ، لسان القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فضلا عن علوم الدنيا التى دعانا الدين الى تعلمها والاستفادة منها .

سيدى يارسول الله .

أمرتنا بتعاهد القرآن ، وقلت فى ذلك فيما أخرجه الشيخان : (تعاهدوا هذا القرآن ، فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من صدور الرجال من الابل فى عقلها) .

فأرشدتنا الى خيرى الدنيا والآخرة ، وهديتنا الى الاعتصام بكتاب الله ... « وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » .

وأرشدتنا — ياسيدى يارسول الله — الى ان (هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه) ، فأرشدت الى خير كثير ، وان من يقاوم يسر هذا الدين يقاوم طبيعة الأشياء .

● كلمة الدكتور فرهود

وهذا بيان للمتشددين الذين يرهقون أنفسهم وأقلامهم باسم هذا الدين ، ناسين أو متناسين ، ان المنبت المجهد نفسه فى السير لا يقطع أرضا ولا يبقى ظهرا ، وأنه — حتى فى الطاعة والعبادة — عاجز عن استقصاء الغاية .

وأكدت — ياسيدى يارسول الله — مبدأ المسئولية الذاتية أمانة فى أعناقنا ، وذلك فيما قلت — وقولك الحق — : (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .. فالامام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته .... والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته .. والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهى مسئولة عن رعيتها .. الحديث .. فرسمت لكل فرد فى الهيئة الاجتماعية أن يؤدى دوره المنوط به كما يجب الأداء ، وأن يخلص فيه كما ينبغى الاخلاص ، وأن يتحمل تبعاته ، كما يلزم التحمل ، فلا تفلت من مسئولية ، ولا هروب من واجب ، ولا تراجع عن مواجهة أعباء الحياة .

أرسيت — ياسيدى يارسول الله — مبادىء التعاطف الاجتماعى ، والتكافل الاجتماعى ، والعدل الاجتماعى ... وما تزال ترتسم أمامنا كلماتك الخالدة الموجهة : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

(المسلم أخو المسلم .. لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره) .

(كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه) .

(من كان عنده فضل مال فليعد به على من لا مال له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له) .

(يا أيها الناس .. ان ربكم واحد .. لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود — الا بالتقوى) .

(انما أهلك من كانوا قبلكم أنهم اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ... والذى نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) .

بذرت — ياسيدى يارسول الله — بذور السلوكيات السوية فى العلاقات العامة ، نتوخى أسباب التواد والتواصل والتآلف والمحبة .. ما أحوج الناس الى أن يعوها ويحفظوها ، ويعرفوا لها حقها .

أو لست القائل (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا .... ولا تؤمنوا حتى تحابوا .. أولا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم .. أفشوا السلام بينكم) .

أولست القائل : (حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام .. وعيادة المريض ... واتباع الجنائز ... واجابة الدعوة .. وتشميت العاطس)

أولست القائل : (كل معروف صدقة .. وان من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق) .

أولست القائل : (مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) .

أولست القائل : (لا يحل لمسلم أن يهجر

أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا — وخيرهما الذى يبدأ بالسلام) .

أولست القائل : (دع ما يريبك الى مالا يريبك) .

أقمت — ياسيدى يارسول الله — مبدأ الاقتصاد والاعتدال على أساس مكين من فكر هذا الدين ، الذى رضيه الله للناس دينا ، وما نزال نحفظ — ياسيدى يارسول الله — وصاياك : (كل ، واشرب ، والبس ، وتصدق .. فى غير سرف ولا مخيلة) .

(ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه .. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه .. فان كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه ، وثلثه لشرابه ، وثلث لنفسه) .

(خذ من صحتك لمرضك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن حياتك لموتك) .

أعليت — ياسيدى يارسول الله — من قيمة العمل والعمل اليدوى ، وغرست محبة السعى لتحصيل الرزق ، وعلمتنا أنه (ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده) .

وانه (اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة يغرسها ، فليغرسها) . وسيظل سعيك أنت — ياسيدى يارسول الله — لرزقك

والحصول على قوت يومك نبراسا ، يضىء حركتنا فى الحياة .

دعوت — ياسيدى يارسول الله — الى تحرى السلامة ، حتى فى الطب الوقائى وضعت هذا الدستور :

(اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها) .

وفى الطب العلاجى : (ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء) ، فاذا صادف الدواء الداء كان الشفاء باذن الله .

حتى الصغار ، أدبتهم — ياسيدى يارسول الله — بأدب الاسلام .

(ياغلام .. سم الله . وكل بيمينك ... وكل مما يليك) .

(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين . واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع) .

سيدى يارسول الله .

هذا قليل من كثير ، وغيض من فيض ، وقطرة من محيط سنتك الشريفة وسيرتك الطهور ... وفيها عصمة من الفتنة ، وأمان من الزيغ .. وفيها — لمن اهتدى — خير الزاد ، من الهدى والرشاد .

وصدق الله — ياسيدى يارسول الله — اذ يقول لك : (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

فاللهم أجعلنا ممن تبين وتفكر .

السيد الرئيس

السادة أعضاء المؤتمر

أسأل الله أن يحفظ علينا — وعليكم — نعمه ظاهرة وباطنة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فضيلة الأستاذ الدكتور

كلمة الحسينى عبد المجيد هاشم

وكيل الأزهر وأمين عام المؤتمر

أيها السادة الفضلاء :

مرحبا بكم يا أحباب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسيرته العطرة وسنته الشريفة ، فى رحاب الأزهر الشريف .

مع الله والملائكة نحتفل بالرسول – صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» .

يقول الله تبارك وتعالى « **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** » ولنا فى رسولنا – صلى الله عليه وسلم – أسوة حسنة .

قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » .

ولا يتأتى لنا أيها المؤمنون أن نتأسى به وأن نطيعه الا بمعرفة سيرته العطرة طهرا وصفاء ونقاء وسماحة ووفاء وشجاعة ورحمة وحكمة وأمانة وعدلا ونبلا .

ولا يتأتى أن نطيعه الا اذا عرفنا ما قال وما فعل وما أقره – صلى الله عليه وسلم – أن نعرف سنته الشريفة قولا وعملا وتقريرا .

والواقع أن سيرته – صلى الله عليه وسلم – جزء من سنته ، وأن السنة كما عرفها علماء الحديث : أقوال النبى – صلى الله عليه وسلم – وأفعاله وتقريراته وأوصافه الخلقية والخلقية ، قبل البعثة وبعدها فهى علمه وتعامله .

ورسالة الأزهر الشريف تتركز فى العناية بالسنة الشريفة ، والسنة كمصدر التشريع ، وهى تفسير وبيان لكتاب الله تبارك وتعالى ، أنها التفسير بالمأثور للقرآن الكريم .

وتفسير القرآن الكريم بالرأى ماهو الا ثمار للتفسير بالمأثور عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصحابته والتابعين لهم باحسان .

لقد قام الأزهر الشريف على كلياته الأصلية

الثلاث : كلية أصول الدين لدراسة الحديث سندا ومتنا ، دراية ورواية وتفسيرا لكتاب الله تبارك وتعالى .

وكلية الشريعة لفهم فقه كتاب الله وفقه سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

وكلية اللغة العربية لفهم أسلوب القرآن والسنة لغة وبلاغة كما يقول أمير الشعراء

لرسول الله — صلى الله عليه وسلم .

فما عرف البلاغة ذوبيان
اذا لم يتخذك له كتابا

وانتشرت العناية بالسنة فى كليات الازهر جميعا نظرية وعملية . ان الازهر الشريف ينشر سنة الرسول — صلى الله عليه وسلم — طاهرة مطهرة فى رحاب جامعات مصر والعالم الاسلامى .

ان حول رحاب الجامع الأزهر الشريف أروقة الشوام والمغاربة والحجاز والهند والأتراك وغيرهم ، وتطورت الأروقة الى مدينة البعوث الاسلامية العالمية التى تضم طلاب مائة دولة من المسلمين يتعلمون فى رحاب

الأزهر ويتفقهون فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم .

كما أن الأزهر يرسل علماءه الى قارات الدنيا لينشروا نور القرآن ونور السنة .

ولقد شاع فى وقتنا الحالى ما يعرف بترشيد

الانفاق ، وعم ذلك كله حتى الدول الغنية منه ولكن حكومة مصر بزعامة رئيسها المبارك رأت أن الارشاد والترشيد فى زيادة ميزانية المنح الدراسية لطلاب العالم الاسلامى عناية بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ، وزيادة العلماء المبعوثين الى العالم لنشر رسالة الاسلام على حساب الازهر الشريف وزيادة ميزانية

تحفيظ القرآن الكريم فى الكتاتيب والمعاهد الابتدائية الازهرية واعتماد منحة شهرية للطالب فى التعليم الابتدائى .

كما أقامت مطبعة تابعة للازهر تقوم على طبع المصحف الشريف وكتب السنة المطهرة .

أيها السادة : ان كتب علوم الحديث التى ألفها علماء الأزهر قديما وحديثا — تغطى العالم الاسلامى كله ومايزال يعم نفعها والانتفاع بها مثل كتاب فتح البارى شرح صحيح الامام البخارى لابن حجر العسقلانى ، وتدريب الراوى للامام السيوطى ، وشرح السنة وعلومها للبخارى ، والدمياطى والعدوى والسبكى ، والشيخ عبد الله الشرقاوى والامام الشافعى وغيرهم رضى الله عنهم جميعا .

وحمل اللواء فى العصر الحديث شيخ المحدثين الشيخ أحمد شاكر صاحب تحقيق مسند الامام احمد ومحقق رسالة الشافعى ، وجامع الترمذى والساعاتى وصاحب الفتح الربانى ، والمطيعى مكمل المجموع للنواوى ، ومحمد ابن أبى شهبة صاحب السيرة فى ضوء الكتاب والسنة ودفاع عن السنة وللشيخ محمد أبو زهو وكتابه الحديث والمحدثين ، وعبد الوهاب عبد اللطيف محقق التراث وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الاحاديث

كلمة الدكتور حسين هاشم

الموضوعة والسماحى صاحب علوم الحديث رواية ودراية ، والشيخ أحمد بن الحافظ للسنة

والشيخ منصور على ناصف صاحب كتاب التاج الجامع للاصول .. والشيخ عبد الغنى عبد الخالق صاحب شرح البخارى ، والمحدث محمد فؤاد عبد الباقى الذى فهرس كتب السنة وحقق الكثير منها وسابق المستشرقين فى علم الفهرسة وشيخنا حسنين مخلوف صاحب تحقيق كتاب الشفا ، وغير هؤلاء من العلماء والاعلام .

ياعلماء الأزهر وطلابه لاتتمثلوا بقول الشاعر :

أولئك أبائى فجئنى بمثلهم
اذا جمعتنا ياجرير المجامع

ولكن قولوا :

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى
ونفعل مثل ما فعلوا

وفى مجمع البحوث الاسلامية يحقق كتاب جمع الجوامع للسيوطى وكتاب جامع الاحاديث وكلاهما موسوعة فى السنة .

ويحقق جامع المسانيد للحافظ ابن كثير والترتيب الفقهى للجامع الصغير للسيوطى

والترتيب الفقهى لذخائر المسانيد ، ودائرة معارف السنة الشريفة، وجامع الصحاح للسنة.

وفق الله علماء السنة فى العالم كله لخدمة سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — المنيرة للوجوه ، المنورة للقلوب ، الهادية الى الصراط المستقيم .

يا علماء المسلمين :

لو أن شوقيا رآكم هاهنا
وسنا الحديث بكم يعم الأزهرا
ووفودكم من كل فج أشرقت
حول النبى محمد خير الورى
ونضارة الاسلام فوق جباهكم
لأعاد قولا فى المحافل قد سرى:

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا
وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واخشع مليا واقض حق أئمة
طلعوا به زهرا وماجوا أبحرا
رسا بأروقة الهدى فأحلها
فرع الثريا وهى فى أصل الثرى
حتى ظننا الشافعى ومالكا
وأبا حنيفة وابن حنبل حضرا

كلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

ورئيس المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية

حضرات السادة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعد :

فهذا يوم من أيام الله المباركة ، نفتتح فيه أعمال المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة . الذى تفضل السيد الرئيس محمد حسنى مبارك برعايته منذ أن عرضت على سيادته قبول استضافته ، وشرفه اليوم بالحضور مفتتحا لأعماله ومشاركا فى الترحيب باعضائه وضيوفه .

وباسمكم أتقدم الى السيد الرئيس بالشكر والتقدير ، وأدعو الله أن يوفقه والعاملين معه ، وأن يوفقنا جميعا لكل عمل جليل يخدم قضايا الأمة الاسلامية .

ولا شك أن مصر بحضارتها العريقة وتاريخها الطويل وأزهرها الشريف محط الآمال ومطمح الأنظار .

ولقد كانت منذ أن دخلت فى الاسلام مركز انطلاق الدعوة الاسلامية وانتشارها فى أفريقيا ، وعبرت الى أوروبا التى اقتبست العلم والحضارة من علوم وحضارة المسلمين فى الأندلس .

ان مصر تشعر بعظم المسئولية ، وثقل التبعة ، وهى برجالها ورئيسها وأزهرها لا تألو جهدا فى القيام بأعباء هذه المسئولية نحو الأمة الاسلامية .

السيد الرئيس :

حضرات السادة :

ان هذا المؤتمر حلقة فى سلسلة المؤتمرات العالمية التى عقدت فى العالم الاسلامى ، والتى مارست مدارسة السيرة والسنة النبوية الشريفة ، أملا فى استخلاص دواء لأدواء المسلمين ومشاكلهم المعاصرة .

والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون الى عقد المؤتمرات المتتالية لبحث قضاياهم السياسية والاقتصادية والثقافية والتشريعية والاجتماعية وغيرها مما تموج به أحداث الحياة .

والاسلام ذلك الدين القيم الشامل المنظم

◄

لكل مجالات النشاط الانسانى ، يبارك ويشجع هذه المؤتمرات التى تطرح فيها القضايا ويجرى التشاور فى الحلول لها ومواجهتها برأى جماعى من ذوى الخبرة والاختصاص : (**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) ..

نعم : ليست هذه المؤتمرات فكرة طارئة على المسلمين :

فقد فرضها الاسلام فى عبادته ، ففى الصلاة سنت صلاة الجماعة ، وفرضت صلاة الجمعة أسبوعيا وفرض الحج سنويا ، وما ذلك الا قصدا — والله أعلم — الى تزكية النفس ثم تقوية الرابطة بين المسلمين ، وتأكيد الشعور بالوحدة على الرغم من تنائى الديار واختلاف الألوان . والألسنة والعادات .

وحين فرض الله الحج كواحد من أهم هذه المؤتمرات الاسلامية قصد به — الى جوار العبادة والنسك — شهود المنافع العديدة فى مجال السياسة والثقافة والاقتصاد وسائر المجالات التى عبر عنها القرآن الكريم بكلمة جامعة هى قول الله سبحانه : (**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**) .

واذا كنا نحن المسلمين لم نستثمر هذه الاجتماعات واللقاءات الجماعية المفروضة من الله فى التشاور لبحث قضايا الأمة الاسلامية لنخرج فيها برأى خالص لله .

اذا كنا لم نعمل لذلك كما عمل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكانت خطبته فى حجة الوداع مبينة لكثير من أحكام الاسلام وقواعده ، وكما عمل أصحابه من بعده ، والسلف الصالح من قادة وعلماء الاسلام الذين كانوا ينتهزون موسم الحج للاستزادة من العلم بلقاء العلماء ومحاورتهم، لا صلفا ومراء وانما طلبا للعلم وحقائقه .

أقول : اذا كنا فى هذا العصر ، ومنذ أن انصرفنا عن تقاليد أسلافنا ، انبهارا بما أوفد الينا من مظاهر وأفكار نبتت فى غير بيئة الاسلام ، كان علينا أن نستدرك ما فات بهذا المؤتمر وأمثاله ، نتدارس فيه كتاب ربنا وسيرة وسنة نبينا ، ونسترشد بهما فى مواجهة قضايانا ورأب ما تصدع فى بنيان الأمة وصفوفها .

السيد الرئيس :

أيها السادة :

ان من أهداف هذا المؤتمر وما سبقه — **الى** جانب تقوية الروابط وتأكيد الوحدة الاسلامية — العمل على ايجاد وسيلة قوية تصد العدوان الفكرى ضد السنة النبوية وسيرة المصطفى — صلى الله عليه وسلم — بوجه عام وأصول الاسلام بوجه خاص هذا العدوان الذى يتولى كبره الملحدون الذين يغلفون أفكارهم ويشيعونها بأساليب باهرة وماكرة ، فيلبسونها ثوب الاسلام وما هى من الاسلام فى شىء .

بل ان من أولئك الملحدين من يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب فصاروا أخطر على مستقبل المسلمين لضآلة المعرفة الصحيحة لحقائق الاسلام وأباطيل

خصومه ، وليس أشد ايذاء للمجتمع الاسلامى من هؤلاء الذين مردوا على النفاق فاتخذوا الاسلام شعارا لا دينا يؤمنون به ، ويعملون بشرعه ، واحتلوا فى الفكر المعاصر مكانا أو مكانة واغتر الناس بما يقولون فاتبعوا باطلهم بعد أن غابت عنهم الكلمة الراشدة والنصح السديد ، والعرض الجديد لسيرة وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

لقد ذهب نفر من هؤلاء الذين تلونت ألسنتهم ، بعد أن تلوثت أفكارهم ، الى اثارة الغبار حول بعض الاحاديث النبوية الصحيحة، تحكيما لفكرهم الذى يقصر - دون شك - عن استكشاف حكم النبوة ، بل غاب عن أولئك الناس قول الله : (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ**) .

وقول القائل :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

حضرات السادة :

ان المسلمين فى حاجة الى البصر بأمور العصر وأساليبه حتى لا يظلوا مستهدفين للغزو من كل جانب ، لاسيما بعد أن صار العالم بأجهزته وأدواته السمعية والبصرية وغيرها تسرى فيه الافكار مع تنفس الهواء ، تغزو العقول دون حجاب أو حدود .

أن الناس من حولنا ينظرون الينا وينتظرون انهم يرقبون كل تجمع اسلامى ويترقبون ما تسفر عنه المؤتمرات ، وان علينا فى هذا المؤتمر ، بل فى سائر المؤتمرات أيا كانت مهامها ومستواها ألا نقنع بموقف الدفاع عن ديننا وثقافتنا وكياننا كأمة ، بل لابد من خطوة ايجابية نطارد بها الفكر الوافد الشارد الذى أضل شبابنا ومزق وحدتنا .

نعم : نطارد الأفكار التى تهدم قيمنا ، وتهزم ذاتيتنا بايضاح قيم الاسلام الثابتة فى القرآن والسنة ونشر تاريخه وحضارته ، قياما بواجب الدعوة الى الخير امتثالا لأمر الله : (**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**) .

ان الأمل معقود على هذا المؤتمر أن يجلو للناس سيرة رسول الله وسنته ويقدم من ذلك زادا طيبا يعمق الايمان والاسلام وييسر الافادة من هديه ويتحصن به ضد المحاولات الخبيثة التى تريد أن تسلبه شخصيته .

ولا شك أن دراسة السيرة والسنة دراسة استهداء هى دراسة للقرآن الكريم ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - كان خلقه القرآن .. عاش به ومعه ، تلقيا ، وحفظا ، وتلاوة ، ثم شارحا وموضحا ومتدبرا لآياته ، ومبلغا اياه للناس ومنفذا لشرعه .

ولقد كان القرآن هو المستهدف الأول بالغزو الفكرى ، وكم من سهام اليه صوبت ، وشباك حوله نصبت ، ولكن المسلمين وقفوا ضدها ، وردوها على أعقابها ، وصدق الله : (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) .

ولكن أعداء الله لم ييأسوا فعادوا يمارون فى السنة ويحاولون النيل منها : حجية ومكانة وثبوتا ، بل وفهما حيث راحوا يعرضونها على عقولهم ويشككون فيها استنادا الى ما جاء

كلمة الإمام الأكبر

فى بعض كتب السيرة من واقعات مدسوسة وفى بعض كتب السنة من أحاديث موضوعة ، والى أن من السنة ما يتعارض مع علم اكتسبوه من ثقافات وفلسفات دخيلة ، أو علم لم يصل بعد الى مرتبة الحقيقة العلمية ، وانما مجرد أفكار ماتزال فى طور التحضير والتفكير .

وواجب هذا المؤتمر أن يوجه جهده الى كبح هذه المحاولات استمرارا لوقفات العلماء المتتالية فى الدفاع عن السنة ، واتصالا لحلقات علوم السنة التى تتنوع وتتزايد تبعا لما ظهر من حقائق علمية لم تكن معلومة لدى علماء الحديث السابقين .

حضرات السادة :

سيعرض على المؤتمر الموقر بحوث متنوعة ، أفادت اهتمام العلماء والباحثين بالسنة ، ولعل بعض ما أثير فى هذه البحوث سبقت دراسته أو عرضه ، ولا ضير فى ذلك : ففى الاعادة

افادة ، وقد تكون بعض البحوث فى حاجة الى مزيد من الدراسة فلا يكن فى الصدور منها حرج .

وأنصح بتقديم الأهم على المهم ، والجديد المفيد ، فان الأمة فى حاجة الى تثبيت الدين واشاعة اليقين . ومواجهة محدثات الأمور

بالأحكام المستمدة من كتاب الله ومن سيرة وسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

ان الأمة تسمعكم وتنظر اليكم ، وتنتظر أن تربطوا حاضركم بماضى سلفكم الزاهر فى التحقيق والتدقيق فى السنة والسيرة وعلومها،

ولكن بأسلوب العصر وأدوات العصر تأكيدا لحيوية الاسلام وخصوبة قواعده وأصوله .

ان انصهار أفكار وآراء هذا الجمع الكريم

من المؤتمرين لابد وأن يثرى علوم السنة ويذب عنها بالمنهاج القويم والرأى المستقيم .

أيها السادة :

ان مجمع البحوث الاسلامية فى الأزهر الشريف : قام ويقوم بجهد كبير نحو السنة النبوية ، ولا شك أنه سيعمل معكم ومن خلال مؤتمركم على اظهار الوجه المشرق للاسلام ، وسيحمل توصياتكم ومقرراتكم باذلا كل جهد فى تنفيذها وابلاغها الى الناس جميعا ، قياما بواجبه نحو الدعوة الاسلامية حتى يسلم الأمانة الى مؤتمركم العالمى الخامس — ان شاء الله — بفضله تعالى وبعونه .

السيد الرئيس :

حضرات السادة :

باسم الأزهر : طلابه المصريين والوافدين ، وعلماء معاهده وجامعته وبعوثه التى زادت على خمسة آلاف عالم الى انحاء العالم الاسلامى .

باسم هؤلاء جميعا وباسمى : أرحب بكم وأدعو الله لمؤتمرنا هذا بالتوفيق فى أداء مهامه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

السيد الرئيس
كلمة محمد حسني مبارك
رئيس جمهورية مصر العربية

فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر .
علماء مصر الاجلاء .
ضيوف مصر الموقرين الفضلاء .

بنى وطنى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحية لكم جميعا فى فاتحة ملتقاكم الكريم من أجل السنة المطهرة والسيرة العطرة ، ودعاء الى الله سبحانه أن يكون هذا الملتقى العلمى الجليل بداية مرحلة مباركة لمسيرة الفكر الاسلامى الرائدة نحو تجلية أعظم لحقيقة الاسلام الخالدة ، تلك الحقيقة التى تربط المخلوق بالخالق ، وتصل الارض بالسماء وترسم للانسانية كل مافيه خير الفرد وسعادة الجماعة .

ولاشك أن مما يسعد القلب ويبعث الامل أن يعقد فى مصر وفى هذه الآونة بالذات هذا المؤتمر العالمى الرابع للسنة والسيرة ، أما مصدر السعادة فلأن المكان هو مصر العزيزة لا علينا وحدنا لأننا بنوها بل على العالم الاسلامى كله ، .

مصر العزيزة لأنها أرض الأزهر الشريف ، أرض الازهر الشريف قبلة المسلمين العلمية ، وأقدم جامعة فى العالم قامت على رعاية الاسلام ونشر علومه ، وتخريج علمائه ودعاته واهتم علماؤها منذ مئات السنين بالسنة المطهرة والسيرة العطرة .

وأما مبعث الأمل فلأن الزمان هو تلك الفترة الحرجة من تاريخ أمتنا الاسلامية وهى فترة تشهد على الساحة ما يوجب اعمال الفكر والعودة الى الأصل وجمع الكلمة والاعتصام بحبل الله فلعل اجتماعكم هذا أيها العلماء الأجلاء يكون خطوة مباركة على الطريق ، طريق التلاقى الاسلامى ، والتضامن الايمانى فى ظل حياة اسلامية حقة تقوم على الاخوة والتآزر والمحبة والسلام ، بل لعل مؤتمركم هذا يأخذ على عاتقه ضمن مهامه العلمية العديدة محاولة العمل على وقف نزيف الدم بين المسلمين ، فالحرب بين دولتين اسلاميتين لا يجنى أحد منها الا ما يضعف القوى ويعوق التقدم ويزهق الأرواح ويجلب الدمار والشقاء وكل ذلك يرضى الشيطان ويشمت الأعداء .

ولن يكون مسعاكم فى تلك المحاولة المباركة بعيدا عن مهمتكم فى مجال الحديث أو خارجا عن روح جدول أعمالكم فى نطاق السيرة ، ففى

كلمة الرئيس مبارك

أحاديث رسولنا العظيم – صلى الله علية وسلم دعوات متكررة تؤكد « أن المسلم أخ المسلم » وتوجب أن « يحب المسلم لأخيه مايحب لنفسه » وتوضح أن دماء المسلمين محرمة عليهم كحرمة بيت الله فى الشهر الحرام كما أن سيرة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – تنطق صفحاتها بكل مايدعو الى التسامح والمحبة ودفع السيئة بالحسنة كما تصور تلك السيرة العطرة مايجب أن تكون عليه العلاقات بين المسلمين من نبذ للخلاف وطرح للشقاق وأخذ بكل مايجمع الكلمة ويوحد الصف ويبعث القوة ويحقق الاعتصام بحبل الله .

أيها العلماء الأجلاء ان مؤتمرا علميا يعقد من أجل حديث رسول الله وسيرته لهو انجاز علمى يستحق من أعدوا له ومن شاركوا فيه ومن قاموا عليه كل تقدير وثناء ، فحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو المصدر الثانى من مصادر شرعنا الاسلامى الحنيف وهو المنبع الطهور الذى يلى كتاب الله عز وجل ففى الحديث الشريف تفصيل المجمل وتحديد المطلق وبيان مايحتاج الى بيان .

وقد أحسن بعض العلماء المحدثين حين قال بلغة أصحاب القانون ان الحديث الشريف هو المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم ، ولهذا كان اهتمام مؤتمركم بحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عملا جليلا ، نرجو أن يرد الأمر الى نصابه ويوضح الحق لهؤلاء هؤلاء الذين يتوهمون أنه لاحاجة للمسلمين الى السنة بناء على مايزعمون من أن فى كتاب الله مايغنى عن الحديث .

وقد نسوا أو تناسوا أن كتاب الله نفسه يطالبنا أن نأخذ بالحديث وأن نعتمد على السنة وذلك ليتحقق فهمنا الصحيح للقرآن الكريم وليكون عملنا بناء على توضيح السنة تطبيقا سليما لمادعا اليه كتاب الله المقدس .

وحسبنا هنا قول الله مخاطبا نبيه « **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** » .

فبيان الرسول هو السنة ، وانما تبين لنا لنأخذ بما بين ونعتمد عليه لا لنهمله ونتنكر له وفى هذا يقول ربنا فى كتابه العزيز « **وَمَآ ءَاتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟** » .

أما سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهى الصورة المثلى والنموذج الأرفع لما ينبغى أن تكون عليه حياة المسلم بل لما يجب أن تكون عليه حياة الانسان فتجلية هذه السيرة والكشف عن جوهرها وتقديم حقيقتها للمسلمين وللعالم من حول المسلمين انما هو تجلية للحق ، وكشف عن جوهر الخير ، وتجسيد للمثل الأعلى ، وفى ذلك دعوة للمسلمين وللناس أجمعين الى أن يتجهوا الى طريق النجاة ، الذى ينقذهم من التخبط فى متاهات توشك أن تسلم الانسانية كلها الى الضياع .

ثم ان سيرة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – تتألق بأسمى القيم الحضارية التى سبق بها الاسلام ونبى الاسلام أرقى النظم وأعظم المصلحين .

وحسبنا أن نعرف أن تلك السيرة وهى

تجسد قيم الاسلام وتنبض بروحه وتطبق مبادئه قد أرست مبدأ حرية الانسان وسوت بين أجناس البشر وأكدت سيادة القانون وشرعت الشورى وحكمت العدل ودعت الى التكافل الاجتماعى وأوجبت احترام العقل واعلاء العلم وتقدير العمل .

كما أرست دعائم الحق والخير وكل الفضائل التى من شأنها أن تصون كرامة الانسان وتجعل حياته جديرة بمن قال عنه الله « إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » وحسبنا هنا على سبيل المثال أن نتذكر أن سيرة الرسول قد أدانت التفرقة العنصرية وألغت التمايز بين الأجناس والالوان منذ أكثر من أربعة عشر قرنا بينما لم تعرف الحضارة الحديثة ذلك وتؤصله الا بعد الحرب الكبرى الثانية حين أعلنت الأمم المتحدة ميثاق حقوق الانسان .

أننا معشر المسلمين نحتاج أول ما نحتاج الى تمثل تلك القيم التى جسدتها سيرة الرسول — عليه الصلاة والسلام — ، نحتاج الى تمثل تلك القيم والسير على منهاجها وخاصة فى تلك المرحلة من تاريخنا التى نحتاج فيها الى مايعيد الينا القوة ويشحذ منا الارادة ويعيننا على مايواجهنا من تحديات .

ان سيرة نبينا — صلى الله عليه وسلم — تشرق بأروع صور التشبث بالمبدأ والتضحية فى سبيل الحق والشموخ أمام أعتى المغريات والصبر حيال أقسى المثبطات ، وما أروع موقف الرسول العظيم يوم رفض الملك والمال وكل ماعرضت قريش عليه حين وسطت عمه على أمل أن تثنيه تلك المغريات عن رسالته .

أجل ما اروع موقفه الشامخ وما أخلد قوله الباقى « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

ثم ما أروع موقفه وقد لقى الأذى الأليم من أهل الطائف حين ذهب اليهم عارضا دعوته شارحا رسالته فما كان منهم الا أن أغروا به السفهاء والصبية يصيحون به صيحات الجهالة ويقذفونه بالبذاءة والحجارة ، .

أجل ما أروع موقفه حين ذلك وما أخلد قوله مناجيا ربه « اذا لم يكن بك غضب على فلا أبالى » .

كما تضىء تلك السيرة العطرة بأنبل مواقف التسامح والرحمة والعفو عند المقدرة .

وحسبنا هنا أن نتذكر موقفه بعد فتح مكة وقد مكنه الله ممن عذبوه وقاطعوه وأخرجوه ومثلوا بأصحابه بل نازلوه ونازلوهم مرات بعد الهجرة وقاتلوه وقاتلوا المسلمين فى بدر وأحد والخندق .

حسبنا هنا أن نتذكر موقف الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — حين قال لقريش وقد مكنه الله منهم « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

أيها العلماء الأجلاء فليبرز مؤتمركم الموقر هذه القيم وليعرف الناس بها وليدعهم الى السير على ضوئها ففى ذلك دفعة لمجتمعنا الى النهل من رصيد حضارته الثرية والاعتماد على ركائز قيمة الانسان الايجابية ، وهكذا تضيفون الى الدراسات الاكاديمية دفعة علمية يحتاج اليها عالمنا الاسلامى فى ظروفه الراهنة البالغة الحساسية .

أيها العلماء الأجلاء اننا وكل العالم الاسلامى معنا ، اننا ننتظر مايسفر عنه

كلمة الرئيس مبارك

مؤتمركم الموقر من انجازات علمية ملحة ، فنحن أولا فى أمس الحاجة الى موسوعة للسنة النبوية الشريفة تضم الأحاديث الصحيحة التى يمكن أن يعتمد عليها ويعمل بمقتضاها دون اختلاف أو تضارب أقوال .

وان علماء الاسلام والحمد لله قد بلغوا مرتبة من العلم يستطيعون معها أن يحققوا ويوثقوا ويؤصلوا وان يقدموا للمسلمين مايباعد بينهم وبين مايجر الى البلبلة أو يعطى فرصة للتشكيك .

ونحن ثانيا فى أمس الحاجة الى موسوعة للسيرة المطهرة نعرضها عرضا علميا دقيقا يصونها من كل ماهو مجاف للحقيقة وما لايدخل فى دائرة التاريخ النبوى الصحيح وبهذا ترد الشبهات المغرضة وتسقط كل المفتريات الكاذبة وتخلص السيرة من الاضافات الساذجة التى تمس حرمة صاحبها عليه الصلاة والسلام .

ثم نحن أخيرا ننتظر عملا علميا مكملا للموسوعتين المأمولتين وهو تقديم ما تطرحه السنة وما تمثله السيرة من قيم اسلامية ومبادىء انسانية يمكن أن تكون فى بيانها لمحكم كتاب الله ، يمكن أن تكون الدستور الاسلامى فى الأخلاق والسلوك والتعامل ، وكل صنوف العلاقات بين الناس ، وذلك بقصد أن يشبع هذا الدستور ويعمق الاحساس به ويعم الاخذ بمبادئه حتى يكون المنطلق أعادة بناء الانسان المسلم والمجتمع ، وحتى نأخذ مكاننا الحضارى الذى أراده الله حين استخلف الانسان على الارض وحتى نحقق ما جاءت به رسالة محمد العظيم — صلى الله عليه وسلم الذى تجتمعون لدراسة سننه والاهتداء بسيرته .

سدد الله خطاكم وأمدكم بروح من عنده .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قام بجمع الكلمات :

عمر بسطويسى . **شعبان كشك محمد** **أيمن محمود الجندى**

مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر

لا يذهب العرف بين الله والناس

المخدرات بكل أنواعها حرام

لا يذهب العرف

بين الله والناس

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ :
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

كان موقف مصر واقبالها على انقاذ الباخرة الايطالية بركابها من بنى الانسان بهذا الوصف الانسانى دون نظر الى جنس أولون أو لغة أو دين ٠

موقف الوفاء للانسانية ٠

لم تسأل مصر حين أقدمت وأقبلت على هذا العمل الانسانى من أين هؤلاء الركاب ؟ ٠

والى من ينتسبون من دول العالم ؟ ٠

هل هم من الأصدقاء أو من غير الأوفياء ؟ ٠

أقدمت مصر وأقبلت لأنها لا تعرف الجبن ولا الخيانة فى الأعمال الانسانية ٠

انها : مقدامة انها انسانية ، انها الوفاء ٠٠ لما قطعت وتحملت من وعود وعهود ٠

انها مصر التى تولى رئيسها أمام العالم كله مهمة انقاذ هذا العدد من الناس وأعادهم آمنين سالمين الى أوطانهم ٠

انها مصر التى : آمنت بقول الله سبحانه : **« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »** ٠

انها مصر التى : آمنت بقول الله **« وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً »** ٠

انها مصر تفعل الخير لذات الخير ، تبتغى وجه الله الذى آمنت به وتوكلت عليه ، وتتبع سنة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى مرت عليه جنازة انسان لا يعرفه فوقف فقيل له انها جنازة يهودى فقال : ـ صلى الله عليه وسلم « أليست نفسا » ٠

انها مصر التى : تقول لهؤلاء الذين غرت بهم قوتهم ، أن يستعرضوها ويستعملوها ضد طائرة مصرية مدنية لم تحارب ، ولم تقاتل ، ولم تحمل اثما ولا وزرا الا أنها حملت مختطفى الباخرة الى أهلهم لمحاكمتهم وضعا للأمور فى نصابها ، واحتراما لعهد قطعته ٠

انها مصر التى تقول لهؤلاء انكم بعملكم أعلنتم أنكم لا وفاء لكم ولا عهد ولا ثقة فى ذمتكم ، وأنكم تخليتم عن الانسانية أو تخلت هى عنكم اذ لم تجدكم أهلا لها ، حيث غاضت من قلوبكم الرحمة ، وفاض منها الحقد على أناس يطلبون حقوقهم ، ويحاولون العودة الى وطنهم ٠

ان الانسانية بلا أخلاق ولا قيم عودة الى الحيوانية التى كان يظن أنها تهذبت لدى بنى الانسان ، فاحتكموا الى العقل والرحمة والوفاء بالوعد والوقوف عند العهد ٠

لكن مصر ورئيس مصر لن يأسف ويأسى لأنه قدم باسم مواطنيه خدمة انسانية ، بانقاذ أربعمائة انسان من الدمار والهلاك ليس فيهم مصرى واحد ٠ ولكنها تشهد التاريخ وأمم الأرض أن ما حدث كبيرة من الكبائر ، واعتداء على هيبة دولة وحقوق شعب ٠

ان هذا الذى استهوته قوته وعضلاته ٠ فذهب يستغلها فى خرق القوانين والأعراف الدولية سيعرف يوما ما أنه لطخ وجه شعبه بعار أبدى ، وان انصياع القوى لحكم القانون كان أكرم له ولشعبه ٠

ان هذا الحادث الذى وقع للطائرة المصرية المدنية لم يجهض ما قدمته مصر ، ولم يهل عليه التراب ، فغدا يفيق المجتمع الدولى المتفرج على هذه المهزلة ، ويحزم أمره ، اذ أن كل عضو فيه صار عرضة لمثل هذا العمل غير الشريف وغير النظيف ٠

ولا ينبغى أن نضيع وقتنا ـ نحن المصريين ، بل نحن المسلمين بوجه عام ـ فى الرضوخ لآثار هذا الفعل الشائن بل علينا أن نعمل على أن نكون مستعدين لدفعه ، بل وللرد عليه بالحكمة ، والعمل الدءوب ٠

أن نأخذ وضعنا القوى المتحد فى بلادنا ـ مصر ـ وفى سائر البلاد الاسلامية ، علينا أن نوقف هذه الحروب المستعرة التى يقتل فيها العربى أخاه وجاره العربى ، والمسلم أخاه المسلم فى غير فائدة أو مغنم ، اذ بهذه الحروب استنزف شبابنا فى القتل والقتال واستنزفت أموالنا فى جلب أسلحة القتال والتخريب لا دفاعا عن بلادنا ولا حماية لكرامتنا فى كل مكان ، وانما اضعافا لبنيان هذه الأمة ، وتفريقا لصفوفها •

ما أظن أن هذا الحادث كان يقدم عليه من فعلوه لو أن أمتنا واحدة موحدة متوافقة متآلفة ، كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالسهر والحمى •

علينا أن نواجه هذا الحادث بالعمل والانتاج لنستغنى عن الاستدانة والمعونات التى أذلت هاماتنا ، وأضعفت همتنا ولا ننسى تلك الحكمة القائلة « الدين غم بالليل وذل بالنهار » • علينا أن نقبل على أعمالنا وأن نشجع الانتاج الوطنى فى كل شيء ونكتفى به ، مهما كان فانه يغنينا عن السؤال

علينا أن نوقف الاسراف والترف فى كل شيء فى الأكل فى الملابس فى الاستهلاك بوجه عام •

علينا أن نصلح من أنفسنا ، وأن نعاون الدولة على الاستغناء عن الاستدانة والقروض • بل علينا أن نفتح باب التطوع والتبرعات للتخلص من هذه المديونيات التى شجعت هؤلاء الدائنين على الاستهانة بنا وبكرامتنا لدرجة التعدى على الطائرة المصرية التى تحمل أخوة لنا تعهدنا بحمايتهم وتسليمهم لقادتهم لمحاكمتهم ، ولم يمكنونا من الوفاء بالوعد •

ثم أين صورة العالم الانسانى فى كل مواقفه من هذا العمل اللا انسانى واللا أخلاقى الذى أقدمت عليه هذه الدولة التى تحمل علم الحرية والتقدم والقوة فى العالم •

هل هذه هى الديمقراطية ؟ •

هل هذه هى المدنية ؟ •

هل هذه هى القوة حقا ؟ •

واذا خلا الجبان بأرض •• طلب الطعن وحده والنزالا

ان الأزهر يدعو الأمة العربية والاسلامية الى اعادة النظر فى مستقبل صلاتها وعلاقتها بهؤلاء المعتدين على أرضها وعلى أخوتها ، هؤلاء المحابين

لهذه الجرائم الانسانية الذين عاونوا ويعاونون ، بل يشاركون فى الاعتداء على العرب والمسلمين فى كل مكان .

ان الأزهر يدعو المجتمع الدولى عامة ، والاسلامى خاصة أن يزأر فى وجه هذا العمل القبيح وأن يدينه بقوة وشدة ، ويدعو جميع الهيئات الرسمية ، والشعبية فى مصر والبلاد العربية والاسلامية أن تكتب الى كافة الجهات والمؤسسات الدولية والشعبية ، منكرة ، محتجة على هذا العمل الذى دل على أن من أمروا به ونفذوه قد تخلت عنهم الانسانية ، وان سكنوا القصور وملكوا الفضاء .

وان الأزهر الشريف ليبعث الى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك تقديره لما قدم من جهد انسانى ، ويقول له ولمصر كلها :
(لا يذهب العرف بين الله والناس) .

وانتا يجب أن نعمل على الاستقلال الاقتصادى والتخلص من المديونية . وأن نعتصم بالاسلام ، ونلتزم بأخلاقياته ، حتى نخرج من هذه الضائقة التى حاقت بنا واستحكمت حلقاتها ايمانا بوعد الله « **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** » .
وأنتم يارجال القانون أين أقلامكم وحكمكم على هذا الذى وقع لطائرة مدنية مصرية أعلنوه للناس مسببا مؤيدا .

وأنتم أيها الصحفيون املأوا أنهر الصحف بالتشهير بهذا الجرم وبيان فظاعته واستهانته بالمجتمع ولا تهملوا ذلك .

وأعلنوا للدنيا جميعا أن هذا عار وشنار على من أقدم عليه ، وأن مصر لن تغفر له ما فعل ضد أمنها وكرامتها ، وأنه ليس من الشجاعة أن تهاجم مسالما لا يحمل سلاحا ولا يبتغى من مسعاه شرا .

لا تنسوا أيها المسلمون فى كل مكان وأيها المصريون بوجه خاص هذا الحادث حدثوا عنه أولادكم وليدونه مؤرخوكم ، ولنعرف أن من رضى وسكت عن الاساءة توالت عليه الاساءات والنكبات ، وفقد كرامته ولسنا ممن يرضون بالهوان .

« وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ » •

أعلنوا أنكم دائما مع الانسانية دون تعصب للون ولا لجنس ولكنكم مع هذا ضد الهمجية والعدوان انكم توقرون القوى لا خوفا ورهبة وانما خلقا وتدينا وترحمون وتعاونون الضعيف ، وتقولون الحق •

وأنكم أصدقاء لمن يحترم صداقتكم ويحذر غضبتكم ، فما كنا ظالمين ولا معتدين •

« إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ » •
« ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » •

جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

المخدرات بكل أنواعها حرام

ولا ثواب فى الصدقة بمالها

أجرى الحديث
الأستاذ حسن علام

* أجمع فقهاء المذاهب الاسلامية على تحريم المخدرات بكافة أنواعها وزراعتها وترويجها وتهريبها والاتجار فيها وتعاطيها سواء كانت خاما أو مصنعة ، وعلى تجريم كل من يقدم عليها بأى صورة من الصور ، ومكافحة هذه السموم القاتلة والقضاء على أوكارها ، وضرورة الارشاد على كل من يتداولها ، وهذا (الارشاد هو ما سماه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

أكد ذلك فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى حديثه الهام « لآخر ساعة » تناول فيه حكم التشريع الاسلامى على عدد من الحالات والقضايا الهامة حول : « المخدرات والسموم البيضاء مثل الهيروين والكوكايين » ومنها رأى الدين فيمن يؤدى الصلاة وهو تحت تأثير المخدر ، وموقف الربح الناتج عن التعامل فى المواد المخدرة ، وهل يجوز التصدق منه ، وموقف من يتعاطى المخدرات للعلاج ، وحكم من يتواجد فى أماكن يجرى فيها تعاطى المخدرات بأنواعها المختلفة ..

كان السؤال الأول لفضيلة الامام الأكبر :

---

* اذا كان التشريع الاسلامى يحرم المخدرات .. فما هو حكمة تحريمها ؟

ـ المصلحة التى ابتغاها الاسلام وتضافرت عليها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تهدف الى المحافظة على أمور خمسة يسميها فقهاء الشريعة الاسلامية الضرورات الخمس وهى :

الدين ، والنفس ، والمال ، والعقل ، والنسل .

واذا كان من الضروريات التى حرص الاسلام على المحافظة عليها حفظ النفس وحفظ العقل ، فانه فى سبيل هذا حرم (الموبقات والمهلكات) المذهبات للعقل والمفسدات له ، فان أحدا من الناس لا يشك فى أن سعادة الانسان رهينة بحفظ عقله ، لأن العقل كالروح من الجسد ، به يعرف الخير من الشر ، والضار من النافع ، وبه رفع الله الانسان ففضله وكرمه على كثير من خلقه وجعله به مسئولا عن عمله ، ولما كان العقل بهذه المثابة ، فقد حرم الله كل ما يوبقه أو يذهبه حرمة قطعية ، ومن أجل هذا حرم تعاطى ما يؤدى بالنفس وبالعقل من (مطعوم أو مشروب) ، ومن ذلك ما جاء فى شأن أم الموبقات والخبائث ، الخمر ، فقدثبت حرمتها بالكتاب والسنة والاجماع ، ففى القرآن الكريم قوله تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** » .

ومدلول لفظ الخمر فى اللغة العربية والشريعة الاسلامية كل ما خامر العقل وحجبه ، كما قال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فى الحديث المتفق عليه ، دون النظر الى المادة التى تتخذ منها اذ الاحاديث الشريفة الصحيحة الواردة فى الخمر ناطقة بهذا المعنى (كل مسكر حرام) .

واذا كانت الشريعة انما أقامت تحريمها للخمر على دفع المضار وحفظ المصالح فانها تحرم كل مادة من شأنها أن تحدث هذه الاضرار ، سواء كانت مشروبا سائلا أو جامدا مأكولا أو مسحوقا أو مشموما ، ومن هنا لزم ثبوت حكم تحريم الخمر لكل مادة ظهرت أو تظهر تعمل عملها ، يدل على ذلك قول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « كل مسكر حرام » ، اذ لم يقصد الرسول بهذا الا أن يقرر الحكم الشرعى وهو أن كل ما يفعل بالانسان فعل الخمر يأخذ حكمها فى التحريم والتجريم .

وإذا كانت المخدرات كالحشيش والأفيون والهيروين والكوكايين وغـيرها من المواد الطبيعية المخدرة ، وكذلك المواد المخلقة المخدرة تحدث آثار الخمر فى الجسم والعقل بل أشد ، فانها تكون محرمة بحرفية النصوص المحرمة للخمـر وبروحها وبمعناها ، التى استمدت منها القاعدة الشرعيـة التى تعتبـر من أهم القواعد التشريعية فى الاسلام ، وهى دفع المضـار وسد ذرائع الفساد .

ومع هذا : فقد أخرج الامام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه عن أم سلمة (رضى الله عنها) قـالت :

« نهى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن كـل مسـكر ومفتر » ، والمفتر كمـا قال العلماء كل ما يورث الفتور والخمول فى أعضاء الجسم ، وقد نقل العلماء اجماع فقهاء المذاهب على حرمة تعاطى الحشـيش وأمثـاله من المخدرات الطبيعية والمخلقة (المصنعة) ، لأنها جميعا تودى بالعقل وتفسـده وتضر بالجسم والمال ، وتحط من قدر متعاطيها فى المجتمع .

التحريم شـامل للمخـدرات

والتحريم شامل لكل أنواع المخدرات مادام تأثيرها على هذا الوجه ، القليل منها والكثير ، وقد ذهب بعض الفقهاء الى وجوب (حد) متعاطى المخـدرات كشارب الخمر تماما ، لأنها تفعل فعلها بل وأكثر منها ، بل قال ابن تيمية :

ان فيها (المخدرات) من المفاسد ماليس فى الخمر ، فهى أولى بالتحـريم ، ومن استحلها وزعم أنها حلال فانه يستتاب ، فان تـاب والا قتـل مرتـدا ، لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

فالمخدرات بكافة أنواعها وأسمائها مسكرة ، وان كل مسكر من أى مـادة حرام ، وهذا الحكم من القرآن الكريم ومن سنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وبذلك يحرم تعاطيها بأى وجه من وجوه التعاطى من أكل أو شرب أو شـم أو حقن لأنها (مفسدة) ، ودرء المفاسد من المقاصد الضرورية للشريعـة حماية للعقل والنفس ، ولأن الشرع الاسلامى اعتنى بالمنهيات ، وفى هذا يقـول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« اذا أمرتكم بشىء فأتوا منـه ما اسـتطعتم ، واذا نهيتكم عـن شىء فاجتنبوه » .

*** ما هو حكم من يتعامل فى المخدرات سواء بالزراعة أو التهريب أو الاتجار ؟ .**

ويقول الامام الأكبر :

ـ المخدرات بكافة أنواعها وأسمائها محرمة قطعا بدخولها فى اسم الخمر والمسكر ، والشريعة الاسلامية اذا حرمت شيئا على المسلم حرمت عليه فعل الوسائل المفضية اليه ، وهذه القاعدة مستفادة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وكل الوسائل المؤدية الى ترويج المخدرات محرمة سواء كانت زراعة أو انتاجا أو تهريبا أو اتجارا ، فالتعامل فيها على أى وجه مندرج قطعا فى المحرمات باعتباره وسيلة الى المحرم ، ففى هذه الوسائل اعانة على المعصية ، والله سبحانه نهى عن التعاون فى المعاصى كقاعدة عامة فى قوله تعالى (**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**) .

وفى انتاج المخدرات بأنواعها ، والاتجار فيها وتهريبها وزراعة أشجارها اعانة على تعاطيها ، والرضا بالمعاصى ، معصية محرمة شرعا قطعا ، لاسيما وأن هذه الوسائل مؤداها الى تهيئة هذه السموم المخدرة للتداول والانتشار بين الناس ، فهى حرام حرمة المخدرات ، لأن الأمور بمقاصدها .

صلاة المخدر باطلة

*** وماذا عن الذى يؤدى الصلاة وهو تحت تأثير المخدر ؟**

يجيب فضيلة الامام الأكبر :

وصف ابن تيمية المخدرات وأثرها فى متعاطيها فقال :

(وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد) .

ويقصد بالديوث الذى لا يغار على أهله !

والمخدرات بأنواعها تسكر وتخدر وتفتر ، ولذلك يكثر النوم لمتعاطيها ، ومن أجل تأثيرها واصابة عقل متعطيها ، فانه لا يحسن المحافظة على وضوئه ، فتنفلت بطنه دون أن يدرى أو يتذكر ولهذا أجمع فقهاء المذاهب على أن من نواقض الوضوء أن يغيب عقل المتوضىء بجنون أو صرع أو اغماء ، وبتعاطى

ما يستتبع غيبة العقل من خمر أو حشيش أو أفيون أو غير هـذا من المخـدرات المغيبات ، ومتى كان الشخص مخدرا بتعاطى أى نوع من المخدرات غاب عقله وانعدم تحكمه وسيطرته على اجزاء جسمه وفقد ذاكرته ، فلم يعد يدرى شيئـا وانتقض وضوؤه وبطلت صـلاته وهو بهذه الحالة ، ولا فرق بين مخدر وآخر •

*** ما رأى فضيلة الامام الأكبر فى الربح النـاتج عن التعامل فى المـواد المخـدرة ٠٠ وهل هـو حرام ؟**

ــ من الأصول الشرعية فى تحريم بعض الأموال قول الله تعالى **(يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)** أى لا يحل لأحدكم أخذ وتناول مال غيره بوجه باطل ، كمـا لا يحل كسب المال من طريق باطل أى محـرم •

وأخذ المال أو كسبه بالباطل على وجهين :

* أخذه على وجه غير مشروع :

كالسرقة والغصب والخيانة •

* بطرق حظرها الشرع :

كالقمار أو العقود المحرمة كمـا فى الربا ، وبيع ما حرم الله الانتفـاع به كالميتة والدم والخمر المتناولة والمخدرات ، هذا كله حـرام •

وترتيبا على هذا يكون الربح والكسب من أى عمل محرم حرام •

وفى هذا أيضا قال العلامة ابن القيم (قال جمهور الفقهاء اذا بيع العنب لمن يعصره خمرا حرم أكل ثمنه ، بخلاف ما اذا بيع لمن يأكله ، وكذلك السـلاح اذا بيع لمن يقاتلبه مسلما حرم أكل ثمنه ، واذا بيع لمن يغزو فى سبيل الله فثمنه من الطيبات) •

وبهذه النصوص نقطع بأن الاتجار فى المخدرات محـرم وبيعهـا محرم وثمنها حـرام وربحهـا حرام ، لا يحـل للمسـلم تنـاوله ، حتى أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما نزلت آية تحريم الخمر **(إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ)** ، أمر أصحابه باراقة ما عندهم من خمور ومنعهم من بيعها حتى لغير المسـلمين ، بل ان أحد أصحابه قال ان عندى خمرا فقال له ــ صلى الله عليه وسـلم ــ :

ــ « أهرقها » ، فلو جاز بيعها أو حل الانتفاع بثمنها لأجاز لهذا الصحابى بيع الخمر التى يملكها الايتام لانفاق ثمنها عليهم •

مال المخدرات حرام

* **هل يجوز التصدق بالأموال الناتجة عن التعامل فى المواد المخدرة ؟**

ــ فى القرآن الكريم قول الله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**) ، وفى الحديث الشريف الذى رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : (ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، ان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين) فقال : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا** » •

وفى الحديث الذى روى عن أبى هريرة أن رسول الله قال : (من كسب مالا حراما فتصدق به لم يكن له أجره) •

فهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة قاطعة فى أنه لقبول الاعمال الصالحة عند الله من صدقة وحج وعمرة وبناء المساجد وغير هذا من أنواع القربات لابد وأن يكون ما ينفق فيها حلالا خالصا لا شبهة فيه ، واذا كانت الأدلة المتقدمة قد أثبتت أن ثمن المحرمات وكسبها حرام فلا يحل أكلها ولا التصديق بها ولا الحج منها ولا انفاقها فى أى نوع من أنواع البر ، لأن الله طيب لا يقبل الا الطيب ، بمعنى أن منفق المال الحرام فى أى وجه من وجوه البر لا ثواب له فيما أنفق ، لأن الثواب جزاء القبول عند الله ، والقبول مشروط بأن يكون المال طيبا •

* **ما هو جواز التداوى بالمحرم ، كمن يتعاطى المخدرات للعلاج ؟**

ــ الاسلام حرم مطعومات ومشروبات صونا لنفس الانسان وعقله ورفع هذا التحريم فى حالة الضرورة ، فقال تعالى فى الآية ١٧٣ من سورة البقرة (**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**) •

لقد اختلف الفقهاء فى جواز التداوى بالمحرم والصحيح من آرائهم هو ما يلتقى مع قول الله فى الآية السابقة ، بملاحظة أن اباحة المحرم للضرورة مقصورة على القدر الذى يزول به الضرر وتعود به الصحة ويتم به العلاج ، وقد اشترط الفقهاء الذين أباحوا التداوى بالمحرم شرطين :

* أن يتعين التداوى بالمحرم بمعرفة طبيب مسلم خبير بمهنة الطب معروف بالصدق والأمانة والتدين •

* ألا يوجد دواء من غير المحرم ليكون التداوى بالمحرم متعينا ، ولا يكون القصد من تناوله التحايل لتعاطى المحرم ، وألا يتجاوز به قدر الضرورة •

البقية ص "٣٦٩"

دراسات إسلامية

أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى

سيدنا محمد بن عبد الله
صلى الله عليه وسلم وفضائله

النبى محمد كيف واجه اليهود فى المدينة؟

أنا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى

حديث شريف

« رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » البقرة ١٢٩ .

« وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » . الصف ٦ .

البيان

كان ابراهيم واسماعيل يرفعان قواعد البيت الحرام قائلين « رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

وقد طلبا فى الآية الأخيرة أن يبعث فى ذريتهما رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وقد أجاب الله دعاءهما فبعث فى أهل الحرم — وهم من ذرية ابراهيم واسماعيل — بعث فيهم رسولا منهم — هو محمد — صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم الى الاسلام ، فأصبحوا بنعمة الله مسلمين طاهرين ، وبذلك تحققت دعوة ابراهيم واسماعيل بجزأيها .

١ — أن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة لله .

٢ — وأن يبعث فيهم رسولا منهم يكون سببا فى اسلامهم ، بأن يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ولهذا قال : « أنا دعوة ابراهيم » ولعل الاقتصار على دعوة ابراهيم لأنه هو الذى كان يدعو ، أما اسماعيل فكان يقول (آمين) .

ومع كون الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، بعث فى ذرية ابراهيم واسماعيل استجابة لدعوتهما ، فرسالته عامة للانس والجن ، بدأت فى الأميين من ذريتهما ، وانتقلت منهم الى سواهم على أيديهم وبسواعدهم مؤيدين بنصر الله ، قال تعالى فى سورة الجمعة « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ

فضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدي الطير

رَسُولاً مِّنهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۰ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » والمراد بهؤلاء الآخرين الناس كلهم من بعد العرب الذين بعث فيهم محمد — صلى الله عليه وسلم — كما قال مجاهد ۰

وقال ابن زيد ومقاتل بن حيان : هم من دخل فى الاسلام بعد النبى — صلى الله عليه وسلم — الى يوم القيامة ۰

ومما جاء فى عموم رسالته للناس جميعا « وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ كَافَّةً » ۰

وفى عموم رسالته للجن قوله تعالى « وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۰ قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۰ يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۰ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ »

بشارة عيسى بالنبى فى القرآن

جاء فى سورة الصف قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام « وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » ۰

وأحمد من أسمائه ﷺ ، فقد صح عنه أنه قال « لى خمسة أسماء ، أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى تحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب » ۰

وفى حديث لمسلم بسنده عن أبى موسى الأشعرى قال « كان رسول الله ﷺ يسمى نفسه أسماء ، فيقول : أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ، ونبى الرحمة» الى غير ذلك مما جاء فى السنة من أسمائه الكثيرة ۰

بشارة عيسى بالنبى فى انجيل برنابا

تعددت بشارة عيسى بالنبى فى انجيل برنابا ومن ذلك قوله فى الفصل السابع عشر « ولكن سيأتى بعدى بهاء كل الأنبياء والأطهار ، فيشرق نورا على ظلمات سائر ما قاله الأنبياء ، لأنه رسول الله » ٢٢ ، ٢٣ ۰

أنا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى

وفى الفصل السادس والثلاثين « وقد جاء الأنبياء كلهم الا رسول الله الذى سيأتى بعدى ، لأن الله يريد ذلك حتى أهيىء طريقه » ٦ .

وفى الفصل التاسع والثلاثين « فلما انتصب آدم على قدميه رأى فى الهواء كتابة تتألق كالشمس ، نصها لا اله الا الله محمد رسول الله ، ففتح حينئذ آدم فاه وقال : أشكرك أيها الرب الهى ، لأنك تفضلت فخلقتنى ولكن أضرع اليك أن تنبئنى : ما معنى هذه الكلمات « محمد رسول الله » فأجاب الله : مرحبا بك ياعبدى آدم ، وانى أقول لك : انك

أول انسان خلقته ، وهذا الذى رأيته انما هو ابنك الذى سيأتى الى العالم بعد الآن بسنين عديدة ، وسيكون رسولى الذى لأجله خلقت كل شىء ، متى جاء سيعطى نورا للعالم ، الذى كانت نفسه موضوعة فى بهاء سماوى ستين ألف سنة قبل ان أخلق شيئا ، فضرع آدم الى الله قائلا : يا ربى هبنى هذه الكتابة على أظفار أصابع يدى ، فمنح الله الانسان الأول تلك الكتابة على ابهاميه ، على ظفر ابهام اليد اليمنى مانصه « لا اله الا الله » وعلى ظفر ابهام اليسرى ما نصه « محمد رسول الله » تقبل الانسان الأول بحنو أبوى هذه الكلمات، ومسح عينيه وقال : بورك ذلك اليوم الذى سيأتى فيه الى العالم وقد تضمن هذا النص أن نفس محمد كانت فى بهاء سماوى — أى نور سماوى — ستين ألف سنة قبل خلق الله الأشياء ، ولعله يشير الى هذا ما جاء فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال : « ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء ، ومن جملة ما كتب فى الذكر وهو أم الكتاب أن محمدا خاتم النبيين »

ومن أعجب تصريحات السيد المسيح فى تعظيم سيدنا محمد ما نقله عنه الحوارى برنابا فى انجيله — فصل ١٢ — فقرات ١٠ — ١٣ — حيث قال « فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية يصرخ : أعدوا طريق رسول الرب ، كما هو مكتوب فى أشعيا ثم قال « أجاب يسوع : ان الآيات التى يفعلها الله على يدى تظهر أنى أتكلم بما يريد الله ، ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ، لأنى لست أهلا لأن أحل ربا طات جرموق رسول الله الذى تسمونه مسيا الذى خلق

قبلى ، وسيأتى بعدى ، وسيأتى بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية » وهذا التصريح الأخير موافق لما جاء فى آخر حديث مسلم ، من أن محمدا « خاتم النبيين » ولما جاء فى قوله « وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » فانه اذا كان خاتم النبين فلا يكون لدينه نهاية ، كما جاء فى الفقرة السابقة من انجيل برنابا .

وفى بقاء الاسلام الى قيام الساعة يقول ﷺ فى الحديث الصحيح « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة » .

عموم بعثة محمد فى انجيل برنابا

جاء فى الفصل الثالث والأربعين من انجيل برنابا ، ابتداء من الفقرة (٩) ما يلى :

« وهكذا لما أراد الله أن يخلق كل شىء من

نفس رسول الله الذى لأجله قصد الى خلق الكل،لكى تجد الخلائق فرحا وبركةبالله،وييسر رسوله بكل خلائقه التى قدر أن تكون عبيدا لله » ثم قال « الحق أقول لكم : ان كل نبى متى جاء فهو لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله لهم ، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسلوا اليه ، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده ، فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه ، وسيأتى بقوة على الظالمين ، ويبيد عبادة الأصنام ، بحيث يخرس الشيطان ، لأنه هكذا وعد الله ابراهيم : فانى بنسلك أبارك كل قبائل الأرض » .

واذا كان انجيل برنابا قد سمى خاتم النبيين بمحمد تارة ، وبمسيا تارة أخرى ، فقد جاء فى نسخة أخرى للانجيل باسم (أحمد) فقد نقل الشيخ محمد بيرم عن رحالة انجليزى أنه رأى فى المكتبة البابوية بروما نسخة من الانجيل بالقلم الحميرى قبل بعثته ﷺ وفيها يقول المسيح « **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** » .

التبشير به فى التوراة

جاء فى الاصحح الثامن من سفر التثنية — من العهد القديم — خطابا لموسى عليه السلام « وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم وأجعل كلامى فى فمه ، يكلمهم بكل شىء آمره به ، ومن لا يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا الذى أنتقم منه ، فأما النبى الذى يجترىء على بالكبرياء ، ويتكلم باسمى بما لم آمره به ، أو باسم آلهة أخرى فليقتل ، واذا أحببت أن تميز بين الصادق والكاذب فهذه علامتك ، أن ما قاله ذلك النبى باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ، وكذلك لا تخشاه » .

وجاء فى القرآن ما يوافق هذه البشرى ، وذلك فى قوله تعالى فى سورة الحاقة « **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** » .

وقد مكث النبى ﷺ يدعو الى الله ثلاثا وعشرين سنة ، عصمه الله فيها ممن يريدون قتله ، وفاء بوعده سبحانه « **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** » .

وجاء فى الاصحاح م ٢ من التثنية عدد ٢ على لسان موسى عليه السلام ما يلى « جاء الرب من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ، ومعه ألوف الأطهار ، فى يمينه سنة من نار ، أحب الشعوب جميع الأطهار بيده » هذا ما قاله موسى فى وصيته قبل موته ، وقد رمز بمجىء الرب من سيناء الى مجىء شريعته تعالى على يد موسى وباشراقه من ساعير الى ظهورها من ساعير على يد عيسى عليه السلام ، ورمز باستعلائه من جبال فاران الى ظهور شريعته فى بلاد العرب ، على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعه ألوف الأطهار من أصحابه ،

أنا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى

ورمز بالسنة من النار ، الى أنه ﷺ هاد للناس وسراج منير ، كما جاء فى قوله تعالى

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا • وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا »

ويجوز أن تكون رمزا الى شدته على الشرك والمشركين •

وقد جاء فى وصف النبى وأصحابه فى التوراة والانجيل قوله تعالى فى آخر سورة الفتح « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » •

نبوءة أشعياء

سفر أشعياء من أسفار العهد القديم ، وقد جاء فى الاصحاح ٢١ فقرة /١٣ « وحى من جهة بلاد العرب ، فى الوعر تبيتين ياقوافل الدادانيين ، هاتوا ماء لملاقاة العطشان ، وخبزة للهارب من أمام السيوف ، ياسكان التيمن ، قال الرب : تفنى جبابرة قيدار » •

فالوحى من جهة بلاد العرب فى الوعر صريح فى صدق نبوة محمد ﷺ فانه بعث فى أرض مكة الجدباء ، وقوله « هاتوا ماء لملاقاة العطشان وخبزة للهارب » اشارة الى هجرة الرسول من مكة الى المدينة أرض الماء والطعام وأهلها هم سكان التيمن والتفاؤل والخير ، فقد انتصر بهم الاسلام وعز أمره ، وجبابرة قيدار اشارة الى الجبارين من ذرية قيدار أحد أولاد اسماعيل ، وقد توعدتهم البشارة بالفناء ، وهذا ما حدث ، فقد قضى الاسلام على دعاة الوثنية الجبارين من أحفاد اسماعيل فى الجزيرة العربية ، وقد ترجم سفر أشعياء الى اللغة الأرمنية القسيس أو سكان الأرمنى وطبع سنة ١٧٣٣ بمطبعة أنتونى بورنلى ،

ويوجد فى الفصل ٤٢ هذه الفقرة « سبحوا لله تسبيحا جديدا ، وأثر سلطته على ظهره واسمه أحمد » والمراد من أثر سلطته الذى على ظهره خاتم النبوة الذى يشبه « زر الحجلة » كما جاء فى صحيح البخارى وغيره، وبالجملة فان سفر أشعياء به كثير من البشارات الصريحة ببعثة الرسول ﷺ فمتى يفيق المعرضون عن الحق ، ومتى يشرح الله صدورهم للاسلام ، ليكونوا على نور من ربهم •

مولد محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ

فى صبيحة اليوم الأغر الثانى عشر من ربيع الأول وبعد حادثة الفيل بخمسين يوما ،استقبل الزمان محيا طفل وسيم يسر مرآة القلوب ،

ويؤنس وجهه الأرواح ، ويقر سناه العيون . ولم يكن فى جملة مستقبليه والده عبد الله فقد رحل الى ربه والحبيب فى بطن أمه ، فأقبل على دنياه يتيما ، ثم لم تنبث أمه الشابة النسيبة أن لحقت أباه ، فنشأ فاقد الأب ثاكل الأم ، ذلك الوليد الذى عنيناه — هو محمد رسول الله .

والأيتام عادة لا يقام لهم وزن ، ولا يهتم لهم بتربية ، وبخاصة من حرموا الأمهات ،منهم فينشئون على أخلاق ليس لها ضابط ، ولا يتجهون فيها غالبا الى الكمال ، لحرمانهم عطف الأباء وحرصهم على تجميل سجاياهم، ولفقدهم حنان الأمهات وفائق رعايتهن .

لكن محمدا اليتيم ﷺ لم يكن على أى نحو من الضياع والحرمان ، فان العناية الالهية أدخرته أزلا ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين ،

وهاديا للعالمين ، ورافعا لواء التوحيد والأخلاق الفاضلة بين الناس أجمعين .

فلذا كفلته بأجمل رعاية ، وربته على أكمل المناهج ، وسلكت به سبيلا من الأخلاق بليغ الاستقامة ، ينتهى بصاحبه الى تحمل أعظم التبعات ، فنشأ فى صباه وفى شبابه على أعلى مستوى من المعايير الخلقية ، فى صفاء النفس وطهارة الضمير ، وعلو الهمة وكمال السلوك، فما حدثت منه كبوة ، ولا حدثته نفسه العظيمة بصبوة ولا بنبوة ، حتى شرفه الله بالنبوة والرسالة للعالمين .

وكان صاحب الذكرى العطرة رفيع الحسب عظيم النسب ، جليل الأرومة طاهر الأصول ، اذ تبرأ نسبه الشريف من سفاح الجاهلية ، ولم يعرف لوليد مثل آبائه الغر الميامين فى عوالى الهمم ومحاسن الشيم .

عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وأمى ، ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء » .

وفى صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال ﷺ : « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

وبعد فهذا محمد رسول الله ، الذى يحتفل العالم بذكرى ميلاده الشريف ، أعادها الله على المسلمين باليمن والاقبال ونفع المسلمين بالاقتداء بسنته ، وجمعهم على كلمة سواء ، حتى يحققوا قول الله تعالى « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » .

مصطفى محمد الحديدى الطير

سابقة الإلهام في تسمية النبي

"صلى الله عليه وسلم"

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

كثيرا ما يعد الآباء لأبنائهم قبل ولادتهم أسماء يسمونهم بها ــ ذكورا كانوا أو اناثا ــ ويتخيرون هذه الأسماء وفق بطولات رائعة أو شخصيات لامعة أو معان راسخة فى أذهانهم يأملون أن تظهر فى أبنائهم .

وأحيانا ترتبط تسمية الأبناء عند ولادتهم بموافقات لا تخطر على بال ، كأن يطرق الباب عند حالة الولادة طارق اسمه « سعد » فيسمى المولود بهذا الاسم على سبيل التفاؤل والاستبشار .

وربما رسخ فى ذهن بعض العامة أن صاحب الاسم المألوف لا يكتب له العمر الطويل فيعمدون الى أسماء غير مألوفة يسمون بهما أبناءهم حتى يضمنوا لهم طول البقاء .

والعصبية الجاهلية القديمة كانت تمنح العبيد أسماء حسانا وتحرم الأبناء ذلك ، حتى قيل لأحدهم : لم تسمون أبناءكم حربا وكلبا وصخرا وتسمون عبيدكم بلالا ورباحا ومسرورا ؟

فقال : لأنا نسمى أبناءنا لأعدائنا ونسمى عبيدنا لأنفسنا .. وهو تعليل تمليه الجاهلية وتدفع اليه العصبية .

ومن النادر أن يكون الالهام الفطرى الذى يكاد أن يكون من املاء الغيب وراء الاسم الذى يختاره الانسان لمولوده .

وما وافق هذا الالهام الفطرى معنى رائعا وأملا منتظرا كما وافق اسم النبى ﷺ حين اختار له جده عبد المطلب بن هاشم هذا الاسم العظيم « محمدا » .

واسم « محمد » مشتق من الحمد على وزن مفعل . قال «ابن دريد» فى كتابه «الاشتقاق» الذى شرح فيه نسب النبى ﷺ :

« لما ولد النبى ﷺ أمر عبد المطلب بجزور فنحرت ، ودعا رجال قريش ، وكانت سنتهم فى

المولود اذا ولد فى استقبال الليل كفأوا عليه قدرا حتى يصبح ، ففعلوا ذلك بالنبى ﷺ فأصبحوا وقد انشقت هذه القدر وهو شاخص الى السماء ، فلما حضرت رجال قريش وطعموا قالوا لعبد المطلب : ما سميت ابنك هذا ؟ قال سميته محمدا قالوا : ماهذا من أسماء آبائك ؟ قال : أردت أن يحمد فى السموات والأرض .

وصدق حدس « عبد المطلب » وجاء حفيده محمودا فى الأرض والسماء ، ووافق اسمه ما سطره القلم فى الأزل ونطق به القرآن الكريم على لسان « عيسى ابن مريم » عليه السلام « **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** » الصف

ويؤيد هذا القول ماروَاه « ابن سعد » فى طبقاته عن « أبى جعفر محمد بن على » قال :

« أمرت آمنة وهى حامل برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد » .

وروى « ابن سعد » كذلك أنه لما ولدت « آمنة » أرسلت الى « عبد المطلب » فجاءه البشير وهو جالس فى الحجر معه ولده ورجال من قومه فأخبره أن «آمنة» ولدت غلاما ، فسر ، وقام هو ومن معه ، فدخل عليها ، فأخبرته بكل ما رأت وما أمرت به ، فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، قال :

الحمد لله الذى أعطانى
هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان
أعيذه بالله ذى الأركان
حتى أراه بالغ الأركان
أعيذه من شر ذى شنآن
من حاسد مضطرب العنان

وأيا كان مصدر التسمية ، فان الجد باجابته على سائله كان ذا فراسة صادقة تفرسها فى حفيده العظيم الذى احتفى به وأحبه وقدمه على سائر ولده ، فقد رأى فيه صورة أبيه الحبيب الذى كان أثيرا لديه ، وافتقده فى غيبة عنه ، وهو قريب عهد بعرسه التى ما كادت تفرح بقربه حتى جاءها نعيه وفى أحشائها منه جنين كان يرتقب رؤية والده .

اسم محمد فى الجاهلية

ولم يكن هذا الاسم رائجا فى الجاهلية ، وان كان قد تسمى به بعض نفر . قال الرواة فى تعليل تسميتهم به : ان آباءهم كانوا يطمعون أن يكون كل منهم نبى آخر الزمان ، يدل على ذلك ما أورده « ابن الأثير » فى كتابه « أسد الغابة » فى ترجمة « محمد بن أحيحة ابن الجلاح » قال : قال « عبدان » :

« بلغنى أن أول من سمى محمدا محمد بن أحيحة ، قال : وأظن أنه أحد هؤلاء الذين ذكروا فى حديث محمد بن عدى — يعنى الذين سموا فى الجاهلية محمدا حين سمعوا أنه يبعث نبى من العرب اسمه محمد ، فسمى جماعة منهم أبناءهم به رجاء أن يكون هو النبى المبعوث — والذين سموا محمدا نفر منهم : « محمد بن

سابقة الالهام فى تسمية النبى "صلى الله عليه وسلم"

سفيان بن مجاشع » و « محمـد بن البراء » و « محمد بن أحيحة » و « محمد بن حمران بن مالك الجعفى » و « محمـد بن خـزاعى » « محمد بن عدى بن ربيعـة » .

وفى ترجمة « محمـد بن عـدى بن ربيعة » يقول « محمد بن عدى » ـ فيما يرويه « ابن الأثير » فى أسد الغابة :

أخبرنى أبى عدى بن ربيعة قال : خرجت أنا وسفيان بن مجاشع بن دارم ، ويزيد بن ربيعة ابن كابية وأسامة بن مالك نريد « ابن جفنة »، فلما قربنا منه نزلنـا الى شـجرات وغـدير فأشرف علينا ديرانى (١) ، فقال : انى أسمع لغة ليست لغة أهل هذه البلاد . فقلنا : نـعم نحن قوم من مضر . قال : أى المضريين ؟ قلنا : من خندف . قال : انه يبعث وشيكا نبى منكم ، فخذوا نصيبكم فيه تسعدوا فقلنا : ما اسمه قال : محمد . قال : فاتينا « ابن جفنة » فقضينا حاجتنا من عنده ، ثم انصرفنا ، فولد لكل منا ابن فسـماه محمدا ـ أخرجـه ابن منـده وأبو نعيم ـ

وهذا الخبر يشـير الى البشـارات التى أرهصت بمولد النبى ﷺ وقدمت لمبعثه ، ودلت عليه ، وأثارت الأذهان الى الرسالة الخاتمـة التى أظهر الله بها دينه على الدين كله .

أسماء أخـرى :

وللنبى ﷺ أسماء أخرى لايد للبشر فيها ، ووردت بها الأخبار الصحيحة . فقـد روى « أحمد » فى مسنده عن « حذيفة » قال : بينما أنا أمشى فى طريق المدينة اذا رسول الله ﷺ يمشى فسمعته يقول « أنا محمد وأنا أحمـد ونبى الرحمة ونبى التوبة والحـاشر والمقفى ونبى الملاحم » .

وروى « أحمـد » كذلك و « مـالك » و « الترمذى » و « النسائى » عن « محمد بن جبير بن مطعم » عن أبيه عن النبى ﷺ قال : « ان لى أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمـد ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا الماحى الذى يمحى بى الكفر وأنا العاقب» والعاقب الذى لا يعقبـه أحد أى لا نبى بعده .

والعلم من هذه الأسماء هو الأول والثـانى وما بعدهما صفات له ﷺ، وقد تغلب الصـفة على صاحبها فتصبح علما عليه ، كما غلب لقب الصادق والأمين والمصطفى وغيرها من الالقاب والصفات وهكذا غلب لقب الصديق على « أبى بكر » والفاروق على « عمر » رضى الله عنهما حتى صار اللقب علما على صاحبه .

وهناك أسماء أخرى ذاعت للنبى ﷺ مثـل « طـه » و « يس » وتبرك النـاس بتسمية أبنائهم بها كما سموا بمحمد وأحمد ومحمـود ومصطفى .

---

(١) يبدو انه نسبة الى (الدير) فهو اما راهب أو عالم من أهل الكتاب ..

وقد قال « سعيد بن جبير » فيما أورده « القرطبى » عنه : ان « يس » اسم من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم ، ودليله « إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ » واستشهد عليه بقول « السيد الحميرى » :

يانفس لا تمحضى بالنفس جاهدة
على المودة الا آل ياسين

وقال « القرطبى » فى « طه » : « قيل هو اسم للنبى ﷺ سماه الله تعالى به كما سماه محمدا .

وروى عنه — صلى الله عليه وسلم — انه قال :

ان لى عند ربى عشرة أسماء ، فذكر أن فيها « طه ويس » وقال أيضا :

ذكر « الماوردى » عن «على» رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله تعالى أسمانى فى القرآن سبعة أسماء : محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله » .

كنية الرسول

أما كنيته فهى « أبو القاسم » وقد نهى النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يجمع الانسان بين اسمه وكنيته ، فقال : فيما رواه « ابن سعد » فى طبقاته عن « أبى هريرة » رضى الله عنه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال :

« تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى ، فاننى أبو القاسم » .

وروى « أنس بن مالك » رضى الله عنه أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان بالبقيع فنادى رجل : يا أبا القاسم ، فالتفت اليه النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال الرجل : لم أعنك ، فقال — صلى الله عليه وسلم — : سموا باسمى ولاتكنوا بكنيتى .

وقد ثبت أنه سمى باسمه بعض أبناء أصحابه وأن أصحابه سموا أبناءهم باسمه تبركا . فقد روى « ابن الأثير » — فى ترجمة « محمد بن أنس بن فضالة الأنصارى — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قدم المدينة وهو ابن اسبوعين فأتى به اليه فمسح رأسه ودعا له بالبركة وقال : سموه باسمى ولا تكنوه بكنيتى — أسد الغابة حـ ٥ ص ٨٠ —

وذكر أيضا فى ترجمة « محمد بن ثابت بن قيس » أنه ولد على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأتى به أبوه رسول الله ﷺ فسماه « محمدا » وحنكه بتمرة .

وزيد فى رواية أخرى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال :

اذهب به فان الله عز وجل رازقه » . أسد الغابة حـ ٥ ص ٨٢ .

وقد ذكرت الروايات أن هناك من سموا محمدا وكنوا أبا القاسم ، وعدهم « الزبير بن بكار » عن « محمد بن الحسن » قال :

« المحمدون الذين اسمهم محمد وكناهم

سابقة الإلهام فى تسمية النبى "صلى الله عليه وسلم"

أبو القاسم هم : « محمد بن طلحة ، ومحمد بن على ، ومحمد بن الأشعث ، ومحمد بن سعد » وزاد « الواقدى » : محمد بن جعفر بن أبى طالب ، ومحمد بن أبى بكر .

ولعل هذا التجاوز لمزيد فضل لهم ولآبائهم، أو لأن النهى الذى ورد بعدم التكنية لاينصرف الى التحريم .

والمعروف ان « محمد بن طلحة » أبوه « طلحة بن عبيد الله القرشى » وهو من السابقين الى الاسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وحين ولد محمد حمله أبوه الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمسح رأسه وسماه محمدا ونحله كنيته ، وحين كبر لقب بالسجاد لكثرة صلاته وشدة اجتهاده فى العبادة .

« ومحمد بن على » هو ابن الامام « على كرم الله وجهه » المعروف بمحمد ابن الحنفية روى « ابن سعد » فى طبقاته فى ترجمته عن « منذر الثورى » قال : سمعت « محمد ابن الحنفية » قال : كانت ـ أى كنيته بأبى القاسم ـ رخصة لعلى ، قال : يارسول الله ان ولد لى ولد بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال :

نعم ..

« ومحمد بن الأشعث » هو ابن الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندى » و « محمد بن سعد » هو ابن « سعد بن أبى وقاص » أحد السباقين الى الاسلام والمشهود لهم بالجنة ..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

سيدنا محمد بن عبد الله

صلى الله عليه وسلم

وفضائله على الإنسانية

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبي

١ ـ نسبه الزكى وخصائصه :

محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو :

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصى ، بن كلاب ابن مرة ، بن كعب بن لؤى بن غالب ، بن فهر بن مالك بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، ابن مدركة ، بن الياس ، بن مضر ، بن نزار ، ابن معد بن عدنان (١) .

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

خير العرب مضر .

وخير مضر عبد مناف .

وخير عبد مناف هاشم .

وخير بنو هاشم بنو عبد المطلب .

والله ما افترق فرقتان منذ خلق آدم الا كنت فى خيرهما .

ويشهد لهذا الحديث قوله ـ صلى الله عليه وسلم .

ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى هاشما من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم .

ومدلول هذه النصوص أن الذين يدرسون خصائص زعماء التاريخ يجدون سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فى الذروة من كل معايير الشرف والكمال الانسانى .

ذلك : لأنه صلى الله عليه وسلم ولد من نكاح ولم يولد من سفاح فى سلسلة طويلة من

---

(١) راجع تكملة النسب الى آدم فى كتاب المغازى لابن اسحق طبع تركيا تحقيق الاستاذ محمد تيسير الله ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

تقلب الأجداد والأباء وقيمة هـذه الخاصـية

أن السوية فى بشريته صـلى الله عليه وسلم ممتدة فى كل أرومته .

فلم تحمل عاملة من عوامل الوراثة الا نقاء فى طهر وأصالة فى محتد مؤثل ، سليم صحيح .

وأن هذا المحتد الذى جاء منه سـيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يغادر جوار بيت اللـه العتيق منذ كان جده الاكبر ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

ومفهوم هذا الجوار أن اللـه تبارك وتعالى قد ارتضى سدنة بيته العتيق : أول بيت وضع للناس مثابة وأمنا من أنقى الأرومات البشرية التى استحقت أن تكـون سلسلةنسـب لآخر الأنبياء وخاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم.

فهى أرومة مرضى عنها من الله جل جلاله.

ومن القيم النبيلة العليا لخاصية هذا النسب أن الجوار الى بيت الله العتيق مكنهم مـن المحافظة على مواريث الأنبياء الأول فمازالت الأخلاق الكريمة والحنيفية السـمحة تمثـل سلوكا وخلقا فطريا فى سلسلة النسب الـزكى حتى كانت النبوة الخاتمة متممة لمكـارم هذه الأخلاق .

واذا كانت هذه القيمة من خاصية النسـب الزكى فان مدلولها جد دقيق فيمـــا يتعلق بمستقبل الدعوة الى الله .

فانها تصدر عن طبع سوى ، وخلق رضى منذ الأجداد والآباء الأول .

فاذا ماشهد المجتمع لسيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم بأنه الامين من قبل البعثة فقـد شهدوا لسوية محتده فى ماضى التاريخ فـانه بذاته الشريفة وسويته البشرية من قبل أن يكون نبيا جديرا بأن يكون هو وحده فى المجتمـع العربى الجاهلى القديم بأنه وحده (الأمين).

فهى شهادة عليهم وشهادة له بأن الوحـى اليه ليس بدعا من الأمر لأنه متصف بجليـل مكارم الأخلاق وأنه كذلك ثمرة لسوية من وراثة كامله الطهر والنقاء وقد خصها الله بجـوار بيته العتيق وحفظ بها أصول مكارم الاخلاق وبقية مما ترك آل ابراهيم واسماعيل من ملامح الحنفية الغراء .

كذلك يلحظ الدارسون فى هذا النسب سمو الخصائص النفسية والملكات الروحانية فقـد عرف عن سلسلة آباء محمد بن عبد الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنهم ــ :

ــ فى جوار البيت العتيق .

ــ وأنهم حافظوا عـلى ملة ابراهيـم واسماعيل .

ــ وانهم كانوا أهل رياسة وشرف ولواء .

ــ وانهم أهل المكرمات والنجدة والسخاء .

ــ وأنهم أهل العدل والانصاف .

فاذا ماحضر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ معهم حلف الفضول الذى انعقد لرد المظالم الى أهلها كان ذلك موحيا بأنه الأصلح لتحمل رسالة القيم العليا للبشرية ، واذا ما حكمـه أهله فى وضع الحجر الأسود يوم اقتتلوا عليه كان ذلك ارهاصا بقبول حكومته وعدله .

وهذا يشير الى أن استقرار الامور فى الدول لايتم الا اذا كانت الثقة مطلقة فى ولى أمـر المسلمين ولن يكون له تلك الثقة الا اذا كان على

مثل هذا المنوال السوى النقى الرضى .

ولقد شهد بهذا المستوى الأجل لسيدنا محمد ـ ﷺ ـ عظماء التاريخ القديم والحديث :

يقول هرقل لأبى سفيان قديما : سألتك عن نسبه ؟

فذكرت : أنه فيكم ذو نسب . وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها .

ويقول واحد من علماء البوذية :

انى لأجد فى رسول الاسلام خلالا وأخلاقا جمة وخصالا كثيرة لم أرها مجتمعة فى تاريخ العالم الانسانى لواحد فى آن واحد .

فقد كان ملكا دانت له أوطانه كلها يصرف الأمر فيها كيفما يشاء ، وهو مع ذلك متواضع فى نفسه يرى أنه لايملك من الأمر شيئا وأن الأمر كله بيد ربه .

وتراه فى غنى عظيم : تأتيه الابل موفورة بالخزائن الى عاصمته ، ويبقى هو مع ذلك محتاجا ولا يوقد فى بيت من بيوته نار لطعام طوال أيام كثيرة .

وتراه قائدا عظيما يقود الجند القليل العدد الضعيف العدد فيقاتل بهم ألوفا من الجند المدجج بالأسلحة الكاملة ثم يهزمهم شر هزيمة وتجده محبا للسلام مؤثرا الصلح ويوقع شروط المعاهدة على القرطاس بقلب مطمئن وجأش هادىء ، ومعه ألوف من أصحابه كل منهم شجاع باسل وصاحب حماسة وحمية تملأ جوانحه .

ونشاهد بطلا شجاعا يصمد وحده لآلاف من أعدائه غير مكترث بكثرتهم ، وهو مع ذلك رقيق القلب ، رحيم رءوف متعفف عن سفك قطرة دم .

وتراه مشغولا بجزيرة العرب كلها بينما هو لايفوته أمر من أمور بيته ، وأزواجه ، وأولاده ولا أمر من أمور الفقراء والمساكين ، ويهتم بأمر العالم كله .

وهو مع هذا متبتل الى الله منقطع عن الدنيا فهو فيها وليس فيها لأن قلبه لايتعلق الا بالله وبما يرضى الله (١) .

واذن فما ردده بعض المستشرقين وعلماء الفكر الغربى عكس هذه الحقيقة التاريخية انما هو محض هوى وافتراء شهوة ليس معها دليل .

لقد عثر « در منجم ، واخطأ ، جيبون ، وأسف مستر موبر ، وأفك مسيو ، جاستون » عندما راحوا يكيلون اتهامات شرعها لهم من قبل الأب « لامانس » ذلك المفترى على العلم والتاريخ ولا يستحى من تبجحه اذ يلقى القول على عواهنه دون احترام لقيم العلم والأخلاق التى يجب أن يتحلى بها الباحثون .

ولله رد المخلصين من علماء الغرب الذى فطنوا لحقيقة النبوة والاسلام فأعطوا الحقوق لأصحابها من أمثال : مسيو اتين دنييه ، وجارودى ، وموريس بوكاى واللورد هدلهى والقسيس الاندونيسى انطوانيس موقار .. الخ .

من أولئكم الذين بحثوا بحيدة صادقة فهداهم الله الى نور الحقيقة وصدق الله العظيم .

---

(١) الرسالة المحمدية ص ٨٧ ومابعدها .

« فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ » .

٢ ـ البيئة والرسالة :

ولد سيدنا محمد ـ ﷺ ـ ونشأ فى بيت بنى هاشم .

وهو بيت مشهور بالامتياز فى : الاعتدال والعدل ، ورجاحة العقل وعلو الهمة ، ومحبة رد المظالم الى أهلها ، والعطف على أبناء السابلة .

وكان فيهم : الحجابة والسقاية ، وعقد لواء الحرب ، وهم سادة العرب ، ورؤساء الشورى .

وكانت مكة تعج بالخليط من العبادات .

ـ لقد كان فيهم الحنفاء الذين استقاموا على الفطرة فلم يميلوا الى عبادة وثن أو صنم ولا أحبوا يهودية ، ومالوا الى نصرانية بل تركوا أنفسهم يوحدون الله على ملة باقية من أثر سيدنا ـ ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ـ .

وهؤلاء كان لهم ضوء نير مؤنس فى صحارى مكة وبطحاء العرب كلهما .

ـ وكان مع هؤلاء الحكماء الذين استشارهم الناس فى مدلهمات أمورهم فعرفوهم بمكارم الاخلاق وحسن المشورة وصدق سداد الرأى .

وكان هؤلاء الحكماء على شىء من الذمة فى مراعاة الاخلاق والقيم التى تؤهل الناس لاستقبال متمماتها من مكارم الأخلاق الاسلام .

وكان لهم ارهاص بظهور نبى فى العرب يهدى الى سواء السبيل .

ـ ومع الذين كانوا يتخذون من الأصنام زلفى الى الله نشأت فكرة البحث عن العدل فى الدين الحق المستقيم وكان من أثر هذه الفكرة ظهور عقلية علمية فى البحث المنصف .

فكان ورقة بن نوفل الذى راح يبحث مع جماعة مثله عن الدين الصحيح فتعلم العبرانية وقرأ التوراة والانجيل وكانا الى هذا الوقت بالعبرانية فى بلاد العرب فعرف منهما أن نبيا قد قرب زمانه فانتظر حتى ظهرت النبوة فى بيت بنى هاشم فتمنى أن يكون جذعا اذ يخرج القوم صاحب الرسالة سيدنا محمد ـ ﷺ ـ فهكذا قرأ ورقة فى مصادر الوحى الأولى .

ـ ومع هذه النزعات التعبدية كان فى القوم حرية تعبير تحميها دساتير الصحراء ، وتاريخ العروبة وطبيعة القوم ، وكل دعوة صادقة فى حاجة الى حرية التعبير القائم على البرهان الساطع ، والدليل المكين بعيدا عن الجدل والمراء والسفسطة .

ـ ولهذه الحرية امتازت الجزيرة العربية بحرية الحل والترحال ، والاتصال ، وكانت النجدة فيهم ثمرة من ثمار هذه الحرية لتأمين الطريق ، وغوث الملهوف فكانت فيهم همم عالية ، وأخلاق رفيعه .

وقد نشأ سيدنا محمد ـ ﷺ ـ فى هذه البيئة لا يؤثر فيها عليه مؤثر ، ولايربطه بها نظام مقيد فقد عاش يتيما فى عطف جده ثم انتقل الى كنف عمه أبى طالب : فكانت طفولته فى أحضان جده وللجد حنين ورقة على الحفيد تغذيها حنايا الحنين الى الولد الفقيد .

فقد ترعرع ـ ﷺ ـ محفوفا بعطف عطوف ندى رقيق ثم كبر يافعا فى كنف عم شهم معروف بالسيادة والكرم وقد حماه الله من

أن يشترك مع القوم فى شىء من عاداتهم التى لاتتفق مع رسالته فى المستقبل ولذا لم نشهد من القوم عليه الا ما سمعناه عن تشريفهم أنفسهم بأنهم لقبوه بالأمين فصدقوا أنفسهم بما علموا من أمره منذ صغره (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) فتلك رعاية الله لنبيه منذ كان فى بنى هاشم ٠

ثم لما اشتد - ﷺ - أعطى المثل فى العمل والكفاح ٠

لقد فتح باب الحركة بدل الجدل العقيم منذ رعى الغنم لأمه حليمه وهو ابن أربعة أعوام فلما كان شابا رعاها لقريش على قراريط ثم تاجر لسيدة قريش أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وأرضاها فكانت له بعد ذلك خير معين حتى جاءه الحق فأقسمت له انك لنبى هذه الأمة وصدقها ورقة ٠

وطلع محمد بن عبد الله - ﷺ - على الدنيا كلها بالرسالة التى كانت رحمة للعالمين ٠

٣ - فضائله على الانسانية :

الذين يقرأون تاريخ القرن السابع الميلادى يقفون على حقيقة مرة حيث يجدون الصراع المحتد بين الأمم ، والدول المستبدة على جاراتها بل وعلى شعوبها ، وتلك المؤسسات العسكرية والفلسفات الظالمة التى ألغت كرامة الانسان وحولته الى فرع من التجارة النافعة فكان الرق والاستعباد ، والافساد وتاه الطريق من أصحاب العقائد ، وبيعت الجنة بأوهام نفر لم يسعفه وحى ولا صحبه نبى ٠٠ فلم يعد :

- أمر العقيدة معروفا ٠
- ولا سبيل الأخلاق معهودا ٠
- و لاقيمة الانسان مفهومه ٠
- ولا للروح والمادة من آصرت معلومة ٠

فقد اختلطت الأمور وأظلمت الحياة ظلمة قاتمة حتى كان الوحى الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليقدم الفضائل الاسلامية الى البشرية كلها ، وكان فى مقدمة هذه الفضائل هذه المكرمات الانسانية ٠

العقيدة البسيطة الواضحة :

لقد عجب المجامع المسيحية بلغط باهظ الانفلات من دقة الوحى والنص المقدس فيما يتعلق بالعقيدة فتغالوا وقالوا كلاما لم يتفقوا عليه الى يومنا هذا فمن هو عيسى عندهم :

أهو ابن الله ٠
أهو بعض من الاله ٠
أهو ناسوتى أم لاهوتى
أله طبيعة أم طبيعتان ٠
أله مشيئة أم مشيئتان ٠
وكيف ولد ؟
آنبثق كالنور
أم خرج كالماء من الميزاب ٠
أم ولد كما يولد الأطفال جميعا ٠
وروح القدس كيف جاءت ؟؟
أمن الأب وحده أم من الابن مع الأب ٠٠ الخ ٠

قضايا كثيرة لاتقل عن فساد النقاش الذى أثاره بوذا مع التلاميذ فى محاوراته ، ولاتقل عن الطبقية الهندوسية التى جعلت من بعض البشر آلهة تعبد ومن بعضهم نجاسة تحرم ٠

فجاء محمد — ﷺ — وصحح هذا الركام بأسلوب سهل ومنطق بسيط قوى تقبله الفطرة

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » فأنهى الصراع فى هذه القضية وتقبل المنصفون الى يومنا هذا هذه العقيدة بعقل منصف وشعور مرهف وقلب مصدق •

وقد انصاع لهذه العقيدة فى العصر الحديث أفذاذ وكبار أمثال مسيو جارودى ، والرسام الفرنسى العالمى دنييه ، والصحفى الفرنسى جينو والصحفى النمساوى محمد أسد • (ليوبلد فاس) وصدق الله العظيم •

« لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ • رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً • فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ » البينة •

وكان الانبياء جميعا يبعثون الى أقوامهم خاصة حسب نصوص كتبهم المقدسة فـلم يبعث عيسى الا الى خراف بنى اسرائيل الضالة ومن قبل سيدنا يونس « وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ » •

الا أن محمدا — ﷺ — بعث كافة للناس بشيرا ونذيرا •• لأنه جاء ليصحح مسار اتباع الأنبياء الذين أفسدوا العقيدة الصافية التى بلغهما الرسل عن الحق فبدلها الاتباع بقصد أو بدون قصد •

ولقد ارتبطت هذه العقيدة بالرحمة فالله هو الرحمن الرحيم ومحمد — ﷺ — أرسله الله رحمة للعالمين فيقول الله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » الانبياء •

وهذه الأمة هى أمة الرحمة : الراحمون يرحمهم الرحمان •

وفى حديث آخر يقول النبى ﷺ لاتنزع الرحمة الا من قلب شقى ••

أما الأديان الأخرى فان الرحمة فيها تبدو خافتة فقد كانت كثرة القرابين الى (الفيدا) أو الأصنام ماهى الا محاولة لارضاء الآلهة الغضبى •

فتعاليم العقيدة الاسلامية أفاضت على البشرية بسمة الرحمة والعطف والحنان وأبعدت عنهم فكرة الغضب الالهى وعصمتهم من الوقوع فى لجاج وراثة المعصية •

— الأخلاق ••

لقد أنقذ سيدنا محمد — ﷺ — مجال الاخلاق من مهاترات الفلاسفة الى التخلق السلوكى العملى ، وربط القيم الأخلاقية بقيم العقيدة . وجعل ميزان الأخلاق هو سمو الطاعة لله تعالى :

(اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) حديث شريف •

لقد كان السفوسطائيون لا يؤمنون بحقيقة ثابتة فتفشى بهم انحلال وفوضى ضيعت القيم والأخلاق •

فلما جاء الفلاسفة من بعد أن اختلفوا فى موازين الأخلاق من عالم المثل الى عالم الوسط الذى لا ميزان له ولا رابط ولا معيار بدليل أن الفلاسفة خرجوا على أنفسهم يتهاجمون

فاستحكم الشجار بين اللذة والسعادة والمادية والروحانية واختلفت النظرة الى الباعث هل هو باعث ذاتى أو موضوعى أقصير أو طويل .. الخ .

فجاء سيدنا محمد ـ ﷺ ـ ونقل مجال الأخلاق من النظريات الفلسفية الى حقيقه التوجيه بالوحى المعصوم وأن ميزان العمل الصالح هو الايمان بالله والاخلاص فى العمل. **(قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ)** (البقرة) .

العلم :

وكان الجهل يسود الحياة فجاء محمد ـ ﷺ ـ وأعلن هل يستوى الظل والحرور ؟ هل يستوى الأحياء والأموات ؟ كذلك ..

« لَا يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » .

وجعل المنزلة العليا عند الله للمؤمنين والذين يعلمون « **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** » .

لقد أعلن سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك أن أكبر خطر على الأمة هو الجهل ولذلك كان أول ما نزل عليه (اقرأ) التى تفيد نقلة البشرية من الجهل الى العلم فأول العلم القراءة قبل الكتابة ، فالطفل يقرأ أولا ثم يكتب ثانيا .

وتلك آية اعجاز لسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

كرامة الانسان :

كان الفلاسفة يقررون أن الرق وضع فطرى وأنه من وجود طبقة من الرقيق للعمل الاقتصادى .

وكانت بعض الديانات والسياسات تقسم الناس الى طبقات كانت أوربا تقسمهم الى طبقة النبلاء والأمراء ، والقساوسة والى طبقة الجند والى طبقة الزراع والتجار ثم طبقة العبيد الأرقاء .

وكانت الهند تجعل طبقة للألوهية ، وأخرى للعسكر وثالثة للتجار ، ورابعة للمنبوذين الأنجاس .

وهكذا انحلت قيمة الانسان ، وفسدت معانى الكرامة الانسانية فجاء محمد صلى الله عليه وسلم وأخرج الناس من هذه الظلمات، وأعلن :

ـ « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى** » (الحجرات) .

ـ « **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** » (الاسراء) .

وكان هذا الاعلان فى وقت اشتدت فيه عداوة الكفار للمسلمين ، وراح الكفار يؤذون .. المسلمين بأنواع شتى من التعذيب .

ومع هذا فان محمدا ـ ﷺ ـ يعلن أن كرامة الانسان كله محفوظة لأنه خلق الله ولأن الأصل فى الخلقة واحد : من ذكر وأنثى، فمن غير محمد ﷺ كان يستطيع أن ينهى

حقارة الانسان التى لصقها الفلاسفة والساسة بالجنس البشرى ؟ .

انه يعلن : **فك رقبة :**

ويجعل من بيت مال الدولة جزءا لتحرير العبيد ويدعو بكل ثقة وقوة الى فك الأسير وعتق الرقبة .. ليحرر جزءا من البشرية بأسلوب لا يحدث خللا فى المجتمع ولا انتكاسة فى شريحة هذا الجزء من بنى البشر .

نبى الدنيا والآخرة :

تعبت البشرية من ارهاق التركيز من أجل الخلاص من الآلام لقد أرهقت الاديان الوضعية اتباعها فى متاهات «الزفانا» ، والولادة الثانية حتى انتهت بهم الجينية الى أن أفضل وسائل

السعادة هى الانتحار وكانت اليوجا العمل السلبى الذى يؤدى فيه صاحب عبادة « منترا » صلواته الخرافية ليسعد روحه بعيدا عن ضغط المادة .

ولقد كانت المسيحية مفرطة حيث ورثت البشرية ذنب آدم المزعوم وأفسد اليهود بماديتهم طعم الحياة حتى وقع الكاتبون فى خطأ علمى اتهموا اليهودية بالمادية المفرطة والمسيحية بالروحانية المفرطة مع أن الواقع الفعلى ليس كذلك لكلتا الديانتين .

وجاء الاسلام ليعلن :

ـ أن آدم تاب الى الله وقبل الله توبته فانتهت خرافة الخلاص والخطيئة الموروثة .

ـ وأن التوبة والاستغفار تكفر الذنوب :

« فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا » .. (نوح) .

ـ بل ان الاسلام ليعلن نداءه الخالد للذين اسرفوا على أنفسهم ليستغفروا ربهم : « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (الزمر) .

بل ان هذا النداء ليضعه الاسلام موضع التنفيذ فى سورة التوبة .

« لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » .

« وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » (التوبة).

فيخلص سيدنا محمد ـ ﷺ ـ البشرية من أرق الخطيئة ومن ثقل الاثم ، ولهذا فهو يدعو دائما الى التفاؤل ويكره الناس فى التشاؤم وكان دائما حريصا على أن ينهى أمته عن الطيرة وكان يعلمهم حب الفأل الحسن .

ومن أقواله المأثورة : « **بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا** » .

« **طوبى لمن كان مفتاحا للخير ومغلاقا للشر** ».

وبهذا يهيء سيدنا محمد ـ ﷺ ـ المسلم ليستقبل الحياة بالعمل الصالح الذى سيكون له من المستقبل البعيد مدخرا نفيسا فى يوم لا تنفع فيه شفاعة ولا يؤخذ من أحد عدل .

فيربط بذلك سيدنا محمد ـ ﷺ ـ بين طرفى الحياة التى يعيشها المسلم الحياة الدنيا : وهى حياة العمل الصالح وتقبل التكاليف الشرعية بقبول حسن .

وحياة الآخرة : حياة الجزاء والنعيم المقيم ويجعل من كلتا الحياتين رابطة فى ميثاق خالد أعلنه منذ العهد المكى : « قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (الانعام) .

اذن ليس هناك انفصام بين الحياة الدنيا ، والحياة الآخرة ولا هناك انفصال بين حياة الروح ومطالبها المادية فالكل عملة واحدة ذات وجهين هى الحياة الاسلامية فى صورتها الروحية والمادية ، وصورتها الدنيا ، وصورتها الأخروية .

انها الماضى المدخر للمستقبل المترقب الذى لا يغنى فيه والد عن ولده ولا مولود عن والده شيئا وذلك فضل جليل تقدره الانسانية الراقية فى التصور والتفكير لسيدنا محمد ـ ﷺ ـ الذى حماها من شرور الانفصام الشبكى بين الروح والمادة والدنيا والآخرة .

العمل لا المراد :

لقد تعبت صماخ أذن البشرية من هرطقات « أنطاكية » ونيقية ، وخلقدونية .. وبلغ الجدل مبلغا قريبا من الهزل أيهما أكبر الأب أو الابن ؟ أو بعبارة أخرى أيهما أولا : البيضة أم الفرخة .

والحضارات لا تقوم على النقاش والمراد والجدل بل تقوم على البناء والعمل والجد والنشاط .

وجاء سيدنا محمد ـ ﷺ ـ وقلب منهج القرن السابع فحرم المراد .. والجدل وجعله من صفات المنافقين ، وأكد أنه الداء الوبيل الذى يطيح بالأمم والحضارات وفاجأ البشرية بمنهج عملى :

ـ عملى فى منهج التفكير .

« قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ » .

وهذا التجرد عمل وجدان شاق ، وهو أصل للتحرر من الانانية ، والعرقية والعنصرية وأساس أصيل للموضوعية الصادقة .

ـ الهجرة عمل :

وأمر المسلمين بالهجرة الى الحبشة وهى حركة توسيع لرقعة انتشار الدعوة .

وراح يعرض نفسه على القبائل فى مواسم الحج .

كما سافر الى الطائف فى رحلة عمل شاقة .

ولم يكن لقاؤه بأهل يثرب فى لقاءات العقبة الا عملا سياسيا من الدرجة الرفيعة كان من أثره بناء الدولة الاسلامية أثر الهجرة الى طابة .

لقد ترك رسول الله ـ ﷺ ـ قريشا فى لججها ومرائها ، وأسئلتها وراح يعمل فوضع بذلك مبدءا أساسيا فى العمل الحضارى أن

الحضارة الجادة هى التى تقوم على العمل والبناء وليس الكلام والجدل والمراء •

ولذا حذر - ﷺ - من الغفلة والركود فقال - ﷺ - :

أخاف على أمتى من بعدى ثلاثة :

ضلالة الهوى

واتباع الشهوات فى البطون والفروج

والغفلة بعد المعرفة •

(رواه الطبرانى)

أخاف على أمتى ثلاثة :

زلة عالم

وجدال منافق بالقرآن

والتكذيب بالقدر

(رواه الطبرانى)

ولما أكثر نصارى نجران النقاش معه ﷺ أنهى الموقف بأسلوب علمى فقد دعاهم الى المباهلة وهى حركة اجتماع كل طرف مع عشيرته والتوجه الى الله أن يهلك الكاذب فخاف النصارى لأنهم يعلمون أنه حقا رسول الله الذى بشر به عيسى ابن مريم •

ولقد نشطت الحضارة الاسلامية يوم أن اتخذت من الاسلام أسلوب لنشر مبادئها وأخلاقياتها فلما ركنت وركدت وتحولت الى سفسطة وجدل : انماعت الأمة وضعفت وتمزقت •

ولن يصلح هذه الامة الا بعودتها الى مبادىء الاسلام التى جاء بها سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم فهو بعث رحمة الله الى العالمين •

•• حتى الحيوان •

ومن عظمة الحضارة التى بناها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنها شملت الحيوان الأعجم •

فقد أوصى - صلى الله عليه وسلم - بالذبيحة ألا ترى السكين وهى تشحذ وأن يريحها القصاب حين يذبحها يقول - ﷺ - :

واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته •

ويعلن - ﷺ - : ان امرأة دخلت النار لأنها حبست هرة لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض •

وأن رجلا غفر الله له لأنه سقى كلبا شربة ماء فهل فى تاريخ الحضارات كلها مثل هذا المستوى الرفيع من الرحمة التى شملت مع الانسان والحفاظ على كرامته الشفقة بالحيوان •

لئن كان فى العصر الحديث شىء من ذلك فانما هو فقط من تعاليم الاسلام التى جاء بها محمد - ﷺ - • ثم نقلها طول اليد عن تركات الاسلام الحنيف •

العدل فى الحرب :

كانت الحروب قديما وحديثا لا تعرف الا لغة التدمير والتخريب ولايدفع الى الحروب قديما أو حديثا الا التوسع السياسى أو لحل أزمة اقتصادية عن طريق الاستيلاء على أرض ذات كنوز أو ميناء على شاطىء نهر •

وفى سبيل ذلك تأخذ الحرب مداها ومجراها حتى يتحقق الهدف المنشود •

فلما جاء محمد ﷺ حدد استراتيجية الحرب •

ـ أنها فى الحفاظ على مبادىء الدولة وتعاليمها وأملاكها ورعاياها •

ـ وفى تأديب ناكثى العهود والمواثيق •

ـ وفى ضرب التجمع الذى يريد أن يعتدى •

ـ وفى الدفاع عند هجوم الأعداء وفى كل ذلك وضع تشريعا :

ـ لاتقتل امرأة ولا طفل ولا شيخ ولا راهب يعبد فى صومعته •

ـ ولايهلك حرث ولانسل •

ـ ولا يقتل أسير •

ـ ولا يرفض طالب أمان •

ولم يضع محمد ـ ﷺ ـ السيف لنشر العقيدة بل أنه أغمد السيف عند لظى الحرب لمن يريد أن يتعلم الاسلام •

« وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ » التوبة •

فالدائرة العسكرية محددة بالعمل العسكرى لا يتعدى ذلك الى آمن ولا مدنى ولا متعبد ولا حقل ولا مدرسة ولا تقوم حرب للثأر أو الانتقام أو الرغبة فى توسع سياسى بل لتلك الأهداف التى تحددت سابقا •

كما أوصى بالأسير خيرا حتى يفدى أو يمن عليه المسلمون بالفكاك •

ومنع استرقاق الأسير الا فى الحالات المماثلة فالمعاملة بالمثل تقتضيها ظروف كثيرة عندما تركب بعض الدول رأسها بالعناد والصلف •

والذين يشاهدون الحروب فى العصر الحديث حيث تقضى على الأخضر واليابس ولا تترك مدرسة ولا مصنعا ، ولا طفلا ولا شيخا •

يدرك المدى الذى قدمه سيدنا محمد رسول الله ﷺ من منحة رحيمة للبشرية وهو يحدد اطار الحرب من أجل السلام وفى الحديث الشريف •

(تألفوا الناس وتأنوهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم فما على الأرض من أهل بيت مدر ولا وبر الا تأتونى بهم مسلمين أحب الى من أن تأتونى بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم) •

(رواه ابن منده)

وآية الاعجاز فى ذلك أنه ﷺ استطاع أن يربى جيشا يطبق هذه التعاليم فى لحظة الحماس الدافق ؟

•• تكلم بعض قليل جدا من جوانب جمة وضخمة من المنح والفضائل التى قدمها سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى البشرية كافة : مسلمهم وغير مسلمهم على السواء لأنه بعث رحمة للعالمين •

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ••

دكتور / رءوف شلبى

خصائص أفضل الخلق وأشرفهم محمد سيد الأنام صلى الله عليه وسلم

خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا – صلى الله عليه وسلم – بخصائص وفيرة ، جعلته أفضل الخلق على الاطلاق ، وأرفع الناس درجة ، وأقربهم زلفى ، وأكرمهم منزلة عند من يعلم السر وأخفى . وفضله على خاصته وأحبابه . وأعلى فى الدارين مقامه حتى قرن اسمه باسمه ، وذلك وأيم الحق تشريف ليس فوقه زيادة لمستزيد .

وهاك من الدلائل اللائحة ما يشهد على ذلك :

(أ) أقسم الله بحياته – صلى الله عليه وسلم – فى قوله تعالى (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) (١) . والاقسام بحياته يدل على شرف حياته وعزته عند الله العزيز الحكيم

(ب) أوتى صلوات الله عليه الكتاب العزيز وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب وحفظ الله كتابه المنزل عليه من التبديل والتحريف . فقال جل شأنه : (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (٢) .

وقال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٣) .

فلم يستطع أحد تغيير حرف منه ، مع تضافر طوائف الملاحدة ومن نحا نحوهم على ابطاله أو افساده ، فلم يجدوا الى ذلك سبيلا .

أضف الى ذلك أن الله تعالى يسر حفظه لتعلميه . قال تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) (٤) . وما عرف ذلك لكتاب غيره ، وهو كتاب مشتمل على جميع ما اشتمل عليه التوراة والانجيل والزبور . وفضل بالمفصل والمثانى والسبع الطول .

أما المفصل فآخره (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

(١) سورة الحجر آية ٧٢ .
(٢) سورة فصلت آية ٤٢ .
(٣) سورة الحجر آية ٩ .
(٤) سورة القمر آية ١٧ .

للشيخ إبراهيم عطوة عوض

النَّاسِ) (١) . وأوله – على ما رجح النواوى – سورة الحجرات .

والمثانى هى فى الفاتحة ، كما جاء فى البخارى من حديث أبى هريرة .

وأما السبع الطول : فأولها البقرة وآخرها الأنفال ، وبراءة جميعا لأنها كسورة واحدة . ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة ، أو هى من البقرة الى الأعراف ، والسابعة سورة يونس.

(جـ) انقطع الكهنة عند مبعثه ، كما انقطع استراق السمع . وفى هذا قضاء على الدجل والشعوذة ، واماتة الشرك الخفى .

(د) حوت الكتب القديمة السالفة – من البشائر بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – مالا سبيل الى انكاره .

(هـ) أخبر الله جل شأنه أنه وملائكته يصلون على النبى . وأمر المؤمنين بالصلاة والتسليم عليه – وليس هناك شرف ورفعة فوق هذا ، فالعناية الأزلية القديمة أفاضت عليه الرحمة ، والملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم يلهجون بالاستغفار له . والمؤمنون يضرعون به الى الله العلى الكبير .

(و) أثنى الله تعالى على خلقه – صلى الله عليه وسلم – فقال سبحانه : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٢) وهذا غاية الثناء .

(ز) أخذ الله تعالى الميثاق على النبيين : آدم فمن بعده – أن يؤمنوا به وينصروه . قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ) (٣)

ففى هذه الآية من التنويه بسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – والتعظيم لقدره ماليس وراءه غاية .

(ح) تصرمت معجزة كل نبى وانقضت ، ومعجزة سيد الأولين والآخرين وهى – القرآن الكريم – باقية الى يوم الدين .

(ط) اختصه الله جل شأنه بخمس لم يعطهن أحد من خلقه ، تأمل ما رواه جابر عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :

« أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى : كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل حيث كان ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة » رواه البخارى .

(١) سورة الناس آية ١ .
(٢) سورة القلم آية ٤ .
(٣) سورة آل عمران آية ٨١ .

خصائص أفضل الخلق وأشرفهم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم

ومـن روايـة الامام أحمـد : « أعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتى — فهى لمـن لا يشرك بالله شيئا » .

وفى حديث مسلم : « أعطيت ستا بزيادة — أعطيت جوامع الكلم وختم بى النبيون » .

(ى) آتاه الله الكمال فى الخلق والخلق ، والأقوال والأعمال ، فجعله بالسكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم ، وكساه حسن القبول . فاستمال القلوب ، وانقادت النفوس لموافقته ،

وثبتت على محبته ومناصرته ، وأمده برجاحة العقل ، وصدق الفراسة ، ومنحه زهـدا فى الدنيا واعراضا عنها ، واكتفاء بالبلاغ عنها . وتواضعا للناس وهم لـه اتبـاع ، وخفض الجناح لهم وهو فيهم مطاع ، ووهبه الحـلم والوقار . فما هزه طيش ، ولا استفزه خرق . وأفاض عليه العلوم الجمة الباهرة ، والحكم البالغة . وجعله أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا ، وأوجزهم كلاما ، وأجزلهم ألفاظا .

— ما عاب قط انسانا ولا سب انسـانا . وكان — صلى الله عليه وسـلم — يقـول : « ان المـؤمن لا يكـون سـبابا ولا لعانا ولا طعانا » .

(ك) شريعتـه — صلى الله عليه وسلم — أكمل من جميع شرائع الأمم المتقدمة وأتمها احاطة بمصالح الدنيا والدين .

فقد كانت شريعة موسى على نبينا وعليـه أفضل الصلاة والسلام شريعة شدة وقهـر بسبب ما عليه الاسرائيليون من تمرد ومعصية بقتل أنفسهم أعنى قتل الذين عبدوا العجـل منهم ، وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات . وحرمت عليهم الغنائم ، وعجل لهم من العقوبات ما عجل . وحملوا من الآصار والأغلال ما لم يحمله غيرهم . وكـان موسى عليه السلام من أعظم خلق الله تعالى هيبة ووقارا — وأشدهم بأسا وغضـبا لله تعالى ، وبطشا بأعداء الله . وكان لا يستطاع النظر اليه ، ولم يسلم — مع ذلك — من أذى بنى اسرائيل .

أما عيسى عليه السلام فكـان فى مظهـر الجمال . وكانت شريعتـه فضلا واحسـانا ، لا يقاتل ولا يحارب . تأمل قول الانجيـل : (من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خـدك الأيسر ، ومن نازعك ثوبك فأعطه رداءك) .

وأما محمد — صلى الله عليه وسلم — فكان مظهر الكمال الجامع للقوة والعدل والشـدة فى اللـه ، واللين ، والـرأفة ، والرحمـة .

فشريعته أكمل الشرائع ، وأمته أكمل الأمم ، وأحوالهم ومقاماتهم أكمل الأحوال والمقامات .

ولذلك أتت شريعته بالعدل فرضـا ، وبالفضل نـدبا ، وبالشدة فى موضع الشدة ، وباللين فى موضع اللين : فتذكر تلك الشريعـة الظلم وتحرمه ، والعدل وتأمر به ، وتندب اليه .

تأمل قوله تعالى : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) (١) فهذا عدل .

(١، ٢، ٣) سورة الشورى آية ٤٠ .

وقوله تعالى : (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ (٢) فهذا فضل ·

وقوله تعالى : (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (٣)·

وهذا تقبيح للظلم وأهله ·

وقوله تعالى : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ) (٤) ·

وفى هذا ايجاب للعدل وتحريم للظلم ·

وقوله تعالى : (وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ) (٥) ·

وهذا ندب الى الفضل ·

حرمت الشريعة السمحة كل خبيث وضار ، وأحلت كل طيب ونافع ، فالتحريم على أمة محمد رحمة · وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة · تمشيا مع كل حال بما يناسبها · سنة الله فى خلقه — ولن تجد لسنة الله تبديلا قال تعالى : « فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ » (٦) ·

(ك) وهذه أمة محمد جعلها الله خير أمة أخرجت للناس · فكمل لهم من المحاسن ما فرقه فى الأمم · كما كمل لنبيهم الكريم من المحاسن ما فرقه فى الأنبياء قبله · وكما كمل فى كتابهم من المحاسن ما فرقه فى الكتب قبله ، فأتباع محمد هم المجتبون ·

قال تعالى : (هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (٧) ·

(م) لا تكد تخلو سورة من القرآن الكريم من ذكره صلوات الله عليه بتنويه أو تفضيل ·

ان الله سبحانه وتعالى أرسل محمدا رحمة للعالمين ، وبعثه داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا · وأنزل عليه الفرقان فيه تبيان كل شىء ترغيبا وتحذيرا ، وشرح له صدره ، ورفع له ذكره · وبذلك فضله على الانبياء والمرسلين تفضيلا ، وشرفه عليهم تشريفا ·

ولا يتسع المقام لاستقراء الآيات الدالة على مناقبه ومفاخره · فقد أفرد لذلك بعض المؤلفين المتقدمين والمتأخرين كتبا استوعبت جميع ما ورد فى القرآن من هذه الآيات · كالامام القاضى عياض فى كتابه — الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى — ، والامام الحافظ شهاب الدين القسطلانى فى كتابه — المواهب اللدنية للمنح المحمدية — واختصره العارف بالله يوسف بن اسماعيل النبهانى ·

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليما عدد ما وسعه علم الله العظيم ·

(٤ ، ٥) سورة النحل آية ١٢٦ ·
(٦) النساء ١٦٠ ·
(٧) سورة الحج آية ٧٨ ·

محمد النبى

صلى الله عليه وسلم

كيف واجه ضغائن اليهود فى المدينة بحزمه وحسن سياسته؟

لما أشرق الاسلام بنوره على جزيرة العرب، وبدأ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يدعو الى عقيدة التوحيد الخالص توقع المسلمون أن يكون اليهود « وقد كانوا يزعمون أنهم من ذرية اسرائيل وأتباع موسى عليه السلام » عونا لهم فى حرب الوثنية المخرفة وتدعيم عقيدة التوحيد خصوصا وأن لهم [illegible] بالكتب الالهية القديمة والف بأحاديث [illegible] السابقين .

وهذه المشاعر الطيبة من جانب المسلمين أسهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تتمشى مع الوحى النازل عليه يؤسسها ويؤكدها قول الله تعالى .

« وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ » (٢) .

وقوله جل شأنه :

« وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ » (٣) .

اليهود يخلفون حسن الظن بهم :

لكن لم تمض أيام على وصول رسول الله ﷺ وصحبه الى المدينة المنورة واختلاط المسلمين باليهود من سكانها حتى شرع أولئك اليهود يحرجون صدورهم ويعينون عليهم ، ولو أنهم اكتفوا بعدم اجابتهم دعوة الاسلام واصرارهم على ماهم عليه من الجحود ولم يزيدوا على ذلك لتركهم المسلمون وشأنهم دون أى مواجهة أو حرب ضدهم .

الا أنه خلال صدام الاسلام بالشرك فوجىء المسلمون بانضمام اليهود بعواطفهم وألسنتهم ودعاياتهم ضد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم وضد المسلمين ، فتنزل الوحى ينذر هؤلاء اليهود بسوء المنقلب ويذكرهم بما وقع للمشركين فى غزوة بدر وذلك فى قوله تعالى :

« قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى

---

(١) اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام .

(٢) سورة الرعد الآية ٤٣ .

(٣) سورة الرعد الآية ٣٦ .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ • قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » (١)

يهود بنى قينقاع يعتدون على عرض واحدة من المسلمين :

وفى فرحة المسلمين بغلبتهم على المشركين فى غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هجرية لم يستطع يهود بنى قينقاع وقد كانوا يقيمون فى المدينة أن يكتموا حقدهم على الاسلام وغيظهم من انتصار المسلمين فتعمدوا خدش عرض سيدة مسلمة كانت تحاول بيع شىء من حليها فى سوق اليهود لأنها لما قامت من السوق انكشفت سوءتها بفعل بائع الحلى نفسه دون أن تدرى أو تحس بفعله فأثار ذلك غضب رجل من المسلمين فقام لتوه بقتل ذلك اليهودى فشدت اليهود على المسلم فقتلوه وعندئذ وقعت الحرب بين المسلمين وهؤلاء اليهود من بنى قينقاع ففرض الرسول — صلى الله عليه وسلم — الحصار وأحكمه عليهم خمس عشرة ليلة حتى اضطروا الى التسليم فسمح لهم بالخروج من المدينة فرحلوا منها بعيدا الى أذرعات ببلاد الشام حيث هلك أكثرهم (٢) •

كعب بن الاشرف اليهودى يذهب الى مكة ويحرض المشركين بها على حرب المسلمين :

كان كعب بن الأشرف سيدا من سادات اليهود وأمه من بنى النضير أكله الحقد على المسلمين خصوصا بعد انتصارهم الكبير فى غزوة بدر فسافر من المدينة الى مكة يواسى مشركيها المهزومين ويحرضهم على ادراك ثأرهم من المسلمين بحرب يشنها المشركون على النبى — صلى الله عليه وسلم — والمسلمين ، ثم عاد الى المدينة سافر العداوة بعيد الجرأة حتى انه صاغ قصائد الغزل فى بعض نساء المسلمين ومما يؤسف له أن هذا اليهودى لما سئل بمكة من قبل أبى سفيان بن حرب أدين المشركين أحب الى الله أم دين محمد وأصحابه وأيهم أهدى فى رأيه وأقرب الى الحق أجابه بقوله (**أنتم أهدى منهم سبيلا**) •

فأنزل الله على رسوله قرآنا يفضحه وينعى عليه قوله الشائن وذلك فى قوله سبحانه

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا • أُولَٰئِكَ

(١) سورة آل عمران ١٢ — ١٣ •

(٢) كتاب موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية — السيرة النبوية المطهرة تأليف الدكتور احمد شلبى نشر مكتبة النهضة المصرية •

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا) (١) .

ولقد أهدر النبى ـ ﷺ ـ دمه وبقتله لـزم اليهود حدودهم بعض الوقت فلم يتجرأوا على المسلمين بالسب وظهر كأنهم لن يمالئوا على الله ورسوله مشركا أو عدوا لهم (٢) .

غدر يهود بنى النضير بعد غزوة أحد :

ذلك أن النبى ـ ﷺ ـ ذهب الى منازل بنى النضير ليستعين بهم فى دية قتيلين صرعهما أحد المسلمين بطريق الخطأ فلما فاوضهم رسول الله ـ ﷺ ـ أظهروا الرضا بمعونته فجلس الى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا لكنهم تآمروا عليه وكلفوا واحدا منهم يدعى عمرو بن جحاش بالقاء حجر الرحى عليه وحين أوشك اليهود على انفاذ مكيدتهم ألهم الله رسوله ـ ﷺ ـ بالخطر المدبر له فنهض سريعا من جوار البيت الذى اضطجع الى جداره وقفل راجعا من منازلهم ، ثم أرسل اليهم مـن يأمرهم بالخروج من المدينة ولما رفضوا فرض الحصار على مساكنهم وأمـر بتقطيع نخيلهم وكان ذلك سنة أربع للهجرة فوقـع الرعب فى قلوب اليهود وأعوانهم من المنافقين فوافقوا على الخروج من المدينة فأذن لهم رسول اللـــه ـ ﷺ ـ بالجلاء عن ديارهم ولهم ما حملت ابلهم من أموال ما عدا السلاح (٣) ، وفى هذه المعركة نزلت سورة الحشر بأكملها وفى صدرها ما يشير الى هذه المعركة قال تعالى :

(هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ • وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) (٤) .

كما فضح جل شأنه حلفـاء اليهود مـن المنافقين الذين حاولوا ممالأتهم لكنهم فشلوا جميعا وذلك فى قوله تعالى :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ • لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا

---

(١) سورة النساء ٥١ ـ ٥٢ .
(٢) كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى نشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد .
(٣) المرجع السابق وكذلك موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية السيرة النبوية المطرة للدكتور أحمد شلبى وكتاب نهاية الارب فى فنون الأدب ـ الجزء السابع عشر لشهاب الدين أحمد النويرى .
(٤) سورة الحشر ٢ ـ ٣ .

لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ) (١) .

اليهود يقومون بتأليب قبائل العرب مجتمعة على حرب المسلمين :

كان لغلبة المسلمين على المشركين وطردهم ليهود بنى قينقاع ويهود بنى النضير من المدينة أثر بالغ على باقى قبائل اليهود مما دفع نفرا من زعمائهم الى الكيد للمسلمين وتأليب قبائل العرب عليهم فذهب وفد منهم على رأسه حيى بن أخطب اليهودى الى قريش بمكة يستنفرونهم لحرب رسول الله ـ ﷺ ـ ثم توجه ذلك الوفد الى أعراب غطفان يؤلبون على حرب المسلمين ونتيجة لسعاية أولئك اليهود الدنيئة أقبلت جموع غفيرة من تلك القبائل وقد أربى عددها على عشرة آلاف مقاتل بغية استئصال المسلمين والقضاء عليهم .

فرأى رسول الله ﷺ أن أنجع وسيلة لصدهم هو حفر خندق حول المدينة وكان ذلك بعد مشورة من الصحابى النابه سلمان الفارسى رضى الله عنه .

وشارك صلوات الله وسلامه عليه صحابته فى العمل فيه رغم ما كانوا يعانونه من برد الشتاء وضائقة فى الأقوات فصمدوا لجيوش العرب حتى انكشفت عنهم تلك الغمة ورجع الاحزاب أدراجهم تجرجر أذيال الخيبة والهزيمة لانهم عجزوا عن اقتحام الخندق وخشوا ان طال حصارهم للمدينة أن تفاجئهم ريح عاصف أو سيل جارف فلا تجديهم خيامهم التى نصبوها قريبا من الخندق فتيلا (٢) وفى ذلك أشار القرآن الكريم الى تلك الغزوة بقوله تعالى :

(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا . مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا . لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) (٣) .

يهود بنى قريظة ينقضون معاهدتهم مع المسلمين خلال غزوة الاحزاب :

كان بين المسلمين وبين يهود بنى قريظة عهد ألا يعينوا على المسلمين خصما واستمروا فى وفائهم لذلك العهد حتى بعد مرابطة الاحزاب حول المدينة لكن لسوء طالعهم جاءهم حيى بن أخطب ذلك اليهودى الحاقد على الاسلام والمسلمين والذى أفلح فى تأليب قبائل العرب على المسلمين ، ومازال بنى قريظة يشجعهم ويزين لهم نقض عهدهم مع المسلمين حتى مزقوه وأعلنوا انضمامهم الى أحزاب

(١) سورة الحشر ١١ ـ ١٢ .
(٢) كتاب سيرة الرسول للدكتور محمد الطيب النجار مدير جامعة الأزهر السابق مكتبة الجامعة الازهرية .
(٣) سورة الاحزاب ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

المشركين وتأكد ذلك لسعد بن معاذ زعيم قبيلة الاوس من الانصار عندما جاءهم يستوثق من وفائهم فتبين له غدرهم مما أثار القلق فى نفوس المسلمين الا أن رسول الله — ﷺ — وهو الواثق بربه راح يثبتهم ويبشرهم بالنصر وانفراج تلك الغمة ويعلمهم من الدعاء ما يقوى به عزائمهم ، فعندما سألوه هل من شىء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال : (نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا) (١) .

ولما انفضت حشود الأحزاب من حول المدينة أصبح أولئك اليهود من بنى قريظة أشبه بالمجرم الذى ثبتت ادانته يرقب بوجه كالح قصاص العدالة فيه ، لذلك فان المسلمين لما أمرهم الرسول — ﷺ — بغزوهم احتشدوا سريعا حول حصونهم وحاصروهم خمسا وعشرين ليلة حتى أوشكت على السقوط وعندئذ رأوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ زعيم قبيلة الأوس من الانصار والسابق الاشارة اليه وقد كان حليفا لهم فى الجاهلية فرأى أن يقتل رجالهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم وأقر النبى ﷺ حكمه وتم تنفيذه فيهم جزاء خيانتهم وغدرهم (٢) .

يهود خيبر يعيدون الكرة فيتصلون بقبائل غطفان فى محاولة منهم لحرب المسلمين :

ما أن عاد المسلمون من غزوة الحديبية آخر السنة السادسة للهجرة حتى تكشف لهم ما بيت يهود خيبر من تواطؤ مع قبائل غطفان فتوجهوا سريعا فى المحرم من السنة السابقة الى خيبر لكسر شوكة أولئك اليهود وقبل ان ينضم اليهم أعراب غطفان فاحتمى أولئك اليهود بحصونهم المشيدة لكن المسلمين شنوا عليها هجماتهم فبدأت تتداعى تحت وطأتهم حصنا بعد حصن ولما أيقن اليهود بالهلكة ولم يروا محيصا من الاستسلام نزل كبيرهم وكان يدعى ابن أبى الحقيق وعرض الصلح على أن يجلوا من أرض خيبر ولهم ما حملت ركابهم وللمسلمين سائر ما بقى على ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئا (٣) .

ثم جاء باقى يهود خيبر تعرض على رسول الله — ﷺ أن يعاملهم بالنصف فى زراعه الأرض فوافقهم الا أنه لم يجعل ذلك على الابد خشية عبثهم بل قال لهم : (**أن شئنا أن** نخرجكم أخرجناكم) (٤) .

ولما ثبتت قبلهم بعض الجرائم فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخرجهم هم ويهود المناطق الأخرى وأجلاهم عنها بعد

---

(١) حديث حسن اخرجه الامام أحمد وابن ابى حاتم فى تفسيره من حديث أبى سعيد الخدرى .

(٢) كتاب سيرة الرسول للدكتور محمد الطيب النجار مدير جامعة الازهر السابق .

(٣) عن موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية السيرة النبوية العطرة للدكتور أحمد شلبى .

(٤) كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى .

ن دفع لهم قيمة نصيبهم من الثمر (١) •

وقد أشار القرآن الكريم الى هـــذا الجزاء العادل على أولئك اليهود نتيجة غدرهم وسوء طويتهم فى قوله تبارك وتعالى :

(وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا • وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) (٢) •

ماذا كان من يهود وادى القرى وفدك وتيماء :

دعا رسول الله ﷺ يهود وادى القرى الى الاسلام وأخبرهم أنهم ان أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله فلما رفضوا نشبت بينهم وبين المسلمين معركة محدودة انتهت بانكسار اليهود وسقوط الوادى عنوة فى يد المسلمين وتركهم المسلمون يعملون فى الأرض على نظام خيبر أى على نصف الثمر ونصف الارض وأما يهود فدك فانهم سارعوا يطلبون الأمان كما استسلم للمسلمين يهود تيماء فتركهم المسلمون على نظام خيبر السابق الاشارة اليه (٣) •

وهكذا انتهى تاريخ اليهود بطردهم من جزيرة العرب جزاء حقدهم على المسلمين وتظاهرهم مع الوثنية ضد الاسلام •

الأسباب التى دفعت اليهود الى معاداة الأسلام والمسلمين :

من المقطوع به أن اليهود كانوا على يقين بأن الله سيبعث فى آخر الزمان نبيا يقيم الله به الدين الصحيح ــ والعقيدة السليمة ، هذا النبى هو محمد ــ ﷺ ــ الذى بشرت به التوراة وحددت صفاته ومكان مبعثه فعن عطاء ابن يسار أنه قال (لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة فقال أجل والله انه الموصوف فى التوارة ببعض صفته فى القرآن) : (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وحرزا للأميين ، أنت عبدى ، ورسولى ، سميتك المتوكل ليس بفظ ، ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ، لن يقبضه الله

---

(١) عن موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية السيرة النبوية العطرة للدكتور احمد شلبى وكذلك كتاب الاموال لابى عبيد القاسم ابن سلام •

(٢) سورة الاحزاب ٢٦ ــ ٢٧ •

(٣) عن موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ــ السيرة النبوية العطرة للدكتور احمد شلبى •

حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ، ويفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما وقلوبا غلفا) [(١)] .

لقد كان اليهود يطمعون أن يكون هذا النبى الذى بشرت به التوراة من بينهم وكان بينهم وبين الأوس والخزرج فى الجاهلية صراع دائم فاذا ما خذلوا أمام عدوهم استفتحوا عليهم بهذا النبى الذى قرب وقت مبعثه ، ولما تعرض رسول الله — ﷺ — فى موسم الحج لنفر من أهل المدينة وكانوا من قبيلة الخزرج ودعاهم الى الاسلام ومعاونته فى تبليغ رسالة ربه قال بعضهم لبعض انه : للنبى الذى كانت تعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فآمنوا به وصدقوه .

أما أهل الكتاب من اليهود فقد كفروا به وهم على يقين برسالته حسدا من عند أنفسهم لأنه خرج من العرب أبناء اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ولم يخرج منهم وهم كما يقولون ذرية يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام .

وتحدثنا كتب التاريخ والسيرة النبوية أن الصحابى الجليل معاذ بن جبل وقد كان من أنصار المدينة قال لليهود : (يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقالوا : ما جاءنا بشىء نعرفه وما هو بالذى كنا نذكره لكم) [(٢)] وفى هذا يقول الله تعالى :

(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ • بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) [(٣)] .

ولقد زاد حقد اليهود حينما رأوا الاسلام ينمو نموا واسعا فى أقصر مدة عرفها تاريخ الأنبياء ، فاليهود يعرفون كيف تعثرت اليهودية

---

(١) صحيح البخارى .

(٢) موقف اليهود من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بحث للدكتور محمد حسين الذهبى ضمن كتاب محمد طبع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ربيع الاول سنة ١٣٩٢ هـ .

(٣) سورة البقرة ٨٩ — ٩٠ .

وجمدت على من يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام ، وكيف حوربت النصرانية حتى فقدت رجالها الاول وعلى رأسهم المسيح عليه السلام كما فقدت كتابها المقدس وهو انجيل المسيح فى زحمة الاضطهادات التى وقعت عليها [1] .

ولكن الاسلام كان شيئا غير ذلك فكتابه قرآن محفوظ ضمن الله صيانته وحفظه أبد الدهر الى يوم القيامة قال الله تعالى :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [2] .

وانتصار صاحب الرسالة محمد — ﷺ — بدأ يتحقق فى حياته وبعد سنين قليلة من بدء دعوته وبخاصة عندما تمت الهجرة الى المدينة فانطلق الاسلام شرقا وغربا وشمالا وجنوبا يقرع أسماع القبائل وظهر الطريق ممهدا للنجاح الكامل فدانت لسلطان الاسلام جزيرة العرب بأكملها ودخل أهلها فى دين الله أفواجا وما كان ذلك الا مقدمة للزحف السريع لدعوة الاسلام فى رحاب العالم الواسعة فاعتنقت الأمم والشعوب عقيدته وهذا ما تم فى عهد الخلفاء الراشدين من بعده [3] .

وبعد :

فهكذا كان موقف اليهود المكابرة والعناد والخصام والحرب من الاسلام ونبى الاسلام — صلى الله عليه وسلم — (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [4] .

(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [5] .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

---

(١) كتاب مقارنة الاديان — النصرانية — تاليف الدكتور أحمد شلبى .
(٢) سورة الحجر ٩ .
(٣) عن موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية — السيرة النبوية العطرة للدكتور أحمد شلبى .
(٤) سورة التوبة ٣٢ .
(٥) سورة يوسف ٢١ .

دراسة مفتوحة

حول رؤية النبى صلى الله عليه وسلم في اليقظة

كتب الأستاذ « حربى على عبد الكريم الجندى » الى المجلة بعنوان « لا يرى النبى – صلى الله عليه وسلم » فى اليقظة .

وانطلاقا من النفى الذى صدر به المقال كتب يقول :

.. « ان هذه المسألة من بدع علم الكلام التى لم يتكلم بها الصدر الأول من الأمة ، ولا من بعدهم من أعلام الأئمة ، ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد ، ولا يتعلق بها أمر من الأمور الدينية » .

نقول : هذا القول من السيد « الجندى – مذهب معروف فى الصد عن دراسة ما يجد من شئون على المسلمين ، وهو من جانب الدين غير صحيح ، والدين منه براء ، فليس اقحام السلف – رضوان الله عليهم – لمنع الدراسة مما يقره السلف رضوان الله عليهم ، ثم ان كثيرا من الأئمة الكبار تناولوا المسألة وكتبوا فيها (١) .

وكم من مسألة جدت ما كانت على عهد السلف الأول فتناولها العلماء يحلون حلالها ويحرمون حرامها والا فلم كان الاجتهاد ؟! .

أليس يتجه الى أمور جديدة تحل على المسلمين ويريدون بشأنها كلمة الدين ؟! .

ألم يأن الأوان لمواجهة الأمور مواجهة علمية دون اللجوء الى هذا الأسلوب ؟ .

ثم أورد سيادته خبرا يقول :

« أنا فى قبرى حى طرى ، من سلم على سلمت عليه » .

وأخذ فى مناقشة هذا الخبر ، والله أعلم به ، غير أن الذين كتبوا بمجلة الأزهر فى موضوع « أيرى النبى – صلى الله عليه وسلم – يقظة » لم يعتمدوا على هذا الخبر ، وانما اعتمدوا على حديث صحيح أورده الامام البخارى والامام مسلم والامام

---

(١) راجع المقالات بمجلة الازهر للشيخ سليمان امام الصغير بعدد رمضان ١٤٠٤ ص ١٤٣٩ وفى عدد ذى القعدة ١٤٠٤ ص ١٨٦٠ وفى عدد ذى الحجة ١٤٠٤ ص ٢٠٣٨ !

إعداد
التحرير بالمجلة

أبو داود ـ يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى » صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ثم خرج عن « الموضوع » ـ كما هى العادة ـ ليناقش موضوع زيارة مقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ثم قال ـ متفقا ـ مع الباحثين السابقين فى كونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيا حياة برزخية ـ وان اختلف معهم فى موضوع الرؤية فى اليقظة ... قال :

فرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد موته حى ، أكمل حياة يحياها انسان فى البرزخ ، ولكنها حياة خاصة لا تشبه حياة الدنيا ، ولعل مما يشير الى ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام . رواه أبو داود عن أبى هريرة واسناده حسن وهو مخرج فى الأحاديث الصحيحة ـ ٢٢٦٦ (١).

وعلى كل حال فان حقيقتها لا يدريها الا الله سبحانه وتعالى ، ولذلك فلا يجوز قياس الحياة البرزخية أو الحياة الأخروية على الحياة الدنيا ، كما لا يجوز أن تعطى واحدة منها أحكام الأخرى ، بل لكل منها شكل خاص وحكم معين ، ولا تتشابه الا فى الاسم ، أما الحقيقة فلا يعلمها الا الله تبارك وتعالى .

فأما بشأن موضوع الرؤية فى اليقظة ، وهو ما ينكره الكاتب فقد قال فيه الامام السيوطى فيما أورده الامام الشنقيطى ـ قال .

وممن حقق الصواب فى هذا المقام الجلال السيوطى وألف فيه رسالة سماها (تنوير الحلك فى امكان رؤية النبى والملك أطال فيها بذكر الأدلة والوقائع التى وقعت لأكابر السلف من ذلك .. وقال فى آخر الرسالة : فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم حى بجسده

وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء فى أقطار الأرض وفى الملكوت وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته ولم يتبدل منه شىء وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم . فاذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد اكرامه برؤيته رآه على

(١) التوسل للالبانى .

هيئته التى هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعى الى التخصيص برؤية المثال .. ثم قال : وهذا هو الحق عند العلامة المحقق شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمى .

واليك ما اختاره فى ذلك فى فتاويه الحديثية بلفظه قال جامعها — وسئل — نفع الله به — هل يمكن رؤية النبى — صلى الله عليه وسلم فى اليقظة ؟ فأجاب بقوله : أنكر ذلك جماعة وجوزه آخرون وهو الحق فقد أخبر بذلك من ولايتهم من الصالحين بل استدل بحديث البخارى (من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة) أى بعينى رأسه — وقيل بعين قلبه واحتمال ارادة القيامة بعيد من لفظ (اليقظة) على أنه لا فائدة فى التقييد حينئذ لأن أمته كلهم يرونه يوم القيامة من رآه فى المنام ومن لم يره فى المنام .

ويقول الشنقيطى : اذا علمت ما قررناه من امكان رؤيته — صلى الله عليه وسلم — فى اليقظة كرامة لبعض خواص أكابر الأولياء . اذ لم يرد شىء صحيح من الأدلة ينافى ذلك بل ظواهر الأحاديث تدل على جوازه ولا تمنع وقوعه كما تقدمت الاشارة اليه من كلام ابن حجر الهيثمى وغيره — فاعلم أن فائدة حصول ذلك انما تعود غالبا على الرائى فقط . ولا يجوز أن يثبت بها حكم شرعى كائنا ما كان ندبا كان أو غيره من سائر الأحكام الشرعية كما تعطيه قواعد الشرع المعلومة .. آ هـ زاد المسلم جـ ٣ ص ١٧٨ الى ص ١٩٠ .

وأمام النص الشريف : « فسيرانى فى اليقظة » .

يقول السيد « الجندى » :

وقال ابن أبو جمرة فى تعليقه على الأحاديث التى انتقاها من صحيح البخارى : هذا الحديث يدل على أنه ، من رآه — صلى الله عليه وسلم — فى النوم فسيراه فى اليقظة ، وهل هنا على عمومه فى حياته وبعد مماته ، أو هذا كان فى حياته ؟

وهل ذلك لكل من رآه مطلقا أو خاص بمن فيه الأهلية والاتباع لسنته عليه الصلاة والسلام ؟

ثم قال : اللفظ يعطى العموم ومن يدعى الخصوص فيه بغير مخصص منه — صلى الله عليه وسلم — فمتعسف أهـ كلام ابن أبى جمرة من الحاوى للسيوطى جـ ٢ .

فنقول : لقد ثبت التخصص فان قوله ﷺ خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه ، وان النبى ﷺ قال ذلك لأصحابه رضى الله عنهم ، لمن آمن به فى حياته ولم يره » .

وما ساقه دليلا على قوله لاحجة له فيه ، ثم هو مخصص بحال واحدة ، والحديث الشريف عام ، قال السيد « الجندى » :

ومما يؤيد هذا التخصص ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم بن كليب :

حدثنى أبى قال : قلت لابن عباس - رضى الله عنهم رأيت النبى - صلى الله عليه وسلم - فى المنام ٠ قال : صفه لى ، قال ذكرت الحسن بن على فشبهته به ٠ قال : قد رأيته وسنده جيد ٠

وواضح من الحديث أن والد عاصم - وهو كليب بن شهاب - رأى رسول الله - فى منامه فهل يعتبر تشبيهه - رسول الله ﷺ بالحسن بن على - رضى الله عنهما - رؤية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى اليقظة حتى يمكنه اعتبار ذلك تخصصا بالصحابة ؟ !!

ثم ليس من البحث العلمى استخدام أسلوب السب فيما نقله السيد الجندى حين كتب « ومن زعم من جهلة الصوفية ٠٠٠ الخ

فان القارىء يستطيع أن يعود الى أعداد مجلة الأزهر ليرى أكثر من عالم من كبار الأئمة قال بالرؤية فى اليقظة ونبرأ الى الله أن نقول عن أحدهم : انه جاهل ، أو أن نرميه بوصف باطل ٠

ثم بعد :

فليس من باب البحث العلمى الاقتصار على عالم بعينه أو عالمين فى مجال البحث العلمى ، فالعلم ميدان ٠

أهله وخبراؤه كثير وليس وقفا على عالم بعينه أو عالمين ٠

نسأل الله السلامة

اعداد التحرير بالمجلة

لا : بل يرى النبى صلى الله عليه وسلم

يقظة بعد وفاته

أقول : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيما روى البخارى ومسلم وأبو داود ٠

(من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى) ٠

كلمات هذا الحديث تدل بوضوح ودون لبس أو صرف لمعانيها الحقيقية على أن النبى – صلى الله عليه وسلم – يرى بعد وفاته وأن رؤيته يقظة ممكنة وليست مستحيلة يراه من هم أهل لذلك دون غيرهم كما بين ذلك بقوله – صلى الله عليه وسلم – (فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى) أى أثناء الرؤية فى الدنيا ٠

ولكن الذين استعصت عليهم الرؤيا مناما يرون أن الرؤيا لا تكون يقظة فى الدنيا لهم ولغيرهم ٠ وأنها فى الآخرة فقط ٠

وأدلتهم على ذلك أنهم بشر وأن الذين يقولون انا نرى النبى – صلى الله عليه وسلم مناما ويقظة هم أيضا من جملة البشر ،

ولا فضل لأحد ممن يدعون أنهم يرون النبى – صلى الله عليه وسلم – على أحد ممن لم يروه ، وقاسوا التقى بالغوى والصديق بالزنديق ، وأخذوا بأول الحديث (من رآنى فى المنام) وتركوا آخره (فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى) فصار الحديث على رأيهم – باعتبار أوله دون آخره – (من رآنى فى المنام) لا يفيد معنى يحسن السكوت عليه لأنك ان جعلت أول الحديث من قبيل المبتدأ فلابد للمبتدأ من خبر ولا خبر فى الكلام تتم به الفائدة ٠

وان جعلت أوله من قبيل الشرط والجزاء فقد وجد الشرط دون الجزاء وصار الكلام غير مفيد كذلك ٠

وان جعلت عجز الحديث متمما لأوله ليفيد فائدة يحسن السكوت عليها لئلا يكون الكلام لغو أفاد الحديث جواز رؤيته – صلى الله عليه وسلم يقظة بعد وفاته لأن

لفضيلة الشيخ
سليمان إمام الصغير

رؤيته — صلى الله عليه وسلم — يقظة مترتبة على رؤيته مناما ، وبذلك يسلم لنا دليلنا .

والحديث الشريف لموضع البحث والاستدلال يوضح أن رؤية اليقظة انما هي في الدنيا ، وأن الدنيا وقتها ومكانها الذى يستطيع الشيطان أن يلعب فيه لعبته ويقوم فيه بوظيفته فيتمثل بصورة من يستطيع أن يتمثل بصورته ، أما فى الآخرة فانه لا حول له فيها ولا طول وهو فيها سجين ومسئول مقهور ولا قدرة له على التمثيل بشىء ما .

والموقف فى الآخرة موقف جزاء وليس موقف اغراء وابتلاء وقصر رؤيته يقظة — صلى الله عليه وسلم — على الآخرة لا معنى له فكل الناس يرونه هناك لا فرق بين مؤمن وكافر ولا بين من رأوه فى الدنيا ، ومن لم يروه من أمته ومن غير أمته .

قال تعالى (**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**) . ١٤٣ من سورة البقرة .

وقال تعالى (**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا**) ٤١ من سورة النساء .

والقول بأن رؤيته — صلى الله عليه وسلم يقظة لاتكون الا فى الآخرة لا يصار اليه الا بدليل قطعى من الكتاب والسنة ، ولا دليل على ذلك من الكتاب والسنة .

وتخصيص رؤية اليقظة بالآخرة يأباها متن الحديث (**من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى**) **فانه** لا تخصيص فيه بجعل الرؤيا فى الآخرة فقط .

وليس فى نصوص السنة ما يساعد على تخصيص رؤية اليقظة بالآخرة دون سواها .

وبذلك يظل الحديث على اطلاقه من حيث أنه — صلى الله عليه وسلم — يراه يقظة بعد

◄

وفاته من هم أهل لرؤيته ممن شاء الله لهم ذلك دون غيرهم ، وقد ذكرت فيما كتبته فيما مضى أقوال السابقين وبينت ما رأيته صوابا حسب مطالعاتى واستقرائى لأحوال بعض من رأوه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مناما ويقظة ممن صانوا أنفسهم عن حب الظهور وعن لغو الحديث ومن رأوه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجة على من لم يروه ومن تعلموا وعلموا وتذوقوا طعم العلم حجة على من لم يعلم ولم يتذوقوا للعلم طعما .

قال تعالى (**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**) ٦٤ ، ٦٥ من سورة الكهف .

فهل عدم علم موسى عليه السلام ابتداء بما كان لدى الخضر على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام من علم آتاه الله اياه ينفى ما أجراه الله على يد الخضر عليه السلام من أمر السفينة والغلام والجدار ومن قوله لموسى عليه السلام ابتداء (**إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**) ٦٧ من سورة الكهف .

ليس عدم العلم بشىء ما ـ ماضيا كان أو مستقبلا ـ ينفى وجوده فى ذاته فعدم رؤية أناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى يقظة ـ لا يدل على أن غيرهم لم يروه أو أنه لا يرى .

قال تعالى (**فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**) ١٠ من سورة الطلاق .

والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب (١) .

سليمان امام الصغير

(١) وبعد : فان مجلة الازهر لاتزال ترحب بمن يتناول هذا الحديث الشريف تناولا موضوعيا .

ولكن مع التقدم العلمي فى كيمياء الدواء لم تعد حاجة ملحة للتداوى بالمواد المخـدرة المحرمة شرعـا لوجود البديل الكيمائى المباح .

حـكم المجالسـة للمدمنين

* **ما هو حكم الشخص الذى يرتاد أماكن تعاطى المخدرات بأنواعها ، رغم أنه لا يجارى المدمنين فى التعاطى ؟**

وقال الامام الأكبر :

ــ كرم الله الانسان ونأى به عن مواطن الريب والمهانة وامتـدح عبـاده الذين تجنبوا مجالس اللهو واللغو ، فقال سـبحانه : (**وَالَّـذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْـوِ مُعْرِضُـونَ**) ، وفى الحديث عن الرسول الأكرم صلوات الله وسـلامه عليـه : « استماع الملاهى معصية والجلوس عليها فسـق » .

وروى أبو داود فى سننه عن ابن عمر ــ رضى الله عنـه ــ قوله : (نهى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الجلوس علـى مائدة يشرب عليهـا الخمر) .

والمستفاد من هذه النصوص أنه يحرم مجالسة مقترفى المعـاصى أيا كان نوعها ، لأن فى مجالستهم اهدارا لحرمات الله ، ولأن مـن يجلس مع العصاة الذين يرتكبون المنكرات يتخلق بأخلاقهم السـيئة ويعتاد ما يفعلون من مآثم كشرب المسكرات والمخدرات ، كما يجرى على لسانه ما يتناقلونه من ساقط القول ، ومن أجل البعد بالمسلم عن الدنايا وعن ارتكاب الخطايا كان ارشاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين فى اختيار المجالس والجليس فى قولـه (انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسـك اما أن يحذيك (يعطيك) ، واما أن تبتاع منه واما أن تجـد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة) .

وفى هذا الحديث الشريف دعوة الى مجالسة الصـالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الاخلاق والورع والعلم ، وفيـه النهى عـن مجالسة أهل الشر والبدع والفجار الذين يجاهرون بارتكاب المنكرات وشرب المسكرات والمخدرات ، لأن القرين ينسب الى قرينه وجليسه ويرتفع به وينحدر وتهبط كرامتة بدناءة من يجالسهم .

لهذا فاننى أدعو المسلمين وبالذات الشـباب منهم الى الابتعاد من مجالس السوء وتعاطى المخدرات .

من علوم القرآن الكريم

الإعجاز

(٧)

للدكتور أحمد ابراهيم مهنا

ذكرنا ـ فيما سبق ـ أن القرآن الكريم لخص حياة الانسان فى هذه الدنيا فى آيات ثلاث هى قول الله تبارك وتعالى :

« هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا » .

« إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » (١) .

وقد أتبع ذلك بتلخيص حياته فى الآخرة ـ تبعا لشكره أو كفره ـ فى قول الله سبحانه :

« إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا . إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا » (٢) .

ولقد قضت رحمة الله ألا يحرم انسانا خلقه من رزقه فى هذه الدنيا كما قضت حكمته ألا يكره الناس على الايمان به ، ولو شاء لفعل ، وصدق سبحانه فى قوله للرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ :

« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » (٣) .

---

(١) سورة الانسان : الآيات ١ ـ ٣ .
(٢) سورة الانسان : الآيتان ٤ ، ٥
(٣) سورة يونس : الآية ٩٩ .

وهذا منتهى العدل ، فقد قال في كتابه :

« إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ » (١) .

وقال :

« تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ » (٢) .

والابتلاء يستلزم الاختيار وحرية الارادة ، ومن هنا كانت ارادة الانسان أساسا لعطاء الله له ، يقول جل شأنه :

« مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ » (٣) .

وغنى عن البيان أن ارادة الانسان تبدأ بتكليفه وتنتهى بموته ، وبالموت تنتهى دنياه ويطوى سجل أعماله ، وتبعا لما سجل له يكون مآله فى الآخرة .

والآخرة ـ فى اصطلاح القرآن الكريم ـ تقابل الدنيا :

ففى الدنيا عمل ولا حساب ، وفى الآخرة حساب ولا عمل .

والدنيا فانية وكل ما فيها هالك ، والآخرة باقية دائمة فاما نعيم دائم واما عذاب مقيم .

وقد عنى القرآن ببيان حقيقة الدنيا حتى لا يغتر الانسان بزخرفها ، نقرأ من ذلك قول الله سبحانه :

« إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (٤) .

وقوله جل شأنه :

« وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا » (٥) .

(١) سورة الانسان : الاية ٢ .
(٢) سورة الملك : الآيتان ١ ، ٢ .
(٣) سورة الشورى : الآية ٢٠ .
(٤) سورة يونس : الآية ٢٤ .
(٥) سورة الكهف : الآية ٤٥

وكما عنى ببيان حقيقتها ، عنى بالمقارنة بينها وبين الآخرة فى قول الله عز وجل :

« وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »(١)

يقول الامام ابن كثير فى تفسير هذه الآية :

« يقول الله تعالى مخبرا عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها وأنها لا دوام لها ، وغاية ما فيها لهو ولعب ، وان الدار الآخرة الحياة الدائمة الحق الذى لا زوال له ولا انقضاء بل مستمرة أبد الآباد » . أهـ .

ويبين الله فى كتابه أن الحياة الدائمة التى لا زوال لها ولا انقضاء ليست من لون واحد ، لأنها حصاد ما قدم الناس فى دنياهم ، وليسوا سواء ، فمنهم من أحسن ومنهم من أساء ، يقول سبحانه :

« اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ » (٢) .

والقرآن لا ينسب الآخرة الى من خسرها ولا يضيفها اليه ، وانما هى لمن عمل لها واستحق ثواب الله فيها ، يقول الحق سبحانه :

« تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » (٣) .

ويقول : « ... وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ » (٤) .

وبالرغم من أن ظاهرة الموت حقيقة لا يحوم حولها شك ، فان تعلق الانسان بالدنيا ورغبته فى التمتع بما فيها تنسيه ذلك ، ومن هنا كان تنبيه القرآن له فى قول الله تعالى :

« كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ »وقد تكرر ذلك فى أكثر من موضع (٥) .

وكان تأكيده على ذلك بعد أن ذكر تطور الانسان فى بطن أمه وخروجه الى الحياة — فى قوله جل شأنه :

« ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ » (٦) .

وفى خطابه للرسول صلوات الله وسلامه

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٤ .
(٢) سورة الحديد : الآية ٢٠ .
(٣) سورة القصص : الآية ٨٣ .
(٤) سورة الزخرف : الآية ٣٥ .
(٥) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ سورة الأنبياء : الآية ٣٥ سورة العنكبوت : الآية ٥٧
(٦)) سورة المؤمنون : الآية ١٥ .

عليه فى قوله عز وجل : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ » (١) .

وقوله :

« وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ . كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .. »(٢)

وكان تحذيره من أن يسرح بالانسان خياله فيظن أنه يستطيع الفرار من الموت وذلك فى قول الله سبحانه :

« أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ... » (٣) .

والموت سر من أسرار الله ، فليس هناك مخلوق يعلم — عن نفسه أو عن غيره — متى يموت أو كيف يموت أو أين يموت ، وصدق الله فى قوله :

« وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ... » (٤).

وفى قوله :

« ... وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ... » (٥) .

وبموت الانسان ينقطع عمله وتنتهى فترة ابتلائه ، وبانتهاء دنياه تبدأ آخرته فقد ورد أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم قال : « من مات فقد قامت قيامته » .

وقد يظن البعض أن الفترات الزمنية بين موت الانسان ويوم الجزاء وقت طويل ، فقد يكون ذلك فى حسابنا وتبعا لمقاييسنا فى الدنيا ، أما بعد الموت فالأمر مختلف ويوضح هذ قول الله تبارك وتعالى :

« وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ... » (٦) .

وقوله جل شأنه حكاية عن أصحاب الكهف عندما بعثهم :

« قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ... » (٧) .

مع أنهم :

« لَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا » (٨) .

والايمان باليوم الآخر عنصر من عناصر الايمان المطلوب فى الدنيا والمقبول عند الله ، ومن دراسة القرآن الكريم نستطيع أن نقول :

ان الايمان باليوم الآخر صنو للايمان بالله سبحانه وتعالى ، فلا نكاد نقرأ آية يذكر فيها الايمان بالله نفيا أو اثباتا الا ونجد الايمان باليوم الآخر مقرونا به ،

(١) سورة الزمر : الآية ٣٠ .
(٢) سورة الانبياء : الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .
(٣) سورة النساء : الآية ٧٨ .
(٤) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .
(٥) سورة لقمان : الآية ٣٤ .
(٦) الروم : الآية ٥٥ .
(٧) سورة الكهف : الآية ١٩ .
(٨) سورة الكهف : الآية ٢٥ .

اقرأ – ان شئت – قول الحق تبارك وتعالى :

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ » (١) .

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ... » (٢) .

« .. وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .. » (٣) .

« ... ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... » (٤) .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... » (٥) .

« وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ... » (٦) .

« وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ... » (٧) .

« ... فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... » (٨) .

« إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ... » (٩) .

« أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... » (٣) .

« قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ... » (٤) .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٨ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٦٢ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٣٢ .
(٥) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .
(٦) سورة النساء : الآية ٣٨ .
(٧) سورة النساء : الآية ٣٩ .
(٨) سورة النساء : الآية ٥٩ .
(٩) سورة التوبة : الآية ١٨
(١٠) سورة التوبة : الآية ١٩ .
١١ سورة التوبة : الآية ٢٩ .

« لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ .. (١)

« إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ... » (٢) .

« الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... (٣)

« لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... » (٤) .

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ .. » (٥) .

والنظر الفاحص يزيد صاحبه يقينا بأن الايمان باليوم الآخر لا يفترق عن الايمان بالله ، لأنه يؤكد حكمته ، وانه لم يخلقنا عبثا ، وأن عدله لابد أن يتحقق ، وقد أراد سبحانه ألا يكون فى الدنيا حساب ، ووضح هذا فى أكثر من آية فى القرآن الكريم ، يقول سبحانه :

« أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ » (٦) .

ويقول :

« وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ . أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ » (٧) .

ويقول جل شأنه :

« أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ .

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ » (٨) .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤٤ .
(٢) سورة التوبة : الآية ٤٥ .
(٤) سورة النور : الآية ٢ .
(٥) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .
(٦) سورة الأحزاب : الآية ٢١ .
(٧) سورة المؤمنون : الآيتان ١١٥ ، ١١٦ .
(٨) سورة ص : الايتان ٢٧ ، ٢٨ .
(٩) سورة الجاثية : الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

ويقول عز وجل : « أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » (١) .

هذه التفرقة بين المتقين والفجار – وهى لا تكون الا بعد الموت – تستلزم المبعث والاعادة الى الحياة ، وهذه قضية ضل بسببها كثير من الناس اذ أنكروا ذلك ورأوه شيئا بعيدا عن أن يتحقق ، وحكى القرآن قولهم .

« أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا » (٢) .

وقولهم :

« أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ » (٣)

وقولهم :

« أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ !!! » (٤) .

وكما حكى القرآن قولهم رد عليهم وناقشهم ولفت النظر الى أن الذى خلق بدءا لا يعجزه أن يعيد ما خلق لأن الاعادة أهون من البدء يقول سبحانه :

« وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (٥) .

وعندما جاء أحدهم بعظم رم وفتته بين أصابعه وقال لرسول الله – صلوات الله وسلامه عليه : هل يعيد ربك هذا . نزل الوحى بقوله تعالى :

« وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ » (٦) .

وردا على هؤلاء الذين قالوا :

« أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا » .

أوحى الله الى رسوله بقوله :

« قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا . أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... » (٧) .

وتعجبا من هؤلاء الذين يستبعدون البعث واحياء الموتى على من خلق العالم كله سمواته وأرضه نقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

(١) سورة القلم : الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) سورة الاسراء : الآية ٤٩ .
(٣) سورة ق : الآية ٣ .
(٤) سورة الصافات : الآيتان ١٦ ، ١٧ .
(٥) سورة الروم : الآية ٢٧ .
(٦) سورة يس : الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .
(٧) سورة الاسراء : الآيات ٤٩ – ٥١ .

« أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِىَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (١) .

وزيادة فى ايضاح القضية ينبه القرآن على أن احياء الموتى لا ينبغى أن يكون غريبا على من يرى الأرض الميتة يحييها الله فتهتز وتربو وتعطيه مما تنبت ما يقيم به حياته ، نقرأ فى ذلك قول الله جل شأنه :

« وَمِن آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْىِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (٢) .

وقوله سبحانه :

« وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ » (٣) .

ورحمة من الله بعباده وضع أمامهم حقيقة ما ينتظرهم من هول ليحصنوا أنفسهم قبل أن يفاجئهم فيقول عز وجل :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ » (٤) ..

ثم يناديهم جميعا ويقيم لهم الدليل على أن بعثهم حقيقة لا مراء فيها ، وما ينبغى أن يكونوا فى ريب من ذلك ، ويعدد لهم مظاهر قدرته فى أنفسهم وفى الأرض التى يعيشون عليها ، وكلها تؤكد ما أنذرهم به ، يقول سبحانه :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْىِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى الْقُبُورِ » (٥) .

الحديث موصول ..

---

(١) سورة الأحقاف : الآية ٣٣ .
(٢) سورة فصلت : الآية ٣٩ .
(٣) سورة يس : الآية ٣٣ .
(٤) سورة الحج : الآيتان ١ ، ٢ .
(٥) سورة الحج : الآيات ٥، ٧ .

الإسلام والمسلمون في الصين

كيف وصل الإسلام إلى الصين؟

للدكتور عبد الودود شلبي

٢

هناك مئات الكتب والمراجع التى كتبها رحالة ومؤرخون ، ورجال دين غير مسلمين حول هذا الموضوع .

وهناك سفراء ودبلوماسيون وقادة وفاتحون قدر لهم السفر الى الصين فى فترات متقطعة منذ عدة قرون ، وبالطبع فانه من المستحيل أن نلم بكل هذه الكتب والمراجع لنرى ماذا كتب فيها عن انتشار الاسلام والمسلمين فى الصين .

وقد أغنانا عن هـــذه المراجعة والتحقيق المرحوم « شكيب أرسلان » فى بحوثـــه وتعليقاته على كتاب «حاضر العالم الاسلامى» الذى كتبـــه المستشرق الامـــريكى « لوثروب ستودارد » LOTHROP STTODDARI

كما أن المستشرق البريطانى السير توماس أرنولد THOMAS ARMLOD . غطى ـــ فى كتابه « الدعوة الاسلام » هذا الموضوع تغطية كاملة تفى بالمراد من هذا البحث .

كما سيكون لرحالتنا الكبير « ابن بطوطة » دور كبير فى سياق الكتابة والعرض ، هـــذا بالاضافة الى مراجع أخرى سنشير اليها عند الحاجة من التفصيل والشرح .

ومن المصادفات العجيبة .. أننى فى الوقت الذى بدأت فيه كتابة هذا المقـــال (١) كانت الاذاعات الأجنبية تتحدث عن زلزال وقـــع فى منطقة الحدود الغربية الشمالية من الصين .

لقد وقر فى نفسى على الفور أن هذا الزلزال وقع فى المنطقة الاسلامية ، وبالذات فى مقاطعة « سنكيانج » التى قضينا فيهـــا ثلاثة الأيام ضيوفا على حاكمها المسلم اســـماعيل أمانى محمد ونائبه يوسف محمد .

ان ولاية ســـنكيانج تعادل مساحتها سدس مساحة الصين ، وسكانها جميعا من المسلمين ، ولا تزال الحروف العربية مستعملة فى لغـــة السكان المحلسن .

كيف وصل الاسلام الى هذه الآفاق البعيدة من الشرق ؟

بل كيف ارتفع صوت الأذان على قمم الجبال

---

١ ـــ وقع هذا الزلزال فى السابع من شهر ذى الحجة ١٤٠٥ هـ الموافق ٧ اغسطس ١٩٨٥ م .

فى « كانسو » و « سنيانج » ؟

يقول المرحول الإمير شكيب أرسلان : « ... والاسلام قديم بالهجرة فى بلاد الصين يذكر الصينيون أن أول ظهوره بين ظهرانيهم كان لعهد السلطان « تايتسونغ » وذلك فى القرن السابع للمسيح وأن أول داخل من المسلمين الى تلك الديار رجل من عصبة النبى يقال له ابن حمزة جلا الى الصين بثلاثة آلاف مهاجر ونزلوا فى « سنغان فو » وأنه جاء على أثرهم مسلمون آخرون من طريق البحر وأقاموا بجهات يونان .

ولم أجد الى الآن فى الكتب التى طالعتها من كتب العرب أثرا لقصة ابن حمزة هذا ولا مايوافقها وانما روى المسعودى فى تاريخه قصة تحكيها من بعض الوجوه نؤثرها بالاختصار :

وهى أن رجلا من قريش من ولد هبار ابن الاسود ، خرج الى مدينة سيراف ، وكان من أرباب ألبصيرة وذوى الاحوال الحسنة ، ثم ركب منها فى بعض مراكب بلاد الهند ، ولم يزل من مركب الى مركب ، ومن بلد الى بلد ، الى أن انتهى الى بلاد الصين الى مدينة « خانقو » ثم دعته همته الى أن سار الى ديار ملك الصين .

وكان الملك يومئذ بمدينةعمدان وهى من كبا

مدنهم فأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر أنه من أهل بيت نبوة العرب ، فأمر بعد هذه المدة الطويلة بانزاله فى بعض المساكن وازاحة العلة بما يحتاج اليه . وكتب الى الملك المقيم بخانقو يأمره بالبحث عنه ، ومساءلة التجار ، وعما يدعيه من قرابة نبى العرب « صلى الله عليه وسلم » فكتب صاحب خانقو

بصحة نسبه ، فأذن له بالوصول اليه ووصله بمال واسع وأعاده الى العراق .

ويظهر من كتب العرب أن أول صقع عرفوه من بلاد الصين هو كاشغر ، وذلك منذ سنة ست وتسعين الهجرة اذ غزاها قتيبة بن مسلم الباهلى فى خلافة الوليد بن عبد الملك الاموى .

قال ابن الاثير الجزرى فى تاريخه انه سار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلا على معبر النهر ليمنع من يرجع الا بجواز منه ، ومضى الى فرغانة وأرسل الى شعب « عصام » من يسهل الطريق الى كاشغر ، وهى أدنى مدائن الصين فغنم وسبى وأوغل حتى بلغ قرب الصين ، فكتب اليه ملك الصين أن ابعث الى رجلا شريفا يخبرنى عنكم وعن دينكم .

فانتخب قتيبة عشرة رجال لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح فأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشى وكان منهم هبيرة ابن مشمرج الكلابى فقال لهم اذا دخلتم عليه فأعلموه أنى قد حلفت أنى لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبى خراجهم .

فساروا وعليهم هبيرة فقال لهم ملك الصين قولوا لصاحبكم ينصرف فانى قد عرفت قلة أصحابه والا بعثت اليكم من يهلككم .

قالوا : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون ؛

وأما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فأكرمها القتل لسنا نكرهه ولا نخافه .

وقد حلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية .

فقال : فانا نخرجه من يمينه ونبعث تراب أرضنا فيطأه ونبعث اليه بعض أبنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها .. ثم أجازهم وبعث بما ذكر الى قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطىء التراب .

ولا شك أن الاسلام كان قد دخل فى البلاد منذ ذلك الوقت وكثرت أتباعه ومازالوا على نمو وازدياد يلحظ ذلك من تضاعيف الحوادث المذكورة فى تواريخ العرب فقد ذكر ابن الأثير أنه فى سنة أربع وستين ومائتين ظهر ببلاد الصين انسان لا يعرف جمع غمارا من العامة وأهل الشر وقصد بهم مدينة خانقو وحاصرها قال وهى حصينة ولها نهر عظيم وبها عالم كثير من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس وغيرهم من أهل الصين .

هذا فى القرن الثالث للهجرة وأما بعد ذلك فترى الأخبار عن مسلمى الصين كثيرة : نقل الامام أحمد القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندى وكان من السفار وممن جال الآفاق ودخل الصين وجاب آفاقه وجلس خلاله أنه قال أن من عجائب

ما رأى فى مملكة القان « أى الخان » أنه مع كفره فى رعاياه من المسلمين أمم كثيرة وهم عنده مكرمون محترمون ومتى قتل أحد الكفار مسلما قتل القاتل الكافر وأهل بيته ونهبت

أموالهم وان قتل مسلم كافرا لا يقتل به بل يطلب بديته ودية الكافر عندهم حما لا يطلب بغيره .

ولم يدخل الاسلام بيت الملك فى تلك البلاد الا ما كان ببلاد المغول فى ذرية جنكيزخان وفى « كاشغر » (١) .

ولا تختلف رواية سير « أرنولد » كثيرا عما كتبه الامير أرسلان الا أنها تزيدنا ايضاحا عن كثير من الأحداث التى مر بها الاسلام فى طريق رحلته الى الصين .

كما تؤكد — هذه الرواية — قوة الاسلام فى رسالتين بعث بهما الشاه « رخ بهادر » الى امبراطور الصين .

يقول توماس أرنولد : « فى القرن السادس الميلادى كانت بين الصين وبلاد العرب تجارة عامة عن طريق سيلان ، وفى بداية القرن السابع كانت التجارة بين الصين وبين فارس وبلاد العرب لا تزال واسعة الانتشار ، حيث كانت مدينة سيراف ، الواقعة على الخليج الفارسى ، هى السوق الرئيسية للتجار الصينيين .

وقد ورد ذكر العرب لاول مرة فى التواريخ الصينية فى ذلك الوقت الذى ابتدأ فيه حكم دولة تانج (٦١٨ — ٩٠٧ م) ، وتشير هذه التواريخ الى نشأة القوة الاسلامية فى «مدينا» كما تتحدث بايجاز عن التعاليم الدينية للعقيدة الجديدة .

---

١ — كاشغر — احدى الولايات الصينية .

أما تاريخ كوانجتنج KWAMGTUNG فيذكر قدوم اول من جاء من المسلمين الى الصين على النحو الآتى : « فى عهد دولة تانج » وفد على كنتن CANTON عدد كبير من الغرباء من مملكة أنام ANNAM وكمبوديا CAMBODIA ومدينا وبعض بلاد أخرى •

وكان هؤلاء الغرباء يعبدون الله ، وليس لهم فى معابدهم تمثال ولا صنم ولا صورة ، وكانت مملكة مدينا قريبة من مملكة الهند ، وفيها نشأت ديانة هؤلاء الغرباء التى تختلف عن ديانة بوذا •

وكانوا لا يطعمون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر ، ويعتبرون الذبائح التى لا يذبحونها بأيديهم طعاما نجسا ، ويطلق عليهم الآن اسم هوى هوى HUI -- HUI ••• ولما استأذنوا الامبراطور وحصلوا منه على اذن بالاقامة فى كنتن ، بنوا دورا جميلة من طراز يختلف عن ذلك الذى كان فى بلادنا •

وكان من الشائع بين مسلمى الصين أن أول من دعا الى الاسلام فى بلادهم أحد أخوال النبى ، وكانوا يعظمون قبره المشهور فى كنتن (١) ، الا أنه لا يوجد لهذه الاسطورة أى سند تاريخى ويظهر أنها نبتت فى زمن متأخر ، ولا شك أن ظهورها كان نتيجة لرغبتهم فى أن يربطوا تاريخ الدين فى بلادهم ، ما أمكنهم ، بعصر النبوة ـــ ذلك الذى كان مصدرا خصبا للأساطير فى البلاد النائية عن مراكز التاريخ الاسلامى أما فيما يتعلق بوجود مسلمين فى الصين ، وعلى الأخص وجود تجار منهم فى الموانىء ، فى عهد دولة «تانج» ، فهناك الدليل الواضح على ذلك •

اذ يقول المؤرخ الصينى لهذه الفترة (٧١٣ ـــ ٧٤٢ م) ان برابرة الغرب دخلوا المملكة الوسطى جماعات ، كالطوفان ، جاءت من مسافة تبعد ألف فرسخ على الاقل وأتت من أكثر من مائة مملكة تحمل معها كتبها المقدسة كأنها الجزية فأخذت هذه الكتب ووضعت فى بهو فى القصر الامبراطورى ، خصص لترجمات الكتب المقدسة والكتب القانونية •

وقد تمخضت فتوح المغول عن حركة هجرة واسعة النطاق هاجر فيها المسلمون على اختلاف قومياتهم من عرب وفرس وأتراك وغيرهم الى الامبراطورية الصينية •• فجاء بعضهم الى الصين تجارا أو صناعا وجنودا ـــ أو مستعمرين وجىء بآخرين أسرى حرب • واستقر عدد كبير منهم فى هذه البلاد بصفة دائمة ، وتطوروا الى طائفة كبيرة مزدهرة ،

وقد تقلد عدة مسلمين مناصب رفيعة تحت امرة حكام المغول• مثال ذلك ، عبدالرحمن الذى أختير سنة ١٢٤٤ رئيسا على بيت مال الدولة ، وخول حق تقدير الضرائب المفروضة على الصين •

وكذلك عمر شمس الدين المشهور بالسيد الاجل وكان من أهالى بخارى، عهد اليه قوبيلاى خان ، عندما اعتلى العرش سنة ١٢٥٩ ، فى ادارة بيت مال الامبراطورية ، ثم أصبح حاكما ليونان YUNNAN ، بعد أن فتحت هذه الولاية وضمت الى الامبراطورية الصينية، ومات السيد

١ ـــ اسمه سعد بن أبى وقاص وقد حققنا هذه القصة حين زيارتنا الى قبره هناك ، ونفينا أن يكون هو سعد ابن أبى وقاص •

الأجل فى سنة ١٢٧٠ وترك بعد وفاته شهرة بأنه كان حاكما فطنا عادلا ، اذ بنى فى مدينة يونان معابد لأتباع كنفشيوس بقدر ما بنى فيها من المساجد •

وقد مثلت ذرية السيد الأجل دورا هاما فى توطيد دعائم الاسلام فى الصين فكان حفيده الذى حصل من الامبراطور فى سنة ١٣٣٥ على الاعتراف بأن الاسلام «هو الدين الحق الخالص» — وهو اسم ظل الاسلام يحمله حتى يومنا هذا — وأذن الامبراطور فى سنة ١٤٢٠ لشخص آخر من سلالة السيد الأجل بأن يبنى مساجد فى العاصمتين ، ستيا نفو SI - NGAN - FO ونانكن NAN - KIN •

وقد اتخذ مؤرخو الصين ، فى عهد قوبيلاى خان ، من عدم تعيينه موظفين من الصينيين بدلا من الترك والفرس ذريعة للشكوى من هذا الملك • وانجذب أمثال هؤلاء الترك والفرس الى شمال الصين ، لما كان يشغله السيد الأجل من مكان رفيع ، ولما أوجدته فتوح المغول من تيسير فى الصلة بين الصين والغرب •

ومن المحتمل أن تكون هذه الجماعات الاسلامية المتفرقة التى تكاثرت فى معظم ولايات الصين بنسبة كبيرة ، قد أخذت تتكون نتيجة لهذه الهجرات • وقد لاحظ ماركوبولو MARCO POLO الذى تمتع بعطف قوبيلاى خان ، وعاش فى الصين من سنة ١٢٧٥ الى سنة ١٢٩٢ وجود مسلمين من جهات شتى من يونان •

ويقول مؤرخ معاصر لماركوبولو ، انه فى بدايه القرن الرابع الميلادى ، كان جميع سكان تاليفو TALIFV حاضرة يونان من المسلمين •

ويظهر أن المسلمين فى الصين كانوا حتى ذلك العصر يعدون طائفة أجنبية ، ولكنهم بعد زوال دولة المغول فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى ، لم يلقوا زيادة جديدة من الخارج نتيجة لسياسة العزلة التى اتخذتها حينذاك الحكومة الصينية •

ولما كان الأمر على هذا النحو ، من انقطاع الصلة بينهم وبين اخوانهم فى الدين الذين يقيمون فى أقطار أخرى ، أخذوا فى معظم بقاع الامبراطورية يتحولون شيئا فشيئا الى الاندماج فى العامة من أهالى البلاد ، وذلك بالزواج من نساء صينيات ، وتعود عادات أهل الصين وأخلاقهم •

وقدم اليهم مؤسس دولة منج MING الجديدة ، وهو الامبراطور هنج وو HUNG WU كثيرا من الامتيازات •

وتدل كثرة المساجد التى بنيت على انتعاشهم خلال الفترة التى قضتها هذه الدولة فى الحكم (١٣٦٨ — ١٦٤٤ م) •

وقد نمى ملوك هذه الدولة صلاتهم الودية بأمراء المسلمين الذين كانوا يقيمون على حدود الصين الغربية كما أكثروا من تبادل السفراء مع الامراء التيموريين ويعتبر أحد هؤلاء ذا أهمية فى تاريخ نشر الدعوة الاسلامية ، وهذا هو الشاه رخ بهادر ، الذى انتهز سنة ١٤١٢ فرصة قدوم سفير صينى الى قصره فى سمرقند وضمن رده على الامبراطور الصينى دعوة الى الاسلام ، وذلك بأن أرسل مع رسوله ، الذى

صحب السفراء الصينيين فى عودتهم رسالتين ، كانت أولاهما باللغة العربية ، ، وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ٠٠ لا اله الا الله محمد رسول الله ٠

قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله ، لا ينصر من خذلهم ولا يطاع من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك ٠ لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم وذريته ٠

قال : كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف ، فعلم أن حكمته جلت قدرته ، وعلت كلمته ، من خلق نوع الانسان ، ايثار العرفان ، واعلاء أعلام الهدى والايمان وأرسله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، ليعلم الشرائع والأحكام ، وسنن الحلال والحرام ٠

وأعطاه القرآن المجيد معجزة ، ليفحم به المنكرين ، ويقطع لسانهم عند المنازعة والخصام وأبقى بعنايته الكاملة ، وهدايته الشاملة ، آثاره الى يوم القيامة ، ونصب بقدرته فى كل حين وزمان ، وفرصة وأوان ، فى أقطار العالمين من الشرق والغرب والصين ذا قدرة وامكان ،

وصاحب جنود مجنده وسلطان ، ليروج أسواق العدل والاحسان ويبسط على رءوس الخلائق أجنحة الامن والأمان ، ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر والطغيان ٠ ويرفع بينهم أعلام الشريعة الغراء ، وأزاح من بينهم الشرك والكفر بالتوحيد فى الملة الزهراء ٠ فوفقنا الله تعالى بسوابق لطفه ، ولو احق فضله ، أن نسعى فى اقامة قوانين الشريعة الطاهرة ، وادامة قواعد الطريقة الزاهرة ٠

وأمرنا بحمد الله أن نفصل : بين الخلائق والرعايا ، فى الوقائع والقضايا ، بالشريعة النبوية ، والاحكام المصطفوية ، ونبنى فى كل ناحية : المساجد والمدارس ، ونعمر الخوانق والصوامع والمعابد ، كى لا يندرس أعلام العلوم ومعالمها ، وينطمس آثار الشريعة ومراسمها ، لأن بقاء الدنيا الدنية وسلطنتها واستدامة آثار الحكومة وايالتها باعانة الحق والصواب واماطة أذى الشرك والكفر عن وجه الارض ، لتوقع الخير والثواب ٠

فالمرجو والمأمول من ذلك الجانب وأركان دولته ، أن يوافقونا فى الأمور المذكورة ويشاركونا فى تشييد قواعد الشريعة المعمورة »٠

أما الرسالة الأخرى التى كتبت بالفارسية فالدعوة فيها الى اعتقاد الاسلام أكثر صراحة وليس فيها التنميق البلاغى الذى رأيناه فى الرسالة العربية :

« لما خلق الله الأعظم ، بحكمته البالغة وقدرته الكاملة ، آدم (عليه السلام) جعل بعض أبنائه أنبياء ورسلا ٠ وأرسلهم الى الخلق يدعونهم الى الحق وأنزل على بعض هؤلاء الانبياء كابراهيم وموسى وداود ومحمد (عليهم الصلاة والسلام) ـ كتابا ، وعلمهم شريعة ٠

وأمر أهل زمانهم أن يتبعوا شريعة كل منهم ودينه ، ودعا هؤلاء الرسل جميعا الناس الى دين التوحيد وعبادة الله ، ونهوا عن عبادة الشمس والقمر والنجوم ، والملوك والاصنام ، ومع أن كلا من هؤلاء الرسل كانت له شريعة خاصة ، فانهم كانوا جميعا متفقين على توحيد

الله الأعظم ، ولما صار أمر الرسالة والنبوة الى محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) نسخت كل الشرائع الأخرى . وهو نبى آخر الزمان ورسوله ، وواجب على العالم بأسره . أمراء وسلاطين ووزراء وأغنياء وفقراء وصغارا وكبارا — أن يعملوا بشريعته ، وأن يتركوا كل الملل والشرائع السابقة .

هذه العقيدة الصادقة الصحيحة تسمى الاسلام . ومنذ سنوات خلت ، تهيأ جنكيزخان للقتال ، وأرسل أبناءه الى بلاد وممالك مختلفة — فأرسل جوجى خان الى حدود سراى ، وقرم ودشت قفجاق ، حيث أسلم بعض الشاهات ، من أمثال أوزبك وجانى خان وأرس خان ، وعملوا بشريعة محمد (عليه الصلاة والسلام) وأصبحوا بذلك مسلمين وانتقلوا الى الدار الآخرة سعداء بشرف الاسلام .

ومن هؤلاء الملك الصادق غازان وألجايتوا سلطان والشاه سعيد الحظ أبو سعيد بهادر — وغيرهم بعدهم حتى ولى العرش والدى المكرم أمير تيمور كوركان .

وقد عمل والدى كذلك بشريعة محمد (عليه الصلاة والسلام) فى كل البلاد التى حكمها ، ونعم المسلمون ، طوال عهده ، برخاء شامل .

والآن وقد انتقلت الى يدى ، بلطف الله وفضله ممالك خراسان وما وراء النهر والعراق وغيرها وغيرها ، فان حكم البلاد فى كافة أرجاء المملكة بموجب الشريعة المطهرة النبوية ، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر . وأبطل يرغو وزالت قواعد جنكيزخان .

ومنذ ذلك الحين صار يقينا ومحققا أن الخلاص والنجاة فى يوم القيامة ، والسلطان والدولة فى الدنيا ، سببها ايمان الفرد واسلامه وعناية الله تعالى ، ومن الواجب علينا أن نعامل رعيتنا بعدل وانصاف .. وانى لأرجو بفضل الله تعالى وكرمه أن تعملوا أنتم أيضا بشريعة محمد رسول الله (عليه الصلاة والسلام) ، وأن تقووا الاسلام فتنالوا بدلا من سلطان الدنيا سلطان الآخرة » .

* *

وليس ببعيد أن تكون هاتان الرسالتان قد خلقتا القصة ، التى نشأت فى عصر متأخر ، والتى روت أن أحد أباطرة الصين قد تحول الى الاسلام .

وقد روى هذه القصة ، مع غيرها من القصص تاجر مسلم يدعى سيد على أكبر ، قضى سنوات قليلة فى بكين ، فى نهاية القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، ويتحدث

عن عدد كبير من المسلمين الذين كانوا قد استقروا فى الصين ، فكان فى مدينة كنجنفو KENJANVF عدد كبير يبلغ ثلاثين ألف أسرة من المسلمين ، فلم يؤدوا الضرائب ، وتمتعوا بكرم الامبراطور الذى منحهم هبات من الأرض ونعموا بالحرية المطلقة فى اقامة شعائر دينهم الذى كان الصينيون ينظرون اليه نظرة احترام وتقدير ، وترك أمر التحول الى الاسلام حرا .

وكان فى العاصمة نفسها أربعة مساجد كبيرة وما يقرب من تسعين مسجدا غيرها فى الولايات

الأخرى من الامبراطورية ، وقد بنيت كلها على نفقة الامبراطور (١) •

وفى هاتين الرسالتين اللتين ذكرهما توماس أرنولد دليل على مدى ما وصل اليه الاسلام فى الصين وبلاد ما وراء النهرين ، وفى هاتين الرسالتين أيضا ألف آية وعلامة على هيبة الاسلام ونفوذه فى أنفس الحكام والمؤمنين •• على أنه بالرغم من هذا كله •• فان « ريح الاسلام » لم تكن كلها رخاء •• بل تعرض الاسلام والمسلمون — فى فترات متقطعة — للاضطهاد والكبت ، ولعبت الفتن دورها فى افساد العلاقة بين المسلمين وأباطرة الشعب ، كما حدثت ثورات محدودة أوقفها الاتزان والعقل •

غير أن هذه النكسات الطارئة لم تحل بين الاسلام وتغلغله فى كل صقع من أصقاع الصين

وليس — من المحتمل (٢) — أن يكون مسلمو الصين الذين نعموا بالحرية الدينية ، وبحماية

بعض الأباطرة قد تجردوا من نشر تعاليم الاسلام •

بل اننا نجد فى عهد الامبراطور كين لنج KIEN LUNG دلائل واضحة على عطفه

على المسلمين وذلك بأن رفع شأن اثنين من بيكوات الأتراك كانا قد ساعدا مساعدة فعالة

على اخماد ثورة فى الشمال الغربى من الامبراطورية ، وفى كاشغر ، كما أظهر عطفه ببناء قصورهم فى بكين ، وكذلك شيد مسجدا ليصلى فيه بيكوات الأتراك الذين يزورون

القصر الامبراطورى ، وليصلى فيه أسرى الحرب الذين جىء بهم من كاشغر الى العاصمة وكان بين هؤلاء الأسرى فتاة جميلة أصبحت جارية للامبراطور ، ونالت حظوة عنده •

ويقال انه فى سبيل حبها بنى هذا المسجد تجاه قصره مباشرة ، كما بنى قبة فى فناء قصره ، فتمكنت الجارية من أن تشاهد منها

أبناء وطنها وهم يصلون ، وأن تشاركهم فى عبادتهم • وقد بنى هذا المسجد من سنة ١٧٦٣ الى سنة ١٧٦٤ ، وهو يحتوى على نقش مكتوب بأربع لغات ، كتب الامبراطور نفسه النص الصينى من هذا النقش •

وبعد أن قمع الثورة فى زنجاريا ZUNGARIA نقل اليها هذا الامبراطور نفسه فى سنة ١٧٧٠ عشرة آلاف مهاجر عسكرى من جهات أخرى من الصين ، وتبعتهم أسرهم وغيرهم من الناس ليعمروا البلاد ، ويقال أنهم جميعا أدخلوا فى

دين المسلمين الذين كانوا يقيمون فيما حولهم على أنه ليس لدينا ما نذكره عن مثل هذا التحول الاجتماعى الى الاسلام ، هل حدث أيضا فى بقاع أخرى من الامبراطورية ؟ ولكنه من العسير

— وان كان عدد السكان فى تلك الولايات التى استقر فيها المسلمون الغرباء أكبر منه فى سائر الولايات — ان نفسر وجود عدد كبير من الأهالى المسلمين فى كل ولاية من ولايات الصين بأنه انما يرجع الى الهجرات الأجنبية ونمو السكان نموا طبيعيا •

وفى أثناء المجاعة التى خربت ولاية تشنتنج

---

١ — الدعوة الاسلام • سير توماس أرنولد ص ٣٣٠ وما بعدها •

٢ — المصدر السابق ص ٣٤١ •

CHANTONG اشترى المسلمون ما يربو على عشرة آلاف من هؤلاء الاطفـــال •• وتزوج المسلمون بالصينيات واشتروا لهن الـدور ، وأقاموا فى المدينة أحياء مستقلة ، بل قـــرى بأكملها ، وحصلوا شيئا فشيئا على مثل هـذا النفوذ فى جهات عدة ، حتى أنهم لم يتيحـوا لأى شخص لا يذهب الى المسجد أن يعيش بين ظهرانيهم •

وبمثل هذه الوسائل تضاعف عددهم الى حد كبير ، خلال القرن الماضى » (١) •

* *

وقد يكون من المناسب ــ لتسليط مزيد من الضوء عـلى انتشار الاســلام وتغلغله بين الصينيين ــ أن نسير مع شيخنا (ابن بطوطة) فى تجواله وترحاله داخل الصين (٢) •

« •••• ركبت النهر على العـادة نتغـدى بقرية ونتعشى بأخرى الى أن وصلنا بعد سبعه عشر يوما الى مدينة « الخنساء » واسمها على نحو اسم الخنساء الشاعرة ولا أدرى أعربى هو أم وافق العربى وهذه المدينة أكبر مدينـة

رأيتها على وجه الارض طولها مسيرة ثلاثة أيام يرحل المسافر فيها وينزل وهى على ما ذكرناه من ترتيب عمارة الصين كل أحد له بسـتانه وداره وهى منقسمة الى ست مدن سنذكرهـا

وعند وصولنا اليهاخرج الينا قاضيها أفخرالدين وشيخ الاسلام بها وأولاد عثمـان بن عفان المصرى وهم كبراء المسلمين بها ومعهم علـم أبيض والأطبال والأنقار والأبواق وخـرج أميرها فى موكبه ودخلنا المدينة وهى ست مدن على كل مدينة سور محدق بالجميع فأول مدينة منها يسكنها خراس المدينة وأميرهم •

حدثنى القاضى وسواه أنهم اثنا عشر ألفا فى زمام العسكرية وبتنا ليلة دخـولنا فى دار أميرهم فى اليوم الثانى دخلنا المدينة الثانيـة على باب يعرف بباب اليهود ويسكن بها اليهود والنصارى والترك عبدة الشمس وهم كثـير وأمير هذه المدينة من أهل الصين وبتنا عنـده الليلة الثانية وفى اليوم الثالث دخلنا المدينـة الثالثة ويسكنها المسلمون ومدينتهم حسـنة وأسواقهم مرتبة كترتيبها فى بلاد الاسلام وبها المساجد والمؤذنون سمعناهم يؤذنون بالظهـر عند دخولنا ونزلنا منها بدار أولاد عثمـان ابن عفان المصرى وكان أحـد التجار الكبار استحسن هذه المدينة فاستوطنها وعرفت بالنسبة اليه وأورث عقبه به الجاه والحرمة وهم على

ما كان عليه أبوهم من الايثار عـلى الفقراء والاعانة للمحتاجين ولهم زاوية تعرف بالعثمانية حسنة العمارة لها أوقاف كثيرة وبها طائفة من الصوفية ، وبنى عثمان المذكور المسجد الجامع بهذه المدينة ووقف عليه وعلى الـزاوية أوقافا

البقية ص "٤٣٥"

١ ــ أى القرن الثامن عشر •

٢ ــ رحلة ابن بطوطة جـ ٢ ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ •

الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

الرحمة المهداة

لنور محمد

رحلة إلى فجر النور

بمناسبة المولد النبوي

الرحمة المهداة

شعر: جليلة رضا

يس .. والقرآن فى يمناكا — صان الاله كتابه .. ورعاكا
من قبل خلق الخلق نادى «فليكن» — وأُمِرْتَ .. فاسْتُدعيت فى دنياكا
ومضى الزمان .. وجئت تنقذ أمة — لولاك .. كيف مصيرها .. لولاكا
لله مولدك الكريم بمشرق — شق الظلام .. ليكتسى .. بسناكا
جملت بك الدنيا .. بأطهر ما اجتلى — راء جمالا باسما ضحاكا
والكون فيك غدا ربيعا صافيا — والطير فى ترتيلها .. نُسَّاكا
وشَبَبْتَ يالك من يتيم ناهض — يطأ الصخور ويعبر الأشواكا
وهداك ربى .. فاستقيت من الهدى — خُلُقًا سَمَا ..وتجاوز الأفلاكا
يا أعزل الكفين بارزت العدى — بالعقل .. سيفا باترا فتاكا
لا تستلين ولا يروعك كيدهم — اذا أضمروا لك فى الظلام هلاكا
رضت الأمور دقيقها وكبيرها — ونشرت عدلا .. ها هنا .. وهناكا
دانت لك الدنيا .. ولكن .. لم ترد — بالزهد .. لا مُلْكًا ولا .. أملاكا
الا بقايا من عشاش .. فى الثرى — تنبى الغريب بان ذا .. مأواكا
وَغِنًى عن الدنيا الرحيبة كلها — بكنوز قلب .. يرفض الاشراكا
لى يارسول الله همسة خافق — كم تاق أن يَخْطُو(1) وراء خطاكا
أنا اذ قرأتك : سيرة وضاءة — أدركت معنى الخير فى .. معناكا
لم أخش ـ مثلك ـ بعد ربى ـ فى الدنى — لم أهو ـ بعد الله ـ مثل هواكا
انى اتخذتك واحة .. فى ظلها — أستاف عطر الدين من مغناكا
وبرغم ما أصبو إليه من التقى — أنا لست ، ياخير الأنام ، ملاكا
يا موئل الملهوف يوم بلائه — كن لى شفيعا فى رحاب سماكا

(1) بإهمال أنْ وهو وارد فى الفصيح ... مجلة الأزهر

نور محمد

للدكتور حسن جاد

طاف بالمشرقين نور (محمد) فشدا الطير فى الرياض وغرد
وتهادى فى الكون موكب ذكرى كل عام جمالها يتجدد
يقبس الشرق نفحة من سناها فيفاديه كل مجد مُحَسَّد
كلما أظلم الطريق أضاءته ، وشَعَّتْ على الدجى فتبدد
هكذا فلتعِزَّ ذكرى نبى من يصن عهده يعز ويسعد
ياربيع الوجود عيدك روح تتسامى على الربيع المنضد
لبس الكون فيه حلة بشر وصفا الجو بعد ما كان أربد
وسرت فى النفوس هزة فخر ومشت فى الصدور نشوة سؤدد
ايه يا منقذ الأنام من الجهل ، وياخير من هداهم وأرشد
ولد النور مذ ولدت فدكت شرفات الطغيان من كل معبد
تمشت هداية الله فى الارض كنور الصباح ساعة يولد
ضل من صد عن هداك وأعمى عينَه عن ضياء نورك وارتدّ
كم حملت الأذى جهادا ومانؤت بأعبائه ، وذو العبء يجهد
وسلكت الأمور سلما وحربا فى اصطبارٍ فَذٍّ وعزم موطد
بين سيف من منطق الحق هاد وسلاح على الضلال مجرد
عجبا للذى يغالط فى الحق ، ومن يسلك الحقيقة يهتد
سخروا منك يا أعز أمانى الأرض بل أنت للسموات فرقد
لو سلكت السبيل للحجر الصلد بدعواك ما تأبى وفند
واذا جئته : أتشهد بالله وأنى رسوله قال : أشهد
يا امام الجهاد قم فانظر اليوم تر الحرب للمطامع تقصد
حشدوا للدمار كل سلاح وتجنوا على الضعيف المصفد
طمع ساقهم الى الحرب بَهْمًا ومن الحرب ما يذم ويحمد
ولو ان الشعوب أصغت الى الدين لما بات فى الشعوب مسود
شرعة تكفل الحقوق وتحمى من شرور الطغيان كل مهدد
لو أتوها لضمدت كل جرح ولضمت من شملهم ما تبدد

رحلة إلى فجر النور

بروحى ووجدانى وفيض مشـاعرى سريت الى أم القـرى بخـواطرى
بفجـر شـفيف النـور يومض بالسنا وينفح مبهـور الحيـاة بعـاطر
وقلبى مشـوق فى الضلوع مجنـح بوجـد وتهيـام ودمـع محـاجر
تخطيت أبعـاد القـرون لأجتـلى محيـا وليـد مالـه مـن نظـائر
بـواد جـديب بين صـم جـلامد وفـج قصى عن عميـر الحـواضر
رأيت وليـد الدهـر بين لفـائف يشـع جـلال القدس منه لناظرى
فكبرت مبهـورا ، ورحت مجـاهرا بمـا جاش فى قلبى وعمـق سرائرى
« لقـد قـارب الانسـان غاية رشده ليحبهـا بعقل للحقيقـة يـاصر »
ولاحت بآفاق الـوجود طـلائع لفجـر جديد للنبـوة سـافر
وعمـا قليل يسطع النـور باهرا ليكشـف للانسـان رحب المعـابر
ويغـزو قلوب العـالمين بعـدله ويجتـاح أوكـار الظـلام المـدابر
أيـدرى الـورى أن الوليد هو الذى تزف به الركبـان أسمى البشـائر ؟
تنادى به أهـل الكتـاب مسـبقا بـوحى رأوه فى صـحيح المصـادر

للأستاذ محمد صان الدين

به يختم الرسل الكرام الى الورى ... ويُكْمِلُ للتوحيد أوْ فى العناصر

فلا رب للكون الرحيب سوى الذى ... بَرَاهُ بأيد دون ريب مخامر

ولا عدل فى الدنيا بغير عقيدة ... مقدسة فيها حياة الضمائر

وراحت عيون العارفين تُشِيمُهُ ... عسى أن ترى الآيات عِبْرَ الظواهر

وقد جاء مبعوث العناية ناطقا ... بآى كتاب بالبواهر زاخر

تباركت يارب العباد منحتهم ... دواء لأدواء النهى والبصائر

وأنزلت نورا ليس يخبو .. رحمةً ... بعبد شقى فى الضلالة سادر

وفى عالم ضل السبيل فلم يزل ... يخب بأرض التيه بين دياجر

ألا يارسول الله نورك ساطع ... يجلى السراط المستقيم لحائر

طلعت على الدنيا فمذ ذاك لم يغب ... سناك وإن تجحدْهُ عينُ مكابر

ويأيها الانسان داؤك طبه ... هنا فى كتاب الله جَمّ الذخائر

تجلت به الأقدار .. فضلا ورحمة ... عليك ، وقد شارفت هول المصائر

اذا أنت طوعت الحياة لهديه ... ظفرت بفيض للسعادة غامر

والا .. فسر أنى أردت مضللا ... بتلبيس مختل العقيدة خاسر

بمناسبة المولد النبوي

للاستاذ محمد أحمد التاجى

يرغو بأعماقى · ويصخب فى دمى ... صوت تأبى أن يبوح به فمى
وصوت حبيس فى الضلوع كأنه ... سر الليالى فى ضمير الأنجم
أصغى له فأكاد أنكر مسمعى ... أعزيف جن عربدت فى أعظمى ؟
أم رجة الاعصار يجتاح المدى ... قصفا وعصفا أم فحيح الأرقم ؟
ريعت لها خلف الضلوع خواطرى ... وتفجرت حمما غضابا فى دمى
ايه بنات الشعر هيا مزقى ... هذا الجدار من السكون وحطمى
هاتى غناء أو بكاء اننى ... قد ضقت ذرعا باليراع الابكم
وبدمعة وقفت على أجفانه ... حيرى · وشر الدمع ما لم يسجم (١)
هذه دواعى القول حولك جمة ... ضاقت بها الدنيا · ولم تتكلمى !
هلا نظرت الشرق كيف تجرأت ... فيه الذئاب على عرين الضيغم
صرعت مهابته ولم يصبح سوى ... جسد لأنياب الردى مستسلم
ما بين ماض كان يوما للضحا ... عرشا · وبين الحاضر المتجهم
ذعرت خطاه · وما التقاعس شيمة ... ياشرق للعربى أو للمسلم
عهدى به حر الارادة والخطا ... ندبا متى دعت العلا لم يحجم
يأبى فراديس الجنان مذلة ... ويخوض باسم المجد قاع جهنم
واذا المروءة صوحت أغصانها ... ظمأ · سقاها عن سخاء بالدم

واليوم ـ ياللعار ـ صار فروقة ... بسوى عروبته يلوذ ويحتمى
انى لأخجل حين أذكر من أنا ... وأكاد أعذر فى الشماتة لومى
سيقال ٠ لو أن المؤرخ منصف ... هذى الشعوب ليعرب لا تنتمى
رضيت من الاسلام ظاهر لفظه ... ومن العروبة لهجة المتكلم
أنا لا أصدق ما أرى ٠ أفنائم ... أنا ؟ لا ٠ فتك يدى وذلك مرقمى
ماذا أرى عبر السماء ؟ أواقع ؟ ... ياليته فى العين محض توهم
أحقيقة أن البغاث تجرأت ... وسطت على افق النسور الحوم
رزء أصاب من القوانى مقتلا ... وأشل أجنحة الخيال الملهم
ياروض لا تهتف ويا صبح اتشح ... ثوب الحداد وياكواكب أظلمى
حتى أرى الأعداء غرقى فى الدم ... حتى أرى العلياء باسمة الفم
أنا لا ألومك يازمان فان من ... يلقى الضوارى أعزلا لم يسلم
نحن الألى جنحوا لأجنحة الكرى ... والدهر لم يفتنا عدو النوم
الكون غاب ٠ والحياة تنافس ... والحق للظفر المخضب بالدم
فاذا نزلت الغاب تنشد مغنما ... وغفلت فيه كنت أول مغنم
كنا سنام الدهر ، كنا هامه ... واليوم صرنا منه دون المنسم
صرنا عبيد المال باسم حضارة ... حمقاء لم تؤمن بغير الدرهم
صرنا عبيد الغيد أقصى همنا ... لو تحت أقدام الغوانى نرتمى
حتى جعلنا الغانيات كواكبا ... ومباذل الأخلاق رمز تقدم
لعب الغرور بنا زمانا مثلما ... لعبت بغى بالغبى المغرم
واذا استذلت آمة شهواتها ... جمدت فلم تنهض ولم تتقدم
هذى ليالينا وتلك حياتنا ... أوهام غرس فى حقيقة مأتم
ياشرق عذرا حين أقسو ناصحا ... فالنصح للأحرار ليس بمؤلم
خدعوك بالملق الرخيص وأسرفوا ... حتى شربت السم باسم البلسم
ياشرق لا ترهب سهام نصائحى ... لن يفزع الأبطال وقع الأسهم
ياشرق لا تقنط اذا اعتكر الدجى ... فالفجر خاتمة الصراع المظلم

من أعلام الأزهر ٣
عبد المتعال الصعيدى

رأى الأستاذ الصعيدى أن يبتعد عن مسائل التشريع بعض الوقت ، فاتجه الى البحوث الأدبية ، وبدأ بدراسة جادة عن الكميت بن زيد الأسدى وهاشمياته قال فى مطلعها ان فى الأدب اجتهادا لم يغلق بابه كما أغلق فى الفقه والعلوم الشرعية .

ولهذا امتازت بحوثه وتدفقت فى غزارة حتى صار شغل الأستاذ فى معهده ، والطالب فى مدرسته ولو أن غير الأدب من العلوم كان له حظ الاجتهاد ، لم يصر الى هذا الجمود الذى صرف الناس عنه ، وجعلهم يكرهون النظر فيه ويخشون ما يصيبهم من العنت اذا خرجوا عن مألوفه ، وصرح الكاتب بأن له حاجات فى هذا الاجتهاد المطلق ، اذ يحن اليه ويتوق دائما أن يأتى بالجديد ، ولا يجد مثل الأدب فى رحابة صوره ، واتساعه للاجتهاد ، وعدم ضيق أهله بما يبتكره الباحثون من قضاياه ، فمعالجة مسائله تسلى النفس شيئا مما يصيبها من أذى الناس وجحود الفضل مع ظهوره للعيان .

هذه نفثة حرة تدل على مايزدحم فى صدر الكاتب من شجون ، بعد مالاقاه فى قضية الحدود ، ولم يكن اهتمامه بالبحث الأدبى جديدا عليه ، فقد كتب من قبل مؤلفين جيدين عن عدى بن زيد ، وعن أبى العتاهية وللأستاذ مقياس أدبى يؤثره فى تفضيل شاعر على شاعر ، فهو يحرص على شرف الغرض ، وسمو المعنى ، اذ لا يرى لقضية الفن وجها للاصابة ، فالشاعر انسان ممتاز ذو رسالة خلقية ينهض بالقيام بها مبشرا ذوى النفوس

الفاضلة بما يهتف من معان انسانية ترتفع بالقارىء احساسا وادراكا ، أما الذين يرضون شهوات النفس بالحديث عن الخمر والهجاء والغزل الفاحش ، فهم ، فى رأى الأستاذ — لا يسمون الى مرتبة ذوى القيم من الشعراء وقد عورض الكاتب فى اتجاهه اذ تصدى له من نقل عن كتب السالفين أن الشعر شعر فى حد ذاته ، وأن الشاعر ليس نبيا أو واعظا ، واضطر الأستاذ الصعيدى أن يكتب مقالا تحت عنوان (مقاييس الشعر) يختار فيه من أقوال السالفين ما يؤيد منحاه ، ليعلم ناقده أن الرجل يفىء الى سلف فى نهجه .

يقول الأستاذ الصعيدى : وقد وضعنا للشعر مقياسا عاما يتفاضل فيه القول باعتبار نبل أغراضه وشرف مقاصده ، قبل أن يتفاضل بجمال ألفاظه ومعانيه ، ووازنا بهذا المقياس بين امرىء القيس وعدى بن زيد فى كتابنا

للدكتور محمد رجب البيومى



(زعامة الشعر الجاهلى) وبين أبى العتاهية وبشار وأبى نواس فيما كتبناه بمجلة الرسالة الغراء عن أبى العتاهية ، فخرجنا من هذا المقياس بتفضيل عدى بن زيد على امرىء القيس ، وتفضيل أبى العتاهية على أبى نواس ، ولكن جمهرة أدبائنا لا يوافقوننا على هذا المقياس ، وينكرونه علينا أشد الانكار ، وهم معذورون لأقوال يعرفونها ، وقد حملنى ذلك على تقييد كل ما أراه يؤيد وجهتى فى مطالعاتى) ثم أخذ يعرض من الأقوال ما يؤيد منحاه .

لقد درس الأستاذ عَدِيَّ بن زيد لطلابه فى تخصص المادة بالأزهر مقارنا بامرىء القيس فأورد ما اتفق فيه الشاعران من النشأة ، فامرؤ القيس أمير ، وعدى ابن ملك،

وكلاهما ترفع عن المديح والاتجار بالشعر ، وكان له منزلة فى عشيرته ، ولكن عديا نشأ فى فارس وشاهد من ألوان الحضارة ما لم يشهد امرؤ القيس ، ودرس الأديان واعتنق النصرانية فأمدته بمعان طيبة فى الرحمة والعدالة وترقب المصير . واتساع الأفق اذ كان ينظر الى الكون نظرة شاملة تتحدث عن المبدأ والعاقبة ، ويؤدى رسالة الحكيم الناصح للانسانية كيلا تنزلق الى مهاوى الرذيلة ، واتساع النظرة الانسانية فى هذا الوجود امتياز يحسب لصاحبه ، لاسيما اذا

كان ناصح ملوك . وأستاذ فكر ، ولعدى فى التذكير بالنعيم الغابر ، والتحذير من البهرج الزائف درر ينفخ بها العقل المتأمل ، وقد وقف وقفات مستعبرة يودع فيها الشموس الآفلة ، والنجوم الهاوية ، والأكاسرة الذين دوخوا العالم .

ثم صاروا كأنهم ورق جف
فألوت به الصَّبا والدبور

وهذا الأفق المترامى ليس لامرىء القيس ، ومن الذين ناهضوا رأى الأستاذ الصعيدى فى

عبد المتعال الصعيدى

منحاه الدكتور زكى مبارك والأستاذ محمود الخفيف والأستاذ محمد على غريب ، حيث امتد النقاش حول مجال الترجيح عند الصعيدى على صفحات المجلات دون أن يرجع الباحث عن وجهته ، اذ عمد بهذا المقياس الى دراسة أبى العتاهية ليفضله على زميليه الكبيرين بشار وأبى نواس ، نعرض الى مظاهر التجديد الشعرى فى مطلع العصر العباسى

من ناحية الأغراض والمعانى والتراكيب ، ليثبت فضل أبى العتاهية ، وكانت الأغراض فى رأى الكاتب موضع تبريز أبى العتاهية ، اذ ساعد على نشر الثقافة الاسلامية بما ضمن

شعره من روائع الحكم ، والدعوة الى الارتفاع عن مهابط النفوس ، والبعد عن العبث والمجون اللذين كانا أبرز سمات بشار وأبى نواس ، هذا الى سهولة ميسرة تجعل شعره مقتحما صوالا على النفوس ، وهكذا انتصر الكاتب لمنحاه فى اصرار وتأكيد .

واذا كان عدى يحتل الزعامة الشعرية فى العصر الجاهلى عند الأستاذ ، وكان أبو العتاهية يمثل الزعامة الشعرية فى مطلع العصر العباسى ، فقد اختار الناقد شاعرا من

طراز صاحبيه يمثل الزعامة الشعرية فى العصر الأموى ، وهو الكميت بن زيد الأسدى اذ خلص شعره لمحاربة الفجرة من الطغاة ، والظلمة من الحاكمين ، ونأى بالشعر عن أن يكون موطنا للاستجداء فى مدائح تساق الى غير من يستحق ، واذا كان الذائع أن جريرا والأخطل والفرزدق قد تسنموا زعامة الشعر فى عهد بنى مروان فان الصعيدى ينكر هذه الزعامة على قوم أخذوا يهبطون فى النقائض الى دركة السفلة من الرعاع ، حين تقاذفوا بالأوضار متحدثين عن معان هابطة تشين صاحب البيان ، فالغلو فى الهجاء لدى هؤلاء جعلهم شاتمين منحدرين ، بحيث تصبح أشعارهم معرة للأدب العربى اذا ترجمت الى لغة غير لغة العرب ، أما الكميت فقد دافع عن فضائل الأمة الاسلامية ، ودعا الى اقامة العدل واشاعة الحرية ، وتوجه بمدائحه الى قوم لا يملكون الجزاء المادى ، كما يتوجه أرباب المآرب عن قصد مريب ، لقد توجه بمدائحه الى آل بيت رسول الله ، يذكر فضائلهم ، ويرجوهم لساعة حاسمة تطوى دياجير الظلم ، وتنشر أنوار الحق ، وقد استوفى الصعيدى فى حديثه عن الشعراء الثلاثة جانب الاستشهاد ، لأن دواوين هؤلاء الشعراء تفيض بما ينشد من مثل ، ولعل مما يؤيد وجهة الناقد ، أن هؤلاء الثلاثة ليسوا نظامين يسوقون العظة بألسنة الخطباء ، ولكنهم فى صميم مواهبهم شعراء أصلاء ، وما انحدر بالشعر المثالى عن أوجه غير نفر من النظامين نسجوه نسج المتون العلمية فجاء جامد الروح ، ميت النسيم ، أما عدى وأما الكميت وأما أبو العتاهية فشعراء أصلاء .

ظل الأستاذ معتزا بمقياسه الخلقى للعمل الأدبى لا ينهنه من عزمه اعتراض .

وقد قامت معركة أدبية حول قيمة الأدب الجاهلى بين الدكتورين أحمد أمين وزكى مبارك على صفحات مجلتى الرسالة والثقافة ، وذهب الدكتور مبارك مذهبا مشتطا حين بالغ فى الزراية على منحى الدكتور أحمد أمين اذ رمى الشعر الجاهلى بالمادة والبعد عن سبحات الروح ، وكان فى ذلك موضع الاقتداء لمن أتى بعده من شعراء الاسلام وبنى أمية والعباس ممن هووا بأغراض الشعر الى أرض المادة ، فانبرى ، الأستاذ الصعيدى يؤيد الأستاذ أحمد أمين ويعلن أن مقياسه الأدبى يسير مع منطق صاحب فجر الاسلام ، ويعارض منحى صاحب النثر الفنى ، واستشهد بأبيات مادية لديك الجن ، وأبيات خلقيه لمعن بن أوس ليرتفع بالثانية على الأولى (١) لأن الشعر فى مذهبه يجب أن يسمو بالنفوس ، والقضية ذات حجم كبير ، ولاشباعها المسهب مجال آخر .

فاذا تركنا بحوث الأدب الى ميدان البلاغة فاننا نجد للصعيدى جهدا بلاغيا غير منكور ، فقد شرح كتاب الايضاح للقزوينى فى أربعة أجزاء ، كما حقق كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، وأفرد مؤلفا خاصا ببحوث البلاغة سماه (البلاغه العالية) فاذا نظرنا الى شرح الايضاح وقد سماه « بغية الايضاح » فاننا نجده استوفى ما يتطلب من الشرح والنقد والتعليق والأسئلة الهادية الى تطبيق المادة ، ولكننا نجد الأستاذ فى مقدمة الكتاب يذكر أن كتاب الايضاح ينتمى فى البلاغة الى مدرسة عبد القاهر ، وهذا ما نخالفه كل المخالفة لأن الكتاب يسير فى ضوء المفتاح للسكاكى ، وان اعترف القزوينى بأنه رجع الى عبد القاهر وأفاد منه ، ثم نخالف الأستاذ مرة ثانية فى مقدمة كتابه حين قرر أن السكاكى يعد الى حد ما من تلاميذ مدرسة عبد القاهر ، ولكنه كان ناقدا ولم يكن أديبا اذ لو كان السكاكى من مدرسة عبد القاهر ما تحجرت البلاغة هذا التحجر الذى وضح فى كتب المتأخرين ممن داروا فى فلك السكاكى ، ونخوض فى حديث معاد لو ناقشنا هذه القضية ، لأن الأمر أوضح من أن يشار اليه ، وقد كان السكاكى عالما لا ناقدا ، فكيف خلع عليه الأستاذ صفة الناقد بمعناه الأدبى المعروف لدى الجرجانى والآمدى وابن الأثير وعبد القاهر وابن رشيق وأضرابهم من مشاهير النقاد ! والبون بين هؤلاء والسكاكى بعيد بعيد،لاسيما وقد اعترف الأستاذ فى المقدمة نفسها أن العجمة غالبة على أسلوب السكاكى ، وهو ذو غموض وتعقيد وضعف فى التأليف ، ومفسد للكة البلاغة ، وضرره أكبر من نفعه ! أجل ، سجل الأستاذ هذه المآخذ كلها على كتاب المفتاح للسكاكى واعترف بها فى وضوح ، فكيف يعد السكاكى مع ذلك كله الى حد ما من مدرسة عبد القاهر ؟! .

٥

---

(١) مجلة الرسالة العددان ٣٦٥ ، ٣٣٦ سنة ١٩٣٩ م

عبد المتعال الصعيدى

وكتاب سر الفصاحة أقرب الى البلاغة الناصعة من كتابى المفتاح والايضاح ، وقد أنصف الأستاذ الصعيدى صاحبه ، وقدم كتابه بمقدمة حافلة ، ولكنه قال فى خاتمتها ان أسلوبه العلمى أقرب الى أسلوب المتأخرين من أسلوب عبد القاهر ، فاذا كان الأستاذ يقصد بالمتأخرين تلاميذ السكاكى ومن ترسموا خطوه ، ففى كلامه نظر يحتمل النقاش ، لأن ابن سنان اذا لم يرزق ديباجة عبد القاهر فقد رزق ذوقه ، وحسن اختياره ، وبعده عن التعقيد والغموض فهو ينادى الجرجانى من مكان قريب ، أما كتاب البلاغة العالية فهو يجمع بين تاريخ البلاغة وأهم مسائلها ، وصاحبه ذو احاطة واجتهاد •

ولا يجوز لنا أن ننسى آثار الأستاذ فى التاريخ الاسلامى فقد كتب مؤلفا عن رسول الله ، ومؤلفا عن الدولة الاسلامية فى عهد الخلافة الراشدة ، نكتفى بالاشارة اليهما

لنتحدث ببعض التفصيل عن كتابه الرائع (القضايا الكبرى فى الاسلام) حيث سطر مجلدا ممتازا يعرض ما اختاره من أعظم القضايا فى التاريخ الاسلامى مبتدئا بعهد الرسالة النبوية ومنتهيا بقضية الشعر الجاهلى فى العصر الحديث ، وبينهما صور قوية مما جرى على مسرح الأحداث فى العالم الاسلامى فى وقت يمتد الى أربعة عشر قرنا ! وللرجل اجتهاداته الكثيرة ، التى تنبىء عن بصر ناقد ، وتغلغل عميق •

ففى قضية بنى قريظة ناقش من عارضوا الحكم من المستشرقين حين رأى سعد بن معاذ أن يقتل الرجال ، وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء ، اذ ذهبوا الى أن الحكم يطبع بالقسوة •

وقد قال المؤرخون ان سعدا نزل على حكم التوراة التى يدنيون بها ، وهى تقضى بذلك ، فليس لهم أن يخرجوا عن قانون يؤمنون به ،

وهو قول له وجهة نظره ، ولكن الأستاذ الصعيدى ذكر تعليلا قويا حين نص على أن بنى قريظة ليسوا أسرى حرب ، حتى نرمى الحكم بالقسوة ، ونميل الى جانب العفو ، لأن الرسول عفا عن بنى النضير وبنى قينقاع ، وهم زملاؤهم دون أن يتعرضوا للقتل ، ولم ينفذ فيهم حكم التوراة •

أما بنو قريظة فقد قارفوا الخيانة العظمى حين تحللوا من عهودهم السياسية وانضموا الى الأعداء ، فلم يكونوا فى المبدأ أعداء يعاملون معاملة الأسرى ، ولكنهم خونة أمنهم المسلمون لما بينهم من العهود فانتهزوا محنتهم الخطيرة وغدروا بما اتفقوا عليه ، وكل الشرائع الوضعية تنفذ حكم الاعدام فى الخائنين • وفى حادث الافك ذهب الأستاذ الى أن رسول الله لم ينفذ الحد — حد القذف — على أحد ، لأن التشريع لا يعمل به فى الأحداث الماضية • بل يعمل به فيما يستجد ، ونقل نصوصا عن الماوردى وابن حجر تدل على أن الحد لم يقم لأن الحد لا يجب الا ببينة أو اقرار ، ولم يثبت أحد هذين ! فالأراجيف قد انتشرت ، وعزيت الى أناس فأنكروا ،

وحامت الشبه عليهم فتنصلوا ولم يقروا ، فاذا أضيف الى ذلك أن حكم القذف لم يكن مقررا من قبل ، فوقف العقوبة متوقع ! وقد نص عليه جماعة من الأئمة .

وفى الحديث عن قتل الحجاج لسعيد بن جبير ، ذهب الأستاذ الى أن العالم الكبير قد استحق القتل لخروجه عن الجماعة ، وعدم اعترافه بالخطأ حين طلب منه ذلك ، وقد شارك

من قبل فى أعمال الحجاج السياسية مؤيدا وجهة الدولة الأموية ، وما كان له أن يفعل ذلك ، والحق أننا لا نميل الى رأى الأستاذ فى ذلك ، لأن المشاركة فى الأعمال السياسية من عالم كبير مثل سعيد بن جبير تعين على دفع الطغيان ، وتقف دون تجاوز الحدود ، واذا كان الحسن البصرى قد اعتزل الحاكمين ، فله رأيه الذى لا نلزم به سعيدا كما حاول الصعيدى أن يلزمه بمسلك زميله ، والخروج على الحاكم الظالم أمر مشروع ، فكيف يكون موضع اتهام لسعيد من الأستاذ .

أما رأى الأستاذ الصعيدى فى قضية الشعر الجاهلى فقد جاء دقيقا واعيا لأنه أثبت القصد الجنائى الذى حاولت النيابة العامة نفيه ، كما ورد على قول رئيس النيابة « أن الكتاب يصور رأى عالم باحث ، ومن حقه أن ينشره بين الناس » فقال الأستاذ ان الكتاب لم ينشر بين المثقفين ليعرفوا حقه من باطله ، ولكنه قرر على طلاب لم يبلغوا مبلغ الحكم الأدبى بالصواب والخطأ ، وهؤلاء يتطلبون كتبا صحيحة الأفكار بريئة من الارجاف بالمقررات الدينية والتاريخية ، فاذا ألقى أستاذ على طلبته قضايا لم تثبت صحتها فهو متهم ! وهذا حق .

هذا بعض ما يقال فى بعض ما كتب الأستاذ الصعيدى ، ومجال الاحاطة هنا متعذر .

فرحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه أحسن الجزاء .

د. محمد رجب البيومى

طرائف

تحذير من الله

« وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ »

« وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا »

نصيحة

من نصب من نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ٠

وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ٠

ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم ٠

قالوا ..

❋ أبلغ الناس أحسنهم لفظا وأسرعهم بديهة ٠

❋ اذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ، ودوام عهده ، فانظر الى حنينه الى أوطانه ، وشوقه الى اخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه ٠

❋ اذا كان الرأى عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لاينفقه ضاعت الأمور ٠

❋ بئس الزاد التعدى على العباد ٠

❋ الزهد فى الدنيا مفتاح الرغبة فى الآخرة ، والزهد فى الآخرة مفتاح الرغبة فى الدنيا ٠

❋ لكل امرىء فى ماله شريكان : الوارث والحوادث ٠

❋ يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم ٠

❋ ما أكثر العبر وأقل الاعتبار ٠

دواء هاضم

أهدى يوما صديق لعبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – وعاء مملوءا ٠

ومواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

فقال ابن عمر : ما هذا ؟

قال الصديق : دواء عظيم جئتك به من العراق .

قال ابن عمر : وما يطيب هذا الدواء ؟

قال الصديق : يهضم الطعام .

فابتسم عبد الله ، وقال لصاحبه :

يهضم الطعام ؟ انى لم أشبع من طعام قط منذ أربعين عاما .

أوْحَشُ المَوَاطِن

أوحش(١) ما يكون ابن آدم فى ثلاثة مواطن : يوم ولادته ، ويوم موته ، ويوم بعثه .

لذلك قال الله ــ تعالى ــ فى حق سيدنا يحيى ــ عليه السلام ــ : « وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا »

يارب

اذا اعطيتنى جاها فلا تأخذ تواضعى

واذا أعطيتنى قدرة فلا تأخذ عفوى

واذا أعطيتنى قوة فلا تأخذ عقلى

واذاأعطيتنى مالا فلا تأخذ سعادتى

راحة

راحة الجسم فى قلة الطعام .

وراحة الروح فى قلة الآثام .

وراحة القلب فى قلة الاهتمام .

وراحة اللسان فى قلة الكلام .

دعاء

رب اغفر وارحم واهدنى السبيل الأقوم .

رب اغفر وارحم انك أنت الأعز الأكرم .

مولد محمد خاتم المرسلين

للأستاذ محمد فريد وجدى

« يارحمة للعالمين . وهاديا للضالين . وإماما للخاشعين المتبتلين . ونورا من الله هدى به أمة . فأزال غمة . وأقام ملة . بعد ما لقيت من عنت الكفار . وأذى المشركين وكيد المنافقين . وعناد الفاسقين ، أغروا بك سفاءهم وأنت أيها الصادق الأمين تقول بلسان المحب الحنون « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » .

ولأن الله يريد أن يظهر هذا الدين على الدين كله . منحك من رجاحة العقل والقدرة على الصبر . وثاقب الفكر للوصول بهذا الدين الى حيث أراد الله فبلغت الرسالة وأديت الأمانة وكانت رسالتك هى الخاتمة وكنت أنت الخاتم» .

قال الأستاذ :

مصداقا لقوله تعالى : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ »

اننا معشر المسلمين نستقبل هذا العيد فى كل عام بقلوب يعمرها الحب والاكبار لصاحبه — صلى الله عليه وسلم — ، فنحتفل به فى مشارق الأرض ومغاربها ، لما حصلنا بهديه من هداية ، وما بلغنا من كرامة ، وليس العهد الذى يكون فيه هذا اليوم عيدا للبشرية كافة ببعيد .

فان العقل الذى أطلقه محمد — صلى الله عليه وسلم — من اساره ، والعلم الذى حرره من ربقته ، لا يفتآن يعملان ، على غير قصد منهما ، على لفت الأنظار الى النور الذى جاء به . ومتى أتما العمل الذى بدآه من القاء نير التقليد الأعمى عن الأعناق ، ورفع حجاب التعصب المذموم عن الصدور ، وازالة غشاوة الجهالة الوراثية عن العيون ، تجلت للناس الآية الكبرى من آيات الروح المحمدية العالمية ، فوجد الناس أنفسهم مسلمين ، ولسان أمثلهم يقول كما قال العبقرى الألمانى (جوت) قبل نحو قرن من الزمان « أذا كان

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

الاسلام هو هذا فنحن اذن فيه » .

نعم : ان العالم بفضل تحرره من الوراثات والتقاليد ، وامعانه فى النقد والتمحيص ، يتمشى على غير قصد منه الى الاسلام بخطوات متزنة ثابتة ، لا توجد قوة فى الأرض ترده عنه ، الا اذا انحل عصام المدنية ، وارتكست الجماعات الانسانية عن وجهتها العلمية . هذا اجمال يحتاج لبيان ، فاليك :

قذف بالانسان الى هذا العالم جاهلا به غاية الجهل ، عميا عن أسراراه كل العماية ، ولولا أن الخالق جل شأنه أوجده حيث الماء والنبات لمات ظمأ وسغبا ، ولولا أنه منحه معارف ضرورية يستطيع بها أن يهرب من الضوارى التى كانت تتعقبه ، ويحتمى من العوارض الطبيعية التى كانت تنصب عليه ، لما أمكنه أن يبقى أكثر من أيام معدودة ، ولكنه وهب عقلا ليس لسلطانه حد يقف عنده ، فأخذ يستهدى بنوره يسيرا يسيرا حتى استطاع أن يأمن شر العوادى ، وأن يجتمع على أمثاله ، وأن يكتشف أوليات العلم ، ومبادىء الحكمة ، ثم ما برح يرقى حتى أسس الأمصار ، وأوغل فى المعارف ،

وسخر قوى الكون ، وسبر مساتير الوجود ، واخترع الآلات المعجبة ، وهو اليوم يحدث نفسه بالصعود الى الكواكب ، وكشف عالم الروح ، والتحكم فى نواميس الحياة .

هذا كله مشاهد محسوس لا يحتاج لتدليل ولكن الذى يحتاج لتنبيه هو أن الانسان فوق كل ما يحصله من علم ، وما يكتشفه من مستور ، يزداد معرفة بما يجب أن يكون عليه الدين الحق ، وما يلزم أن تؤخذ به النفس من الآداب القويمة ، وما ينبغى أن يقيمه لتوثباته من المثل الأعلى للانسانية الصحيحة .

فى أثناء تمشى الانسان فى هذه السبيل الأدبية ، تحت ضوء العلم والفلسفة ، تسقط فى نظره ، الواحدة بعد الأخرى ، جميع الأوهام الموروثة ، والتعصبات التقليدية ، فيرى الخضوع لها عارا عليه ، وسقوطا لكرامته ، ويعمل على تطهير قلبه منها ، واجتثاث جذورها المنبثة فى أقصى ثناياه ، عادا ذلك من متممات وجوده الأدبى .

فتكون النتيجة الحتمية من وراء هذه المحاولات الثقافية فى هذه الناحية تأسس الأصول الآتية :

(**أولا**) زوال آثار الوراثات الدينية .

(**ثانيا**) انمحاء التعصب المذموم للعقائد الباطلة .

(**ثالثا**) قيام النظر العقلى مقام التقليد الأعمى .

(**رابعا**) قبول كل عقيدة تسلم من النقد وتنهض بها حجة .

(خامسا) الميل الى ايجاد زمالة عامة بين الناس كافة ، ومحاربة كل العقائد المفرقة للأمم ، والجاعلة اياها شيعا .

(سادسا) الاتجاه الى نصب العلم فاروقا بين الحق والباطل ، بغير اعتداد برأى أية طائفة من الطوائف أو فرد من الأفراد .

هذه الأصول الستة لا محيص من تولدها كثمرة طبيعية للثقافة العصرية . وقد تولدت فعلا وصارت جزءا من الدستور العلمى لدى ألوف من المشتغلين بجميع الفروع العلمية ، وليس بينها وبين أن تصبح عنصرا رئيسيا من عناصر العقلية الأوربية الى أن تنتشر فيها المبادىء الفلسفية ، وهى لا تزال بعيدة عن الدهماء لأسباب اقتصادية ، ولكن لابد من بلوغها هذه المنزلة بعد قرنين أو ثلاثة .

فاذا بلغ العالم هذه المرتبة من التعقل ، والخلاص من آثار الوراثة ، ثم لاح له أن ينظر فى الأديان التى يعتبرها اذ ذاك بقايا أثرية للعقلية البشرية ، تبين له أنه فى صميم الاسلام ، وأنه فى جهاده العلمى الطويل كان يعمل لاقامة دولته ، واعلاء كلمته ، وهو يتوهم أنه يهدمه فيما يهدم من العقائد الباطلة ، والوساوس المعطلة .

هذا مصداق الآية القرآنية التى أتينا بها فى صدر هذا البحث . وكما جاءت الحوادث مصدقة لقوله تعالى : ((**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا الآية**)) ، وقد كانوا يعبدون الله سرا ويخشون أن يتخطفهم أعداؤهم ويمزقوهم شذر مذر ، فآتاهم الله خلافة الأرض ، وجعل دينهم ظاهرا على الأديان كلها ، كذلك ستصدق الحوادث ما وعد الله به من أنه سيرى الناس آياته فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أن هذا الدين هو الحق ، وقد ظهرت بوادر ذلك فى أقوال الكثيرين من كبار العلماء فى الغرب ، وقد رأى بعضهم أن أوربا قد لا يمضى عليها قرنان حتى تكون قد اتخذت الاسلام دينا .

لو كان أحد المسلمين قال هذا القول لاعتبر منه مبالغة فى التفاؤل ، ولكن الذى قاله الكاتب الفيلسوف الأرلندى (برناردشو) ، وهو لم يقله ليهزأ به قارئوه ، ويحسبوه من سقطاته ، ولكنه قاله بعد اقتناع به ، وأى شىء يعد بعيدا فيه ؟ أليست الأصول الستة التى أثبتناها هنا ، وهى أخص نتائج الدستور العلمى ، هى نفسها أخص أصول الاسلام ، بل هى معناه وروحه ، والموجب لجعله دينا للعالمين كافة فى كل زمان ومكان ؟

لقد كلف الاسلام كل داخل فيه أن يكون متجردا من كل ما يربطه بالماضى من دين ووراثة وتقليد ووهم وخيال ، وأن يقبل عليه خالى القلب من كل صورة ذهنية ، ورأى

سابق ، على مثال ما يكون عليه الطفل ساعة تضعه أمه .

فاذا تمت له هذه التصفية ، ولقن أمور الدين ، أمر أن يتعقلها ، وأن ينظر فى أدلتها ، ونهى أن يأخذ بها تقليدا مهما كانت مكانة الرجل الذى يقلده ، وكلف أن يتأمل فيما نصبه الله فى الكون من معالم الحق ، وأن يدرسها دراسة المتتبع لأسرار الخلق ، مخضعا كل ما يحصله لأدق أساليب التمحيص والتحليل ، حتى لا يتورط فى الأخطاء فيضل ويضل ، وهو مسئول عن كل ما يسخره فى هذا السبيل من حواسه ومشاعره ، ومحاسب حتى على جيشات خواطره . وانا لمقتبسون لك آيات من الكتاب تريك مكان هذه الأصول منه ، فاليك :

قال الله تعالى فى ماهية الدين الحق : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ » .

وقد شرح النبى ــ صلى الله عليه وسلم هذه الفطرة ، فقرر أنها مثل الحالة التى يكون عليها الطفل ساعة ميلاده ، فقال : « كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ، أى أن كل مولود يولد على الدين الحق المطلق ، ولكن أبويه ينقشان فى عقله من الصور ما يغيران به هذه الفطرة السليمة لتعلق به فلا يستطيع عنها حولا .

وقال تعالى فى ذم اتباع الظنون والأوهام : « إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ » وقال : « وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » .

وقال تعالى فى النهى عن اتباع الهوى : « وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ » .

وقال فى وجوب اقامة سلطان العقل : « أَفَلاَ تَعْقِلُونَ » وكرر ذلك فى آيات كثيرة بألوان مختلفة عشرات من المرات .

وقال تعالى فى دم الذين لا يعرفون للعقل حقه : « إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ » .

وقال : « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ » .

وقال : « وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ » وقال : «وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ » .

وقال تعالى فى المسئولية الشخصية ، وفى عدم جواز الاعتماد على الغير : « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » .

وقال : « وَأَن لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى » .

وقال : « وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِى نَفْسٌ عَن

نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ (أي فداء) » .

وقال تعالى فى ذم التقليد الأعمى : « وقالوا (أى يوم القيامة) **رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا** » وقال : « **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا** (أى يوم القيامة) **مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** » .

وقال تعالى فى وجوب طلب الدليل القاطع على كل عقيدة ، وفى النعى على الذين يعتقدون تقليدا بغير حجة : « **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ** » .

وقال فى وجوب تقاضى الدليل من كل صاحب قول : « **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** » .

وقال فى تسفيه أحلام الذين يجمدون على ما ورثوه من آبائهم من الأباطيل : « **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ ، قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** » .

وقال : « **بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ** » .

هذا دستور دينى جاء به محمد — صلى الله عليه وسلم فى زمن لم يكن فيه لدستور أيا كان نوعه دولة فى الأرض ، لا من الناحية السياسية ، ولا من الناحية العلمية . أما من الناحية الدينية فقد كان لا يعرف أحد أن للاعتقاد دستورا قط . فكان الناس من أمر السياسية غرقى الى يآفيخهم فى حكومة الفرد ، لا يعرفون لهم حقوقا عليها ، ولا وجودا معها . بادت دساتير اليونان والرومان قبل عهد البعثة المحمدية بأكثر من ألف سنة ، فكانت الأمم تجهل أنها كانت لها جمهوريات ومجالس نيابية ودساتير مدونة . وكانوا من أمر العلم فى غيهبة مظلمة لا يعرفون له حفظة غير زعمائهم الدينيين ، وناهيك بهم فى هذا الموطن .

أما أمر الدين فكان دستوره عندهم : « اعتقد وأنت أعمى » ، كما قاله العلامة لاروس فى دائرة معارف القرن التاسع عشر . أما هذا معقول وهذا غير معقول ، وهذا يحتاج لدليل ، فعبارات كانت تجر الى النار المحرقة فى تنانير أعدت لذلك .

جاء محمد — صلى الله عليه وسلم — بذلك الدستور الدينى والناس قاطبة على ما وصفنا من العمايات المتراكبة بعضها على بعض ، وقد جمدوا على ما كانوا عليه حتى صار حالا ملازما لهم لا يتصورون الحياة على حال غيره ، بل ولا يحبون أن يسمعوا داعيا يدعوهم الى نقيضه ، واذا أقدم على ذلك وصموه

بالجنون • وقد حكى الله ما قالوه للنبى ــ صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى النور ، فقال تعالى : « **وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** » •

وقالوا : « **أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ** » ؟ فرد الله عليهم بقوله : « **أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** » •

فاذا كانت ثمرة هذا الدستور الالهى فى البقعة الفسيحة من الأرض التى استولى عليها المسلمون فى أول الاسلام دخول أمم برمتها فيه ، بغير اجبار ، بل بغير دعاية منظمة ، والعقول لم تصقلها العلوم ، والنفوس لم توقظها الشكوك ، فماذا ينتظر أن يكون عليه حال العالم المتمدن اذا عرف الاسلام حق معرفته ، وتبين الناس أنه لاينطبق على الدستور العلمى فحسب ، ولكن أصوله الأولية هى ذلك الدستور نفسه ، بالغا أكمل ما يمكن أن يصل اليه من السمو والاحاطة بكبريات الأمور وصغيرياتها ، بحيث لا تفلت منه حتى همسات السرائر ، وحركات الضمائر ؟ •

العالم المتمدن يحاول حل مسألة الدين :

قد يقول معترض : انكم تنفقون أوقاتكم فى الكلام عن العالم المتمدن من ناحية الدين ، على حين أنه قد فرغ منها ، ولم يعد يخطرها بباله ، وقد محض نفسه للبحوث المادية ، وتسخير قوى الكون لحياته الدنيوية •

الحقيقة أن المعترض غير مصيب فيما يقول ، فان العالم المتمدن اليوم أشغل ما يكون بالمسألة الدينية من جميع نواحيها ، فان كان لابد من الاستشهاد بأقوال أقطابه ، فاليك ما كتبه الأستاذ (هنرى بيرانجيه) فى المجلد الرابع والعشرون من مجلة المجلات الفرنسية ، قال :

« **ان المسألة الدينية أهم ما يشغل العالم المتمدن اليوم ، لأن مستقبل الأمم المتحضرة يتوقف على حلها** » •

ثم قال :

« اذا كان النقد التاريخى قد حطم كل الأشكال المتحجرة فى الأديان ، فانه لم يستطع أن يعدو على العاطفة الدينية ، بل اعترف باستمرارها وشيوعها فى كل دور من أدوار التاريخ ، ورأى أن كل تلك الآلهة المختلفة المتعاقبة ، تشهد بأن الانسان مفطور على الاعتقاد بالله رغم أنفه • ففى كل جهة وكل زمان قد شوهدت حاجة الانسان الى الدعاء والعبادة والتضحية فى أخس الأديان الوثنية ، كما هى فى أرقى المذاهب الروحانية • هذه هى الشرارة البسيكولوجية (النفسية) التى استخلصها من رماد العصور الماضية ، تاريخ المقارنة بين الأديان ، فمن المحال أن يطفئها ، ولكنه سينقلها الى المستقبل » •

ثم قال :

« اننا نأمل الوصول الي حل المسألة الدينية ، وبخاصة لأن الديانة الفطرية قد ولدت منذ مائة عام ، ودرست بواسطة بعض كبار الفلاسفة الفرنسيين ، فجان جاك روسو ، ولمرتين ، ولامنيه ، وميشليه ، وكينيه ، كانوا من كبار المبشرين بهذه الديانة الجديدة •

وقريب منا ارنست رينان ، وجيو ، وشوريه ، وسبتييه ، قد أمدوها بقوة جديدة عظيمة » •

نقول : ما هى هذه الديانة الفطرية التى يعتقد المفكرون فى الغرب بأنها الديانة العالمية العلمية المستقبلة ؟ •

نأتيك بها عن لسان أحد كبار أشياعها وهو الفيلسوف (كارو) فقد قال فى كتابه : (البحوث الأدبية على الزمان الحاضر) :

« أصول الديانة الطبيعية هى الاعتقاد بوجود اله مختار خلق الكائنات وعنى بها ،

وهو متميز عن العوالم الكونية وعن النوع الانسانى ، ووجود روح للانسان متصفة بالادراك والحرية ، ومحبوسة فى هذا الجثمان المادى أمدا لتبتلى فيه • وهذه الروح تستطيع بارادتها أن تطهر هذا الجثمان وتنقيه ، اذا عرجت به نحو السماء ، ويمكنها ان تسفله باخلادها الى المادة الصماء ، والاعتماد المطلق

بسمو العقل على الحس ، ووضع الحرية الخلقية التى هى ينبوع وأصل جميع الحريات تحت سيطرة الاعتدال ، واعطاء الصفات الفاضلة اسمها الحقيقى وهو الامتحان والابتلاء ، وتحديد غرضلها الصحيح، وهو التخليص التدريجى للنفس من

علائق الجسم ، والتهيؤ لساعة الموت بالزهادة • وأخيرا الاعتراف بناموس الترقى ، ولكن بدون فصل ترقى الانسان فى مدارج السعادة المادية عن العواطف الفاضلة التى هى وحدها تبرر تلك السعادة » •

انتهى

نقول : هل يعنى كل هذا الجهد الجاهد من الفلاسفة والمفكرين غير محاولة الرجوع لدين الفطرة ، تحت تأثير حوافز من أنفسهم ، ومن تجلى آيات الله لهم ، فى الآفاق المحيطة بهم ، مصداقا لتلك الآية الكريمة ؟ •

فالدين الفطرى آت لا محالة ، مثله كمثل كل ما يدعو الى وجوده القلب والعقل ، والدين الفطرى هو الاسلام ينص كتابه ، وبموجب أصوله ، فاذا آنس الناس تلكئوا فى التمشى اليه ، فذلك أمر طبيعى ، لأن أكثر الناس عوام يجمدون على ما ورثوه ، ويستميتون فى تأييده وان كانوا لا يعقلونه ، ولكن بوتقة الوجود دائبة على صهر العقول جيلا فجيلا ،

ونفى الكدر العالق بها طبقة بعد طبقة ، والحقائق فى الوقت نفسه تزداد ذيوعا بينهم ، فلا يزال الأمر جاريا على هذه الوتيرة حتى لا يبقى فى الناس من يعتقد مالا يعقل ، واذ ذاك تحل الروح الاسلامية فى العالم بكل ما قامت عليه من أصول عقلية ، ومبادىء علمية ، فيتحقق أعظم اصلاح عالمى يتمناه المصلحون فى العصر الراهن •

فى ذلك اليوم لا يستطيع مفكر كالأستاذ (هنرى بيرنجيه) المتقدم ذكره أن يقول : « لما كانت الأديان ليست بشىء غير مظاهر رمزية للعاطفة الدينية فستتلاشى الأديان آجلا أو عاجلا ككل الآثار الانسانية ، ولكن

تلك العاطفة لن تتلاشى أبدا الا مع الانسـان نفسـه » •

نعم لا يستطيع أن يقول ذلك ، لأنه يجـد الدين الأخير منها ، هو تلك العاطفة نفسها ، كما ينص عليه كتابه فى قوله : « **فِطْـرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْـدِيلَ لِخَلْقِ اللَّـهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَـرَ النَّـاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** » ، ويجد أن كل ما تسـتدعيه تلك العاطفة الدينية من معتقدات وعبـادات ومعاملات ، مشروط فيه الرجوع به الى حكم العقل والعلم ، لا الى تحكم الهوى والجهل •

فكل حق وهدى وعلم وخير وترق ، فهـو فى شرعة هذا الدين الفطرى دين ، وكل بـاطل وضلال وجهل وشر وتدل ، فهـو فى شرعتـه كفر •

هذا هو الدين الذى جاء به محمد ــ صلى الله عليه وسلم دينا عاما للبشر كـافة ، فهل تجد محيصا للبشر عنه ؟

كيف يعقل ذلك والفطرة أساسه ، والعقـل نبراسه ؟ وهل للبشر محيد عنهما مهما حاولوا ذلك وتكلفوه ؟ فان كان فى العالم أصلان كلمـا أمعنت فى البعد عنهما ، ازددت قربا منهما ، فهما للفطرة والعقل •

أفلا يحق لنا بعد هذا أن نقول : ان اليوم الذى يحتفل فيه العالم أجمع بميلاد خـاتم المرسلين ليس ببعيد ؟ •

فاللهم صل وسلم وبارك على محمـد فى الآخرين ، كما صليت وسـلمت وباركت على ابراهيم فى الأولين ، انك حميد مجيد ! •

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب تفسير العلوم والمعانى المستودعة فى السبع المثانى

وهو تفسير لفاتحة الكتاب للتجيبى

إن مكتبة الأزهر الاسلامية تزخر بكثير من الكتب النادرة فى التفسير للقرآن الكريم ، لأنه من أهم ما يشغل عقول المفكرين والباحثين .

ومازال أولو الفضل من أهل العلم يقدحون أذهانهم لاجلاء بعض المعانى وما يحويه الكتاب الكريم من درر يسعد بها الانسان فى الدنيا والآخرة .

من العلماء الذين استقرأوا وفهموا حتى وصلت عقولهم الى الادراك العلمى الشيخ أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبى (٢) ، أبو العباس بن الأقليشى .

عالم بالحديث . أصله من « اقليش » بالأندلس ولد ونشأ فى دانية ، ورحل الى المشرق . فجاور بمكة سنين ، وعاد يريد المغرب فتوفى بقوس من « صعيد مصر » سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) .

من كتبه (النجم من كلام سيد العرب والعجم) و (الغرر من كلام سيد البشر) و (ضياء الأولياء) عدة أجزاء و (الكوكب الدرى) فى علم الحديث وغير ذلك .

قال عنه صاحب « نفح الطيب » من غصن الأندلس الرطيب جـ ١ ص ٦٢٥ . انه عرف بابن الاقليشى وهو صاحب كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم — صلى الله عليه وسلم — عارض به كتاب القضاعى .

وقد سمع من أبيه وأبى بكر أبى العباس بن عيسى — وتلمذ له . ورحل الى (بلنسيه) فأخذ العربية والآداب عن أبى محمد البطليوسى .

وسمع الحديث من صهره أبى الحسن طارق بن يعيش . والحافظ أبى بكر بن العربى ، وأبى الوليد بن خيره ، وابن الدباغ ، ولقى بالمرية أبا القاسم بن ورد ، وأبا محمد عبد الحق بن عطية وولى الله سيدى أبا العباس بن العريف . وكان عالما عاملا متصوفا شاعرا مجودا مع التقدم فى الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا وأهلها والاقبال على العلم والعبادة .

وكان يضع يده على وجهه اذا قرأ القارىء فيبكى حتى يعجب الناس من بكائه ، وكان

---

(١) الكتاب موجود بمكتبة الازهر برقم خاص ٢٥٥ وعام ٤٢٥٣ علم التفسير .

(٢) الاعلام للزركلى جـ ١ ص ٢٤٣ .

للأستاذ محمد عميرة على

الناس يدخلون عليه بيته والكتب عن يمينه وشماله . وقد وصف غير واحد امامه وعلمه وورعه وزهده . ومن شعره :

أسير الخطايا عند بابك واقف
له عن طريق الحق قلب مخالف
قديما عصى عمدا وجهلا وغرة
ولم ينهه قلب من الله خائف
تزيد سنوة وهو يزداد ضلة
فها هو فى ليل الضلالة عاكف

وكتابنا الذى نقدمه لقرائنا اليوم كتاب (تفسير العلوم والمعانى . المستودعة فى السبع المثانى — وهو تفسير لفاتحة الكتاب .

قال مؤلفه رحمه الله فى أوله : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . وآتاه السبع المثانى والقرآن العظيم صراطا واضحا ومنهجا . وجعل له بأنوراه من كل مشكل مخرجا وصلواته عليه فهو الذى ابتعثه نورا ساطعا فى الدجا وسراجا منيرا .

أما بعد : فان كتاب الله العظيم وذكره الحكيم المنزل على نبيه الكريم . وهو الضياء الذى ينبغى لكل مسلم أن يستضىء بأنواره والظل الظليل الذى يجب على كل موقن أن يتبع مواقع آثاره ، وان الذى يعين على فهمه وتحصيل مكنون علمه تفسيره وشرحه ، وقد حرك الآن خاطرى رب الأرباب أن أفسر منه فاتحة الكتاب لأنها سورة يربو فضلها على الحصر والحساب، وتوجب لعارفها أطمح النواب وأنجح المثاب ، وحسبك ماورد فى فضلها فى الذكر الحكيم وعلى لسان النبى الكريم . هذه السورة العظيمة سماها رسول الله ﷺ « ام القرآن » وفاتحة الكتاب» « والسبع المثانى » « والقرآن العظيم » .

فاما تسميتها ام القرآن ففى الحديث الصحيح عن النبى عليه الصلاة والسلام (كل صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج) .

وأما تسميتها فاتحة الكتاب فقوله — صلى الله عليه وسلم — « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .

وأما تسميتها السبع المثانى والقرآن العظيم فقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح « هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيت » .

وبعد أن تكلم فى تسمية سورة الفاتحة مستشهدا بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قال : أول آية من هذه السورة اختلف فيها الصحابة والتابعون والفقهاء والاصوليون والعادون .

فذهب ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم من الصحابة الى أن أول آية منها « بسم الله الرحمن الرحيم » وبه يقول مكحول وطاوس وعطاء وابن المبارك وغيرهم

وهو مذهب الشافعى وابن وهب المالكى وطائفة كثيرة والى هذا ذهبت طائفة من أهل النظر من الأصوليين . واحتجوا بأن القراءات السبع وردت تواترا وثبتت ثبوتا لازما وقد أسقط بعض القراء السبعة (بسم الله الرحمن الرحيم) من سائر سور القرآن حاشى « الحمد لله رب العالمين » فانه أجمعوا على اثباتها وهذا يدل على أنه أية منها ، واحتجوا بحديث أم مسلمة أنها قالت كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته آية أية يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله رب العالمين » وهذا الحديث صحيح

وأما العادون للآية فمن جعل قوله تعالى « صراط الذين أنعمت عليهم » الى آخر السورة آية . جعل بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب .

وقال عبد الرازق فى مصنفه قرأها علينا ابن جريج بسم الله الرحمن الرحيم . آية . الحمد الله رب العالمين . آية . الرحمن الرحيم آية . مالك يوم الدين . آيه . اياك نعبد واياك نستعين . آية . اهدنا الصراط المستقيم. آية ، صراط الذين أنعمت عليهم الى آخرها آية .

وأما من قال ان أول آية من هذه السورة الحمد لله رب العالمين ، وأن بسم الله الرحمن الرحيم ليست آية منها فهو مذهب مالك والأوزاعى والطبرى .

ومذهب من عد قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آيتين لأن فاتحة الكتاب سبع آيات بلا اختلاف

واختار القاضى أبو بكر الباقلانى هذا المذهب ونصره ورأى مذهب مالك أقوى المذاهب ، وهذه مسألة قد طال فيها الكلام بين العلماء وتكاثرت الحجج والأدلة بينهم فيها . والصحيح أنها مسألة اجتهاد وأنها موكولة الى النظر . الخ

واسترسل المصنف فى سياق الآراء التي أوردها العلماء فى حكم من عد بسم الله الرحمن الرحيم آية أو أنها غير آية .

وأما قوله الرحمن الرحيم اسمان من أسمائه تعالى مشتقان من الرحمن ورحمة الله تعالى تكون صفة ذاتية . وتكون صفة فعلية ، فان كان معنى الرحمن ارادته فيض الخير على عباده كانت الرحمة صفة ذاتية . وان كانت الرحمة نفس الفيض والانعام كانت صفة فعلية ولله تعالى فى ذاته رحمة واحدة أزلية هى صفة له ذاتية ترجع الى ارادته الانعام والاحسان قبل ايجاد الموجودات ثم أوجد الانعام والاحسان على ما اقتضته ارادته السابقة فكان الانعام الموجود بعد ان لم يكن هو نفس الرحمة الفعلية وتتكاثر رحمات الله تعالى فى الوجود بتكاثر انعامه واحسانه .

ولذلك ورد فى الصحيح عن رسول ﷺ أن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء الى الأرض . فجعل منها فى الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض ، فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة . فهذه المائة الرحمة هى الرحمات المخلوقة منها فى الأرض واحدة أظهرها فى الدنيا

بين عباده ، وتسعة وتسعون فى الآخرة ، ثم تتصل هذه الرحمة الدنيوية بالرحمات الأخرية فيكون مائة على عدد درجات الجنة ، فاذا رحم بهذه الرحمات المخلوقة عباده بالآخرة كشف لهم الحجاب عن ذاته حتى يروا رحمته الذاتية التى وسعت كل شىء كما وسع علمه كل شىء ، كما قال تعالى نقلا عن ملائكة الكرام «رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا» الى آخر ماذكر فى هذا المقام .

وقوله تعالى الحمد لله رب العالمين . هذه هى الأولى من فاتحة الكتاب عند مالك رحمه الله والأوزاعى والطبرى وهو مذهب القاضى الباقلانى وهى الآية الثانية عند الشافعى وجماعة من العلماء فأما قوله تعالى «الحمد لله رب العالمين» فان الحمد موضوع اللسان كلمة أريد بها الثناء والمدح فقول العرب حمدت فلانا أحمده اذا أثنيت عليه مدحته ، فالحمد لله ثناء لله تعالى من الله تعالى ومدح لذاته من نفسه ، وهو أيضا تعليم منه لعباده كيف تمدحونه وتثنون عليه ، فأما كون الله تعالى حامدا لنفسه فان ذلك يرجع الى كون ذاته مستحقة للمدح والثناء بما لها من الجلالة فى ذاتها وما استحقت من الصفات المقدسة والأسماء وما أبدع من موجودات الأرض والأسماء وما يثبت فى الوجود من السراء والضراء فهو المحمود من نفسه لنفسه على كل حال والغنى عن حمد كل حامد بلسان مقال أو حال فحمده لنفسه هو بكلامه القديم فى أزله فحمد نفسه لوحدانيته برأته عن الانداد والأضداد والشركاء والأولاد كما قال تعالى «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ» الى آخر ما ذكر فى هذا المعنى .

وقال فى قوله تعالى «الرحمن الرحيم» ان هذه الآية هى الثانية عند مالك بن أنس رضى الله عنه ، ومن قال بقوله ، وهى الآية الثالثة عند الشافعى رضى الله عنه — وجماعة من العلماء ولكل قائل بمذهب من هذين المذهبين حجة بكل حجج .

وقد ذهب المحتج للشافعى ومن قال بقوله والمنتصر له والرد على مخالف مذهبه فى قوله تعالى «الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم بعد ان قال بسم الله الرحمن الرحيم الى ما سيأتى بيانه بعد اذ ذهب بعد أهل النظر من أهل الخطابة الى تقوية حجة مالك فى قوله ان بسم الله الرحمن الرحيم ليست آية من الحمد لله بقوله تعالى «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم» وقال : لو كانت بسم الله الرحمن الرحيم آية من الحمد لله رب العالمين لم يكرر الرحمن الرحيم مرتين والقرآن أفصح الكلام لأنه تنزل بأفصح لغات العرب والعرب لا تكرر الكلام مثل هذا التكرير ، فاستدل بهذا على أن بسم الله الرحمن الرحيم ليست آية من الحمد لله .

وفى قوله تعالى «مالك يوم الدين» هذه الآية الثالثة على مذهب مالك ومن قال بقوله وهى الآية الرابعة على مذهب الشافعى وأكثر العلماء وثبتت القراءتان مالك يوم الدين ،

وملك يوم الدين ، ثبوتا متواترا ومن العلماء من استحسن قراءة « ملك يوم الدين » لقوله تعالى «لمن الملك اليوم» ولأن كل ملك مالكا وليس كل مالك ملكا . يقول فلان ملك البلدة ومالكها وتقول مالك الثوب ولا تقول ملكه ، فعلى هذا يكون الملك أعم من المالك ، واختار أبو حاتم قراءة مالك ورآها أجمع من ملك لأنك تقول ان الله مالك الناس ومالك الطير ومالك كل شيء من الأشياء ونوع من الأنواع ، ولا يقال الله ملك الطير ولا ملك الريح ونحو ذلك انما يحسن مالك الناس ، وأما يوم الدين فهو يوم الحكم والجزاء والحساب والفصل والقضاء ، وقد وصف الله هذا اليوم فى كتابه بأوصاف كثيرة ، وعدد المصنف علامات ومشاهدات يوم القيامة.

وقال فى « اياك نعبد واياك نستعين » هذه الآية الرابعة عند مالك رحمه الله ومن نحى نحوه والآية الخامسة عند الشافعى وغيره . وهى التى قال فيها النبى عليه الصلاة والسلام . فاذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله تعالى فهذه بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل . معناه أن عبدى توجه الى بالعبادة وسألنى العون عليها فعبادته متقبلة . فالعبادة وصف العبد والعون من الله تعالى للعبد فلذلك قال فهذه بينى وبين عبدى .... الخ .

وأما قوله تعالى « أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » هده ثلاث ايات عند مالك ومن قال بقوله وهما آيتان عند الشافعى وطائفه من العلماء ، واحتج مالك بقوله عليه الصلاة والسلام حاكيا عن الله تعالى فهؤلاء بينى وبين عبدى وهؤلاء انما يكون للجمع والثلاثة جمع ، واحتج للشافعى بأن الاثنين أول الجمع ، وقوله تعالى « اهدنا » هو سؤال ورغبة من العبد لربه فى الهداية وقد أمر الله كل مكلف أن يسأله الهداية الى الصراط المستقيم . الى آخر ما ذكر من الشرح .

وختم المصنف كلامه بقول المصلى (آمين) بعد خاتمة فاتحة الكتاب فقال : معناه اللهم استجب لنا دعاءنا الذى دعوناك به فى قولنا « أهدنا الصراط المستقيم » صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين « ولذلك قال الله تعالى فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل فانما وقع تأمينه على هذا السؤال . وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا قال أحدكم آمين قالت الملائكة فى السماء آمين فوافقت احداهما الأخرى غفر له ماتقدم من ذنبه » .

والنسخة فى مجلد بقلم مشرقى قديم بخط خالد بن عمر ٦٢٧ هـ فى ١٠٥ ورقات ومسطرتها سبعة عشر سطرا .

أيها القارىء الكريم : ان الكتاب الذى نقدمه اليك نسخة فريدة من المخطوطات النادرة بمكتبة الازهر الشريف هو بمثابة الارشاد والتنويه عن هذه الكنوز التى تزخر بها المكتبة ، ونقدم اليك خلاصة لموضوع الكتاب حتى تضع يدك على شىء قد يكون خفى عليك أو غاب عن ذهنك ، فنعطيك الوسيلة وعليك التمام الى الغاية التى تريدها وينشدها كل باحث أو محقق .

محمد عميرة على

اللغة والأدب والنقد

الفصل بين المتلازمين في النحو العربي

الصحافة الإسلامية في مصر

الفصل بين المتلازمين
فى النحو العربى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

((وبعد))

فهذا بحث أقدمه – بمشيئة الله – لقراء العربية ، وموضوعه :

« الفصل بين المتلازمين فى النحو العربى »

وأعنى به على سبيل المثال لا الحصر ،الفصل بين الصلة والموصول – الفصل بين العدد ومميزه – الفصل بين المتضايفين . الفصل بين فعلى التعجب ومعمولهما – الفصل بين ما وفعل التعجب – الفصل بين نعم وفاعلها – الفصل بين من التفضيلية وأفعل التفضيل – الفصل بين الصفة والموصوف .

وبعد هذه العجالة أعود فأفصل القول فيما أجملته فأقول وبالله التوفيق .

أولا : الفصل بين الصلة والموصول :

اعلم وفقنى الله واياك – أن الموصول لا يتم الا بصلته ومن ثم لا يجوز الفصل بينهما بأجنبى ، أعنى بما ليس من الصلة – وقد جوز بعض النحاة الفصل بينهما : بمعمول الصلة ، وبالجملة الاعتراضية ، وبجملة القسم وبجملة الحال ، وبالنداء فمن الفصل بمعمول الصلة قولهم : (جاء الذى زيدا ضرب) .

ومن الفصل بالجملة الاعتراضية قول الشاعر :

ماذا – ولا عتب فى المقدور – رمت أما
يكفيك بالنجح أم خسر وتضليل

ففى هذا البيت فصل بين (ذا) و (رمت) بقوله : (ولا عتب فى المقدور) لأن فيه توكيدا لمضمون الجملة الموصول بها . ولكن ينبغى أن نلاحظ أن (ذا) من قوله (ماذا) لا تتعين أن تكون موصولة بل تحتمل أن تكون (ماذا)كلها استفهامية ، وعلى هذا فلا شاهد فى البيت .

ومثال الفصل بجملة القسم قول جرير (١):

ذاك الذى وأبيك تعرف مالكا
والحق يدفع ترهات (٢) الباطل

ففصل بالقسم الذى هو (وأبيك) بين الذى وصلته ، لأن فيه تأكيدا .

---

(١) شرح ديوان جرير ص ٤٣٠ – تاليف الاستاذ محمد اسماعيل عبد الله الصاوى – الشركة اللبنانية للكتاب – بيروت – لبنان .

(٢) الترهات : جمع ترهة كقبرة وهى : الاباطيل المزخرفة او التى لا نظام لها .

للدكتور حمدى عبد الحميد المقدم

ومثال الفصل بجملة الحال قول الشاعر :

ان الذى وهـو مثر لايجود حـر
بفـاقة تعتريــه بعــد اثراء

ففصل بجملة الحال وهى قوله (وهــو مثر) بين الموصول وصلته • قال ابن مالك : والجملة الحالية أولى ألا تعـد أجنبيا ، وكذا النـداء الذى يليه مخاطب ، كقول حسان بن ثـابت يرثى سعد بن معاذ رضى الله عنه (١) :

وأنت الذى ياسـعد أبت بمشهد
كريم وأثواب الســيادة والحمد

ففصل بين الموصــول وصلته وهى (أبت) بالنداء ، وهو ياسعد •

* قال ابن مالك : فان لم يكن مخاطب عد الفصل أجنبيا ولم يجز الا فى الضرورة كقول الفرزدق :

تعش فان عـاهدتنى لا تخـوننى
نكن مثل مـن يـاذئب يصطحبان

« ملاحظة » : ان كان الموصول (أل) فان الفصل بينه وبين صلته لا يجوز بحال مــن الأحوال لا بأجنبى ولا بغيره ، لأنها كجزء من الصلة ، وكذا الموصول الحرفى ، لأن امتزاجه بصلته أشد من امتزاج الاسم بصلته (٢) •

ثانيا : الفصل بين العدد ومميزه

اعلم أن العدد مع المعدود ككلمة واحدة ، ألا ترى أن العدد عشرين مع مميزه بمنزلـة رجل ورجلان ، ولو وجدوا لفظا دالا عـلى المعدود مع العدد كمـا فى المفـرد والمثنى لم يحتاجوا الى العدد ، ومن ثم لا يجوز الفصل بينهما الا فى الضرورة كقـول العبـاس بن مرداس •

عـلى أننى بعـدما قــد مضى
ثـلاثون للهجـر حـول كميـلا

وقول الآخر :

فأشهد عند الله أن قد رأيتهــا
وعشرون منهـا اصبعا من ورائيا

وقول جرير (٣)

فى خمس عشرة مــن جمادى ليلة
ما أســتطيع على الفراش رقادى

◄

(١) أنظر الديوان ج١ ص ٤١٥ تحقيــق د• وليد عرفات دار صادر بيروت ١٩٧٤ م •

(٢) أنظر فى هذه المسألة شرح جمل الزجاجى لابن عصفور ج١ ص ١٨٦ تحقيق د• صـاحب أبو جناح سنــة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م وهمــع الهوامع للسيوطى ج ١ ص ٨٨ الطبعة القديمة ، وشرح الكافية الشافية تحقيق د• عبد المنعم هريدى ١ ــ ٣٠٨ دار المأمون للتراث •

(٣) شرح الديوان ص ١٢٢ وروايتــه : (لى خمس ••• ما أستطيع) •

▶ الفصل بين المتلازمين

ولعلنا نلاحظ أن الفصل بين العدد ومميزه فى الأبيات الثلاثة كان بالجار والمجرور والظرف .

ومن المعلوم أن الظرف والجار والمجرور يتوسع فيهما مالا يتوسع فى غيرهما .

« ملاحظة » كل مقدار مع مميزه لا يفصل بينهما نحو (رطل زيتا) ، لأنه هو بدليل اطلاق أحدهما على الآخر (١) .

ثالثا : الفصل بين المضاف والمضاف اليه

زعم كثير من النحويين أنه لا يفصل بين المضاف والمضاف اليه الا فى الشعر خاصة ، لأن المضاف اليه منزل من المضاف منزلة جزئه، لأنه واقع موقع تنوينه فكما لا يفصل بين أجزاء الاسم لا يفصل بينه وبين ما نزل منزلة الجزء منه ، وهو قول البصريين .

وذهب الكوفيون الى أنه يجوز الفصل بينهما فى غير الشعر . ولما أراد المتأخرون من النحاة أن يفصلوا فى هذه المسألة نظروا الى الأدلة التى ورد فيها الفصل بين المضاف والمضاف اليه فوجدوا بعض هذه الأدلة كلاما لا ضرورة فيه كقراءات رويت فى بعض آيات القرآن الكريم .

وكأحاديث رويت عن النبى ﷺ وهو أفصح العرب .

وكعبارات رواها الأثبات عمن شافهوهم من العرب المحتج بكلامهم ، فلم يستطيعوا الا أن يجعلوا مسائل الفصل بين المتضايفين على ضربين :

ضرب يجوز فى سعة الكلام ، وذلك فيما وجدوا له دليلا فى الكلام المنثور ، أو وجدوه شائعا فى شعر الشعراء المعروفين مع أن له تعليلا صحيحا يجرى على ما عهد فى كلام العرب وحصروا هذا القسم فى مسائل ثلاث :

والثانى : ضرب لا يجوز فى سعة الكلام ، وانما يحتمل منه ما ورد فى الشعر ، ويعتبر ضرورة من ضرورات الشعر ، وهو ما لم يجدوا له دليلا فى غير الشعر الذى لم يعرف قائله ، أو عرف ولكن التعليل الذى يسلكه فى مسالك الكلام العربى غير متوافر فيه ، وحصروا هذا القسم فى أربع مسائل . وهذا ما سوف أوضحه فى هذا البحث .

فأقول : اعلم أن مسائل الفصل بين المتضايفين فى السعة ثلاث : —

احداها : أن يكون المضاف مصدرا والمضاف اليه فاعله والفاصل مفعوله كقراءة ابن عامر(٢) « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » (٣) برفع (قتل) على أنه نائب فاعل (زين) ونصب (أولادهم) وجر (شركائهم) فقتل مصدر مضاف ، وشركائهم مضاف اليه من اضافة المصدر الى فاعله ، وأولادهم مفعول به ، والذى حسن الفصل فى

---

(١) أنظر فى هذه المسألة : الهمع ١ـ٢٥٤ والدرر اللوامع ١ـ٢١٠ ، وشرح الكافية للرضى ٢ـ٩٦ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٤ـ١٣٠ ، وشرح جمل الزجاجى ٢ـ٣٥ ، والمقتضب للمبرد تحقيق د. محمد عبد الخالق عضيمة ٣ـ٥٥ ، ٥٦ وشرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك ص ٥٣٢ تحقيق عدنان عبد الرحمن الدورى ط ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

(٢) أنظر حجة القراءات للامام أبى زرعة ص ٢٧٣ تحقيق سعيد الافغانى .

سعة الكلام هنا ثلاثة أمور :

الأمر الأول : كون الفاصل فضلة لكونه مفعولا به وذلك مسوغ لعدم الاعتداد به .

الأمر الثاني : كون هذا الفاصل غير أجنبي لتعلقه بالمضاف .

الأمر الثالث : كونه مقدر التأخير من أجل أن المضاف اليه مقدر التقديم بمقتضى الفاعلية المعنوية ، فسقط بذلك قول الزمخشري في كشافه « وأما قراءة ابن عامر فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر كان سمجا مردودا فكيف به في الكلام المنثور ، فكيف به في القرآن المعجز بحسب نظمه وجزالته » (١)

ويقول أبو حيان في البحر المحيط ٤/٢٣٠ : « وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغربا .

وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم . ولا التفات أيضا لقول أبي علي للفارسي : هذا قبيح قليل الاستعمال ولو عدل عنها « يعنى ابن عامر » كان أولى ، لأنهم لم يجيزوا الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف في الكلام ، مع اتساعهم في في الظروف ، وانما أجازوا في الشعر » .

وجاء في النشر في القراءات العشر ٢/٢٦٣ ـ ٢٦٤ : « قلت : والحق في غير ما قاله الزمخشري ونعوذ بالله من قراءة القرآن بالرأي والتشهي ، وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد في الكتابة من غير نقل ؟ .

بل الصواب جواز مثل هذا الفصل ، وهو بين المصدر وفاعله المضاف اليه بالمفعول في الفصيح الشائع الذائع اختيارا ، ولا يختص ذلك بضرورة الشعر .

ويكفي في ذلك دليلا هذه القراءة الصحيحة المشهورة التي بلغت حد التواتر . كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان بن عفان وأبي الدرداء ـ رضي الله عنهما .

وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب فكلامه حجة ، وقوله دليل ، لأنه كان قبل أن يوجد اللحن ويتكلم به ، فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن ... الخ » .

المسألة الثانية : أن يكون المضاف وصفا والمضاف اليه مفعوله الأول والفاصل اما مفعوله الثاني ، كقراءة بعضهم (٢) « فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهِ » (٣) بنصب وعده ، وجر رسله .

وقول الشاعر :

مازال يوقن من يؤمك بالغنى
وسواك مانع فضله المحتاج

فسواك مبتدأ ، ومانع خبره وهو اسم فاعل مضاف الى مفعوله الأول وهو (المحتاج)

(١) الكشاف ٢ـ٥٥ دار الكتاب ـ بيروت .

(٢) اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر ص ٢١٧ .

(٣) ابراهيم ـ ٤٧ .

الفصل بين المتلازمين

وفضله المفعول الثانى ، وفصل به بين المضاف والمضاف اليه ، والأصل : وسواك مانع المحتاج فضله واما ظرفه ، كقوله عليه الصلاة والسلام : « هل أنتم تاركو لى صاحبى » (١) فقوله : « تاركو » اسم فاعل مضاف الى مفعوله وهو « صاحبى » بدليل حذف النون ، ولى جار ومجرور فصل به بين المضاف والمضاف اليه .

ومن المعلوم أن الجار والمجرور عديل الظرف ، والاصل : هل أنتم تاركو صاحبى لى وقول الشاعر :

فرشنى بخير لا أكونَنْ ومدحتى
كناحت يوماً صخرةٍ بعسيل (٢)

ففى هذا البيت فصل بين المضاف وهو قوله « ناحت » والمضاف اليه وهو « صخرة » بالظرف .

المسألة الثالثة : أن يكون المضاف غير مشبه للفعل ، والفاصل قسما ، كقولك : « هذا غلام والله زيد » بجر زيد باضافة الغلام اليه وفصل بينهما بالقسم حكاه الكسائى ، وحكى أبو عبيدة قال : « سمعت بعض العرب يقول : ان الشاة لتجتر فتسمع صوت والله ربها » ففى كل واحد من العبارتين الفصل بالقسم كما ترى ، ولهذا جعلها محققو النحاة المتأخرين مما يجوز فيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه فى سعة الكلام .

ثم اننا نعلم أن جملة القسم مما يكثر دورها فى الكلام حتى انهم ليغتفرون الفصل بها بين الحرف ومعموله كما فى قول حسان ابن ثابت :

اذن والله نرميهم بحرب
تشيب الطفل من قبل المشيب

ومن أقوى ما يستدل به على جواز الفصل بين المتضايفين بجملة القسم فى سعة الكلام أنهم جوزوا الفصل بها بين الاسم الموصول وصلته كما تقدم ، وشأن الموصول مع صلته كشأن المضاف والمضاف اليه .

وبعد أن انتهيت من مسائل الفصل فى السعة بين المتضايفين . أتحدث عن المسائل الأربع الباقية التى تختص بالشعر :

احداها : الفصل بالأجنبى ، ونعنى به معمول غير المضاف ، فاعلا كان الأجنبى كقول الأعشى (٣) .

أنجب أيام والداه به
اذ نجلاه فنعم ما نجلا

فقوله : (أنجب) فعل ماض ، ووالداه فاعله ، وبه متعلق بأنجب ، وأيام ظرف زمان متعلق بأنجب وهو مضاف واذ مضاف اليه ، والداه فاصل بين المضاف والمضاف اليه وهو أجنبى من المضاف ، لأنه معمول لغيره ، وأصل ترتيب البيت هكذا :

---

(١) هذا جزء من حديث رواه أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم - واللفظ فى صحيح البخارى فى فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه - أنظر ارشاد السارى شرح صحيح البخارى ٦-٨٨ .

(٢) رشنى : فعل أمر أصله قولهم « راش السهم يريشه اذا ألزق عليه الريش وفى ذلك قوة للسهم » . العسيل : مكنسة العطار .

(٣) الديوان ص ١٧١ .

أنجب والداه به أيام اذ نجلاه فنعم ما نجلاه

أو كان الفاصل مفعولا ، كقول جرير (١) .

تسقى امتياحا ندى المسواكَ ريقتهـا

كماتضمن مـاء المزنة الرصَفُ (٢)

ففى هذا البيت فصل بين المضاف وهو قوله (ندى) وبين المضاف اليه وهو قوله (ريقتها) بأجنبى غير معمول للمضاف وهو قولـه (المسواك) فانه مفعول لتسقى .

أو ظرفا ، كقول أبى حية النميرى :

كمـا خط الكتـاب بكف يومـا

يهودى يقـارب أو يزيـل

ففى هذا البيت فصل بين المضـاف وهـو « كف » والمضاف اليه وهو « يهودى » بأجنبى من المضاف ، وهو قوله « يوما » فانه ظـرف لقوله « خط » ، وأصل البيت :

كما خط الكتاب يوما بكف يهودى . ونظـير هذا البيت قول ذى الرمة (٣) .

كأن أصوات مـن ايغالهن بنـا

أواخـر الميس أصـوات الفراريج (٤)

ففى هذا البيت فصل بين المضاف وهو قوله « أصوات » وبين المضاف اليه وهو قـوله « أواخر الميس » بالجار والمجرور وهو قوله « من ايغالهن بنا » والجار والمجرور عـديل الظرف .

المسألة الثانية : الفصل بفاعل المضاف ، كقول القائل :

مـا ان رأينـا للهـو مـن طب (٥)

ولاعد منـا قهـر وجـدٌ صـب

ففى هذا البيت أضاف « قهر » الى مفعوله وهو « صب » ، فصل بينهما بفاعل المصـدر وهو « وجد » .

المسألة الثالثة : الفصل بنعت المضاف ، كقول معاوية بن أبى سفيان ــ رضى الله عنه ــ

نجـوت وقـد بل المرادى سيفه

من ابن أبى شيخ الأباطح طالب (٦)

ففصل بين المضاف والمضاف اليه وهمـا « أبى وطالب » بنعت المضاف وهو « شـيخ الأباطح » .

المسألة الرابعة : الفصل بالنداء ، كقـول الفرزدق .

اذا ما ــ أباحفص ــ أتتك رأيتها

على شعراء النـاس يعلو قصيدها

ومثله قول بجير بن زهير بن أبى سلمى

وفاق كعب بجيرٍ منقـذ لك من

تعجيل تهلكةٍ والخلد فى سـقر

(١) شرح الديوان ص ٣٨٧ .

(٢) امتياحا : مصدر امتاح ، واصل معنـاه غرف الماء ، وأراد به هاهنا : الاستياك ــ الندى : البلل ــ الريقة : الرضـاب ، وهو ماء الفم ــ الرصفة الحجارة المرصوفة ، وماء الرصف : هو الماء الذى ينحدر من الجبال على الصخر .

(٣) الـديوان ص ١٠٥ ط الاولى ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٤ م .

(٤) الميس : شجر تعمل منه الرحال ــ الايغال : الابعاد فى السير ، يقال : أوغـل فى الارض اذا ابعد فيها .

(٥) عدمنا ــ فقدنا ــ قهر : غلبة ــ الوجـد : شدة الحب ــ والصب : من الصبـابة وهى رقة الشوق وحرارته .

(٦) المرادى : هو عبد الرحمن بن عمـرو الشهير بابن ملجم ــ الاباطح جمع بطحاء والمراد بها مكة ، لان طالبا كان شيخ مكة ومن أعيـان أهلهـا .

الفصل بين المتلازمين

فان قوله « وفاق » مضاف الى « بجير » وقد فصل بينهما بالمنادى ، وأصل نظم الكلام: وفاق بجير ياكعب منقذ لك من تعجيل تهلكة والخلد فى سقر .

والنداء مما يكثر دوره فى الكلام كالقسم ، وقد فصلوا به بين الموصول وصلته ، كما ذكرت سابقا ، كقول حسان بن ثابت يرثى سعد بن معاذ — رضى الله عنه .

وأنت الذى يا سعد أبت بمشهد
كريم وأثواب السيادة والحمد (١)

رابعا : الفصل بين فعلى التعجب ومعمولهما

اختلف النحاة فى الفصل بين فعلى التعجب ومعمولهما بالظرف والمجرور حال كونهما متعلقين بالفعل الدال على التعجب ، فمنهم من منع ، ومنهم من أجاز .

فالمانعون يحتجون بضعف هذا الفعل لأنه غير متصرف فلزم طريقة واحدة وصار حكمه كحكم الأسماء .

والذى يجيز يحتج بأن الفصل قد جاء فى الحرف نحو « ان بك زيدا مأخوذ » مع أن الحرف أضعف من الفعل فالأولى أن يجوز ذلك مع الفعل . فان قيل : ان الحرف قد خرج من الباب الأضعف الى الباب الأقوى لشبهه بالفعل . وفعل التعجب خرج من الباب الأقوى وهو الفعل الى الباب الأضعف وهو الحرف .

فالجواب : ان فعل التعجب قوى الأصل ، لأنه فعل ، و « ان » ضعيفة الأصل لأنها حرف ، فلا أقل من أن يكونا فى رتبة واحدة . والرأى الذى أميل اليه أن الفصل بينهما وبين المعمول بالظرف والمجرور جائز ، وذلك لتوسعهم فيهما ولأنه حكى من كلام العرب نحو « ما أحسن بالرجل أن يصدق » وما أقبح به أن يكذب ، وقول عمرو بن معد يكرب : لله دربنى سليم ما أحسن فى الهيجاء لقاءها وما أكرم فى اللزبات عطاءها ، وما أثبت فى المكرمات بقاءها ومما ورد منه فى النظم قول القائل :

خليلى ما أحرى بذى اللب أن يرى
صبورا ولكن لا سبيل الى الصبر

وقول العباس بن مرداس :

وقال نبى المسلمين تقدموا
وأحبب الينا أن تكون المقدما

وقول أوس بن حجر (٢) :

أقيم بدار الحزم مادام حزمها
وأحر اذا حالت بأن أتحولا

وقول عمر بن أبى ربيعة (٣) :

---

(١) انظر فى هذه المسألة : التصريح على التوضيح للشيخ خالد الازهرى ٢—٥٧ ، والمقتضب ٤—٣٧٦ ، والكتاب لسيبويه ١—١٧٨ ، ١٧٩ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ، وعمدة الحافظ وعدة اللافظ ص ٤٩٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٣—١٩ ، ٢٣ ، وشرح جمل الزجاجى لابن عصفور ٢—٦٠٤ ، ٦٠٥ ، والانصاف فى مسائل الخلاف للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد المسألة رقم ٦٠ ، وأوضح المسالك للعلامة محمد محيى الدين عبد الحميد ج٣ ص ١٧٧ ط الخامسة دار الجيل بيروت .

(٢) الديوان ص ٨٣ تحقيق محمد يوسف نجم الطبعة الثانية دار صادر بيروت .

(٣) الديوان ص ٤١٢ تحقيق وشرح محمد محيى الدين عبد الحميد الطبعة الثانية — مطبعة السعادة عام ١٩٦٠ م .

فصدَّت وقالت : بل تريد فضيحتى
وأحبب الى قلبى بهـــا متغضبا

وقول عبد الله بن سبرة حين قطعت يده فى الغزو فعبر عنها بالجار

وى لِمِّ جـارٍ غداة الروع فارقنى
أهون على بــه إذ بان فانقطعا

فان لم يتعلق الفصل بهما فلا يجوز اتفـــاقا للفصل بين المعمول وعامله الضعيف بالأجنبى ، فلا يجوز « لقيته فما أحسن أمس زيدا » على أن يتعلق أمس بلقيت وكذلك يمتنع الفصـل بهما اتفاقا لو تعلق الظرف والمجرور بمعمول فعل التعجب نحـو « ما أحســن معتكفـا فى المسجد » و « أحسن بجالس عندك » فلا يجوز أن تقول :

« ما أحســن فى المسـجد معتكفـا » ولا « أحسن عندك بجالس » ، لئلا يلزم الفصل بين العامل ومعموله بمعمول معموله •

وكما وقع الخلاف بين النحاة فى الفصل بين فعلى التعجب ومعمولهما بالظرف والمجـرور حال كونهما متعلقين بفعلى التعجب وقـع الخلاف بينهم أيضا فى الفصـل بينهما بغـير الظرف والمجرور • فمن النحـاة مـن أجـاز الفصل بالنداء واستدل على ذلك بقول على بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ ، وقد مر بعمار فمسح التراب عن وجهه : « أعزز على أبـا اليقظان أن أراك صريعا مجدلا » • وأجاز ابن كيسان الفصل بينهما بلولا الامتناعية نحـو « أحسن لولا بخله بزيد » • ومنعهما ابـن هشام حيث يقول فى أوضحه : « وكـذلك لا تقول : ما أحسن ياعبد الله زيدا ، ولا أحسن لولا بخله بزيد » وأجاز الجرمى وهشـــام الفصل بالمصدر نحو « ما أحسن احسانا زيدا» ومنعه الجمهور لمنعهم أن يكون له مصـدر • وأجازا أيضا الفصل بالحال نحو « ما أحسن راكبا زيدا » ، أو « أحسن راكبا بزيـد » • ومنعه الجمهور ، لأن الفصل بالحال يفتقر الى دليل (١) •

خامسا : هل يجوز الفصل بين ما وفعـل التعجب

للاجابة على هذا السؤال أقول :

لا يجوز الفصل بين (ما) وفعل التعجب بغـير (كان) من أخواتها ، لأنها أم الافعال لاينفك فعل من معناها أما (كان) الزائدة فيجوز •

الفصل بها نحو « ما كان أحسن زيدا » ، ومنه قول عبد الله بن رواحة يخاطب النبى عليه الصلاة والسلام •

ما كان أسـعد من أجابك آخـذا
بهداك مجتنبا هــوى وعنـــادا

ومن ثم يقول ابن عصفور فى مقربه (٢) « ويجوز زيادة كان بين ما والفعل الــذى فى موضع خبرها فتقول » : « ما كـان أحسـن زيدا » اذا أردت التعجب مما وقع وانقطع ، وهذه فائدة الفصل بكان • فان أردت التعجب مما وقع ولم ينقطع لم تدخل كان » •

ويقول ابن مالك فى عمدته « والسبب فى زيادة كان الاعلام بأن معنى أفعل المتعجب به ماض لا حاضر ، وقد يكون مستقبلا لا حاضرا

(١) أنظر فى هذه المسألة التصريح ٢ــ٩٠ ــ أوضح المسالك ٣ــ٢٦٣ ــ همع الهوامع ٢ــ٩١ • المقتضب ٤ــ١٧٨ ــ شرح المفصـل ٧ــ١٥٠ ــ شرح الكافية للرضى ٢ــ٣٠٩ ــ شرح الاشمونى ٣ــ١٩ ــ عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص ٧٤٧ ــ شرح الالفية لابن الناظم ص ١٨٠ ــ المقـرب لابن عصفور ١ــ٧٦ •

(٢) المقرب ١ــ٧٥ بتصرف •

فيبين بزيادة « يكون » كقول الشاعر :

صدقت قائل ما يكون أحق ذا
كهلا ببذّ أولى السيادة يافعا

أراد : صدقت وأنت يافع من قال وأنت صغير ما أحق هذا فى الكهولة أن يفوق السادة » وقد حكى الأخفش (١) زيادة أصبح وأمسى بينهما فى قولهم : « ما أصبح أبردها وما أمسى أدفأها » وهذا شاذ يحفظ ولا يقاس عليه .

قال الرضى (٢) « ولا يقاس (يكون) على (كان) فى الفصل بينهما خلافا لابن كيسان .

سادسا : هل يجوز الفصل بين نعم وفاعلها ؟ .

اختلف النحاة فى ذلك ، فذهب الجمهور وابن أبى الربيع الى أنه لا يفصل بينهما بظرف ولا بغيره .

وقال الكسائى : يجوز الفصل بمعمول الفاعل ، نحو (نعم فيك الراغب) .

قال أبو حيان (٣) : وفى الشعر ما يدل له ، قال يزيد بن عبد شمس الطائى :

فبادرن الديار يَزِفْنَ فيها
وبئس من المليحات البديل

قال أبو حيان : وورد الفصل بينهما بإذن ، كقول القائل :

أروح ولم أحدث لليلى زيارة
لبئس اذن راعى المودة والوصل

سابعا : هل يجوز الفصل بين « من » التفضيلية وأفعل التفضيل ؟

للاجابة على هذا أقول : ان حق المفضول المجرور بمن أن يقع بعد (أفعل) لأنه متمم لمعناه كما يتمم المضاف بالمضاف اليه والموصول بصلته ، وحقه أيضا ألا يفصل بينهما بمخبر عنه بأفعل ، ولا بخبر لأفعل .

ومن ثم يقول الرضى فى شرح الكافية : « ويجب أن يلى من التفضيلية أفعل التفضيل ، لأنها من تمام معناه ، أو يلى معموله (٤) » فقوله : (أويلى) معموله دليل على أنه يجيز الفصل بينهما بمعمول أفعل ، كقول القائل

فانا رأينا العرض أحوج ساعة
الى الصون من ريط يمان مسهم (٥)

وكذلك أجاز الفصل بينهما بلو وفعلها نحو قولك : وهى أحسن لو أنصفت من الشمس » وكان ابن مالك يذهب الى أنه يجوز الفصل بينهما بالتمييز والظرف والجار والمجرور والنداء ولو ، ومن ثم يقول فى عمدته (٦) :

وفصلهما بتمييز وظرف وعديله ونداء ولو جائز » فالفصل بالتمييز وعديل الظرف كقول الراجز :

لأكلة من أقط بسمن (٧)
ألين مسا فى حشايا البطن

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٧ـ١٥٢ .
(٢) شرح الكافية للرضى ٢ـ٢١٦ .
(٣) شرح الكافية للرضى ٢ـ٣٠٩ .
(٤) همع الهوامع ٢ـ٨٥ بتصرف ، والدرر اللوامع ٢ـ١١١ .
(٥) الريطة : الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ـ والمسهم : المخطط .
(٦) أنظر شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص ٧٧٣ ، وشرح الكافية الشافية ٢ـ١١٣١ .
(٧) الأقط : شىء يتخذ من اللبن فيصير جبنا معقودا .

من يثربيات[1] قداد خشن[2]

ومن الفصل بالجار والمجرور قوله تعالى : « النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ »[3] .

وقوله تعالى : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ »[4] .

وقد جاء الفصل بينهما بظرفين فى قول كثير :

منيعُ الدار أشجع حين يبلى
لدى الهيجاء من ليث بغاب

وقد اجتمع أربعة فصول فى قول الشاعر :

مازلت أبسطَ فى عض الزمان يدا
للناس بالخير من عمرو ومن هرم

ومن الفصل بالنداء قول جرير[5] :

لم يلق أخبث يافرزدق منكم
ليلا وأخبث بالنهار نهارا

ومن الفصل (بلو) قول الشاعر :

وَلَفُوكَ أطيبُ لو بذلت لنا
من ماء موهبة على خمر[6]

ثامنا : الفصل بين الصفة والموصوف

اعلم أن الصفة والموصوف شيء واحد ، لأنهما لعين واحدة.

ولما كانت الصفة والموصوف شيئا واحدا ذهب الأبدى الى أنه لا يجوز الفصل بينهما[7] .

واذا كان الأبدى يرى هذا فان ابن عصفور جوز الفصل بين الصفة والموصوف بجمل الاعتراض حيث يقول فى مقربه ٢٢٨/١ « ولا يجوز الفصل بين الصفة والموصوف الا بجمل الاعتراض ، وهى كل جملة فيها تسديد للكلام نحو قوله تعالى : « وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ » ويقول ابن عصفور فى شرحه لجمل الزجاجى[8] : « ولا يجوز فيما عدا ذلك الا فى ضرورة شعر ، نحو قو الشاعر :

أمرّت من الكتان خيطا وأرسلت
رسولا الى أخرى جريا يعينها[9]

ففى هذا البيت فصل بين (رسول) وبين صفته وهى (جرى) بالمجرور .

ومن المعلوم لنا أن الظرف والمجرور يتوسع فيهما مالا يتوسع فى غيرهما لكثرة دورهما فى الكلام . وذهب أبو حيان الى أنه يجوز الفصل بين النعت والمنعوت بالفاعل وبالجملة المفسرة ، وبالخبر وبالمبتدأ وبمعمول الصفة ، وبالاستثناء ، فمن الفصل بالفاعل قوله تعالى[10] : « يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ » يقول أبو حيان فى البحر المحيط ٢٦٠/٤ « جاز الفصل بالفاعل بين الموصوف وصفته ، لأنه ليس بأجنبى ، اذ قد اشترك المفعول الذى هو الموصوف والفاعل فى العامل ، فعلى هذا

(١) يثربيات : نسبة الى يثرب .
(٢) خشن : ذميمات الحال .
(٣) الاحزاب ـ ٦ .
(٤) ق ـ ١٦ .
(٥) شرح الديوان ص ٢٣٢ .
(٦) موهبة : نقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء ليبرد .
(٧) الأشباه والنظائر للسيوطى ٢ـ٢٢١ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .
(٨) شرح جمل الزجاجى ١ـ٢٢١ بتصرف .
(٩) أمرت : فتلت ، والحبل المرير : المشدود ، الجرى : الرسول لجريه فى أداء رسالته .
(١٠) الانعام ـ ١٥٨ .

الفصل بين المتلازمين

يجوز : ضرب هندا غلامي التميمية » ومن الفصل بين الموصوف والصفة بالجملة المفسرة قوله تعالى : « إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ » .

يقول أبو حيان فى البحر المحيط ٣/٤٠٩ ـ ٤٠٧ « فالجملة من قوله (ليس له ولد) صفة لامرىء ، وفيه دليل على جواز الفصل بين النعت والمنعوت بالجملة المفسرة فى باب الاشتغال .

ومن الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر قوله تعالى (١) : « اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » .

يقول أبو حيان فى البحر ٢/٢٧٧ « فالحى : صفة للمبتدأ (الله) أو بدل منه ، أو من (هو) أو خبر لمحذوف ، أو مبتدأ خبره (لا تأخذه سنة) وأجودها الوصف ، ويدل عليه قراءة من قرأ (الحى القيوم) بالنصب ، اذ لو لم يكن وصفا ما جاز القطع ، ولا يقال : فصل بين النعت والمنعوت بالخبر ، لأن ذلك جائز حسن تقول : زيد قائم العاقل » ومن الفصل بين الصفة والموصوف بالمبتدأ قوله تعالى (٢) : « أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » فقوله (فاطر) صفة لله . ولا يضر الفصل بين الموصوف وصفته بالمبتدأ (٣) ومن الفصل بين الصفة والموصوف بمعمول الوصف قوله تعالى(٤) : « ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ » ففى هذه الآية فصل بين الصفة والموصوف بمعمول الصفة ، وهو (علينا) (٥) ومن الفصل بالاستثناء قوله تعالى (٦) « أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ » يقول أبو حيان فى البحر ٣/٤١٨ « قرأ ابن أبى عبلة (غير) بالرفع ، وأحسن ما يخرج عليه أن يكون صفة لقوله (بهيمة الأنعام) ولا يلزم فى الوصف (بغير) أن يكون ما بعدها مماثلا للموصوف فى الجنسية ، ولا يضر الفصل بين النعت والمنعوت بالاستثناء ، وخرج أيضا على الصفة للضمير فى (يتلى) » .

وذهب السيوطى فى الهمع ٢/١١٦ « الى أنه يجوز الفصل بين الصفة والموصوف بجواب القسم نحو قوله تعالى : « قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ » .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (عالم) بالخفض . جعلوه صفة لله ، المعنى : الحمد لله عالم الغيب . ويجوز أن يكون صفة للرب فى قوله : (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ) وحينئذ يكون قد فصل بين الصفة والموصوف بجواب القسم .

وبعد . فهذا قليل من كثير أسأل الله أن ينفع به ، انه نعم المولى ونعم النصير .

د. حمدى عبد الحميد المقدم

---

(١) البقرة .
(٢) ابراهيم ـ ١٠ .
(٣) البحر ٥ـ٤٠٩ ، واملاء ما من به الرحمن ٢ ـ ٦٦ .
(٤) ق ـ ٤٤ .
(٥) البحر ٨ـ١٣١ وهمع الهوامع للسيوطى ٢ ـ ١١٦ بتصرف .
(٦) المائدة ـ ١ .

مع رسالة جامعية

الصحافة الإسلامية فى مصر

فى القرن التاسع عشر

للباحث : سامى الكومى
إعداد : عاطف زهران

نوقشت فى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر رسالة الدكتوراه المقدمة من الباحث سامى عبد العزيز الكومى من قسم الصحافة والاعلام وموضوعها « الصحافة الاسلامية فى مصر فى القرن التاسع عشر » باشراف الأستاذ الدكتور أحمد حسين الصاوى استاذ الصحافة بكلية الاعلام جامعة القاهرة ، وشارك فى المناقشة الأستاذ الدكتور محمد سيد محمد أستاذ الصحافة بكلية الاعلام والأستاذ الدكتور مصطفى رمضان أستاذ التاريخ بكلية اللغة العربية • والأستاذ الدكتور سعد ظلام عميد الكلية والمشرف على قسم الصحافة والاعلام •

وفى ختام المناقشة منح الباحث درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى •

وقد علل الباحث لاختياره هذا الموضوع بشدة الحاجة فى ميدان الدراسات الاعلامية لمثل هذه الدراسة • فقد وضعت رسائل فى شتى أنواع الصحافة فى هذه الفترة : فكاهية وفنية وزراعية وعسكرية ونسائية • ولكن ميدان الصحافة الاسلامية ظل بكرا ــ على حد تعبيره فى المقدمة ــ فكان فى حاجة الى من يرتاده ، لذا كانت هذه الدراسة التى تناولت الصحافة الاسلامية تاريخا وفنا وفكرا • كان هذا هو السبب الأول الذى حدا بالباحث لهذه الدراسة •

أما السبب الثانى فهو ما رآه من أن دراسة الصحافة الاسلامية ضرورية لدراسة الفكر الاسلامى الحديث فى مصر ، هذا الفكر الذى يعتبر المنبع الأصيل للفكر المصرى بعامة •

واتخذ مجال دراسته الصحافة الاسلامية المتخصصة • والصحافة العامة حيث درس الموضوعات الاسلامية فيها فى ذلك القرن •

ونهج المنهج التاريخى فى بحثه مستفيدا ومحللا وقارئا ومتابعا للصحف التى صدرت فى هذه الفترة ــ خاصة وعامة ــ محللا لاتجاهاتها وأهم القضايا التى اشتغلت بها • وكانت هى

مرجعه الأول والأهم • ثم رجع الى الكتب التى كتبت عن الصحافة فى ذلك القرن • والكتب التى أرخت لتلك الفترة عموما •

وفى المقدمة عرف الصحافة الاسلامية بأنها :

« تزويد جماهير القراء ــ بصفة عامة ــ بحقائق الدين الاسلامى المستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بصورة مباشرة او غير مباشرة ، وبشكل منفصل أو مرتبط بأمور الحياة من خلال صحيفة دينية متخصصة أو موضوعات دينية متخصصة فى صحيفة عامة يحررها كاتب لديه معرفة متعمقة وواسعة فى الموضوع الذى يتناوله تمكنه من أن يبصر الناس فى شئون عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم ، ويعمل على تكوين رأى عام صائب يعى الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها » ص•ب من المقدمة •

أما عن سبب تخصيص القرن الماضى بالدراسة فلظهور أهم حركات الاصلاح الاسلامى فى العصر الحديث المتمثلة فى حركة جمال الدين الأفغانى وتلميذه الامام محمد عبده فى تلك الفترة •

« وقد آمن الأفغانى بدور الصحافة فى الدعوة لأفكاره لفهم الاسلام على الوجه الصحيح » المقدمة ص•ج •

وتحوى الدراسة خمسة أبواب كل باب يضم عدة فصول :

✻ الاتجاه الاسلامى فى الصحافة العامة :

موضوع الباب الأول هو الاتجاه الاسلامى فى الصحافة •• وانقسم الى فصلين :

أولهما : للصحافة العامة •

وثانيهما : للمتخصصة •

عرض فيهما للصحف التى صدرت فى زمن الدراسة • وتحدث عن نشأة كل صحيفة وعن المشرفين عليها والقضايا التى اهتمت بها •• فبدأ أولا بالصحافة العامة •

✻ الوقائع المصرية :

صدر العدد الأول منها فى ٣ ديسمبر ١٨٢٨ ــ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٤٤هـ • وقد برز الاتجاه الاسلامى فيها على فترتين :

الأولى : حين تولى الاشراف عليها رفاعة الطهطاوى •

والثانية : عندما تولى رئاسة تحريرها الشيخ محمد عبده • ص ٢ •

وتمثل الاتجاه الاسلامى فى ناحيتين . محاربة البدع والخرافات • بعث اللغة العربية والدفاع عنها ضد محاولات القضاء عليها •

والصحيفة لم تكن تهتم باللغة العربية فى أول عهدها • بل كانت تنشر باللغة التركية وتترجم الى العربية فى الجهة اليسرى من الصفحة •

فغير الطهطاوى الوضع وجعل العربية هى اللغة التى تحرر بها الجريدة • واهتم بنشر المواد الأدبية •(١)

الا أن هذا الوضع تدهور بعد حين • الى أن عين الشيخ محمد عبده محررا بها سنة ١٨٨٠ • وما لبث أن عين رئيسا لتحريرها • فكان العصر الذهبى للجريدة •

---

١ ــ الرسالة ص ٦ عن د. ابراهيم عبده تاريخ الوقائع المصرية •

* **روضة المدارس :**

صدر العدد الاول منها فى ١٥ من المحـرم ١٢٨٧هـ — ١٧ من ابريل ١٨٧٠ ٠

وهى صحيفة مدرسية تعليمية ٠

تجلى الاتجاه الاسـلامى فيها من دعوتهـا الى الاجتهاد والتجديد ، ودحض شبه التعارض بين الدين الاسلامى والاكتشـافات الحديثة ، واحياء الكتابة والنشر للسيرة النبوية بمناهج جديدة ٠٠ الى غير ذلك من القضايا الاسلامية٠

* **صحافة النديم :**

عبد الله النديم نابغة الخطبـاء والكتاب فى عصره ٠ كما يصفه الشيخ رشيد رضا فى مجلة المنار ٠ وهو من الـذين تصـدوا فى كتاباتهم لدعوات القضاء على الفصحى بقوة فى الحجج وعمق فى الايمان بلغة القرآن ٠ وقد كانت تلك الدعوات حامية يوم أصدر صحيفة «الأستاذ»٠ والنديم هو الذى دعا لانشاء مجمع اللغـة العربية ٠ ليحول أعضاؤه بين اللغة العربيـة وموتها ٠

وأصدر صحيفتين :

(التنكيت والتبكيت) ٠ صـدرت فى يونيه ١٨٨١ حتى اكتوبر من السنة نفسها ٠

و (الأستاذ) صـدرت فى أغسطس ١٨٩٢ وتوقفت فى يونيه ١٨٩٣م ٠

* **جريدة المؤيد :**

أصـدرها الشيخ على يوسف فى الثامن من ربيع الأول ١٣٠٧هـ — الأول من ديسمبر ١٨٨٩ — وهو من أئمة الصـحفيين فى ذلك العصر — لـما رأى الاستعمار قد اتخـذ بعض الصحف وسيلة لتأييد مصالحه ، والعدوان على الاسلام مثل جريدة (المقطم) التى انتشرت بدرجـة كبيرة ٠

فصـدرت المؤيـد لتسـفيه « المقطم » ٠ ومحاربة الاحتلال ٠

وصارت المؤيد أطول الصحف اليومية دواما فى القرن الماضى ٠ ومن أطولها عمرا وأجلهـا خطرا ٠٠ ص ٣٤ ٠

ومن القضايا الاسـلامية التى عنيت المؤيد بهـا : الاسـلام والرق ، والدفاع عن عروبة الجزائر واسلامها ، ورد الشيخ محمد عبـده على (هانوتو) ومقالات الكواكبى عن طبـائع الاستبداد ٠

* **مصباح الشرق :**

أصدرها ابراهيم المويلحى فى ١٤ من ابريل ١٨٩٨ ٠ حين رأى الصحافة على كثرتها قـد حادت عن الدرب ، واهتم أصـحابها بجمـع المال ٠ وانسلخت عن رسـالتها التى يجب الا تغفل عنها :

« وما الجرائد شهد الله الا وسـيلة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذريعة الى اقامة الحق ومحق البـاطل ، وتبين النافع وتعريف الضار »(١) ٠

وقد ساهم المويلحى فى الرد على (هانوتو) فنشر مقالا بعنوان (جهاد الأقلام) ٠

١ — عن افتتاحية مصباح الشرق — العـدد الاول ٠

ثانيا : الصحف الاسلامية

* العروة الوثقى :

صدرت فى ١٣ من مارس ١٨٨٤ — ١٥ من جمادى الأولى ١٣٠١ هـ أصدرها الأفغانى والشيخ محمد عبده فى باريس • وصدر منها ثمانية عشر عددا • كان آخرها بتاريخ ١٦ اكتوبر ١٨٨٤ كان من أبرز أغراضها ما أوجزته فى أول عدد منها :

١ — بيان الواجبات على الشرقيين التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف •

٢ — اشراب النفوس عقيدة الأمل فى النجاح وازالة ما حل بها من اليأس •

٣ — الدفاع عما يرمى به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من التهم •

٤ — دعوتهم الى التمسك بالأصول التى كان عليها آباؤهم •

٥ — اخبار الشرقيين بما يهمهم من حوادث السياسة العامة والخاصة •

٦ — تقوية الصلات بين الأمم الاسلامية ، ومناصرة السياسة الخارجية العادلة •

هذا الى جانب الهدف الأهم وهو مقاومة الاستعمار • ص ٦٧ •

* مجلة الاسلام :

صدرت فى غرة رمضان ١٣١١هـ — ٨ من مارس ١٨٩٤م •• وهى مجلة شهرية حررها أحمد الشاذلى الأزهرى • واهتمت بشرح أحكام العبادات أكثر من غيرها • وقد نشرت رسائل جيدة حول القرآن والسنة والعلم الحديث ، وحثت على دراسة العلوم الطبيعية، ومعرفة أسرار الكون •

وفى بداية سنة ١٨٩٧ توسعت المجلة فى نقل الموضوعات الاسلامية عن الصحف الأخرى • خاصة ما يتصل بفكرة الجامعة الاسلامية وأحوال المسلمين فى العالم • ص ٨٣ •

* مجلة المنار :

أصدرها الشيخ رشيد رضا فى ٢٢ شوال ١٣١٥هـ — ١٥ من مارس ١٨٩٨م وكانت « صوتا صارخا بلسان عربى مبين • ونداء حق يقرع مع سمع الناطقين بالضاد مسامع جميع الشرقيين لتوقظهم من نوم كالموت أو الاغماء ، وتنبههم الى التقدم الذى ينبغى أن يلحقوا به » كما قال فى العدد الأول منها • ص ٨٩ من الرسالة •

وعملت على اصلاح العقيدة ومحاربة البدع والخرافات واصلاح التعليم والدفاع عن الفصحى • وكانت ذات أثر كبير على المصريين وعلى العرب والمسلمين فى بقاع اسلامية كثيرة •

* مجلة الحياة :

أصدرها محمد فريد وجدى فى يونيه ١٨٩٩ حتى ١٩١٥ • وهى بداية جهود فريد وجدى فى الصحافة الاسلامية •

وكانت له كتابات ضافية يرد فيها على الغرب وفلاسفته المنكرين لحقوق المسلمين ، وفضائل الاسلام • وكانت له شهرة بالاطلاع على ثقافة الدين وثقافة العصر الحديث • كما قال عنه العقاد •(١)

١ — الرسالة ص ١٠٥ عن كتاب حياة قلم لعباس العقاد ص ٤٨

❋ الصحافة الاسلامية والدعوة :

وقد تحدث الباحث فى الفصل الثانى عن :

أولا : دور الصحافة الاسلامية فى التفقيه والارشاد الدينى وأوضح جهودها فى بيان الأحكام الاسلامية فى العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق استنادا الى القرآن والسنة الشريفة • وتحدث فيه عن فتح باب الاجتهاد والتجديد وتفسير القرآن وتعليم العبادات والمعاملات والأخلاق الاسلامية والنهوض بالخطابة فى المساجد ، والدعوة الى الاسلام خارج مصر • واصلاح التعليم فى الأزهر •

ثم تلا ذلك بحديث عن جهود الصحافة فى محاربة البدع والخرافات بين فيه دورها فى مواجهة الفهم الخاطىء لعقيدة القضاء والقدر والتصدى لانحرافات ما انحرف من الطرق الصوفية ، ومعالجة عيوب المجتمع المصرى •

❋ الاسلام والحضارة الغربية :

أما الباب الثالث فقد خصه بموضوع : « الاسلام والحضارة الغربية » تحدث فيه عن أهم قضايا الصراع بين الحضارة الغربية والاسلام كما ظهرت على صفحات الصحافة فى تلك الفترة •

وأهم القضايا التى تبرز ذاك الصراع هى : العلمانية ، وتغريب التعليم ، والقضاء على الفصحى •

فبين الباحث أن الصحافة قد تصدت للفكر العلمانى ابان ظهوره فى مصر • وبين أن العلمانية نبت غريب لا يمكن غرسه فى المجتمع المصرى •

وبعد ذلك أبرز موقف الصحافة من تغريب التعليم ، وكيف حذرت من انتشار مدارس الجاليات الأجنبية والارساليات التبشيرية فى مصر ، ودعت الى اصلاح التعليم حتى يكون أساسا لاصلاح الأمة •

وفى مسألة العامية والفصحى أكد أن الحفاظ على العربية الفصحى كان أحد أهداف الصحافة الاسلامية • تلك الصحافة التى تصدت لثلاث دعوات استعمارية بهذا السبيل هى :

استبدال الفصحى بالعامية •

وجعل الانجليزية لغة رسمية تستخدم فى التعليم ومصالح الحكومة والقضاء •

وكتابة العربية بحروف لاتينية •

فأبلت الصحافة بلاء حسنا لابطال تلك الدعوات •

وخاضت معارك كبيرة ضد العلمانيين التغريبيين حين دعوا الى اماتة الفصحى لغة القرآن ولغة التراث العربى والحضارة الاسلامية فى أزهى عصورها •

وليس من المنتظر ولا المتصور أن تسكت الصحافة الاسلامية أمام هذه الدعوات « التى تهدف الى اقتلاع الحضارة الاسلامية من جذورها ، لتصبح مصر تابعا للحضارة الغربية، لأن اللغة العربية هى رباط المصريين بالقرآن الكريم وكتب التراث » ص ٢٣٦ •

❋ المقتطف والعامية :

تتبع الباحث هذه الدعوة ـ الى العامية ـ فوجد أنها بدأت على صفحات المقتطف التى دعت الى العامية ، لأن لغة العرب هى سبب تأخر المصريين • وذلك أن هناك فجوة كبيرة بين اللغتين ـ العامية والعربية ـ والبعد بينهما كالبعد بين الفرنساوية والانجليزية •

أو بالأحرى كالبعد بين اللاتينية والايطالية(١)

وقد تبنت المجلة هذه الدعوة حينا ٠ فلما سكتت عنها تبنتها مجلة أخرى تسمت باسم (الأزهر) ولم يكن للأزهر بها شأن مطلقا ورأس تحرير هذه المجلة مهندس الرى الانجليزى (وليم ولكوكس) سنة ١٨٩٣ ٠ وسخرها لهذه الدعوة من أول أعدادها ٠ يوم نشر محاضرة كبيرة كان قد ألقاها فى نادى الأزبكية ٠ بعنوان (لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن ؟)(٢) ٠

وبعد اغلاق ولكوكس لمجلته لشدة ما نابها من هجوم شديد على دعوته ظهرت بعد خمس سنوات كراسة مجهولة المؤلف مطبوعة تدعو الى استعمال العامية ، وزادت على الدعوات السابقة فطالبت بكتابة العامية بحروف لاتينية، وزعم مؤلفها المجهول أن لذلك فوائد أربع أو غوائل أربع كما أطلق عليها — ساخرا — الشيخ رشيد رضا الذى رد عليها بمقالين طويلين على صفحات المنار ٠ العددين السادس والسابع بعنوان :

(صدمة جديدة على اللغة العربية) ٠

وتعرض الباحث بعد ذلك لموقف الصحافة الاسلامية من التغريب الأخلاقى الذى جاء نتيجة الاحتكاك مع الأجانب الوافدين مما نجم عنه تقليد المصريين للأجانب فى عادات ضارة فحاربت هذه الصحافة ذلك الاتجاه ، ودعت الى الأخلاق الاسلامية القويمة ٠

* الصحافة والحركة الوطنية :

فى الباب الرابع تحدث عن الصحافة الاسلامية والحركة الوطنية وانصب الحديث فيه على الجهاد الوطنى والفكر السياسى لحركة الأفغانى فى الاصلاح الاسلامى ٠ وعن أثر صحافة تلاميذ الأفغانى فى الحركة الوطنية ثم عن الدعوة الى الشورى ومقاومة الاستبداد ٠ بعد نفى الأفغانى من مصر ٠ وبينت أن الشورى واجب اسلامى ، ودعمت الحركة الوطنية فى طلب الدستور والحكم النيابى ٠ ثم ختم الحديث ببيان موقف هذه الصحافة ودورها فى مقاومة الاحتلال الانجليزى ٠

وخص بالحديث صحيفة العروة الوثقى مع الاشارة الى الصحف التى سبقتها أو أعقبتها فى هذا الميدان ٠

* الصحافة والاحتلال :

منى المصريون بالاحتلال فى الربع الأخير من القرن الماضى ، وكان على الصحافة أن تؤدى واجبها فى ايقاظ الوعى الوطنى وتنمية الشعور بالجهاد ضد المحتل ٠

لكن العكس هو ما حدث فى بعض الصحف ٠ « فشاعت فى السنوات الأولى من الاحتلال الدعوة الى الاستكانة والرضا بالأمر الواقع ٠ « وظهرت صحف : البرهان والزمان والصادق وغيرها تؤيد الاحتلال ، وتدعو الى تسليم أمور

١ — أنظر الرسالة عن مجلة المقتطف فى نوفمبر ١٨٨١ — اللغة العربية والنجاح ٠

٢ — للاستزادة أنظر مجلة الأزهر عدد شوال ١٤٠٤ هـ فقد نشرت دراسة وافية عن هذه المجلة مبينة محاولاتها الخبيثة فى هذا الهدف ٠

البلاد للانجليز • وتطالب بالضرب على يد كل من يقاوم سلطاتهم » (١)

وكان من الضرورى أن يعلو صوت الصحافة الاسلامية لدرء الخطر القادم من أرض الوطن •• من ذيول الاستعمار • وكان لزاما على الاسلاميين والوطنيين أن يبعثوا الأمل فى نفوس القانطين ، ويبطلوا دعاوى الاستكانة والرضا بما هو كائن • فكان للعروة الوثقى فى هذا الميدان نصيب كبير اذ جعلت أول أغراضها انقاذ مصر والسودان من الاحتلال الانجليزى • ص ٣٦٩ •

وقد تحدث رشيد رضا عن جهد المجلة والقائمين عليها بخصوص هذا الجانب فقال ان الافغانى والشيخ محمد عبده قد جاهدا فى سبيل انقاذ مصر والسودان من الاحتلال البريطانى جهادا لم تسم الى مثله همة أحد • ص ٣٨٠ •

وقد ربطت (العروة الوثقى) بين مقاومة المستعمر وبين عقيدة الجهاد الاسلامية • فاقرأها حين تصف خائن الوطن تقول :

لسنا نعنى بالخائن من يبيع بلاده بالنقد ، ويسلمها للعدو بثمن بخس أو غير بخس — وكل ثمن تباع به البلاد فهو بخس — بل خائن الوطن من يكون سببا فى خطوة يخطوها العدو فى أرض الوطن وهو قادر على زلزلتها ، ذاك هو الخائن فى أى لباس ظهر ، وعلى أى وجه تقلب •• ص ٣٨٣ •

ولم يطق الاحتلال رؤية هذه المجلة تتداول بين المصريين أو غيرهم فهى ذات أثر غير حميد بالنسبة له ولمصالحه فى البلاد • فتشددت السلطات الانجليزية فى منع دخول المجلة مصر والهند • ولم تلبث أن توقفت •• ولكن الرسالة لم تتوقف • فقد هم بها مواطنون شرفاء موالون لوطنهم ولدينهم •

*** الجامعة الاسلامية والعروبة :**

كان ذلك هو الموضوع الأخير فى هذه الدراسة • ونرى فيه كيف نشأت الدعوة للجامعة الاسلامية ، وما كان لها من مضمون سياسى ومضمون حضارى ، وكيف تبنى السلطان عبد الحميد الثانى هذه الدعوة ، ووجهها وجهة أخرى لتثبيت دعائم حكمه الاستبدادى ، ثم تتبع الباحث هذه الدعوة فى صحف تلاميذ مدرسة الأفغانى • وأعقب ذلك بحديث عن العروبة ، فتحدث عن ارهاصات هذه الفكرة فى الصحافة آنذاك • وهى الفكرة التى بذرها الأفغانى ، وظهرت فى صحف تلاميذه من بعده •

*** نتائج الدراسة وتوصياتها :**

وفى النهاية استخلص الباحث بعض النتائج نذكر منها :

---

١ — انظر ص ٣٦٦ من الدراسة نقلا عن عبد الرحمن الرافعى • مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ص ١٧٤ .

أولا : ان الاتجاه الاسلامى قد برز فى الصحافة المصرية فى القرن التاسع عشر • حيث أفسحت الصحف العامة صفحاتها للقضايا والموضوعات المتصلة بالفكر الاسلامى • كما صدرت فى هذا الميدان صحف متخصصة •

ثانيا : ان معظم الذين قامت على أكتافهم نهضة الصحافة - العامة والاسلامية - من علماء الدين الاسلامى أو ذوى الثقافة الاسلامية كالطهطاوى ومحمد عبده وعبد الكريم سلمان وأحمد الشاذلى الأزهرى، وعلى يوسف ورشيد رضا وغيرهم •

ثالثا : ان المناظرات التى قامت على صفحات تلك الصحف بين علماء الدين ودعاة الفكر العلمانى أثرت الحياة الفكرية فى تلك الحقبة ، لأنها سخرت أقلام الكتاب الاسلاميين لبيان جوهر الاسلام الحق •

رابعا : أن الفكر المصرى الحديث لا يمكن دراسته بمنأى عن دراسة الاتجاه الاسلامى فيه ، كما أن دراسة هذا الاتجاه غير ممكنة بدون تتبعه فى الصحافة المصرية لأنها هى التى اشتملت على تفاصيله الكثيرة •

وختم الباحث رسالته بهاتين التوصيتين ، فقال :

أولا : لقد كانت الصحافة من وسائل الاتصال التى تمخض عنها العصر الحديث وكان طبيعيا أن يستخدمها الدعاة مما يلقى على عواتق المؤسسات القائمة بالدعوة - وفى مقدمتها الأزهر - مسئولية تقييم هذه الصحافة بدراسة انتشارها ومادتها وتأثيرها ، ومسئولية تقويمها بامدادها بالمعلومات الصحيحة ، واعانتها على أداء دورها بتوفير الامكانيات العلمية والمالية وارشادها الى الصواب •

ثانيا ضرورة المحافظة على الصحف الاسلامية التى صدرت فى القرن الماضى فقد أصاب البلى كثيرا منها • ويمكن تصويرها بواسطة (الميكروفيلم) والحصول على نسخ جديدة منها وذلك بواسطة لجنة تضم مختصين فى ترميم المطبوعات والصحافة والتاريخ الحديث • وبهذا نصون صفحات من تاريخ الأمة •

عاطف زهران

الإسلام والمسلمون في الصين - بقية

عظيمة وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير وكانت اقامتنا عندهم خمسة عشر يوما فكنا كل يوم وليلة فى دعوة جديدة ولا يزالون يختلفون فى أطعمتهم ويركبون معنا كل يوم للنزهة فى أقطار المدينة وركبوا معى يوما فدخلنا الى المدينة الرابعة وهى دار الامارة وبها سكنى الأمير الكبير « قرطى » ولما دخلنا من بابها ذهب عنى أصحابى ولقينى الوزير وذهب بى الى دار الأمير الكبير قرطى فكان من أخذه الفرجية التى أعطانيها ولى الله جلال الدين الشيرازى ما قد ذكرته •

ان ما ذكره ابن بطوطة من حفاوة بالغة قوبل بها فى كل مكان ذهب اليه تذكرنا بتلك الحفاوة

التى قوبلنا بها من الاخوة الصينيين فى « كانصو » و « سنكيانج » و (كانتون) •

(و بكين) ••• هناك فى مدينة « لانشو » عاصمة ولاية « كانصو » ••• وعلى شاطىء

« النهر الأصفر » الذى يطلقون عليه (أبو الصين) صعدنا الى مسجد « تونكانى » الواقع على شاطىء هذا النهر ••••

وكانت المفاجأة التى لم تخطر لا عندنا حتى

بل مذ فارقنا أرض مصر •• صفان من صغار أطفال المسلمين وقفوا يستقبلوننا بالتكبير والهتاف النابع من القلب •

وبلغة عربية واضحة بدءوا ينشدون نشيد الاسلام الأول الذى استقبل به « الأنصار » قدوم الرسول الى المدينة « طلع البدر » ••••

لقد خنقتنا العبرات ، وطفرت من أعيننا الدموع ، وطفى هذا المشهد الايمانى على الجميع فلاذوا بالتأمل والصمت •

* *

كانت « عمامة » الشيخ الدكتور الطيب النجار شارة المجد والفخار فى هذه الرحلة انه

الازهر الشريف ••• شرف المسلمين فى أى مكان من الدنيا •

بل هى أخوة العقيدة التى يرى فيها — المستشرق الالمانى بول شميث — قوة الاسلام

أو قوة الغد •• وجاءت حفاوة الصين — حكومة وشعبا — مصداقا لهذه العاطفة التى سعد بها كل أعضاء الوفد •

وعلى العرب والمسلمين أن يعيدوا النظر فى علاقاتهم مع الصين فى ضوء هذه الحقيقة

التى تؤكد عمق هذه الصلة التاريخية بين الصين وبين المسلمين العرب ••

أن « صين اليوم » « صين » أخرى غير الصين — التى أثارت عند الكثيرين الفزع والرعب • انها « صين » جديدة تفتح قلبها وذراعيها لمن يبادلها الاخاء والمودة والحب ••

أنباء وآراء

اعداد: احمد عبد الرحيم السايح
متولى الجرجاوى

طالب فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى تصريح له : الصحف الاسلامية بالتصدى لظاهرة الاعتداء على الشريعة الغراء ، ودحض الأفكار المناهضة لها ومناقشة أصحابها وبيان الرأى الاسلامى الصحيح تجاه هذه الأفكار الهدامة ٠

وكان أحد الكتاب قد شن حملة واسعة النطاق فى جريدة الاهرام ضد الشريعة الاسلامية وأحكامها وادعى أن المطالبة بتطبيقها أمر دخيل على التدين المصرى ويجب مقاومته ٠

قال فضيلة الامام الأكبر : اننا لن نستطيع أن نوقف الاقلام ، ولا أن نصادر الأفكار ، ولا أن نمنع الصحف من الكتابة ٠ لأن هذا يتعارض مع حرية الصحافة ٠ ولكننا نطالب الغيورين على الاسلام بدحض هذه الأفكار عن طريق الوسائل الاعلامية المختلفة وخاصة الصحف والبرامج الاسلامية لمنع البلبلة لدى الشباب ٠ وأضاف فضيلة شيخ الأزهر قوله :

« اننى تصديت بنفسى من قبل لهذه الأفكار ونشرت مقالات فى بعض الصحف بينت فيها وجه الاسلام الصحيح ، وأن الشريعة الاسلامية الغراء ستظل صالحة لكل العصور ٠

ألف وخمسمائة يدخلون فى الاسلام

أعلن ألف وخمسمائة شخص الاسلام فى ولاية صباح احدى ولايات ماليزيا ٠ وذهبوا الى المجلس الاسلامى فى الولاية وهم يرددون : لا اله الا الله ٠ محمد رسول الله ٠ وأقام المجلس الاسلامى فى ولاية صباح احتفالا كبيرا بهذه المناسبة حضره رئيس الوزراء ووزير الشباب والرياضة فى الحكومة المركزية ٠ وعشرات من المسئولين فى الدولة الذين هزهم الحدث الكبير ، وأتوا ليشدوا على أيدى المسلمين الجدد متمنين لهم

التوفيق فى ظل الاسلام .

وسيعد المركز الاسلامى فى الولاية دورات خاصة لتحفيظ القرآن الكريم ، وشرح الأحاديث النبوية للمسلمين الجدد الذين أقبلوا جميعا على الاشتراك فى هذه الدورات وحفظ القرآن الكريم .

قرية هندية تضم ٦٠ ألف شخص تشهر اسلامها

أفادت وكالات الأنباء أن ستين ألف شخص هم سكان قرية « ميناكشبيورام » قد دخلوا فى الاسلام وقالوا : لا اله الا الله محمد رسول الله .

ونشرت صحيفة « تايمز أوف انديا » تقريرا خاصا عن المسلمين قالت فيه :

ان عدد كبيرا من أهل البلاد دخل الاسلام حاليا وذلك فى مديرية « وارنس ومرزابور » فى ولاية « اترابراديش » وأن الاسلام ماض فى الانتشار بسرعة .

كبير القساوسة يعلن اسلامه

أعلن كبير قساوسة البروتستانت فى كوريا الجنوبية اسلامه خلال ندوة أقيمت فى مدينة « بوساى » بكوريا الجنوبية . اشترك فيها عدد كبير من علماء المسلمين . وقال كبير القساوسة ــ وكان اسمه المستر سين . وأصبح اسمه بعد اسلامه (عمر ياسين) :

ان الاسلام شغله منذ فترة طويلة ، وأنه لم يعد أمامه الا الجهاد فى سبيله بعد أن تأكد أنه الحق . وكان (عمر ياسين) رئيسا لأربع عشرة كنيسة وأستاذا لمادة اللاهوت بـ (بوساى) بكوريا الجنوبية . وقد أسلم معه واحد من كبار العلماء البوذيين ومن أكبر دعاة البوذية هناك . ويدعى (عمر كيم) بعد أن أجرى أمام العلماء المسلمين مناظرة عامة فى مقارنة الأديان ..

الاقتصاد الأسلامى والمجتمعات النامية

أعلن المفكر الفرنسى رجاء جارودى : أن الفكر الاسلامى يعطى القدوة الكاملة فى تحقيق العدالة الاجتماعية فى المجتمعات ، وأنه يمكن للدول الاسلامية أن تأخذ من القرآن والسنة النبوية الشريفة قواعد اقتصادية سليمة ، يمكنها انقاذ المجتمعات النامية من الاقتراض ويشجعها على العمل ، وأنه يمكنها أيضا من التصدى للغزو الثقافى التبشيرى الغربى .

وقال جارودى ــ فى الندوة التى عقدتها المنظمة الاسلامية بالجزائر مؤخرا : ان الفكر الاسلامى يتضمن أسس التصدى للانحراف الناشىء عن محاولات الثقافة الغربية فى المجتمعات الاسلامية .

من خير ما كتب

١٧ برنامجا دينيا فى اذاعة باريس

قررت اذاعة الجالية العربية والاسلامية فى باريس تقديم سبعة عشر برنامجا دينيا يوميا . وتقوم الاذاعة بنقل صلاة الجمعة من مكة المكرمة مباشرة بالأقمار الصناعية ، واستضافة علماء من الدول الاسلامية لالقاء الدروس الدينية مباشرة باستخدام الأقمار الصناعية .

منظمة اسلامية للمرأة المسلمة

تبحث اللجنة المكلفة من قبل وزراء خارجية الدول الاسلامية فكرة انشاء (منظمة دولية للمرأة المسلمة) فى اجتماعاتها فى العاصمة الباكستانية التى تعقد قريبا . وكان مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد فى

مدينة (دكا) قبل عامين قد أوصى بتشكيل لجنة لبحث هذه الفكرة ومهمة اللجنة صياغة

أهداف المنظمة ــ المزمع انشاؤها ــ بحيث تتناسب مع دور المرأة المسلمة الذى حدده الاسلام . ووفقا للشريعة الاسلامية .

تشكيل هيئة اغاثة اسلامية

أعلن فى لندن عن تشكيل هيئة اسلامية خيرية فى مدينة « ليستر » تهدف الى دعم المسيرة الاسلامية ومساعدة الأيتام والأرامل واغاثة العائلات المنكوبة ، بخاصة فى المناطق التى دمرتها الصهيونية أو الشيوعية . تهدف الجمعية الى تحقيق مشاريعها فى كل مكان من لبنان وافغانستان والهند وأوغندا لايواء أبناء الشهداء والأيتام ولتعليمهم وتربيتهم فى ظل القرآن الكريم .

الدكتوراه الفخرية للرئيس الباكستانى

منحت جامعة الأزهر الدكتوراه الفخرية فى العلاقات الدولية الى الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق .

وقد أقيم بهذه المناسبة احتفال كبير بقاعة الامام محمد عبده فى يوم الأثنين الموافق ٢١ من صفر سنة ١٤٠٥ هـ ٤ من نوفمبر سنة ١٩٨٥ م ، حضره فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر وعدد كبير من علماء الأزهر والوفود الاسلامية المشاركة فى مؤتمر السيرة والسنة النبوية .

فَرْش الجامع الأزهر

قرر الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق، تقديم هدية من السجاد الباكستانى لفرش الجامع الأزهر هدية من الشعب الباكستانى الى الشعب المصرى .

بيان من المجلس الأعلى للصحافة

أصدر المجلس الاعلى للصحافة فى اجتماعه فى ٢٩ / ١٠ / ١٩٨٥ م برياسة الدكتور صبحى عبد الحكيم رئيس المجلس البيان التالى :

تدارس المجلس الاعلى للصحافة بجلستيه المعقودتين فى ١٢ ، ٢٩ أكتوبر ١٩٨٥ ما توجه به السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى خطابه برشيد فى ١٨/٩/١٩٨٥ بشأن حرية الصحافة وتدعيمها وبعد أن تدارس المجلس أحكام الدستور وأحكام قانون نقابة الصحفيين وسلطة الصحافة وميثاق الشرف الصحفى ، وورقة العمل المقدمة فى هذا الشأن من أمانة المجلس وبعد أن استمع المجلس لكافة آراء أعضائه قرر ما يلى :

اولا :

يسجل المجلس للصحافة المصرية مواقفها الوطنية والقومية ودورها التاريخى الرائد واسهامها البناء فى خدمة الوطن والأمة العربية ويقدر جهود العاملين بالصحافة المصرية صحفيين واداريين وعمالا .

ثانيا :

يؤكد المجلس على أن حرية الصحافة هى أقوى ركائز الديمقراطية ويدعو الصحفيين والكتاب الى بذل المزيد من العناية والجهد فى تدعيم المقومات الأساسية للمجتمع : اجتماعية كانت أو خلقية أو اقتصادية ، ويدعوهم الى الوفاء بما التزموا به من موضوعية ومن مراعاة لحرمة الحياة الخاصة للمواطنين جميعا مع الارتفاع بلغة الجدل السياسى الى مرتبة الحوار الأخوى دون تجريح أو عنف ، ويستنكر كل تجاوز لنصوص قانونى نقابة الصحفيين وسلطة الصحافة ، ميثاق الشرف الصحفى فى هذا الشأن .

ثالثا :

يؤكد المجلس على حق المواطنين فى الرد على ما ينشر فى الصحف وينوه بأن استخدام هذا الحق لا ينتقص من حرية الصحافة ويدعو الصحف الى تمكين المواطنين من استعمال هذا الحق دون الالتجاء الى التقاضى .

رابعا :

يعد المجلس تقريرا دوريا كل ثلاثة أشهر حول ملاحظاته على الممارسة الصحفية .

والمجلس الأعلى للصحافة لعلى ثقة من أن جميع المشتغلين بالصحافة حريصين على احترام وتنفيذ قانونى سلطة الصحافة ونقابة الصحفيين وميثاق الشرف الصحفى نصا وروحا .

من خير ما كتب

عبد الفتاح السيد عبد السلام

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا »

ما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد كان اليهود فى المدينة المنورة فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم يحاولون الدس والوقيعة بين المسلمين . ولم يكتفوا بذلك فقد نقضوا العهد معه وتحالفوا مع قريش ضده ، وحاولوا قتله بالقاء حجر عليه ووضعت امرأة يهودية السم فى كراع الشاه .

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستكن لمؤامرتهم ، ولم يضعف امام حصونهم وقلاعهم بل جهز لهم جيشا قويا مزودا بالعقيدة والايمان فمزقهم شر ممزق ، وسقطت خيبر أعظم قلعة لليهود آنذاك وأخرجهم الرسول من ديارهم .

وعادت الذئاب اليهودية من جديد تكشر عن أنيابها ، ويمتد ذراعها الى احفاد الابطال الاوائل الذين لقنوهم دروسا لا تنسى ولم تقم لليهود قائمة الا فى غيبة الأمة الاسلامية الواحدة .

* واذ بالعالم الاسلامى يفاجأ بأن اسرائيل تضرب منظمة التحرير فى قلب العاصمة تونس وهى بهذا العمل اللا انسانى تريد أن تظهر للعالم بأن ذراع اسرائيل مازال طويلا يمتد الى أى مكان من الدول العربية والاسلامية .

وكأن المنظمات الدولية لا وجود لها . ثم وكأن العرب والمسلمين بوجه عام لا وجود لهم وكأنهم فقدوا مقوماتهم كأمة تربو على الالف مليون وينتشرون فى أنحاء الأرض ، وكأنهم تخلوا عما عرفوا به من النجدة والشجاعة والغيرة على حماية الأرض والعرض .

* ان الذراع الطويلة التى طوتها حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣ بل كسرتها هذه الحرب المجيدة — لا سيما بعد أن التف العرب والمسلمون وشدوا من أزر مصر وجيش مصر .

هذه الذراع : بدأت تمتد بل وتشتد متجاوزة الحدود والسدود ان لم تكتف بهذه المجاور والحروب التى أثارتها وأذكتها فى لبنان فاقتتل أبناؤه وصاروا وقودا لحرب ضروس يذكيها هؤلاء الاعداء ، أعداء الله وأعداء الناس ، وبكل أسف يشارك فى اذكائها وفى تفريق كلمة العرب والمسلمين ، بل أشعل النار هنا وهناك قوم من العرب انحسرت من قلوبهم خصائص العروبة الاصيلة من الوفاء لأمتهم وأرضهم ودينهم .

أيها العرب .. أيها المسلمون :

ان الله سبحانه يناديكم فى القرآن فيقول :

« انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » .

« فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » .

أيها العرب .. أيها المسلمون :

كيف استكنتم الى الذلة ورضيتم بالهوان؟ كيف ارتضيتم أن تمتد هذه الذراع الى تونس لتضرب الفلسطينيين هناك وتطردهم بعد أن طردتهم من أرضهم وأسروا المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين كيف هذا والقرآن يقول :

« وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ » ؟

هل تنتظرون من الدول الاخرى حمايتكم والثأر لكم ؟

لقد جربتم ما فعل هؤلاء منذ كانت مشكلة فلسطين .. فهم الذين غرسوا هذا السرطان فى قلب العرب والمسلمين .

أيها العرب .. أيها المسلمون :

لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار .

نار الذلة والضياع والاستعباد والقهر فى الدنيا تلحقكم وتصيب أجيالكم ، بنار الآخرة لأنكم فرطتم فى أوطانكم ، وتفرقتم شيعا وأحزابا . تتقاتلون وتتقاذفون بالتهم حتى هان أمركم على عدوكم فامتدت ذراعه تطردكم فى أوطانكم ليست المجاورة له فحسب . بل كانت هذه المهانة أن تضرب المنظمة الفلسطينية فى تونس العربية المسلمة .

أيها المتقاتلون فى لبنان : قفوا صفا واحدا ووجهوا أسلحتكم الى صدور عدوكم الذى هان عليه أمركم فتجاوزكم الى تونس يعربد فيها وينشر الخراب والقتل والدمار.

من خير ما كتب

أيها المتقاتلون من ايران انكم تقاتلون اخوتكم فى الاسلام ، وهذا عدو الاسلام والمسلمين الذى قال الله فيه :

« لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا » .

أوقفوا هذه الحرب ووجهوا جهودكم وجيوشكم الى تحرير المسجد الاقصى ، الى القضاء على هذه الزراع التى تطاولت وأفسدت وأشاعت الحرب والدمار والقتل فى بلاد العرب والمسلمين .

أين جامعة الدول العربية ؟

أين منظمة المؤتمر الاسلامى ؟

انى اقترح دعوة هاتين المؤسستين للاجتماع فورا اجتماعا مشتركا لاتخاذ موقف محدد تجاه هذا العدوان موقف يرفع الهامة ويحفظ الكرامة . وينهى هذه الخلافات بين الحكومات لتقف صفا واحدا :

« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ » .

أيها العرب .. أيها المسلمون قديما قيل :

ماحك جلدك مثل ظفرك ، فتول أنت جميع أمرك : فلا تنتظروا أن يحميكم غيركم . خذوا حذركم فان فيما حدث نذير خطير..واذا لم تتجاوزوا خلافاتكم وجمعتم شملكم تخطفتكم الأحداث وتكاثرت عليكم الحوادث .

احرصوا على الموت توهب لكم الحياة .

تناصحوا وواجهوا هذا الخطر مجتمعين . واذكروا قول القائل :

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا
واذا افترقن تكسرت آحادا

وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

وها هى الذئاب قد كشرت عن أنيابها ، فقفوا فى وجهها بكل قوة متحدين ، واستعينوا بالله واحزموا أمركم ، وتجاوزوا المخذلين والمعوقين واحصروهم ، « وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ » « وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ » « وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » .

من هدى القرآن

الجهاد ماض الى يوم القيامة .. هكذا قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمعركة بين الكفر والالحاد من ناحية وبين الاسلام وجنوده ستظل مستمرة حتى يظهر الله هذا الدين وهذه سنة الحياة .. أن يظل الخير والشر متصارعين حتى يأتى أمر الله .

أعداء الاسلام يتربصون به فى كل مكن .. وهم عندما يحاربون الاسلام يحاربونه بكل وسيلة والذى يجرى فى الساحة الاسلامية واضح لا يحتاج الى تعليق .. ان المسلم يقتل أخاه فى العراق وايران ولبنان بتدبير من قوى الظلام والالحاد .. وتبدو المعركة أحيانا سافرة بلا أقنعة كما يحدث فى أفغانستان وتبدو مقنعة كما يحدث فى السودان ولبنان وايران ولكن الباعث واحد .. والهدف واحد .. والمدبر واحد .. مع اختلاف بسيط فى أدوات التنفيذ .

ان الأمة الاسلامية نائمة .. غارقة حتى أذنيها فى معارك وهمية ، مع أن عدوها هو عدو الله واضح للعيان .. وعليها أن تجمع شتاتها وتتدبر أمرها وتأخذ بهدى نبيها ، والا فان ما ينتظرها لا يخطر على بال .. فقد اتحدت قوى الظلام كلها . ولعل آخر مخترعات أعداء الاسلام هو ما يصدرونه الآن الينا من الهيروين والكوكايين وكلها أدوات فعالة لتدمير شباب هذه الأمة واغراقه فى بحور النسيان .. الشباب درع هذه الأمة .. وهو الذى وقف وقفة شامخة ضد جحافل التتار والصليبيين ثم الصهيونية العالمية .

والنفاذ الى الشباب لا يأتى الا من بابين خطرين لابد من اغلاقهما فورا هما :

- باب أفلام الجنس الذى بدأ ينتشر حتى فى حوارى الريف المصرى وهذه ظاهرة خطيرة جدا .

- باب المخدرات الجديدة البيضاء التى تسحق الشباب وتحوله الى حطام لا يقوى على شىء .

الأستاذ / أحمد زين

بلا مشاكل

فى هذه الأيام كثرت قضايا من يسمونهم أهل الفن .. أو نجوم السينما ، قضايا مخدرات .. وفضائح أخلاقية .. الى آخر ما نقرأه ونسمعه بين الحين والآخر .. مما يدل على أن المسألة تجاوزت حد الهواية الى حد الاحتراف .

ولست أدرى ماذا يريد هؤلاء الناس .. الا أن يكون الرزق الذى يأتيهم من كل مكان وبلا حساب .. معه اللعنة تصاحبه .. بحيث تجعله يذهب كما جاء .. ويضر ضررا بليغا .

وهؤلاء الناس يراهم شبابنا على الشاشة .. وفى « التليفزيون » .. وفى المسرح .. وهم فى شهرتهم هذه يدفعون عددا من الشبان والشابات الى تقليدهم .. سواء من ناحية الاعجاب .. أو من ناحية مجرد

من خير ما كتب

محاولة التقليد . وهم بواسطة التليفزيون خاصة يدخلون كل بيت .. ويعيشون فى مخيلة الملايين من الناس .. وكان من المفروض عندما ظهرت هذه القدوة السيئة بينهم .. أن

يحاسب على الأقل الذين قاموا بها .. فان لم تحاسبهم نقاباتهم .. « وتشطبهم » من عضويتها .. فعلى الأقل تحاسبهم أجهزة الاعلام المسئولة .. وتمنعهم من الظهور فى التليفزيون .. ويواجههم الرأى العام بمقاطعة أفلامهم لأنهم يقدمون القدوة السيئة فى المجتمع . ولكن للأسف الشديد لم يحدث شىء من هذا .. بل العكس وقفت النقابات معهم تدافع عنهم وعن تصرفاتهم غير الأخلاقية .. وفتح التليفزيون ذراعيه لهم .. ليعرض أفلامهم على الناس .. وكأنما الخلق السىء والقدوة غير الصالحة لا تستحق الردع والعقاب والمجتمع اذا فقد قيمه ..

فقد كيانه ووجوده .. ولذلك فانه حتى فى المجتمعات التى ينتشر فيها الفساد أكثر مما ينتشر فى مجتمعاتنا .. فانه عادة يكون

حساب .. وحساب عسير اذا ظهر هذا الفساد علنا .. ويحس الناس جميعا أن مسئولياتهم أن يحافظوا على القيم فى

مجتمعهم .. وأن واجبهم يحتم عليهم أن يواجهوا أية قدوة سيئة ليس بالوساطات والمحسوبية .. واخفاء الحقائق .. ولكن بصراحة الحق .. وقوة الخلق التى تساوى كثيرا .. وكثيرا جدا بالنسبة للشباب على

الأقل .. كم أتمنى أن تقوم نقابة الممثلين وغيرها من أجهزة الرقابة .. بمواجهة الذين ظهر انحرافهم ممن يسمونهم نجوم الفن ..

مواجهة حقيقية .. وأن تمنعهم من العمل .. لنحس جميعا أن هناك فى هذا المجتمع قيما لابد أن تحترم .. وان هناك من يقفون أمام القدوة السيئة ليواجهوها .

ما أحوجنا الى موقف شجاع بعيد عن المصالح الذاتية .. والوساطات والمحسوبيات وما أحوجنا الى الجد ولكننا نهزل فى كل شىء .

الأستاذ / أنيس منصور ..

مواقف

جاءك فلسطينى ونظر اليك بكل حيرة ويأس ووضع ساقا على ساق وأسند رأسه بكفه وقال : من فضلك أريد أن أعرف باعتبارك عربيا هل لدى الفلسطينيين أى أمل فى العرب ؟ .

فاذا ظهر عليك الخجل والاعياء و « القرف » فاستعرت منه اليأس وحاولت أن تجيب ،

منعك هو قائلا ، أريد أن تساعدنى فى تكوين عبارة واحدة أقولها لابنى عن مستقبله .. فبالله عليك ما الذى أقوله له ؟ .. هل من هدف العرب أن يتوه الفلسطينيون كما تاهت اسرائيل أربعين عاما فى سيناء ؟ .

لقد تحقق لنا ذلك .. فهل يحدث بعد ذلك

لياسر عرفات ما حدث لموسى عليـه السلام : أن يرى أرض كنعان ويموت ولا يدخلها •

من المؤكد أن هذا ما سوف يحدث له •• فهـل أقول لابنى فليصبر ثلاثة آلاف سنة أخـرى حتى نعود الى أرضنا فى فلسطين •• أو تعود الينا أرضنا ••

ويعود الأخ الفلسطينى يتساءل :

هل مكتوب علينا أن نضـيع بين العشرين دولة أخرى •• ان اليهود لم تكن لهم دولـة وقد عرضوا عليهم أماكن كثيرة فى افريقيـا وفى أمريكا وفى استراليا • ولكنهم أصروا على أرض فلسطين • فهل نستطيع أن نصر نحـن على ذلك ويصر كل العرب على غير ذلك •• نحن نجاهر بآمالنا ، والعرب يخفون يأسهم •

ولابد أن يخرج ورقة من جيبه مطبوع عليها : لا يأس مع الحياة ولا حيـاة مع اليـأس •

وما مات حق وراءه مطالب •• ومســتحيل اليوم ممكن غدا •• ونابليون •• ماذا قال ؟• قال : لا شىء مستحيل •

ولابد أن تقديم هذه الـورقة ســببها : الضيق بالكلام يقال وتسمعه ، أو لا تسمعه •• ولما لم يجد موقفا نبيلا يظهر فيه شجاعته ، عاد الى بيته ليقتل (١) نفســه بشـجاعة — ويترك التاريخ كرة عند قدمى ابنه ، أو كرة أرضية على رأسه ! •

وكتب الأستاذ مصطفى أمين فى بابـه اليومى « فكرة » بجريدة الأخبار يقول: اجتمع علماء المسلمين فى القاهرة ، وأتمنى أن تكون قراراتهم أفعالا لا كلاما •

أتمنى أن يشرحوا للعـالم وللمسلمين حقيقة الاسلام •

فالاســلام دين الحـرية لا ديـن الاستبداد •

دين الاسلام لا دين التناحر والاقتتال دين العفو لا دين الانتقام •

والقرآن هو أول كتاب مقدس تضمن حقوق الانسان ، انتصر للضعفاء ضـد الأقويـاء ، تضامن مع المظلومين والمقهورين ضد الطغـاة والمستبدين •

لعن الاســلام المسلمين الـذين يقتلون المؤمنين ، ورفض أن تعلن دولة مسلمة الحرب على دولة مسلمة ، وهو يرفض خطف الطائرات والسفن وخطف الرجال والنساء •

وأوصى الاسلام جيوشه أن ترحم الأسير فى الحرب •

ودعا الى ديمقراطية حقة ؟ مما جعل امرأة تعترض خليفة المسلمين فى المسجد وتقول له : أخطأت يا أمير المؤمنين ، فيعترف أمير المؤمنين أن المرأةعلى صواب •

وطالب الاسلام أقارب الحكام أن يكونوا مثلا فى التقوى والصلاح • وقد قال رسول الله ﷺ « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمـد يدها » •

٥

(١) بل يعود ليرفع وجهه الى السماء فعند الله مالا يخطر على قلب بشر •• مجلة الازهر

وجعل الاسلام من حق الشعب أن يسأل الحاكم من أين لك هذا ؟

وقصة المسلم الذى اعترض الخليفة سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لأن ثوبه أطول شبرا من ثياب جميع المسلمين ، وأثبت سيدنا عمر أنه اقترض هذا الجزء من ثوب ابنه .

الاسلام ليس دين عدوان ، ولا هو دين عنف ولا يقبل الديكتاتورية ، ويرفض الطغيان ، ويسوى بين الناس كأسنان المشط ، ويعطى للفقراء حقهم ، وينص أن مساعدة المحرومين والمسحوقين هى الطريق الى النعيم .

ان الصورة التى يرسمها الأجانب اليوم للاسلام صورة مزعجة ، تشوه جمال الدين ، وتجعلنا نبدو فى صورة قطاع الطرق ، وهواة بطش وعنف وارهاب والدين الاسلامى برىء من كل هؤلاء ، فهو دين المتحضرين لا دين المتوحشين دين التقدم لا دين الرجعية .

دين الحب لا دين الكراهية والحقد والبغضاء .

ان أول من يشوه الاسلام هم بعض المسلمين .

انتهت احدى دور النشر بقطر عربى من طبع « الماسونية فى المنطقة ٢٤٥ » .

يحمل الكتاب دراسة مفصلة عن الماسونية فى هذه المنطقة التى تشمل ما اصطلح عليه حديثا بدول الشرق الأوسط مع المام بتاريخها معرجا على أسرارها الخفية ونواديها كالروتارى ، والليونز والسروبتمست وشهود يهوه .. الخ .

ويكاد الكتاب أن يحصر أعضاء أندية الروتارى بهذه المنطقة الخاضعة من حيث التقسيم للروتارى بمدينة ايفانستون بولاية أليتوى ، وعرج الكاتب الى الأندية التابعة لنادى الروتارى بنفس المنطقة ، وما ينال كل عضو نشط ماليا فيها من ميدالية تضعه بينهم فى مركز مرموق .

الفتاوى

إعداد
الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : من السيد / ع٠ج ـ بحيرى ـ شبرا

١ ـ طلقت زوجتى مرتين متفرقتين بقولى لها : أنت طالق ٠ وراجعتها فى كل مرة فى العدة ٠

٢ ـ ومرة ثالثة حصل شجار بينى وبينها وأنا مريض نتيجة عمليات أجريت لى ، هى استئصال المرارة والحصوة نتيجة المخدر الذى أخذته مما جعلنى أنفعل من أبسط الأمور وأثور ولاأستطيع التحكم فى أعصابى كما تفيد التقارير الطبية ـ وأثناء ذلك قلت لها : أنت طالق فما الحكم ؟

ج : اليمين الأول والثانى يقع بهما طلاق ، وحيث ان الحالف راجعها فى كل مرة أثناء العدة فان الرجعتين صحيحتان ٠

واليمين الثالث مادام الحالف مريضا نتيجة العمليات التى أجريت له لا يستطيع التحكم فى أعصابه عند الغضب ويخرج عن ارادته نتيجة الانفعال كما يفيد التقرير الطبى الصادر من مستشفى أبو النجا شبرا الخيمة ـ فان الطلقة الثالثة لا يقع بها طلاق ـ وذلك على مذهب ابن قيم الجوزية ٠

س . من السيد/م٠ب٠ على ـ الغربية

توفيت امرأة عن : أختين شقيقتين ، وابن عم أبيها ، عمتين شقيقتين ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأختين الشقيقتين الثلثان ـ لعدم من يعصبهما أو يحجبهما يقسم بينهما بالتساوى ، والباقى لابن عم أبيها تعصيبا ٠٠٠ ولا شىء للعمتين الشقيقتين لأنهما من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات ٠

س : من السيد / م٠أ ـ سالم أسيوط

توفى رجل عن : زوجة ، بنتين من زوجة متوفاة ، ابنى ابن عم شقيق ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنتين الثلثان فرضا لعدم وجود من يعصبهما يقسم بينهما بالتساوى ، والباقى لابنى ابن العم الشقيق يقسم بينهما بالتساوى ٠

والله أعلم ٠٠

فهرس العدد

الشعر والشعراء

اللغة والأدب والنقد

قسم الانجليزى

مراجعة وعناوين داخلية
عبد المنعم ابراهيم مهنا

the right word", the word of solid unchallanged truth, let us learn and teach the knowledge that formulated the essential elements for the dignity and wellfare of mankind. Let us search for solutions to prevent further decay and disruption of our society. Let us learn the reality of our faith, and construe the constitution of the Islamic Shariah to serve our needs.

-Taken from an article by Shiekh Gad Al-Haq Aly Gad Al-Haq.
-Published in Al-Azhar Magazine, Vol, 57, No.12 (Zu Al-Hijja) Page 1915).

The public should be addressed with constructive assessment of issues; the implementation of the laws of Islamic Shariah must be preceded by preparations that are necessary for successful application. Every facet and element of Islamic Shariah requires paving the ground for its implementation. Before the abolition of interest rates, it is necessary to evaluate them first in our current dealings and find alternatives that conform with the Shariah in order to avoid confusion and jeopardy of economic structure and mutual dealings with others. We must be true in word and earnest in advancing advice. It should be well understood that Islamic Shariah requires disciplined self conduct, this being the responsibility of the individual. The proper Islamic culture and up-bringing of children and youth is the responsibility of the parents. Bribery, corruption, robbery and deliquances must be resisted and erradicated from society. Hard work and efficient performance are mandatory for progress. It is certainly the duty of the state to extablish healthy systems of government. Nothing can save this nation except that which has saved its beginning, namely, the Holy Quran and the Sunnah. The whole nation at large bears the responsibility, individuals and state alike, a kind of task that requires proper understanding and enforcement.

The news media is particularly called upon to "come to the right word" to respect the public interest and work hard for its wellfare. Do not poison and corrupt the elements cementing the nation, do not demolish the values, do not dissolve or fake the foundations of the Shariah. Under the ceiling of Islamic Sharia Muslims have survived in stability and content committed to their duties and rights. The duty of all should be to restore to this nation its spiritual and psychological tranquility. What is presented to the public in the daily press should be objective, educational and instructive based on sound reason and honest logic. Islamic teachings should be well understood, adopted, propagated and highly supported. Let us "come to

the People's Council who have been elected by the people and deputised to reign over the safeguards of the nation. These members will sooner or later be questioned by the public, however, such questioning should not take a shameful style to avoid undermining our status of reputation, stability and security. On the other hand, the public demand for putting the Islamic Shariah into practice, should not be met with such frantic shrieks and biased arguments opposing the Islamic Shariah and qualifying it as unacceptable and incompatible with modern age and present so called civilization . Those men who carry the banners of opposition against the implementation of Islamic Shariah are actually harming their own purpose by hurting the deep sentiments and feelings of muslims in matters of high sensitivity pertaining to Islamic sacred priorities. They agitate Islamic emotions with profane words devoid of grace or piety to Allah, inconsiderate and disrespecting the dignity of the public. They fail to understand that injuries of the sword can heal,but injuries of the tongue do not heal.

Yes " come to the Right Word"; the Muslim public must be persuaded of the inevitable implementation of the Islamic Shariah, whether instantanously or in due time. Any delay in implementation must be fully and reasonably justified. Do not oppose or antagonise the Shariah of Islam with malignant unfounded illiterate and unlearned criticism. Do not abuse or slander the distinguished men, the predecessors and masters of Islamic Theology whose efforts must be acknowledged praised and recognised in the science of fundamentalling,catagorising and referencing of the very massive bulk of Islamic literature. The affluent flow of aggravating incrimination against Islamic Shariah that appears in the daily press; intentionally planned against Islam, or as a result of ignorance and sterility of thought must be completely stopped. Both suppositions are utterly condemned. People, as said in ancient times are hostile to what they are ignorant of.

and the path of Allah. This went further to become an intentional and planned twisting, distorting and falsifying the genuine authentic concepts and understandings of Islam. Some writers and speakers went in their transgression beyond the limits of logic and reason;to claim that the Islamic laws of Shariah were markedly complex and stiff,and were inapplicable and unsuitable to modern life with its diversties and sophisticated civilisation.

Writers also quarreled and disputed over the manner and urgency of application of Islamic Shariah. Should it be immediate with frantic rallys and demonstrations or should it be achieved quietly, gradually, rationally and with no violence. Marching of the masses, street demonstrations and emblems stuck on vehicles have nothing to do with the propagation of Islam or the application of its principles. The laws of Islam are not bounded or timed only to the age of prophecy or to the reign of the Khalifas as wise successors. Islam in essence constitutes a creed and a Shariah. It is a faith to mankind that establishes a balance of perfect equilibruim between secular and spiritual matters; Islam will dominate as such as long as Muslims adhere and remain faithful in peity to Allah, preserving His commandments, reciting the Quran and practicing its instructions.

The People's Council in collaboration with learned men of Shariah discussed (in Egypt) the methods of standardistation of current laws and purifying them from what was not conforming with the Islamic Shariah. These men spent time and effort to a good purpose which was accepted and indorsed by men loyal to public interest, identity and future, since the Egyptian nation is looked upon as pioneers and leaders of Arab and Muslim world.

The slowing down and delay in the constitutional measures to sanction the amendment is the sole responsibility of the members of

This whirlpool of anarchy puzzles even men of widom and knowledge. What then can be said of this generation which desires to return to the self and to acquire an identity derived only from Islam, from its features and physiognomy. Islam which calls for justice, science and education: Islam which bridges the gap between socially seperated classes: Islam which aims to culture the individual , the groups and the nation: Islam which cares for social and individual security and peace, creating both harmony and intimacy among the various sets of the public: Islam which opposes and rejects segregation because of poverty, colour or creed, and prohibit religious persecution: Islam which forbids cheating and fraudulence in transaction and contracting: Islam which encourages progressive opulence of human life with security and safety : Islam which prescribes certain codes that regulate the relation of the Muslim individual with Allah; such regulations are not at all subject to personal interpretations: Islam which differentiates between lawful and unlawful, virture and vice, right and wrong in all aspects of human life: Islam which is the creed based on tolerance, exoneration, and forgiveness : Islam is in reality the purity of the inner self and the mastery in conduct and appearance.

The question now is, has Islam as shown in the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet (prayers and peace be upon him) become an issue to argue over and disagree about; not with the purpose of understanding, but with insolence and discourtesy ? Has Islam and the laws of Shariah become the target of an avalanche of unfounded anger and criticism without comprehension or understanding of what Islam really is or what the laws of Shariah really mean ? This neurotic excitment has isolated the issue away from the correct path-the issue of the impelmentation of the Islamic laws of Shariah. It has turned the whole matter into frank antagonistic rejection of proper conduct

COME TO THE RIGHT WORD.

BY

MAGDY ABDEL-HAMEED BASHEER

The implementation of the laws of Islamic Shariah has become a very contraversial matter subject to shrills and loud voices, that it appeared to be diverting from the proper aim, and going astray from logic discussion. The whole issue of argument has turned into a heated stimulating debate congested with antagonistic and conflicting views. Within this arena, some writers emerged who invented slogans and coined words and imposed them on the public to accept forged ideas, and intrigued people to harken what they say and to read what they write.

These writers licensed themselves as Islamic writers and thinkers to be able to sell their own false ideas and thought under the guise of Islam. They also revive the argument over Islam and Secularism. Does Islam imply a religion and a state; or is it only a religion imposing the worship of Allah and has nothing to do with people's life on earth?.

All this resulted in confusion and disharmony in the understanding of Islamic principles, concepts, and its fundamental branches.

battle between a powerful Jewish community with all the means of strength and mastery,and an outnumbered contingent of Muslims taking the initiative of attack; was certainly most dramatic to observe closely and await its consequences. These consequences would certainly reflect on the historical outcome of the whole peninsula. For such considerations , the march of Muslims to conquer Khaybar was certainly a very crucical event.

When the Prophet (prayers and peace form Allah upon him) settled matters at Khaybar, the return to Al-Madinah was very eventfull. Three of the most renowed leaders of Koraysh had arrived to Al-Madinah and proclaimed their Islam. These men were Khaled Ibn Al-Waleed Al-Makhzoumy, Amre Ibn Al-Aas Al-Sahmy, and Osman Ibn Talha Al-Abdary. History records that these men lived to achieve very distinctive roles in Islamic History.

Prayers and peace be upon our magnanemous prophet.

the emigrants and gave them shares form the spoils taken from Khaybar after taking the consent of the Muslims.

After the conquest of Khaybar, the Muslims marched on to Fadek, which was a group of independent settlements inhabited by Jews with small numbers of Arabs form Bani Murra, and from Bani Saad Ibn Bakre. There was no fighting and they negotiated peace terms to give the Muslims the royalty of an annual divident. The Jewish community resident in Taimaa mediated similar peace terms with the Muslims as those of Fadek. The Muslims moved next to Wadi Al-Qurra where the Jewish inhabitants refused to accept the proposed peace terms. Hostilities started and after brief fighting, the Jews lost eleven men, they surrendered. The same peace terms as those of Khaybar were agreed upon.

This triumphant expedition and the suppression of Jewish influence was a major achievement, and a salient accomplishment. The nature of the conquest of Khaybar differs from all previous military actions of Muslims in the fact that it was the first Muslim expedition in which the Muslims took the initative without being attacked, and without even any sign of apparent intention of attack on the part of the Jews. However, the march on Khaybar aimed basically to spread and propagate Islam, and certainly to safeguard the security of Muslims against any insurgent action on the part of the Jews, which was highly expected. The massive consolidated manpower and wealth of the Jews at Khaybar was against the logic defence strategy of Muslims. The inbred antipathy and hatred of the Jews to Muslims, and their well reputed nature of hypocricy, artful deception, and masked fraudulence; all this demanded suitable deterent action on the part of Muslims. The march to Khaybar, Fadek, Taimaa, and Wadi Al-Qurra was closely observed by all the tribes in the Arab peninsula particularly the west of the peninsula. This contest in

In the fortifications of Al-Kathibah,the Muslims found great numbers of fighting equipment;and also a script of the Torah (old testment) which was returned to the Jews well preserved . The only man killed after agreement on the terms was Kenanah Ibn Abi Al-Haqiq because he denied the possession of the jewelry of Huaii Ibn Akhtab which was found in his possession. The total number of deaths among Muslims was estimated to be fifteen men, and the Jews lost ninety three men. During the aftermath of the conquest of Khaybar, a Jewish woman Zainab Bent-Al-Harith wife of Sallam Ibn Mishkum invited the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to eat barbecued lamb in which she put poison. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) chewed a peice and quickly threw it away rejecting its taste. The woman was then questioned about this act of dishonesty , and answered "If you were not a prophet, we would all get rid of you; and if you were a prophet, you would not be harmed". She was pardoned at the start;but when Bishre Ibn Al-Barraa Ibn Maroor died poisoned from eating the meat,she was ordered to death. However,several authors of authority relate that she was not ordered to death but set free. The Prophet (prayers and peace form Allah upon him) distributed the spoils of battle among the Muslim warriors, a share for each man, two shares for a horse, and therefore three shares for a man and his horse. Among the prisoners of Al-Kathibah was Safyia daughter of Huaii Ibn Akhtab the leader of Bani Al-Nadhir. She proclaimed Islam ,and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) married her, and granted her freedom for her dowry. She lived to be a very sincere muslim and a faithful devoted wife.

Before the Muslims left Khaybar,Gaffar Ibn Abi-Taleb and the Muslim emigrants to Etheiopia returned after ten years absence;among them were Moussa Al-Ashary and his people. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was highly pleased to welcome Gaffar and

of large quantities of foods particularly dates of which they ate some and left the rest.

The Jews retreated to the other fortifications and were ardently followed by Muslims. At Al-Shaq, the Jews put up a fierce resistance but were eventually defeated after being besieged for three days. The Muslims found large numbers of earthenware pottery, and copper and brass utensils, some of which was washed and used for cooking. The Jews again had to retreat to their last complex of fortifications, namely, that of Al-Kathibah . This major fortification consisted of three bastions Al-Qamos,Al-Wateeh and Al-Sulalem, all amidst great expanses of land. After the Jews retreated from the fortifications of Al-Natah and Al-Shaq ,their only final stand was to be at Al-Kathibah where all the Jews consorted strongly and certainly very determined to push the advancing Muslim forces back and defeat them. On the other hand, the Muslims commanded by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) were also certainly confident and fully resolved to gain final victory and thereby complete the conquest of Khaybar with all its fortifications. The Muslims besieged all the complex of fortifications, more intense was the siege of Al-Qamos , for a period of approximately one month. Then everything collapsed, Al-Qamos surrendered, and was quickly followed by the surrender of Al-Wateeh and Al-Sulalem. The Jews negotiated with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) for complete capitulation and to remain on the cultivation of the land,giving the Muslims half the yield of harvest. These terms were acccepted,and Abdullah Ibn Rawahah was charged with the acquisition of the share of Muslims from the yield of harvest every year. He divided the harvest into two equal lots allowed them (the Jews) to choose their half. This procedure conforms with Islamic codes particular to this type of transaction.

upon him) decided to march against the Jews at Khaybar. All authors agree that the march against Khaybar took place during the month of Al-Muharam of the seventh year of Hijrah. Fourteen hundred men and two hundred horsemen accompained the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in the rally against Khaybar, specifically those that had attended at Al-Hudaibiah . Twenty women wives of some companions also accompained the expendition including Um Salamah wife of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Al-Madinah was ministered by Sabba Ibn Arfatah Al-Gaffari.

At the outskirts of Khaybar, the Muslims made camp away from the throwing distance of the nearest fortification. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) supplicated to Allah for support, mercy, blessings, and victory; and further gave counsel and advice to his companions. The challenge of the nearest fortification started in the morning as was the usual custom of the Prophet(prayers from Allah upon him). There is no exact agreement between the various chroniclers as to the precise order by which these fortifications were challenged and overtaken. However, all authorities agree that after two days, no progress was made under Abu Bakre and Omar Ibn Al-Khattab; and the Jews were determined to make a stiff stand. At this stage orders were given to stop cutting the palm trees which had been started to frighten the Jews into surrender, and avoid bloodshed. Muslims advanced to storm the fortification, lead by Aly Ibn Abi-Taleb whom the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had specifically chosen to command the combat party on that day. Ali Ibn Abi Taleb was successful and the Muslims on that day captured the first of the several fortifications and bastions at Khaybar. This initial victory opened the way to the capture of the rest of the fortifications of Al-Natah which comprised three small bastions namely Naim, Al-Saab, and Qilla. During the engagement, Marhab the well known Jewish leader was killed by Ali Ibn Abi Taleb. The Muslims took possession

and Al-Snaq Each of these separately situated fortification was divided into smaller bastions. It was estimated that the number of men at arms with complete fighting equipment at Khaybar at that time exceeded twenty thousand men. Khaybar is situated about ninety miles north east of Al-Madinah, and was considered the stronghold of the Jews in the Arab peninsula particularly after the exist of the Jewish clans of Bani Qaynuqa, Bani Quraizah, and Bani Al-Nadhir from Al-Madinah. The fortifications at Khaybar were supplemented by large expanses of agrarian land which the Jews very industriously exploited and utilized.

Eversince the Hijrah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from Mecca, and his arrival at Al-Madinah, the Jews have been continuously deterring his efforts, conspiring to kill him scheming to create feuds and antagonism among Muslims, slandering, plotting, and living the role of hypocrites. Above all, they continually supplied the Arab clans with money, arms, and men to wage war against Muslims. This inherent trend of policy on the part of the Jews towards Muslims is ingrained and rooted in the psychological structure of Jewish leaders of all times; coining themselves through hatred, intrigue, and contrairty as the traditional classsical enemies of Islam and Muslims. They remain as such up to present times. At Khaybar, the Jews motived and supplied Arab clans to challange the Muslims at Al-Madinah into battle, thereby jeopardizing the the stability of Muslim presence at Al-Madinah. At that time, the Jews were contriving with the Arab clan of Khataffan to attack the Muslims after their return from Al-Hudaibiah to Al-Madinah.

The defence strategy of the Muslims necessitated that they must attack the Jews at Khaybar in a final round to save themselves from the continuous active belligerence of the Jews. After the Muslims returned from Al-Hudaibiah, the Prophet (prayers and peace form Allah

THE CONQUEST OF KHAYBAR

BY

Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PhD

In the Name of Allah Most Gracious Most Compassionate

The fealty of Al-Rudwan and the truce of Al-Hudaibiah certainly anchored the stability of Muslim identity and established its recognition. Islam itself as a creed of faith was by that time maturing into a multidisciplinary religion to encompass all aspects of human life; and enable man, through its concepts and teachings to ascend to high ranks of refinement and cultivation. Legislative ordinances were prescribed by the revelation of the Holy Quran so as to formulate a totalitarian system of constitutional function. This fulfillment necessitated the establishment of territorial safeguards on the one hand; and on the other ,it required individual self exertion and strife whose resultant efforts always aimed at propagation of Islam and pan-Islamization.

The truce of Al-Hudaibiah served to suspend the long-lived hostilities between Muslims and Kuraysh. However ,to the Muslim community at Al-Madinah, there remained yet another enemy of people who harbored within themselves an obstinate repungent slithering antipathy to Islam. These people were the Jews who were at that time consorting in very great numbers at the grand settlement of Khaybar. They lived in three major large fortifications Al-Natah,Al-Kathibah

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة

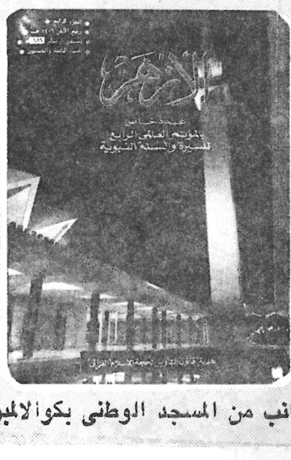
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



جانب من المسجد الوطني بكوالالمبور

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة والسنة..

وهذا الجيل..!!

ليس يستطيع باحث معاصر أن يقوم بجهد في السيرة النبوية أو السنة الشريفة دون أن يعتمد على بحوث السابقين .

ومهما حاولنا حصر جهد أولئك الأعلام السابقين في بين الميدانين فانما نخوض سبيلا الى المحال ، فهم علام تجاوزوا الآلاف المؤلفة عددا ، وتفننوا في الدرس والتحصيل والتفصيل ليبقى للسنة الصحيحة والسيرة الشريفة امتيازهما بالاشراق الأصيل على أرفع مستوى من الحق والصقل والجودة ، حتى لقد عنوا — فيما عنوا — بالخبر الموضوع فحصروه مادة وحصروه رجالا .

* الجزء الرابع * ديسمبر / يناير ١٩٨٥ م ١٩٨٦ *
* ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ * السنة الثامنه والخمسون *

وهذا أبو الحسن على بن محمد بن عراق الكنانى « ٩٠٧ هـ — ٩٦٣ هـ » توج فرعا منها ببحثه الجليل « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » فوضع فيه معجما ضم — بين دفتيه — ثمانين وسبعمائة وألف وضاع كذاب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بدأه بالهمز وختمه بالياء .

وليس يستطيع مسلم مسئول أن يقف من السيرة والسنة على تُكْلان بهذا الماضى المجيد ، فان الحرب ضروس ، ولا حيلة لمسلم فى غير الذود عن دينه ، وأى حجة له أو عذر أمام الله ، وقد بَلَّغَهُ — سبحانه — أمرَ الكافرين والملحدين وأعداء الدين ، فقال تعالى :

« وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا » فالمسلم الحق هو الذائد عن دينه الحامل سلاحَهُ بكافة ضروبه الى يوم الدين ، لا يُلقى السلاح أبـــدا .

لذا كان مؤتمر السيرة والسنة فى كل دوراته ، ليقدم مادتهما الشريفة بمستوى "مدارك العصر"، وليذود عن حوض هذا الدين كل ما يَجِدُّ من فتن ، فهو صلة الماضى وسلاح الحاضر .

ومن أروقة المؤتمر العالمى الرابع للسيرة النبوية والسنة الشريفة نقدم للقراء باقة من بحوثه آثرنا فى أكثرها أن نقدم عرضا موجزا للبحث ثم نختار منه أحد فصوله ليقرأها القارىء كما دونها صاحبها دون اختصار منها ، وقليل جدا هى البحوث التى قدمناها باختصار لما يتحمله حجم المجلة ، وقد راعينا أن تكون الباقة شاملة تحيط القارىء علما بفضل هذا المؤتمر وما أَدَّى من واجب .

وسيقوم الأزهر الشريف — كعادته فى كل مؤتمر — بطبع هذه البحوث للانتفاع بها على مستوى العالم الاسلامى كله .
نسأل الله تمام التوفيق ..

الدكتور على أحمد الخطيب

أعمال المؤتمر العالمي الرابع

للسيرة والسنة النبوية

شيخ الأزهر في المؤتمر الصحفي

بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر

« افتتح الامام الأكبر أعمال المؤتمر الرابع العالمى للسيرة والسنة النبوية بمؤتمر صحفى عقده بادارة الأزهر ظهر الخميس ١٥ من صفر ١٤٠٦/٣١/١٠/١٩٨٥ ، وقد حضره لفيف من رجال الصحافة والاذاعة والتليفزيون .. قال فضيلته :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

تعلمون أن المؤتمر سيبدأ بعون الله تعالى عقب صلاة الجمعة غدا فى الجامع الأزهر الشريف وسيحضر الصلاة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك والمسئولون أيضا وسيحضر أعضاء المؤتمر والمدعوون الى حضور المؤتمر والصلاة ، ثم يبدا المؤتمر فعلا بافتتاحه فى صباح السبت من الساعة العاشرة صباحا ، سيتحدث فى المؤتمر سماحة الشيخ عبد الله الأنصارى رئيس المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية الذى انعقد فى قطر فى سنة ١٩٧٩ بوصفه كان رئيسا أو مازال رئيسا للمؤتمر الثالث ، وبوصفه ممثلا للوفود الحاضرة لهذا المؤتمر ، ثم كلمة السيد الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر ، ثم كلمة السيد الاستاذ الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم وكيل الأزهر وأمين عام المؤتمر ، ثم كلمة شيخ الأزهر، ثم كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وبهذا ينتهى حفل الافتتاح (١) ، ثم يعقد المؤتمر جلسة مسائية قد تمتد الى جلستين للبدء فى مناقشة بعض البحوث المقدمة فى جلسة عامة ولينظم المؤتمر عمل اللجان ويختار رؤساءها ومقرريها لتستمر اللجان فى الانعقاد لعرض الموضوعات أو البحوث المقدمة وهى قرابة المائتى بحث ومازال بعض البحوث ترد للآن ، هذه البحوث صنفت لتوزع على أربع لجان تنعقد صباح كل يوم فى مبنى جامعة الدول العربية فى فترتين متلاحقتين فى الصباح وبعضها فى المساء أيضا ، سيكون للوفود المشتركة يوم الاثنين زيارة لبعض الآثار الاسلامية فى القاهرة فى الصباح ، وتكون الجلسات مسائية ، سيحضر

بعض الوفود المشتركة حفل تسليم شهادة الدكتوراه للسيد الرئيس ضـــياء الحق يوم الاثنين صباحا فى جامعة الأزهر •

البحوث تناولت عدة جوانب للسيرة والسنة الشريفة واجهت الرد عـــلى ما وجه الى السنة فى الأيام الأخيرة وربما فى السنوات الاخيرة من نقد فى بعض نصوص الحديث ، هذه البحوث واجهت الرد على كل ذلك وستكون أمام اللجان المتخصصة لفحصها فنيا واجازتها •

الوفود المشتركة تمثل جميع الدول الاسلامية وبمعنى أوسع تمثل جميع الشعوب الاسلامية والأقليات سواء فى أوربا أم فى أمريكا ، كل الأقليات التـى أمكن التوصل اليها دعى ممثلوها فى هذا المؤتمر ، تبلغ جملة المدعوين من خارج جمهورية مصر العربية حوالى ثلاثمائة مدعو •

المؤتمر يمثل ظاهرة طيبة بالنسبة للأمة الاسلامية ، فانه لم يتخلف أو يعتذر وفـد من الوفود وانما كل الوفود الممثلة للشعوب قد استجابت كذلك البحـوث فانها واردة من كافة الشعوب الاسلامية تقريبا أكثرها باللغة العربية وفيها ما ورد باللغة الانجليزية أو الفرنسية •

المؤتمر يعد ظاهرة طيبة لوحدة المسلمين ونرجو الله سبحانه أن يكـــون فاتحة خير لجمع كلمتهم حول قضاياهم سواء القضايا الثقافية وغيرها •

وهذه البحوث أرجو أن تكون منهجا للدارسين فى الدراســـات العليا فى موضوعاتها التخصصية ، وأن تكون موجهة لهم لمعالجة المشاكل الفنية فى التأليف ، لأن السيرة فى ذاتها ، السيرة الشريفة والسنة الشريفة ليست موضوع مشــكلات وانما من المعلوم أن كتب السيرة فيها بعض الأخبار غير الصحيحة ، وكتب السنة فيها بعض الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة وان كان قد نبه عليهـا فى كثير مـن المؤلفات المتخصصة لكنها تحتاج الى ابراز ، والى ارشاد للقارىء العادى ، لأن القارىء المتخصص هو الذى يستطيع أن يدرك بمعـاييره الفنيـة الأخبـــار الصحيحة والأحاديث الموضوعة •

ستكون هناك متابعة بعد انتهاء المؤتمر لأعماله ولتوصـــياته وقراراته بمعرفة الأمانة العامة لهذا المؤتمر اذ تستمر مســئولة عن أعماله حتى تسليم العمل للمؤتمر الخامس ان شاء الله •

المؤتمر العالمى الرابع

للسيرة والسنة الشريفة

شهدت القاهرة انعقاد المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة الشريفة فى الفترة من ١٨ ـ ٢٤ من صفر سنة ١٤٠٦ هـ الموافق ١ ـ ٧ من نوفمبر سنة ١٩٨٥ م تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية الذى تفضل بمشاركة الوفود فى أداء صلاة الجمعة بالجامع الأزهر الشريف ، ثم بتشريفه حفل افتتاح المؤتمر بقاعة الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر ، وتوجيه خطاب تضمن جوانب عديدة من سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب السيرة العطرة والسنة الشريفة .

فكان بحق حدثا عظيما ، وعملا جليلا مفيدا ، آخذ بلب كل مسلم ، وتعلق به فؤاد كل مؤمن فى مشارق الأرض ومغاربها ، مما جعل أنظار المسلمين ـ كل المسلمين ـ تتجه الى مصر ، مصر الاسلام ـ مصر الايمان ، مصر الأزهر .

وقد عقدت جلسات المؤتمر لمناقشة بحوثه فى قاعات جامعة الدول العربية باشراف ورياسة فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مما كان له الأثر الطيب فى تحقيق ماتصبو اليه قلوب المؤمنين ، وأفئدة المسلمين فى كل مكان من أرض الله .

ومنذ اعلان مصر استضافتها لهذا المؤتمر والبحوث ترد من جميع البلاد العربية والاسلامية ، حتى بلغت ثمانية ومائتى بحث منها مائة وخمسة وتسعون بحثا باللغة العربية والباقى بلغات مختلفة انجليزية ـ وفرنسية ـ وتركية .

وقد تناولت هذه البحوث جوانب شتى من سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسنته الشريفة ، فقد كانت بحوث المؤتمر تدور كلها حول السنة والسيرة الشريفتين فأما مايختص بالسنة فقد تجاوز مائة بحث تناولت مكانة السنة

للأستاذ فتح الله ياسين جزر

ومنزلتها فى الاسلام ، وعلاقة القرآن الكريم بالسنة ، والاسلام والعلم «والكمبيوتر » وحفظ السنة ، واستخدام الحاسب الآلى فى بناء موسوعة للسنة وشمول الرسالة الاسلامية وكمالها ،ومستقبل الانسانية فى ظل الاسلام ، والأدلة العقلية على نبوة محمد ﷺ والتصوير الفنى للدعوة الاسلامية وبيان طبيعة ومعايير العلاقات الدبلوماسية فى الاسلام ، والاحتكاك بالثقافات المعاصرة كما شملت الحديث عن الحدود فى الاسلام وأدب الحرب ومواجهة التحديات كما تحدثت عن العهود والمواثيق ، ومدى أهمية الشورى فى الاسلام .

كذلك تناولت عداء المستشرقين للرسول صلى الله عليه وسلم — وفندت مزاعمهم ، ودحضت مفترياتهم ، وكشف تعصبهم .

كما أوضحت الكيفية التى قامت عليها فلسفة الاسلام ، وأثر الرسالة فى سعادة البشرية ، والحضارة الانسانية والمعاملات المعاصرة .

وقدمت دراسة واعية متأنية عن كثير من أئمة الحديث ورجاله وكتبهم ؛ كالامام البخارى والامام مسلم ، وأبى داود ومالك بن أنس وكتابه الموطأ ، وأحمد بن حنبل ومسنده .

وكشفت النقاب عن الجهود التى بذلت لحفظ السنة الشريفة وخدمتها فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وأثر الرحلات فى طلب الحديث ، وكشف ما وضع فيه .

وأوضحت أسرار الطب النبوى وأثره فى حياة الفرد والجماعة من حيث العلاج والوقاية ، ورسمت منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان الطريق لحفظ صحة الشعوب والأفراد على أحدث نظام توصلت اليه مدنيات هذا العصر وحضاراته .

وفيما يختص بالسيرة ، فقد بلغت بحوثه مائة بحث ، شملت جوانب مختلفة نجملها فيما يلى :

المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة الشريفة

١ ــ تحدث جانب منها عن شمائل الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصفاته واخلاقه وسلوكه ومعاملاته وحياته وشخصيته ومعيشته ، وتواضعه.

٢ ــ وتحدث آخر عن علاقته بعشيرته وأهل بيته ، وحكمة تعدد أزواجه ، وتفنيد اباطيل المستشرقين ، والرد على كل شبهة أثاروها أو فرية روجوها .

٣ ــ كما تحدث عن عظمة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى تحمله الشدائد ، وتجشمه للصعاب ، فى سبيل ابلاغ دعوة ربه ، ونشر دينه ، والارتقاء بأمته ، والسمو بقومه وعشيرته ، فجمعها من شتات وتمزق ، ووحدها بعد تنازع وتفرق ، فكانت ــ بايمانها خير أمة أخرجت للناس .

٤ ــ وتناول بعض البحوث موضوع البشارات بالنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الكتب السابقة وموقف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من التفرقة العنصرية التى يعانى منها كثير من البلاد المتحضرة فى عصرنا الحالى ، فقد أكد ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص لكل الناس ولجميع الأجناس تنفيذا لما أنزله الله فى كتابه الكريم «**أن اكرمكم عند الله اتقاكم**» ولما روى عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ «الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى والعمل الصالح .

٥ ــ وتحدث عن اهتمام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالأسرة وأثرها فى بناء الأمة ومالها من حقوق ،وما عليها من واجبات ، وبخاصة تربية الناشئة والعناية بهاء ، وكذلك توجيه الشباب الى ما ينفعهم وينفع أمتهم دينا ودنيا .

٦ ــ كذلك تحدثت عن بداية الوحى وكيفيته وأهدافه وظروفه وأنواعه وكتابه ، وتكريم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى اسرائه ومعراجه وابتهاج

الأمة بما فرض فيه من صلاة يعرج فيها المؤمن الى ربه خمس مرات كل يوم وليلة .

٧ ــ كما تحدثت عن الهجرة النبوية الشريفة ، وكيف كانت منطلقا الى النصر ؟ فضلا عما فيها من دروس وعبر ، كان لها الأثر الفعال فى انتشار الدعوة الاسلامية فى جميع البلاد والأمصار .

٨ ــ وختام المطاف حديث عن الكتب والسفراء الذين بعثهم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الملوك والحكام ، يدعوهم فيها اياهم وشعوبهم الى عبادة الله الواحد الأحد ، والدخول فى دين الاسلام .

وبعد ..

فهذه لمحة خاطفة عما تضمنته بحوث السنة الشريفة والسيرة العطرة ، سطرتها اقلام كبار العلماء ومفكرى الاسلام من كافة الأقطار الاسلامية ، الذين بينوا بوضوح وجلاء ثراء السنة وشمولها وكفايتها واستيعابها لجميع متطلبات الحياة .

ونسأل الله التوفيق الى سواء السبيل .

رحمة الرسول والرسالة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق - شيخ الأزهر

يدور البحث حول عناصر ثلاثة : رحمة الرسول · رحمة الرسالة أثر الرحمة فى بناء المجتمع ·

وتحت العنصر الأول نرى القرآن الكريم يزكى ذلك فيمن أدبه ربه فأحسن تأديبه فى قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وقوله ـ عز من قائل ، فى وصف مصطفاه : (حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) ·

كما نلمح صدق رحمته من واقعات حياته فقد اعتذر عما بدر ممن تصدوا لدعوته وآذوه وقال راجيا لهم الخير : اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون بل أنه دعا لبعضهم ولم يرض بابادتهم قائلا : أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله·

أما رحمته بالمؤمنين فحدث عنها ولاحرج وأحاديثه صلى الله عليه وسلم تؤيد ذلك : « لا تنزع الرحمة الا من شقى » ـ « من لايرحم لا يرحم » ـ « الراحمون يرحمهم الرحمن » ·

وفى ذروة هذه الرحمة رحمته صلى الله عليه وسلم بالصغار وبالحيوان فقد خفف من صلاته حتى ترجع أم مقتدية به الى ابنها الذى بكى ، وبشر بالجنة رجلا سقى كلبا فحفظ عليه حياته وأمر بالرفق حتى فى القتل والذبح ·

ومن خلال العنصر الثانى ـ رحمة الرسالة : نحس اليسر وعدم التكليف بما لا يطاق فما خير فى أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما · كما نجد أن قواعد المعادلات رحيمة لا غل فيها ولا استغلال وانما تعاون وتساند فى مواجهة متطلبات

الحياة ويبعد عن الغش وتطفيف الكيل ونهى عن الاحتكار ، وقمة الرحمة نلمسها فى الاجتماع فى شأن المرأة وفى شأن اليتامى وفى الصلة بين الحاكم والمحكوم وفى الرحمة والبر بذوى القربى وفيما ينبغى أن يكون عليه المجتمع ٠

ويتناول البحث فى عنصره الثالث ـ أثر الرحمة فى بناء المجتمع ٠

مايترتب على الرحمة من تآلف ومودة وجمع للقلوب على المحبة والتعاون وما أعده الله للرحماء من جزاء ٠ كل هذا فى سرد مشوق أخاذ وقد اخترنا من البحث فصلا عن الرحمة فى المعاملات الاقتصادية ٠

وبالله التوفيق ٠٠

فى المعاملات الاقتصادية

جاءت قواعد المعاملات فى الاسلام رحيمة ميسرة ، لاغل فيها ، ولا استغلال تقوم على التعاون والتساند فى مواجهة متطلبات الحياة

فكانت الدعوة الى العمل والكسب الطيب مقرونة بالصلاة ، وكثيرا ماجاء الحث على العمل قرين الايمان ، ووصف العمل فى القرآن بالصالح ، لا يعنى التمحض للعبادة المفروضة فحسب ، بل يعنى كل عمل يصلح به العامل ومجتمعه ٠

من هذه الآيات قول الله سبحانه :

« وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى » (١) ٠

وقوله سبحانه : **« وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى »** (٢) وقوله تعالى :

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً » (٣) ٠

وقوله تعالى :

« فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٤) ٠

وفى النهى عن المعاملات المحرمة قال الله سبحانه :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٥)

قال فى تفسير المنار : « فمن رحمة الله واحسانه الى خلقه أن حرم الربا ولعن آكله

(١) من الاية ٨٨ من سورة الكهف ٠
(٢) من الاية ٨٢ من سورة طه ٠
(٣) من الاية ٩٧ من سورة النحل ٠
(٤) الاية ١٠ من سورة الجمعة ٠
(٥) الاية ١٣٠ من سورة ال عمران ٠

ومؤكله وكاتبه ، وشاهديه ، وأعلن من لم يتركه بحربه وحرب رسوله ، ولم يجىء مثل هذا الوعيد فى كبيرة غيره • ولهذا كان من أكبر الكبائر » •(١)

وعن ابن مسعود أن النبى — صلى الله عليه وسلم — : « لعن آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه » رواه الخمسة وصححه الترمذى • غير أن لفظ النسائى : « آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه » اذاعلموا ذلك ملعونون على لسان محمد — صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة » (٢) •

وقوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا » (٣) •

وقول الله سبحانه :

« وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (٤) •

قال فى تفسير المنار (٥) عن الآية الأولى فى قوله : « انَّ اللَّهَ كَانَ بِكم رَحِيمًا » أى انه كان بنهيه اياكم عن أكل أموالكم بالباطل ، وعن قتل أنفسكم رحيما بكم ، لأن فى ذلك حفظ دمائكم وأموالكم التى هى قوام مصالحكم ومنافعكم ، فيجب أن تتراحموا فيما بينكم ، ويكون كل منكم عونا للآخرين على حفظ النفس ، ومدافعة رزايا الدهر •

ونجد النهى عن أكل الأموال بالباطل فى الآيتين المتلوتين آنفا شاملا لما جد ويجد من صور الباطل وطرقه فى انتهاب الأموال وأكلها والتحايل على ذلك ، حفاظا على الحقوق ورحمة بأصحاب الأموال ، بل وبالمعتدين عليها بالأكل بالباطل اذ أنهم بهذا يعرضون أنفسهم للعذاب الذى هو نقيض الرحمة التى أسبغها الله على المؤمنين فى تشريعه الحكيم ، كما يعرضون المجتمع لفقدان الثقة فى التعامل واضطراب أمور المال بين أفراده •

ولقد شرع الله الجزاء على اقتراف جرائم الأموال ، فكان حد السرقة المقرر فى قول الله تعالى : « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (٦)

وذلك العقاب محوط بالضمانات التى تمنع سوء التطبيق ، وحتى يكون ضمانا لحفظ الأموال وردعا لمن لا يحترم حقوق الغير وحرمة أمواله •

(١) جـ ٤ ص ١٢٦ •
(٢) نيل الاوطار للشوكانى جـ ٥ ص ٢٠١ •
(٣) الآية ٢٩ من سورة النساء •
(٤) الاية ١٨٨ من سورة البقرة •
(٥) جـ ٥ ص ٤٥ •
(٦) الاية ٣٨ من سورة المائدة •

وقول الله سبحانه :

« وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (١) .

ويكاد المفسرون يتفقون على أن الغلول من الحاكم — فى معانيه المختلفة التى تشتمل كل صور أخذ ما ليس بحق من المال العام أو الخاص — كبيرة من الكبائر ، وذلك رحمة وبرا بالرعية ، وحرصا على اقرار الحق والعدل فى المجتمع (٢) .

وفى باب التعامل التجارى كان الاسلام رحيما فنهى عن الغش رحمة بالمتعاملين .

روى أبو هريرة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا ، فقال : « ماهذا ياصاحب الطعام » ؟ قال : أصابته السماء يارسول الله . قال : « أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس . من غشنا فليس منا » (٣) .

كما دعا الى العدل ونهى عن التطفيف فى الكيل والميزان فقال الله سبحانه :

« وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » (٤)

ذلك توجيه قرآنى حتم ملزم للناس كافة حتى يستقر التعامل فيما بينهم على نحو تسوده العدالة والرحمة ، فلا تظالم ولا بخس فى الأثمان والأشياء « وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » (٥)

---

(١) الاية ١٦١ من سورة ال عمران .
(٢) تفسير الطبرى جـ ٧ ص ٣٤٨ — ٣٦٥ والقرطبى جـ ٤ ص ٢٥٤ — ٢٦٢ وابن كثير جـ ٢ ص ١٣٠ — ١٣٦ وتاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٢١١ .
(٣) رواه مسلم — رياض الصالحين ص ٥٧٦ .
(٤) الايات من ١ — ٦ من سورة المطففين .
(٥) الاية ٨٥ من سورة هود .

مرآة السيرة النبوية

في هذا البحث أراد فضيلة الدكتور أن يذكر بعضا من سيرة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده وماطرأ عليها من تطورات ومانالها من ظلم واضطهاد ، وكيف صمدت لكل هذه الكوارث وخرجت منها ظافرة منتصرة ، فهذه الأحداث التى واجهها المسلمون فى مختلف جوانب الأرض وفى شتى الأزمنة كانت صورا مكررة مما أصاب المسلمين الأولين • وان اختلفت مظاهرها فى لون الاضطهاد ونوع التعذيب وكثرة عدد المعذبين ، وقد مات الكثير فى سبيل هذه العقيدة ولكن العقيدة نفسها لم تمت •

ثم تكلم عن أبعاد البحث فى السيرة النبوية حيث قال :

لا تقاس سير العظماء بالأحداث التى مرت بهم فى حياتهم ، أو بما كان منهم من تصرفات ازاء هذه الأحداث • وانما تقدر سير العظماء بما تركوا من آثار فى تاريخ الانسانية وبما يكون لمبادئهم وأعمالهم من توجيه وتطوير فى حياة الأجيال التى تأتى بعدهم وهناك عظماء أصحاب مبادىء فكرية وفلسفات ميدانها حياة الناس واحترام العدالة ، أو سبر أغوار النفس الانسانية وأسرار السلوك البشرى وما الى ذلك •

وقد عمرت الدنيا منذ بدايتها برسل الله الذين هذبوا غرائز الناس وكفكفوا من وحشيتهم • ولم يبق من الديانات السماوية سوى الديانات السماوية الثلاث: الموسوية ــ والمسيحية ــ والاسلام ، ولكل من موسى وعيسى أنباء مقطوع بصحتها وله بجانبها كثير من الأباطيل ولست أعنى ما يضاف لكل منها من أحداث أو صفات وخوارق ، فهذا مالا يخلو منه تاريخ أى عظيم ، ولكن أعنى ما يتصل بالعقيدة وطبيعة الرسالة •

وقد سلمت السيرة المحمدية من هذا الخلط ، وهى الوحيدة التى سلمت ، ولقد عاش رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم بشرا من الناس لايمتاز الا بوحى الله اليه ، ولم تعتمد رسالته على الخوارق التى تبهر الناس وتحيرهم ، وحين

للدكتور عبد الجليل عبده شلبي

طلبوها منه قال « سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً » « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَىَّ أَنَمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ » •

ومات رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما يموت الناس جميعا وبقيت رسالته كاملة ، وبقى القرآن ومعجزاته الكبرى سليما كما أوحى اليه ، وقد كافح فى سبيل دعوته ما عاش وبقيت رسالته تمتد ماشاء الله لها أن تمتد •

ونقدم للقارىء من البحث الفصول التالية :

من خصائص الدعوة الإسلامية

للدعــوة الاسلامية خصائص تميزها مــن الديانتين السابقتين كما لها خصائص تميزهــا عن سائر الديانات الأخرى •

ومن أبرز خصائصهــا أنها تقــوم على التوحيد المطلق ، فالله المعبود الخــالق الــه واحد ليس هناك آلهة متعددة-اله للنور وآخر للظلام ، أو اله للرياح وآخر للأمطار أو مــا الى ذلك ، وليس سبحانه صاحبة ولا ولــد ، «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ • ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ-وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ» ــ وبهذا اختلف مع المسيحية التى تجعل الله واحدا مكونا من ثلاثة ، وتجعل له ولدا يساعده ويقوم بجانبه •

وليس بين الله وبين مخلوقاته واســطة ، فحيث هو ــ سبحانه ــ مطلع على كل شىء يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ثم هو قادر على كل شىء ، ــ فعال لما يريد ــ فهــو ليس بحاجة الى وسيط بينه وبين مخلوقاته ، ولا الى مساعد له ابنا أو غير ابن وهو الــه الناس جميعا ليس اله أمة معينة ولا شــعبا دون شــعب •

والناس كلهم سواء ، عند الله ــ لا فرق بين أبيض وأسود ، فالله لا ينظر الى ألــوان الناس جميعا ليس اله أمة معينة ولا شــعب قلوبهم ، ولذا أكرمهم عند الله أتقــاهم •

هذه مبادىء معروفة ، ولســت أذكــرها للتعريف بها وانما أذكرها لأبين بعد مالها مــن أثر فى سير الدعوة الاسلامية •

الإسلام واليهودية

يقف اليهود ـ منذ حلول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة الى اليوم موقف المعادى للاسلام • دخلت قلة منهم الاسلام ، وأدركت أن نبى الاسلام هو النبى المبشر به ، ووقف أكثر اليهود معاندين صادين عن الاسلام متقولين على نبيه ما استطاعوا أن يتقولوه ، وعملوا جهدهم على الايقاع بين الأنصار ، كما بادروا الى نقض عهدهم مع المسلمين من بعد ميثاقه • وكانت هناك طائفة ثالثة جنحت الى النفاق وقصصهم معروف ، ولا يكف اليهود ، وخصوصا المستشرقين منهم عن طعن الاسلام والنيل منه •

والذى يعنينا هنا هو أن نكشف جانبا من جوانب الفرق بين الديانتين ، وما تصوره النصوص المقدسة من تصور الاله • فالقرآن الكريم يذكر أن موسى نبى من أنبياء الله الذين قص الله على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرا منهم ، وذكر قصة ميلاده وحياته فى مصر ، وأنه اذ رجع الى مصر لاستنقاذ بنى اسرائيل من فرعون وآله اذ كانوا يسومونهم سوء العذاب دعا فرعون الى عبادة الله رب العالمين ، وقال له انه ربكم ورب آبائكم الأولين • وقد ذكرت قصته فى القرآن اجمالا وتفصيلا أكثر من عشرين مرة ، وكانت هذه الدعوة موضحة فيها •

ففى سورة والنازعات •• « فَقُلْ هَل لَكَ إِلَى أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى » وفى سورة الشعراء •• « قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ • قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ • قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ • قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ • قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ • قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ •

فموسى اذا دعا فرعون أن يتزكى ، ودعاه الى عبادة رب العالمين جميعا ، رب السموات والأرض وما بينهما • ولكنا نقرأ فى سفر الخروج هذه النصوص من حديث الله لموسى بعد خروجه من عند حميه يترون (شعيب) وبعد أن رأى النار فى حوريب وهو متجه الى مصر : ص ٧/٤ ـ ١٠ انى قد سمعت مذلة شعبى الذى فى مصر ، وسمعت صراخهم •• فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين ، وأصعدهم من تلك الأرض الى أرض •• تفيض لبنا وعسلا ، الى مكان الكنعانيين والحيثيين والآموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين •• فالآن هلم فأرسلك الى فرعون وتخرج شعبى بنى اسرائيل من مصر ص ١٨/٤ ـ •• تدخل أنت وشيوخ بنى اسرائيل الى ملك مصر وتقولون له : الرب اله العبرانيين التقانا فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب الهنا •• الخ » •

ويتكرر فى هذا السفر : يقول الرب اله العبرانيين •• أطلق شعبى ليعبدونى •

ففى هذه النصوص نرى أن الله اله العبرانيين ، وأن بنى اسرائيل هم شعبه ، وأن قربانهم اليه كان فى البرية بعد مسيرة ثلاثة أيام من مصر . — فليس اذن اله الناس جميعا وليس الناس كلهم لديه سواء — وفى السفر نفسه يعلم الله موسى أن يقول لفرعون ص ٣/٤ : « فتقول لفرعون هكذا يقول الرب : اسرائيل ابنى البكر » .

هذا سر تكون الاسرائيليين ، ونظرتهم الى أنفسهم نظرة تعال وكبرياء . واعتبارهم الآخرين أتباعا لهم . ثم احتكارهم ديانتهم لأنفسهم ، فهى — لذلك — ديانة شعب ممتاز يسمو على الشعوب الأخرى . ولو أن الديانة اليهودية كانت ديانة مبشرة ما أغرت الناس بالدخول فيها ، لأن الذى يقبلها ويقرها من غير الشعب الاسرائيلى يقر ويعترف على نفسه بالتبعية لهذا الشعب ، وليست تبعية سياسية أو ظرف طارىء ، ولكنها تبعية أبدية أقرها قانون السماء . وغنى عن القول أن هذا الاقرار لم يكن من شريعة موسى فى شىء ، وانما هى تعاليم وضعها رجال الدين لظروف وأسباب خاصة ، والوصايا العشر التى هى أهم آثار موسى — عليه السلام — لم تسلم من النقد الكثير(١)،ولعلها هى الأثر الوحيد الذى يكون قد بقى من آثار موسى ، ولكنها ذكرت مرتين فى سفر الخروج تختلف كل منهما عن الأخرى ، ثم ذكرت مرة ثالثة فى سفر التثنية وقد رتبها عالم اللاهوت الكبير ولها وزن well hausen ترتيبا آخر حسب أهميتها فى نظره .

فهاتان نقطتان جوهريتان من مسائل الخلاف بين الاسلام واليهودية ، فضلا عن تجسم الاله وتلبسه صفات البشر .

الإسلام والنصرانية

كان بين الاسلام والنصرانية عداء قديم أيضا ، ومباهلة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفد نجران معروفة مشهورة . ويتركز الخلاف بين الاسلام والمسيحية فى ثلاثة مسائل ، هى بنوة المسيح لله ، وكون الاله الخالق مكونا من أقانيم ثلاثة ، وصلب المسيح .

وينكر بعض المسيحيين قصة المباهلة كما ينكرون حديث هرقل ، ولا يؤثر هذا على الاسلام فى شىء ، الا أن المبشرين هنا وهناك يهمهم اخفاء هذين الحدثين .

والمشكلة الكبرى التى يتحدث عنها كتاب التاريخ والباحثون فى أصول المسيحية هى وضع الأناجيل وأعمال الرسول بولس.ص١٢ فالأناجيل فى جملتها عرض لحياة المسيح — عليه السلام والأحداث التى مرت به حتى نهاية حياته ، والمعجزات التى جاءت على

(١) انظر فى هذا ص ١٧ وما بعدها من كتاب « التوراة » للدكتور فؤاد حسين على .

مرآة السيرة النبوية

يديه ، ثم أخيرا محاكمته وصلبه ، ثم قيامه من قبره ومقابلة حوارييه .

لقد كانت الأناجيل فى القرن الثانى الميلادى تزيد على مائة وعشرين انجيلا (١) فانتخبت الكنيسة منها هذه الأربعة ، ورفضت الأناجيل الأخرى ، ثم كشف حديثا انجيل برنابا ، وهو يخالف الأناجيل الأربعة ، وفى ترجمته وتحقيقه رأى الدكتور خليل سعادة أن صاحب الانجيل ليس هو برنابا الحوارى - أو على الأقل تشكك فى نسبته بينما يطمئن الشيخ رشيد رضا الى صحة هذه النسبة . وهذا الخلاف ليس بذى أثر كبير فهو يعكس على أى حال فكرا مغايرا لما قامت عليه المسيحية من صلب المسيح . ومن أسس العقيدة الأخرى .

تعرضت الأناجيل الأربعة المختارة لنقد كثير لما بينها من اختلافات فى بعض معجزات المسيح ، وفى حادث صلبه وقيامه من قبره بعد صلبه ، وفى العشاء الربانى .. وهى مسائل جوهرية فى كيان المسيحية ، من هنا يبدو تزعزع الثقة فى الأناجيل أولا وأنها ليست الأساس المقدس الذى تعتمد عليه الكنيسة ، ولكنه هو النص الذى ارتضته الكنيسة ، ولعلها عدلت فى الأناجيل التى اختارتها .

والحديث عن الأناجيل ذو طول واستفاضة (٢) .

أما بالنسبة لأعمال الرسول بولس - فهو بحق أبو المسيحية ، وقد أدخل عليها تعديلات وأفكارا مرجعها ثقافته هو السابقة على دخوله المسيحية ، واستعارته من الفلسفة اليونانية والفكر اليهودى ما جعل مسيحيته الجديدة دينا جديدا يختلف عما جاء به المسيح . والحديث عن بولس وأعماله وراءه ، مما ينكره كثير من مفكرى المسيحية (٣) .

يعوز المسيحية اذا سند سماوى تقوم عليه ، وكثير من تعاليمها لا يوثق به .

وقد وضع باحثون كثيرون كلا من موسى وعيسى - عليهما السلام - موضع الانكار وليس فقط موضع الشك .

هنا تبرز ميزة الاسلام . لا يستطيع أحد أن ينكر وجود محمد - صلى الله عليه وسلم - أو يشك فيه والقرآن الكريم كله من عند الله قرىء على أصحاب رسول الله - وحفظ فى الصدور ودون فى الصحف ، وهو بهذه الثقة يثبت وجود موسى وعيسى ، ويقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ، وقصصه حق لامرية فيه ، فهو بحق مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه ، ليس فى القرآن تضارب ، ولم يضع

---

(١) الانجيل كلمه يونانية معناها البشارة . وفى الحديث عن اضطرابها وتضاربها - انظر
W. D. Dariues
Inruitaton To the Now Tesament
- دراسة للاناجيل ص ٧٥ وما بعدها .
(٢) انظر الفصل الذى خصصه العقاد لدراسة الاناجيل فى عبقرية المسيح .
(٣) the outfine of modern Belief .

منه شيء ، ولم يعتمد الاسلام على المعجزات والخوارق ، تلك التي تبهر مشاهديها وتستهوى ألبابهم ، ثم لا يكون لها أى تأثير على الأجيال التى تأتى بعد ، بل تكون بمدرجة الشك والنكران ، والمعجزة التى يعتمد عليها الاسلام هى القرآن وهو معجزة خالدة لدين خالد •

واذ أعلن نبى الاسلام أنه بشر لا يميزه عن الناس الا الوحى لم يكن فى الاسلام رجل دين يملك التصرف فى ذنوب الناس ، وهذا موضع ذو أهمية فى الفرق بين الدينيين ، ص ١٢ فقد فسد رجال الدين المسيحى ففسد الدين وانفض أتباع الكنيسة ، هذا لأن رجال الدين المسيحى تحل فيهم روح المسيح أو روح الله ، كما كان المسيح نفسه يجمع بين البشرية والالهية،ففساد الشخص الذى له هذه الصفة يستلزم فساد العقيدة فيه (١) ، ولكن اذا فسد رجل الدين الاسلامى ففساده عائد عليه • ويبقى مستند الاسلام الذى لا يفسد ولا يتغير •

وقد يضيف كتاب السيرة النبوية خوارق وأحداثا نادرة الى تاريخ نبى الاسلام ، فاذا افترضنا أنها كاذبة فان هذا لا يضر ، لأنها معجزات لا يتوقف عليها الدين فى شيء ، ان مستنده هو هذا الكتاب الحكيم ، ورأيت المستشرق الاسكوتلاندى « مونتو جومرى وات » يستهل كتابه « محمد » بما جاء فى كتب السيرة عن لقائه بحيرا الراهب فى شيء من السخرية ، فلما فرغ من قصها قال هكذا يعتقد المسلمون ؟ ونحن لا يضيرنا أن تكون القصة باطلة أو موضوعة ، فهى لا علاقة لها بحقيقة الرسالة ولا بأسس الاسلام ، ولكن يجب أن ننظر اليها من زاوية ليست قليلة الأهمية ، فهى تنم عما كان بين اليهود ودعوة الاسلام ونبى الاسلام من عداء ، والأشعار والأحاديث الموضوعة لها ، رغم بطلان نصها ــ دلالات جانبية لا ينبغى أن تغفل ، لأن واضعيها أرادوا بها أن تعبر عن شيء واقع • وكتاب السير المحدثون يتحاشون ذكر المعجزات المادية لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكتبهم مع خلوها من هذه المعجزات تبدى شخصيته •

أسباب دخول المسيحيين الإسلام

يلاحظ أن دخول المسيحيين الاسلام لم ينقطع فى أى عصر ولا فى أى بلد ، ونجد الآن فى العواصم الأوربية الكبرى وفى الأخرى الأمريكية أفرادا وجماعات يدخلون الاسلام ويتركون المسيحية التى ولدوا عليها • ولا يقف هذا عند دهماء الناس بل نجد مفكرين كبارا ومثقفين يقبلون على الاسلام بعد دراسة وروية ، والذين أتيح لهم ان يدرسوا اللغة العربية أو أن يعيشوا زمنا بين المسلمين يدخلون الاسلام عن اقتناع ذاتي وأدلة ودراسة • ص ١٩ ومع هذا من النادر

(١) See Religicus Le aders. P 13

جدا أن نجد مسلما تنصر أو ترك دينه الا أن يكون ذلك عن اكراه أو اغراء للسذج قليلى الحظ من الثقافة والتفكير .

واذا دحض توماس آرنولد فكرة الاكراه وأنكرها قال انه لابد من تلمس بواعث أخرى ، ولكنه أبدى أسفه لقلة الأخبار التى يركن اليها فى هذا . ولم يجد مناصا من اللجوء الى الحدس والتخمين ، وقد استنتج هو أولا أنه كان من الحتم أن يكون ثم مفكرون دينيون هداهم تفكيرهم الى قبول الاسلام . لأن العصر كان حافلا بالتأمل الدينى ، وأنه خلال القرن الثامن الميلادى كان فى بلاد فارس مسيحيون يعتقدون أن المسيح لم يكن الا بشرا رسولا ورجلا عاديا كسائر الأنبياء . فكان موقفهم الدينى أشبه بالاسلام منه بالمسيحية . وكان من الصعب على النساطرة هناك أن يردوهم الى حظيرة المسيحية الكاثوليكية فكان ذلك مما جعلهم يؤثرون الاسلام .

وينقل آرنولد فى الوضع نفسه عن لاهوتيين كبار ، أن انقسام المسيحيين على أنفسهم وكثرة خلافاتهم حول مسائل مبهمة زعزع عقيدة أتباعهم . فالأرثوذوكس والنساطرة وأتباع أوطيخوس واليعاقبة ، كل يضطهد الآخر ويسفه رأيه ، ولعل بعضهم أن يكون قد فرح بوقوع خصمه تحت يد المسلمين ليستريح من جدله مما نفر الناس منهم جميعا فليس عجيبا أن يدخلوا فى دين الاسلام أفواجا بل كان العجب لو أنهم لم يتلمسوا لهم ملجأ روحيا ينجون به من هذه المهاترات التى لا تعرف اللين .

ونقل آرنولد أيضا عن كيتانى Caetani. ان السفسطة المذهبية التى جلبتها الفلسفة اليونانية أشعرت الناس باستياء من العقيدة المسيحية . لأن الثقافة الهيللينية عقدت المسيحية البسيطية وملأتها بشكوك وشبهات زعزعت أصولها فى عقول الناس ، ص ٢٠ وكأن عقيدة الاسلام السهلة مغرية لدرجة لم تستطع المسيحية مقاومتها . وهذا سر ارتماء الشرق فى أحضان الدين الجديد (١) .

وقد أفاض عالم الأديان تايلور Canm Tylor فى توضيح هذا الموقف . وهو يسمى الاسلام اليهودية المهذبة ، ذلك لأنه يدعو الى عبادة اله واحد كما تفعل اليهودية ولكن كتابه (القرآن) خال من

البقية ص ٥٦٠

(١) انظر فى ذلك كله ـ الدعوة الى الاسلام ص ٨٨ ـ ٩١ .

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

قبل البعثة

للدكتور عبد الرءوف محمد عثمان

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين •

وبعد :

فان البعثة المحمدية هى أعظم حدث فى تاريخ البشرية : لأن الله ـ سبحانه ـ ختم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنبياءه ، وبرسالته أديانه ، وأعلن فى كتابه قوله ـ تعالى : « إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ » •

ولقد لزم من ذلك أن يتضمن هذا الدين مايكفل سعادة الانسان فى دنياه وفى أخراه ، وأن تكون شريعته صالحة لكل زمان ومكان ، وأن يكون ناسخا لما قبله من الأديان يستبقى منها ما يصلح ، ويلغى ماسواه •

لهذا اهتم الباحثون بسيرة صاحب هذه الرسالة ـ صلى الله عليه وسلم ـ اهتماما بالغا قبل البعثة وبعدها •

أما اهتمامهم قبل البعثة فلأن أعداء الاسلام من المستشرقين وغيرهم حاول النيل من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتقليل من شأنه بالادعاء أنه لم يكن أهلا لحمل ـ الرسالة •

وقد كان هذا الادعاء نتيجة لسوء طويتهم ثم سوء فهمهم لجوانب شخصيته المتميزة ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وسوء نيتهم بالتشكيك فى نواحى عظمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ •

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

وقد حاول الباحث فى بحثه : « حياة الرسول قبل البعثة » بالاعتماد على الوقائع الدامغة ، والحقائق الثابتة أن يصل الى هدفه المنشود ومن أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — كان أحق أهل الأرض جميعا باسناد الرسالة اليه ، وأنه استمر فى حملها بكل الصدق والصبر والاخلاص ، الى أن لقى ربه — صلوات الله وسلامه عليه — راضيا مرضيا ٠

قسم الباحث بحثه الى ثلاثة فصول :

أولا : حياة العرب قبل البعثة ٠

ثانيا : مكة وابراهيم واسماعيل ٠

ثالثا : مولد النور « محمد قبل البعثة » ٠

أما عن حياة العرب قبل البعثة فقد أشار الباحث الى أن موقع شبه الجزيرة العربية الجغرافى جعلها فى مأمن من الغزو الدينى : مسيحية الروم ، ومجوسية الفرس ، وترامى أطرافها وماتعيشه من جدب لعدم وجود انهار بها جعل الحياة فيها غير مستقرة ، ثم تحدث عن تاريخ اليمن وحضارتها ، وما كان يعيش أهلها فيه من أمن واطمئنان ورغد فى العيش مستشهدا بما جاء عن ذلك فى القرآن الكريم فى سورة « سبأ » وختم فصله الأول عن موقف الرجل العربى من الديانات المختلفة واصراره على وثنيته والاعتزاز بقبليته موضحا أن مكة كانت كعبتها مثابة للناس وأمنا ، فاليها تشد الرحال ، وتشخص القلوب والأبصار ، كما أن موقعها المتميز فى طريق التجارة بين الشمال والجنوب جعلها عاصمة لشبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ٠

وفى الفصل الثانى تحدث الباحث بأستفاضة عن مكة وابراهيم واسماعيل وقصة مجىء سيدنا اسماعيل الى هذا المكان القفر الموحش ، وكيف وليت خزاعة أمر مكة وظلت تتوارث هذا الشرف حتى آل الأمر الى قصى بن كلاب ٠٠ الجد الخامس لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ٠ وعن أبناء عبد مناف ، وتفكير عبد المطلب فى البحث عن بئرزمزم، وعن النزاع الذى شب بينه وبينقريش ونذره ذبح أحد أبنائه قربانا للآلهة ان رزق بعشر من البنين موضحا قصة الفداء ، وكيف نجى الله والد الرسول — صلى الله عليه وسلم — من الذبح ٠

وتحدث عن عام الفيل ٠ ودفاع الله عن بيته ودحر غزاته وهزيمتهم شر هزيمة ، وبلوغ عبد المطلب سن السبعين من عمره وتفكيره فى زواج ابنه عبد الله ،

وقد كان فتى بهى الطلعة تتمنى الزواج منه كل فتيات قريش فقد أصبح اسمه على كل لسان بعد أن افتداه والده بمائة من الابل ، وقد اختار عبد المطلب لولده (آمنة بنت وهب) أشرف النساء نسبا وأعلاهن حسبا لتكون أما لخير الخلق أجمعين ، وقد تزوج عبد الله بآمنة ولم تمض شهور على هذا الزواج حتى مات عبد الله وهو عائد من الشام عند يثرب أثناء زيارته لأخواله هناك واتماما للفائدة نقدم للقارىء من البحث فصل : محمد قبل البعثة ..

محمد قبل البعثة

وتم بعد وفاة (عبد الله) ولادة ابنه (محمد) الذى فرح به جده عبد المطلب فرحا غامرا وحمله بين يديه ودخل به الى الكعبة وأطلق عليه اسمه بها تبركا وتيمنا .

وفى اليوم السابع لمولد المصطفى ﷺ أمر عبد المطلب بجذور فنحرت ، ودعا رجالا من قريش فطعموا وسألوه عن سبب تسميته لحفيده بمحمد تاركا أسماء آبائه وأجداده ، فرد الجد العجوز قائلا : أردت أن يكون محمودا فى الأرض والسماء

انتظرت آمنة مجىء المراضع من بنى سعد لتدفع بوليدها لاحداهن كعادة أشراف مكة حينئذ فى ارسالهم الى البادية ليكونوا أصلب عودا وأنضر شبابا وأقوى صحة فلا يعودون الا فى الثامنة أو العاشرة من عمرهم .

وفى انتظار المراضع دفعت آمنة بالطفل الى (ثويبة) جارية عمه (أبى لهب) .

ومع أن (ثويبة) لم ترضعه الا أياما فقد ظل يحفظ خير الود ويصلى من أجلها حتى ماتت فى السنة السابعة من الهجرة .

حليمة

جاءت المراضع وأعرضن عن اليتيم ، وقصدن الأبناء الذين لهم آباء موسرون وكانت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية فيمن أعرض ولكنها فى النهاية لم تصب طفلا غنيا كزميلاتها من المرضعات ، فلما أجمع القوم على الرحيل من مكة ، قالت لزوجها : والله انى لأكره أن أعود بغير طفل ، والله لأذهبن الى ذلك اليتيم ولآخذنه ، فأجابها زوجها : لا عليك فا فعلى .

محمد فى البادية

وأقام محمد بالصحراء عامين ترضعه (حليمة) وتحضنه ابنتها (الشيماء) ، ويجد محمد فى هواء الصحراء وخشونة البادية ما يسرع به فى النمو ويزيد فى وسامة خلقه وحسن تكوينه ، فلما أتم العامين وآن فصاله ذهبت به حليمة الى أمه ، ثم عادت به مرة ثانية الى البادية تحقيقا لرغبتها .

وفى هذه الفترة وقبل أن يبلغ الثالثة وبينما كان يلعب بعيدا عن الدار مع أخيه الطفل والقوم غافلون عنهما اذ عاد أخوه السعدى يعدو مسرعا ويقول لأبيه وأمه هلك والله أخى القرشى فقد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه .. ويروى عن

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

حليمة أنها قالت عن نفسها وزوجها : فخرجت أنا وأبوه نجرى فوجدناه قائما ممتقع الوجه فأخذته الى صدرى وقلنا له : مالك يابنى ،

فقال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى ثم شقا بطنى ، فالتمسا فيه شيئا لم أدر ما هو ، ورجع الجميع بعد ذلك الى الخباء .

وهذه القصة قد أسرف المستشرقون فى التلاعب بمدى صدقها وشوهوا صورتها واتخذوها مجالا للسخرية من رسول المسلمين وليس هناك مجال البحث فيما ذهبوا اليه من افتراءات وأكاذيب .

وأقام محمد فى بنى سعد حتى الخامسة من عمره ينهل من جو الصحراء الطلق الفسيح روح الحرية والاستقلال بالنفس ، ويتعلم من هذه القبيلة لغة العرب فى أعظم صفائها ونقاوتها حتى لقد كان يقول من بعد لأصحابه (أنا أعربكم ، أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد بن بكر) .

عودة محمد الى أمه

عاد محمد بعد هذه السنوات الخمس الى أمه ، ويقال ان حليمة التمسته وهى مقبلة به على أهله فلم تجده ، فأتت عبد المطلب فأخبرته أنه تاه منها بأعلى مكة ، فبعث بمن يبحث عنه حتى رده عليه ورقة ابن نوفل .

كفالة جده له وحبه إياه

كفل عبد المطلب حفيده (محمدا) وأغدق عليه من حبه وأسبغ عليه كامل عنايته ، فكان لا يرضى له الا القرب منه مما لا يتاح لأولاد عبد المطلب نفسه وكان يصحبه تيمنا للاستسقاء عندما ينقطع المطر ويعم الجدب .

وزاد من اعزاز الجد لحفيده أن آمنة خرجت بابنها الى المدينة لترى الغلام فيها أخواله من بنى النجار وأخذت معها فى هذه الرحلة جاريتها « أم أمين » فلما كانوا بيثرب قامت آمنة بشرح كامل للغلام عن المكان الذى مات فيه أبوه ثم المكان الذى دفن فيه فكان هذا أول معنى لليتم انطبع فى نفس الصبى ولعل أمه قد حدثته طويلا عن هذا الأب المحبوب والزوج الكريم الذى فارقها بعد مقامه معها بزمن يسير ليموت بين أخواله فى يثرب .

موت آمنة

ولقد كان النبى الكريم يقص على أصحابه حديثا كله حب ووفاء ليثرب التى تحوى قبور كثير من أحب الناس اليه .

مكثت آمنة وولدها بيثرب شهرا ثم اعتزمت بعده الرحيل الى مكة ، فلما كانت فى الطريق الى مكة عند مكان يدعى بالأبواء مرضت مرضا شديدا لم تلبث بعده حتى لحقت بالرفيق الأعلى ودفنت هناك .

وعادت جاريتها (أم أيمن) بالطفل الى مكة منتحبا وحيدا يشعر باليتم ويحزن لفقد

والدته .. لقد كان منذ أيام يسمع من آمـه أنات الألم لفقد أبيه وهو مايـزال جنينا فى بطنها ، وها هو ذا يرى بعينيه كيف ماتت أمه فى لحظات .. فكيف يحتمل كل هذا العناء ؟؟

ومع أن جده عبد المطلب قد ضاعف من حبه له ورعايته اياه الا أن ذكرى اليتم الأليمـة كانت تأخذ عليه جوانب نفسه فهو لا يستطيع أن ينسى .

ثم جاءت الطامة الكبرى ومحمد فى الثامنة بموت جده فى الثمانين .. فحزن عليه مثل ما حزن على أمه حتى كان دائم البكاء كلمـا ذكر هذين العزيزين الكريمين .

محمد فى كفالة عمه

وانتقل محمد بعد موت جده الى كفالة عمه أبى طالب الذى أحبه كل الحب ، وأسبغ عليه من واسع رحمته وعنايته وقدمه على أولاده، وكان يجد فيه من النجابة والذكاء والخـير وطيب النفس ما يزيده به تعلقا .

لقد اصطحبه أبو طالب معه فى تجارته الى الشام وهو فى الثانية عشرة من عمـره ، وفى الطريق اليها التقى بالراهب « بحيرى » الذى رأى فيه علامات النبوة فنصح أبا طالب بـأن يحافظ عليه ويبعده عن اليهود حتى لا يقتلوه اذا رأوا فيه تلك العلامات قائلا له « ارجـع بابن أخيك ، واحذر عليه من اليهود ، فانهم ان عرفوه قتلوه » .

حرب الفجار

وحدث أن وقعت حرب الفجـار اثر قتـل البراض بن قيس الكنانى لعروة الرحال بـن عتبة الهوازنى بعد أن استأثر بقافلة النعمان ابن المنذر من الحيرة الى عكـاظ .

وقد ظلت هذه الحرب أربع سنوات تلتهب ثم تنطفىء حتى انتهت بالصلح بين القبيلتين هوازن وقريش على أن يعد كل طـرف قتلاه فمازاد منهما يأخذ من الطرف الآخر ديـة القتلى الزائدين .

وقد سميت حرب الفجار بهذا الاسـم ، لأنها كانت فى الأشهر الحرم وقد اشترك فيها رسول الله قبل البعثة وكان يجمع السهام التى تقع من هوازن ويدفعها الى أعمامه وبنى قومه ليردوها الى نحور خصومهم من هوازن .

محمد يرعى الغنم

كان أبو طالب الذى كفل محمدا بعد موت عبد المطلب ـ فقيرا كثير العيال وكان يعـانى من ضيق ذات اليد مع أنه كان مطالبا بالكثير بسبب واجباته التى تفرضها عليـه رفـادة وسقاية الحجيج .

لهذا لجأ محمد لرعى الغنم يلازمها طوال اليوم فى وديان مكة ثم يعود بها آخر النهار وقد نال منه التعب فما كان يجد وقتا لحياة اللهو والعبث مع أقرانه من أهل مكة الى جانب أنه كان عزوفا بطبعه عن ممارسة هذه الحيـاة فقد علمه رعى الغنم وجلسته الطويلة معهـا ووحيدا من الناس أن يتأمل وأن يفكـر وأن يقارن وأن ينظر حوله وفوقه مندهشا لعظمة هذا الكون البديع .

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

لقد كان محمد منذ نعومة أظفاره بعيدا عن حياة الترف والمجون تواقا الى الكمال والبعد عن كل ما يشين النفس أو يذهب العقل ٠

ولهذا كان جديرا ــ لسلوكه الطيب ورجولته وصدقه وحسن سيرته وأمانته ــ بلقب (الأمين) الذى دعاه به أهل مكة جميعا وأجمعوا على تسميته به ٠

نشأة نبي

وحياة التفكير والتأمل وما يستريح إليه من عمل بسيط كرعى الغنم ليست بالحياة التى تدر على صاحبها مالا ، أو تفتح أمامه بسطة فى الرزق ، أوسعة فى العيش ٠٠ وما كان محمد يهتم لذلك أو يعنى به ، وقد ظل طول حياته أشد الناس زهدا فى الحياة ٠٠ أليس هو القائل « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع » ؟ أليس هو الذى عرف عنه فى كل حياته حرصه على شظف العيش ودعوة الناس الى الاستمتاع بخشونة الحياة « اخشوشنوا فان النعمة لا تدوم » ؟ ٠

ولقد كانت لذته الأثيرة فى الاستمتاع بما فى الكون من جمال ومن دعوة للتأمل ، هذه اللذة التى لا يحسها الا القليلون وقد زكى ذلك الزهد فى أعماقه منذ نعومة أظفاره : موت والديه ثم موت جده ٠

شىء واحد حوله للتجارة وصرفه عن رعى الغنم الذى كان يحبه ويؤثره على كل ما عداه هو سعى أبى طالب لاشراك محمد فى التجارة حتى لا يكون عبئا عليه وحتى يصبح ميسور الحال عن طريق التجارة لا عن طريق رعى الغنم ٠

لقد سعى أبو طالب الى خديجة يرجوها لتستأجر محمدا فى تجارتها على أن تعطيه أربعة أبكار ، وكانت تعطى من تستأجره بكرين ، فقالت له خديجة : لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا ، فكيف وقد سألته لحبيب قريب ؟

وعاد أبو طالب لمحمد قائلا له : هذا رزق ساقه الله اليك ٠

محمد فى تجارة خديجة

خرج محمد فى تجارة خديجة مصطحبا معه غلامها (ميسرة) ، وقد كانت هذه الرحلة خيرا وبركة على خديجة وعلى محمد فقد أجاد فيها البيع والشراء ، وعاد بالربح الوفير ، ورأى من شئون البلدان التى مر بها ، والأديان التى سمع عنها وقابل رجالها ما جعله يتركها جميعا الى الفطرة السليمة الحنيفة ويعبد الله وحده ٠

وعاد محمد الى مكة واستقبلته خديجة أعظم استقبال بعد أن روى لها خادمها « ميسرة » ما رآه من عظمة محمد ورقة طبعه واكتمال شمائله وحسن معاملته وجمال نفسه ، فيما جعلها تزداد تعلقا به وحبا له وهى فى سن الأربعين وقد ردت قبله عظماء مكة وأشرافها ، وتمنت لو تصبح زوجة لهذا الانسان الكريم ٠

زواج محمد من خديجة

ولقد تزوجها محمد بعد أن أصدقها عشرين بكرة ، وانتقل الى بيتها ليبدأ معها صفحة جديدة من الزوجية السعيدة فهو شاب لم يعرف نزوات الشباب من قبل .. لقد تزوج الآن وهو فى الخامسة والعشرين فليبادل محبوبته الحب الخالص وليرزقها الله البنين والبنات .

وكان محمد وسيم الطلعة ، ربعة فى الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير ، ضخم الرأس ، شعر غزير ، شديد السواد مبسوط الجبين ، واسع العينين أدعجهما ، تشوب بياضهما فى الجوانب حمرة خفيفة ، وتزيد من قوة جاذبيتهما ونظرتهما أهداب طويلة ، مستوى الأنف دقيقة ، مفلج الأسنان كث اللحية ، طويل العنق ، عريض المنكبين ، أزهر اللون ، يسير ملقيا جسمه للأمام ، مسرع الخطو ثابته ، على ملامحه سيماء التفكير والتأمل ، فى نظرته سلطان الآمر الذى يخضع الناس لأمره .

وقد استمر محمد ــ بعد زواجه من خديجة فى علاقته بالناس وكلهم يغبطه على فوزه بخديجة ، ولكن هذه الزيجة زادته جاها بينهم ولكنه ظل على تواضعه الذى هو سمة بارزة فيه لا تتبدل ولا تتغير ، فلقد كان على عظيم ذكائه حسن الاصغاء الى محدثه لايلوى عن أحد وجهه بل يلتفت اليه بكل جسمه وجوارجه وكان قليل الكلام ، كثير الانصات والتأمل ، وان كان لا يأبى أن يشارك فى مفاكهة لطيفة أو مزاح مقبول فكان محمد يمزح ولا يقول الا صدقا .

وأصيبت مكة بسيل جارف تصدعت بسببه أركان البيت الحرام والكعبة .

إعادة بناء الكعبة

وكانت قريش من قبل السيل تنظر فى تسقيف الكعبة ورفع بابها حتى لا يدخلها الا من تريده وحتى لا تكون نهبا للسارقين لما تحتويه من نفائس .

ولكن قريشا كانت تخشى ان هى شيدت بنيانها وسقفها أن يصيبها من رب الكعبة المقدسة شر وأذى ، وتصادف أن رمى البحر اذ ذاك بسفينة قادمة من مصر مملوكة لتاجر رومى اسمه « باقوم » فحطمها ، وكان باقوم هذا على شىء من العلم بالتجارة ، فلما سمعت قريش بأمره خرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش الى ميناء جدة فابتاعوا السفينة من الرومى ، وكلموه أن يقدم معهم الى مكة ليعاونهم فى بناء الكعبة ، وقبل « باقوم » ، وكان بمكة قبطى يعرف نجر الخشب وتسويته، فوافقهم على أن يعمل معهم ويعاونه « باقوم » .

وشرعوا فى بناء البيت ، ولكن القوم خشوا ان هم هدموا ما تبقى من بعد السيل أن يصيبهم أذى ، ولذا فقد بدأ الوليد بن المغيرة بالهدم ، فلما رأوه قد أصبح سليما لم يمسه ضرر ، قاموا بالهدم معه ، ثم شرعوا بعد ذلك فى البناء على القواعد بعد أن جلبوا الحجارة من الجبال المجاورة ، وتم الأمر على ما يرام وظل الأمر ميسورا حتى جاء زمن وضع الحجر الأسود فى موضعه .

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

وهنا تناحرت القبائل كل منها تريد أن تنال هذا الشرف وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدى على أن يحولوا بين أية قبيلة وهذا المجد العظيم وأقسموا على ذلك جهد أيمانهم حتى قرب بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما وأدخلوا أيديهم فيها توكيدا لأيمانهم ولذلك سموا : « لعقة الدم » .

محمد الأمين والحجر الأسود

فلما رأى أبو أمية بن المغيرة المخزومى ما صار اليه أمر القوم وكان أسنهم ، وكان فيهم الشريف المطاع الذى لا يعصى له أمر قال لهم : اجعلوا الحكم فيما بينكم لأول من يدخل من باب الصفا .

فلما رأوا محمدا أول من دخل قالوا : هذا الأمين رضينا بحكمه ، وقصوا عليه قصتهم ، واستمع الأمين لهم وقد رأى الشرر يتطاير من أعينهم، ففكر قليلا ثم قال لهم :هلم الى بثوب فأتوه به ، فنشره ، وأخذ الحجر فوضعه بيده فى وسطه ، ثم قال : ليأخذه كبير كل قبيلة بطرف من أطراف الثوب ، ثم حملوه جميعا الى ما يحاذى المكان الذى سيوضع فيه ، ثم تناوله محمد من الثوب ووضعه فى موضعه .

وبذلك انحسم الخلاف ، وانفض الشر ، وأتمت قريش بناء الكعبة .

رزق الله محمدا من زوجه خديجة البنين والبنات ، وكانت خديجة الزوجة الصالحة الولود الودود التى وهبت نفسها فأنجبت له من الأبناء : القاسم وعبد الله ، ومن البنات زينب وأم كلثوم وفاطمة ورقية.

فقد محمد أبناءه الذكور واحدا بعد الآخر مات القاسم وعبد الله .. ثم مات ابراهيم ولده من مارية القبطية فحزن عليهم أشد الحزن .

وقد عنى محمد بترويج بناته : فزوج كبراهن « زينب » من أبى العاص بن الربيع ابن عبد شمس .

وزوج رقية وأم كلثوم من عتبة وعتيبة ابنى عمه أبى لهب ، وانفصلتا عن زوجيهما بعد الأسلام حيث تزوجا من عثمان بن عفان واحدة بعد الأخرى .

محمد فى الغار

كان من عادة العرب اذ ذاك أن ينقطع مفكروهم للعبادة زمنا من كل عام ، يقضونه بعيدا عن الناس فى خلوة ، يتقربون الى آلهتهم ، ويتوجهون اليها بقلوبهم يلتمسون منها الخير والبركة ، وكان هذا الانقطاع يسمى : التحنف أو التحنث .

وقد وجد فيه محمد معينا على التفكر والتأمل وطمأنينة وشفاء لنفسه الشغوفة باستلهام ما فى الكون ومن يكون خالقه ؟ ، وكان بأعلى جبل حراء غار على بعد فرسخين من مكة ، فكان يذهب اليه طوال شهر رمضان من كل عام ، يقيم به مكتفيا بالقليل من الزاد، ممعنا فى التأمل ، بعيدا عن ضجيج الناس وصخب الحياة ، ملتمسا الحق والحقيقة .

هدى الرسول صلى الله عليه وسلم

فى تكوين الأسرة

للدكتور توفيق محمد شاهين

استهل فضيلة الدكتور بحثه ببيان أن الأسرة عماد المجتمع وأن الفرد عماد الأسرة ، وأن الاسلام لم يدخر وسعا فى تدعيم كيان الأسرة وذكر ماورد فى كتاب الله حيث قال الله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام أن الله كان عليكم رقيبا » ثم ذكر فضيلة الدكتور فى بحثه أيضا أن الزواج أساس الأسرة فى الاسلام ، بما يتفرع عنه من بنين وحفدة ومايكثر من صداقات وصلات ، ومايربط من أسر وعائلات ومن هنا كانت عناية الاسلام به عظيمة تقديرا للفطرة البشرية ٠

لذلك ندرك مغزى الدفع القوى فى توجيه الرسول – صلى الله عليه وسلم – حين يحث على الزواج ومقاصده حيث يقول : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة – « أى القدرة على تحمل أعباء الزواج وتكاليفه » – فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فأنه له وجاء » ٠

كذلك ذكر فضيلة الدكتور اطلالة على ما كان من الزواج قبل الاسلام ٠ كما جاء فى البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها ٠

* فقد كانت المرأة تنكح للاستبضاع ، بأن يرسل الرجل امرأته بعد طهرها الى شخص نجيب – فى نظره ليواقعها رجاء نجابة الولد ٠

* وكان هناك نكاح البغايا ، أصحاب الرايات ، يستقبلن كل باغ وراغب من طلاب الفجور ٠

* وكان هناك نكاح الرهط من الرجال مجتمعين لامرأة واحدة ، ولهـــا أن تنسب ولدها لأيهم ٠

* وكان هناك نكاح البدل : بأن ينزل كل زوج عن زوجته للآخر ٠

* وكان هناك نكاح الشغار : بأن يتزوج كل من الرجلين ابنة الآخر بـــلا صداق على سبيل البدل ٠

* وألفوا نكاح المقت : بأن يتزوج أكبر الأبناء زوجة أبيه بعد وفاته ٠

ولكن الاسلام ثبت لأزواج القاعدة الصالحة ، بعدما أخلى أرضـــيتها من الشوائب والأوضار وأرشد الى درجات السمو فى المقاصد ليتسامى اليها الانسان٠

ويروى عن أبى هريرة أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول :

« تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ٠٠ فاظفر بـــذات الدين تربت يداك » ٠

كما تكلم فضيلة الدكتور عن تعدد الزوجات فقال :

أن تعدد الزوجات كان معروفا قبل الاسلام ، وحدثنا التاريخ عنه مع بعض أنبياء الله تعالى : كابراهيم ، ويعقوب ، وداود عليهم السلام ٠ وعرفته المسيحية

فى القرون الوسطى ، ثم حثت الكنيسة على الابقاء على زوجة واحدة ،

وجاء الاسلام فأقر من صور الزواج أزكاها عند الله والناس وأباح أكثـــر من زوجة ٠٠ عندما يكون هناك داع ــ لا على سبيل الالتزام ــ بشرط العدل ٠٠ ونختار من هذا البحث القيم الفصول التالية :

الزواج أساس الأسرة في الإسلام

تتكون الأسرة وتنمو فى الاسلام من الزواج ، بما يتفرع عنه من بنين وحفدة ، وما يكثر من صداقات وصلات ، وما يربط من أسر وعائلات ، ومن هنا كانت عناية الاسلام به واحترامه عظيما ، تقديرا للفطرة البشرية ،

وتنظيما لطبيعة الانسان فى شقيها المادى والروحى ، وتحقيقا لوسطية الاسلام ، حتى لا تكون هناك ازدواجية متنافرة بين الروح والمادة أو عدم اتزان وانسجام فيما بينهما ، أو طغيان لجانب على حساب الآخر فيختل ميزان التعادل ويتعطل معه سير الحياة ، أو تسير بشق لا لايمكنها معه مواصلة السير بيسر فى مشوارها الشاق والطويل • فكان لابد من الزواج فى رفقة سعيدة تذلل الصعب وتعين على لأواء الطريق •

ولذلك ندرك مغزى الدفع القوى فى توجيه الرسول — صلى الله عليه وسلم — حين يحث على الزواج ومقاصده ، حيث يقول : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة — أى القدرة على تحمل أعباء الزواج وتكاليفه — فليتزوج ،

فانه أغض للبصر وأحصن للفرج • ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء « أى حافظ وواق » متفق عليه • اذ فى الزواج السكن النفسى والروحى قبل السكن الجسدى

واحباط كل ما يسرع بثورة الغريزة نحو التدنى والافساد • وفى حديث آخر يجعل الزواج نصف الدين ، ليرفع من منزلته حيث يقول : « اذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين ، فليتق الله فى النصف الثانى » • رواه البيهقى • والزنا فى الاسلام حرمه الله تحريما قاطعا ، انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا •

ومن ثم فالزواج انسانى المقصد فى معناه قبل أن يكون التقاء جسد بجسد ، وعلى قدر مراعاة هذا المعنى يكون حظ الزوجين من الأنس والسكن والهناء •

والزواج بهذا مرغوب شرعى ، قبل أن يكون مطلوبا جسديا •• وهنا ندرك تهديد الرسول — صلى الله عليه وسلم — لمن يعرض — قادرا عن الزواج ، حين يقول : « من كان موسرا لأن ينكح ، ثم لم ينكح فليس منى » • رواه الطبرانى والبيهقى • اذ بالزواج تنتظم الفطرة الخاصة ، وبه يسمو الانسان عن مراتع الحيوانية فى تلبية تلك الفطرة ، وحتى يكون امتداده بعد انتهاء أجله فى نسله وعقبه ،

واستمرار بقائه وذكره وخلود حياته •• وكان لذلك دعاء الأنبياء والصالحين : « **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ** » • وكان العمل الصالح امتدادا للانسان بعد رحيله ممثلا فى دعاء ولده الصالح له •

فقد أخرج الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى فى سننه عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يارب أنى لى هذه ؟

رعاية الإسلام للأسرة سابقة على الزواج

فيقول : باستغفار ولدك لك » وفى رواية « بدعاء والدك لك • وفيما روى عن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — فيما رواه البخارى ، عن النبى — صلى الله عليه وسلم — فى قوله : يتبع الرجل يوم القيامة من الحسنات أمثال الجبال ، فيقول : « أنى لي هذا ؟ فيقال • » باستغفار ولدك لك » •

وحتى لو سبقه نسله وعقبه الى الدار الآخرة ، فهم شفعاؤه ورحمة له : روى أحمد والطبرانى ، عن معاذ — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد الا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته اياهم •

قالوا : يارسول الله ، واثنان ؟ قال : أو اثنان • قالوا أو واحد ؟ قال أو واحد •

ثم قال : والذى نفسى بيده ، ان السقط ليجر أمه بسريره الى الجنة اذا احتسبته » •

وقد تثار شبهة بأن الزواج عرف قبل الاسلام ، فلا مزية فى ذلك — ولكنا اذا عرفنا أن الاسلام فى هديه يثبت الأصل الصالح كقاعدة ويبقيها ، ويهذب ويوجه الحركية ويراعيها •• •• ندرك سمو التشريع الاسلامى وصلاحيته لكل زمان ومكان ، ومواءمته لطبيعة الانسان كانسان •

ولأهمية تركيب الأسرة وبنائها على أسس متينة طيبة ، نجد أن — عناية الاسلام امتدت بنظام تكوينها قبل الزواج ، ليكون الصلاح ثمرة طبيعية لهذه العناية المبكرة بالأسرة :

فيحث الاسلام — عند التفكير فى بناء الأسرة — على تخير نوعية الزوجة ، أو الوعاء الذى سيكون امتدادا للزواج ، فيحث على اختيار ذات الدين قبل كل اعتبار دنيوى جرت العادة باعتباره عند الاختيار ، وهنا نضمن نوعية الأم المسلمة كنموذج سوى لمدرسة وتخريج أجيال ، ونموذج لنوعية سلوك ممتاز فى الحياة يعين على تحمل تبعات ومشقات الحياة ، وهنا يقوم بناء الاسرة على منطق الود والطهر والسكن والحب ، لا على منطق الصفقة والطمع : فيروى عن الرسول — صلى الله عليه وسلم — كما جاء فى المجازات النبوية قوله : « تخيروا لنطفكم » ، وعلل ذلك شراح الحديث بأن العرق دساس فهو يرث الغث ، كما يرث الثمين • ويؤكد ذلك أيضا حديث الرسول : «ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء له : المرأة الصالحة ، اذا نظر اليها سرته ، واذا غاب عنها حفظته ، وان أمرها أطاعته ، وقوله : «تزوجوا الودود والولود فانى مكاثر بكم الأمم » ، بل يجعلها الرسول الأكرم من خيرى الدنيا والآخرة :

« أربع من أعطيهن فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة قلب شاكر ، ولسان ذاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه حوبا (ظلما ولا اثما) فى نفسه وماله » .

وبهذا المنظور والتوجيهات الحاسمة ، يصبح فى منطقة الوعى عند الاختيار ، فيعتصم عند الاختيار بالدين ، لا بالعوارى الزائلة

والعارضة عند اختيار شريكة الحياة ، حين يهدف الى السكن وطهر العلاقات ودوم العشرة . وهنا ندرك حسم التحذير النبوى ،

كما جاء فى المجازات النبوية : « اياكم وخضراء الدمن . قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء ». صدقت يارسول الله ، حين حذرت من مراعاة الجمال وحده دون مراعاة التربة الصالحة .

وعلى الجانب الآخر نجد عناية الاسلام بضرورة اختيار الزوج الأمثل فى خلقه ودينه قبل أى اختيار آخر ، حتى لا يكون هناك صراع وتنافر بين الزوجين ، أو يظهر فى

حياتهما ما يكدر صفو حياتهما ، وحتى لا تجد الزوجة نفسها فى براثن من لا يرعى فيها الا ولا وذمة ، ولا يقيم للشرف والفضيلة

معنى ، فتفقد طهارتها واستقامة خلقها ان طاوعته ، أو تحطم حياتها ان هى ناوأته وعارضته حين لا تشاركه غيه واثمه وخبثه بما

يجترحه من سيئات . لذلك يوصى رسولنا الأعظم بأنه « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، الا تفعلوا تكن فتنة فى

الأرض وفساد كبير .» كما يرى ابن حيان من قول الشعبى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — بأن : « من زوج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها » . فالبنت أوثق عرى الرحم ، ولكن بسوء اختيار الوالد يقطع رحمها .. وعلى هذا الأساس وهذا النهج الكريم تزوج أسامة بن زيد — وهو مولى تبناه رسول الله — من فاطمة بنت قيس الفهرية ، كما تزوج بلال بن رباح بأخت عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم . (جاء ذلك فى زاد المعاد لابن القيم ج : ٤) .

وسأل رجل الحسن — رضى الله عنه ، فقال : قد خطب ابنتى جماعة فممن أزوجها ؟ قال : ممن يتقى الله ، فان أحبها أكرمها ، وان أبغضها لم يظلمها (احياء علوم الدين للغزالى ج:٢) .

وهناك تفصيل فى رواية مسلم : ان فاطمة بنت قيس أخبرت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : ان معاوية بن أبى سفيان وأبا جهم خطباها ، فقال لها الرسول : أما أبوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه . وأما معاوية فصعلوك لا مال له ، انكحى أسامة بن زيد « ومعنى هذا الحديث : أن أبا جهم يضرب

النساء . وهذا خلق بغيض فى الاسلام ومعاوية صعلوك (أى فقير ، كما هو معنى اللفظة فى صدر الاسلام) ، فلا بأس باختيار المال مع الدين ، ويبقى ترجيح الرسول واقتراحه لدين أسامة . ولأن الزوجة وعاء . ومدرسة أولى ، والبنين والأحفاد ملاصقون

لها بشدة منذ اللحظة الأولى وفى فترات الحضانة والارضاع والتدريب على التلقى .. كانت عناية الرسول - صلى الله عليه وسلم - بضرورة اختيار الزوجة الدينة ، والقويمة السلوك ، لتحقق صبغة الزواج من أنه ميثاق غليظ .

عناية الإسلام بالأسرة

بعد الزواج

حين تصبح الأسرة أمرا قد تحقق فعلا ، فان الاسلام يجعل لها حقوقا وواجبات من نوعيات محددة بحدود الحل والحرمة فى الاسلام . وننبه مبدئيا الى أن الاسلام قد سوى فى الاعتبار البشرى بين الذكر والأنثى، وفى شئون الدنيا والدين ، فكلا الزوجين راع وكلاهما مسئول عن رعيته . وعلى أن اعتبار المساواة الصحيحة بين الزوج وزوجه فى الحقوق والواجبات ، انما هى فى حدود ما يحفظ للرجل كرامته واعتباره ، وفى مراعاة ما تراعى فيه المرأة وطاقتها واستعدادها

ولذا يقول الله تعالى : « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » البقرة ٢٢٨ . فلهن حسن المعاشرة وكفالة الحق المادى والمعنوى ، وتبادل الرأى والمشورة ، مع مراعاة جانب الحب والاعزاز والتضحية والايثار . وبذلك يصبح البيت المسلم جنة وارفة الظلال ، قوامه العدل والرحمة ، والمنطق والتعقل ، وجدرانه قوية التحصين فى الداخل والخارج،وآمنة من عوامل الزعزعة والأثرة والازعاج ؟ الذى يسبب التلاشى والزوال من التعرض للاهتزاز . وفى خطبة النبى - صلى الله عليه وسلم - فى حجة الوداع ، خير هاد الى بيان هذه الحقوق ، اذ يقول :

« أما بعد ، أيها الناس فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا : لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة .. فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح .. فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا وانكم انما اخذ تموهن بأمانه الله ،واستحللتم فروجهن بكلمات الله ،فاعقلوا أيها الناس قولى فانى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا : كتاب الله ، وسنة نبيه » .

وتشير أحاديث رسول الله الى ما عليه طبيعة المرأة وتكوينها النفسى والجسمى ، بما تحتاج بسببه الى الرعاية والرفق ، واحتمال مالا يرضاه الزوج أحيانا ، يقول عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ، واستوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع ، وان أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج

فاستوصوا بالنساء خيرا . «وفى بعض الروايات» : « المرأة كالضلع ان أقمتها كسرتها ، وان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج » . (متفق عليه) . ومن ثم كان — صلى الله عليه وسلم — يصبر على مراجعة أزواجه فى الكلام له ، وهجر الواحدة منهن الى الليل . فضلا عن أن أمر المرأة دائر بين الحمل والولادة والحضانة والرضاعة ، وهذا

أمر يرهقها كثيرا ، ويأخذ وقتها ، فيكفيها اذن ما تلاقيه من رعاية المنزل وتدبير شئونه ،

والعناية بأولادها ، ولابقائها فى هذه الدائرة — وما أوسعها — جعل الاسلام القوامة للرجل وفضله بدرجة ، مراعاة لطبيعة تكوينه ،

واستعداده للكفاح وكسب العيش . ولو جعل الاسلام ذلك الى المرأة لأجحف بها ، وزاد من أعبائها . ولو أخلى الرجل من هذه

المسئولية ، فماذا يكون عمله ووظيفته اذن كرجل عليه السعى وكسب ما به قوام الحياة ؟ ! .

يقول الأستاذ الأكبر شلتوت فى كتابه (الاسلام عقيدة وشريعة) : « والحق الذى تهدى اليه الفطرة فى شأن الزوجين :

هو ما قضى به — صلى الله عليه وسلم — بين على وابنته فاطمة : قضى على ابنته بخدمة البيت ورعايته ، وعلى زوجها بما كان

خارجا عن البيت من عمل . فعليها تدبير المنزل ورعاية الأطفال وعلى زوجها السعى والكسب .. فكل منهما يمد يد المساعدة لصاحبه فى عمله اذا دعت ضرورة ، وهو نوع من

التعاون الذى أمر به الاسلام وحث عليه فى كل مجتمع ، « **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** » (المائدة ٢) .

ويقول : ليس من احسان العشرة ان يحمل كل منهما صاحبه مالا طاقة له به ، وليس احسان العشرة خاصا باجابتها له اذا دعاها ،

ولا باطعامها اذا جاعت (فقط) ، وانما حسن العشرة معنى لا يجهله أحد ولا يعجز عنه أحد . فهو بالنظرة وبالخطاب ، وهو معنى ينبعث من قلب الرجل بروح المودة والمحبة ،

فيملأ قلب المرأة غبطة وسرورا . وكذلك العكس .

الأسرة المسلمة
وتنظيم أو تحديد النسل

البنون والحفدة زينة الحياة الدنيا ، وثمرة الزواج ، وامتداد للانسان من بعده .

ومتى ربوا تربية سليمة اسلامية ، ومتى امتدت اليهم عناية الدولة .. أصبحوا قوة للوطن ، ونفعا للأمة ، وعونا على الخير وعدة للحياة الطيبة .

الا أن بعض الآباء — أحيانا — يجعلونهم شغلهم الشاغل ، ويتلهون بهم عن الفرض والواجب ، فلا يبادرون الى الجهاد متى دعا

داعيه ، ولا ينفقون فى سبيل الله اذا نادى مناديه . وهنا يكون غم الدنيا وهم الآخرة ،

ويكون من الأولاد والأزواج عدو ظاهر أو خفى ، فى هذه الحال الطارئة ، ومن هنا نفهم قول النبى العظيم : « الولد ثمرة القلوب ،

وانهم مجبنة مبخلة محزنة » .. وهذا ناشىء عن انحراف فى التوجيه واساءة فى فهم طبيعة الحياة ، وغفلة عن وصايا الاسلام وانعدام التدريب النافع ليكونوا مصدر خير وقوة .

واذا كان الانسان مجبولا على حب أبنائه وحفدته ، وبقائه وذكره .. فان هموم الحياة ولأوائها أحيانا ، أو أنانية الانسان ، قد

تكون مدعاة للتفكير أو العمل للتقليل من عددهم ، حين يصبحون عبئا ثقيلا لا يعين عليه أثرياء الأمة ، أو تغفل الحكومات حسن

التدريب والتوجيه للوافدين الجدد ، فلا يكونون عونا لها ، ولا سندا لأنفسهم ،

ولا نافعين لغيرهم ، ومن هنا يتجه التفكير وتثور المناقشات حول تحديد النسل أو تنظيمه وهذه المسألة بحثها الفقهاء بسعة وتفصيل قديما وحديثا .

ولعدم تحديد المفاهيم بين (تحديد النسل ، وتنظيم النسل) تكون المناقشات حادة أحيانا وبعيدة عن مجال النزاع ، ومن

ثم فلابد من تحرير مجاله أو تحديد المفاهيم أولا .

وهذه عجالة فى الموضوع ، ومن شاء مزيدا من البحث فيراجع (الاسلام عقيدة وشريعه) للامام المرحوم الشيخ شلتوت وغيره من كتب الفقه .

فاصدار قانون بتحديد النسل بمعنى ايقافه تماما لا يقول به عقل ولا تقبله امه تريد

لنفسها العزة والبقاء والرخاء . أما تنظيمه فى فترات معينة ، أو إباحته لاعذار

ومبررات خاصة لبعض الاشخاص فهذا يمكن مناقشته وبحثه :

فمن العلماء من يبيح تنظيم النسل ، لأن الولد حق أبيه . ولا تمنع الاباحه الا بنص أو كراهة الباعث ولا نص ولا قياس يمنع من

ذلك ، فالأمر إذن باق على الاباحة ، ودليلهم الحديث الذى رواه جابر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كنا نعزل على عهد رسول الله ، والقرآن ينزل » . أى ولم نُنْهَ عن ذلك .

ومن العلماء من حرمه ، لأن الولد حق الوالدين والمجتمع ، وكل مجتمع بحاجة الى مدد من المواليد تدرب وتعلم لشد الأزر ،

وتكون الساعد وعامل الرخاء والأمن . ولحديث الرسول « تناكحوا تكثروا » وللمباهاة يوم القيامة بكثرة الأتباع ولقوله

- صلى الله عليه وسلم - : « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا » وسئل الرسول عن العزل ، فقال « ذلك الوأد الخفى » . وقال ابن عباس . هو الوأد الأصغر .

ولكن ورد على هذه الأدلة ما يوهنها : **بأن المراد بالكثرة : الكثرة القوية العاملة لا الخاملة ونقول : هذا واجب الحكومات لا الوالد ولا** الوالدان — وبأن المراد بقوله : « ليس منا » • أى ليس على طريقتنا الكاملة، لانفى الايمان•

وقياس ابن عباس رده الامام على — رضى الله عنه — بقوله : لا تكون موءودة الا بعد سبعة أطوار ، وتلا قوله تعالى : « **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ** » ..

الآيات ١٢ و ١٣ و ١٤ من المؤمنون•

وهناك رأى ثالث : يرى تنظيم النسل جائزاً لظروف خاصة وأعذار تبيح ذلك لبعض الافراد ، لا لكل الجماعة • فهناك أمراض موروثة أو متنقلة ، وهناك ضعف الزوجة عن تحمل الانجاب الكثير المتوالى أو حين يرضعن أولادهن (وفى هذا خطر على صحة الوالدة والرضيع) •

•• ومن قواعد الشريعة السمحة : « الضرر مدفوع بقدر الامكان » • (وكل هذه الأسباب وغيرها من الأعذار القوية تبيح منع الحمل مؤقتا ، شريطة ألا يعم ذلك الأمة كلها وألا يعمم بقانون •

ولا شك أن هذا الرأى يتمشى مع حق الوالدين والأمة فى الولد من ناحية ،

والمحافظة على كثرة قوية عاملة ناهضة تعلى من شأن الأمة ، وترفع من قدرها ، حين يكون الأبناء ، عامل قوة وعون على اتساع العمران ورقى الحياة ، ولا يمكن ذلك الا بكثرة معدة ، هيأت لها حكوماتها وسائل التربية والتعليم والتقويم والاعداد ، والا كانت مسئولة عن الكثرة الهزيلة التى تحيط بها الأعداء احاطة السوار بالمعصم ، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها ، لأنها كثرة كغثاء السيل هباء لا نفع فيها •

الطب النبوى

بدأ الباحث حديثه بأن من المعجز حقا أن نرى شخصا أميا ينشأ بين قوم أميين لم يقرأ ولم يكتب ولكنه يضع اللبنات الأساسية فى بناء الحضارة الانسانية ، كما يضع الأصول للعلوم التى تعود فائدتها على البشرية انه محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اصطفاه الله واجتباه ثم بين : أن طول العمر له أثر عظيم فى سعادة الانسان ، وكلما طال عمر الانسان كثر عمله ، واطلع على أحوال الدنيا وتقلباتها ، وأفضل سعادة الانسان فى هذه الحياة أن يعيش صحيح البدن معافى فيه ، كما يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من أصبح معافى فى بدنه ، آمنا فى سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

وقد قسم الباحث المرض الى قسمين :

١ ـ مرض القلب وهو نوعان :

(ا) النوع الأول : مرض شبهة وشك وهو المراد بقوله تعالى : « وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ . وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ . أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » .

(ب) النوع الثانى : مرض شهوة وهو المراد بقوله تعالى :

« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا »

٢ ـ المرض الثانى هو مرض الأبدان ويقتضى نوعين من الطب :

(ا) الطب الوقائى : وهو العناية بالأفراد ، والمجتمعات لمنعهم من الوقوع

لفضيلة الشيخ
منصور الرفاعى عبيد

فى المرض ومنه ما يسمى (بالحجر الصحى) •

(ب) الطب العلاجى : وهو الذى يهتم بعلاج المريض حسب حاله •

ولقد كان من هدى النبى ــ صلى الله عليه وسلم التداوى فى نفسه ، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه •

« قال أسامة بن شريك : أتيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه كأن على رءوسهم الطير فسلمت ثم قعدت ، فجاء الأعراب من ها هنا ، وهاهنا ــ فقالوا : يا رسول الله ، أنتداوى ؟ فقال : « تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء غير داء واحد هو « الهرم » » •

وتحدث عن العلاج بالأدوية الروحية فبين : أن القرآن الكريم : هو كتاب الله المنزل من علياء السماء ليكون مصدر تشريع للأمة الاسلامية لا ليكون حجابا تحت ابط الانسان ولا ليوضع فى محل ليكون مصدر رزق •

ومن رحمة الله بنا أن جعل فى القرآن شفاء لعلل تصيب أجسامنا لأنه خالقنا واعرف بأحوالنا ثم قال « وينفع الاستشفاء بالقرآن عند الايمان به »•

لذلك ثبت عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ التداوى بالعبادة والاستشفاء بالقرآن •

والخلاصة أن هذا البحث شرح بوضوح أن الاسلام أمر بالتداوى ، ونهى عن التداوى بما حرم الله ، وذكر أن عسل النحل ذو فائدة عظيمة ، وبين علاج كثير من الامراض كدواء العين والصرع ، والعلاج بالأدوية الروحية والعلاج بالأعشاب وذكر بعض نصائح الحكماء ، وعلينا أن نلتزم برأى أهل الخبرة فى زماننا هذا •

لذلك نعرض من نصوص هذا البحث فصل « تحريم ما يضر بالصحة العامة » •

تحريم ما يضر بالصحة العامة

(أ) فى المأكل والمشرب :

نهى الاسلام الانسان عن الاسراف فى الأكل لأنه يضر بالمعدة ويربكها ، وطب الأبدان ناتج أصلا من المعدة لأنها بيت الداء : « ولذلك يقول الله تعالى : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا » سورة الاعراف الآية ٣١ وحثنا على مضغ الطعام جيدا حتى لا يكون هناك طعام يصل الى المعدة بلا مضغ فيصاب الانسان بالتخمة التى ان بقيت فى الجوف قتلت • ولذلك قالوا : « ادخال الطعام الى الطعام مهلكة » • وقد جاء فى كتاب «العقد الفريد» قيل لأعرابى : هل اتخمت قط ؟ قال : لا لأنا اذا طبخنا أنضجنا • واذا مضغنا دققنا • ولا نكظ المعدة ولا نخليها « وقد سئل حكيم ؟ ما هو الداء الدوى ؟ قال : ادخال الطعام على الطعام هو الذى يفنى البرية ويهلك السباع فى جوف البرية • وقيل لآخر : ما تقول فى دخول الحمام ؟ قال : لا تدخله شبعانا ، ولا تغش أهلك سكرانا ، ولا تقم بالليل عريانا • ولا تقعد على الطعام غضبانا • وارفق بنفسك يكن أرخى لبالك • وقلل من طعامك يكن أهنأ لنومك •

وقد روى الترمذى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه •• حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه • فان كان فاعلا لا محالة : فثلث لطعامه •• وثلث لشرابه •• وثلث لنفسه « ومن المعلوم أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — رد الطبيب الذى أهدى اليه من مصر وقال : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع • واذا أكلنا لا نشبع » •• ولقد كان من عادة النبى — صلى الله عليه وسلم — — حبس النفس على نوع واحد من الأغذية لا يتعداه الى سواه • وكان لايعيب طعاما قدم اليه • وكان يحب الحلواء والعسل • وكان يجلس للأكل متوركا على ركبتيه • ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعا لربه واحتراما للطعام • وهذه الهيئة أنفع هيئات الأكل • وأفضلها • لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعى الذى خلقها الله سبحانه عليه • وأردأ الجلسات للأكل الاتكاء على الجنب • فان المرىء وأعضاء الازدراد تضيق • والمعدة لا تكون على وضعها الطبيعى لأنها تنعصر مما يلى البطن بالأرض • ومما يلى الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات النفس • روى ابن ماجة فى سننه أن النبى — صلى الله عليه وسلم — نهى أن يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه •• وكان يأمر بالعشاء ولو بكف من تمر • ويقول كما ذكره الترمذى « ترك العشاء مهرمة » وذكر أبو نعيم كما جاء فى سنن ابن ماجة أنه كان ينهى عن النوم على الأكل • ويذكر أنه يقسى القلب • وبهذا يوصى الأطباء لمن أراد حفظ الصحة أن يمشى بعد العشاء خطوات ولو مائة خطوة • ولم يكن من هديه — صلى الله عليه وسلم — أن يشرب على طعامه • وكذلك يوصى الأطباء عقب الرياضة •

كما كان من هديه — صلى الله عليه وسلم — أنه يتنفس أثناء الشراب ثلاثا • ويقول انه أروى وأمرأ وأبرأ أروى أى اكثر

ارواء . وأمرأ أى أكثر تلذذا به . وأبرأ أى أكثر علاجا وأسرع شفاء .

وروى البيهقى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « اذا شرب أحدكم الماء فليمص الماء مصا . ولا يعب عبا فان الكباد من العب » .

كما أمر ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتغطية الاناء التى فيها الماء حتى لايتسرب اليها الحشرات الضارة .

وقد سئل حكيم : ما تقول فى شرب الماء ؟ قال هو حياة البدن وبه قوامه ، ينفع ما شرب منه بقدر الحاجة وشربه بعد النوم ضرر . قيل فما تقول فى الشراب ؟ قال أطيبه أهنؤه وأرقه أمرؤه . وأعذبه أشهاه ، لا تشربه صرفا فيورثك صداعا ، ويثير عليك من الأدواء .

ان التوجيه النبوى يعطينا الصورة الكاملة ان نبى الاسلام حث اتباع دينه ، والذين يعتنقون مبادىء رسالته أن يعملوا على حفظ صحة أبدانهم وقوة عافيتهم ، وغاية الانسان من ذلك حراسة البدن ليظل قويا يؤدى العبادات وينطلق فى المجتمع بهمة لأداء الواجبات التى كلفه بها الاسلام .

(ب) والاسلام فى سبيل الحفاظ على صحة الانسان حرم عليه تناول أكل الميتة ، والدم ولحم الخنزير ، ليبقى الانسان على نضارته يتمتع بعافيته ووجاهته .. وقد حرم الاسلام على الانسان ذلك لما ثبت طبيا : انها تضر بالجسم . وتنشر الخلايا الحية الفتاكة بداخله وحرم كذلك أكل لحم كل ذى مخلب لأنها تعيش على أكل الجيف . فيكون فى جسمها خلايا وبائية تصيب الانسان بالأمراض القاتلة . يقول الله تعالى : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ » سورة المائدة الآية ٣

ويقول الله تعالى :

« قُل لَّا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ » الأنعام الآية ١٤٥ .

(جـ) حرم عليه كذلك من المشروبات ما يكون سببا فى ضعف صحته وحجب عقله ، وطمس القيم الأخلاقية العالية فيه خاصة « الخمر والمخدارت » وما يشتق منهما

وقد قدر الأطباء أن الخمر تصيب المدمنين عليها بالتهاب مزمن فى الأعصاب والكلى . وتسبب للمدمن تصلب الشرايين . وضعف القلب يقول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ » .

منصور الرفاعى عبيد

صلى الله عليه وسلم
الرسول
وموقفه من التفرقة العنصرية

بدأ المؤلف بحثه بتقسيمه الى شقين :

الشق الأول : التفرقة العنصرية وما أصاب البشرية بسببها فذكر ان التفرقة العنصرية أصابت البشرية بأسوأ شر اذ سلبت من الكثير منها الحق فى الحياة الكريمة ومالهم من حقوق وجعلتهم أدنى مرتبة من الحيوانات .

وضرب المؤلف لنا أمثلة بالهند حين غزاها الآريون فوضعوا نظاما نسبوه ظلما الى الدين ، وفى فارس كان يفصل النبلاء عن الشعب حدود محكمة ، وكان التمييز يظهر جليا فى المركب والملبس والمسكن ، كما أن الرومان اتخذوا العنصرية مبدأ لهم وبنوا قوانينهم عليها .

وفى أوربا الحديثة أخذ نظام العنصرية من اليونان والرومان ، وقد حاول ارسطو أن يؤصل مبدأ التفرقة ،فنادى بنظرية احد فيها أن جماعات معينة من الناس تولد حرة بالطبيعة ، وأخرى تولد عبيدا ولافلاطون نفس الاتجاه .

الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف أنقذ البشرية مما حل بها من التفرقة العنصرية

ان أول ركن من أركان الاسلام هو « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » شهادة لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم — بالرسالة .

للدكتور بركات عبد الفتاح دويدار

كما يذكر الباحث أيضا أن اليهود يرون فى أنفسهم شعب الله المختار ، ولايجوز مساواتهم ببقية بنى آدم ٠

وكذلك نادى المسيحيون بالتفرقة العنصرية ، كما جاء مفكرو العصر الحديث ليؤصلوا الظلم ، وقد أزدادت نظريات العنصر واللون انتشارا منذ بداية استعمار أفريقيا وأكتشاف أمريكا ٠

أما الشق الثانى من البحث فيتناول : الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكيف أنقذ البشرية مما حل بها فقد جاء الأسلام يدعو لعبادة اله واحد لا شريك له ، وذكر أن الناس جميعا متساوون :

أصلهم واحد ، ولا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى ٠

وبذلك أبطل الاسلام الدعوة الى التفرقة العنصرية ٠

فالصلاة يقف فيها الجميع بين يدى الله سواء ، والحج كذلك فلا مكان للتمييز بين لون وآخر أو جنس وآخر ٠

وفى خاتمة البحث يعرض المؤلف لشهادة الأعداء للاسلام من أمثال « فيليب حِتِّى » « وجوستاف لوبون » وغيرهم واليكم الشق الثانى من البحث :

والتوحيد الذى يرضاه الاسلام هو التوحيد الخالص الذى لايشوبه شرك فإن المسلم يقرأ بفاتحة الكتاب فى ركعة صلاته وفيها يردد « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » ويعلم ان كل ما سوى الله ضعيف فهو يقرأ فى القرآن الكريم قوله تعالى :

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم وموقفه من التفرقة العنصرية

« **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا** » (١) .

كما يقرأ قوله تعالى « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** » (٢)

فالله وحده هو الخالق وهو الرازق بيده مقاليد الأمور ، وهو المستحق للعبادة وجميع المخلوقات هى خلق الله وهى محتاجة اليه لا يملك واحد منها لنفسه نفعا ولا ضررا ، وليس لأحد فضل فيما هو عليه من صورة أو صحة أو مرض ، ان كل ما هو فيه انما هو من الله حتى الرسل لا يملكون لأنفسهم شيئا يقول تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم « **قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** » (٣).

وكل مدع بعد ذلك فضلا لنفسه على نفسه أو على أخيه انما هو واهم نسى مبدأه ومعاده.

وبذلك يصل المسلم بالتوحيد الخالص الى أن كل شىء بيد الله سبحانه لا شريك له فى ملكه ، ولا معين له فى صنعه ، خلق العباد كما أراد ، اذا رب العالمين واحد .

هذه هى أول خطوة فى حياة المسلم .

بعد ذلك ينتقل الى الخطوة الثانية وهى :

أصل البشرية واحد فأبوهم آدم وآدم من تراب قال تعالى :

« **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** » (٤) .

كما قال تعالى :

« **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** » (٥) .

كما قال تعالى :

« **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** » (٦) .

الكل يرجع الى آدم . اذا من ناحية الأصل لا فضل لأحد على أحد فلو كان فى العالم الآن ألف جنس مثلا فانه كلما رجعنا الى الوراء سيقل العدد حتى يصير الأصل واحدا هو آدم .

هذا بالنسبة للأصل وأما بالنسبة للصورة التى عليها الانسان هى كذلك من صنع الله سبحانه وتعالى بقوله تعالى :

« **يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ** » (٧) .

---

١ ــ سورة الاسراء آية ٥٦ .
٢ ــ سورة فاطر آية ١٥ .
٣ ــ سورة الأعراف آية ١٨٨ .
٤ ــ سورة الزمر آية ٦ .
٥ ــ سورة النساء آية ١ .
٦ ــ سورة الأعراف آية ١٨٩ .
٧ ــ سورة الأنفطار آية ٦ ــ ٨ .

فعدلك بالتخفيف ، يعنى فى أى صورة شاء.

واذا كان هناك من يعتقد أن اللون يدل على الرفعة أو الانحطاط ، فانه يبين أن الاختلاف ليس دليلا على ما يزعمون به هو دليل على قدرة الله سبحانه وآية من الآيات قال تعالى :

« **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** » (١) .

فالألوان مختلفة أسود وأبيض وأحمر ... الخ وكذلك الألسنة ومما روى فى معنى هذه الآية :

اختلاف ألسنتكم : النغمة والصوت حتى لا يشتبه صوتان من أخوين لأم وأب وألوانكم : الصور حتى لا يشتبه الناس فى المعارف والمناكح » (٢) « **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** » بكسر اللام يعنى جميع العلماء (٣) .

فالذى جعل هذا الاختلاف بين الأخوين من أب وأم دون أن يدل على أصالة نسب أحدهما وحقارة نسب الآخر . هو الذى جعل الاختلاف الموجود بين بنى آدم دون أن يدل — كذلك — على أصالة جنس وحقارة جنس آخر وهذا الاختلاف آية من آيات اللهيعرفها للعلماء ويدركونها .

وكون الاختلاف دليلا على عظمة الله سبحانه بينه فى آيات أخر قال تعالى :

« **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** » (٤)

الثمرات مختلف ألوانها ، والجبال مختلف ألوانها ، والدواب والانعام مختلف ألوانها .

واللون فى كل هذه لا يدل على رفعة ولا انحطاط . بل دليل على عظمة الله سبحانه كذلك الناس .

هذا ما يدركه العلماء الذين يدركون من ذلك عظمة الخالق هؤلاء العلماء هم الذين يخشون الله سبحانه .

واذا فالذين يجعلون من ألوان الناس دليلا على وضاعة هذا وأصالة ذاك ليسوا من العلم فى شىء .

ثم كيف يليق بهم أن يحملوا الانسان وزر عمل لم يقم هو به ، ان العدل هو فى سؤال الانسان عن عمل ارادى قد عمله ، فيعاقب أو يثاب عليه أما لونه فانه لا اختيار له فيه فلا يعاقب ولا يثاب من أجله .

---

١ — سورة الروم آية ٢٢ .

٢ ، ٣ — تفسير الماوردى .

٤ — سورة فاطر ايتا ٢٧ ، ٢٨ .

أثر الرسالة الإسلامية
فى الحضارة الإنسانية

أبو الحسن الندوى غنى عن التعريف فى مصر وخارج مصر ، فهو عالمى بفكره وطبعه يعرفه العالم الاسلامى كواحد من رجاله ، تعرفه المجامع العلمية فى العالم كله كواحد من روادها ومن المهتمين بالحضارة الانسانية وهو نفسه وان كان ولد وعاش فى الهند الا أن فكره يكره للمسلم القيود والحواجز السياسية المصطنعة فهو يرى أن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ويساير الركب البشرى حيثما اتجه وسار بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض على البشرية اتجاهه

ويملى عليها ارادته لانها ارادة الاصلاح والرشد فانه صاحب رسالة وصاحب العلم اليقين ولأنه المسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهه وأبو الحسن الندوى بهذا الفكر الموجه أصبح العالم وطنه وميدانه أيضا لأن الاسلام عقيدته والاسلام عقيدة عالمية أثرت الانسان ونقلته من الجاهلية الآثمة وعلمته وسقته معانى الرحمة والطهارة والعفة والحنو على العالم كله وخسر العالم كله فى اليوم الذى تخلى فيه المسلم عن القيادة واهتزت ثقته بنفسه بل وصل به الأمر الى أن أصبح عالة يتطفل موائد الحضارة المادية التى انتكس العالم بها وعاد الى الجاهلية فالجاهلية عنده ليست فترة ما قبل البعثة فقط ولكنها طابع روحى وعقلى معين يمكن أن يظهر من جديد اذا سقطت القيم الأساسية للبشرية تلك القيم التى رسمها القرآن الكريم وسوف تحل محلها قيم بشرية مصطنعة وتلك هى الجاهلية التى يعيشها العالم اليوم فروحها كما يقول اقبال « ما عادت عفيفة ولا طاهرة » فهو مؤمن بأنه لن يقيل العالم من ثمرة النكسة الجاهلية الا الاسلام وأن هذه فرصة نادرة للمسلم لكى يعود ويمتلك زمام القيادة من جديد فالحضارة الغربية ظهر افلاسها جليا واضحا والساحة مهيأة لظهور الاسلام والاسلام بطبيعته عقيدة ديناميكية متحركة تلقى التبعة على معتنقيها : تبعة التبليغ والسلوك ، تبعة

لسماحة الشيخ
أبو الحسن الندوي

الوصاية على البشرية وتبعة القيادة والتوجيه في الأرض لهذه القطعان الضالة وهدايتها الى الطريق القويم بالرسالة المحمدية ·

فهل المسلم قادر أن ينهض بهذا الدور الآن ·

هل عنده الثقة بنفسه على النهوض بهذه التبعة ؟ أم أنه قد أصابه الوهن ؟ أم انه لابد أن يمارس المسلمون العمل باسلامهم أولا حتى يقدموا للعالم نموذجا قويا مقنعا ، فالعالم يتخذ من فشل المسلمين سياسيا واقتصاديا دليلا واقعيا على عدم صلاح الاسلام لقيادة المسلمين بله العالم كله ·· !!

بينما تراجع العالم كله عن عقائده ومقدساته حين كان المسلمون يعملون باسلامهم ويتقدمون للناس وهم صورة حية لهذا الاسلام بيسر عقيدته وطهارة معاملته وبالأمن الجميل الذي يغمر به الناس ·

وأبو الحسن الندوي في بحثه الذي بين أيدينا يلقي ضوءا مبهرا على معطيات هامة ومنح أساسية اسلامية غالية كان لها الدور الاكبر في توجيه البشر واصلاحه·

ولنترك العلامة الندوي يقدم لنا بأسلوبه الرشيد أولى المعطيات والمنح للرسالة الاسلامية التي أرسل الله ــ سبحانه ــ بها أكرم خلقه وأحبهم اليه محمدا صلى الله عليه وسلم :

عقيدة التوحيد النقية الواضحة

نتناول منحة الاسلام الأولى ومأثرة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الكبرى ، وهي أنه منح الانسانية عقيدة التوحيد الصافية الغالية فهي عقيدة ثائرة معجزة متدفقة بالقوة والحياة مقلبة للأوضاع ، مدمرة للآلهة الباطلة ، لم تنل ولن تنال الانسانية مثلها الى يوم القيامة·

الشرك والوثنية وأثرهما في حياة الانسان

هذا الانسان الذي يحمل دعاوي فارغة ومزاعم جوفاء من الشعر والفلسفة والسياسة والاجتماع ، والذي استعبد الأمم والبلاد مرارا كثيرة ، والذي حول الاحجار الصماء ◄

(١) سورة الحج ــ ٧٣ ·
(٢) راجع « الهند القديمة » لمؤلفه ار ، سي ، دت (R. C. Dutt)
Ancient India, Yol. III P ; 276 (1891)

& L.S.S.O Malley,
Pepular Hindulsm — The Religion of Moses Gambrldge (1935). 6Z

ازهارا عبقة فيحاء ، وفجر الأنهار من بطون الجبال ، والذى ادعى الربوبية أحيانا ، هذا الانسان كان يسجد لأشياء تافهة لا تضر ولا تنفع ولا تعطى ولا تمنع ، « **وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** » (١) ، وكان يركع أمام أشياء صنعها بنفسه ويخافها ويرجو منها الخير ، انه لم يخر ساجدا للجبال والأنهار والأشجار والحيوانات والأرواح والشياطين ، وسائر مظاهر الطبيعة فحسب ، بل سجد للحشرات والديدان أيضا ، وقضى حياته كلها بين هواجس ووساوس ، وبين أخيلة وأوهام ، وأمان وأحلام ، كانت نتيجته الطبيعية الجبن والوهن ، والفوضى الفكرية والقلق النفسى وفقد الثقة وعدم الاستقرار ، وامتازت الهند البرهمية بصفة خاصة — بكثرة المعبودات والآلهة والالهات ، وقد بلغت الوثنية أوجها فى القرن السادس ، فبلغ عدد الآلهة فى هذا القرن ٣٣٠ مليون (٢) ، وقد أصبح كل شىء رائع وكل شىء هائل وكل شىء نافع الها يعبد.

عقيدة التوحيد وأثرها فى الحياة

فأغناه — صلى الله عليه وآله وسلم — بعقيدة صافية نقية سهلة سائغة ، حافزة للهمم باعثة للحياة ، فتخلص من كل خوف ووجل وصار لا يخاف أحدا الا الله ، وعلم علم اليقين أنه وحده هو الضار والنافع ، والمعطى والمانع ، وأنه وحده الكفيل لحاجات البشر ، فتغير العالم كله فى نظره بهذه المعرفة الجديدة الاكتشاف الجديد وصار مصونا عن كل نوع من العبودية والرق.

صدى عقيدة التوحيد فى العالم وأثرها فى الديانات

انها البعثة المحمدية التى اتحفت الانسانية بهذه التحفة النادرة — عقيدة التوحيد — التى كانت مجهولة مغمورة ، مظلومة مغبونة ، أكثر من أى عقيدة فى العالم ثم ردد صداها العالم كله وتأثرت بها الفلسفات والدعوات العالمية كلها فى قليل أو كثير.

ان بعض الديانات الكبيرة التى نشأت على الشرك وتعدد الآلهة ، وامتزجت به لحما ودما اضطرت فى الأخير الى أن تعترف — ولو بصوت خافت وهمسة فى الآذان — بأن الله واحد لا شريك له ، وأرغمت على تأويل معتقداتها المشركة تأويلا فلسفيا ، يبرئها من تهمة الشرك والبدعة ، وتجعلها متشابهة بعقيدة التوحيد فى الاسلام ، وبدأ رجالها وسدنتها يستحيون من الاعتراف بالشرك ويخجلون من ذكره وأصيبت هذه الأنظمة المشركة كلها « بمركب النقص » والشعور بالصغار والهوان (Inferiority Complex) فكانت هذه التحفة أغلى التحف التى سعدت بها الانسانية بفضل بعثته — صلى الله عليه وآله وسلم.

أثر عقيدة التوحيد الإسلامية فى الهند

يقول الباحث الهندى المعروف K.M. Panlkkar وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الأسلامية فى عقلية الشعب الهندى ، ودياناته :

« من الواضح المقرر أن تأثير الاسلام فى الديانة الهندوكية كان عميقا فى هذا العهد « الاسلامى » ان فكرة عبادة الله فى الهنادك مدينة للاسلام ، ان قادة الفكر والدين فى هذا العصر وان سموا آلهتهم بأسماء شتى ، قد دعوا الى عبادة الله ، وصرحوا بأن الاله واحد وهو يستحق العبادة ، ومنه تطلب النجاة والسعادة ، وقد ظهر هذا التأثير فى الديانات والدعوات التى ظهرت فى الهند فى العهد الاسلامى كديانة « Bhagtl » ودعوة « كبيرداس » (١) و (٢) .

وكذلك الشأن مع الفرقة التى تسمى السيخ (Sikhs) والتى أدت دورا خطيرا فى المجال السياسى والعسكرى ، والاجتماعى فى المجتمع الهندوسى العام ، فما يثبت من تاريخ هذه الطائفة أن الغاية الرئيسية لنشوء هذا المذهب فى الديانة الهندوكية ، انما كانت تطهير العقائد الدينية ، وأن منشىء هذه الديانة « بابا نانك » كان قد تأثر بتعاليم الاسلام ، وكان قد تلقى دراسة فى اللغة الفارسية والدين عن رجل مسلم معروف بالصلاح اسمه سيد حسن ، وكان موضع عنايته وعطفه ، وقد ذكرت أسماء أخرى من شيوخه وأساتذته المسلمين ، يبلغ عددهم الى ستة أشخاص ، ويروى أنه زار الحرمين الشريفين ، وقضى أياما فى بغداد ، وكانت له صلة خاصة بالشيخ فريد من كبار مشايخ الطريق فى بنجاب ، وكان « بابا نانك » يركز فى دعوته وتعليمه على عقيدة التوحيد والمساواة البشرية ، واجتناب عبادة الأصنام والوثنية .

أثرها فى العالم المسيحى

يقول الأستاذ أحمد أمين :

« ظهر بين النصارى نزعات يظهر فيها أثر الاسلام ، من ذلك أنه فى القرن الثامن الميلادى أى فى القرنين الثانى والثالث الهجريين ظهرت فى سبتمانيا (Septimania) حركة تدعو الى انكار الاعتراف أمام القسس ، وأن ليس للقسس حق فى ذلك وأن يضرع الانسان الى الله وحده فى غفران ما ارتكب من اثم ، والاسلام ليس له قسيسون ورهبان وأحبار ، فطبيعى أن لا يكون فيه اعتراف .

وكذلك كانت حركة تدعو الى تحطيم الصور والتماثيل الدينية (Iconoclast)

---

(١) شاعر متصوف ينتقد المجتمع الهندى ويدعو الى الاصلاح ، اختلف الناس فى ديانته .

(٢) سبتمانيا مقاطعة فرنسية قديمة فى الجنوب الغربى لفرنسا على البحر الابيض المتوسط .

ذلك أنه في القرن الثامن والتاسع للميلاد أو القرن الثالث والرابع الهجرى ، ظهر مذهب نصرانى يرفض تقديس الصور والتماثيل ، فقد أصدر الامبراطور الرومانى « ليو » الثالث أمرا سنة ٧٢٦ م ، يحرم فيه تقديس الصور والتماثيل ، وأمرا آخر سنة ٧٣٠ م يعد الاتيان بهذا وثنية ، وكذلك كان قسطنطين الخامس و « ليو » الرابع على حين كان البابا جريجورى الثانى والثالث وجرمانيوس بطريرك القسطنطينية والامبراطورة ايرينى من مؤيدى عبادة الصور ، وجرى بين الطائفتين نزاع شديد لا محل لتفصيله ، وكل ما نريد أن نذكره أن بعض المؤرخين يذكرون أن الدعوة الى نبذ الصور والتماثيل كانت متأثرة بالاسلام ، ويقولون : ان كلوديوس Claudius أسقف تورين « الذى عين سنة ٨٢٨ م وحول ٢١٣ هـ » والذى كان يحرق الصور والصلبان وينهى عن عبادتها فى أسقفيته ، ولد وربى فى الأندلس الاسلامية ، وكراهية الاسلام للتماثيل والصور معروفة ، روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : « قدم رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ من سفر ، وقد سترت سهوة بقرام (١) فيه تماثيل ، فلما رآه هتكه، وتلون وجهه ، وقال يا عائشة ! أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله ، قالت : فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين والأحاديث فى هذا الباب مستفيضة .

وكذلك وجدت طائفة من النصارى (٢) ، شرحت عقيدة التثليث بما يقرب من الوحدانية ، وأنكرت ألوهية المسيح عليه السلام (٣) .

ويمكن لمن يطالع تاريخ أوربا الدينى وتاريخ الكنيسة النصرانية أن يتلمس تأثير الاسلام العقلى فى نزعات المصلحين والثائرين على النظام الأسقفى السائد ، أما دعوة « لوثر » الاصلاحية التى ظهرت فى القرن السادس عشر المسيحى ، فقد ظهرت فيها انعكاسات خفيفة لتعاليم الاسلام ودوره فى الاصلاح كما تظهر انعكاسات لضوء مكان بعيد تخرق أشعته الحجب الكثيفة الحاجزة من خضوع عقلية القرون المتوسطة للمثل القديمة ، وضغط الكنيسة ، كما يقول الكاتب المسيحى الفاضل « J.Bass Mullinger »

(٤) ولشدة ...... نفوذ بولس (Paul (A.D. 65 - 10) على النصرانية وخضوعها لأفكاره وتفسيره للعقيدة النصرانية كما يقول ارنست دى بنسن (Ernest De Bunsen)(٥)

وتنطوى البروتستانية التى تزعمها لوثر على أفكار تحريرية فى الأمور الدنيوية والدينية

---

(١) السهوة : النافذة بين الدارين ، والقرام : الستر .

(٢) Haines' Christianity and Islam in Spain, P. 116.

(٣) ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٣٦٤ ــ ٣٦٥ .

(٤) راجع دائرة معارف بريطانيا ، مقال ج باس مولنجر عن « مارتن لوثر » .

(5) Islam Or True Christianity, Ernest De Bunsen.

وكذلك فى اعطاء الفرد حرية التقدير ، والحكم على الأمور وفى التسامح الـديني ، وهـذا مضاد للتقليد ، وللسلطة الـدينية ، والروح البروتستانية فى مسئولية الفرد تجاه اللـه وحده وليس تجاه الكنيسة .

لماذا أخفقت هذه الجهود

ولم تأت بالنتيجة المطلوبة ؟

ولابد هنا من تنبيه على حقيقة خالدة أثبتها تاريخ الديانات وقررتها نفسية الأمم وهو أن الحركة الاصلاحية الثورية الجذرية فى ديانات أصيبت بتحريف أو انحراف جذرى ـ مهما بلغ القائمون بها والدعاة الى هذه الحركة من الاخلاص والجهـد ـ اذا لم تقم بانفصـال واضح عن هذه الديانات المنحرفة أو المحرفة، والتبرؤ منها ، وبقيت هذه الفرقة مندمجة فى مجتمعها الدينى الكبـير ، الذى أنكـرت على عقائده الرئيسية الأساسية ، وأخذت بمبـدأ التسامح الذى لا مساغ له ، كان مصير هـذه الفرق والدعوات الذوبان فى هذه الديانة أخيرا وذهبت كل المساعى والجهود التى قام بهـا زعماء هذه الحركات الاصلاحية والثوريـة أدراج الرياح، وهذا شأن الحركات الثوريـة فى الديانة المسيحية وحركـات الـدعوة الى التوحيد والمساواة البشرية التى نشـأت فى الهند ، وأشرنا اليها .

ولذلك كان موقف الأنبياء السابقين وموقف الدين الاسلامى واضحا صريحا لا لبس فيـه ولا غموض ، قويا لا ضعف فيه ولا تردد ، قد تجلى ذلك فى قول سيدنا ابراهيم عليه السلام والمؤمنين معه للمشركين فى عصرهم الذى نقله القرآن :

« قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » (١) .

ولم يكن ذلك مقصورا على عصر أو مجتمع بل وصى بذلك ابراهيم أتباعه وخلفه وراءه ، يقول القرآن :

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ . وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢) .

وبفضل ذلك بقى الاسلام دينا واضحـا معينا محافظا على روحه وتعاليمه الى هـذه الساعة « لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ » .

وهكذا يمضى العالم الفذ فى بحثـه هادئا مقنعا عملاقا حتى يصل الى آخر المعطيـات والمنح ويالها من تسمية عذبة أصيلة نرجو أن

(١) سورة الممتحنة ـ ٤ .

(٢) سورة الزخرف ٢٦ ـ ٢٨ .

تشرب فى قلوب المسلمين حتى تغسل كدر مركبات النقص التى سادت مصطلحات حياتنا الفكرية واليومية .

الوحدة العقائدية الحضارية العالمية

الوحدة العقائدية :

وأخيرا لا آخرا ، تلك الوحدة العالمية التى لم يشهد التاريخ مثلها فى السعة والعمق والمتانة فى أدوار الحضارة البشرية والمجتمع الانسانى المختلفة ، وهى التى قامت — ولاتزال قائمة — على أساس وحدة العقيدة وهى عقيدة التوحيد ، والايمان بنبوة محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — والحياة بعد الموت — ووحدة النظرة الى الظواهر الكونية والقدرة الالهية وتعليلها وتقسيم ماهية الأشياء وقيمتها على أساس الايمان بالله وغاية الخلق والتكوين وكون هذه الحياة محدودة عارضة والايمان بالقيم والمثل التى دعا اليها الاسلام ومثلتها أسوة الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم — وحياة الصحابة والجيل المثالى الأول على تفوت وتنوع فى التمسك بها ، والاستقامة عليها «تنوع تقتضيه الفطرة الانسانية » ، واختلاف العصر والبيئة والتربية ، والمؤثرات الخارجية ولكن القدر المشترك بين المجتمعات الاسلامية فى كل عصر بعد ظهور الاسلام ، أبرز شكلا وأكبر حجما وأعمق جذورا من كل قدر مشترك بين أجزاء أمة واحدة وأتباع ديانة واحدة .

الوحدة الحضارية

ثم الوحدة الحضارية — الى حد بعيد — على أساس الأحكام الشرعية والتعاليم الخلقية — على اختلاف فى المستويات ومدى العمل بهذه الأحكام والتعاليم — اختلاف لا مفر منه مع اختلاف طبائع الشعوب التى دانت بالاسلام وطبائع البلاد والعصور ، ونظم الحكم — ولكنها حضارة تمتاز بالطابع الاسلامى الخاص، فهى حضارة تتميز فى العقيدة بالتوحيد ، وفى الاجتماع ، باحترام الانسانية والمساواة بين أفرادها ، وفى دائرة الأخلاق والمنهج ، بتقوى الله — اذا قورنت بالحضارات الأخرى — والحياء والتواضع ، وفى ميدان الكفاح بالسعى للآخرة والجهاد لله ، وفى ساحة الحرب بالرحمة والعاطفة — اذا قورنت بالحضارات المادية المعاصرة — وفى الحياة الفردية والمنزلية بالعناية البارزة « بالطهارة » وهى أخص من النظافة التى تلتقى عليها الحضارات الراقية والمجتمعات السلمية .

انها حضارة عجنت مع اسم الله ومراقبته وصبغت بصبغة الله ، وقامت على أساس الايمان ، فلا يمكن تجريدها عن الطابع الدينى واللون الربانى والروح الايمانى ، وكل ما عارض ذلك من عصبية قومية وحمية جاهلية ، وحرب عنصرية ونهامة مادية ، واستهتار خلقى أو فوضوية اجتماعية ، فهو شىء طارىء عليها ، وافد أو مستورد من الخارج ، أو من رواسب البيئات والمجتمعات التى انتقل منها العنصر الاسلامى ، أو بسبب

ضعف الثقافة الاسلامية وقلة الاشتغال بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ومصادر الاسلام الأصيلة الأولى ، فى هذه البلاد .

ولذلك استمرت جهود الاصلاح والتجديد ومحاربة الفساد ، والبدع وآثار الجاهلية فى تاريخ الشعوب والبلاد الاسلامية استمرارا لم يعرف مثيلها فى تاريخ الأمم والديانات غير الاسلامية ، وكتب لها من النجاح والانتصار ما لم يعرف لمحاولات الاصلاح والتقويم فى تاريخ أمم وديانات أخرى (١).

وذلك لمطابقة هذه الجهود لجوهر هذه الأمة وروحها ونفسيتها ، وتعبيرها عن الأسس والمبادىء التى قام عليها كيان هذه الأمة وانبثق عنها تاريخها وامتدادها .

بعد ما شرحناه من عطاء الاسلام الحضارى وما أتحف به الحضارة الانسانية من منح ومواهب ، وما حققه من نجاح وانتصار فى انقاذ الحضارة البشرية من الانهيار والانتحار ، ومكنها من التقدم والازدهار ، لابد من تقرير حقيقةتاريخية خالدة ، وهو أن عمل التأثير فى الحضارة الانسانية واستعراضها بعد آونة وأخرى من جديد ، وتطعيمها بالقديم الصالح والجديد النافع ، والحيلولة بينها وبين عناصر التدمير والابادة والاتجاهات المفسدة الهدامة يجب أن يدوم ويستمر .

ثم استطرد الباحث الى تقرير حقيقة علمية قال :

وحقيقة علمية تاريخية أخرى ، وهى أن الأمة الاسلامية لا تستطيع أن تقوم بدور التأثير فى الحضارة الانسانية وتوجيهها ، اذا كانت متطفلة على مائدة الحضارات الأجنبية ، تغرف من بحرها وتغوص فى موجتها الى الآذان ، انها لا تستطيع أن تسترعى انتباهها فضلا أن تحمل الشعوب الأخرى على تقليدها ، الا اذا كانت مؤمنة عميقة الايمان بأن حضارتها مستقلة ذات شخصية خاصة ، ربانية سماوية ، صالحة لكل زمان ومكان ، قائمة على أسس متينة ، مستفادة من الكتاب والسنة ، منبثقة من الهدايات الربانية والتعاليم النبوية ، للطهارة والعفة فيها تصور خاص ، فليست الطهارة فيها مرادفة لكلمة « النظافة » وليست العفة فيها يكفى فيها الابتعاد عن الجنايات الخلقية فحسب بل هى أوسع معنى وأكثر شمولا واحتواء ، وأن حياتها لا تنسجم مع الحضارة الغربية التى نشأت واختمرت تحت ضغط عوامل تاريخية خاصة ، وفى بيئة كانت تتحكم فيها المادية ويسود عليها — فى فترات كثيرة وطويلة — العداء للدين ، والثورة على الأخلاق والقيم ، وكما يقول أحد خبراء هذه الحضارة وتاريخها (الدكتور العلامة محمد اقبال) بايجازة : « ان روح هذه المدنية (الغربية) ما عادت عفيفة طاهرة » (٢) .

---

(١) راجع مقدمة الجزء الاول من سلسلة كتاب « رجال الفكر والدعوة فى الاسلام » واقرأ أمثلة هذا النجاح فى اجزائها الاربعة .

(٢) ليراجع للتفصيلى فصل « أهمية الحضارة الاسلامية والحاجة اليها » فى كتابنا (العقيدة والعبادة والسلوك) ص ١٩٨ ــ ١٩٩ .

الدعوة الإسلامية

طبيعتها وشمولها لكافة شئون الدين والدنيا

هذا البحث محاولة لالقاء الضوء على ما أتت به الرسالة الخاتمة من تعاليم وآداب تصلح للقيادة البشرية والاصلاح ، وتنظيم المجال المادى الذى طغى على كافة الجوانب الاجتماعية وينقسم الى جزئين :

(أ) طبيعة الدعوة :

ويبين فيه المؤلف أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ جاء بالقرآن الكريم وبه الكثير من التعاليم التى تخدم العقل وتقدر العلماء ، والقرآن ــ كدعوة ــ قائم على أساس توحيد الخالق وتنزيهه سبحانه عما لايليق به ٠

والاسلام ــ كدعوة ــ قد كرم الانسان على غيره من المخلوقات ٠

ويستمر المؤلف فى عرض تعاليم الاسلام ، وبيان موقف الدعوة الاسلامية بالنسبة لما سبقها من شرائع قد نصت جميعها على توحيد الله ٠

وعن « العقيدة وعدم اقرارها للاكراه » نجد المؤلف يأتى بآيات ليدلل بها على هذا المبدأ الاسلامى يقول تعالى (فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ : إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ٠٠) فالله سبحانه وتعالى لو أراد أن يجعل ايمان الناس عن كره لجبلهم عليه ، ولكنه سبحانه قد ميز الانسان عن الملائكة فى الاعتقاد عن طريق الفكر والتدبر ٠

وبما أن الدعوة الاسلامية ترفض (الاكراه) ، فهى أيضا ترفض (التوبة تحت ضغط) فيقول : انه لا توبة نتيجة اكراه أو مشاهدة العذاب ، يقول تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن » ٠٠

للدكتور عبدالله عبدالحى محمد

(ب) خصائص الدعوة الاسلامية :

ذكر الباحث للدعوة الاسلامية عدة خصائص هامة تميزها عن غيرها ، عرضها المؤلف على نحو مفصل ، نجملها فيما يأتى :

١ ـ الدعوة من حيث مصدرها ٠ هى تشريع الهى : وفيها يتحدث عن اختلاف مصدر الدعوة الاسلامية عن الدعوات الأخرى ذلك أن مصدر الدعوة الاسلامية هو الله تعالى ، بدليل أن قانونها ثابت وهو القرآن ٠

٢ ـ وعن الشمول يذكر المؤلف أن النظم الاسلامية مستمدة من الشريعة الاسلامية ، وهى بذلك تكون قد تفردت بخاصية وهى أنها من صنع الله ، ولذا فهى تختلف عن تلك النظم الأخرى الموجودة فى الشرق والغرب رأسمالية كانت أو اشتراكية ، فالدعوة الاسلامية تعتمد على الكتاب والسنة كمصدرين رئيسيين ٠

٣ ـ فأما عن عموم الدعوة فيقول المؤلف : كما جاءت الدعوة الاسلامية شاملة للتعاليم لكل شئون الحياة وتمشيا مع التطور فى الوجود ـ فقد جاءت عامة أيضا لكل البشر باقية فيهم الى قيام الساعة وتحت هذه الخاصية يعرض الباحث لشهادات الباحثين من غير المسلمين بعموم الدعوة مثل سير توماس أرنولد ٠

٤ ـ وعن الجزاء الذى يصيب المرء يقول المؤلف ان الشريعة الاسلامية تتميز بأنها لاتقف عند مجرد النص على الثواب والعقاب ، ولكنها مع ماتسوقه من نصائح فانها تبرز الجزاء على العمل ثوابا أو عقابا بتفاوت درجته حسب العمل ٠

كما ان مايفعله الناس فى الدنيا يكون جزاؤه فى الدنيا والآخرة ، الا أن أكثره فى الاخرة ٠

وترغيبا فى الكف عن المخالفات يذكر المؤلف أن الدعوة الاسلامية أقرب بان المرء لو أجرم ثم تاب توبة نصوحا نجا من عقاب الآخرة ٠

واليكم من البحث حديث الباحث عن الشمول :

الشمول

اذا نظرنا الى النظم الاسلامية الصحيحة التى استمدت كل ما أتت بـه مـن الشريعة الاسلامية نجد أنها تختلف عن كل ماعداها من النظم الاجتماعية فليست واحدة من تلك النظم الاجتماعية التى سادت فى الغرب والشرق كما أنها ليست خليطا منها أو من بعضها ، مع مـا

أخذت له تلك النظم من أسماء مختلفة وقد تفردت النظم الاسلامية بتلك الخاصية لأن التشريع قد أتى اليها من صنع الله الذى قد وضع للوجود شريعة كاملة منذ نشأتها .. تلك الشريعة التى تعتمد أساسا على الكتاب والسنة وهما المصدران الرئيسيان فى ذلك .. وفى ظل تلك التعاليم الاسلامية الصحيحة تم نمو الجماعة الاسلامية ووجدت ارتباطات العمل والانتاج والحكمة وقواعد الآداب الخاصة بالفرد والجماعة ومبادىء السلوك وقوانين التعامل وسائر متطلبات المجتمع التى تحدد نوعه وترسم له طريق النمو والتطور • وبهذا التحديد تختلف التعاليم الاسلامية التى أبرزت المجتمع الاسلامى فى شكل قد غاير كل ما كان فى واقع الناس من نظم اجتماعية أخرى كانت تتأثر دائما بكل ما يقع من صراع بين الطبقات بسبب اختلاف وجهات النظر بينها ـ فاتجاه ـ الرأسمالى غير اتجاه الشيوعى غير اتجاه الاشتراكى مما يؤثر بطبيعة الحال فى القوانين والحكومات والأفكار الاجتماعية ذاتها والأخلاق التى تسود بين الناس فى شتى المجالات (١) •

فمن هذا نجد الفرق واضحا بين نشأة النظم الاجتماعية وتطورها وبين التشريع الاسلامى الذى وضعت قواعده ونظمه وكل ما يدير شئون المجتمع الاسلامى ـ من الشريعة الحقة الثابتة ولابد لأهمية هذا الفرق من وضعه فى الاعتبار لأن به يتحقق لنا أن المجتمع لم يكن هو صانع الشريعة كما زل كثير من الباحثين فى هذا المضمار وانما الشريعة هى التى صنعت المجتمع الاسلامى فهى التى حددت سماته ومقوماته كما أنها هى التى وجهته وطورته ومن ناحية أخرى لابد أن نضع فى الاعتبار أن الشريعة الاسلامية ليست مجرد استجابة للحاجات المحلية الموقوتة كما هو الشأن فى النظم والمذاهب الاجتماعية التى هى من فكر الانسان انما أتت فى دقة ومرونة وشمول لتطوير البشرية كلها وقد أتى هذا الشرع السماوى بحيث أنه كلما مر الزمن وتقدم الناس فى المعرفة كانوا أقرب اليه وأعظم ملاءمة له وفهما لما فيه خير وسعادة وتلك مميزات ذات أثر هام فى تحديد تلك الخصائص للدعوة الاسلامية ولمجتمعها الاسلامى الذى يؤسس ويقوم على تعاليمها بحيث يأخذ طابعا يتميز به على سائر المجتمعات الأخرى •

ان مهمه التشريع الاسلامى فى المجتمع الاسلامى والتشريع هو المظهر لتطور المجتمع لأنه تنمية مستمرة لهذا التطور ينبغى أن تظل محكومة بأصل ثابت (الكتاب والسنة) •

وبهذا القيد يكون التشريع الاسلامى دائما

---

(١) نحو مجتمع اسلامى بقلم سيد قطب ص ٦٢ وما بعدها •

فى كل ما يقدم لمجتمعه محكوما بأصله الثابت وهو الكتاب والسنة (١) ٠

ولا يقال ان المجتمع الاسلامى كان ينحرف عن هذا الخط فى بعض المناسبات هنا أو هناك فان ذلك الانحراف عندما يقع انما يكون نتيجة لتأثر ذلك المجتمع الاسلامى بما دخله من مبادىء تخالف مبادئه وتغاير الخصائص التى امتاز بها عن غيره أو بعوامل أخرى ترجع الى الافراد الذين لهم كلمة التوجيه والتأثير فى هذا المجتمع ومع ذلك فان هذا كله يعد طارئا على طابع النظام الاسلامى الصحيح وفى الوقت نفسه لايغير من قاعدته الأصلية طالما أنه يأخذ الوصف الصحيح للمجتمع الاسلامى كما مر ذكره بنظام شريعته الواضحة الثابتة ٠ (٢)

مغالطة

قد يقال هل من الصالح للجنس البشرى أن يظل تطور مجتمع من المجتمعات ونموه مقيدا بأصل ثابت فى حين أن حاجات الناس تتنوع وتتغير من آن لآخر فى كل مجالات المجتمع مع أنها فى هذا تحتاج الى مبادىء جديدة وشرائع كذلك تتلاءم مع ماجد وتتناسب كل مما سيأتى٠

وللرد على تلك المغالطة ينبغى أن نعرف هذا الأصل الثابت الذى تقدم ذكره وصدى شموله لأصول الحياة وأيضا اننا نحتاج الى موازنات موضوعية بين مبادىء ذلك الأصل الثابت وشموله لتلك الأصول الكلية للحياة كما نحتاج من جهة أخرى الى موازنة بين تلك المبادىء الثابتة التى أخذت من هذا الأصل والمبادىء الاخرى التى عرفتها البشرية حتى اليوم فاذا اتضح من تلك المعرفة وهذه الموازنات أن مبادىء الدعوة الاسلامية موضوعة فى أصلها للاستمرار والتجديد وانها ماتزال أفضل وأسبق ، وأن غيرها من سائر النظم التى عرفتها البشرية وحكمت بها مختلفة ولم تقدم للمجتمع كل ماتحتاجه فحينئذ لا يكون الثبات عيبا وانما يكون ميزة لأن به يوزن هذا التقدم المستمر حتى لا يخضع للأهواء والنزوات ، ولذلك حذر الله نبيه من اتباع أهواء المنحرفين بعد أن أمره بالسير على ما أوجبه عليه فقال تعالى : « وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ٠٠ »

---

(١) الاسلام عقيدة وشريعة للامام الشيخ محمود شلتوت ص ٤٨٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ وكتاب نظرات القرآن للاستاذ الشيخ محمد الغزالى ص ١٦٤ وما بعدها وكتاب نحو مجتمع اسلامى للاستاذ سيد قطب ٠

(٢) نفس المرجع السابق ٠

أضواء على

أول هجرة فى الإسلام

فى السنة الخامسة للبعثة النبوية هاجر كثير من المسلمين الى الحبشة والى تلك الهجرة أشار القرآن الكريم فى سورة النحل « وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ · الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » ·

ووضع هذه الهجرة فى مكانها الصحيح من التاريخ محتاج الى جهود الباحثين المسلمين أو المنصفين من غير المسلمين وذلك لجلاء الغوامض من احداثها وللرد على من فى قلوبهم مرض من المستشرقين ومن حذا حذوهم من الكتاب المسلمين عن قصد أو عن غير قصد · هؤلاء الذين أخذوا يتشككون فيها بالرغم من أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قد بين السبب الذى من أجله نصح أصحابه بالهجرة الى الحبشة فى قوله لهم : (لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد · وهى ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه) ·

وبنظرة فاحصة الى هذا الحديث نجد ان اختيار الرسول للحبشة يرجع الى أمرين :

الأول : أن ملكها عادل لا يظلم عند أحد ·

والثانى : أنها ارض صدق تدين بالنصرانية على عكس المناطق الأخرى التى تخيم عليها الوثنية ·

ومع جلاء ذلك فقد ذهب أحد الباحثين الى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — توقع أن يكرم النجاشى المهاجرين املا فى الاستعانة بهم على احتلال مكة أو سواها من بلاد العرب خاصة وأن الأحباش كانت لهم مطامع سابقة فى بلاد العرب · كما يشكك البعض فى عدم وجود نجاشى حبشى بهذا الاسم ·

إعداد الدكتور
محمد عبد الفتاح عيال

وينتهى الباحث الى أن حرية الكلمة مكفولة للجميع ولكن من الواجب علينا كمسلمين أن نتصدى للشبهات ونردها بمقنع الحجج ما استطعنا الى ذلك سبيلا ٠

وقد قسم الباحث بحثه الى فصول أربعة :

الأول : يبين دافع الهجرة ٠

والثانى : يوضح أسباب اختيار الحبشة بالذات ٠

والثالث : يتحدث عن موقف قريش من هذه الهجرة ٠

والرابع : يتناول المكاتبات المتبادلة بين النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين النجاشى ومناقشة مسألة اسلامه ٠

ونسوق للقارىء فصلا من هذه الفصول الأربعة ٠٠

أسباب الهجرة إلى الحبشة دون غيرها من البلاد

يقول ابن هشام (١) : « فلما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، لمكانه من الله ، ومن عمه ابى طالب ، وانه لا يقدر على أن يمنعهم (يحميهم) مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : « لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » ويفهم من هذا القول : أن السبب الأساسى لوقوع الاختيار على الحبشة هو ملكها العادل بالاضافة الى أنها أرض صدق ٠

وكانت العلاقة بين الحبشة وقريش قد موقف أبرهة العدائى من مكة ، لأن الأحباش تحسنت بعد الجفاء الذى نشأ بينهما بسبب بعد طردهم من اليمن على يد الفرس لم يفكروا فى تكرار هذا العمل العدوانى ، كما لم يكن أمامهم الا الاعتماد على أهل مكة كوسيط

(١) السيرة النبوية جـ ١ ص ٣٤٣ ٠

أضواء على أول هجرة فى الإسلام

تجارى ، بسبب عداء الفرس للأحباش وحلفائهم الروم من ناحية (١) ، وانهيار شأن تجار اليمن (٢) من ناحية أخرى • ومن دلائل تحسن هذه العلاقة اكرام النجاشى للمهاجرين المسلمين الى بلاده ، وطمع وفد قريش فى أن يسلم النجاشى لهم هؤلاء المهاجرين لما حاولت قريش الانتقام من المسلمين فيما بعد • ويقول عروة بن الزبير (٣) : « ان أرض الحبشة كانت متجرا لقريش يتجرون فيها ، ويجدون فيها رقاعا (متسعا) من الرزق ، وأمنا ومتجرا حسنا » •• كما تبدى كثير من المصادر العربية معرفة دقيقة بأرض الحبشة ، تشير الى أسماء بعض العرب الذين عقدوا معاهدات تجارية مع ملوكها منذ أقدم العصور ، كما تروى أقاصيص عن تجار عرب حازوا ثقة السكان هناك (٤) وقد تعرف النبى — صلى الله عليه وسلم — صفات النجاشى المعاصر له ، وأهمها : « انه لا يظلم عنده أحد » مما كان يتناقله تجار مكة عنه وقتذاك ، كما أن قصة أهل الأخدود التى وردت فى سورة البروج (٥) قد أعادت الى الأذهان موقف الأحباش بعد غزوهم اليمن حين حرصوا على الدفاع عن المسيحيين من أهلها ضد جبروت الملك الحميرى اليهودى يوسف ذى نواس (٦) ويقول دروزه (٧) : « وسورة البروج هى أول سورة احتوت اشارة الى فتنة المؤمنين والمؤمنات •• وان روح آياتها واكتفائها بالاشارة الخاطفة الى أصحاب الأخدود يلهم ان سامعى القرآن من العرب كانوا يعرفون حادث الاخدود وفتنة الناس به عن دينهم من دون ذنب الا الايمان بالله ، وانه كان يثير فى نفوسهم الامتعاض والنقمة • ولذا أشير اليه فى مطلع السورة تمهيدا وتنديدا بالذين ارتكبوا مثله من زعماء قريش فى حق الذين آمنوا بالنبى فى مكة » •

أما كون الحبشة أرض صدق فيعنى به أهلها كانوا من الكتابيين • ولا شك فى أن النبى

---

(١) احتكر الفرس التجارة الشرقية المارة ببلادهم وبخاصة تجارة الحرير وكانوا يحصلون عليها ضرائب باهظة ، ولم يسمحوا بوصولها الى يد الروم وحلفائهم من الاحباش الا بأثمان غالية جدا ، وهذا ما قوى مركز مكة التجارى لدى الروم وحلفائهم (انظر احمد ابراهيم الشريف : مكة والمدينة ص ١٦٣ ـ ١٦٤ •

(٢) أدى وقوع اليمن تحت نير الاحتلال الحبشى ثم الفارسى وقيام الخلافات الداخلية فيها الى فقدان قدرة اليمنيين على النهوض بدورهم الذى اضطلعوا به قرونا طويلة فى نقل التجارة العالمية ، حتى تضاءل شأن تجار اليمن واكتفوا بالتجارة مع قريش وكان قصاراهم أن يبيعوا بضائعهم لتجار مكة اذا قدموا من الشمال (انظر احمد ابراهيم الشريف : مكة والمدينة ص ١٥٤ ـ ١٥٦) •

(٣) انظر الطبرى : تاريخ الامم جـ ٢ ص ٣٢٨

(٤) انظر عون الشريف قاسم : دبلوماسية محمد : ص ٧٢ •

(٥) يقال ان هذا الملك اليهودى لم يكتف بالتنكيل بنصارى اليمن على النحو المذكور ، وانما أرسل الى الى ملك الحيرة يطلب اليه ان ينكل بنصارى بلاده مثلما فعل هو بنصارى نجران (جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٢ ص ٤٦٤ ، عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ص ٥٥ ـ ٥٦) •

(٦) سيرة الرسول ﷺ ص ٢٣٥ •

(٧) عماد الدين خليل : دراسة فى السيرة ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ •

— صلى الله عليه وسلم كان يرى فى أهل الكتاب الحلفاء الذين يؤيدون ما يقول ، ويؤمنون بالحق الذى يدعو اليه ، فهم الذين وصفهم القرآن الكريم بأنهم : «وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ» ، ولذا وقف عليه السلام منهم منذ البداية موقف المسالم المتحبب فى مكة ، المتحد معهم فى الأهداف والمبادىء المحترم لأنبيائهم وكتبهم . وقد بادله هؤلاء — فى الاجمال — موقف العطف والتأييد ، وظلوا كذلك الى آخر العهد المكى ، بل ان كثيرا من الكتابيين استجابوا للدعوة الاسلامية واعتنقوها ، ففى سورة الاعراف (آية ١٥٧) نجد أن فريقا من النصارى واليهود فى مكة وجدوا صفات النبى — صلى الله عليه وسلم — مطابقة لما فى أيديهم من أسفار التوراة والانجيل فآمنوا به واتبعوه ونصروه ، فاستحقوا التنويه الذى احتوته الآية المذكورة . ولقد ذكرت روايات السيرة النبوية وكتب التراجم أسماء كثير من الكتابيين الذين اندمجوا فى الدعوة بمكة تحمل طابع الأسماء النصرانية ، كما أن بعض الروايات ذكرت قدوم وفد نصرانى الى مكة بعد البعثة مستطلعا نبأ النبى العربى وأعلن ايمانه (٤) .

وقد نصح النبى — صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة الى الحبشة دون غيرها من الممالك المسيحية لأسباب كثيرة من أهمها : وجود ملك عادل لا يظلم أحد عنده ، وما علق بأذهان العرب من انتصار الأحباش لأصحاب الأخدود ، ولسهولة الوصول اليها بحرا مقابل نصف دينار للشخص الواحد (١) .. ومساعدة الرياح الموسمية لهذا السفر البحرى فى ظروفه (٢) على عكس بلاد الشام التى كان يحكمها هرقل وقتذاك وهو امبراطور متجبر اضطهد رعاياه من المسيحيين المخالفين له فى المذهب ، بالاضافة الى أن السفر اليها من مكة برا كان يتطلب نفقات كثيرة ومشقة كبيرة .

أما بالنسبة للحيرة فقد كان السفر اليها أيضا شاقا ومكلفا ، فضلا عن أنها كانت عندما بعث النبى — صلى الله عليه وسلم — فى قبضة ملوك الفرس الذين كان على رأسهم كسرى ابرويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) ولم يكن هذا الرجل منصفا عادلا ، بدليل أن النبى حين أرسل كتبا الى الملوك المعاصرين له فيما بعد يدعوهم الى الاسلام رد معظمهم ردا حسنا مهذبا على عكس ابرويز الذى مزق الكتاب وأظهر البغض للنبى — صلى الله عليه وسلم .

أما اليمن فكانت خاضعة أيضا وقتذاك لحكم الفرس ، كما كان التنافس فيها على أشده بين اليهودية والمسيحية ، وهو التنافس الذى تأثر حينذاك بالصراع القائم بين القوتين ◄

(١) احمد الشريف : مكة والمدينة ص ٢٧٢ .
(٢) مكة والمدينة ، ص ٢٧٢ — ٢٧٣ .
(٣) سيرة الرسول ص ٢٣٩ .

أضواء على أول هجرة في الإسلام

الكبريين ، اذ آزر الفرس اليهودية هنـــاك نكاية فى المسـيحية دين عـدوتها الـــدولة البيزنطية ولم يكن يهود اليمن ومسـيحيوها على استعداد فى تلك الظروف ــ لاسـتقبال منافس ثالث يتمثل فى المسـلمين الراغبين فى الهجرة من مكة .

واذا تركنا الممالك المسيحية المذكورة جانبا واتجهنا الى القبائل العربية لنـرى مـدى استعدادها لتلقى المسلمين المهاجرين ، نجد أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم لم يكن ليغامر بارسال المسلمين الى أى منها ، لأن الـوثنية كانت غالبة على معظم هذه القبائل ، ولا يتوقع أن يجد المسلمون لديهم تعاطفا مـع الدعـوة الاسلامية ضد قبيلة قريش الوثنيـة . هـذا فضلا عن أن قريشا كانت مرتبطة مع كثير من هذه القبائل بالمصاهرات والمحالفات أضف الى ذلك أنها كلها كانت تخطب ود قـريش التى كانت تشرف على الكعبة وتقـدم التسهيلات للحجاج من سقاية ورفادة . وكـانت هـذه القبائل تفد سنويا للحج الى مكة وللتجـارة فى أسواقها التى اكتسـبت وقتذاك شـهرة عالمية ، ولذلك فمن الطبيعى أن تسـتجيب لقريش بتسليم المسلمين الخارجين عليهـا اذا مالاذوا بأى منها .

كذلك لم تكن مدن الحجاز مهيـأة فى ذلك الوقت لقبول هجرة المسلمين اليها ، فيثـرب كانت تمزقها الخلافات الداخلية ، ويقـوم الصراع فيها على أشده بين قبائلها ، هذا الى علاقات قريش التجارية المتينة مع بطـونها ، وخيبر كانت مدينة يهودية ، وكـان أهلهـا وقتذاك منصرفين الى مصالحهم راغبين عـن الدخول فى عداء مع القبائل العربية (١) . كما أن الطائف كانت لها علاقة وثيقة بقـريش ، ومن دلائل هذه العلاقة الوطيـدة أن أهلهـا خذلوا النبى ــ صلى الله عليه وسـلم حين هاجر الى الطائف يلتمس النصرة منهم والمنعة بهم من قريش ولم يكتفوا بذلك ، بل طلبـوا منه مغادرة الطائف على الفور ، وحرضـوا غلمانهم وسفاءهم على رميه بالحجـارة حتى سال الدم من قدميه ، وبعثـوا الى قـريش يسـتعدوها على النبى ويعلموها بخبـر هذه الهجرة وأهدافها ، فلم يتمكن من دخوله مكة الا فى جوار المطعم بن عدى . كما أن عروة ابن مسعود الثقفى قدم من الطائف الى مكة على رأس رجال من ثقيف لمؤازرة قريش ضد المسلمين ، وذهب هذا الرجل بنفسـه لمقابلة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالحديبية سنة ٦ هـ فى محاولة لاقناعه بعدم دخول مكة وأداء العمرة فى العام المذكور ــ هذا فضـلا عن أن كثيرا من القرشيين كانوا يستثمرون أموالهم بالطائف ، بدليل أن النبى ــ صـلى الله عليه

---

(١) لما تلا جعفر بن أبى طالب صدرا من سورة مريم أمام النجاشى ، فكـر ثم قـال : « ان هـذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكلة واحدة » (انظر تهذيب ابن هشام ص ٧٦) .

وسلم ـ لما قفل راجعا منها ، مال الى بستان على مشارفها كان مملوكا لعتبة وشيبة الأمويين وهما من أعيان مكة .

يضيف بعض الكتاب عوامل أخرى كان لها أثرها ـ من وجهة نظرهم ـ فى اختيار النبى ـ صلى الله عليه وسلم للحبشة بالذات كمهجر للمسلمين وقتئذاك . فيقول أحمد الشريف (١) :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم توقع أن يلقى المهاجرون ترحيبا من ملك الحبشة أملا فى أن يتمكن بمساعدتهم من التدخل فى شئون مكة الداخلية ، وبخاصة وأن الحبشة تطمع ومنذ أجيال فى فتح مكة بلاد العرب ولها محاولات سابقة فى هذا الصدد وفعلا لقى المهاجرون احتفاء وحسن معاملة من النجاشى. كما أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أراد أن يلفت نظر قريش الى أن عدوانها على المسلمين قد يضطرهم الى الالتجاء الى قوة خارجية ربما تتدخل لحمايتهم ، فتتعرض مكة لغزو أجنبى أو تتعرض للأضرار بمصالحها الاقتصادية . ولذلك فان من مصلحتها أن تهادن المسلمين وتوقف عدوانها عليهم . ويقول محمد دروزه (٢) : ان المسلمين ـ عن طريق هجرتهم الى الحبشة بالذات ـ يكسبون حليفا قويا تجمع بينهم وبينه الصلات الدينية، والمشركون يقع فى نفوسهم شىء من الخوف والتوجس والجنوح الى الارعواء بسبب توثق الصلة بين المسلمين وهذا الحليف القوى .

على أن السبب فى اكرام النجاشى للمسلمين المهاجرين الى الحبشة ورعايته لهم يرجع الى كونه ملكا عادلا بطبيعته من ناحية ، ولأنه رأى فى مبادىء الدعوة الاسلامية اتساقا مع مبادىء المسيحية الجوهرية من ناحية أخرى (٣) .. ولا يرجع الى رغبته فى الاستعانة بهم على القيام بأية مشروعات استعمارية لمكة أو غيرها من بلاد العرب ، اذ لم يشر أى مصدر ـ على مبلغ علمى ـ بأن الأحباش فكروا فى بسط نفوذهم على مكة أو غيرها من جزيرة العرب طوال العهد النبوى ، فهم بعد فشل مشروعهم الحربى لهدم الكعبة وطردهم على يد الفرس بعد ذلك من اليمن لم يفكروا ـ كما يذكر أحمد الشريف نفسه (٤) .

فى تكرار هذا العمل العدوانى ، وتحسنت العلاقة بينهم وبين أهل مكة الذين قاموا بدور الوسيط التجارى ، اذ لم يكن بوسع الأحباش أن يتبادلوا التجارة مع الفرس الذين تحكموا فى التجارة الشرقية وكانت علاقاتهم سيئة بالروم وحلفائهم الأحباش . وفى أيام البعثة النبوية كانت علاقة مكة مع الحبشة علاقة وطيدة ، وكان تجار قريش على صلة دائمة وعلاقات

(١) نفس المصدر السابق ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .
(٢) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٠٨ .
(٣) بين الحبشة والعرب ص ٧٣ .
(٤) أحمد الشريف : مكة والمدينة ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

أضواء على أول هجرة في الإسلام

طيبه مع هذه البلاد وقد ظلت العلاقة الطيبة قائمة بينهما بعد ذلك بمدة طويلة •

كما أن القرآن الكريم أشار فى سورة الفيل المكية الى أن الله تعالى أنزل سخطه على أصحاب الفيل الذين حاولوا العدوان على مكة ، وبسط نفوذهم عليها ، والمقصود بهؤلاء جيش أبرهة الحبشى ، ولذلك لا يعقل أن يرضى المسلمون عن قيام الأحباش بمحاولة مماثلة ناهيك عن مساعدتهم على القيام بها ، ومن الطبيعى أن المسلمين تطلعوا منذ فجر دعوتهم الى أن تكون مكة مدينة اسلامية لا هيمنة فيها الا للاسلام ، ولذلك لا يمكن أن يجول بخاطر النبى ﷺ أن النجاشى سيكرم المهاجرين المسلمين الى بلده من أجل أن يساعدوه على التدخل فى شئون مكة الداخلية وبسط هيمنته عليها ، وانما بنى النبى ﷺ اختياره للحبشة بالذات على أساس أن ملكها — كما سبق ذكره — عادل بطبيعته من ناحية ومسيحى من ناحية أخرى • وقد كان النجاشى عند حسن ظن النبى به ، لأنه أكرم المهاجرين ، كما لم يستجب الى قريش حين بعثت بوفدها اليه فيما بعد يطلب منه تسليم المسلمين المهاجرين للعودة بهم الى مكة ، وذلك على الرغم من الهدايا التى كان يحملها هذا الوفد اليه والى كبار الرجال المحيطين من حوله ، كما لم يأبه بما كان يمكن أن يترتب على موقفه المذكور من آثار على دور مكة كوسيط تجارى تحتاج اليه الحبشة •

وان صح أن النبى ﷺ أراد من توجيه المهاجرين الى الحبشة بالذات أن يدخل فى روع قريش أن المسلمين يمكن أن يؤلبوا الحبشة على معاودة غزوها لمكة ، فان ذلك كان على سبيل المناورة فقط حتى يقع فى نفوس المشركين شىء من الخوف فيجنحوا الى مسالمة المسلمين وعدم ايذائهم • ولكن يبدو أن كلا من الحبشة ومكة وقتذاك كان لا غنى لأحدهما على الآخر، فالحبشة بعد عدائها مع الفرس كانت فى حاجة الى مكة كوسيط تجارى ، كما أنه ليس من مصلحة مكة أن تقطع علاقتها التجارية مع الحبشة ، لأنها لو فعلت ذلك لأضرت بمصالحها ولذلك استمرت العلاقة التجارية بين الطرفين رغم أن النجاشى أكرم المهاجرين وأبى أن يستجيب المطالب وفد قريش بصددهم • كما أن المشركين لم يجنحوا الى كف الأذى عن المسلمين فى مكة على الرغم من توثق الصلة بين النبى ﷺ وملك الحبشة القوى ، بل على العكس أنهم بالغوا فى ايذائهم للمسلمين • يقول ابن سعد (١) « لما بلغ قريشا فعل النجاشى لجعفر بن أبى طالب وأصحابه واكرامه اياهم كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه ، وأجمعوا على قتل رسول الله ، وكتبوا كتابا على بنى هاشم ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم » •• ومن الثابت تاريخيا أن هذا الايذاء الشديد الذى وقع على المسلمين حملهم فى النهاية على الهجرة من مكة الى يثرب ، فى الوقت الذى كان جعفر بن أبى طالب وفريق من الذين هاجروا معه الى الحبشة لا يزالون يقيمون لدى النجاشى •

يقول عبد المجيد عابدين (١) « ولا شك أنه كان قد تراءى الى المسلمين أن — الأحباش قد قاموا بحماية المسيحيين فى اليمن من عدوان اليهود،وأنهم جردوا حملة للقضاء على الوثنية فى الحجاز لهذا آثر المسلمون اللجوء الى بلاد الحبشة لعل الأحباش يستطيعون أن يقوموا بحمايتهم من عبدة الأوثان ومن اليهود كما حموا المسيحية وجردوا على الوثنية حملة من قبل ».

على أن تجريد الأحباش حملة على الحجاز لم يكن بقصد القضاء على الوثنية ، فلو صح ذلك لا متدح القرآن الكريم ما فعلوا ، ولكن سورة الفيل تشير بوضوح — على النحو السابق ذكره — الى أن الله أنزل سخطه على أبرهة الحبشى وجنوده أصحاب الفيل والحق أن الحبشة لما استولت على اليمن « لم تستطع أن تقوم بدور كبير فى التجارة التى أصبح نقلها يتم على أيدى التجار المكيين الذين أصبحوا الوسطاء المسيطرين على قوافل التجارة الخارجية ، كما كفل لهم قيام البيت الحرام واقرار هدنة الأشهر الحرم وقيام الأسواق فى منطقة مكة المسيطرة على تجارة شبه الجزيرة العربية الداخلية . وقد فكر حاكم اليمن الحبشى أبرهة أن ينافس مكة فى هذه المكانة لعله ينتزع منها السيطرة على التجارة الداخلية فأقام كنيسة فى صنعاء حرص على أن تكون غاية فى الفخامة والروعة ليجلب اليها العرب للحج والمتاجرة . ولكن عمله هذا باء بالفشل الذريع ، لأن البيت الحرام كان محل تعظيم العرب جميعا اذ هو البيت الذى بناه ابراهيم واسماعيل اللذان يرد العرب أنسابهم اليهما . وقد دعا الفشل واحتقار العرب للكنيسة التى أقامها أبرهة الى قيامه بحملة ضد مكة لتدمير البيت الحرام فتسقط بذلك مكانتها الدينية . ومن ثم تذهب مكانتها بين العرب من ناحية ، وليسيطر على هذه المحطة التجارية من ناحية أخرى ، وذلك ليتم اتصال الحبشة عبر الطريق البرى بحليفتها بيزنطة التى كانت تسيطر على بلاد الشام (٢)

هذا فضلا على أن المسلمين فى السنة الخامسة للنبوة لم يكونوا فى حاجة الى أن تحميهم الحبشة من اليهود . لأ نهؤلاء — كما سبق التنويه اليه — كانوا من أهل الكتاب المتعاطفين مع الدعوة الاسلامية ضد الوثنيين. وقد استمر هذا التعاطف طوال العهد المكى ، ولم يحدث التصادم بين المسلمين واليهود الا فى يثرب . وهناك لم يحتج المسلمون الى الحماية من اليهود أيضا ، حيث لم يجدوا صعوبة فى التغلب عليهم .

---

١) بين الحبشة والعرب ص ٧٣

٢) احمد الشريف : مكة والمدينة ص ١٥٧/ ١٥٨

دور السنة النبوية

فى تشكيل اتجاهات الرأى العام

يرى الباحث أنه من الأهمية بمكان ان يعمل الخبراء والباحثون على دراسة كيفية تشكيل اتجاهات الجماهير وأن يعكفوا على أستكشاف الطرق التى يتم بها تكوين الرأى العام .

والعوامل التى تؤدى الى تكوين الرأى العام كثيرة ومتشابكة ــ ويركــز بعض الباحثين على عامل بعينه أو آخر . فمنهم من أكد على عملية الوراثة فى تكوين الرأى العام . ومنهم من أكد على أهمية العوامل الاقتصادية « كماركس » ومنهم من اهتم بالدوافع الجنسية « كفرويد » واهتم آخرون بدور العرق أو الغــرائز أو الموقع الجغرافى أو التكنولوجيا . أو غيرها من العوامل .

ويحاول البعض الأخر ان يتناول عملية تكوين الرأى العام بصفة كلية شاملة دون التركيز على بعض العوامل المحددة ، وبيان دورها مجتمعة أو منفردة .

والواقع أن عملية تكوين الرأى العام من العمليات المعقدة التى تمتد جذورها فى مجالات مختلفة من الوراثة والبيئة فهناك النواحى الجسمية التى تؤثر فى عقلية الفرد وأفكاره والعوامل الوراثية والعوامل النفسية والبيئة .. الخ .

الا أن بعض الباحثين والمفكرين والمهتمين بدراسات الرأى العام . قــد اتفقوا على أن الرأى العام يتم تشكيله نتيجة عدة عوامل هى :

١ ــ الاعلام والدعاية .
٢ ــ النشأة والبيئة والبيت .
٣ ــ نوعية الثقافة .
٤ ــ الــديــن .
٥ ــ الزعماء السياسيون .
٦ ــ المصلحون الاجتماعيون .

للدكتور محيى الدين عبد الحليم

٧ ــ التجارب الماضية للأمــة ٠
٨ ــ حملات الهمس والشائعات ٠
٩ ــ التعليم والتربية ٠
١٠ ــ الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ٠
١١ ــ التوارث الحضارى للأمة بجميع أنواعه ٠
١٢ ــ المشكلات والأحداث اليومية بجميع انواعها ٠

واذا كانت هذه العوامل تؤدى دورا مؤثرا فى تكوين الرأى العام ٠ الا أن هناك عوامل أخرى على درجة عالية من الكفاءة والمقدرة على التأثير ٠ ومن أبرز هذه العوامل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولها الدور المؤثر فى اتجاهات الرأى العام المسلم ٠

ويتناول البحث دور السنة النبوية فى تشكيل اتجاهات الرأى العام ، وتقدم منه النص التالى :

ترجع أهمية السنة النبوية وقدرتها الكبيرة فى تشكيل الآراء وتكوين الاتجاهات إلى الحقائق التالية :

تأكيد القرآن على مكانة السنة

أولا : أن القرآن يؤكد على مكانة السنة ودورها فى تشكيل الاتجاهات وأبرز الحق جل وعلا فى مواضع كثيرة من آيات القرآن الكريم المنزلة والتى وردت أيضا فى سنة رسول الله ﷺ) من أقوال وأفعال فى توجيه الجماهير المسلمة وبالتالى فى تكوين آرائهم بصورة تتنسق وتتكامل مع ما ورد بكتاب الله لا تختلف أو تتناقض مع ما جاء به أو تخرج عن مضمونه فى كثير أو قليل ٠

ولم تكشف الدراسات والأبحاث العلمية الموضوعية التى أجريت فى هذا الصدد عن أى نوع من الخلافات الظاهرة أو الباطنة بين ما تضمنه القرآن الكريم وما جاءت له سنة

رسوله صلى الله عليه وسلم

كما أن القرآن الكريم حث الجماهير المسلمة على اتباع سنة نبيهم والسير على منهاجه يؤكد ذلك قول الحق جل وعلا فى هذا الصدد

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) وفى هذا أمر صريح من الله عز وجل للمسلمين لا يحتمل تأويلا ولا مجال فيه لجدل أو اجتهاد •

وهذه الآية تؤكد أن سنة رسول الله (ﷺ) تمثل رافدا رئيسيا من روافد العلم والادراك للرأى العام المسلم وبالتالى فانها تترك آثارها القوية فى نفوس الجماهير وعقولهم تلك الجماهير المطالبة بالالتزام بكل ما جاء به رسول الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعمل وفقا لما أمرهم به والبعد عن كل مانهاهم عنه •

ومن يخالف هذا الأمر أو يخرج عن هذه القاعدة فانه بذلك يعصى الله وهو ما يحرص كل مسلم على الابتعاد عنه وفى هذا ما يكفى لتشكيل الاتجاهات والتأثير على السلوك الجماهيرى نحو أى موقف والادلاء بأى رأى

نحو أى مسألة • ان الجماهير ستحرص بالضرورة على التعبير عن آرائها موافقة أو رفضا انطلاقا من هذه القاعدة حتى تأتى آراؤها انسجاما مع سنة نبيها طالما هى تحرص على التمسك بهذه السنة والعمل وفق ما جاءت به والالتزام بتعاليمها •

ذلك أن الرسول (ﷺ) كان فى جميع أحواله وفى كل ما يصدر عنه او ينطق به من اقوال أو تصرفات يمثل القرآن الذى نزل عليه ويعكس مبادئه وقد عبرت السيدة عائشة رضى الله عنها عن هذه الحقيقة فى كلمتها المأثورة الجامعة المانعة تعبيرا دقيقا حين سئلت عن خلق الرسول (ﷺ) فقالت : « كان خلقه القرآن » •

وهكذا يثبت القرآن حجية السنة فهى مشتقة منه والنبى (ﷺ) هو الناطق بحكمه والمبين لما فيه والمكمل لشرع الله تعالى •

التزام الرسول صلى الله عليه وسلم بأوامر الله بدقة متناهية وأمانة كاملة

لم تأت أوامر الله جل وعلا لجماهير المسلمين بطاعة رسولهم والالتزام بسنته من فراغ ولكن لعلمه جل وعلا بأن رسوله (ﷺ) سوف يلتزم بأوامر ربه متجنبا كل ما نهى عنه

لا يتخلف قط عن التصدى لحمل أمانة الدعوة مهما كلفه ذلك من مشقة وعناء وهو الذى قال لعمه كلمته المشهورة حين حاول أثناءه عن مسئولية الدعوة تحاشيا لنقمة قريش عليه « والله يا عمى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر

ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » •

وقد أكد الحق سبحانه وتعالى هذه الحقيقة فى كتابه الكريم حين قال : عن رسوله « **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ**

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ » أى أن الله لا يتسامح معه • وهو نبيه المصطفى — اذا حاول ادعاء اى قول من الأقوال أو زاده أو أنقصه أو بالغ او ضخم فيه أو افترى على الله الكذب • وهذا يؤكد لنا المنزلة التى تتبوؤها سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن نبى الاسلام فى كل خطوة يخطوها او حلمه ينطق بها أو ايماءة أو تلويحه بيديها ملتزم بأوامر الله مبتعد عن نواهيه وهـذا يعنى ان سنته لابد أن تأتى متوافقة تماما لشريعه الحق

منسجمة مع كلماته المقدسة محققة أغراضه فالسنة هنا تتضافر فى غرس اتجاهات ذهنية ونفسية فى عقول وقلوب الجماهير المسلمة بما يترجم مبادىء وتعاليم القرآن •

ومن خلال هذا المنظار — منظار السنة النبوية — ينظر الرأى العام المسلم الى مختلف الأمور ويتعامل مع متغيرات الحياة ، فما يتوافق مع السنة فهو الحق بعينه وما لا يتفق معها فهو الباطل دون شك — فالرأى العام المسلم يثق تماما فى أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) لن يسير على غير هدى القرآن أو ينهج نهجا يخالف ما تضمنته آية من آياته • وحين تعرف الجماهير المسلمة هذه الحقيقة فانها بلا شك ماضية خلف رسولها متتبعة آثاره سائرة على هداه عن قناعة ورضا وبالتالى فلن تخالف له رأيا أو تعصى له أمرا ولكن آراءه هى آراؤها وتعاليمه هى منطلقها للتفكير والتعبير والسلوك •

كمال النبى صلى الله عليه وسلم فكرًا وقولًا وسلوكًا

تؤكد الحقائق التاريخية الثابتة والعلمية الدقيقة والدينية والراسخة أن رسول الاسلام

صلوات الله وسلامه عليه كان نموذجا فريدا فى صفاء الروح وسمو الأخلاق وعفة اللسان تشهد بذلك الأربعون عاما التى عاشها بين قومه قبل البعثة والتى تشهد بها أعداؤه وأصدقاؤه بأنه رجل جبل على الصدق والأمانة والصلاح والاستقامة والايثار والسمو النفسى والروحى وغير ذلك من الخصال الحميدة التى لازمته منذ مولده وحتى وفاته والذى يعجز هـذا البحث عن حصرها فلم يعرف عنه أنه ارتكب فى حياته فاحشة أو أساء معاملة عبد أو نافق سيدا أو داهن غنيا أو حالف ظالما أو كذب أو خان بل كان الأمين الصادق بغير منازع •

وحين بعثه الله وحمله أمانة الدعوة كان لها أهلا وتحمل من عنت القوم وقسوتهم ما ينوء بحمله بشر مثله ومع ذلك صبر وثابر وكافح حتى حقق فى عشرين عاما من حياته ما عجزت عن تحقيقه جهود المصلحين على مر التاريخ رغم الظروف الصعبة التى كانت تحيط به والفترة الزمنية المحددة التى عاشها نبيا ورسولا والأخطار الهائلة التى تعرض لها ويؤكد القرآن الكريم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق الا صدقا ولا يتكلم الا وحيا وبالتالى فان كلامه يتسم

٥ دور السنة فى تشكيل اتجاهات الرأى العام

بالكمال وقد أجمل الله تعالى كمال الرسول ﷺ فى كلمات دقيقة حين قال : « **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** » (سورة النجم الآيات من ١ — ٥) وفى هذا ما يكفى الجماهير المسلمة لتعلم أن رسولها ونبيها معصوم من كل خطأ ، محاط برعاية ربه وعنايته ، فكل ما يصدر عنه محكوم بوحى من الله فلا كلمة ينطقها ولا عمل يؤديه ولاشاردة ولا واردة الا لحمكة أرادها الله .

وحين يعرف المسلمون ذلك يزدادون تمسكا بسنة نبيهم وتشبثا بآرائه وكلما زاد ايمانهم زاد يقينهم بذلك ، ينظرون الى ما يعرض عليهم وما يتعرضون له فى حياتهم من هذا المنظار فما ينسجم معه فهو صحيح وما يتناقض معه فهو خطأ . تتكون آراؤهم وتتشكل اتجاهاتهم وتصطبغ حياتهم وفق ذلك ، وتتكون الصور الذهنية فى رؤوسهم وفقا لما قال أو نصح رسول الله وبالتالى تترسخ لديهم اتجاهات معينة حول القضايا التى تواجههم بما يتلاءم وسنة النبى — ﷺ — ويظهر الرأى العام المسلم معبرا عن هذه الاتجاهات ومترجما لها بعد اقتناعه بأنها متماثلة مع آراء نبيهم الذى اسبغ الله عليه نعمة الكمال .

سنة الرسول مكملة لآيات الله ومفسرة وشارحة

جاءت سنة الرسول — صلى الله عليه وسلم — مكملة لآيات الله مفسرة لها شارحة لمعانيها تؤدى الأحاديث النبوية دورا كبيرا فى تفسير المعانى التى وردت فى القرآن الكريم وقد جعلها العلماء فى المرتبة الثانية بعد القرآن ويؤكد أحمد أمين المكانة البارزة — التى تحتلها السنة النبوية التى تتلو مكانة القرآن الكريم اذا أدركنا أنها جاءت مجملة أو مطلقة أو عامة ولا يختلف عامة المسلمين وخاصتهم فى أن السنة هى المفصلة لمجمل القرآن والمبينة لما يحتاج الى بيان فهى التى تخصص علمه وتبسط ما فيه من ايجاز قال تعالى : « **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** » (النحل آية ٤٤) .

فالقرآن الكريم لم يبين على سبيل المثال تفاصيل الصلاة التى أمر الله بها مجملة فلم يذكر عدد الصلوات وكيفيتها وأوقاتها فجاءت السنه المحمدية فوضحت حل ذلك ، وكذلك لم يبين القرآن لنا متى تجب الزكاة ولم يحدد نصابها ولا مقدار ما يخرج منها وفى أى شىء تجب وعلى من تجب فجاءت السنة فبينت كل ذلك . وفى السرقة قال تعالى : « **وَالسَّارِقُ**

﴿وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ » ولم يبين لنا ما السرقةوما النصاب الذى يجب الحد فيه وما المراد بالأيدى ومن أى موضع يكون القطع فجاءت السنة المحمدية فحددت كل ذلك وحين حرم القرآن الخمر جاء الحديث الشريف فبين ما المراد بالخمر وأى المقادير يحرم شربه ونحو ذلك .

كذلك حدثت حوادث وخصومات قضى فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحديث لا بالقرآن فكان قضاؤه فى ذلك تشريعا ، فكل ما قاله النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو فَعَلَهُ أو حَدَثَ أمامه واستحسنه كان تشريعا ومتى ثبت ذلك عن رسول الله كان من القوة بمنزلة القرآن : الا انه قل أن يثبت ثبوتا لا يحتمل الشك وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجتهد برأيه حيث لا يكون وحى ، وانه كان احيانا يخطىء فى رأيه بدليل أنه قد عوتب على سبيل المثال فى أسرى بدر حين قال الله تعالى : « ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ » (الأنفال آية ٦٧)وكان قد أشار عليه عمر بقتلهم ولو كان حكم بمقتضى الوحى ما عوقب،وباستعراض سنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنجد أنه قد وردت أحاديث الاحكام كثيرة فى كل الانواع التى ورد فيها القرآن الكريم وقد عنى العلماء بجمعها وترتيبها ترتيبا فقهيا ومعنى هذا أنه لولا السنة النبوية لترتب خطر عظيم على التشريع منه على سبيل المثال الا تفهم الصلاة والزكاة والحج وغيرها من الفرائض المجملة فى القرآن التى تولتها السنة بالبيان الا على القدر اللغوى منها ، فيفرض من الصلاة فى اليوم ركعتين بزعم (ما لم يكن فى كتاب الله فليس على فرضه) وبهذا تسقط الصلاة والزكاة التى تتواتر لدى السلف الصالح فرضها حتى أصبح العلم بها من ضرورات العلم بالدين .

ولأحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهمية كبرى فى فهم معانى القرآن والكشف عن الأحكام المنطوية فى نصوصه العامة وقواعده الكلية ، والارشاد الى الكثير منها ، ولولاه لبقى مجهولا لنا خافيا علينا . ان عدد آيات القرآن الكريم يبلغ ست آلاف ويصل عدد الآيات المتعلقة منها بالاحكام نحو مائتى آية فى حين أن مجموع أحاديث الاحكام يبلغ نحو أربعة آلاف حديث والحديث يبين أحكام القرآن من تفصيل المجمل وتوضيح المشكل وتخصيص العام وتقييد المطلق (١) .

فالقرآن الكريم على الرغم من قداسته ومكانته الكبيرة فى نفوس الجماهير الا أن دوره فى تشكيل الآراء يقتصر على الأمور المجملة أما السنة فسوف تحدد لهذه الجماهير بصورة شاملة القنوات التى سيلتزمون بالسير فيها .

ومن هنا يأتى اسهامها الفعال فى تكوين الاتجاهات بصورة تفصيلية .

---

١ ـ عفيفى عبد الفتاح طبارة :
روح الدين الاسلامى . ص ١٦ بيروت
دار العلم للملايين . ١٩٧٧ ص ٩ ، ٤٠ ، ٤٨ .

أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم شعارات لثورة الإسلام

يعتبر الدكتور عبد اللطيف حمزه ــ ونحن نتفق معه فى ذلك أن كل حديث من أحاديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان بمثابة شعار لثورة الاسلام . ووظيفة الشعار فى كل ثورة هو تلخيص العمل الذى جاءت من أجله هذه الثورة ونشر الأفكار التى نادت بها ، وعليها يعتمد الزعماء فى اذكاء شعور الجماهير وفى اقناعهم بالدعوة الجديدة ، وتحوى كتب الأحاديث الاصليه كل ما يسعى المسلم لمعرفته ويرغب فى التزود به وهو مالا نستطيع حصره .

وفى الحقيقة أن الحديث النبوى يحمل قيمة أو معنى فى كلمات دقيقه بسيطة شامله جامعة مانعة تعبر عن العرض المتصور بوضوح كامل من غير لبس او غموض او خروج عن المعنى وقد عبر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن هذه الحقيقة فى حديثه عن نفسه الذى قال فيه (أوتيت جوامع الكلم)،(انا أفصح العرب بيد أنى من قريش) .

فاذا كانت الحرب والعداوة والانتقام والثأر هى السمة السائدة بين العرب ثم يأتيهم الرسول بقيمه جديدة حاملا شعار السلام والمحبه والالفة عاملا على الحفاظ على وشائج القربى بين الجماهير فى حديثه الذى قال فيه :

« يأيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » (١) .

فان هذا الحديث يصوغ بذلك ثورة الاسلام على البغضاء والكراهية ويرسخ معنى جديدا ينعكس بعد ذلك على آراء الجماهير وسلوكهم نحو هذا المعنى الذى جاء به .

وحين حمل شعار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجعله فريضة من الفرائض الاسلامية مشددا النكير على من يتخاذل أو يتقاعس عن أداء هذه الفريضة فى حديثه الذى قال فيه (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) .

فانه بذلك يرسخ مفهوما اسلاميا ويزرع اتجاها جديدا ويحمل الجماهير المسلمة مسئولية درء الشر مهما بلغت قوته وزرع الخير مهما كانت التضحيات ، وهو خط ثابت رسخه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لهذه الجماهير عليها ألا تتقدم أو تتأخر عن هذا الخط أبدا حرصا على ارضاء ربها وعلى تنفيذ تعاليم دينها وكلما تفهمت الجماهير هذه الحقيقة كلما أخذت على عاتقها أداء هذا الواجب وفق هذا المفهوم .

---

١ ــ رياض وصالحين :
ص ٣٤٤ .

السنة النبوية تحدد أسلوب الدعوة إلى الله وتضع القواعد العملية للإعلام عن الإسلام

اذا كانت سنة رسول الاسلام — صلى الله عليه وسلم — قد اشتملت على العديد من الأمور التى تهم الجماهير المسلمة وان تناولها لمنهج رسول الله فى حقل الدعوة قد اشتمل على استراتيجية اعلامية شاملة فى هذا المجال ذلك أن المهمة الاعلامية تأتى على رأس المهام التى حملها محمد بن عبد الله — صلى الله عليه وسلم — على عاتقه وحقق بها انجازات شهد له بها العلماء والمفكرون فى هذا الصدد وأكدتها دائرة المعارف البريطانية بقولها .

« ولقد أنجز الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى عشرين عاما من حياته ما عجزت عن انجازه قرون من جهود المصلحين اليهود والنصارى على الرغم من السلطة الدينية التى كانت تساعد جهودهم وعلى الرغم من أنه كان أمام الرسول تراث أجيال من الوثنية والجهل والخرافات واضطهاد الضعفاء وكثرة الحروب بين القبائل ومئات من الشرور الاخرى (١) .

ولم يحقق الرسول كل هذه الأهداف فى هذا الزمن القياسى الا من خلال المهمة التى أوكله الله اياها والحياة الاعلامية الحافلة التى عاشها وحقق فى غضونها منجزات هائلة فى حقل الدعوة الاسلامية وتحقيقا للمهمة التى كلفه بها ربه وهى مهمة اعلامية بالدرجة الاولى (٢) .

ولا يخفى ما للرسالة الاعلامية الاسلامية من تأثير فعال فى تشكيل الاتجاهات وتكوين الآراء لدى الجماهير المسلمة ، ذلك ان الرسالة تنفذ الى عقول هذه الجماهير ونفوسهم دون ما عوامل وسيطة تحول بين هذه الرسالة وقوة تأثيرها بخلاف الرسالة الاعلامية التى تحوى مضمونا اقتصاديا أو سياسيا عاما والتى تجعل الانسان يكيف تفكيره بما يمكنه من أن يرفض للحياة بل قد لا يعرض الانسان تفكيره لهذه المعلومات التى تتضمنها اذا لم تتفق مع نظرته للحياة بل قد لا يعرض الانسان تفكيره لهذه الرسالة ابتداء . وقد يدركها ويفهمها بالصورة التى تتفق مع نظرته للحياة فيما نسميه بالادراك الانتقائى .

فى حين أن الرسالة الاعلامية الاسلامية يكيف بها المسلم تفكيره وينظم مدركاته وفق ما جاءت به هذه الرسالة .

من هذا المنطلق تأتى قوة تأثير أقوال الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأفعاله لتشكل آراء واتجاهات الجماهير المسلمة بالصورة التى وردت فيها . الا اذا أسىء أو حرف من هذه الاحاديث شىء .

---

١ — حافظ محمود : الاعلام العربى والاعلام الصهيونى .
القاهرة . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣ ص ٥١ .

٢ — محيى الدين عبد الحليم : الاعلام الاسلامى وتطبيقاته العملية ط ٢ .
القاهرة . مكتبة الخانجى ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٨ .

السنة النبوية
ومكانتها فى الشريعة الاسلامية

فى هذا البحث يحاول المؤلف أن يبين مدى ارتباط السنة النبوية ومكانتها بالشريعة الاسلامية ، مارا بمحاولات الأعداء للنيــل من الاسلام عن طريق التشكيك فى السنة النبوية وبخاصة لأنها مبينـة ومفصلة ومكملة لتلك الشريعة .

ثم يقف المؤلف وقفة يبين من خلالها محاولات أعداء الاسلام محاربة السنة النبوية بقصد اضعاف الثقة بها فى نفوس المؤمنين ، فيذكر لنا المؤلف محاولات بعض المستشرقين من أمثال جولد زيهر وبروخمان ومن سلك مسلكهما من العرب سواء بحسن نية أو بسوئها ويقول المؤلف ان هؤلاء وجهوا سهامهم بوجه خـاص لأبى هريرة ظنا منهم أنهم بهذا يكونون قد قضوا على قسم كبير من الشريعـة الاسلامية بالتشكيك فى مسنده .

كما عرض المؤلف لمحاولاتهم لانشاء فرق كفرقة « القرانيين » أى الـذين يعتمدون على القرآن وحده ، على غرار فرقة اليهود « القرائين » التى تعتمد على التوراة وحدها .

ولكون هذا الاتجاه الفاسد ليس حديثا ، فقد أورد الكاتب كتابا للامــام الشافعى « الأم » فى الرد على طوائف فى عهده كان بعضها لايعترف بالسنة كلها .

وبشىء من التفصيل يتعرض الكاتب (المؤلف) للرد على هؤلاء مبينــا أن العلماء قد وضعوا مقاييس دقيقة لتمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها ، كـذلك

هذا ، ولا تعد السنة أصلا من أصول الاسلام الا اذا تعلقت بأمر من أمور الدين ، أمـا اذا تعلقت بـأمر مـن أمـور الدنيـا فان الرســول ـ صـلى الله عليـه وسـلم يتحدث فيه برأيه لا بوحى من الله عز وجـل ، وقد صرح الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك فى حديث « تأبير النخل » ، فقد أخرج مسلم فى صحيحه عن رافع بن خديج رضى الله عنــه

للدكتور على عبد الواحد وافى

حددوا مقاييس الرواة من عدالة وضبط ٠

ـ بعد أن يخلص المؤلف من عرض علماء الحديث فى وضعهم للمقاييس وتنقيتهم للأحاديث ومدى حرصهم وتشددهم فى قبول أى حديث ، ينتهى الى فساد ما اعتمد عليه أعداء السنة ٠

وفى الجزء الثانى من البحث يجيب المؤلف على سؤال هام هو : متى تكون السنة أصلا من أصول الشريعة الاسلامية ؟؟ ٠

بمعنى هل كل مايتحدث به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم يعد من أصول الشريعة ؟؟

يقول الباحث : هذا لا يكون الا اذا تعلقت السنة بأمور الدين ، أما اذا تعلقت بأمور الدنيا فان الرسول يتحدث فى الامر برأيه لايوحى من الله عز وجل ويستشهد المؤلف بحديث « تأبير النخل » ، لتأكيد وجهة نظره ومن خلال حديث المؤلف واجابته يفرق بين أمور الدين وأمور الدنيا وفى معرض الحديث عن بشرية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول المؤلف ان المسلمين كانوا فى أشد الحاجة الى طريق عملى كهذا (يقصد تأبير النخل) لتأكيد بشريته ، وحتى لايذهبوا فى شأنه الى ما ذهب اليه النصارى فى نبيهم ٠

ونقدم للقارىء من البحث اجابة الباحث عن هذا السؤال :

قال : «قدم المدينة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم يأبرون النخل (أى وأهلها يأبرون النخل ، وأبر الزرع والنخل يأبره بضم الباء وكسرها أبرا وابارا لقحه وأصلحه ، وأبره بالتشديد مبالغة ، أى يلقحون أعذاق اناث النخل بطلع ذكورها) ، فقال عليه

السنة النبوية ومكانتها فى الشريعة الإسلامية

السلام : ما تصنعون ؟ فقالوا : شيئا كنا نصنعه فى الجاهلية ، فقال لعلكم لو لم تصنعوه لكان خيرا ، فتركوه ، فنفضت النخل (يقال نفضت النخلة حملها اذا ألقته من آفة بها • والمعنى نفضت زهرها بدون أن يستحيل بلحا ، فلم تثمر) ، فذكر له ذلك (أى بلغه هذا الخبر) • فقال : انما أنا بشر • اذا أخبرتكم بشىء من أمر دينكم فخذوا به ، واذا أخبرتكم بشىء من رأيى فانما أنا بشر » • وفى رواية عن عائشة رضى الله عنها : « اذا أخبرتكم بشىء من أمر دينكم فانما هو بوحى ، واذا أخبرتكم بشىء من أمر دنياكم ، فانما أنا بشر ، وأنتم أعلم بأمور دنياكم » • ورواه موسى بن طلحة عن أبيه مرفوعا بهذا النص : « ان كان ذلك ينفعهم فليصنعوه ، فانما ظننت ظنا : فلا تؤاخذونى بالظن • ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به ، فانى لا أكذب على الله » •

وتفسير ذلك ، بحسب ما يظهر فى بادىء الرأى ، أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما

هاجر من مكة ، وهو بواد غير ذى زرع ولا نخيل ، الى المدينة وهى بلد ذات زرع ونخيل وشجر وبساتين ، وجد أهلها يلقحون اناث النخيل بطلع ذكورها • ولعله لنشأته بمكة لم يكن قد رأى ذلك من قبل ، ولم يكن يعرف علته ، فسألهم عما يحملهم على هذا العمل وعن أغراضه • فلم يشرحوا له الحقيقة العلمية أو التجريبية التى يقوم عليها ، وهى أن زهر

أنثى النخل لا يثمر الا اذا لقح بطلع ذكر النخل (وشجرة أنثى النخيل مستقلة عن شجرة الذكر ، فلابد فى الغالب لكى تلقح من تدخل العمل الانسانى) • واكتفوا بأن قالوا ما معناه ان هذا العمل قد وجدنا عليه آباءنا فسرنا عليه • ولعلهم قد اختاروا هذا النهج فى الاجابة ليتركوا للرسول عليه الصلاة والسلام الحرية فى تقرير ما يراه ، وحتى لا يظهروا بمظهر المتمسك برأى أو المتعصب لعمل فظن الرسول عليه الصلاة والسلام أن عملهم هذا ليس مبنيا على أساس علمى ولا تجريبى ولا يستهدف أية غاية ، وأنه ضرب من العبث وينطوى على اسراف فى الوقت والمجهود وبذل لهما فيما لا يجدى ، وأنه مجرد اتباع لما ألفوا عليه آباءهم • فقال « لعلكم لو لم تصنعوه لكان خيرا » • فظنوا أن هذا توجيه لهم الى الطريق الأمثل ، وهم كانوا من أشد الناس امتثالا لأوامر الرسول — صلى الله عليه وسلم — وتوجيهاته • أو لعلهم ظنوا أنه ستحدث معجزة للرسول عليه الصلاة والسلام

فتثمر نخلهم بدون تلقيح ، فتركوا التلقيح ، فألقت نخيلهم التى لم تؤبر براعمها قبل أن تتفتح وتستحيل بلحا ، وكان لابد أن يحدث هذا لعدم تلقيحها بطلع الذكور ، فأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بما حدث ، فقال لمن أخبروه بذلك أن ما أتحدث عنه من أمور الدنيا فانما أتحدث فيه برأيى ومبلغ خبرتى وتجاربى ، وقد تكونون أعلم منى بأمور دنياكم ، وقد يكون لكم فى أمر ما من هذه الأمور خبرات وتجارب لم يتح مثلها لمثلى ، ومن هذا القبيل ماحدثتكم عنه فى صدد تأبير

النخل ، ولكن اذا أخبرتكم بشىء من أمور دينكم فاننى لا أنطق فيه عن هوى ولا عن رأى ، وانما هو وحى يوحى الى ، فلا يسعكم الا الايمان به وامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

ويستفاد من ذلك أن ليس كل ما يتحدث عنه الرسول عليه الصلاة والسلام يكون بوحى من السماء ويكون من صحيح رسالته ، وأنه لا يكون كذلك الا اذا اتصل بأمر من الأمور التى سماها أمور الدين .

لا شك أن فى مقدمة أمور الدين جميع ما يتعلق بشئون العقائد السمعيات والعبادات كذات الله وصفاته والرسل والأنبياء والملائكة والجن والبعث والنشور والحساب والجنة والنار والصلاة والزكاة والصوم والحج .. وهلم جرا ، فجميع ما تحدث به الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بهذه الشئون انما تحدث عنه بوحى من السماء ، لأنه من صميم الدين من جهة ، ولأنه لا مجال فيه للرأى من جهة أخرى . ولا شك كذلك أن من أهم أمور الدين جميع ما يتصل بتنظيم العلاقات التى تربط الأفراد بعضهم ببعض وتربط الجماعات بعضها ببعض . فان الاسلام لم يجىء لتصحيح عقائد الناس وتوثيق العلاقات التى تربطهم بربهم فحسب ، وانما جاء ذلك لتنظيم العلاقات التى تربطهم بعضهم ببعض ، بل ان هذه الأمور التى يطلق عليها اسم « الشريعة » فى مقابل ما يطلق عليه اسم « العقيدة » هى من لب الدين ومن أهم الأغراض التى يرسل من أجلها الرسل ، فمع أنها أمور انسانية تتصل بشئون الجماعات والأفراد فى الحياة الدنيا ، فان الدين يشرف على تنظيمها ويضع ما ينبغى أن تسير عليه من مناهج . وذلك كالأحكام الخاصة بالمعاملات الاقتصادية وشئون السياسة والأسرة والقضاء والحدود والعقوبات والتعزير والأخلاق .. وهلم جرا . فجميع ما تحدث به الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بهذه الشئون انما تحدث عنه بوحى من السماء ولتبليغ رسالة الله الى الناس ، وأحكامه فى هذه الشئون أحكام قطعية دائمة ، جعلها الشارع جل وعلا صالحة لكل زمان ومكان ، فلا يجوز للبشر النظر فى تعديلها ولا فى استبدال أحكام أخرى بها ، وان كان يجوز لهم القياس عليها والاجتهاد فى نطاقها فيما لم يرد بشأنه نص صريح من الشارع .

ذلك من الأمور التى يشترطها العلماء لجواز الاجتهاد فى شئون الدين .

وأما نغمة التحرر من الاحكام التى جاءت بها السنة النبوية الشريفة فى بعض المعاملات بمقولة أنها من أمور الدنيا التى يجوز لنا استحداث أحكام وضعية بشأنها وأن أحكامها قد وضعت لعصور غير عصورنا ، وهى النغمة التى أخذ يرددها بعض الشيوخ فى العصر الحاضر ، زاعما أن العبارة التى وردت فى الحديث الذى نحن بصدده وهى قوله عليه السلام : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » تبرر ما يذهب اليه ، أقول أن هذه النغمة نغمة آثمة هدامة مبدلة لكلام الله ، قد سار أصحابها فى اتجاه المبشرين ومن اليهم ممن يكيدون للاسلام ، ويودون لو يصدون أهله عن تعاليمه .

حفظ السُّنة النبوية

مقـــدمة

بين فضيلة الدكتور فى هذا البحث أن الله ســبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ السنة النبوية الشريفة واستدل على ذلك بدليلين :

الاول : أن الله تعالى أخبر بأن السنة مبينة للقرآن الكريم فى

قوله تعالى :

« وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ » ·

والدليل الثانى : قوله تعالى « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ · فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِـعْ قُرْآنَهُ · ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » ·

ثم بين فضيلة الدكتور أن هناك حوافز لحفظ السنة كما أن هناك حواجـز هيأها الله لحماية السنة والدفاع عنها ·

فمن ذلك قول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين » ·

وقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ « نضر الله امرأ ســمع مقالتى فوعاها وأداها فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه » ·

وقوله عليه الصلاة والسلام (اللهم أرحم خلفائى) قيل : ومن خلفــاؤك يا رسول الله ·

قال : الذين يروون أحاديثى ويعلمونها للناس ·

وعن الحواجز التى هيأها الله لحماية السنة والدفاع عنها يقول فضيلته : انها تتمثل فى تغليظ الكذب على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ والتحذير من ذلك ، ماروى مسلم فى صحيحه بسنده عن المغيرة رضى الله عنه قال : سمعت

للدكتور محمد السيد ندا

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن كذبا على ليس ككذب على أحد فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار •

وحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » •

ومن الحواجز القوية التى وضعها الاسلام لحماية السنة مما ليس منها رد رواية الفاسق ، والتحذير من قبول روايته ويدل على ذلك قول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَافَعَلْتُم نَادِمِينَ » •

وقوله تعالى : (وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ) وقوله تعالى (مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) •

وقول الرسول — صلى الله عليه وسلم (يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بمالم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لايضلونكم) •

وقوله عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع » •

ولقد أوضح فضيلة الدكتور فى هذا البحث الكثير ولضيق مكان النشر ولطول البحث نذكر منه بعض الفقرات ليعرف القارىء شيئا عن حفظ السنة النبوية وليعلم أن السنة النبوية ظلت محل عناية المسلمين واهتمامهم حتى وصلت الينا بحمد الله سالمة نقية برغم أنف الحاقدين وكيد الماكرين ، واليكم من البحث بعض ما أشرنا :

الحوافز على حفظ السنة

ويمكن تلخيص الحوافز التى هيأها الله لهم لتدفعهم الى تحصيلها والقيام بنشرها فيما يلى : —

١ — ادراكهم أن الاسلام سبيل سعادتهم، وشعورهم بالحاجة الى معرفة السنة وحرصهم عليها لتصحيح عبادتهم والوقوف على أمور دينهم الذى هو سبب سعادتهم فى دنياهم وآخرتهم •

٢ — فرط حبهم لرسول الله — صلى الله عليه وسلم لدرجة انه فاق حبهم له حبهم لآبائهم وأولادهم بل وأنفسهم تصديقا لقوله

حفظ السنة النبوية

عليه الصلاة والسلام (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين) .

فان هذا الحب كان يدفعهم الى التردد على مجلسه حال حياته لمطالعة أنواره والاستماع بعذب حديثه . وترديد ما يسمع منه والتغنى بذكره :

فمن أحب شيئا أكثر من ذكره .

كما كان هذا الحب يدفعهم الى تتبع أخباره . وتقصى أحواله عند تعذر اللقاء به لسفر ونحوه فى حال حياته . أو لتوديعه الدنيا وانتقاله الى الرفيق الأعلى بعد مماته اذ لا سبيل الى تخفيف لوعة الحب فى هذه الحالة الا باستنشاق أخباره واستقصاء أحواله ، وتشنيف المسامع بعذب حديثه ولله در من قال :

حدث وشنف بالحديث مسامعى
فحديث من أهوى حلى مسامعى
لله ما أحلى مكرره الذى
يحلو ويعذب فى مذاق السامع
بسماعه نلت الذى أملته
وبلغت كل مطالبى ومطامعى

ولا عجب أن يبلغ حبهم لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — هذا الحد فانه سبب سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، وهاديهم الى ما فيه خيرهم وصلاحهم فى دينهم ودنياهم .

قال الله تعالى : (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) وقال تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)

حواجز حماية السنة

أما الحواجز التى هيأها الله لحماية السنة والدفاع عنها فتتمثل فيما يلى :

١ — تغليظ الكذب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والتحذير من ذلك :

روى مسلم فى صحيحه بسنده الى المغيرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : (ان كذبا على ليس ككذب على أحد : فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) قال النووى فى هذا الحديث : انه حديث عظيم فى نهاية الصحة . وقيل : انه متواتر وذكر أبو بكر البزار فى مسنده أنه رواه عن النبى — صلى الله عليه وسلم نحو أربعين صحابيا وحكى الامام الصيرفى فى شرحه لرسالة الشافعى رحمهما الله تعالى أنه روى هذا الحديث أكثر من ستين صحابيا . وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن منده عدد من رواه فبلغ سبعة وثمانين . وذكر بعض الحفاظ أنه روى عن اثنين وستين صحابيا وفيهم العشرة المشهود لهم بالجنة قال : ولا يعرف حديث اجتمع على روايته العشرة الا هذا . ولا حديث يروى عن أكثر من ستين

صحابيا الا هذا ، بل قال بعض العلماء : رواه مائتان من الصحابة • ثم لم يزل فى ازدياد ، وقد اتفق البخارى ومسلم على اخراجه فى صحيحهما ، ثم قال النووى بعد أن ساق كلام العلماء فى درجة هذا الحديث وعدد رواته وبعد أن شرح بعض مفرداته : (انه يشتمل على فوائد وجمل من القواعد منها : تعظيم تحريم الكذب عليه — صلى الله عليه وسلم — وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ، ولكن لا يكفر بهذا الكذب الا أن يستحله ، هذا هو المشهور فى ذلك من مذاهب العلماء) والمقصود من هذا أن تغليظ الكذب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم وتشديد عقوبته فى مقدمة العوامل التى كانت تدفع المسلمين الى تحرى الصدق فى رواية الحديث وتحاشى الكذب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خوفا من الوقوع فى هذا الوعيد

ولذا كانوا يجتهدون فى حفظ الحديث وضبط ألفاظه • ولا يقدمون على روايتها الا اذا كانوا متأكدين من صحة مايقولون ، وكان كثير منهم يتحاشى كثرة الرواية خوفا من ذلك •

وقد قرر كثير من العلماء أن من كذب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عمدا فى حديث واحد فسق وردت رواياته كلها وبطل الاحتجاج بها جميعها حتى لو تاب وحسنت توبته لا فرق فى ذلك بين ما يتعلق منها بالأحكام ومالا يتعلق بها كالترغيب والترهيب والمواعظ •

٢ — رد رواية الفاسق والتحذير من قبول روايته يدل على ذلك قول الله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ) فهذا المبدأ الاسلامى من الحواجز القوية التى وضعها الاسلام لحماية السنة مما ليس منها اذ المراد بالنبأ الخبر ، وهو نكرة فى سياق الشرط فيعم كل خبر سواء أخبر به عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أو عن غيره ، بل يدخل فيه ، الخبر المتعلق برسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل الخبر المتعلق بغيره لما يترتب على الكذب عليه — صلى الله عليه وسلم — من المفاسد وطمس معالم الاسلام ، ولذا كان

الكذب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم من أفحش الذنوب وأعظمها جرما وأشدها عقابا كما سبق ومما جاء فى التحذير من قبول رواية الفاسق قول النبى — صلى الله عليه وسلم : : (من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) •

٣ — اشتراط العدالة فى الرواية لقول الله تعالى : (وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ) •• وقوله : (مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ)

وهذا وان كان واردا فى الشهادة فانه يشمل الرواية من باب أولى لأن الرواية فيها شهادة وزيادة ، لأنها تتضمن شيئين • الشهادة بأن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال كذا ، أو فعل كذا وأخبار الناس بذلك ونشره فيما بينهم ، هذا الى جانب ما للخبر عنه من الأهمية •

السُّنَّة المحمدية

كتابتها وتدوينها وتصنيفها

يحتوى البحث على النقاط التالية :

١ ــ المقدمة ٠

٢ ــ الفرق بين الكتابة والتدوين والتصنيف ٠

٣ ــ مرحلة الكتابة ٠

٤ ــ الكتابة بين النهى عنها واباحتها فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم أجعمين ٠

٥ ــ الجمع بين القائلين بالنهى عنها واباحتها ٠

٦ ــ مرحلتا التدويين والتصنيف ٠

٧ ــ أوائل المدونين ٠

٨ ــ سمة التدوين والتصنيف ٠

٩ ــ السنة فى القرن الثالث الهجرى ٠

ذكر فضيلة الدكتور فى هذا البحث أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ أصول ديننا الاسلامى من كتاب ومن سنة ، وذلك فى قوله سبحانه «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» ٠

فهيأ سبحانه للقرآن الكريم كل أسباب الحفظ والسلامة ، وكذلك هيأ للسنة كل أسباب الحفظ والبقاء ، بيد أن أعداء الاسلام يحاولون التشكيك فى ثبوت السنة من جهة كتابتها فيدعون ــ زورا ــ أنها لم تكتب الا فى نهاية المائة الاولى من الهجرة ٠

ثم فكر الباحث الفرق بين الكتابة والتدوين :

للدكتور

عبد المهدى بن عبد القادر بن عبد الهادى

وفهم المعاصرون ــ العامة وبعض الخاصــة ــ خطأ أن التدوين هو الكتابة وعليه فان السنة ــ كما فهم المعاصرون من كلام السابقين ــ ظلت محفوظــة فى الصدور لم تكتب الا فى نهاية القرن الأول الهجــرى فى عهد الخليفــة عمر بن عبد العــزيز ٠

ولذا يقول الجزائرى : ولما توفى النبى عليه الصلاة والسلام بادر الصحابة الى جمع ماكتب فى عهده فى موضع واحد وسموا ذلك المصحف ، واقتصروا عــلى ذلك ولم يتجاوزوه الى كتابة الحديث وجمعه فى موضوع واحد كما فعلوا بالقرآن ، ولكن صرفوا هممهم الى نشره بطريق الرواية ٠

كما ذكر تعريفا موجزا للكتابة والتدوين والتصنيف :

١ ــ الكتــابة :

قالوا فى اللسان « كتب الشىء يكتبه كتبا وكتابا وكتابة وكتبه خطه » فكتابة الشىء خطه ٠

٢ ــ التــدوين :

قال فى اللسان « والديوان مجتمع الصحف » وقال فى تاج العروس « وقــد دونه تدوينا جمعه وعليه فالتدوين هو جمع الصحف المشتتة فى ديوان ليحفظها » ٠

٣ ــ التصنيف :

قال فى اللسان : والتصنيف : تمييز الاشياء بعضها من بعض ، وصنف الشىء ميــز بعضــه من بعض ، وتصنيف الشىء جعله أصــنافا » واليــكم من البحث الفصول التالية :

مرحلة الكتابة

امتثالا لقول الله عز وجل : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ » (١) •

وقوله تعالى : « مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » (٢) •

وقوله تعالى : « وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ » (٣) •

حرص الصحابة على السنة كل الحرص فحفظوها وما غابوا عنه سألوا من حضره ، وبكل ما علموا عملوا • لكن لما كان الذهن قد يغفل والذاكرة قد تعيى ، اتجهوا الى كتابة السنة فى صحف ، فلما اطلع الرسول — صلى الله عليه وسلم — أنكره وأمرهم أن يمحوا كل ما كتبوا « من كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه » (٤) •

وذلك حرص منه — صلى الله عليه وسلم على القرآن المصدر الأول للشريعة ، والذى يختلف عن السنة فى كونه لا تجوز روايته بالمعنى ، فعمل على أن تتوافر الجهود لكتابة القرآن وحده ، أما السنة فعلى الأذهان أن تتحرك لتحفظها ولا خوف عليها فالرسول بينهم موجود ، ولفظها غير متعبد بتلاوته ، وغير معجز ، وتجوز روايته بالمعنى •

وفى نهيه — صلى الله عليه وسلم — عن كتابة السنة أمان من اختلاط القرآن بالسنة ، فأسلوب القرآن وان كان يختلف عن أسلوب البشر ، الا أن العرب كانوا لم يدركوا ذلك بعد ولم يتمرسوه ، فليظل القرآن فى ساحة الكتابة وحده حتى تفهم الأذواق طبيعته ، وتدرك البون بينه وبين أسلوب البشر ، فاذا ما فهموا أسلوب القرآن وأصبح من الثابت أنه لن يختلط بغيره فلتوجه الجهود لكتابة السنة أيضا فهى المصدر الثانى للتشريع الاسلامى • وهنا يقول — صلى الله عليه وسلم — : « قيدوا العلم بالكتاب » « استعن بيمينك » •• الخ النصوص التى ستأتى — ان شاء الله تعالى — بعد قليل فى « الرخصة فى الكتابة » •

بيد أن النصوص التى صرحت بالنهى عن الكتابة فى أول الأمر ظلت محفوظة ، ونقلها السلف على أنها جزء مما تلقوه عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، والنصوص التى حثت على الكتابة محفوظة أيضا ، وهذا ما أوهم الاختلاف والتناقض بين النصوص •

---

١ — سورة الحشر ، آية : ٧ •
٢ — سورة النساء آية : ٨٠ •
(٣) — سورة النجم آية : ٣
(٤) — أخرجه مسلم فى الزهد ، باب التثبت فى الحديث وحكم كتابة العلم ٨٤٧/٥ والدرامى فى المقدمة ، باب « من لم ير كتابة الحديث » ٩٨/١ • وابن عبد البر فى « جامع العلم » ٧٦/١ والخطيب فى تقييد العلم ص ٢٩ ، ٣٢ •

الرخصة فى الكتابة

١ ــ روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتنى قريش ، وقالوا تكتب كل شىء سمعته من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بشر يتكلم فى الغضب والرضا ؟ فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأومأ بأصبعه الى فيه وقال : اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منه الا حق (١) •

٢ ــ روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « ما من أصحاب النبى ــ صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه منى الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب (٢) •

٣ ــ عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « قيدوا العلم ، قلت : وما تقييده ؟ قال : كتابته (٣) •

٤ ــ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم « قيدوا العلم بالكتاب » (٤) •

٥ ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رجل يشهد حديث النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا يحفظه فيسألنى فأحدثه فشكا قلة حفظه الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال له النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « استعن على حفظك بيمينك » (٥) يعنى الكتاب •

٦ ــ روى عن رافع بن خديج أنه قال : قلنا يارسول الله انا نسمع منك أشياء أفنكتبها ؟ قال : اكتبوا ولا حرج (٦) •

---

١ ــ أخرجه الحاكم ١/١٠٤ ، ١٠٥ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وأخرجه أبو داود فى العلم باب كتابة العلم ١٠/٧٩ والدارمى باب من رخص فى كتابة العلم ١/١٠٣ ، وهو فى تقييد العلم ص ٧٤ ، ٨٢ ، وجامع بيان العلم ١/٨٥ ، والمحدث الفاصل ص ١٦٤ •

٢ ــ أخرجه البخارى فى العلم باب كتابة العلم ١/٢٠٦ ، والترمذى فى العلم باب الرخصة فيه ــ أى كتابة الحديث ــ ٧/٤٢٩ وقال حسن صحيح ، وأحمد فى مسنده ٢/٢٤٨ ، والدارمى باب من رخص فى كتابة العلم ١/١٠٧ وهو فى جامع بيان العلم ١/٨٤ ، وتقييد العلم ٨٢ ، ٨٣ •

٣ ــ أخرجه الحاكم ١/١٠٦ وانتقده الذهبى بان ابن المؤمل ضعيف ، وذكره فى مجمع الزوائد ١/١٥٢ وعزاه للطبرانى فى الكبير والاوسط ، وفيه عبد الله بن المؤمل وثقة ابن معين وابن حيان وقال ابن سعد : ثقة قليل الحديث ، وقال الامام أحمد : أحاديثه مناكير • وهو فى تقييد العلم ص ، والمحدث الفاصل ص ٣٦٤ •

٤ ــ أخرجه فى المحدث الفاصل ص ٣٦٨ وتقييد العلم ص ٧٠

٥ ــ أخرجه الترمذى فى العلم باب الرخصة فيه ٧/٤٢٧ وقال : ليس اسناده بذاك القائم وهو فى التقييد ص ٦٥ •

٦ ــ ذكره فى مجمع الزوائد ١/١٥١ وعزاه للطيرانى فى الكبير ، وفيه ابو مدرك عن رفاعة بن رافع وعنه بقية ولم أر من ذكره • وهو فى تقييد العلم ص ٧٢ •

السنة المحمدية

٧ — عن ابى هريرة رضى الله عنه أن خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه فأخبر بذلك النبى — صلى الله عليه وسلم — فركب راحلته فخطب فقال : ان الله حبس عن مكة القتل — أو الفيل شك أبو عبد الله — وسلط عليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، ألا وانها لم تحل لأحد قبلى ولم تحل لأحد بعدى ألا وانها حلت لى ساعة من نهار ، ألا وانها ساعتى هذه حرام لا يختلى شوكها ولا يعضد شجرها ولا تلتقط ساقطتها الا لمنشد فمن قتل فهو بخير النظرين اما أن يعقل واما أن يقاد أهل القتيل فجاء رجل من أهل اليمن

فقال : اكتب لى يارسول الله . فقال : اكتبوا لأبى فلان ، فقال رجل من قريش الا الأذخر يارسول الله فانا نجعله فى بيوتنا وقبورنا فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — إلا إلا الإذخر .

الكتابة بعد عصر التابعين

وعلى أى وجه اعتبرنا آراء الصحابة والتابعين فان هذا الاختلاف قد زال بعد عصر التابعين ، وأجمع المسلمون على جواز الكتابة .

يقول الحافظ العراقى (١) اختلف المسلمون والتابعون فى كتابة الحديث .. ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف » .

وكذا قال عياض (٢) «وابن الصلاح»(٣). وقال السخاوى (٤) : « لكن الاجماع منعقد من المسلمين — كما حكاه عياض — فى المائة الثانية — كما زاده الذهبى — على الجواز بعدهم أى بعد الصحابة والتابعين بالجزم فى حكايته بدون تردد بحيث زال ذلك الخلاف كما أجمع المتقدمون والمتأخرون على جوازها فى القرآن » .

مرحلتا التدوين والتصنيف

وهاتان المرحلتان شبه متداخلتين ، وأن كانت أولاهما أسبق ، وتبدأ مرحلة التدوين حينما أصدر عمر بن عبد العزيز أمره الى عماله على الأمصار : « انظروا حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم فاجمعوه (٥) . وكان فيما كتب الى أهل المدينة : « انظروا

(١) فتح المغيث ٣/١٧
(٢) الالماع ١٤٧
(٣) المقدمة ص ٢٠٤
(٤) فتح المغيث ٢/١٤٢
(٥) قال فى الفتح ١/١٩٥ رواه ابو نعيم فى تاريخ اصبهان .

حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانى خفت دروس العلم وذهاب أهله (١) .

وكما وجه كتبا الى الأمصار فلقد وجه كتبا الى الأئمة الأعلام فكتب الى أمير المدينة أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو الذى قال فيه مالك : « لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان قاضيا ولاه عمر ابن عبد العزيز وكتب اليه أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن .

والقاسم بن محمد فكتبه له ولم يكن على المدينة أمير غير أبى بكر بن حزم وكان قاضيا : وجه اليه كتابه وفيه : « اكتب الى بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وبحديث عمرة ـ بنت عبد الرحمن ابن سعد (٢) ـ فانى خشيت دروس العلم وذهابه « وفى رواية أخرى : « أنظر ما كان من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو سنة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه فانى خفت دروس العلم وذهاب أهله (٣) .

وكتب أيضا الى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، المتوفى سنة (١٢٤ والذى قال فيه أبو الزياد : « كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما احتج اليه علمت أنه أعلم الناس (٤) . كتب اليه يأمره بجمع السنن ولذا قال : « أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها فى دفاتر فبعث الى كل أرض له عليها سلطان دفترا (٥) .

وما أن صدر هذا الأمر من الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الا شمر الأئمة عن ساعد الجد ، فلقد آن أوان جمع السنة بعد أن كانت مبعثرة صحيفة هنا وصحيفة هناك ، أحاديث يحفظها هذا وأحاديث يحفظها ذاك . وهذا الجمع وهذا التدوين كثيرا ما تمنوه وكثيرا ما أملوه فبدأ جمع الصحف ونسخها وارسال النسخ الى الخليفة ومن لم يكتب فقد كتب . ومن عنده صحف نسخ منها ما يرسله الى الخليفة . والخليفة يرسل الى كل مصر دفترا ، وشهدت فترة خلافة عمر بن عبد العزيز ثم ما بعدها حركة علمية فى ميدان السنة أسفرت عن كتابة السنة وجمع كل ما كتب ـ وهو ما يعرف بالتدوين ـ ثم تبويب وتصنيف هذا الجمع من الحديث .

ومما يجدر التنبيه اليه أن فترة خلافة عمر ابن عبد العزيز لم تكن انطلاقا فى عالم التدوين فقط ، بل كانت مع ذلك انطلاقا فى عالم التحديث والرواية ، فأمر الأئمة أن يحبسوا مجالس التحديث فى المساجد ، فعن عكرمة قال : « سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقول : أما بعد فأمر أهل العلم

(١) سنن الدارمى ١/١٠٤ التقييد ص ١٠٦
(٢) ترجمتها فى التهذيب ١٢/٤٣٨
(٣) تقييد ص ١٠٥
(٤) جامع بيان العلم ١/٨٨
(٥) جامع بيان العلم ١/٩١

أن ينشروا العلم فى مساجدهم فان السنة كانت قد أميتت .

سمة التدوين والتصنيف فى هذه المرحلة

عند بدء العلماء فى التدوين دونوا حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقط ، اذ كان من كلام الخليفة اليهم : « ولا يقبل الا حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (١) .

فلما كان عصر التصنيف والذى لا يزال الى الآن ، أخذ أشكالا مختلفة بدأت بأنه ضم المرفوع والموقوف والمقطوع من الحديث فدون الأئمة أقوال الصحابة وأقوال التابعين مع حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما يتضح ذلك من موطأ الامام مالك وكانوا يؤلفون كل باب على حدة ، ومنهم من ألف فى كل الأبواب ، ومنهم من اقتصر على أبواب الأحكام فقط ، وظل الأمر على هذا ــ جمع أقوال الصحابة والتابعين مع حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى نهاية القرن الثانى (٢) .

السنة فى القرن الثالث

فلما كان القرن الثالث رأى بعض الأئمة أن يفرد حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاصة وهو ما يعرف بالمسند ، فصنف عبيد الله بن موسى العبسى الكوفى مسندا . وصنف مسدد بن مسرهد البصرى مسندا ، وصنف أسد بن موسى الأموى مسندا ، وصنف نعيم بن حماد الخزاعى عن نزيل مصر مسندا ، ثم اقتفى الأئمة بعد ذلك أثرهم . فما من امام من الحفاظ الا وصنف حديثه على المسانيد كالامام أحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه ، وعثمان بن أبى شيبة وغيرهم من النبلاء ، ومنهم من صنف على الأبواب وعلى المسانيد معا كأبى بكر بن أبى شيبة (٣) ، وظل البعض الآخر من الأئمة على طريقة التدوين على الأبواب وكثر التدوين فى هذه الفترة واتخذ نظما وأسماء مختلفة منها « السنن ، المصنف ، المعجم ، الجامع ، الأطراف ، المستدرك ، المستخرج (٤) .

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم .

١ ــ أخرجه البخارى ١٩٤/١ .
٢ ــ ٣ هدى السارى ص ٦

٤ ــ راجع فى ذلك الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة « للكتانى » .

مفتريات غربية ضد الاسلام

للدكتور مرعى مدكور

الدولة الاسلامية واضحة المعالم فى تعاملها مع غير المسلمين وغير العرب فهى تقوم على التسامح وعلى عدم الاكراه فى الدين غير أن المفترين فى أجهزة الاعلام من غير المسلمين أشاعوا ضد الاسلام افتراءات كثيرة خاصة فى البلاد غير الاسلامية حتى لا يدخل هذا الدين قلوب أهلها وبخاصة فى أفريقيا هذا فى الوقت الذى حرصوا فيه على تحسين صورة دينهم وليس هذا بجديد فالافتراءات ضد الاسلام ونبيه موجودة منذ قديم ·

ومن دعاواهم ان الاسلام قام على حد السيف ، وأنه أورث المسلمين التخلف وأنه دين العرب فقط ، وانه أبقى على الرق فى البلاد التى فتحها المسلمون ، وأنه لم ينتشر الا فى البلاد التى يقل مطرها عن عشر بوصات أى فى نطاق قوافل الابل

وقد اتجه هؤلاء المغرضون اتجاها خبيثا فحاولوا تشويه صورة الاسلام بتشجيع الحركات الخارجة على الاسلام والتى لا تمثله فى شىء ·

ومن هذه الحركات : القاديانية ، البابية ، البهائية وغير ذلك من اتجاهات تمثل اكبر عبء على الاسلام كما عمل المغرضون — الى التقليل من شأن المسلمين سواء على المستوى المعرفى أو الاستراتيجى أو حتى على المستوى الكمى · وعملوا على انكاء الفتن بين المسلمين وباعدوا بينهم ·

والأدهى والأمر من ذلك أن الاوربيين اتخذوا (المصادر) العربية لأغراض هجومية ضد العرب واثارة الرأى العام ضدهم فقد اتخذ أعداء الاسلام من القرآن مدخلا للتشويه تحت شعار ترجمة هذا الكتاب العظيم وبعد أن سرد السيد الباحث

مثالب أعداء الاسلام وافتراءاتهم رأى أن الحاجة ماسة الى يقظة الاعـــلام الاسلامى وفطنته لما حيك ويحاك ضد الاسلام وأن الحاجة تلح وتفرض اخراج (موسوعة اسلامية) موثقة تكون تحت يد كل متخصص وتضم كل شىء عـــن المعارف من وجهة نظر اسلامية لتصحيح ودحض وجهة النظر الغربية خاصة وأن دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف السوفيتية قد اكتظتا بالمغالطات وتضع بين يدى القارىء جزءا من البحث ٠

نموذج من المفتريات ضد الاسلام ٠

« ٠٠ فموسوعه : دائرة المعارف البريطانية Encyclopedia Britannica والتى تعد من أشهر دوائر المعارف العالمية ، حتى فى أحدث طبعاتها ، مليئة بالافتراءات على الاســلام وعلى رسولنا الكريم ، فهى تذكـــر : « أن القرآن الكريم يتألف أساسا من كلام محمد » و « أن المسلمين يعبدون محمـــدا » ٠٠ ! وخطورة هذه الموسوعة أنها معـروف عنهـا الدقة والعلمية ، وهذا يزيد من خطورة الأمر ويتطلب ذلك مخاطبة القـائمين على أمرهـا لاستقاء معلوماتهم عن الاسلام من المسلمين أنفسهم حتى لا تكون اعلاما مضادا للاسلام فى العالم كله (١) ٠

أما « دائرة المعارف الســوفيتية » (٢) : الطبعة الثانية ، المجلد ١٧ ، فقد جاء فيهـا من الصـفحات ٥١٦ ــ ٥١٩ عن الاســلام أنه : « شأنه شأن جميع الأديان يلعب دورا رجعيا ، اذ أصبح أداة فى أيدى الطبقـــات المستغلة لكبح الطبقة العاملة روحيا ، وقـــد نشأ الاسلام نتيجة لنمو مجتمـــع طبقى بين العرب ومن قيام مجتمـــع طبقى فى جـزيرة العرب ٠٠ « وتقـول نفس الموسـوعة عن القرآن ، فى المجلد الثانى عشر بالصــفحة ٥٦٤ : « القرآن : الكتاب المقدس الأساسى للمسلمين ، مجموعة من المواد الدينية المذهبية

١ ــ لم تقتصر الموسوعة البريطانية على تشويه دين المسلمين ، بل امتد هذا التشويه الى تاريخ المسلمين أيضا ، فذكرت فى المجلد الثامن عشـــر وعلى الصفحة ١١٤٨ ، عــن مــدينة الرملة الفلسطينية : الرملة مدينة اســرائيلية وهى تعنى بالعبرية (رمــلا) ، وان أغلب سكانها من اليهود الذين هاجروا من شمال افريقيا ومن آســـيا والاتحاد السوفيتى ومصر ، وأول من انشأ المدينة هو الفاتح العربى السلطان سليمان ١٧١٦ م ٠٠ فى حين أن التاريخ يذكر ان مدينــة الرملــة فلسطينية حتى احتلالهـا يوم ١١ أبريل ١٩٤٧ ، وان أول من أسس المدينة هــو الخليفه الاموى سليمان بن عبد الملك الذى كان خليفة للمسلمين من سنة ١٧١٥ حتى ١٧١٧م ٠٠

٢ ــ محمود عثمان ، **الفكر المادى الحديث** وموقف الاسلام منه (القــاهرة مكتبه الانجلو المصرية : ١٩٧٧) ص ٢٨٠ ٠

والأسطورية والقانونية ، وقد وضع القرآن وشرع خلال حكم ثالث الخلفاء العرب ، عثمان » (١) ، أما النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتقول عنه ، فى المجلد ٢٨ ص ٥٩٩ ، « أنه أعظم المرسلين وخاتمهم ، وهو عربى نشأ فى مكة ، وأبعد ما أمكن الوصول اليه مما كتب عن سيرة محمد كتب فى النصف الثانى من القرن الثامن ، كتبه جامع للأساطير نشأ فى المدينة يدعى ابن اسحق ويشمل هذا الكتاب قدرا من الأساطير والخرافات وفى كتب السيرة الأكثر حداثة طمست هذه الأساطير تماما صور محمد التاريخية ، وحتى يومنا هذا مازالت سيرة محمد تستند على المعلومات شبه الأسطورية الواردة فى القرآن » (٢) .

واستمرت الدعاوى المناهضة للاسلام فى العمل على تشويهه بكافة الوسائل خاصة فى البلاد غير الاسلامية .

فمن دعاوى هؤلاء أن الدين الاسلامى أبقى على الرق وأن المسلمين اتخذوا من البلاد التى فتحوها أرقاء لهم ، وروجوا لهذه المقولة فى أفريقيا خاصة ، وتجاهلوا أن الانجيل لم يرد به نص صريح يحرم الاسترقاق وأن « بولس » قد أوصى الأرقاء فى رسالته الى أهل « أفسس » بآسيا الصغرى أن يطيعوا أسيادهم كما يطيعوا السيد المسيح ، وجاء آباء الكنيسة فأقروا الاسترقاق ومنهم البابا جريجوريوس الأكبر .. فى حين أن الاسلام لم يرض عن هذا الوضع المهين ـ وكان الرق سائدا فى الجزيرة العربية وفى غيرها ـ فحصر مصدر الاسترقاق فى الحرب فقط ، بشرط أن تكون

حربا قانونية منظمة يسبقها الانذار والاشهار ، وأن تكون مع القوم الكافرين ، ثم أعلن الاسلام فى وضوح : أنه لا فضل لعربى على أعجمى أو أبيض على أسود الا بالتقوى » وعمل تضييق المسالك التى تؤدى الى الرق ـ الحرب فقط ـ وتوسيع المنافذ التى تؤدى الى الحرية ، ومنها : (٣) أنه جعل العتق كفارة لبعض ما يرتكب من الأخطاء والتقصير ، كما خصص الاسلام بعض مال الزكاة لعتق العبيد والاماء : « **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ** » وغير ذلك .. فى حين أن الذين يروجون أن الاسلام دين

الرق قد جعلوا افريقيا ساحة لجلب الرقيق منذ أن حلت البرتغال بالقارة وتبعتها أسبانيا وانجلترا والولايات المتحدة ، حتى ان الدولة الأخيرة ـ الولايات المتحدة ـ التى ترفع شعار « الحرية والمساواة » لم يلغ الرق بقانون فيها الا فى أبريل ١٨٦٥ (٤) .

---

١ ـ نفس المرجع السابق ، ص ٢٨١

٢ ـ نفس المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .. وانظر: الحسانى حسن عبدالله « تلك هى المسألة » مجلة (الثقافة) ، العدد التاسع ، يونيه ١٩٧٤م ص ٤٩ .. وانظر : لوتسكى ، تاريخ الاقطار العربية ، ترجمة عفيفة البستانى (موسكو ، معهد الاستشراق : بدون تاريخ) ص ٩٦ ..

٣ ـ جون هنريك كلارك وفينسنت هاردنج ، تجارة الرق والرقيق ، ترجمة مصطفى الشهابى ، سلسلة كتاب الهلال ، العدد ٣٦٢ ، فبراير ٩٨١ ، ص ١١

٤ ـ نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ ..

المستشرقون والوحي المحمدي

يهدف البحث الى مراجعة بعض المستشرقين فى «الوحى المحمدى» من خلال كتب ثلاثة هى ·

١ – تاريخ الادب العربى حتى نهاية العصر الاموى – المستشرق لم يذكر اسمه – ويهتم بما ورد فى فصلين فيه خاصين بالقرآن الكريم وبالحديث النبوى الشريف ·

٢ – دراسات قرآنية للمستشرق : جون وانتر بيرج ·

٣ – كلام الله والحديث النبوى فى العصر الاسلامى المبكر للمستشرق د/وليم جراهام والمراجعة لهذه الكتب الثلاثة تجرى على النمط الآتى :

(ا) سرد مفتريات المستشرقين على ما يتعلق بالقرآن الكريم من زعمهم أن القرآن ليس من عند الله وانما هو من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وايهامهم الناس أنه استقاه من مصادر أخرى ففى نظرهم أن قصة بدء الخلق أخذت من التوراة وان أساليب بعض آى القرآن نَحَتْ نحو سجع الكهان · وأن بعض التشريعات أخذت طابع الوصايا العشر الواردة فى العهد القديم ·· الخ ·· ذلك مما يهدف الى هدم أساس كتاب الله العظيم والتهوين من شانه ·

(ب) ذكر مقالاتهم فى الحديث الشريف وما تقولوا به على هذا الاثر العظيم من أنه من وضع أصحاب المذاهب والفرق بهدف تبرير الاحكام وتابيدها ، وأن تقسيمه الى قسمين حديث قدسى ، وحديث نبوى هو من عمل أصحاب المذاهب أيضا بهدف شدة الجذب والتأثير بالنوع الأول ·

ووضعا للأمور فى نصابها واحقاقا للحق والنصفة تصدى صاحب البحث لهذه المفتريات ورد كيد المغرضين الى نحورهم فى بحث علمى منهجى ينأى عن التعصب ويتحلى بحسن المناظرة وقد اخترنا من البحث الفصل الآتى ليظهر للقارىء قوة هذا الدين ومدى ما يدبرله وبالله التوفيق ·

للدكتور محمد عبد الرءوف

خلاصة أقوال المستشرقين في الحديث والرد عليهم

وخلاصة أقوال المستشرقين من جولد زيهر وشاخت وأضرابهما أن الاحاديث فى جملتها موضوعة ملفقة اخترعت لتبرير ما وصلت اليه المذاهب الاسلامية من أحكام والفرق من أفكار وآراء ،وفيما يبدو لى أن الغربيين الذين أولعوا بالدراسات الاسلامية - الا من عصمه الله منهم وفتح بصيرته على الحق - أرادوا أن يفرضوا على الاسلام ما حدث للكتب المقدسة الأخرى ، فكما استغرقت كتابتها مئات السنين فلم لا تكون النصوص الاسلامية المقدسة كذلك ؟ ففكروا وقدروا وخاضوا وخمنوا واتخذوا من حرية البحث وادعاء الموضوعية مبررا لمواقفهم وأحكامهم على تاريخ الفقه الاسلامى وتطوره .

وليت شعرى ، لو سلمنا بأن ابتكار الكثرة الغالبة من الأحاديث كن لتبرير الأحكام وتأييدها - كما يدعى المستشرقون - أفليس العكس ، وهو أن تكون الكثرة الحديثية صحيحة وكانت مصدرا للأحكام وسبقتها حيث تلقيت من الرسول وحفظت فى الصدور والسطور منتقلة من جيل الى جيل بالطرق التى فصلها المحدثون - أليس ذلك أمرا محتملا وممكنا كذلك ؟ فلم اذن نرجح الاحتمال الأولمع أنه هو الاحتمال الأبعد ومبنى على الحدس والتخمين ؟ لقد كان للنبى - صلى الله عليه وسلم - آلاف الصحابة وكلهم أحبوه أكثر مما كانوا يحبون أنفسهم ، وكل لقيه وسمع منه ، وفى أقوى الاحتمالات تحدث عنه وروى له ، وكان التابعون ومن تبعهم لا يقلون حبا لرسول الله أو تلهفا لسماع أخباره والعلم بأحواله وحفظ كلماته والحرص على اتباع سنته ، وباتساع الرقعة الاسلامية عقب وفاته عليه الصلاة والسلام وشموخ دولة الاسلام جدت•أمور ومسائل ومشاكل كان لابد من معالجتها والبت فيها على ضوء القرآن والسنة ، كما أدرك ذلك الأستاذ كولبسون نفسه ، وعليه فقد كانت هنالك دوافع قوية لرواية الحديث وحفظه ، من حب لرسول الله والحاجة الماسة للرجوع الى السنة لادراك أسرار القرآن وللتوصل الى ما تحتاجه الأمة من الأحكام .

ثم ان هذه الأجيال الاسلامية الأولى معروفة بورعها وتقواها وصلاحها وخشيتها من الله تعالى ، فكيف نسىء بهم الظن الى هذا المدى البعيد وننسب لهم الكذب حتى على الله ورسوله وعلى هذا النطاق الواسع ثقة بتخمينات جولد زيهر وخطرفة مريديه ؟ هذه الأجيال الأولى هى التى فتح الله عليها

فسيطرت دولتهم باسم الله على العالم شرقا وغربا فنشروا فى الأرض الأمن والعدل والسلم والرخاء والعلم والنور لآماد طويلة ، فكيف تسود جماعة كذابة مموهة تغش وتكذب على ربها ونبيه وتقوم على التلفيق والوضع ؟ ولقرون طويلة ؟ ولو كان الوضع — أى وضع الأحاديث واسعا على هذا النطاق بين المذاهب كلها بحيث يعرف أصحاب كل مذهب عن الآخرين أنهم يضعون أحاديث لا أصل لها ليروج كل مذهبه أو رأيه فلا شك أن يصبح الوضع عبثا ولا طائل تحته لتأييد رأى مذهب أو آخر .

ولقد سهرت هذه الأجيال الأولى من علماء المسلمين الزاهدين الليالى الطوال ، وتحملوا فى رحب أهوال الأسفار البعيدة ومخاطر الطريق والمشاق المضنية فى طلب العلم وتحصيله وتنقيحه ، وما كان طلب العلم فى تلك الأزمنة فى الأغلب وسيلة للرزق ولا تقاضى هؤلاء العلماء أجورا أو مكافات على تآليفهم وبحوثهم ، ولو كانوا فى جملتهم وضاعين كذابين ما كانت لهم هذه الروح الوثابة المشرقة والعزم الصارم فى صبر وتحمل لما لاقوا فى سبيل العلم من مشاق وحرمان ومتاعب .

على أنه اذا اتصل الاسناد وكان رواته ممن تنطبق عليهم الشروط المشددة لصحة الحديث فلم لا يدل ذلك على غلبة الظن بصحة الحديث ؟ أعنى متن الحديث مادام لا يتعارض مع نفسه ولا مع ما هو أشد ثبوتا منه ولا مع العقل ولا مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة وكان خاليا من الشذوذ والعلل الفادحة ؟ .

ومع كل ذلك هل تجاهل العلماء المسلمون الحاجة لتقييم النص واقتصروا — كما ادعى المستشرقون — على تقييم الاسناد وحده ؟ كلا ، انهم ما نهضوا لنقد الاسناد واحتلوا الجهد الجبار فى تقييم رجال الحديث وألفوا المراجع الطوال الا من أجل خدمة المتن ، وكان من العوامل التى شحذت الهمم لجمع الصحاح والمسانيد والسنن حرصهم على تمييز الغث من الثمين وذلك بتقييد الصحيح وما هو محتمل للصحة مما هو منكر أو مرفوض ، وهم الذين رفضوا الأحاديث التى فيها رأوا اشتبه بالزيغ أو الميول الطائفية وهم الذين حاولوا حصر الأحاديث الموضوعة حرصا على سلامة الأحاديث الصحيحة أو محتملة الصحة وذلك قبل ظهور جولد زيهر ولا منس ومرجلوموث وأضرابهم فى الميدان ، وهم الذين أصروا لقبول الحديث على سلامته من التعارض الداخلى والتعارض مع ما هو أقل منه صحة وثبوتا .

أما تعليل الدكتور كولسون لما حسبه ترددا من جانب علماء المسلمين للتعرض لنقد الحديث بأنهم كانوا ينظرون الى المتن نظرة تقديس بما أن مصدره فى اعتقادهم هو الوحى — فهو تخيل مرفوض ، لأن النص

لا يكتســب قدسـية وجـلالا مالم تثبت أو تترجح صحته على الأقـل ، وعليـه فـالمتن معرض للتشريح والنقد والتحليـل والرفض حتى تثبت صحته ، هذا اذا كـان ما ذكـره كولسون صحيحا من أن المسلمين يلبسـون متن الحديث هالة من القدسية بحيث يهـابون تعريضه للنقـد والتحليل ، ويظهر أن الدكتور كولسون لم يسمع بنقد بعض الأحاديث ـ أى متونها ـ مما ورد فى صحيح الامام البخارى نفسه فى السنوات الأخيرة ونشرت هـذه الانتقادات والردود عليها فى الصحف السيارة على نطاق واسع ولا أذكر أحدا ممن اعترض على الانتقادات الواردة احتج بقدسية هـذه النصوص بحيث لا يسوغ التعرض لها بالنقد العلمى النزيه ٠

أما ما زعمه الدكتور ويليام جراهام من أن النصوص الدينية الاسلامية كانت كلها مختلطة وينظر اليها نظرة واحدة متسـاوية فى العصر المبكر من تاريخ الاسلام حتى ستتلت المادة القرآنية وتبلورت منفصلة عن غيرها فى القرن الثالث أو بعده ثم بدأ الحديث القدسى يتميز عن القرآن ٠ منذ القرن السادس فانما ذلك خرافات تشـبه شـطحات جـون وانزبـرج وتتعارض مع الواقع التـاريخى الثـابت بالاجماع والتواتر اليقينى على أن القـرآن الكريم كله كان معروفا ومتلوا ومكررا مـن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وأمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وعـلى مسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقته الأجيال حفظا وتلاوة وكتـابة حتى يومنا هذا ، وصدق الله العظيم اذ يقـول : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » ٠

ويبدو أن هؤلاء القوم لا يعتمدون الا على المشاهد أو الملموس المحسـوس ، وبالتـالى يعتبرون بداية تاريخ كتاب بتاريخ كتابته التى تصـل الى أيـديهم ، ولا يلقـون بـالا لأهمية التلقى المباشر من الشيخ الموثوق بـه الذى يخشى الله الى مريده الذى يأتمنه ويثق به ، كمـا أنهم غافلون عن مبلغ قوة الذاكرة الخارقة لدى القرون الاسلامية الأولى الذين ماكانوا يعتمدون على مفكرات ولم تكن حياتهم تعانى ما يعانيه الناس فى العصور الحـاضرة من قلق وضوضاء وتقلبات وتغيرات سريعة ، فكانت أذهانهم صافية وذاكرتهم جد واعية ، وليعلم هؤلاء أن الاعتماد الشرعى فى تلقـى الكتاب الكريم انما هو على الطريق الشـفهى أولا وبالذات والمصـحف مساعد ومـذكر ، هكذا حفظ القرآن المجيد منذ العصور الأولى وسيحفظ الى يوم الميعاد ان شاء الله ، فـلا مجـال للتشكيك فى سلامته وكماله منذ العصر الاسلامى الأول كما هو على حاله اليوم ٠

على أننا اذا تأملنا بدقة فى تفاصـيل نقـد هؤلاء المستشرقين لوجدناها فى الأغلب ان لم تكن كلها واهية لا تعتمد على سند سليم ، بل نجدها أحيانا مدلسة تعتمد على بسـاطة ◄

أكثر القراء ، ولنضرب مثلا على ذلك بجدل الأستاذ جوسف شاخت ونقده للاسناد الذى يصفه علماؤنا بالسلسلة الذهبية ، فيعتمد شاخت فى نقده لهذا الاسناد على مقارنة تاريخى وفاة نافع الأستاذ ومالك الناقل عن نافع ، ثم يقفز من ذلك الى الحكم بأن مالكا ما كان له أن يتحمل الحديث عن نافع حتى مات نافع ، مع أن المعهود فى هذا الشأن هو مقارنة تاريخ ميلاد التلميذ بتاريخ وفاة أستاذه ، ولئن توفى نافع عام ١١٧ هـ فقد ولد مالك على الأكثر عام ٩٧ هـ ، والأرجح انه ولد عام ٩٣ بل قيل : انه ولد عام ٩٠ فالأرجح أن عمر مالك عند وفاة نافع كان أربعة وعشرين عاما بل قيل : انه كان سبعة وعشرين ، وعلى الأقل — وهو المرجوح — كان عمر مالك عشرين عاما عند وفاة نافع ، وكانا يسكنان بالمدينة المنورة ، وعليه فان زعم الأستاذ شاخت بأن مالكا لم يكن ليتحمل الحديث بعد — قول مرفوض ٠ وليت شعرى لو كانت هنالك رواية تحط من شأن الاسلام أو تخدش شخص نبيه الكريم رواها صبى معتوه دون سن الرشد لتشدق بها المستشرقون وبرروا سلامتها وصحتها ودافعوا عنها بأنها لو لم تكن صحيحة لما نفذت خلال صفوف المعارضين ولما عاشت الى عصرنا هذا

مرآة السيرة النبوية - بقية

الخلط والارتباك ، ويرى ان انتشار الاسلام وتغلبه على المسيحية بكل هذه السرعة لا يحتاج الى تفكير ، لأن أئمة اللاهوت فى أفريقية وفى الشام كانوا قد استبدلوا بديانة المسيح عقائد ميتافيزيقية معقدة لم تفهم لدى سواد الشعب ، ولم يروا سلاحا يحاربون به الفساد المستشرى — دينيا واجتماعيا — الا بتمجيد العزوبة والتسامى بالبكورة الى مرتبة الملائكة ، فجعلوا اعتزال العالم هو الطريق الى القداسة ٠ والقذارةصفة لطهارة الرهبنة، وكان الناس فى الواقع مشركين يعبدون الشهداء والقديسين والملائكة ٠٠ ومن الناحية الاجتماعية كان الأثرياء مترفين يشيع بينهم الفساد ٠ والطبقة الوسطى مرهقة بالضرائب وليس للأرقاء أمل فى حاضرهم ولا مستقبلهم ٠ فأزال الاسلام بعون من الله ذلك كله (٢) ٠

وأفاض تيلور أيضا بعد ذلك فى وصف تعاليم الاسلام ٠ وقضائها على الجهل والخرافة

---

(٢) انظر الاسلام فى القرن العشرين ص ٣٢ ط دار الهلال ٠

الى السـادة كتـاب مجلة الأزهر

نرجو الاحاطة بأن ادارة المجلة ليست لها خزانة خاصـة بها ، لذا ترجو ادارة المجلة السادة الأفاضل كتابها أن يتعاونوا معها فى تسلم مكافآتهم من خزانة الأزهر بادارة الأزهر فى الفترة من ٢٠ الى ٢٥ من كل شهر عربى ، واننا اذ نشكر لهم هذا التعاون لنرجو سيادتهم الحرص على ذلك حتى لا تتكبد المجلة ما تنوء به ٠

التصوير الفنى
للدعوة الاسلامية
فى صدر الإسلام

مقـــدمة :

للدعوة الاســلامية أدعيـــاء كثيرون يهرفـون بما لا يعرفون • زادهم من العلم ما طرق آذانهم مصادفة مـن أحاديث العامة فى مجالسهم •

الى جانب ما يسـتمعون اليه من جمل متناثرة فى الاذاعـة والتليفزيون فالدعوة الاسلامية بالنسبة اليهم بضاعة موقفهم منها موقف التاجر ينظر اليهـا بمنظار الربح والخسارة ومن ثم كثرت اللافتات الاسلامية وكثر حولها البغاة •

لقد كانت البعثة المحمدية الى ـجانب كونها حدثا دينيا ـ حدثا اجتماعيا وفكريا وسياسيا وأدبيا تتناول بالرعاية والتوجيه والتأثير كل مظاهر الحيـاة ، وانعكس كل ذلك على الأدب ، وبخاصة على الأدباء الذين حملوا لواء الدعوة •

وقد كان للأدب فى العصر الاسلامى أدوار ثلاثة •

كان فى أولاها استيعابا نفسيا أكثر منـه انتاجيا فنيـا •

وفى ثانيها كان اهتمامه بالتعبير البيـانى عن الاحساس الـدينى القرآنى والنبوى والخطابى •

وفى الطور الثالث أتاح الاسلام للشعر أن ينطلق فى حدود ما رسمه له بعد أن زوده بمآثر الاسلام •

ولقد تعددت أغراض الشعر فى العهد النبوى غير أن أبرز تلك الأغراض يتمثل فى موضوعات : العقيدة ، والجهاد ، والأخلاق ، والهجرة ، وحرب الردة • واليكم فصلا من هذا البحث :

للدكتور حسن الفاتح قريب الله

دور الإسلام في صياغة الأدب

وفي الطور الثالث من أطوار الحركة الأدبية أتاح الاسلام للشعر أن ينطلق في حدود ما رسمه له ، بعد أن زوده بزاد فكري ، وبقيم ومثل من بينها وحدة الاله والتقوى منه ، والخضوع المطلق له ، والتقيد التام بما جاء في كتابه ، والوفاء بالوعد والصبر في الشدائد والعدل المطلق مع من أحب أو كره ، والعفو عند المقدرة ، والعفة واخضاع المنافع الشخصية والقبلية لمنافع الدين ، وأوامره ، وعدم التفاخر والتكاثر وتجنب الكبر والعظمة والانصهار الكامل في بوتقة الدين كل ذلك انطلاقا من مثل هذه النصوص القرآنية والنبوية .

١ ــ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١) .

٢ ــ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (٢) .

٣ ــ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٣) .

٤ ــ الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) .

٥ ــ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ (٥) .

٦ ــ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (٦) .

(ب) / ١ ــ المؤمنون اخوة تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

٩

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧ .
(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٣) سورة المؤمنون الآيات ١ ــ ٥ .
(٤) سورة البقرة الآيات ١ ــ ٤ .
(٥) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .
(٦) سورة المؤمنون الآية ٩٦ ، سورة فصلت الآية ٣٤ .

٢ — ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى •

٣ — من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية ، أو يدعو الى عصبية أو ينصر عصبية ، فقتل ، قتل قتلة جاهلية •

أضف الى ما تقدم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قد أهدر دماء الجاهلية حتى لا تكون مطلبا دائما للثأر ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، بعد ما كان بين المكيين والمدنيين من عداء •

هذا واعتمادا على ماتقدم من أسس ، وبناء على استحسانه عليه الصلاة والسلام للشعر الخير (١) وبناء على الاذن الصريح منه للشعراء بالمنافحة عنه ، وعن رسالته اليهم (٢) بعد استثناء القرآن الكريم لبعضهم من زمرة الغاوين الذى ورد ذكرهم فى آية (**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**) (٣) — بعد كل ما تقدم **انطلق الشعراء يشيدون بالدين الاسلامى ويعبرون فى صور بيانية رائعة عن كنه دعوته ويثنون** فى أساليب بيانية رفيعة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته ، **ومقتفى أثره ، مجسدين المعانى السامية التى استقوها من كتاب الله ، وسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم ،** واضعين بذلك أنموذجا رفيعا لما يجب أن يكون عليه الشاعر فى المجتمع الاسلامى •

هذا وما ان المجتمعات لا تتبدل اخلاقها ، ويتغير سلوكها ونهجها بين يوم وليلة • فقد راعى عليه الصلاة والسلام الفترة الانتقالية التى يمر بها المجتمع من حالته التى كانت له فيها قيم ، ومثل وتاريخ ، الى حالة أخرى تغيرت عليه فيها الى حد كبير تلك المثل واختلفت القيم وتبدل تبعا لذلك التاريخ واختلفت النظرة لأهداف الحروب وغاياتها ووسائلها • كما راعى أيضا التدرج فى سير المجتمع نحو الغاية التى ينشدها له ، ومن ثم وجه شاعره حسان بن ثابت بأن يخاطب القوم بما يفهمون ويجاريهم بالسنان التى منها يخافون ، وحيث أن سلاح الهجاء بتجسيد الهنات كان أمضى الأسلحة ضدهم آنذاك فقد قال له عليه الصلاة السلام : اهجهم (**يعنى المشركين**) ومعك جبريل روح القدس ، وألق أبا بكر يعلمك تلك الهنات كما قال له أيضا ولعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك : **اهجوا قريشا فانه**

---

(١) العقد الفريد جـ ٣ صفحه ٣٨٠ فما بعدها •

(٢) يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما يمنع الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم • كما يروى أنه قال لحسان ابن ثابت : اهجم (يعنى قريشا) ، فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام ، اهجهم ومعك جبريل روح القدس ، والق أبا بكر بعلمك تلك الهنات (العمدة جـ١ صفحة ١٢) وراجع أيضا ترخيص الاسلام للمسلمين للدفاع عن أنفسهم بالاسلوب الشعرى فى كتاب العقد الفريد جـ ٣ صفحة ٣٩٥ فما بعدها •

(٣) سورة الشعراء الآية ٢٢٤ •

اشد عليها من رشق بالنبل (٤) ٠

ولما كان حسان قد أدرك ما يريده منه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد قال وأشفى فنال بذلك ثناء الرسول عليه الصلاة والسلام واعجاب الوفود (٥) ٠٠ بل ان الرسول عليه الصلاة والسلام زوجه اكراما له ، بسيرين أخت مارية القبطية أم ولده ابراهيم رضى الله عنه ، كما وهبه قصرا بالمدينة ، كان أبو طلحة قد وقفه على آل محمد (٦) صلى الله عليه وسلم ٠

لقد كان منهج حسان فى الشعر يقوم على بتر عدوه من الشجرة القرشية ، ويجعله فيها طائرا غريبا ، يلجأ اليها كعبد ، أو دعى : أو متبنى ، أو يجعله غصنا مريضا هشا ٠٠ ثم يعمد الى أطرافه غير القرشية فيسدد اليه السهام من خلالها ، كما يغرى أخلاق المشرك، وعرضه ، فيجعله موطنا للجهل واللؤم والبخل والجبن والفرار من ساحات الخلق مثل انقاذ الأحبة من وهدة الموت فى المعارك ٠ وكان أكثر ما يذكر من ذلك موقعة بدر وهزيمه قريش فيها (٧) ٠

بمثل هذا الشعر عبرت الحركة الاسلامية جسر المرحلة الانتقالية ، لتقيم ثم بناءها الشعرى ، على الأسس التى اختارها لها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ٠٠ وقد كانت هذه الحركة من الحزم والصلابة على الحق بحيث لم تسمح لأى فرد حتى لحسان نفسه بأن يعود الى الماضى بعد أن اجتازه ،

فيغزاه اعراض الناس بلسانه ٠ يروى ان حسان بن ثابت رضى الله عنه كان قد شارك بشعره فى الفتنة التى نشبت بين الانصار والقرشين فآلم ذلك خليفة المسلمين سيدنا عمر رضى الله عنه ، فمشى نحوه ، وأمسك باذنه يجره اليه ، وهو يقول : أرغاء كرغاء البعير (٨) ٠

الخلاصة :

نخلص مما تقدم ، بأن الاسلام لم ينزل الادب منزلة الترف أو اللهو وانما طوعه ليكون وسيلة من وسائل التماسك الاجتماعى ، الذى دعا اليه ، فخرج به عن مفهومه الجاهلى ، الى مفهوم اسلامى ، لم يكن للعربى به سابق عهد أو خبرة ٠

(٤) الحديث أخرجه الشيخان فى صحيحهما ، والطيالسى وأحمد فى مسنديهما ، والطبرانى فى المعجم الصغير ، ص ٢٢ ــ ٢٠٧ والخطيب فى تاريخه ، ١٤ ــ ٣١ من حديث البراء بن عازب بلفظ « اهج المشركين فان جبريل معك » وراجع دلائل الاعجاز للجرجانى صفحة ١٣ ٠

والاغانى جـ ٤ ص ٨ــ٩ طبع بولاق وسيره بن هشام ص ٩٣٤ ــ ٩٣٨ طبع أوروبا وتاريخ الطبرى جـ ١ ص ١٧١٠ والطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ٤٠ طبع بيروت ٠

(٥) عيون الاثر لابن سيد الناس جـ ٢ صفحة ٢٠٤ ــ ٢٠٥ ، وصحيح مسلم جـ ٧ صفحة ١٦٥

(٦) المجتمعات الاسلامية فى القرن الاول صفحة ٣٣٢ ٠

(٧) حنا الفاخورى : تاريخ الادب العربى صفحة ٢٣٢ ٠

(٨) الاغانى طبع دار الكتب جـ ٤ صفحة ١١٤ وفى العمدة صفحة ١٠ أرغاء كرغاء البكر ٠

التصوير الفني

على أن موقف الاسلام من الشعر كان قسيما لموقفه من فنون الأدب الأخرى من خطابه ورسائل ، وقصص ، وأمثال ، فقد أهدر الاسلام منها جميعا الجانب الأنانى ، والقبلى ، وسخرها لتكون وسيلة من وسائل نشر الدعوة الاسلامية ، والاعلام الداخلى ، والخارجى ، بفكر الاسلام وعقيدته وتشريعاته وأخلاقه •

بذلك رفع الاسلام قيمة الأدب بكل فنونه فجعله اطارا انسكبت فيه صور الفكرة الاسلامية ، ومادة عبرت به عن جوهرها الفكرى ومنازعها الوجدانية ومسالكها الخيرة ويكفى انه اذا ذكر الأدب فى العصر الاسلامى ، ذكرت معه كل قيم الاسلام الرفيعة ، التى مثلت للناس به ، وعرضت لهم بألفاظه ، وصورت أمامهم بأساليبه وسيقت نحوهم فى مسالكه الفنية الرائعة الباهرة •

هذا وقد أعقب طور اهتمام المسلمين بالشعر أطوارا فنية أخرى ، كان بعضها يعنى بترتيل القرآن ، وبموسيقى الشعر ، وتحسين أدائه عبر الأصوات المرددة له (١) مضافا الى ذلك ما ظهر فى العصور المتأخرة من النحت والنقش والرسم والتصوير • على أن الذى

يهمنا هنا أن نحدد فى جلاء بعض ألوان الشعر وأغراضه فى العصر الاسلامى الأول كما نشير فى ايجاز لمساهمات الشعراء فى المسيرة الأدبية الجديدة ، دون مراعاة لقلة ما أنتجوه أو كثرته ، اذ المهم عندنا الآن هو الروح الجديدة التى سادت مجتمع الشعراء ، والفن البيانى البديل ، الذى انتشر بينهم ، فأصبح بذلك أنموذجا أدبيا لغيرهم وتصويرا فنيا يقتفى نهجه سواهم •

(١) راجع ما جاء عن السماع مدحا وذما فى العقد الفريد ج ٤ صفحة ٩٠ فما بعدها •

التفسير الإعلامي
للسيرة النبوية

للدكتور عبد العزيز شرف

*** كانت السيرة النبوية ومازالت مصدر الهام للأعمال الأدبية والفنية على توالي العصور .**

وفي هذه الدراسة يتناول الباحث الأعمال التي تناولت السيرة النبوية في محاولة لاستقراء خصائص الشخصية الاسلامية كما تمثلها الوجدان الاسلامي وعبر عنها شعرا ونثرا .

في الأدب الفصيح وفي الأدب الشعبي على السواء .

ان الوجدان الاسلامي طالما لجأ الى السيرة النبوية ولاسيما في أوقات المحن ليؤكد على هذه الخصيصة الاسلامية في السيرة العطرة ذلك أن الملاحم الشعبية الباقية من الحضارة السمعية تطالعنا بسمة أصبحت جزءا لا يتجزأ من حرفة الشاعر الشعبي وهي أنه يبدأ حديثه أو شعره على آلته الموسيقية بالصلاة على النبي وهي ظاهرة لا تحتاج في تحليلها الى كثير من التأمل خاصة اذا عرفنا أن الصلاة على النبي تكون دائما بصفة مميزة هي نبي عربي أو سيد ولد عدنان وتفسيرها في ايجاز أن الوجدان الشعبي قد نزع الى التذكير بالعروة الوثقى بينه وبين هذا المثل الأعلى في الحياة الانسانية وهذه العروة الوثقى هي العروبة والاسلام .

والسيرة النبوية تمثل القاسم المشترك الأعظم بالنسبة للشخصية الاسلامية ذلك أن السيرة النبوية تمثل قيما حضارية مشتركة لها تأثيرها على السلوك الاجتماعي للشعوب الاسلامية المختلفة .

والى جانب ما تحققه السيرة النبوية من وظائف في تطهير النفوس وتهذيبها وما قامت به من تحرير للمجتمع العربي من الشوائب والمفاسد الى جانب هذا كله نجد الاسلام قد وضع الأسس للتاريخ المجيد للأمة الاسلامية وما تتمتع به من مقومات .

(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ ◄

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) •

(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) •

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) •

هذه الآيات واضحة الدلالة على أن الاسلام خلق هذه الأمة الاسلامية ورفع مكانتها بين الأمم وشرفها بهذه الرسالة السماوية وأعطاها من تراث العلم والمعرفة ما تستطيع أن تقف به بين الأمم مفاخرة معتزة وخلق الاسلام الأمة الاسلامية بتوحيد قبائلها وفض منازعاتها وتوحيد جهادها ورسم أهدافها لخير المسلمين وخير البشرية •

واذا كانت الشخصية العاقلة هى بوجه عام السمات النفسية والاجتماعية والحضارية لأمة ما ، وتتسم بثبات نسبى ويمكن عن طريقها التمييز بين هذه الأمة وغيرها من الأمم فان دراسة الأعمال الأدبية التى تناولت السيرة النبوية تطلعنا على عدد من خصائص الشخصية الاسلامية المثلى وهى تؤكد التكامل الانسانى فى صاحب السيرة — صلى الله عليه وسلم — ، من ذلك ما جاء فى كتاب الشفاء نفس المقدمة يقول المؤلف عن أوصاف — محمد صلى الله عليه وسلم •

ان خصال الجمال والكمال فى البشر نوعان ضرورى دنيوى اقتضته الحياة وضرورتها •

ومكتسب دينى وهو ما يرجو به فاعله القربى الى الله تعالى ثم هى على فئتين أيضا منها ما يخلص لأحد الوصفين وما يتمازج ويتداخل فأما الضرورى المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان فى حياته عليه الصلاة والسلام من كمال خلقه وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته من غذاء ونوم وملبس ومسكن •

وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق والفضائل الشرعية من الدين والعلم والحلم والرحمة وحسن الخلق والمعاشرة •

والى القارىء فصلا من البحث :

الصعوبات التى تواجه التفسير الاعلامى

على أن التفسير الاعلامى للسيرة العطرة ، يواجهه صعوبات خاصة ، ترجع الى أن المواقف التاريخية تكون على النقيض من المواقف التى لا يمكن التحكم فيها بصورة صناعية ،كما يحدث فى احدى العمليات أو أخذ المختبرات الكيميائية — ذلك أن المواقف التاريخية « لاتكرر نفسها بالضبط تماما بحيث تسمح بصياغة قوانين وصفية دقيقة يمكن بدلالتها تفسير أثر ما ، والتكهن به فى ثقة تامة فمن المحال علينا أن نعاين الأحداث التاريخية الماضية معاينة مباشرة ، ذلك أن ما قد حدث وما أدى الى حدوث تلك الأحداث لابد من استنتاجه من أشتات أدلة

وشواهد جزئية لا يمكن الاعتماد عليها فى كثير من الأحوال ، ومن المحال اجراء التجارب على السلوك البشرى ، الشامل على أى نطاق واسع أجل ان التجارب توضع موضع الاختبار كما يحدث فى نظام جديد للحكم ، أو أسلوب جديد من الفن ، ولكن ذلك لا يكاد يتم بأية حال تحت ظروف مقننه : تسمح بالتحليل الموضوعى للأسباب والنتائج بالمقارنة مع مجموعة ضابطه ، وان ما تتسم به الاحداث الثقافية من تنوع هائل وتعقد جسيم يجعل من العسير تمييز مافيها من تكرارات دقيقة • وتبدو الظاهرات الثقافية كأنما هى تغير سلوكها على الدوام ثم ان تغايرات مجهولة لا يمكن التنبؤ بها لا تفتأ على الدوام تقلب تنبؤاتنا رأسا على عقب •

ونظرا لقلة مالدينا من القوانين المفسرة الكافية ذهب بعض أصحاب النظريات من العلماء الى أن التفسير الكامل الوحيد لحادثة معينة هو الوصف الكامل لجميع الاحداث السابقة ، وهو أمر محال بطبيعة الحال وكثيرا ما حذرنا الفلاسفة من أن الحادثة أو الحالة لا يتم تفسيرها تماما بمحض تعقب تكوينها ، وخاصة عن طريق تتبع سلسلة مساعدة من الأحداث المؤدية الى الحادثة أو الحالة الراهنة •

واذا كان من المتفق عليه ان التفسيرات الكاملة والمؤكدة والنهائية « مستحيلة فى التاريخ كما هى مستحيلة فى العلم والفلسفة•

فان التفسيرات الجزئية والمؤقتة والاختبارية ليست مستحيلة وهى أشق فى نظريات التاريخ منها فى العلوم ، الدقيقة ومن ثم وجب ان تكون متواضعة فيما تدعيه من دعاوى ومع هذا القدر من التحذير تصبح الفروض التفسيرية ممكنة فيما يتعلق بالتاريخ الثقافى بما فى ذلك تاريخ الفنون ، قدر ما هى ممكنة فى المواطن الأخرى من العلوم الاختبارية ، حيث يمكن اختبارها شيئا فشيئا على ضوء المعطيات الاخبارية ثم تدعيمها أو اضعافها أو تصحيحها • ذلك أن تفسيرا صادقا وان يكن جزئيا — على حد تعبير توماس مونرو (١٣) — يعتبر خيرا من لا شىء اذا لم تعده خطأ وأنة كل التفسير وأنه التفسير الضرورى والواف •

والاسلام فى تجدده ، وانطلاقه ، وامتداده ليس الا تفسيرا حقيقيا للطبيعة المتجددة والطبيعة الممتدة فى الحياة ، فالله جل شأنه قد مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ، كما قال فى محكم آياته • والله لم يجعل الليل سرمدا ولم يجعل النهار سرمدا ولكن جعلهما موصولين امتدادا وانطلاقا الى أبد الآبدين ، ولو وقف الكون عند نهار دائم وحسب ، وليل دائم وحسب ، لكان ذلك جمودا لا تصح به الحياة ولا يصح عليه الأحياء •

والاسلام من طبيعته التجديد وليس من طبيعته الجمود ، وآية ذلك دعوته الى العلم وحثه عليه ، وقد أعلى الاسلام من شأن العلم ، ولم يساو بين عالم وغير عالم ، لأنه يريد للناس أو الانسانية أن يتجددوا مع الحياة ولا يقفوا بها عند حد معين •

ولعل ايراد بعض آيات من مادة (العلم) فى القرآن ليساند هذه القضية فالقرآن :

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) ويقول (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ويقول (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ) •

ويقول وزاده بسطة فى العلم ويقول (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

فالعلم متغير ، متجدد قابل للتطور والارتقاء ، وليس كذلك العبادات ومن هنا كانت دعوة الاسلام الى العلم لأنها دعوة الى التجدد فى الحياة •

وليس المقصود بالعلم هنا هو علم الدين كما فهمه بعض الجامدين من المسلمين وجاراهم فيه خبثاء المستشرقين ، والباحثين فى الاسلام من • أمثال (سيكار) الفرنسى الذى ملأ مجلة مراكش الكاثوليكية فى الثلاثينيات من هذا القرن بادعاءات وطعون فى الاسلام زعم فيها أن الاسلام لم يدع الى العلم بمفهومه العاملكنه دعا الى علم الدين ، وذلك ليجرد الاسلام من فضيلة الدعوة الى العلم مطلقا والحث عليه •• ونسى المسكين الحديث النبوى : (اطلبوا العلم ولو فى الصين) فلو كان العلم هنا دينيا ما دعا النبى الى طلبه فى الصين لأن أهلها من عباد الأوثان وهذا الحديث مما رواه العقيلى ، وابن عدى والبيهقى وابن عبد البر عن أنس •

والاسلام فى دعوته الى التجديد والانطلاق فى آفاق الكون ، والنظر فى ملكوت السموات والأرض وعدم الجمود عند حد معين — لم يجر على سنن غريب عليه وليس منه •• فهو فى ذاته مجدد مصلح منذ أن دعا النبى الى سبيل ربه •• وهو أبو التجديد ورائده •• وخاصة فى شئون التشريع ، فقد أتى على نظم الجاهلية وأدخل عليها من التجديد والاصلاح ما جعله حريا بأن يوصف بالتجديد لا بالجمود •

واذا كان علماء الاعلام يذهبون — ونحن معهم الى أن الانسان كان يعيش خبرته الكلية المتكاملة الشاملة قبل ظهور اللغة الحديثة بحروفها الصوتية وبعد ظهورها تفجرت الانطباعات الكلية والمدركات للأشياء الى أجزاء مجردة فان السيرة النبوية فى نشأتها قد ارتبطت بالحضارة السمعية واتخذت مظهر الرواية والتلقين وكان الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك يوجهان أسئلة تاريخية الى الراوية المؤرخ عروة بن الزبير الذى كان يجيب عنها وخاصة ما يتصل بالسيرة النبوية من أحاديث جمعها ، وبلغ من اهتمام الخليفة الاموى العادل عمر بن عبد العزيز بالسيرة انه أمر الراوية : عاصم بن عمر بن قتادة وهو أنصارى من المدينة — أن يجلس فى مسجد دمشق ليحدث الناس بالمغازى ، والسيرة النبوية ومناقب أصحابه ، وقد توفى هذا

الراوية فى سنة ١٢٠ هـ أو ١٢٩ هـ وتتسم الحضارة السمعية بالتكرار و « الاعادة » وكانت القصيدة أول ما عرفه العرب وغير العرب من وسائل الاعلام ، وكانت الأداة الوحيدة للتعبير عن رأى القبيلة فى العصر الجاهلى ، فلما جاء الاسلام لعبت قصائد الشاعر الاسلامى (حسان بن ثابت) دورها فى مناصرة صاحب الدعوة ، ثم فى عصر بنى أمية وجد ما يسمى بالشعر السياسى ، وعلى الشعراء السياسيين من أمثال جرير والفرزدق والأخطل ، والراعى وذى الرمة اعتمد خلفاء بنى أمية فى كثير من قضاياهم السياسية ، ثم فى العصر العباسى ظهرت عصبية من نوع آخر ، اسمها الشعوبية وحلت محل العصبية القبلية ، كما ظهرت فى العصر العباسى عصبيات من نوع ثالث هى العصبيات المذهبية .

ثم فى عهود الخلافة الفاطمية والسلطنة الأيوبية أو عهد المماليك وهى العهود التى شهدت الحروب الصليبية كان للشعر المكان الأول فى ميادين الاعلام والدعاية ، وبالشعر كما بالسيف نجح الفاطميون ، فى مصر وبالشعر كما بالسيف نجح صلاح الدين وأولاده فى محاربة الصليبيين وفى التغلب عليهم وطردهم من البلاد الاسلامية ، وبقيت للقصيدة الشعرية مكانتها ووظيفتها السياسية والاجتماعية الخيرة نسمع صوت الشاعر الى جانب صوت الصحفى .

ولقد كان لقصيدة حسان بن ثابت أثرها فى اعتراف « تميم » بأن محمدا عليه الصلاة والسلام موحى اليه وثانيا بهذا الدين الذى يدعو اليه .

والحق أن حسان كان آية من الآيات التى أيد الله بها رسوله — صلى الله عليه وسلم — فقد كان المشركون أهل لسن وفخر وهجاء وقد حاربوا الرسول بهذا السلاح ، فكان لابد له أن يعد لهم شاعرا سليط اللسان قوى البيان سريع العارضة ، وقد كان لمعسكر المسلمين شعراؤه ، ولابد أن يكون الكثير منهم قد تطلع لهذا الشرف السامى ، ولكن الرسول — عليه الصلاة والسلام — بثاقب نظره .

ندب حسان لهذا الثغر من ثغور الدعوة ، فحسان أنصارى ، والانصار قد نصروا رسول الله بسيوفهم ، فهم أجدر أن ينصروه بألسنتهم ، وهو من بنى النجار — ذؤابة الخزرج — وهو شاعر ناضج معروف المكانة ، وقد كمل رسول الله — صلى الله عليه وسلم ناحية النقص فى عدته الهجائية ، فعهد الى أبى بكر أن يحدثه حديث القوم وأيامهم واحسابهم ، وقد ظهر أثر ذلك كله فى شعر حسان ظهورا لم يخف على فطانة قريش ، فقالت بعد سماع حسان :

هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبى قحافة .

ولقد سر النبى — صلى الله عليه وسلم لهذا التوفيق الذى أصاب شاعره فكان يستنشده ويطيل الاستماع اليه ثم يقول

« لهذا أشد عليهم من وقع النبل وروى أنه قال « أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن (وأمرت حسان بن ثابت فشفى واستشفى .

وواضح من المواقف التى وقفها حسان وأمثاله انه كما كان للدعوة شعراؤها المؤمنون بها المنافحون عنها فلقد كان لها كذلك أعداؤها ممن أخذوا يكيدون لها شعرا مثل أمية ابن ابى الصلت ، وكعب بن الأشرف وعبد الله ابن الزبعرى والحارث بن هشام وغيرهم .

واذا كان لهؤلاء وأولئك مواقفهم الشعرية بعد فتح مكة ، فقد كان لهم قبل الفتح .

ففى موقعة بدر الكبرى — مثلا — حيث كان نصر المسلمين رائعا مؤزرا يقول حسان بن ثابت :

سرنا ، وساروا الى بدر لحينهم
لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم اسلمهم
ان الخبيث لمن والاه غرار
وقال : انى لكم جار فأوردهم
شر الموارد فيه الخزى والعار

ويمضى شعر المسلمين يسجل على قريش بغيها وبطرها الذى سجله القرآن من قبل ، فقال كعب ابن مالك :

عجبت لأمر الله والله قادر
على ما أراد ، ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشرا
بغوا ، وسبيل ، البغى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
من الناس ، حتى جمعهم متكاثر

وشاعر يهودى قد ملىء قلبه غيظا وحقدا على محمد — صلى الله عليه وسلم — ودعوته ، وقد رأى فى موقعة بدر سوءا عليه وعلى قومه ، وعلى دياره فى يثرب وما حولها فيذهب الى مكة مستنهضا قريشا مستثيرا ، ليأخذوا بثارات قتلاهم فى بدر فيقول :

طحنت رحى بدر لمصرع أهله
ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم
لا تبعدوا ان الملوك تصرع
نبئت ان الحارث بن هشامهم
فى الناس يبنى الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وانما
يحمى على الحسب الكريم الأروع

ومهما كان القول من جوانب شعراء المسلمين ، أو شعراء المشركين فقد كان لواء الشعر معقودا على حسان ، حيث كان يضرب بشعره فى مقاتل قريش ، ويحشد كل امكانياته البيانية فى اطار ايمانه المنيع العميق ، وحبه للرسول — صلى الله عليه وسلم — .

ويبدو أن حسان كان قد غطى كل أحداث عصر الرسول — صلى الله عليه وسلم — شعره بجانب ما نظم من مناقضات يرد بها على شعراء المشركين ، كما فعل فى رده على ابن الزبعرى او الأعشى بن زرارة التيمى حليف بنى نوافل بن عبد مناف ، فقد كان كلاهما يبكى على بدر ويتحسر على مقتل كبار رجالات قريش .

الكمبيوتر

حافظ عصرنا ودوره في تصنيف السنة ودراستها

للدكتور عبد العظيم الديب

تناول الباحث موضوعه — بعد مقدمة طيبة اشتملت على التحية والأمل — في ضوء الأفكار التالية

بذور المشروع وجذوره .

مشروعات أتت ثمارها .

فكرة عامة عن الجهاز .

امكانات الجهاز .

مراحل العمل .

قائمة كتب الرجال والعلل .

كتب السنة المشرفة .

ثمار وآمال .

الاجتهاد وشروطه .

محاذير وعقبات .

الخاتمة

ونقدم للقارىء فصلا من هذا البحث يعطى فكرة عن امكانات هذا الجهاز .

إمكانيات الجهاز

يقوم هذا الجهاز بوظيفتين خطيرتين : —

أولاهما : تخزين المعلومات بكميات هائلة في حيز ضيق ، والاحتفاظ بها في مأمن من كل خطر ، ثم تقديمها وقت الحاجة ، في دقة ، وسرعة وسهولة ويسر ، مع الاختيار منها حسب رغبة المتعامل معه .

ثانيهما : تحليل المعلومات ، وتصنيفها ، والاستنتاج منها ، وابداء الآراء — في أعقد الأمور وأخطرها بناء على الاستفادة بالمعلومات السابقة عنده .

وسنحاول أن نبين دوره في كل من الناحيتين ، في موضوعنا : —

أولا : من ناحية القدرة على الاستيعاب والتخزين : —

ان الاسطوانة الممغنطة الواحدة في حجم مجلد : جزء واحد من (فتح البارى) مثلا تسع خمسة وسبعين مليون حرف (٧٥٠٠٠٠٠٠) — فاذا قدرنا أن متوسط الكلمة خمسة حروف فمعنى ذلك أنها تسع ١٥٠٠٠٠٠٠ (خمسة عشر مليون كلمة) .

٥

ــ فاذا اعتبرنا متوسط سعة الصفحة الواحدة نحو ٥٠٠ (خمسمائة) كلمة بملاحظة أن الكتب القديمة تتكدس فيها الكلمات بصورة أكبر من الطبعات الحديثة فتكون سعة

$$\text{الاسطوانة} = \frac{١٥٠٠٠٠٠٠}{٥٠٠} = ٣٠٠٠٠$$

أى ٣٠٠٠٠ صفحة (ثلاثين ألف صفحة) .

ــ فاذا قدرنا أن متوسط المجلد الواحد ٥٠٠ صفحة (خمسمائة صفحة) فتكون سعة

$$\text{الاسطوانة} = \frac{٣٠٠٠٠}{٥٠٠} = ٦٠$$

مجلدا .

وهذه هى الاسطوانة المتاحة حاليا لدى مركز الكومبيوتر بالجامعة .

فاذا علمنا أن جهازا واحدا يمكن أن يلحق به أكثر من (صندوق) اسطوانة بحسب سعة المكان ، أدركنا أن جهازا فى حجرة معتادة ٣ × ٤ متر يمكن أن يسع خمس اسطوانات على خط واحد ، أى تكون جاهزة للتعامل معها والبحث فى محتوياتها فى وقت واحد .

واذا علمنا أن الاسطوانة منها أنواع تسع الواحدة ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ (ثلثمائة مليون حرف) بحسب نوع الصندوق الخاص بها .

اذا علمنا ذلك كان معناه أن هذا الجهاز قادر على استيعاب ٢٤٠ مجلدا (مائتين وأربعين مجلدا) فى اسطوانة واحدة ، فاذا أضيف اليه أربع وحدات تخزين أخرى ، كان قادرا على استيعاب ١٢٠٠ مجلد ، وقادراً على التعامل معها فى وقت واحد .

وفى تقدير تقريبى للكتب الواردة فى الرسالة المستطرفة فى كتب السنة المشرفة وجدتها نحو ألف كتاب (بتقدير أن فى كل صفحة نحو عشرة كتب) بعضها رسائل صغيرة ، وبعضها مجلدات كبار) .

معنى ذلك أن طاقة التخزين المستوعب المستقصى ميسورة مقدورة ان شاء الله .

تخزين المخطوطات بصورتها :

وهناك طريقة يمكن بها تخزين المخطوطات بصورتها بحيث يظهر النص على شاشة (الكومبيوتر) مصورا ، فيكون أسهل وأضبط ، وأسرع ، حيث لا نتكلف وقتا فى قراءة المخطوطة وفك عباراتها ، لأن ذلك سيكون عسيرا على الطابع حيث لا خبرة له فى هذا المجال . وهذا أمر سهل ميسور ، فهناك كثير من البنوك الآن تضع صورة توقيع العملاء فى الكومبيوتر ، وتستدعيها عند مراجعة التوقيع وتدقيقه .

وفى كثير من المراكز الصناعية الكبرى يوضع فى (الكومبيوتر) الرسوم والخرائط وتصميمات الأجهزة والآلات ، ومخططات تفصيلية للعلاقة بينها .

وسيكون وضع المخطوطات بصورتها أمام الباحثين ميسرا مقابلتها ومعرفة فروقها ، ومراجعتها على الأصل والمصادر التى اعتمد عليها المؤلف ، وبالتالى تصحيحها وتحقيقها .

وهنا يكون تخزين المخطوطات (بالعنوان) لا (بالمحتوى) بمعنى أننا نستدعى صفحاته

حسب الأرقام أو حسب عناوين الفهرس .

فاذا تم الضبط والتحقيق ، يمكن أن يعاد تخزينها على أساس المحتوى .

سرعة العطاء

هذه القدرة على التخزين والاستيعاب ، توازيها قدرة على العطاء والجواب ، فيستطيع الجهاز أن يعطى الاجابة بسرعة عجيبة تصل الى $\frac{1}{1000}$ من الثانية (جزء من ألف من الثانية) وذلك بظهورها على الشاشة .

القدرة على الطباعة

أما الاجابة المطبوعة (والتى يعتبرها مصممو هذه الأجهزة بطيئة) فقد نراها نحن أبعد من الخيال ، ذلك أن سرعة الآلة الطابعة الملحقة بالجهاز تعطى ١١٠٠ سطر (ألف ومائة سطر فى الدقيقة الواحدة) سعة كل سطر نحو ٢٥ كلمة ، وهذا القدر يوازى أكثر من عشرين صفحة بحجم الطباعة المعتادة ، أى أن الجهاز قادر على أن يعطينا مجلدا فى خمسمائة صفحة فيما بين ثلث ونصف ساعة .

الإجابة على البعد

ان هذا الجهاز قادر على الاجابة عن بعد بواسطة ترتيبات معينة تسمح بتوصيلة بالتليفون ، فيطلب صاحب التليفون ما يريد من معلومات ، فتتقدم له بنفس السرعة تقريبا ويحصل على ما يريد من بيانات أو احصاءات ومعلومات من مكانزها بدون واسطة ، وتصله حيث هو .

التحليل والتصنيف والاستنتاج

هذه هى الوظيفة الثانية التى يقوم بها الجهاز ، والتى ننتظرها منه فى مجال أبحاثنا ، ويقينى أن الجهاز قادر على أداء هذا الدور ، وليس هذا جموحا فى الأمل ، أو خيالا فى الطموح ، فالحقائق المؤكدة التى نراها أمامنا تشهد بذلك وتؤكده ، ويكفى أن نعرف أن هذا الجهاز يقود الطائرات ذات المهمات الخطيرة فى أعلى طبقات الجو ، ويحسب لكل ظرف حسابه ، فيوجه الطائرة ارتفاعا وانخفاضا ، ...... الخ .

بل ان الأعجب من ذلك قيادة مراكب الفضاء ، ومتابعتها ، وتوجيهها وتعديل مسارها ، بل واصلاح العطب بها ، حتى انه لتجرى عمليات نقل صمامات وتشغيل مفاتيح ، ولحام كسور ، ووصل أجزاء ، كل هذا بتوجيه من الكومبيوتر .

ولعل الجميع يوافقنى أن هذه الأعمال أشد تعقيدا ، وأصعب تنفيذا من الحكم على الحديث وبيان درجته ، بعد امتلاك كافة المعلومات والمصادر التى يبنى الحكم على أساسها .

وربما كان العائق الوحيد فى سبيل ذلك هو وجود المبرمج المختص المتمرس فى مثل هذه الأمور ، وفى هذا النوع من الدراسات .

الشورى فى

السنة والسيرة النبوية

فى بداية البحث يتعرض المؤلف الى مدى اهتمام القرآن الكريم بالشورى ، وكيف أن القرآن قد جعل الشورى أمرا واجبا ، ويستدل المؤلف بالآية الكريمة من سورة آل عمران بقول الحق سبحانه مخاطبا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ » .

ومن خلال قوله تعالى « وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ » .

ويرى أن ذكر صفة الشورى بالجملة الخبرية أبلغ فى الثبوت والوجوب ، ويقول المؤلف ان الله سبحانه وتعالى فى الآية قد حدد الصفة الأساسية التى تميز المؤمنين بقوله سبحانه : « وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ » .

ثم يكشف لنا عن سر اهتمام القرآن الكريم بالشورى ويرجعه الى أهمية صفة الشورى فى حياة الفرد وشئون الجماعة . ثم ينتقل الى أثر الشورى على الأمة الاسلامية مبينا أثرها فى الحكم وكيف أنها ضمان لاستقراره وأمنه وأنها تذكير للأمة بأنها صاحبة السلطان وتذكير لولى الأمر بأنه الوكيل فى ممارسة السلطة ثم يثير نقطة رئيسية فى بحثه ، هى مدى تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم للشورى كمبدأ أساسى تطبيقا كاملا فى مختلف الشئون العامة والخاصة ، وحرصه الشديد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الاستشارة فى كل صغيرة وكبيرة مما لم يرد بشأنها وحى السماء .

ويضرب الأمثال لتغلغل الشورى فى مختلف المناحى فى الصدر الأول ، فبالنسبة لشئونه صلى الله عليه وسلم أتى المؤلف بحادثة الافك مبينا كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم استشار على بن أبى طالب وأسامة بن زيد فى فراق أهله .

للدكتور عبد الحميد إسماعيل الانصاري

وعن شئون الرسول صلى الله عليه وسلم العامة والسنة العملية أورد المؤلف أمثلة كثيرة من الغزوات عرضها حسب ترتيبها بدأها بغزوة بدر فأحد والخندق ... الخ .

وعرض المؤلف مواقف الشورى فيها من الرسول وعدد مرات الشورى فى الغزوة الواحدة ، واذا كان للرسول مشاوراته فى الغزوات فان له فى غير الغزوات أمثلة تعرض لها مؤلف البحث ايضا واورد نماذج منها مشاوراته صلى الله عليه وسلم حول انشاء المنبر يوم خطب الى جذع شجرة فى المسجد يوم الهجرة ، وأيضا مسالة الآذان .

وبعد تطبيقات الشورى فى السنة العملية ، سواء فى الغزوات أم غيرها ينتقل المؤلف الى ايراد أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم — يبين بها أهمية الشورى والحث عليها ووجوب تمسك المسلمين بها ، وبها ينتهى البحث .

ونعرض نموذجا من البحث يتناول الشورى فى الشئون العامة فى بعض الغزوات . قال الباحث ..

وأما فى الشئون العامة فهى كثيرة ومن الأمثلة على ذلك مشاوراته — صلى الله عليه وسلم — فى الغزوات ونذكرها بالترتيب التالى : —

(١) غزوة بدر : فى السنة الثانية من الهجرة :

شاور الرسول — صلى الله عليه وسلم — أصحابه فى هذه الغزوة ، أربع مرات .

(أ) شاورهم — أولا — فى الخروج للعير ابتداء حين بلغه اقبال ابى سفيان ، فتكلم ابو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقام سعد بن عبادة فقال : أيانا تريد يارسول الله ؟ والذى نفسى بيده ، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها الى برك الغماد لفعلنا (٢) .

(ب) وشاورهم — ثانيا عندما خرجت قريش لتدافع عن عيرها .

اذ أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — لما وصل — الصفراء — وبلغه أن قريشا قصدت بدرا وأن أبا سفيان نجا بمن معه ، فاستشار الناس فقام أبو بكر فأحسن ، ثم

(١) فتح البارى ١٠ / ٨٣ ، ٨٣ و ٨ / ٤٤٦ وأحكام القرآن لابن العربى ١/ ٢٩٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١٢٤ ، ط دار الفكر بيروت ١٣٩٢ هـ .

قال عمر فأحسن ، ثم قام المقداد ، فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله به فنحن معك ، والله لا نقول كما قال قوم — اذهب أنت وربك فقاتلا — ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك (١) .

(د) وشاورهم فى المنزل يوم بدر :

فقد ثبت فى السير أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لأصحابه أشيروا على فى المنزل ، فقال الحباب بن المنذر لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — « أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ، فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال : فان هذا ليس بمنزل ، انطلق بنا الى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ماوراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون (٢) .

(د) وشاورهم فى أسارى بدر :

وكان المسلمون قد قتلوا من قريش سبعين وأسروا سبعين ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأبى بكر وعمر : ما ترون فى هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يانبى الله هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للاسلام . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قلت : لا والله يا رسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر ولكن أرى ان تمكننا فنضرب أعناقهم ، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكنى من فلان — نسيبا لعمر — فاضرب عنقه ، فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها .

فهوى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت (٣).

٢ — غزوة أحد (فى السنة الثالثة من الهجرة).

وسببها أن قريشا قدمت للانتقام مما حصل لها فى بدر . ونزلت ببطن الوادى من قبل أحد وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — قد رأى رؤيا ، فلما أصبح قال : رأيت البارحة فى

---

(١) فتح البارى ٨ / ٢٩٠ ووقع عند مسلم وغيره أن سعد بن معاذ هو الذى قال ما قاله المقداد ، ولكن المحفوظ ان الكلام المذكور للمقداد .. وأن سعد بن معاذ انما قال : « لو سرت بنا حتى نبلغ برك الغماد لسرنا معك » لان سعد بن معاذ لم يشهد بدرا ، وان كان يعد فيهم لكونه ممن ضرب له بسهمه . ويمكن الجمع بأن النبى صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين ، الاولى وهو فى المدينة ، وذلك بين فى رواية مسلم . والثانية بعد أن خرج كما فى هذه الرواية ، هذا ما ذكره الحافظ فى الفتح ، وراجع البداية والنهاية ٣ / ٢٦٢ ، وسنن البيهقى الكبرى ٧ / ١٠٩ .

(٢) احكام القرآن : ابن العربى ١ / ٢٩٩ وفى البداية والنهاية ٣/ ٢٩٦ روى ابن اسحاق عن رجال من بنى سلمة انهم ذكروا ان الحباب هو الذى اشار بالرأى ابتداء .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٦ / ٧٦ ، عون المعبود ٧ / ٣٥٤٥ ، تحفة الاحوذى ٧ / ٣٧ .

منامى بقرا تذبح ، والله خير وأبقى ، ورأيت سيفى ذا الفقار انقصم من عند طيته ــ أو قال به فلول ــ فكرهته ، وهما صبيتان ، ورأيت انى فى درع حصينة ، وأنى مردف كبشا ، قالوا : وما أولتها قال : أولت البقر بقرا يكون فينا ، وأولت الكبش كبش الكتيبة، وأولت الدرع الحصينة ، المدينة .

ولكن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع ذلك شاور أصحابه ، مبينا رأيه الخاص بالبقاء واذا دخل القوم أزقة المدينة قوتلوا ورموا من فوق البيوت . وان أقاموا خارجا أقاموا بشر مقام .

ولكن الاغلبية رأت الخروج لحجج متعددة منها شوقهم للقاء العدو ، وحتى لايقال عنهم انهم ضعفاء .

فلما صلى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الجمعة ، وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد والجهاد ، ثم دعا باللامة فلبسها ، وأذن فى الناس بالخروج .

فقال ذوو الرأى منهم : أمرنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن نمكث بالمدينة، وخشوا ان يكونوا استكرهوا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله : « ان شئت أن تقعد فاقعد ، فقال : ما ينبغى لنبى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، وقد دعوتكم الى هذا الحديث فأبيتم الا الخروج فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس اذا لقيتم العدو وخرج الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأصحابه (١) .

٣ ــ غزوة الخندق (فى السنة الخامسة من الهجرة) .

وقد استشار الرسول ــ صلى الله عليه وسلم أصحابه مرتين : ــ

(ا) عندما أشار سلمان الفارسى على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بحفر الخندق ، وقال : انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا (٢) .

(ب) شاروهم فى مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة :

فقد أرسل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى عيينة بن حصن وهو يومئذ رأس المشركين من غطفان ، يقول له : أرأيت أن جعلت لك ثلث ثمار الانصار ، أترجع بمن معك ، من غطفان ، وتخذل بين الأحزاب ؟

فأرسل اليه عيينة : ان جعلت لى الشطر فعلت . فأرسل النبى ــ صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يستشيرهما فقالا يا رسول الله ان كنت أمرت بشىء فامض لأمر الله . فقال : لو كنت أمرت بشىء لم استأمركما ولكن هذا رأى أعرضه عليكما . قالا : فانا لا نرى أن نعطيه الا السيف فقال : نعم اذن .

---

(١) فتح البارى ٨ / ٣٤٨ المصنف لعبدالرازق ٥ / ٣٦٤ ، تفسير ابن كثير ١ / ٣٩٩ ، البداية والنهاية ٣/ ١١ .

(٢) فتح البارى ٨ / ٣٩٥ .

وظيفة العقوبة

على ضوء أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية

فى ظلال السيرة العطرة ، وعلى هدى من السنة النبوية المطهرة .. وفى رحاب الأزهر الشريف .. فى ظلال الايمـان وروض الكنانة .. تلاقت القلوب فتعانقت الاهداف .. وتعلقت الابصار بالقاهرة .. أرهف العالم الأسماع .. لقد تجمع العلماء من كل البقـاع .. وفى المؤتمر الكبير .. فى مؤتمر السيرة والسنة الرابع لم تكن ترى الا العمل بحثا ، ودرسا ، تنقيبا ، وفحصا .. توضيحا للمعالم وتنبيها للعالم .. توضيحا وتنبيها وتذكيرا .

توضيحا لمعالم السيرة وتنبيها الى مكانة السـنة وتذكيرا بقـول الحـق سبحانه « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » التوبة ١٠٥ .

وها هو الدرب يبين .. والمعالم تتضح .. من خـلال ما قـدم للمؤتمر من أبحــاث .

ولعل أبرز معلم من معالم الحياة الحرة الكريمة تلك التى أرسى الرسـول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ قواعدها .. لعل أرسخ هذه القواعد وأبرزهـا ما أشار اليه الرئيس محمد حسنى مبارك فى كلمة الأفتتاح للمؤتمر : تطبيـق الشريعة الاسلامية عملا لا قولا .. تنفيذا لا شعارا .

وفى سبيل هذه الغاية النبيلة كان البحث المقدم من الاســتاذ الدكتور/ عبد الرحيم صدقى .

بعنوان : وظيفة العقوبة على ضوء أحكام القرآن الكريم والسنة النبـوية ويقع هذا البحث فى (٦٢) صفحة ، ويهدف الى : القاء الضوء على منطقية وعدالة العقاب فى الاسلام من خلال التعرض لوظيفة العقاب الدنيوى فى الحـدود الاسلامية ، وبيان مرونة العقاب فى هذه الحدود كما يعرض الاستاذ الباحث لبعض التأملات الفلسفية حول ذاتية العقوبة ومدى صلاحيتها لتحقيق غايتها أو صلتها بالغاية ، واستكمالا للموضوع عرج سيادته على التعزير للمصلحة العامة والتعزير

للدكتور عبد الرحيم صدقى

للمخالفات مبينا وظيفة كل وغايته ، وابان هذا العرض الفكر الجنائى فى الاسلام ان حدا أو تعزيرا لم يغفل سيادته أن ينوه عن التكفير مجيبا على سؤال مطروح : هل الحد يكفر الجرم أم لا ؟

تلك عجالة سريعة لموضوع له خطره وأهميته وحتى لايفوت القارىء الكريم الالمام بالتفاصيل نوجز أبرز الافكار التى قصد الاستاذ الباحث الى ابرازها والتأكيد عليها ومن ذلك :

ــ العقوبة لم تفرض لذاتها وانما فرضت لدرء مفسدة .

ــ حسن تطبيق الشريعة الاسلامية أدى الى تنفيذ السياسة التى يرمى اليها الشارع الحكيم .

ــ **أقسام العقوبات الثلاث** : الحدود ــ القصاص ــ التعزير : كل لا يتجزأ .

ــ اهتمام الفكر الجنائى الاسلامى بتضييق دائرة العقاب البدنى « المقدر » يعكس الاهتمام بالاصلاح والتهذيب ، وتحسين حالة المجتمع فى المستقبل وعدم الاقتصار على اقرار الواقع لذاته .

ــ لا يمكن للعقاب أن يحقق وظائفه وغايته بلا أصول ثابتة للمجتمع ، ومن ثم فان تفشى الفساد ، وتحكم الهوى والبعد عن المصلحة الجماعية يحكم على تنفيذ العقوبات بالفشل بل انها لتسىء الى الاسلام كما تضر بالمجتمع لأنها طبقت بعيدة عن مناخها .

وانطلاقا من هذه الأفكار يؤكد الباحث على أن العقوبات الاسلامية ليست غاية فى ذاتها بل هى محض وسيلة تهدف الى اسعاد البشرية وتحقيق العدل لاجتماعى ، وتقوم على احقاق الفضيلة العامة فى الرأى الحر والعدل الاجتماعى ، ومن ثم فان تطبيق العقاب فى مجتمع لا فضيلة فيه ولا أخلاق ولا رأيا حرا ولا عدلا اجتماعيا يعد ضربا من ضروب الظلم لا فائدة ترجى من ورائه .

تطبيق العقاب فى مجتمع هذا شأنه يسىء الى حقيقة الشريعة الاسلامية ذاتها ، فالشريعة الاسلامية تسير وفق المبدأ : « الوقاية خير من العلاج » ولا تلجأ الى العقاب الا بعد استنفاد طرق الوقاية التى فرضتها على المسلم كالصلاة والزكاة والصيام .. وعليه فان الباحث لا يتصور

وظيفة العقوبة على ضوء أحكام القرآن الكريم

تطبيق العقوبات الاسلامية فى مجتمع لايفرض الزكاة ولا يحاسب تارك الصلاة ويبيح الخمور ..

ومن ثم يوجب الباحث النظر الى الاسلام ككل لا يتجزأ .. ويرى ضرورة التطبيق للأحكام فى شتى المجالات من شخصية واجتماعية واقتصادية بل وسياسية الا أن سيادته يدعو لى التدرج فى التطبيق بدءا بالجنايات فى المرحلة الأولى وصولا الى الاصلاح الذى ينشده .

وعن وظيفة العقاب فى حد الزنا نرى الباحث يرد شدة العقاب فى جريمة الزنا الى أمرين :

١ — أنها تشكل تعديا صارخا على الحياء ، والحياء خلق الاسلام .

٢ — ارتكابها خفية وصعوبة ضبطها ما لم تكن فى مكان عام . وفى تنفيذ العقوبة جلدا أو رجما زجر للغير ، كما أن فى التغريب تطهير للجانى بابعاده عن مناخ الجريمة .

ويتساءل الكاتب : هل التكفير يعد غاية من غايات العقوبة فى حد الزنا ؟ .

وفى سبيل الاجابة على ذلك بين سيادته الفروق الجوهرية بين العقوبة والكفارة ، وبناء على هذه الفروق قرر أن تنفيذ عقوبة الزنا لا تعد من قبيل التكفير عن الذنب .. ثم قال : « على أن اعتراف الجانى فى جريمة الزنا يعد دليلا على توبته توبة نصوحا » .. وأضاف : ان غاية التكفير فى بداية الاسلام استهدفت أساسا معالجة بعض المشكلات الخطيرة كالرق ، كما استهدفت استقرار العبادات فى النفوس .

وعن مرونة العقاب فى حد الزنا أوضح الباحث أن من أبرز ملامح هذه المرونة امتداد المعالجة العقابية الى مرحلة التنفيذ ويتمثل ذلك فيما يلى :ــ

١ — فرار الجانى من ساحة التنفيذ يوقف تنفيذ العقوبة لأنه بمثابة الرجوع عن الاقرار .

٢ — عدم حضور الشهود واقعة تنفيذ العقوبة يوقف التنفيذ ، لأن حضور الشهود واقعة التنفيذ اشعار لهم بخطورة ما شهدوا عليه ، وعليهم أن يتحملوا وزر الشهادة .

ويختتم الباحث حديثه عن حد الزنا بالحديث عن ذاتية العقوبة ومدى صلاحيتها لتحقيق الغاية مقررا ما يلى :ــ

ــ المعاملة العقابية تتغير حسب طبيعة المجرم وآثار الجريمة الاجتماعية . فما يصلح عقابا لجريمة السرقة لا يصلح عقابا لجريمة الزنا ، **وعلى ضوء ذلك لا يجوز القياس بين الحدود .**

ــ مسايرة التطور تجيز امكانية تغيير وسيلة العقاب بالرجم بشرط ألا تمس كيفية تنفيذها .

وفى حديثه عن حد السرقة ركز على معانى الاصلاح فى حد السرقة والتى تمثلها فى :ــ

ــ أن عقاب السارق يتسم فى المقام الأول بالزجر ، والاسلام لم يترك الجانى بعد عقابه دون رعاية .

ــ الاسلام لا ينزل العقاب المحدد بالجانى فى حالة تفاهة القيمة المادية للمسروق وان عاقبه تعزيرا .

ـ اقرار العفو فى حالة رد المسروق قبل بلوغ الأمر للحاكم .

ـ قطع يد السارق علانية يؤدى بـه الى الابتعاد عن مكان الجريمة وبداية حيـاة جديدة .

ـ فى قطع يد السارق اشارة الى تحذير الغير منه وتبصيرهم به وزجرهم عن الجرم الذى عوقب عليه .

ـ عقوبة قطع اليد ذات غاية أساسية وهى استئصال العضو الذى مكن مـن الجـرم ، وفيه اقرار لرغبة الشريعة فى معاملة السارق بنقيض مقصوده .

وتظهر ملامح مرونة العقاب فى السرقة فى :

١ ـ أنها تولد حقا خاصا قبل رفع الدعوى فى حين أنها تعتبر حقا عاما بعد رفع الدعوى لولى الأمر .

٢ ـ الندب الى العفو عن الابلاغ قبل رفع الأمر الى الحاكم .

٣ ـ الأخـذ بظـرف الضرورة فالضرورة توقف تطبيق الحد .

٤ ـ ايقاف تطبيق الحد عندهروب الجانى بعد اعترافه فالهروب دليـل الرجـوع عـن الاقرار .

٥ ـ جواز العدول عن الاقرار ولو بعـد الحكم . فالفقه الاسـلامى عنى بتوخى الحقيقة العادلة قبل عقاب الجانى (فالشـك يفسر لمصلحة المتهم) كما أن الشريعـة تهتم بقيمة الشىء فى يد صاحبه لا قيمته فى يـد الجانى .

وعن وظيفة العقاب فى حـد القذف اكـد الباحث أن القذف فعل محدد الملامح واضح الألفاظ ، أما السـب فمتغير حسـب المكـان والزمان .. وعقاب حد القذف ليس بتكفـير عن ذنب والقصد منه حماية النسل ..

وأما عنأثر هذا الحد فىاصلاح الجانى فان ملامح الاصلاح تبدو فى : أن عقاب القـاذف يمنعه من العود بل ان القـاذف ولـو كـان صادقا يعزر حتى لا تشيع الفاحشة ، ومـن هذه الملامح : عدم الحد بالتعريض ، وعـدم خضوع الزوج عند قذفه زوجته لهذا الحـد بل يخضع لأحكام اللعان .

ولعل مرونة العقاب فى حد القذف تظهر فى :

١ ـ سهولة تنفيذه على الغنى والفقـير والشريف والوضيع .

٢ ـ اقرار عقاب تبعى آخر للقاذف يتمثل فى عدم قبول شهادته ما لم يتب .

٣ ـ مراعاة حالة الزوج المخدوع باقـرار حق اللعان له .

وتحت عنوان « ذاتية العقاب ومدى تعلقها فى غايتها يقرر الباحث ما يلى : ـ

ـ غاية العقاب فى حد القذف عدم اشاعة الفاحشة واقرار العفة والأخلاق فى المجتمع ، لذا لا يصح الصلح على مال .

ـ الفقه الجنائى الاسلامى يهتم بقـاعدة التناسب بين الجرم والعقاب كما يهتم بصفة المجنى عليه فى حد القذف .

أما عن وظيفة العقاب فى حد شرب الخمـر فقد بين الكاتب أن العقاب على شرب الخمـر يقوم على أساس النظرة الى آثار الجريمـة كمـا يدل على حرص الاسلام على سـلامة

وظيفة العقوبة على ضوء أحكام القرآن الكريم

البدن وصحة العقل ، ولقد كشف الطب الحديث صواب مسلك الاسلام فى تحريم الخمر اذ ثبت أنها تؤدى الى جوار مفاسدها الظاهرة — الى العقم ، وضعف النسل ، ومن ثم فان نظرة الاسلام لهذه الجريمة لا تقتصر على السكر البين فى الطريق العام •

ويضيف الكاتب :

ان حد شرب الخمر من الحدود الشرعية المحددة ولا يمكن اعتباره تعزيريا ، ذلك لأن جرائم التعزير قابلة للتغير أو التبديل أو الاباحة ، واعتبار هذا الحد تعزيريا قد يؤدى الى هذه النتيجة الشاذة وهى : اباحة شربها عبر الأزمان واختلاف المكان ••

كما يؤكد سيادته على أن العلم بحقيقة المادة المسكرة مع عدم الاكراه هو أساس العقاب فى حد شرب الخمر •

وأملا فى الاصلاح والصلاح وسيادة الأمن والأمان ينتقل بنا الباحث الى بيان وظيفة العقاب فى حد الحرابة متحدثا عن الاصلاح والردع فى هذا الحد قائلا :

الحرابة نقض لعهد الله مع العلم بفحواه ، وتعد من أخطر الجرائم بعد جريمة الردة ، اذ أنها تعنى الخروج عن نظام المجتمع الاسلامى •

لذا فان جانب الردع فيها يفوق جانب الاصلاح فى غالبية الأحوال ، ومن ثم اكتفى الاسلام بفكرة الاصلاح فى حالة واحدة وهى : حالة التوبة قبل القدرة على الجناة •

وعلى الرغم من غلبة جانب الردع على جانب الاصلاح فان هذه العقوبة لا تخلو من مرونة تتمثل فيما يلى : —

١ — تنوع العقوبة •

٢ — التدرج من الاصلاح للجانى الى الردع ، وفرق بين التدرج هنا وبين التدرج فى العقوبات التعزيرية ، اذ أن العقوبات التعزيرية تعتمد فى تنويعها على شخصية المجرم ، أما جرائم الحرابة فالعقوبات فيها لا تتغير عن الفعل الاجرامى الواحد من مجرم الى آخر •

وتحت عنوان « غاية التوبة فى حد الحرابة » بين الباحث أن الاسلام قد رفع العقوبة عن العائدين الى صفوف المجتمع قبل ضبطهم ، كما ذكر أن التوبة قبل القدرة على الجانى لا تحدث أثرها ولا تحقق فائدتها فى الاعفاء من العقاب الا اذا كان الجانى مبتدئا •

ولقد فرق الباحث بين القتل فى الحرابة ، والقتل قصاصا من عدة وجوه منها :

١ — عقاب القتل فى الحرابة يعتبر حقا عاما ، أما عقاب القتل قصاصا فيعتبر من قبيل الحق الخاص الا اذا وقع القتل غيلة •

٢ — عقاب القتل قصاصا يتطلب مباشرة الجانى للجريمة بنفسه بخلاف عقاب القتل فى الحرابة •

وفى حديثه عن الردة • يقول : ان العقاب الأخروى عن الردة هو الخلود فى النار ومن ثم فلا مجال لفكرة التكفير عن الذنب بالحد » وأضاف ••• ان عقوبة المرتد قد اتسمت بالاهتمام بعدم انزال العقاب الا لمن يثبت

عدم امكانية اصلاحه لاسيما بعد أن وضع الاسلام حكما خاصا بالاستتابة ، وتظهر أهمية الاستتابة فى القضاء على أسباب الارتداد ..

وبالتالى فان العقوبة على الردة ليست مقصودة لذاتها اذ تسبقها معالجة انسانية ..

فالاستتابة اجراء تحفظى من جانب الحاكم على المرتد .. أما التوبة قبل القدرة فى الحرابة فعمل ارادى ، وعلى هذا فان أولى درجات المعالجة الجنائية فى حد الردة تهتم باصلاح الجانى أخلاقيا ، وما الحبس فى فترة الاستتابة الا مجرد اجراء تحفظى على الجانى لمنعه من اثارة الفتنة ، ومن ثم فانه لا يعد عقابا جنائيا .. فاذا ما فشل هذا التدبير الاجتماعى فلا مفر من البتر (الاعدام) .

ويمضى بنا الباحث لتأكيد أن وظيفة العقاب فى الحدود تعنى الاصلاح قبل العقاب .. فيبرز اهتمام الاسلام بالاصلاح قبل العقاب فى القصاص وذلك بذكره لأهم ملامح الاصلاح فى حد القصاص التى تتجلى فى :

١ ــ وضع الأحكام العملية التى تحقق عدم وقوع الجريمة كعدم توريث القاتل .

٢ ــ تقدير الدية بمبلغ لا يستهان به .
٣ ــ مراعاة القصد الجنائى للجانى .

٤ ــ عدم محاسبة الجانى الحدث .
٥ ــ ترك زمام الأمور بيد المجنى عليه أو أهليته .

كما بين الباحث أن قتل العمد كبيرة ولا مناص فيه كسائر الكبائر .

وأضاف اذا كانت مرونة العقاب سمة من سمات العدالة فان عدالة الاسلام قد تحققت بتحقق المرونة فى حد القصاص وتظهر هذه المرونة فى :

١ ــ التفرقة بين القتل العمد وغير العمد .
٢ ــ قيام العقاب على فكرة الاشتقاق من نفس الجريمة .
٣ ــ تنوع المعاملة العقابية بين : قود ، ودية ، وعفو .

وفى الختام عقد الباحث مقارنة بين التعزير على المخالفة والتعزير للمصلحة العامة . وذلك بهدف توضيح موقع التعزير للمصلحة العامة من نظرية التعزير وفى هذا المجال قرر الباحث أن المعيار فى التعزير للمصلحة العامة : حفظ النظام الاجتماعى والأمن العام .. وأكد المؤلف أن التعزير للمصلحة العامة محدد بوصفه لا بعينه .

ومن ثم فهو محض استثناء على خلاف الأصل والاستثناء لا يتوسع فيه ولا يقاس عليه .

وبعد ..

فمعذرة لو أطلنا فى العرض أو أعرضنا عن بعض نقاط البحث . تلك التى نكون قد تركناها لمن شاء الرجوع الى أصول البحث هذا وبالله التوفيق ...

الإسلام .. والعلم

قال سبحانه وتعالى :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ » .

صدق الله العظيم

تقـــديم :

ان ديننا الحنيف وهو دين الانسانية بأثرها الحريص على خيرها واسعادها ورفعة شأنها قد دعا الناس بعد الايمان بالله تعالى وبرسوله محمد صلى اللــــه عليه وسلم الى أن يكونوا ايجابيين فى الحياة بالعلم والعمـــل والابتكار حتى لا يتخلفوا عن التقدم العلمى والحضارى .

قال تعالى « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ »

وقدنوه القرآن الكريم بشأن العلماء ومالهم عند الله من منزلة رفيعة فقال تعالى « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »

للشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح

وقال صلى الله عليه وسلم «من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم».

وللعلماء العاملين فى الاسلام منزلة تلى منزلة الأنبياء. قال صلى الله عليه وسلم «العلماء ورثة الأنبياء» رواه أبو داود والترمذى.

والقرآن الكريم يقرر لنا ويوضح أن الله تبارك وتعالى: ميز آدم عليه السلام على الملائكة بالعلم قال تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

ويلاحظ من نصوص القرآن الكريم وأكثر نصوص السنة النبوية أن العلم يشمل كل علم نافع مفيد للأمة فى شئون الدين والدنيا. قال تعالى «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ».

ولم يجعل الاسلام العلم حكرا على طبقة أو طائفة أو فئة من الناس وانما جاء عاما وشاملا وداعيا الجميع الى العلم والمعرفة والتأمل والنظر فى الكون.

قال تعالى «أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ. وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ. رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ».

ولقد سار المسلمون الأولون على هذا الطريق درسوا واجتهدوا فسادوا وتقدموا وأنشأوا حضارات رائعة أثرت فى حياة الانسانية كلها.

ومن أشهر علماء العرب بعد الاسلام: الحسن بن الهيثم فى علم الضوء وجابر بن حيان فى علم الكيمياء والخرازمى فى الرياضة والكندى فى الفلسفة والرياضيات والجاحظ

الإسلام .. والعلم

فى الحيوان والنبات وابو بكر الرازى فى الطب والخازن فى الميكانيكا .

وقد اشتمل البحث عن معلومات قيمة ومفيدة جمعت بين العلم القديم وبعض معلومات عن عصرنا الحاضر نختار منها للنشر فصل الاسلام « دين ودولة » .

الإسلام دين ودولة

ان الاسلام : ليس عقيدة دينية فقط ، ولا نظاما أخلاقيا فحسب ، بل هو دين ودولة : بكل ما تتسع له كلمة « دولة » من معنى ومدلول ، انه الشريعة التى أنزلت على معلم الانسانية ، ومنقذ البشرية : سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — ليقيم بناء عالميا انسانيا ، يسهم فى مد العالم : باشعاعات تضىء له الطريق : الى الخير والحق والهداية ، فهو دين عالمى ، لأن فى رسالته من التشريع العام والخاص : ما يجعلها صالحة للانسانية كلها : على مر العصور والأدهار .. يقول المفكر الانجليزى « جورج برناردشو » : « لقد وضعت دين محمد دائما : موضع التقدير والاجلال ، فانه أفضل دين متطور ، قادر على هضم جميع الديانات ، وهو الدين الوحيد : الذى ساوى بين الناس ، واننى أرى كثيرا من بنى وطنى : يدخلون فى هذا الدين ، وأرى أوربا داخلة فى هذا الدين ، شاءت أو لم تشأ ، فما أحوج العالم اليوم الى رجل فى مثل شخصية محمد ﷺ ، لينقذه من الحرب ويفديه بالايمان ، ويحييه بالعمل ، ويتبدل خوفه بالأمن ، ولا يفرق بين الأبيض والأسود ، ويجعل الفرصة المتكافئة : أساسا للحياة ، حقا انها كلمة انصاف ، بعيدة كل البعد عن التعصب الممقوت ، أو المجاملة المكشوفة .

انه ليس هناك شىء لله وآخر للناس ، ولو كانوا عظماء ، لأن الكون كله لله ، والاسلام بطبيعته : يجعل الحياة كلها : متجهة نحو خالقها : فى اتباع هديه ، وابتغاء رضوانه ومثوبته ، والحياة الاجتماعية : كالحياة الفردية : تقوم على الهدى الالهى ، فى كافة أنظمتها ، لتسير على النهج الأقوم نحو الحياة الأفضل (١) .

وقد أدرك الغرب : ما للاسلام من قوة خارقة ، اذا ما حمله رجال مخلصون : يؤدون دور الاسلام ، بأمانة واخلاص .. وقد عبر عن هذا « باول شمتز » بقوله و « سيعيد التاريخ نفسه ، مبتدئا من الشرق ، عودا على بدء : من المنطقة التى قامت فيها : القوة العالمية الاسلامية فى الصدر الأول للاسلام ، وستظهر هذه القوة وجودها : اذا ما أدرك المسلمون : كيفية استخدامها ، والاستفادة منها ، وستقلب موازين القوى كلها ، لأنها قامت على أسس : لا تتوافر فى غيرها : من تيارات القوى العالمية » .. ويشيد بهذه القوة : : المفكر الانجليزى « جورج برناردشو » فيقول : « لا يساورنى أدنى

---

١ — ومض شبهات ومفتريات حول الاسلام .

شك : فى أن الحضارة التى يرتبط أجزاؤها برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا ، وتحمل فى طياتها : عقيدة مثل الاسلام : لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب ، بل ستكون أيضا : خطرا على أعدائه •• من الممكن أن يعارض المرء فى هذا الرأى : بأن الاسلام فقد سيطرته : على بعض الأشياء المادية ، وخاصة ما يتصل بالحروب ، فهو لم يلحق بالتقدم التكنولوجى الحديث •• لا أستطيع أن أدرك : لماذا لم يعوض الشرق الاسلامى : مافاته فى هذا الميدان ؟ فلا تحتاج علوم الهندسة الحديثة : الى طبيعة عقلية خاصة ، بل يتطلب الالمام بها والتفوق فيها : الى الخبرة وتوجيه الخبراء •• ومن الأمور المؤكدة : أنه غالبا ما يحدث : أن تكون حضارة ذات منزلة عالية فى التقدم التكنولوجى : أقل درجة من حضارة أخرى لم يبلغ بعد تطورها : فى هذا المجال : ما بلغته الأولى •• » الى أن قال : « لماذا لا يتعلم العالم الاسلامى : ما تعلمناه فى مجال التكنولوجيا •• وفى مقابل هذا : سيكون من الصعب علينا : استعادة التعاليم الروحية ، وهى من العوامل الأساسية لوحدة أوربية : التى فقدتها المسيحية ، بينما لم يزل الاسلام يحافظ عليها » (١) •

ويقول « اللورد : هيدلى » : « من عدة سنين خلت : كان أحد أفكارى الرئيسية : هو كيف يمكن للاسلام : أن يتغرب ؟ يصبح غربيا ، حتى يمارس فى الأمم الغربية ، وبعبارة أخرى : كيف يمكننا نحن معشر الغربيين : أن نعد أنفسنا ونفقه معنى الاسلام (٢) •

وهذا يعتبر بلا شك : اعترافا صريحا من اللورد « هيدلى » بصلاحية الاسلام ، واقتناعا تاما منه بما جاء فيه : من نظم وقوانين ، ومبادىء وتعاليم •• وأن الغرب أحوج ما يكون الى فهمها ، وتطبيقها عمليا ، ولا يكون ذلك : الا بأحد أمرين :

١ ـ اما بأن يتغرب الاسلام ، بمعنى أنه يترجم الى لغة الغرب : ترجمة سليمة صحيحة عن طريق المتخصصين فيه •

٢ ـ واما بأن الغربيين : يعدون أنفسهم لفهمه : عن طريق تعلم اللغة العربية ، حتى يتذوقوا حلاوته ، ويتشبعوا بما فيه : من حكم وآداب وتوجيهات رشيدة ، تدفع بهم الى حياة العزة والكرامة •

وعندما يتحد المسلمون : وهم لا يقلون عن ألف مليون مسلم ، ويرجعون الى دينهم ، ويطبقون شريعة الله ، ويستمدون العون من ربهم ، فانهم حينئذ سيقومون بواجبهم ، ويحررون بلادهم وشعوبهم ، وعندئذ يعتز الاسلام وينتصر ، وتعلو فى الأرض كلمة الله •

◄

١ ـ الاسلام قوة الغد صفحة : ٣٢٣ . ٢ ـ ايقاظ الغرب للاسلام .

الإسلام .. والعلم

عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا دبر : الا دخلت كلمة الاسلام : يعز عزيزا ، ويذل ذليلا ، أما الذين يعزهم الله : فيجعلهم من أهلها ، وأما الذين يذلهم : فيدينون لها » .

وفى رواية أخرى قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الدين : سيبلغ مابلغ الليل والنهار » .. وهذا التعبير صريح فى أن الاسلام : سيأتى عليه وقت يسود فيه العالم بأسره ، ويشع نوره فى كل بيت .. وصدق الله اذ يقول : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيد أرسل الله رسوله محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ : بالعلم النافع والعمل الصالح ، فان الشريعة الاسلامية : تشتمل على شيئين : علم وعمل ، ليظهر هذا الدين القويم : على أهل جميع الأديان : من سائر أهل الأرض : من عرب وعجم ، وملبيين ومشركين .

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة " بقية "

وكان لا يطمع أن يجد فى كتب الأحبار والرهبان الحقيقة التى ينشدها بل يفتش عنها فى هذا الكون الفسيح ، وفى السماء ونجومها وشمسها وقمرها وفى الصحراء وقيظها وبردها ، وفى السماء صفوها وكدرها .. والنجوم تتلألأ بالليل فى ضوء درى ، والشمس تسطع بالنهار بلهيب محرق والكواكب معلقة فى الهواء بقدرة جبارة .

لحظات تأمل لاستكشاف الحقيقة ومعرفة أسرار الوجود فتسمو نفسه وتصفو ليتصل بهذا الكون ويخترق الحجب الى مكنون سره..

ثم يعود بعد رمضان الى بيته وزوجه وأسرته ، وكان كلما تكرر ذهابه للغار عاما بعد عام يزداد نضجا وتزداد نفسه أملا فى أن يهتدى وأن يصل الى شىء يهدى نفسه الحائرة .

ولقد بدأ يرى الرؤيا الصادقة التى هى كنور الصبح فى وضوحها وتحققها فآمن بأن قومه قد ضلوا سواء السبيل ، وأنه قد آن الأوان لأن يسود العدل وينير مسارب الظلام.

البعثة المحمدية

ثم فاجاه الملك جبريل فى الغار بقوله تعالى « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ » وانصرف الملك عنه بعد أن نفثت فى صدره .. وتتابع بعد ذلك الوحى ونزول القرآن الكريم وصار محمد رسولا من رب العالمين .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

صلى الله عليه وسلم

محمد
الرسول القدوة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر
بمناسبة مولد الرسول - صلى الله عليه وسلم

كلمة فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمناسبة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

فى ذكرى مولد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم نستذكر قول الله فى شأنه فى القرآن :

« يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٠ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا » ٠

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٠٠ »

وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا » ٠

« قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » ٠٠

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » ٠٠

« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » ٠

فى ذكرى مولد الرسول نذكر بكتاب الله الذى أنزل عليه والذى قال الله فى شأنه :
« إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا » ٠

فى ذكرى مولد الرسول ينبغى أن نقتدى به فى خلقه ، وفى ايمانه وعبادته وفى حبه لله وللمؤمنين امتثالا لقول ربنا :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » .

ينبغى أن نقتدى برسول الله فى سياسة الدين وسياسة الدنيا :

كيف واجه الصعاب ، وتغلب عليها ، كيف صابر وثابر حتى بلغ رسالته ، فتحول قومه من فرقة وتعصب وتفاخر بالأموال والأولاد الى أمة واحدة تنتسب الى الاسلام ، وتؤمن به ، وتقيم أوامره ، وتجتنب ما نهى الله عنه ، فأقام دولة وأحيا أمة فى زمن قصير — ثلاثة وعشرين عاما — لم ييأس ولم يبتئس بماووجهت به دعوته من نفورقومه به وايذائهم وحربهم اياه ، وانما فكر وقدر لكل أمر عدته وعتاده وكان حكيما فىدعوته ، حليما فىارشاده وهدايته ، يعتمد على الاقناع فى الردع عن المعاصى ، وكان الزجر عنها الوسيلة الأخيرة عند الاصرار عليها . جاءه أحد شباب المسلمين يستأذنه فى الزنا فبماذا أجابه : ؟ هل سبه وشتمه ، أو صفعه وقذفه . لا . لم يكن هذا خلقه ولا طريقه وانما كانت خطته تلك التى وضعها الله فى قوله :

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ » .

لقد دعا الشاب الى الجلوس بجواره ليحميه من ثورة من حوله ، ممن استمعوا الى قوله . ثم حاوره : أترضى الزنا لأمك ؟ فقال الشاب . لا : فقال الرسول وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم . أترضاه لأختك ؟ . فقال : لا . فقال الرسول : وكذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم . ومازال الرسول يعرض عليه قرابته من النساء ويقول له أترضى لهن الزنا ؟ وهو يقول : لا حتى أقنعه بأن ما طلبه اثم كبير فى حق المجتمع وكما لا يرضاه لنساء أسرته فان أحدا من الناس لايرضاه كذلك لنسائه . وانصرف الشاب تائبا عما نوى راغبا فى العفة مؤمنا بأن عرض الناس عرضه .

فى ذكرى مولد الرسول نذكر كيف عالج وواجه عسر المال ، وضيق الحال وارتفاع الأسعار هل كانت المواجهة بمزيد من السرف والاسراف والانفاق والاتلاف والاستدانة ؟. لا : انه — صلى الله عليه وسلم — واجه العسر بتدبير موارده ، وبالوقوف عند المقدور عليه ، دون المزيد مما فى أيدى الناس : فقال : « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » . متبعا ما أوصى به القرآن :

« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا » .

« وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا » ..

نذكر فى ميلاد الرسول كيف كان حريصا على العلم والتعليم ، حيث جعله تبعة ومسئولية ، ولم يجعل العلم من الكماليات ،

فأوجب على العالم أن ينشر علمه وأن ييسره لغيره فقال ــ صلى الله عليه وسلم :

« ويل للعالم من الجاهل حيث لم يعلمه »

فلولا أن السعي بالعلم الى مستحقيه من الواجبات ما كان الويل للعالم أن ترك التعليم ، فالمؤاخذة انما تكون على ترك الواجب لا على اعمال التطوع .

ومن هنا كانت تبعة تربية الأولاد فى كل جوانب الحياة تقع أولاً على الآباء ذلك قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« وحق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه الا طيبا » . وقوله : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

فبذل الجهد للتربية قصدا الى اشباع الجوانب النفسية لدى الأولاد ونمائها حتى يشبوا على المودة وحسن المعاشرة ، والقدوة الحسنة فى التعامل أمر محمود بل مفروض ، واولى من الانصراف عن هذه المهمة الى جمع المال والممتلكات وتكديسها تركة زائلة اذا لم يحسن الاولاد استثمارها والانتفاع بها .

ذلك توجيه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ــ

« ما نحل » اعطى « والد ولدا أفضل من أدب حسن » .

وهذا هو الرسول يعلم ابن زوجته أم سلمة . وقد كان فى حجره وربيبا له حين جلس يؤاكله « ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » .

هكذا كان معلما للسلوك والاداب فى كل شىء .

وليست تبعة تربية الأولاد مقصورة على الآباء ، فقد أوضح الرسول هذه التبعة ، بل التبعات بوجه عام فى قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . الامام راع ومسئول عن رعيته والرجل فى أهله راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

لابد أن نعى هذه التبعات وأن نحملها عمليا ، والا فالنذر التى أطلت علينا خطيرة ، تهدد مجتمعنا بالتحلل والانحلال وموات الروابط الأسرية التى عنى الاسلام بتوثيقها وحث على الاستمساك بها .

لابد أن يحمل كل التبعة فى موقعه ، الآباء ، والأمهات والمدرسة ، والأطباء ، ورجال الدعوة والمهندسون ، كل الناس .

ان تقويم الفرد المسلم وتأكيد انتمائه للاسلام ايمانا وعملا ، وترسيخ القدوة برسول الله أمر حتمى حتى تستقيم سلامة الحياة ، ويتأتى هذا بالاهتمام بالتربية الدينية وتقويم السلوك والممارسة ، واعتبار ذلك وجبا فى الاسرة وفى المدرسة وفى الشارع ، ولا ننسى الحرص على اعداد المعلم على السلوك والقدوة الحسنة مؤمنا بواجباته ، حريصا على أدائها .

فى ذكرى مولد الرسول : نذكر أن من آداب الاسلام الحرص على ألا تشيع

◄

الفاحشة ، كل الفواحش فاحشة القول ، فاحشة الفعل ، فاحشة النقل ، كل ما كان به التأثر وفيه التاثير على المجتمع كل ما كان مؤذيا للشعور أو مدارسة للجريمه أليس هذا هو مقتضى قول الله سبحانه :

« إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » •

أليس هذا وعيدا لأولئك الذين يشيعون وينشرون ما يقع من جرائم خلقية وغيرها باذاعة تفاصيلها ونشرها على الملأ وما دروا أنهم يفتتحون بذلك مدارس للجريمة وطرق ارتكابها •

فى ذكرى الرسول — صلى الله عليه وسلم أنصح وسائل الاعلام وعلى الأخص الصحف والمجلات التى يتداولها ويتناولها كل الناس من له حصانة وحماية ذاتية ومن ينساق وراء ما يقرأ ، أن يكفوا عن نشر الحوادث والجرائم الخلقية والجنائية بتفصيلاتها واجراءات ارتكابها ووسائلها وأن يستبدلوا بها موضوعات ارشادية للأفراد والمجتمع تنقذ الجميع من التردى فى المهالك والاضرار بأنفسهم ومجتمعاتهم فوق عصيانهم لربهم وجحودهم نعمه التى لا تعد ولاتحصى•

انها نصيحة يفرضها قول صاحب الذكرى — صلى الله عليه وسلم :

« الدين النصيحة : قلنا لمن يارسول الله : قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم •

نعم : ان من يقرأ الصحف والمجلات فى هذه الأيام الأخيرة ، وتتبعها لتفصيلات بعض الحوادث ومتابعتها لها قد يستقر فى نفسه أن المجتمع المصرى قد انفكت أواصره وانعدم فيه الوفاء والاخلاص ، وماتت فى أفراده وأسره تعاليم الاسلام وانفلت من كل الآداب والقيم ، وذلك أمر يشيع اليأس فى نفوس المصلحين والمربين ، ويشجع على التسيب والانفلات من القيم •

أكرر النصح لوسائل الاعلام أن تعنى بنشر واذاعة أخبار المصلحين والمجدين ، والناجحين فى أعمالهم من طلاب وتجار وعلماء فى كل فروع العلم والعمل لتكون القدوة فيهم حسنة ونافعة للناس جميعا فى الدين والدنيا ، وحفزا لغيرهم على الالتزام بالفضائل •

ان حصائد الأقلام كحصائد الألسنة مؤاخذ عليها من الله ومن الناس ولابد من وقفة مع النفس نصحح بها مسار حياتنا بكل شجاعة واقدام ، وألا نسىء الى الحرية بالفهم الخاطىء ، أو نظن أنها الاثارة ، وانكار الاحسان وطمس القدوة الحسنة فى المجتمع •

ان صاحب الذكرى — صلى الله عليه وسلم — قال :

« •• واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش والمتفحش » •

ثم لنسمع قول الله : **« لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ »** ذلك لأن اظهار الفاحش من القول أو الفعل فاحشة أخرى ومن أجل هذا قال صاحب الذكرى — صلى الله عليه

وسلم ــ : « كل أمتى معافى الا المجاهرين وان من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله تعالى عليه فيقول : يافلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عليه » •

ويبين الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ضرر اظهار الخطيئة والاعلان عنها فى قوله :

« الخطيئة اذا خفيت لم تضر الا صاحبها وان ظهرت ــ فلم تغير ــ ضرت العامة » •

فى ذكرى مولد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ينبغى أن نأخذ أنفسنا بسنته فى أمور الدين والدنيا ، فيقتدى به الحاكم فى مسئولياته ، والعامل فى عمله أيا كان نوعه • فلقد كان يتفقد أحوال الناس ، ويعيش واقعهم ، ينصح المخطىء ، ويشجع المحسن ، ويدعو الى العمل الدينى والدنيوى اخلاصا لله وقياما بالواجب ، وينزل الى الأسواق ؛ فيرشد الناس الى الأمانة وينهاهم عن الخداع والغش فى المعاملات ها هو : ــ صلى الله عليه وسلم ــ يمر بالسوق فيجد كومة من الطعام فيضع يده فى داخلها فتخرج عليها بلل من ماء ، فيقول ما هذا يا صاحب الطعام ، فيرد التاجر : أصابه المطر يارسول الله ، فيقول الرسول ناصحا موجها : فهلا جعلت ذلك ظاهرا يراه الناس : من غشنا فليس منا •

وها هو يسير بين نفر من أصحابه ، فيروا رجلا له نشاطه وقوته واقباله على عمله ، فأبدوا اعجابهم به وقالوا : لو كان جلده هذا وقوته فى سبيل الله فقال الرسول : « ان كان خرج يسعى لرزق ولده صغارا فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » •

ألا يدلنا هذا القول الكريم على أن العمل عبادة ، العمل الطيب المباح الذى يكسب به العامل رزقا طيبا ينفع به نفسه ويرفع شأن أمته •

فى ذكرى ميلاد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ نذكر أنه كان يعلم الناس أن يسألوا عن المفيد فى حياتهم ودينهم فها هو رجل يسأله متى الساعة « يوم القيامة » فيقول له : ماذا أعددت لها ؟

جواب يوجه الى العمل والى احسانه لينال مثوبة ربه ، ويصرف عن الاسترسال فى التساؤل عن أمر استأثر الله بعلمه ، فلا محل لاضاعة الوقت والجهد فى البحث عنه •

ولقد أثر عن الامام مالك قوله :

طلب العلم حسن جميل ، ولكن انظر الى الذى يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى فالزمه •

فى ذكرى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ نذكر أنه حذر من علم لا ينفع ومن كسب حرام ، فقد ثبت أنه استعاذ من علم لا ينفع ، وها نحن فى هذا العصر قد استبحنا الكثير من المحرمات باطلاق أسماء واستعمال أساليب حتى وقعنا فى نطاق قول الرسول :

« يأتى على الناس زمان يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها » .

وقوله : « يأتى على الناس زمان لا يبقى فيه أحد الا آكل الربا ، فمن لم يأكله أصابه من غباره » .

ها نحن قد استبحنا الخمر وغيرها مما حرم الله ، فجاءت المحن والأمراض بل وجاءت موجات من مسميات لسموم تسربت الى بلاد المسلمين لتهلك النسل ، وتشيع الخلل والانحلال ، وتقعد عن العمل داعية الى الكسل والتراخى ، وتبعث على الاجرام ونشر الجريمة ، وها نحن نكافحها بالندوات والخطب دون أن نأخذ أنفسنا باستئصال الأصل وتجريم أم الخبائث والمنكرات (الخمر) ونترك الحانات والبارات مفتحة الأبواب ليل نهار ، وهكذا نوقد النار ثم نحاول اخمادها ، فتلهبها الريح العاتية التى لا تبقى ولا تذر ، وقد قيل قديما الوقاية خير من العلاج .

فى ذكرى مولد الرسول — صلى الله عليه وسلم — ينبغى أن نستمع الى قوله :

« لكل دعامة ، ودعامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار : « **لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** » وحين سأله أحد أصحابه : كيف يزداد عقلا ، ويزداد من ربه قربا قال : اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائضه سبحانه تكن عاقلا ، واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل فى آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز » .

فى ذكرى مولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يجب أن تأخذ أمة الاسلام فى نفسها بكتاب الله وسنته فقد قال :

« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى وألا تأخذ ببعض الكتاب وتعرض عن بعض فان هذه الأمة لا تصلح الا بما صلح به أولها القرآن والسنة » .

فاستمسكوا بالذى هو خير لتكونوا فى المكان والمكانة اللائقة بكم وبدينكم بين أمم الأرض ، ولا تكونوا عالة على غيركم فى علم وعمل ، وجدوا واجتهدوا ، واصبروا وصابروا وثابروا واعتصموا بحبل الله جميعا لعلكم تفلحون .

فى ذكرى مولد رسول الله أهنىء الأمة الاسلامية وأهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء المسلمين وأذكر بأن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع وليكن رسول الله القدوة فى الحكم والحكمة وجمع الكلمة والمؤاخاة بين المؤمنين وأتلو قول الله .

« **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** » .

الشعر .. والشعراء

إشراف د. حسن جاد

محمد عليه الصلاة والسلام

ذات الصواري

ذات الصوارى

(معركة ذات الصوارى هى أول معركة بحرية انتصر فيها العرب المسلمون بقيادة عبد الله بن أبى السرح على الروم الذين كان يقودهم قسطنطين بن هرقل ٠)

من هؤلاء على الخصم أغاروا ؟ … لهمو على اعصاره اعصار
نفضوا رمال البيد واستبقوا الى … متلاطم غامت به الاسرار
سيان عندهمو شراع جامح … فى اليم ، أو سرج علاه غبار

السيف والمجداف راض كليهما … عزم أصم وخافق صبار
وسواعد لا الموج عند لقائها … موج ، ولا الطود الأشم جدار
عرفت طريق الحق فهى فداؤه … والحق ترخص دونه الأعمار
يا من رأى العرب الميامين الخطى … لهمو بأوكار النسور مطار
البر طوع يمينهم شرفاته … والبحر دان سطاره الجبار
« ذات الصوارى » ذاك يومك ملهم … هو للزمان وصانعيه فخار
تمضى القرون وللحوادث وقعها … والكامنات يثيرها التذكار
ما أنت ؟ ما عصف الرياح ؟ وفتية … لهم البحار الزاخرات مدار ؟
سدوا طريق الليل وانطلقوا الى … فجر تموج بساحه الأنوار
يتواثبون على الحبال كأنما … بزنودهم يتوثب التيار
ويسابقون ظلالهم من خفة … فيقال أبناء البداوة طاروا
ويغاصبون الموج حتى ينثنى … وبكل مائجة شجى ودوار
ويحددون على الخصم طريقهم … حين النجوم على الطريق تحَار
تخذوا من الاسلام راية فتحهم … ومضوا يرف على الجباه الغار

العلم فوق سيوفهم متوثب … والجهل تحت سيوفهم ينهار
« ذات الصوارى » ما على ملامة … ان قصرت فى حقك الأشعار
جاوزت قمة ما أطيق بيانه … ولكل شىء قمة وقرار
ان يختلط زبد السنين فانما … يخفى النضار وتزدهيه النار
ما بال « قسطنطين » (١) فيك تشابهت … فى عينه الآصال والأسحار

شعر: عبد العليم القباني

لم يدر والأسطول يرسب تحته — للقاع يطويه المدى القهار
كيف السبيل الى السلامة ، والمنى — قيد ، وآساد الزمان سوار ؟
حتى اذا اسود الفضاء وخانه — فى الروع قلب مرجف غرار

ترك السفائن تستقر على الثرى — ومضى يخدد وجنتيه العار
قولى لقيصر : خل عنك لأمة — شماء تحمى حوضها وتغار
لا للملوك شبابها وكفاحها — لكن لترفع رأسها الأمصار

واهرب اذا ما شئت غير مدافع — ان كان ينجى الظالمين فرار
ما عاد « بحر الروم » بحرك بعدما — دكت على جنباته الاسوار
ان تمض فى ثوب العبيد فقد ترى — ان المنية فوق ما تختار

لحقتك حيث ترى الأمان ولم تكن — بالمنقذيك جزائر وبحار
امم العروبة ليس مجدك بالذى — ينسيه ليل موغل ونهار

لا تغمضى عينيك عن لألائه — من بعد ما نعمت به الأبصار
وخذى بحظك فى الحياة غانما — بيديك حظك فى الحياة يدار
وتقدمى الركب الكبير الى مدى — كالشمس تخشع دونها الأبصار

ودعى الهواجر تستظل بدربنا — فلقد صحا وتنفس النوار
لا تقتليه فان صمتك قاتل — ان الحياة تطلع وحوار
وبيدان تستبقان ادراك المنى — ومنى تطل وتجتنى وتثار

---

(١) قسطنطين قائد الاسطول الرومى وقد فر عقب المعركة متنكرا فى ثياب عبد حيث قتل فى صقلية بعد وصوله اليها ·

محمد عليه الصلاة والسلام

شعر: علية الجعار

ما الجاه ما المال ما الأبناء ما الخل ... ما الروح ما القلب ما الإحساس ما العقل
انى أحب وحبى لا يعادله ... فى معرض البذل أموال ولا أهل
دارى سأتركها خلفى وأتبعه ... فكم بقرب حبيبى عالمى يحلو

ورغم كثرة من هاموا به فأنا ... لا غيرة الهبت قلبى ولا غل
فنحن من حوله التفت مشاعرنا ... تعب من فيض نور ماله مثل

محمد سيد الدنيا ورحمتها ... من لفحة الكفر أنت الفىء والظل
أنت العظيم الذى رباه خالقه ... أنت الرسول الذى ائتمت بك الرسل

يا كلمة الحق باسم الله تطلقها ... كأنما هى سيل أو هى الطل
أنت اليتيم الذى يمضى بكلمته ... يقيم صرحا لها فى البيد كى تعلو

زيتونة هى فى الآفاق باسقة ... أغصانها السلم والايمان والعدل

من زينتها النور يهدى الكون قاطبة ... من بعد أن ساده العصيان والجهل
دين كريم وأخلاق بعثت بها ... حضارة لم تقم بالكون من قبل

يا لائمى فى الهوى من ذاك يفضله ... هو الفضيلة والاقدام والنبل
من أخلص الحب مثلى راح يعلنه ... من غير طه حبيبى للهوى أهل

السفور والحجاب

للشاعرة جليلة رضا

جاء فى تراث السلف الصالح أن « الربيع ابن خيثم » استأذن يوما على ابن مسعود رضى الله عنه فخرجت له جارية حسناء ، فغض عينيه ، فعادت وقالت لابن مسعود : — ان بالباب رجلا أعمى يقول : (أنا الربيع بن خيثم) .. فقال لها : — ليس الرجل بأعمى ، وانما غض بصره عما نهاه الله عنه .

وفيما ينبغى بالنسبة للنساء،روى أبو داود والترمذى عن أم سلمة رضى الله عنها « أنه بينما كانت أم سلمة وميمونة عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، أقبل ابن أم مكتوم ،

فدخل ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : — احتجبا منه .. فقالت أم سلمة :

يارسول الله هو أعمى لا يبصر .. فقال : — أفعميوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟ .

فالمباح فيما أعلم هو جواز كشف الوجه والكفين فقط ، وللضرورة القصوى فحسب وكما روى عن عائشة رضى الله عنها وأرضاها ، أنها قالت : « ان أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، وعليها ثياب رقاق ، فقال لها : — يا أسماء ، ان المرأة اذا بلغت المحيض ، لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه .

وجاء فى الكتاب العزيز « وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ » .

وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ » يدل ذلك كله على أنه اذا كان التخصيص لأمهات المؤمنين ونساء آل بيت النبوة ، فانما هو من باب اطلاق الخاص ، مع ارادة العام من كل نساء المسلمين . فليس غض البصر والالتزام بآداب الاحتشام مقصورا أو مطلوبا من الرجال فقط ، بل انه مطلوب من النساء أيضا .. كما ورد فى الحديث النبوى الشريف عن ابن أم مكتوم ، السابق ايراده ، وبدليل قوله تعالى : « قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا

السفور والحجاب

مِنْ أَبْصَارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ.وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ » .

هذا الى ما روى عن الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه فى (حلية أبى نعيم) أنه قال : « كنت ذات يوم عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وقال : « أى شىء خير للمرأة ؟ » وسكتنا جميعا ، ولما رجعت — أى رجع الى البيت — سألت فاطمة رضى الله عنها ، فقالت : — هو ألا ترى الرجال ولا يرونها » .. ثم أخبرت بذلك النبى — صلى الله عليه وسلم ، فقال : — « فاطمة بضعة منى » .

وأحب أن أقرر — بادىء ذى بدء — اننى مع الكاتب الاسلامى البليغ المغفور له « مصطفى صادق الرافعى » ، حين يقول : « لقد رق الدين فى نسائنا ورجالنا ، فهل كانت علامة ذلك الا أن كلمة (حرام وحلال)، قد تحولت عند أكثرهم وأكثرهن ، الى : (لائق و .. غير لائق) ثم نزلت عند كثير من الشبان والفتيات ، الى : (معاقب عليه قانونا ، ومباح قانونا) ثم انحطت آخرا عند السواد والدهماء الى : « ممكن وغير ممكن .. » ! وقوله بفصل : « تربية لؤلؤية » :

« .. وما هو الحجاب الا حفظ روحانية المرأة للمرأة ، واغلاء سعرها فى الاجتماع ، وصونها من التبذل الممقوت ، لضبطها فى حدود كحدود الربح من هذا القانون الصارم ، قانون العرض والطلب ، والارتفاع بها أن تكون سلعة بائرة ينادى عليها فى مدارج الطرق والأسواق : العيون الكحيلة ، الخدود الوردية ، الشفاة الياقوتية ، الأعطاف المرتجة .. » !! فليس الحجاب مضروبا على المرأة نفسها ، بل على حدود من الأخلاق أن يتجاوز مقدارها ، أو يخالطها السوء ، أو يتدسس اليها .. حين لا تطالع الرجال ولا تطمعهم . فهو — أى الحجاب — كالصدفة ، لا تحجب اللؤلؤة ، ولكن تربيها فى الحجاب تربية لؤلؤية .

وليس الحجاب فى القماش والكساء والأبنية ، لأن حجاب الأخلاق السوية شىء لا يصنعه الحائك والبانى والمتعبد ، ولكن .. تصنعه الشريعة والأدب ، والحياة الاجتماعية. وفى أوربا نفسها ، يشكو مفكروها من العاقبة الوخيمة لتوسيعهم دائرة الحرية لنسائهم حتى انتهين الى ما هن عليه الآن . فالتقدم

والرقى ، والمدنية لا تكون برفع الحجاب عن المرأة والزج بها فى معترك أتون الحياة اليومية الملتهب ، تزاحم وتختلط وتلهث من الجهد والاجهاد ، ولكن الترقى والمدنية الحقة فى أساليب النهوض بالصناعات والمبتكرات العلمية ، وتطوير وسائل وعدد الانتاج ...

الخ وليس فى سفور المرأة أو احتجابها . والكثرة السكانية الهائلة التى بلغت ذروتها فى شتى أقطار العالم ، كفيلة باستيعاب العمل للرجال جميعهم ، وحدهم فلا يبقى بينهم عاطل ، أو فى أسوأ الأحوال ، تبقى البطالة بنسبة أقل .. أما النساء ، فأكرم لهن

ألا يدفعهم الرجال دفعا الى معترك الحياة الرهيب ، الذى أصبحنا نعانى منه الأمرين منذ لحظة فتح العين على نور الصباح ، الى لحظة اغلاقها فى رقاد الليل .. والسيدة عائشة ـ رضى الله عنها ، لم يمنعها تحجبها ، أن

تكون مرجع الصحابة فى علم الدين وأحكام الشرع ، وغيرها كثيرات فى تاريخنا الاسلامى المجيد فى مواقفهن الخالدة .. وقد آن للانسانية جمعاء ، أن تتدبر جيدا موقفها من

المرأة على ضوء الآية الشريفة : « وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ » بعد أن كادت الأرض تضيق بالبشر ومركز المرأة ينذر بالخطر .

وفى ختام كلمتنا تلك ، كم أحب أن أسوق لشبابنا ، من الجنسين ، هذه القصة الرائعة من تراث آبائنا وتعفف الشباب فى العهود السوالف والتى زواها الأصفهانى فى موسوعته الأدبية الكبرى « الأغانى » عن اللقاء الذى تم بين (سلامة) جارية سهيل بن عبد الرحمن المغنية الحاذقة الشاعرة ، وبين العابد الناسك

عبد الرحمن بن أبى عمار .. فى نجوة من الآذان والعيون ، اذ قالت سلامة : ـ أنا والله أحبك .

فقال : ـ وأنا والله الذى لا اله الا هو ..

قلت : ـ وأشتهى أن اعانقك واقبلك !

قال : ـ وأنا والله ! .

قلت : ـ فما يمنعك ؟ والله ان الموضع لخال ! .

قال : يمنعنى قول الله عز وجل :

« الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ » وأكره أن تحول مودتى لك عداوة يوم القيامة .

جليلة رضا

البيان الختامي

والقرارات والتوصيات للمؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر الشريف

المؤتمر العالمي الرابع
للسيرة والسنة النبوية الشريفة
المؤتمر العاشر
لمجمع البحوث الإسلامية
الأمانة العامة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

أمــا بعــد :

فيقول الله تعالى :
(يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) .

ويقول : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) ..

ويقول : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) ..

ايمانا بدور الاسلام فى صنع الحياة المثلى للفرد والجماعة وللانسانية ، وانطلاقا من الحرص على دين الله ــ الاسلام ــ أن يبقى قوى البنيان صافى المنبع ، قامت المؤتمرات التى تستهدف هذا الغرض النبيل وتعمل على تحقيقه ، أداء للأمانة التى كلف بها المسلمون امتثالا لقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها وأداها كما سمع ، فرب مبلــغ أوعى مــن ســـامع » ..

اذ هذه دعوة ، بل وتكليف من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بابلاغ رسالته الى الناس كافة مع الضبط فى النقل والأداء .

واستهداء بالقرآن الكريم وبسيرة وسنة رسول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ قويت العناية بمدارسة السيرة والسنة ، وانعقدت لذلك المؤتمــرات المتتالية ، التى كان هذا المؤتمر هو الحلقة الرابعة فى سلسلة مؤتمرات الســيرة والسنة النبوية ، حيث انعقد فى مدينة القاهرة التى لها فى تاريخ الاسلام الدور الكبير ، وفى رحاب الجامع الأزهر الشريف الذى آلت اليه علوم المسلمين فى المشرق والمغرب ، وقام بحفظ السيرة والسنة النبوية ، وكان لعلمائه الحظ الأوفى فى التاليف والتصنيف فى هذا الشأن .

البيان الختامي والقرارات والتوصيات للمؤتمر

وقد بدأ المؤتمر بصلاة الجمعة فى الجامع الأزهر الشريف يوم ١٨ من شهر صفر سنة ١٤٠٦ هـ الموافق الأول من شهر نوفمبر ١٩٨٥م ، حيث حضر الصلاة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ، مشاركا العلماء وممثلى الحكومات والشعوب الاسلاية الذين وفدوا للاشتراك فى هذا المؤتمر .

ثم افتتحت جلسته الأولى فى اليوم التالى بقاعة الامام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر بحضور السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ورجال الدولة ، والوفود الممثلة للدول والشعوب الاسلامية ، وبعد تلاوة آيات من الذكر الحكيم ألقيت الكلمات من سماحة الشيخ عبد الله بن ابراهيم الأنصارى بوصفه رئيس المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية، وممثلا للوفود الحاضرة فى المؤتمر ، ومن فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر ، ومن فضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم ، وكيل الأزهر والأمين العام للمؤتمر ، ومن فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر .

ثم ألقى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية كلمته مرحبا بالمشاركين فى هذا المؤتمر ، داعيا الله أن يجعله بداية لرحلة مباركة لمسيرة الفكر الاسلامى نحو تجلية أعظم لحقيقة الاسلام التى تربط المخلوق بالخالق ، وترسم للانسانية كل ما فيه خير الفرد وسعادة الجماعة .

كما أعرب السيد الرئيس عن اغتباطه وسعادته لانعقاد هذا المؤتمر فى مصر وهى المكان العزيز على العالم الاسلامى كله ، بأزهرها الشريف ، الذى هو أقدم جامعه فى العالم قامت على رعاية الاسلام ونشر علومه ، واهتم علماؤه بالسيرة والسنة .

وأضاف سيادته أن انعقاد المؤتمر فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ الأمة الاسلامية مبعث أمل حيث يشهد الناس على الساحة ما يوجب أعمال الفكر والعودة الى الأصل ، وجمع الكلمة والاعتصام بحبل الله ، حتى يكون التلاقى الاسلامى والتضامن الايمانى ، فى ظل حياة اسلامية حقة ، تقوم على الأخوة والتآزر والمحبة والسلام .

ولعل مؤتمركم هذا يأخذ على عاتقه ، ضمن مهامه العلمية العديدة ، محاولة العمل على وقف نزيف الدم بين المسلمين ، فالحرب بين دولتين اسلاميتين لا يجنى أحد منها الا ما يضعف القوة ويعوق التقدم ، ويزهق الأرواح ويجلب الدمار والشقاء وكل ذلك يرضى الشيطان ، ويشمت الأعداء ولن يكون مسعاكم فى تلك المحاولة المباركة بعيدا عن مهمتكم فى مجال الحديث أو خارجا عن روح جدول أعمالكم فى نطاق السيرة .

ثم قال السيد الرئيس :

أيها العلماء الأجلاء : ان مؤتمرا علميا يعقد من أجل حديث رسول الله وسيرته هو انجاز علمى يستحق من أعدوا له ومن شاركوا

فيه ومن قاموا عليه كل تقدير وثناء • فحديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو المصدر الثانى من مصادر شرعنا الاسلامى الحنيف •

ثم قال : أما سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهى السيرة المثلى والنموذج الأرفع لما ينبغى أن تكون عليه حياة المسلم ، بل لما يجب أن تكون عليه حياة الانسان •

ثم قال : أيها العلماء ، اننا وكل العالم الاسلامى ننتظر الى ما يسفر عنه مؤتمركم ، فنحن أولا فى أمس الحاجة الى موسوعة للسنة النبوية الشريفة ، ونحن ثانيا فى أمس الحاجة الى موسوعة للسيرة العطرة ، ثم نحن أخيرا ننتظر عملا علميا مكملا للموسوعتين المأمولتين ، وهو تقديم ما تطرحه السنة وما تمثله السيرة من قيم اسلامية ومبادىء انسانية ، يمكن أن تكون فى بيانها لمحكم كتاب الله الدستور الاسلامى فى الأخلاق والسلوك والتعامل وكل صنوف العلاقات بين الناس •

ثم بدأت لجان المؤتمر الأربع عملها حيث تدارست مقررات وتوصيات المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة ، ورأت فيها استعراضا معبرا عن حاجات المسلمين ، تتوافق وما تواترت عليه قرارات مجمع البحوث الاسلامية فى الأزهر الشريف فى مؤتمراته التسعة السابقة •

كما تدارست البحوث المقدمة لهذا المؤتمر فى جلسات متعددة ، طرح فيها السادة أعضاء المؤتمر مقترحاتهم فى موضوعات السيرة والسنة ، وفى الأحوال الجارية فى العالم الاسلامى الآن •

وكان من أبرز ما ناقشوه مسألة استمرار الحرب بين ايران والعراق ، وهما دولتان اسلاميتان متجاورتان ، واستبان ماق هذا من اهدار لقوة المسلمين ، واهلاك للأرواح والأموال ، الأمر الذى يتعين تفاديه ، وأن عبء هذا يقع على عاتق منظمة المؤتمر الاسلامى ، باعتبارها المنظمة الدولية لشعوب الأمة الاسلامية ، وباعتبار أن الدولتين من أعضاء المنظمة •

كما تدارس أعضاء المؤتمر المشكلة الفلسطينية وتاريخها وما آل اليه حال الشعب الفلسطينى ، سواء فى داخل فلسطين وخارجها ورأوا أنه يتعين البدار الى انقاذ الشعب الفلسطينى من محنته ومؤازرته ، ليعود الى وطنه ويقيم دولته •

كما نظر المؤتمر ما هو واقع على أرض لبنان من اقتتال أهله وانفراط وحدته ورأى حث الشعب اللبنانى على الخروج من فرقته واستعادة وحدته والسيطرة على أرضه •

كما نظر المؤتمر الى ما يلاقيه الشعب الأفغانى المسلم من تسلط دولة كبرى على أرضه وانتهاك استقلاله وسيادته ، وأنه مع قلة عدده وعتاده صامد يجاهد أعداءه •

فرأى دعوة الأمة الاسلامية الى مؤازرة هذا الشعب فى محنته ، ومعاونته فى جهاده •

وقد لاحظ المؤتمر أن وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية قد فتحت صدرها لبعض الكتاب الذين يحاولون صرف الأمة الاسلامية عن الالتزام بالسيرة والسنة النبوية وعن التنادى بتطبيق الشريعة

البيان الختامى والقرارات والتوصيات للمؤتمر

الاسلامية فى كل مجالات النشاط البشرى •

فرأى المؤتمر نصح المسئولين عن وسائل الاعلام المختلفة فى جميع الدول الاسلامية بالالتزام فيما يكتبون ويعرضون بالأحكام الصحيحة المستقاة من القرآن الكريم وسيرة وسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى يثبت الدين فى نفوس النشء الاسلامى وتتوثق العلاقات فى الأسرة والمجتمع •

ويقوى شأن المسلمين بوجه عام • اذ أن عقد هذا المجتمع لم ينفرط • ولم يقع فى هذه الاختلافات الا عندما انصرف عن تعاليم الدين واستمع الى مثل هذه الأحاديث التى لاتحقق ما يأمله المسلمون من وحدة وقوة •

ورأى المؤتمر أن على أجهزة الاعلام المختلفة أن تفسح صدرها للكتاب الذين ينصحون الأمة ويدفعون الشبهات ويرشدون الى طريق الرشاد ، ويصلحون من أحوال الناس الاجتماعية ، موضحين مفاهيم الاسلام الصحيحة ، فيما ينفع الناس فى معاشهم ومعادهم •

واذا كانت المؤتمرات العالمية الثلاثة للسيرة والسنة النبوية ، والمؤتمرت التسعة لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف قد اتخذت قرارات وتوصيات فى المجالات الاسلامية المتنوعة ، بشأن السيرة والسنة النبوية بوجه خاص فان هذا المؤتمر بعد مناقشته لنحو مائتى بحث يركز على ما يلى :

١ — تأكيد التوصيات والقرارات التى أصدرتها المؤتمرات السابقة •

٢ — استنكار استمرار الحرب الدائرة بين الدولتين الاسلاميتين المتجاورتين — ايران والعراق •

ويأمل المؤتمر — بعد أن أبدت العراق على لسان المسئولين فيها الاستعداد للصلح — أن تستجيب ايران لوقف الحرب فورا والجلوس للصلح •

وبحث المؤتمر منظمة المؤتمر الاسلامى — بوصفها المنظمة الدولية الاسلامية — على العمل على انهاء هذه الحرب •

وفى حالة عدم الاستجابة الفورية لوقفها فان على المنظمة دعوة أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الدول الاسلامية الى اجتماع عاجل لاتخاذ الاجراءات اللازمة لانهاء هذه الحرب تنفيذا لقوله تعالى :

(وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ • إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) •

٣ — يناشد المؤتمر الأمة الاسلامية : حكومات وشعوبا ، كما يناشد شعوب العالم عامةوحكوماتها والمنظمات الدولية مساندة

حق الشعب الفلسطينى فى أرضه ووطنه واقامة دولته وعاصمتها القدس ، كما يناشد الفلسطينيين أن يجمعوا أمرهم ويعملوا على استرداد حقهم بالوسائل المشروعة .

٤ ـ يناشد المؤتمر شعوب العالم وحكوماته والمنظمات الدولية مؤازرة الأفغان فى دفع العدوان الواقع على أفغانستان ، وتأييد كفاحها المجيد فى صيانة لاستقلالها والتمسك بدينها .

٥ ـ يناشد المؤتمر الشعب اللبنانى أن يوقف القتال الدائر على أرضه ، وتوحيد كلمته حرصا على استقلاله وحريته ، وارتفاعا فوق الخلافات المذهبية والشخصية .

٦ ـ يرى المؤتمر أن الخلافات العربية هى فى الحقيقة أساس ضعف العالم الاسلامى وفرقته ، ولهذا يدعو أصحاب الجلالة والفخامة والسمو : ملوك ورؤساء وأمراء الدول العربية الى أن يعملوا على حسم تلك الخلافات ، حتى يعيدوا للأمة العربية وحدتها وقوتها وللاسلام عزته ومنعته .

٧ ـ لما كان لشئون المال والاقتصاد أهمية كبرى فى استقلال الأمم ورفاهية شعوبها واستقرار الأمن فيها ، فان المؤتمر يدعو الشعوب الاسلامية وأولى الأمر فيها الى المبادرة الى تنسيق الجهود والموارد والتكامل فى سائر الأمور الاقتصادية والتجارية والانشائية والصناعية والخبرات اعمالا لقول الله سبحانه وتعالى « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » .

٨ ـ لما كان لوسائل الاعلام المعاصرة أثرها وتأثيرها فى المجالات الاقتصادية والاخبارية ونقل وشرح القضايا القومية ، فان المؤتمر يوصى الجهات المعنية بالاعلام على اختلاف وسائله فى الدول الاسلامية بانشاء وكالة أنباء اسلامية عامة تكون أمينة وحفيظة على قضايا وأخبار المسلمين مع تدعيم وكالات الأنباء المحلية وتبادل البرامج فى الاذاعة المسموعة والمرئية لنشر الثقافة الاسلامية بوجه عام والتعريف بالسيرة والسنة النبوية وما حوته من قيم ومثل اجتماعية وانسانية قام عليها المجتمع الاسلامى فى عصوره الأولى .

٩ ـ يوصى المؤتمر جهات البر فى الدول الاسلامية بتنسيق الجهود فيما بينها حتى يتكامل نشاطها ويمتد الى سائر المسلمين فى كافة أنحاء العالم الاسلامى للاغاثة ، وضرورة النظر فى قيام هيئة دولية اسلامية لأعمال الاغاثة فى العالم الاسلامى .

١٠ ـ يعلن المؤتمر تقديره لجهود الأزهر الشريف فى تقنين فقه المذاهب، واعداد مشروعات القوانين المستمدة من الشريعة الاسلامية تيسيرا لتطبيقها ، والعمل بها فى كل الشعوب الاسلامية ، ويدعو المسئولين الى المسارعة الى ذلك امضاء لحكم الله ورسوله واصلاحا لمجتمعاتهم .

البيان الختامي والقرارات والتوصيات للمؤتمر

١١ — يؤكد المؤتمر ما جاء في خطاب السيد رئيس جمهورية مصر العربية محمد حسني مبارك من ضرورة اخراج موسوعات في السنة

والسيرة النبوية ، وما فيهما من قيم اسلامية ومبادىء انسانية تعتبر دستور الاسلام في الأخلاق والسلوك وكل صنوف الحياة ، ويحيل الاعداد لاخراج هذه الموسوعات الى

مجمع البحوث الاسلامية في الأزهر الشريف ليقوم بالتشاور في شأنها مع الجهات المعنية في العالم الاسلامي .

١٢ — يوصي المؤتمر الجهات القائمة على شئون الدعوة الاسلامية بالتنسيق فيما بينها في الداخل والخارج .

١٣ — يحذر المؤتمر الشعوب الاسلامية من الدعوات المنافية للاسلام : كالبهائية ، والقاديانية ، والأحمدية ، ومناهضتها . ويحث الحكومات الاسلامية على تجريم المنتسبين الى هذه الدعوات .

١٤ — يحث المؤتمر جميع الأجهزة المعنية في الشعوب والحكومات الاسلامية على العمل على تكوين شخصية الطفل وتنشئته تنشئة اسلامية .

١٥ — العناية بالتربية الدينية في جميع مراحل التعليم ، ونشر الثقافة الاسلامية الصحيحة المستمدة من القرآن والسنة والسيرة النبوية بين جميع الفئات وبخاصة الشباب .

١٦ — العناية بالأقليات الاسلامية في العالم ، ومعاونتها على التعرف على أحكام الاسلام الصحيحة ، وما ينفعها في دينها ودنياها .

١٧ — تتبع كل ما ينشر عن الاسلام في الداخل والخارج ودراسته واتخاذ ما يلزم نحوه بالأسلوب المناسب .

١٨ — اعداد الدعاة وامدادهم بمايساعدهم على أداء مهامهم .

١٩ — تأييد ترجمة بعض كتب السيرة والسنة النبوية الى غير اللغة العربية على أن تتولى هذه المهمة هيئة اسلامية .

٢٠ — يوصي المؤتمر أجهزة الاعلام المختلفة والمسئولين عنها بالاهتمام بايضاح المفاهيم الاسلامية الصحيحة ، لتثبيت العقيدة وتقويم السلوك ، والامتناع عن كل ما يشكك في القرآن والسيرة والسنة النبوية ويصرف الناس عن الالتزام بأحكام الاسلام وآدابه وأخلاقه .

٢١ — المبادرة الى الاستفادة من القمر الصناعي العربي في التعريف بالاسلام بالسيرة والسنة النبوية والدعوة الى الالتزام بأحكام الدين ، وذلك باشراف منظمة المؤتمر الاسلامي أو هيئة اسلامية أخرى موثوق بها .

٢٢ — يشكل رئيس المؤتمر لجنة لابلاغ القرارات والتوصيات التي انتهى اليها هذا المؤتمر والمؤتمرات السابقة الى كل الجهات المعنية في الدول والشعوب الاسلامية ومتابعة

تنفيذها واعداد تقرير عنها يقدم للمؤتمر العالمى الخامس للسيرة والسنة النبوية — ان شاء الله — والذى يقوم رئيس المؤتمر الحالى بالاتصال بالجهات المعنية بالدول الاسلامية لاستضافته •

٢٣ — يأمل المؤتمر أن تحظى قراراته وتوصياته بالتأييد والقبول من أصحاب الجلالة والفخامة والسمو : ملوك ورؤساء وأمراء وقادة الرأى والفكر فى الأمة الاسلامية والعمل على تنفيذها أخذا بيد الأمة الاسلامية الى الصراط المستقيم ، الذى قال الله عنه : (**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) •

٢٤ — يوجه المؤتمر شكره الجزيل وتقديره البالغ لجمهورية مصر العربية ولرئيسها فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك ، وللأزهر الشريف لاستضافة هذا المؤتمر ورعايته •

(وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ) ••

وبالله التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل •
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ••
القاهرة فى يوم الخميس

شيخ الأزهر
٢٤ من صفر ١٤٠٦ هـ
ورئيس المؤتمر العالمى الرابع
٧ من نوفمبر ١٩٨٥ م
للسيرة والسنة النبوية
جاد الحق على جاد الحق

نظرة فى كتاب أحكام التلاوة
للقرآن العظيم
مجهول المؤلف

قرر علماؤنا الماضون — رضى الله عنهم — أن العاقل اذ تأمل ما صح وثبت من عرضه — صلى الله عليه وسلم — القرآن على جبريل كل عام مرة ، وفى عام وفاته مرتين . مع ما روى من قراءته — صلى الله عليه وسلم — على أبى بن كعب (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا) .. السورة . وضح لك مشروعية القراءة على المشايخ ، وأخذ الألفاظ عنهم بطريق المشافهة. فهو — صلى الله عليه وسلم — انما قرأ على أبى ليعلمه طريق التلاوة وترتيلها ، وعلى أى صفة تكون قراءة القرآن . ليكون ذلك سنة فى الاقراء والتعليم .

وقد وقع الأمر كذلك . فان الصحابة الآخذين للقرآن عنه — صلى الله عليه وسلم — عرض بعضهم على بعض . ثم وقع كذلك للتابعين وأتباعهم حتى اتصل الأمر الينا مسلسلا متواترا . ، فمن ابتدع — واجترأ — واجترأ بما تعلم من الكتب فقد أساء وخالف، وربما وقع فى أمر عظيم ، وخطر جسيم . والله أسأل العفو والعافية ، وسلوك سواء السبيل .

وفى شرح البخارى للبرماوى فى معنى مدارسة جبريل للنبى — صلى الله عليه وسلم — أن معناه : تعلم مخارج الحروف وكيفية النطق بها . وكذلك قال الكرمانى وعبارته : وفائدة درس جبريل تعليم الرسول تجويد لفظه ، وتصحيح اخراج الحروف من مخارجها . وليكون سنة فى حق الأمة ، لتجويد التلامذة على الشيوخ قراءاتهم .

ولامرية أنه كما يتعبد بفهم معانى القرآن واقامة حروفه على الصفة المتلقاة « عن أئمة القراء ، ومشايخ الاقراء المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية » العربية التى لا يجوز مخالفتها ، ولا العدول عنها . فمن أنف عن الأخذ عن أستاذ يوقفه على حقيقة ذلك مع تماديه على تحريف ألفاظ القرآن فهو عاص بلا شك ، وآثم بلا ريب . اذ صيانة جميع حروف القرآن عن التبديل والتحريف واجبة .

لا يقال ان وجوب التجويد على القارىء مقصور على ما يلزم المكلف قراءته من المفروضات . لأن علماء الاقراء وأعلام

عرض للشيخ

إبراهيم عطوة عوض

قرآن يقولون : لا رخصة فى تغيير لفظ
ه •

وقد قال الله تعالى — مخاطبا لرسول الله
— صلى الله عليه وسلم — خصوصا ، ولأمته
عموما (**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**) فلم يقتصر
سبحانه على الأمر بالفعل ، حتى أكده
بالمصدر ، اهتماما به ، وتعظيما له • ليكون
عونا على تدبر القرآن وتفهمه • وكذلك كان
— صلى الله عليه وسلم — يفعل •

وقد نعتت أم سلمة قراءته — صلى الله
عليه وسلم — فقالت : « قراءة مفسرة حرفا
حرفا » • رواه الترمذى •

وقالت عائشة : « كان — صلى الله عليه
وسلم — يقرأ فى العشاء « **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ** »
فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه •
متفق عليه »• فقد كانت قراءته عليه الصلاة
والسلام — ترتيلا ، لا هذا ولا عجلة • بل
قراءة مفسرة حرفا حرفا • وكان يقطع قراءته
آية آية • ويمد عند حروف المد • وكان يتغنى
بقراءته •

وقد روى فى صحيح ابن خزيمة : من حديث
زيد بن ثابت مرفوعا : « ان الله يحب أن
يقرأ القرآن كما أنزل » وقد كان عبد الله بن
مسعود ممن أعطى فى تجويد القرآن وتحقيقه
وترتيله — كما أنزل — حظا عظيما • والشاهد
لذلك قوله — صلى الله عليه وسلم — من
أحب أن يسمع القرآن غضا كما أنزل فليسمع
قراءة ابن أم عبد • يعنى ابن مسعود •
وفى البخارى : « لما قرأ بكى — صلى الله عليه
وسلم — وقال أبو عثمان النهدى : صلى بنا
ابن مسعود المغرب فقرأ به (**قُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ**) ولوددت أنه قرأ بسورة البقرة — من
حسن صوته وترتيله •

ومن العجيب ما حكى فى النشر عن الشيخ
تقى الدين بن الصائغ فقال ، وكان أستاذا
فى التجويد : انه قرأ يوما فى صلاة الصبح
(**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ**) •
وكررها — فنزل طائر على رأسه يستمع
قراءته حتى أكملها — فنظروا إليه فاذا هو
هدهد •

فاذا انضاف الى اتقان معرفة المخارج
وصفاتها حسن الصوت ، وجودة الفك ،
وذرابة اللسان ، وصحة الأسنان ، كان غاية
فى الاحسان • ولا يخفى أن النفوس لها حظ
من الأصوات الحسنة • فاذا جليت ألفاظ
القرآن العزيز بالأصوات الطيبة ، مع مراعاة
قوانين الترتيل على الأسماع تلقتها القلوب ،
وأقبلت عليها النفوس • وربما أثمر ذلك تدبر
آياته ، والتفكر فى غوامضه ، والتبحر فى

◄

نظرة فى كتاب أحكام التلاوة

مقاصده • فيحصل له حينئذ الامتثال لأوامره والانتهاء عن مناهيه ، والرغبة فى وعده ، والرهبة من وعيده ، والطمع فى ترغيبه • وهذه فائدة مشروعية الانصاف الى التلاوة فى الصلاة وغيرها •

هذا : والكتاب الذى بين أيدينا لم يعرف مؤلفه — يقع فى ثمان وعشرين ومائة صفحة من القطع دون المتوسط • ومسطرته زهاء خمسة عشر سطرا • وقد تناول النقاط التالية :

١ — **تعريف التجويد** : موضوعه وثمرته ، حكمة تعلمه ، فضل تلاوة القرآن آداب تلاوة القرآن ، صفة تلاوة — صلى الله عليه وسلم — تعهد القرآن خشية النسيان ، تحسين الصوت بالقرآن •

٢ — الاستعاذة والبسملة ، الانصات ، مراتب التلاوة ، الترتيل والحدر والتدوير •

٣ — أحكام النون الساكنة والتنوين ، الاظهار ، الادغام بغنه وبلاغنه ، الاقلاب ، الاخفاء •

٤ — أحكام الميم الساكنة : الاخفاء ، الادغام ، والاظهار ، أحكام الميم والنون المشددتين •

٥ — المد وأقسامه : الواجب المتصل ، الجائز المنفصل ، المد العارض للسكون ، المد اللازم المثقل الكلمى ، المد اللازم المخفف الكلمى ، المد اللازم المثقل الحرفى ، المد اللازم المخفف الحرفى ، مد الصلة ، مد البدل ، مد العوض ، مد اللين • مد الفرق ، جدول بالمدود •

٦ — مخارج الحروف ، رسم الفم مع مخارج الحروف •

٧ — صفات الحروف : الصفات المتضادة • الهمس ، الجهر ، الشدة ، الرخاوة ، الاستعلاء ، الاستقبال ، الاطباق ، الانفتاح ، الذلاقة ، الاصمات ، الصفات التى لا ضد لها • الصفير ، القلقلة ، اللين ، الانحراف ، التكرير ، التنشى ، الاستطالة •

٨ — اللام فى لفظ الجلالة ، لام الفعل •

٩ — اللام القمرية واللام الشمسية •

١٠ — ادغام المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين •

١١ — أحكام الراء • التفخيم ، الترقيق ، الألفات العشر •

١٢ — الوقوف والابتداء ، الوقف التام ، الوقف الكافى ، الوقف الحسن ، الوقف القبيح ، رموز الوقف ، السكتات فى القرآن ، المقطوع والموصول • التاء المفتوحة والمربوطة ، رسم المصحف ، سجود التلاوة ، التكبير ، القراء والقراءات ، ختم القرآن ، دعاء ختم القرآن •

البقية صـ "٦١٨"

أنباء وآراء

اعداد : أحمد عبد الرحيم السايح

دور البنوك الإسلامية

عقد فى أواخر شهر صفر ١٤٠٦ هـ بجدة مؤتمر لعلماء الاقتصاد الاسلامى . حضره من مصر حسن عباس زكى الوزير الاسبق . وكان الغرض من المؤتمر تقييم أعمال البنوك الاسلامية خلال عشر سنوات مضت ، ودور البنوك الاسلامية فى (استراتيجية) التنمية والأخذ بيد الدول الاسلامية .

٥٦ شخصا يشهرون إسلامهم فى الأزهر

أشهر ٤٨ شخصا اسلامهم خلال الشهر الماضى أمام لجنة الفتوى بالأزهر . وعبروا عن سعادتهم الغامرة ، وارتياحهم النفسى لاعتناقهم الاسلام بعد معاناتهم من التخبط والضياع . من بينهم خمسة وعشرون مصريا وثلاثة وعشرون من جنسيات مختلفة كالفلبين وأمريكا وألمانيا الغربية واستراليا وبريطانيا وايطاليا واليابان واسبانيا ويوغسلافيا وهولندا وتنزانيا والهند . بعض هؤلاء الذين اعتنقوا الاسلام شباب وأكثرهم فى العقد الخامس من العمر ويغلب عليهم طابع الثقافة والاطلاع . ومنهم أصحاب مراكز مرموقة فى بلادهم . وتقوم اللجنة بتزويدهم ببعض الكتب التى تساعدهم على معرفة أحكام الاسلام كما بلغ عدد الذين أشهروا اسلامهم فى الاسبوع الأول من اكتوبر ثمانية أشخاص .

صرح بهذا فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر .

إسلام سكرتير التنظيم البهائى

أشهر زاهر قشيرى سكرتير تنظيم الشباب البهائى الذى حل عام ١٩٦٠ بقرار جمهورى .

أنباء وآراء

أشهر اسلامه أمام قاضي محكمة أم درمان الشرعية وغير اسمه الى محمد زاهر ٠

أشهر البروفيسور « آرثر اليسون » رئيس قسم الهندسة الكهربائية والالكترونية بجامعة « سيتى » البريطانية اسلامه فى ختام جلسات مؤتمر الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم الذى عقد مؤخرا بالقاهرة ٠ واعلن فى مؤتمر صحفى عقده مع الدكتور الأحمدى أبو النور وزير الأوقاف أنه اختار اسم (عبد الله اليسون) بعد دخوله فى الاسلام ٠

وكان « اليسون » يرأس (جمعية الدراسات النفسية والروحية) فى بريطانيا لمدة ست سنوات ٠ وقاده عمله الى دراسة مقارنة الأديان المختلفة ٠ ومن هنا بدأ يتعرف على الاسلام ٠

وقال الدكتور عبد الله اليسون : أنه قرر أن يقضى باقى عمره فى خدمة الدعوة الاسلامية ، وانشاء معهد لتدريس وتعليم القرآن الكريم بأسلوب عصرى ٠

حول التقويم الهجرى ومناهج المستشرقين

أوصت لجنة الحصر والتنسيق ومتابعة الاحتفال باستقبال القرن الخامس عشر الهجرى بعقد ندوة عربية اسلامية حول موضوع « التقويم الهجرى » وتنظيم احتفالات لاعلام الفكر الاسلامى ، وترجمة مجلد « مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والاسلامية » الذى صدر بتعاون مشترك بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربى لدول الخليج الى كل من الانجليزية والفرنسية ٠ وأعلن الدكتور محمد الأحمدى الرشيد مدير عام مكتب التربية العربى لدول الخليج توصيات اللجنة التى تتضمن دعم جهود منظمة المؤتمر الاسلامى فى انشاء جامعات اسلامية وخاصة فى أفريقيا والتنسيق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية خارج العالم العربى ، والعمل على مزيد من العناية بالمسلمين فى أقطار غير المسلمين ، وتزويدهم بمادة ثقافية اسلامية بصورة متواصلة ٠ وطالبت اللجنة بدعم منزلة التعليم الاسلامى بمواده المختلفة فى مناهج التربية والتعليم فى البلاد العربية والاسلامية وجعله اجباريا ، وتقديم المساعدات المختلفة الى الدول والجهات الاسلامية ذات الامكانات المحدودة لمساعدتها على انجاز مشروعاتها الاسلامية الخاصة ٠

موريتانيا تسعى لتطبيق الشريعة الاسلامية

صرح الحاج محمد الغالى مستشار رئاسة الجمهورية الموريتانية ومدير مدارس الفلاح الاسلامية بموريتانيا : ان الحكومة الموريتانية تنتهج نهجا اسلاميا واضحا وفى سبيلها للوصول الى تطبيق كامل للشريعة الاسلامية فى موريتانيا ٠

قامت الحكومة بانشاء بنك البركة الاسلامى ليكون نواة لتغيير النظام

الاقتصادى من نظام ربوى الى نظام اسلامى صحيح . وقال مستشار الرئاسة الموريتانى ان المسلمين بخير وان الأفكار الشرقية والتيارات الغربية لم تستطع أن تؤثر فى أبناء شعب موريتانيا الذين يتمسكون بكل قوة بالكتاب والسنة .

إتحاد الجمعيات الإسلامية

أعلنت ثلاث وعشرون جمعية اسلامية فى « موريشيوس » عن تشكيل اتحاد تنسيق مستقل بينهم سمى «اتحاد جمعيات موريشيوس الاسلامية » للاهتمام بالقضايا الاسلامية التى تؤثر فى المجتمع المسلم فى الجزيرة . وقام الاتحاد بمقابلة رئيس وزراء موريشيوس حيث عرض عليه مطالب المسلمين الذين احتجوا على محاولة الحكومة وقف تقنين الشريعة الاسلامية فى موريشيوس وذكر مصدر مسئول فى الاتحاد ان رئيس الوزراء وعد أن يعامل المسلمين بانصاف وأن يتم تشكيل لجنة للنظر فى قوانين الشريعة الاسلامية يشترك فيها ممثلو الاتحاد .

حصر الكفاءات بالجامعات الإسلامية

تقوم رابطة الجامعات الاسلامية ومقرها المملكة العربية السعودية بحصر الكفاءات الفكرية فى الجامعات والمؤسسات الأعضاء فيها ، بهدف التعاون بينها فى مجال العمل الاسلامى ، وخدمة اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم والدعوة .

وجهت الرابطة دعوات لأعضاء هيئات تدريس الجامعات الاسلامية العربية وغير العربية للتعارف ، واعداد بطاقات تعريف لكل عضو تحدد درجته العلمية وتخصصه الأكاديمى والعلوم التى يقوم بتدريسها . وموقعه العلمى والقيادى داخل جامعته ومسئولياته العلمية والمؤتمرات التى شارك فيها والمؤلفات التى أنجزها والدراسات التى يعكف على اصدارها الآن واستعداده للقيام بأستاذ زائر .

مناهج موحدة

قرر المؤتمر الثانى للمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم الذى اختتم اعماله فى العاصمة الباكستانية اسلام أباد وضع مناهج موحدة للعلوم والتربية والثقافة فى المدارس الاسلامية فى شتى أنحاء العالم الاسلامى .

مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية

تم فى لندن توقيع وثيقة تأسيس مركز اكسفورد للدراسات الاسلامية . وتنص لائحة المركز الذى سيكون تابعا لكلية « سينت كروس » على أنه سيقوم بتشجيع الفهم الأفضل للاسلام فى الغرب ، وتوثيق

أنباء وآراء

التعاون بين الشعوب الاسلامية والشعوب التى تنتمى لديانات اخرى .

ملاحظة : لن يكون ــ بحال ــ مثل هذا المركز فى خدمة الدراسات الاسلامية .

المركز الاسلامى فى "بوجامبورا"

يفتتح المركز الاسلامى فى « بوجامبورا » عاصمة بورندى فى آخر هذا العام . بعد أن أوشك العمل فى بناء المركز على الانتهاء نتيجة لتبرعات الدول الاسلامية . وتقرر أن تكون الدراسة بالمركز مجانا ويلحق به مستشفى لعلاج المسلمين وغيرهم من الطوائف الأخرى بدون مقابل . تبلغ نسبة المسلمين فى بورندى حوالى ٣٥٪ وعددهم نحو مليون مسلم . ويتمسك المسلمون فى بورندى بشعائرهم الدينية وهم مرتبطون بالمساجد ارتباطا وثيقاً ويطلقون أسماء المساجد على الشوارع التى تقع فيها . وتلقى الدروس الدينية فى المساجد عقب كل صلاة . ويحضرها المئات من المسلمين الذين يستمعون للدروس الدينية التى يلقيها علماء من الأزهر ورابطة العالم الاسلامى .

نشر اللغة العربية فى العالم الإسلامى

طالب الدكتور زكريا البرى وزير الأوقاف المصرى الأسبق فى دراسة أعدها عن نشر اللغة العربية فى العالم الاسلامى بعدم استخدام الحروف اللاتينية فى كتابة اللغة العربية . وقال : انه لابد من بذل الجهود لعودة اللغات الاسلامية التى كانت تكتب بحروف عربية وتحولت الى اللاتينية مثل اللغات التركية والأندونيسية والملاويه والسواحلية وأكد على ضرورة انشاء المعاهد المتخصصة فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها واعداد المعلمين فى هذا المجال وتشجيع زيارة أبناء الأقليات الاسلامية للبلاد العربية . كما طالب الدكتور البرى بانشاء جهاز مشترك متخصص برصد المنح والجوائز والحوافز المادية والمعنوية التى تشجع دراسة اللغة العربية .

نظرة فى كتاب احكام التلاوة "بقية"

وبعد فهذا كتاب الفيناه سهل العبارة ، واضح الدلالة ، صيغ فى أسلوب سهل ، يعد ولا غرو حلية للناشئين ، وتحفة للمبتدئين ، وتتبعنا الأحكام التى أوردها فوجدتها من كلام المتقدمين . ولم أجد فيه خروجا عن كلامهم . بل جمع ما نسقه الأوائل .

وهذا الكتاب ناهيك به من كتاب صاغه مؤلفه فى أسلوب صائغ ممتع جذاب ، وعبارته ميسرة تأخذ بالألباب . يسير القارىء له فى رياض رحبة الظلال ، دانية القطوف ، جميلة المرأى حلوة المذاق فجاز الله مؤلفه وناشره وقارئه خير الجزاء . فقد نصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الفهرس

مراجعة وعناوين داخلية

الأستاذ / عبد المنعم ابراهيم مهنا — السيد عبد الفتاح خضير
المراجعون — متولى عبده الجرجاوى
الاساتذة : — أيمن محمود الجندى
محمد صابر البرديسى — أسامة عبد المنعم ابراهيم

6) "Aristotle et la notion de Creation" written by R. Jolivet in the periodical " Revue des sciences Philos. et theol.) Janvier et avril 1930 PP. 550 et 209-235.

7) Ibn Khaldun said that the science of Kalam includes proofs of religious beliefs by mental proofs, and answering the dissidents talking about the creeds of our fore fathers Salaf and the Sunnis, Introduction: The edition of Ibrahim Halim press of the Ministry of Education, Al Khahkeyeen Egypt. Chapter about "Kalam P. 545 old edition".

at " making all substances move in yearning for their prime mover,as ancient as they are"

Thus external reality in their system was considered not to be created, but existent by itself, independent of the knowing subject. Such was the most important characteristics of the Greek conception of reality, which in a conception based on fundamentals contrary to creed. It represents a frank trend towards giving priority to the knowing subject in the interpretation of existance without recognition of the reality itself.

To Be Continued

REFERENCES.

1) "The role of Arab and Muslim thinkers in philosophical thought". Essay No. 1 in "Essays on the originality of Muslim Thinkers by Dr. Fawkia Hussein Mahmoud, Cairo 1976.

2) Al-Bukhary. "Start of Creation", Vol. 4. P. 129 popular books, edition,issue No 2- Cairo 1968.

3) "Guidance to irrevocable proofs of the bases of belief by Al-Guwaini, P. 15, verified by Dr. Muhammed Yusuf Moussa et al. Cairo 1950.

4) "Glowing proofs of the bases of the creeds of the Sunnis and the Islamic groups" by Al-Guwaini, verified by Dr. Fawkia Hussein Mahmoud, the Egyptian company for publishing - Cairo 1965.

5) "The theory of the prime mover" P. 342- Aristotle: Fundamentals of the history of development by Werner Jeager.

revelation, using the reality of existing facts. Such sciences have always been very precise in the Islamic way of thinking. The science of Jurisprudence specifies the necessary details of people's lives, being illuminated and enlightened by the texts given through the revelation which render this science perfectly accurate. The methodology of the Muslim thinker in his study of the laws that govern reality, is a very distinct methodology, which reveals the natural laws that govern the components of reality.Such laws are uniform and consistent being ordained by Allah.

Muslim theology "Kalam" includes alien expressions pertaining to reality. A definition of the world is referred to by later theological thinkers (Khalaf) was that " The universe is composed of substances and accidents" However, the earlier theological thinkers (Salaf) had not used such alien expressions or concepts.

Such a definition of the world with such divisions imply that they are derived from concepts of Greek thought. This considers that such thought conceieves existing objects through purely intellectual categories and splits the physically existing objects into substance and accident, giving them separate existance leading to lack of unified identity. Such understanding contradicts the reality of the existing object as an entity and the image that our senses reflect of the world. The Greek thought considers that categories represent the fundamentals of knowledge and existance, and that substance is the essence of existance and the expression of the true nature of things.

This means that the Greek thought gives an apparent priority to substance, or intellectual existence over external existence. Greek thought, because of its fundamentals or principals tends to destroy the first impressions of external nature and to replace them by the idea of original substance or truth. The thought of Aristotle aimed

He who created all things, and ordered them
in due proportion.

(Surat Al-Furqan, XXV, 2)

" If indeed thou ask them who has created the
heavens and the earth and subjected the sun and
the moon (to His law); they will certainly reply
" Allah". How as they then deluded away (from
the truth).

(Surat Al-Ankabut, XXIX, 61)

In the Honourable Hadith the Prophet (prayers and peace be upon him) said: " There was Allah (God) and nothing was with Him. His throne was on water, and He wrote everything in the Book, and created heavens and earth".

Such quotations from the Holy Quran and the Honourable Hadith; indicate that Allah (glorified be His name) has created everything, and has decided the fate of every being, and that there was nothing before creation other than Him. The external reality has its own existence, willed by Allah. Islamic sciences have depended on this concept to a large extent , and have never deviated from it. The sciences of the Quran and that of Hadith as well as all other sciences that tackle the different sides of the life of man and nature: (chemistry, physics, medicine, biology,...etc.) have faced external reality in a manner which acknowledges its independent existences,known to itself. The mind has to face this existence and recognise its experimental facts that depend on the study of existing bodies in their material form or real existence that can be evaluated and observed. The sciences of interpretation of the Quran explain the facts given to the Prophet (prayers and peace be upon him) through the

Sunna. That was the cultural climate when the Muslim thinkers encountered the Greek heritage. These sciences enabled all those who studied them to attain a degree of comprehensive and fine intellectual polish that was not attained by those who lived under other prevailing cultures. The strenght and influence of these sciences motivate the search into the two origins of Muslim heritage, namely the miraculous Quran, and the Sunna of the Prophet (prayers and peace be upon him). Such a look reveals the intricate features of the concepts that Allah meant to be guidance to the human being in his thought and work in general, and in his attitude towards external reality in particular. This attitude towards external reality is the theme of this essay.

If one looks into the text of the Quran and into the Hadith of the Prophet (prayers and peace be uopn him) , one finds numerous richly perceived statments which point the observer of the surrounding world to the recognition of Allah. The external real creation which every man perceives and by nature accepts as real, powerfully demonstrates the existance of the Creator.

In the Holy Quran it is stated:-

> " It is He who hath created for you All things that are on earth; moreover, His design comprehended the heavens, for he gave order and perfection to the seven firmaments, and of all things, He has perfect knowledge.
>
> (Surat Al-Baqara, II, 29)

> " He to whom belongs the dominion of the heavens and Earth: No son has he begotten, nor has He a partner in His dominion: It is

believe that Muslim thinkers in these fields have adopted Greek concepts, specially those of Aristotle.

The aim of this essay is to show the Islamic intellectual background behind the scattered words and intellectual divisions which are alien to Islamic thought. Therefore, it could be stated that Greek expressions were introduced in our heritage, as a cover of authentic and original Islamic concepts, and that these expressions were adopted and spread in accordance with the spirit of Islamic mental freedom (Samaha) by which one can accept what is not in contradiction to the Muslim Creed. The acceptance of Greek expressions was allowed in order to meet the demands and needs of people's intellects to acquire new concepts. These new concepts have been represented by terms borrowed from Greek culture in particular, which was the sole culture to attain a level that suited the depth of Islamic mentality living with Islamic concepts derived from the Quran and the Sunna. These Islamic concepts deal with both theoretical and practical aspects and are concerned with guiding legislation for the various patterns of an individual's life. This guiding legistation ensures complete comprehensive maturity in thinking and in action. Greek thought , however, represented only the maturity of one side of human understanding, that is the theoretical side.

Muslim thinkers begun looking into Greek thought, although they were aware of the fact that the premise of this alien thoughts was incomplete. Greek thought is incomplete, because it is a thought that is not concerned about relating theories to practice, and it doesn't recognise the existence of external objects in a way that is independent of the "knowing subject".

The Muslim thinkers had their own knowledge and sciences, in whose light they grew up. These were the sciences of the Quran and

Islamic Theology After the First Century of Hijra *

BY
Dr. Fawkia Hussein Mahmoud.

This treatise deals with the way modern researchers (Orientalists and Arabs) should understand the efforts of Muslim theologians after the first century of the Higra. This means that it deals with Islamic thinkers in one of the fields which are most receptive of innovated expressions namely; "Kalam" or "Muslim theology" and "Philosophy." However, the efforts of the "Mutakallemun" in their way of exposing their opinions about "reality" will be dealt with.

By "reality" is meant this existence, which is independent of a "knowing subject" i.e. external reality, the reality of physical entities surrounding man. Speaking particularly about this "reality" does not mean that other patterns of reality are less important. For simplification, external reality is taken as subject for this study. What will be achieved in this study represents the most important features of the attitude of Islamic thinkers towards the other different patterns of reality. The mere appearance of alien expressions in the fields of "Kalam" and "Philosophy" has led several people to

*Presented at Faculty of Divinity "First International Symposium on Islamic studies". Izmir 16-18 September, 1985.

result of an inbred and inherent sense of independence. self confidence, and freedom of opinion as taught by Islamic principles.

The principle of freedom of opinion and liberty of thought as an Islamic practice has been adopted in the most crucial matters, as those concerning the government of state. This is left to every individual Muslim to state his opinion in complete freedom. Freedom of opinion is also fully granted to men of science and theology to give their opinion in matters pertaining to every day practice of the various social and legislative matters of Islam. Each individual opinion is fully respected insofar that this opinion does not contradict any Quranic text nor any tradition of the Prophet (prayers and peace be upon him).

Freedom of thought and liberty of opinion is fully constituted within the general understanding of Islam. It is with this substance that Islam supervenes over all other religious creeds; and makes Islam suitable for all races, all ages and all places. In its completeness of all human legistative requirements, it demands no other complementary law beside it. It is absolutely just, and it is dominant by what is absolutely correct.

In a final statement it should be clear that freedom of opinion and liberty of thought does not in any way mean anarchy and chaos and a proper understanding Muslim will certainly utilize this right of freedom of thought and liberty of opinion in its proper and correct standing.

Abstracts taken from an original article be Shiek Sadek Ibrahim Argoon; published in the El AZHAR Magazine, volume 57, Page 2055, September 1985 (ZI El-Hijja, 1405 H).

tellegent understanding of Islam; the human mind in itself and by its own nature and intertia becomes a guardian over human actions and conduct. The growth of human understanding of Islam in that direction will provide strength and support and therefore continuity.

The early Muslims fully understood that principle and therefore gave full respect to freedom of opinion. This made them rise as a nation and spread their authority over an empire which could not have been achieved with imprisoned minds and chained thoughts.

It was the constant practice to discuss and debate all matters that were not governed by Quranic legislation. This practice complies fully with Islamic teachings as directed by the Quran and implemented by the traditions of the Prophet (prayers and peace be upon him). Such concepts of freedom of thought and liberty of opinion were transmitted and followed by his successors. Abou Bakre the first Khalifa of Islam addressed the people after being proclaimed as Khalifa and said "... I have been appointed to govern you and I am not your best..... If I perform well help me and assist me; and if I do wrong correct me and put me straight.". This statement means that the first Khalifa of Islam had in reality placed the actual government of people in their hands as their own responsibility. He established by that a very superior understanding and practice of freedom of thought, liberty of opinion, self dignity and individual respect; which integrated into concrete social solidity.

With the same understanding of the principle of freedom of thought and liberty of opinion, a man stands up amidst a gathering to address Omar Ibn Al Khattab by saying "... by Allah, if we observe in you any deviation from correctness. We will straighten you with our swords." Omar replies by praising Allah that in the society there are people who can straighten any deviation of Omar. Such incidences of frank and outward declaration of opinion is certainly a

mpatible with the capacity and social ability of the people. It is as if Allah has organised humanity through the various revelations into discrete groups by inspiring specific social contracts suitable for each individual group to comply with the nations place and position in life. When humanity had completed its reality and became mentally united with maturity of intellect; Islam supervened to direct its course and ascend with human nature from basic clay to spiritual elivation and purity that conform with the realistic qualifications of humanity. It is observed that the original legislations were addressed to a generation with limited understanding, and therefore prescribed for them specific limitations that were not generalized; because the human mind at the time was limited in conception unsuitable for a speech of a generality in nature.

However, when Islam came about, it addressed a human public mind after it became ready in its ability to understand a legislation constituting all aspects of human life. This came about because Islam refused any authority except that of the human mind. Islam in its teachings severely opposed and was very much against those who were mentally inert, and those who refused to activate their minds with the faculty of thought.

Islam desired through that refined principle to awaken the mind to perform its function and acquit the human self from the sickness of blind imitation. It aimed essentially to culture the mental faculty with the power of thought, self confidence, independence of opinion, and freedom of expression. This resulted in those who awakened their minds and pushed it into the kinetics of thought and in the understanding of cosmic creation.

Within the process of such mental activation and psychoenergetic function of the human mind which is gained by a proper and in-

FREEDOM OF OPINION IN ISLAM

BY:- ISMAIL MOUSTAFA KIRA

Democracy · that symbol which is frequently repeated among people and which is drawled by those individuals who want to enforce their opinion, but try to give it false flexibility and remove from it any signs of chauvinism or prejudice.

That symbol has already received a place in Islamic understanding fourteen centuries ago. In fact, it is a basic foundation upon which Islam was constructed. To those people who believe that they have the credit of setting that principle, we advance to them two quotations from the Holy Quran "... and consult them in matters " and their issues are subject to consultation among them". These two quotations are addressed to the Prophet (prayers and peace be upon him) These quotations are also addressed to Muslims at large as basic principles of their faith and one of the outstanding elements of its structure. They constitute an unchallenged axiom in Islamic theology that accredits freedom of thought and opinion insofar as this does not contradict a text from the Holy Quran or the Sunna.

Islam was prescribed as an eternal religon for all humanity, and was so meant to be the final phase of the long series of revelations in human history documented from Adam to Mohammad (prayers and peace be upon him). This phase of Islamic revelation constituted within the whole creed of Islam a complete set of legislations that are co-

Al-Gohrana after Hunain, and the fourth with his pilgrimage.

Prayers and peace upon our magnanimous Prophet.

References :

1) Alsira Albabawiah
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Puplisher, Dar Al Sharook ,Jeddah

2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohamad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial library, Cairo

3) Mashahid min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo - Printed 1980

4) Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrit, 1977, Cairo

5) The Holly Quran
Text, Translation and Commentary
Abdullah Ysuf Ali.

6) Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramandan Albooty
7th. Edition ,1977
Dar Al-Fikr, Cairo

7) Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol.2, 1983 ,Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8) Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut,1981.

(prayers and peace from Allah upon him), she lived for about fifty years after, and was burried at Saref.

The three days of Umra allowed by the truce of Al-Hudaibiah had ended the period of Muslims stay at Macca. However ,the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) desired to make of his marriage to Maymounah a reason to remain longer in Macca in the hope that the hostile relations with Koraysh may be furhter subdued. This was not accepted by Koraysh; Suhayl Ibn Amre and Howaytib Ibn Abdel-Uzza refused the idea and addressed the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to leave Macca. The departure was immediately announced and the Muslims left Macca to return to Al-Madinah. Outside Macca at Saref, the Prophet (prayers and peace form Allah upon him) took Maymounah as wife. The whole party then left for Al-Madinah.

The repercussions of the Umra of Al-Qada and the implications it had on the traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) are very far reachings. This Umra certainly satisfied the Muslims after the rejection they faced at Al-Hudaibiah . It also had a great impact on the antagonistic psychology of the pagans of Koraysh after witnessing very closely the conduct of Muslims. Above all, this Umra of Al-Qada was a prelude to the future conquest of Macca.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) performed four Umras all during the months of Zu'Al-Qida. This one of Al-Qada was considered the second, since that on the previous year at Al-Hudaibiah was the first being forcely rejected by the pagans of Koraysh. The third from

his two thousand companions entered the courtyard of the Kaaba where he remained till noon prayers at which time Bilal Ibn Rabah mounted the top of the Kaaba and called the summons for prayers (Athan). The Muslims gathered behind the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to perform noon prayer, the first prayer to be performed at the Kaaba in proper and disciplined undertaking. The Muslims remained in Macca for three days as dictated by the terms of the truce of Al-Hudaibiah during which time they prayed regularly at the Kaaba, they visited their homes , and conducted themselves according to all the manners and demands of Islamic behaviour. All this was closely observed by the onlooking people of Macca astonished by the superb mannerisms of human eloquence, grace of performance ,and by the coherent fidelity of Muslims. This system of belief of humble unselfish nobility ,of supreme morality and chastity, of virtue and honour, of inherent piety and firm credence; brought up these men from earthly carnlity and wanton debauchery, to the highest ranks of purity, virtuous decency, and modest dignity.

Al-Abbas Ibn-Mutaleb, the uncle of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was married to Um-Al-Fadle Bent Al-Harith. Her sister Maymounah Bent Al-Harith Al-Hilaliah deputised Al-Abbas to act on her behalf in her affairs. Maymounah announced her Islam; and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) accepted to marry her on the advocacy of his uncle Al-Abbas. The marriage took place at Saref outside Macca after the Umra was completed and the departure of Muslims from Macca and Abu Rafie was left behind in Macca to accompany Maymounah to Saref. She was the last wife to the Prophet

estic spectacle of the solmn worshipful men treading through the city of Macca towards the Kaaba united into a common supernal unearthly ideal in self justification ; certainly had its effect and influence on the overlooking men of Koraysh. They certainly realised thatthis superb ideology of the new creed veritably constituted the elements of human excellence. However, inspite of all this overwhelming grandeur of credence and belief, the leaders of Koraysh blatantly alleged that the Muslims were burdened with worry ,distress and exhaustion. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) instructed all his companions to uncover thier right shoulder in a display of strength as they circumambulated around the Kaaba. This is done by placing the upper cloth of the Ihram under the right armpit and covering the left shoulder. Also ,the first three turns of the circumambulation around the Kaaba must be in trot. Such practice remains to be carried out by Muslims till now, and will remain to be observed as a tradition of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

Abdullah Ibn Rawahah advanced the procession and completed the formalities of the Umra with the Muslims surrounding and closely guarding and gathering around the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). They fulfilled the ordained promise, and within the depths of their emotions ,they were highly gratified to be in Macca. They moved from the Kaaba to Al-Safa and paced seven times between Al-Safa and Al-Marwah, then sacrificed their cattle after cutting their hair. By that all the ritual Ceremonies of the Umra were concluded. On the following day the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with

and it was the time for the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to go to Maca to visit the Kaaba and perform Umra; as agreed upon in the terms of the truce. Preparations were made for the Umra, and two thousands men accompanied the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) including men from Al-Muhagereen and others from Al-Ansar. The only individual armour were the swords in in their sheaths. However, the possible betrayal on the part of Koraysh must be expected, and therefore Mohammad Ibn Maslamah was ordered in one hundred horsemen to advance the party as vanguard. The cattle for sacrifice was also driven along with the party. The extreme ecstacy and enchantment of Muslims as they travelled from Al-Madinah to Macca after those long years of absence from their birth place; was overwhelming and was the subject of their talks and conversations on their way to Macca. All the men that attended Al-Hudaibiah on the previous year were out on this expedition for Umra and also several others. Al-Madinah was ministered by Owayf Ibn Al-Adbat Al-Dawly or according to another reference by Abo Zar Al-Ghafary. This Umra is known as the Umra of Al-Qada (fulfillment), and is also known by another name as the Umra of Al-Qisas (retribution).

When koraysh knew that the Prophet (prayers and Peace from Allah upon him) and his companions were advancing to Macca, they evacuated the city to the neighbouring hills overlooking the Muslims marching into the sacred city to pay homage to the Kaaba and perform Umra . The columns in triumphant procession marched towards the Holy Shrine of Kaaba with jubilant exultant spirits announcing the answer to the call of Allah completing His promise to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The maj-

The Umra of Al-Qada

BY

Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, Ph

In the Name of Allah Most Gracious and Compassionate.

After the conquest of Khaybar, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) returned to Al-Madinah. The impact of the Muslim triumph over the Jews at Khaybar was very significant and consequential, and urged several political, strategic, and economical implications; all of which were certainly in the support and favour of the evergrowing influence of the Muslims in the Arab peninsula. At Al-Madinah, the Muslims remained for seven months engaged in active deployment of contingents to various Arab clans who were perturbing the Muslims. The numbers and exact dates of these deployments is not known for certain; however most authors agree that these deployments took place after Khaybar and before the Umra of Al-Qada. Among the well known deployments were that of Abi Bakre Ibn Abi Quhafa to Bani Fazarah; that of Omar Ibn Al-Khattab to Hawzan; that of Abdullah Ibn Rawahah to Yassir Ibn Rizam the Jew who was gathering men from Ghataffan; that of Bashir Ibn Saad to Bani Murrah ; and several other less pronounced deployments.

Now it was the month of Zu Al-Qida of the seventh year of Hijrah ,one year after the Truce of Al-Hudaibiah,

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة كلمة

وكم فى رسم الكلمات العربية من قَصَص

قصص ذكى طريف نتج عن جهد مخلص فى التحرى لخلاص الكلمة العربية لمعناها الذاتى فلا تلتبس بغيرها ، ولا تشتبهها فى رسمها حتى لا يقع ستار من غموض على الكلمة فيلحقها فى كل مادة مكتوبة فى فروع ثقافتنا العربية ·

وما كنت أحسب ــ يوماً ــ أن يقفز هذا القصص الى الصفحات الأولى حتى كان ما آل اليه أمر اللغة المؤسف فاذا كبار كتابنا يسرعون ــ من فزع عليها ــ الى أعمدتهم الخاصة بكلمات منذرة مستغيثة تنشد النجدة والخلاص ·

* جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ * يناير / فبراير ١٩٨٦ م *

* السنة الثامنة والخمسون * الجزء الخامس *

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

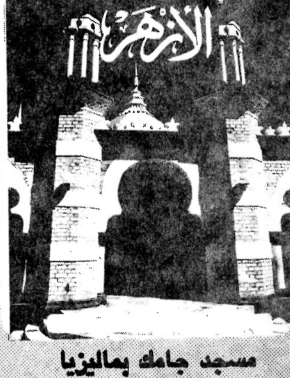
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



مسجد جامك بماليزيا

قصة كلمة

وكان من المؤلم أن أسمع — فى مناقشة رسالة علمية بقاعة جامعية — كلمة « مِائة » ينطقها الناطق مفتوحة « الميم » وذلك خطأ محض ؛ فقد وردت الكلمة بهذا الرسم عينه فى الكتاب العزيز، وتلتها القرون الى يومنا هذا مكسورة الميم ، سواء فى ذلك « مائة » و « مائتين » وتلاوتها مفتوحة لحن كبير .
وما هذه الألف بعد الميم إلا ألف زائدة "رسما" لا تنطق "لفظا"، وهى تماثل — فى زيادتها — الألف التالية — فى الفعل — لواو الجماعة .

* * *

ولكتابتها — بهذا الرسم — قصة .

كانت كلمات العربية من قديم ، والى زمن متصل بصدر الاسلام الى ما بعده تكتب بغير « نَقْط » ولا « شَكْل » واستمر ذلك حتى يسر الله لها النقط ، وأثناء تلك الحقبة كان ينبغى الاحتياط الشديد ليأمن القوم على الكلمة ، وكانت كلمة « مِائة » لو كتبت — كما تنطق — « مِئَة » لأشبهت يومئذ الكلمة : « فِئة » اذ لا نقط يومها ولا شكل فاهتدى القوم الى وضع هذه الألف فى كلمة « مائة » فكانت فاصلا دقيقا بين الكلمتين ، ومن عجب أن الكلمتين وردتا فى الكتاب العزيز وكل منهما "مفردة" تارة و"مثناة" أخرى فأحكمتا فى القرآن الكريم — بهذا الرسم .

وظل القوم على ذلك اتباعا للمصحف حتى بعد ورود النقط والشكل .

فليت الجيل وما بعده يحفظ من الكتاب العزيز ما يحفظ عليه دينه وعروبته .

د. على أحمد الخطيب

دراسات إسلامية

من علوم القرآن الإعجاز

أولو الألباب

دعائم الإسلام

حديث القرآن عن يوم الدين

من علوم القرآن

للدكتور أحمد إبراهيم مهنا

ولقد كان حديث القرآن عن اليوم الآخر – والذى سيبدأ بالساعة والزلزلة – وما سيكون فيه سببا فى أن يسأل الناس « متى يكون ؟ » .

قالها المؤمن رجاء الاستعداد له ، وقالها الكافر زيادة فى انكاره واغراقا فى استبعاده ، وكان جواب القرآن على هذا السؤال واضحا ومحددا ، انه سر من أسرار الله لا يعلمه الا هو ، يقول الحق تبارك وتعالى :

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (١) . ويقول :

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا
إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا » (٢) .

واليوم الآخر ، وهو يوم القيامة ، يبدأ بفناء العالم كله ، تنشق السماء وتنفطر ، فتكور الشمس وتفقد وظيفتها ، ويتبعها القمر فينخسف

---

(١) سورة الأعراف : الآيتان ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٢) سورة النازعات : الآيات ٤٢ – ٤٦ .

الإعجاز

٨

حديث القرآن عن يوم الدين

وتتناثر الكواكب وتتساقط النجوم ، أما الأرض فتتزلزل وتضطرب فتتفجر البحار وتضطرم نارا ، وتتفتت الجبال وتكون سرابا ، وتتبعثر القبور فتتقذف بمن دفن فيها ، ويحشر العباد للفصل والحساب « **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ**

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (١) .

وعدل الله قضى :

« **أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى** » (٢) .

وصدق الله حيث يقول

« **يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** » (٣) .

ذلك هو يوم الدين والذى لا يقضى فيه الا مالكه سبحانه كما قال : « **يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ** » (٤) .

وبعد

فهذه جولة فى حديث القرآن الكريم عن « يوم الدين » وكله من باب الغيب الذى لا سبيل الى العلم به الا ما ورد عن الحق ◄

---

(١) سورة الزلزلة : الآيات ٦ ــ ٨ .
(٢) سورة النجم : الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .
(٣) سورة غافر : الآيتان ١٦ ، ١٧ .
(٤) سورة الانفطار : الآية ١٩ .

سبحانه ، فالموت — وهو بدء الآخرة لكل مخلوق — غيب ، سواء أكان فى وقته أم فى مكانه أم فى كيفيته ، ووقت قيام الساعة غيب « لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً » ، والفترة التى تمر بين الموت

وقيام الساعة غيب لا يعلم قدرها الا الله ، وما سيكون فى اليوم الآخر من مواقف كلها غيب .

وما أعد من أنواع النعيم للمؤمنين ومن أنواع العذاب للكافرين غيب وقد ورد عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه — وهو المبلغ عن ربه — قوله : « فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

والايمان بالغيب جزء من الايمان بالله لا ينفك عنه ، لأن الغيب الذى يجب الايمان به هو ما أخبر الله عنه مما غاب عنا ولا تصل اليه وسائل علمنا .

فاذا تساءلنا : هل حديث القرآن عن « يوم الدين » يمكن أن يصدر عن غير الله سبحانه وتعالى ؟

وبتعبير آخر : هل هناك من المخلوقين — من انس أو جن — من يستطيع أن يتحدث عن فناء العالم بانشقاق السماء وانفطار الأرض ؟

وهل هناك منهم من تخول له نفسه أن يقول انه سيضع الموازين القسط ليوم القيامة أو يدعى أنه أحصى لكل نفس ما قدمت فى دنياها لتحاسب تبعا له ؟

وهل منهم من يمكن أن يقول : انه أعد للطائعين نعيما وللعاصين عذابا ؟

واذا كان العالم المنظور والمشاهد فوق طاقة المخلوقين فى أكبر قدر منه ومحال أن يدعوا لأنفسهم نقيرا فيه فان عالم الغيب أبعد وأبعد ومحال أن يقرب أحد منهم من ساحته أو يحاول التحدث عنه من عند نفسه .

ان الذى تحدث عن « يوم الدين » وما سيكون فيه هو نفسه سبحانه الذى خلق العالم كله ، سمواته وأرضه ، وبيده مقاليدها ، وهو الذى نرى دلائل قدرته وبدائع حكمته فيما نرتع فيه من نعم نعجز عن احصائها ، واذا كان هو — وحده — الذى خلق فسوى ، وهو — وحده — الذى قدر فهدى ، وهو — وحده — الذى يحيى ويميت ، فهو — وحده — الذى يملك بقاء هذا العالم ، وهو — وحده — الذى يقدر مدة بقائه ، وهو — وحده — الذى فى قدرته أن يفنيه .

ومن رحمته أنه أنذر عباده به وبما فيه فى بيان واضح فقال وقوله الحق :

« وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (١) .

خلاصة

لقد عرضنا على القارىء نماذج من آيات القرآن الكريم فيما يتعلق بـ : الحديث عن الله وهو الخالق ومالك الملك .

والحديث عما سوى الله ، وهو الكون كله ومنه الانس والجن .

(١) سورة البقره : الآية ٢٨١ .

والحديث عن الصلة بين الخالق والمخلوق ، وتتلخص فى قول الحق تبارك وتعالى : « **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** » (١) .

ثم الحديث عن « يوم الدين » .

وهى الأمور التى اشتملت عليها سورة الفاتحة وقد اعتبرها العلماء تلخيصا لما جاء فى كتاب الله .

كل ذلك بحثا عن وجه الاعجاز فى القرآن الكريم والأساس الذى بنى عليه التحدى الشامل للانس والجن على اختلاف عصورهم وعلى اختلاف ألسنتهم أنهم لن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وقد رأينا أن كل ما ذكر فى كتاب الله انما يرتكز على الحقائق التى لا يصل اليها المخلوق بعلمه المحدود ، وعلى الامور التى تقع تحت قدرته ولا يمكن أن ينسبها الى نفسه أو الى غيره من المخلوقين .

انها حقائق تستلزم فى الحديث عنها العلم المحيط الشامل ، وتستلزم فى التأثير فيها القدرة النافذة والهيمنة التامة .

وأنى للمخلوق أن يكون كذلك فى علمه أو فى قدرته ؟

ولا نحسب أننا نبعد عن الصواب اذا قلنا : ان الذى نذهب اليه من أن وجه الاعجاز فى القرآن الكريم هو ما فيه من حقائق لا يصل اليها المخلوق بعلمه ، ومن أمور لا يستطيع أن يؤثر فيها بقدرته يتفق مع ما تقرره آيات القرآن نفسه .

فعندما حكى الله قول الكافرين عن القرآن فى قوله تعالى « **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** » (٢) .

أعقب ذلك بالرد عليهم فى قوله سبحانه . « **قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...** » (٣) .

وعندما حكى فى سورة هود قولهم إن رسول الله افترى القرآن رد عليهم فى تحد سافر بقوله عز وجل :

« **قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** » (٤) .

ثم قال سبحانه : « **فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ...** » (٥) .

ومن المخلوقين يصل علمه الى علم من أنزل القرآن على رسوله فيأتى بمثله ؟ .

وعندما حكى قولهم « افتراه » فى سورة يونس كان الرد والتحدى : « **قُلْ فَأْتُوا**

(١) سورة الرعد : الآية ١٥ .
(٢) سورة الفرقان : الآية ٥ .
(٣) سورة الفرقان : الآية ٦ .
(٤) سورة هود : الاية ١٣ .
(٥) سورة هود : الآية ١٤ .

بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (١)

ثم قال عز وجل : « بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ »(٢) .

فقصور علمهم كان السبب فى التكذيب بالقرآن .

فاذا قرأنا قول الله تبارك وتعالى : « وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (٣) .

زاد يقيننا بما ذهبنا اليه فوصف كلمات الله بالصدق وهو ما يوافق الحقيقة والواقع يؤكد علم قائلها بكل ما تقرر فيها ، ووصفها بالعدل يزيد ذلك تأكيدا ، فالعدل يتبع الحكمة التى لا يقرب ساحتها مجازفة ولا كذب ولا افتراء .

ولا غرابة فى ذلك فمنزلها على رسوله هو السميع العليم .

ولا نحب أن نختم هذا الحديث قبل أن نشير الى مسألة نراها ضرورية :

ان دراستنا للقرآن الكريم تبين لنا أن الله تبارك وتعالى قد تحدى كفار قريش أن يأتوا بحديث مثل القرآن عندما قالوا عن الرسول : أنه تقوله ، جاء ذلك فى قوله تعالى : « أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ . فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ » (٤) .

وعندما قالوا : انه افتراه تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات وجاء ذلك فى قوله سبحانه : « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (٥) .

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله ، وذلك فى قوله جل شأنه : « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (٦) .

فى هذه المواضع الثلاثة كان التحدى ــ ولا شك ــ موجها الى كفار قريش ردا على ما صدر منهم من اتهام لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه بالتقول أوالافتراء .

بجانب ذلك نقرأ قول الله تبارك وتعالى :

« وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن

(١) سورة يونس : الآية ٣٨ .
(٢) سورة يونس : الآية ٣٩ .
(٣) سورة الانعام : الآية ١١٥
(٤) سورة الطور : الآيتان ٣٣ ، ٣٤ .
(٥) سورة هود : الآية ١٣ .
(٦) سورة يونس . الآية ٣٨ .

تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّـارَ الَّتِى وَقُـودُهَا النَّـاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » (١) .

وقد نلاحظ أن الخطاب هنـا ليس خاصـا بكفار قريش ولا بغيرهم ، فهو خطـاب عام لجميع الناس عربا كانوا أو غير عـرب ، لأن المخاطبين فى قوله تعـالى « وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ ... الخ » هم الذين وجه اليهم النداء فى قوله تعالى : « يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ... » (٢) .

وكل نداء فى القرآن بـ « يَاأَيُّهَا النَّـاسُ » يشمل جميع أفراد الانسان على اختـلاف ألسنتهم ، انه لا يختلف فى شموله عن قـول الله سبحانه « يابنى آدم » .

وقد نلاحظ كذلك أن التحدى الـذى وجـه لكفار قريش اقتصر فيه على أن يأتوا بمثـل القرآن أو بعشر سـور منـه أو بسـورة واحدة ، ولكن التحدى هنا يشمل أمرين :

أحدهما : أن يأتوا بسورة من مثله وهو يشمل التحدى بعشر سور .

أو بقرآن مثل القرآن ، وهو نفس ماوجه لكفار قريش .

وثانيهما : اعلان عجزهم المطلـق عن ذلك وهو قوله تعالى : « فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا » والخطاب مازال للناس جميعا بما فيهم كفـار مكة .

وهذا يطابق تماما المراد من لفظ « الانس » فى قوله تعـالى « قُـل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » (٣) .

فاذا جاز أن يقال : ان كفـار مكـة ــ وهم فصحاء العرب ــ عجزوا عن أن يأتوا بمثـل القرآن أو بسورة منـه لسمو أسلوبه فى الفصاحة والبلاغة والبيان ، فما يجوز أن يقـال ذلك بالنسبة لغير العرب الذين شملهم التحدى والذين لا يعرفون اللغة العربية الـذى أنزل الله بها القرآن وهم بقية أفراد البشر .

هذا ونرجو أن نكون فى جانب الصـواب فيما قلناه ، من أن التحدى موجه آلى أفـراد الانسان جميعاً ، وأن وجه الاعجاز فى القرآن الكريم هو تركيزه على الحقيقة فى كل صورها مما يستلزم العلم الشامل لما حضر وما غاب .

وأمر آخر نرى أن ننبه عليه :

ان أقل ما تحدى به هو الاتيان بسـورة واحدة .

وما من سورة من سـور القـرآن الكـريم الا اشتملت على ما يعجز عنـه كل مخلـوق ، ومن اليسير على كل قارىء أن يجد ذلك بنفسه اذا انعم النظر فى كتاب الله .

وصدق الله العظيم فى قوله الكريم :

« وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِـن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّـذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » (٤) .

تم البحث

(١) سورة البقرة : الايتان ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢١ .
(٣) سورة الاسراء : الآية ٨٨ .
(٤) سورة يونس : الآية ٣٧ .

مناظرة في الله

بين الخليل والنمروذ

حكى الله تلك المناظرة فى قوله تعالى :

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » ـ البقرة ٢٥٨ والآية مدنية «ألم تر» تعبير يدل على التعجب جاء فى صورة الاستفهام لانكار النفى وتقرير المنفى ، والمعنى : ألم تنظر أو ألم ينته علمك الى هذا الطاغوت الذى يتصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات نور الفطرة الى ظلمات الباطل حين تجبر وادعى الربوبية .

وقد اختلف فى وقت هذه المحاجة والمناظرة.

فقيل : انها كانت عند تكسير الأصنام ،وكان نمروذ سجنه ، ثم أخرجه من السجن ليحرقه وقبل الالقاء فى النار دار الحوار بينه وبين نمروذ .

وقيل : كانت المحاجة بعد الالقاء فى النار ونجاته منها .

واختلف فى مرجع الهاء فى قوله : أن آتاه الله الملك فقيل :

١ ـ هو ابراهيم عليه السلام والدليل قوله تعالى : « **فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا** » وعود الضمير الى أقرب المذكورين واجب ، وأقرب المذكورين ابراهيم .

٢ ـ أن الضمير عائد الى ذلك الانسان الذى حاجه ابراهيم ، وأصحاب هذا الرأى فسروا قوله تعالى فى آل ابراهيم : وآتيناهم ملكا عظيما » أن الله آتى آل ابراهيم الملك العظيم ولم يؤت ابراهيم ملكا .

أو أن المراد بالملك : التمكين والقدرة والبسطة فى الدنيا .

للأستاذ الدكتور
محمد محمد خليفة

ولقد حاج ذلك المحاج الذى آتاه الله الملك ابراهيم حين هز البطر المحاج ودفعه الى العتو وشدة اللجاج والمجادلة .

وقد أرسل الله الأنبياء ، وكلفهم بدعوة الناس الى عبادته ، وأول ما يواجه الداعية ما يطلب منه من اثبات اله لهذا العالم يدير شئون الكون وما فيه وكأن نمروذا سأل ابراهيم حين ادعى الرسالة : من ربك ؟

فقال له ابراهيم : ربى الذى يحيى ويميت بهذا قدم ابراهيم الدليل لمعرفة الله حيث ان الاحياء والاماتة لا يشارك فيهما أحد من أصحاب القدرة والسلطان ، والناس جميعا على اختلاف جاههم وسلطانهم عاجزون عن الاحياء والاماتة .

وقدم فى هذه الآية الحياة على الموت فى قوله : ربى الذى يحيى ويميت ، لأن الانسان يشاهد الحياة ، ويطلع على كل ما يجرى فيها، وهذا أمر لا ينكر ، ولهذا قدم الاحياء على الاماتة و « اذ » فى قوله : اذ قال ابراهيم نصب بقوله : حاج ابراهيم ، أو بدل من قوله: أن آتاه الله الملك اذا جعل بمعنى الوقت .

« قال » استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل : كيف حاجه فكان الجواب : قال أنا أحيى وأميت : أعفو وأقتل .

وقيل : انه دعا برجلين ، فقتل أحدهما ، وأطلق الآخر ، وقال أنا أحيى من أطلقته وأميت من قتلته .

وبعد أن ألقى نمروذ شبهته فى أنه يحيى ويميت عدل ابراهيم الى دليل آخر يفحم به نمروذا ، وانتقل ابراهيم من دليل الى دليل أقوى « قال ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب » .

وقوله : قال . استئناف كأنه قيل : ماذا قال ابراهيم ، وكان الجواب : قال « ان الله يأتى بالشمس من المشرق » الخ .

وقد قيل : ان هذه المناظرة وذلك الجدل كان بعد أن خرج ابراهيم من النار سالما وحفظه الله من الاحتراق .

وقد أدرك نمروذ أن من حفظ ابراهيم من النار يقدر على أن يأتى بالشمس من المغرب فلم يطلب من ابراهيم أن يأتى بها الهه من المغرب،أو أن الله صرفه عن القول بأنه هو الذى يأتى بالشمس من المشرق فلم يدع ذلك « فبهت الذى كفر » أى بقى مغلوبا لا يجد جوابا ولا مقالا .

« والله لا يهدى القوم الظالمين » فهو لا يهدى من ظلموا أنفسهم فعرضوها للعذاب بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى سبيل النجاة أو الى الجنة .

◄

ابراهيم يسأل ربه كيف يحيي الموتى :
قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة ٢٦٠ والآية مدنية .

العامل فى قوله : واذ ، اما أن يكون مقدرا تقديره : اذكر ، واما أن يكون : واذ قال ابراهيم معطوف على : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ » ، ويكون التقدير : ألم تر الى الذى حاج ابراهيم وألم تر اذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى .

و « أرنى » من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وطلبت مفعولا آخر بدخول الهمزة وكيف فى محل نصب على التشبيه بالظرف وبالحال ، والعامل فيها تحيى ، والاستفهام فى قوله : « كيف تحيى الموتى » عن هيئة الاحياء

وقد اختلف العلماء فى السبب الذى دعا ابراهيم عليه السلام الى سؤال ربه : أرنى كيف تحيى الموتى وكثرت رواياتهم فى ذكر السبب الذى دعا الى ذلك السؤال وبعض ما ذكر :

أن ابراهيم رأى جيفة مطروحة فى شط البحر تأكل منها دواب البحر والسباع والطيور ، فقال ابراهيم : رب أرنى كيف تجمع أجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر ، فقيل : أو لم تؤمن ؟

قال : بلى ولكن المطلوب أن يصير العلم بالاستدلال ضروريا .

« قال أو لم تؤمن » استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر تقديره : فماذا قال له الله حين سأله : أرنى كيف تحيى الموتى ، وكان الجواب قال « قال أو لم تؤمن » ، وقوله : أو لم تؤمن عطف على مقدر تقديره : ألم تعلم ولم تؤمن بقدرتى على الاحياء كيف أشاء حتى تطلب منى أن أريك ذلك .

والله يعلم أنه أثبت الناس ايمانا ولكن السؤال : ليجيب ابراهيم بما أجاب : ليطمئن قلبى لينتفع السامعون بذلك الجواب .

وقوله : أو لم تؤمن : استفهام للتقرير ، واللام فى قوله : ليطمئن قلبى متعلق بمحذوف تقديره : سألت ذلك ارادة لطمأنينة قلبى ، و « بلى » ايجاب لما بعد النفى والمعنى : بلى آمنت .

« قال » استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر تقديره : فماذا قال له الله ، وجاء الجواب : قال فخذ ، والفاء فى قوله : فخذ داخلة على جواب شرط محذوف تقديره : ان أردت ذلك

« فخذ أربعة من الطير » والطير : اسم جمع لطائر أو مصدر سمى به الجنس « فصرهن اليك » اضممهن اليك ليتأملها ويعرف أشكالها وهيآتها وألوانها وأحجامها حتى لا تلتبس بمثيلاتها من الطيور الأحياء ، وكانت تلك الطيور : طاووسا ونسرا وديكا وغرابا قيل : كان اختيار الطاووس ليشير الى ما فى الانسان من حب الزينة والجاه والترفع

والنسر اشارة الى الشغف بالأكل ، والديك اشارةالى شدةالشغف بقضاء الشهوة والغراب اشارة الى شدة الحرص على الجمع والطلب .

« ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا »

وقد روى أنه أمر بأن يذبحها ، وينتف ريشها ويقطعها أجزاء صغيرة ، ويخلط ريشها ولحمها ودماءها ، ويمسك رءوسها ثم يفرقها على أربعة جبال حوله ، وقيل سبعة جبال بحيث يجعل على كل جبل جزءا من هذا الخليط ، وقيل كانت الجبال حسب الجهات : الشرق والغرب والشمال والجنوب .

« ثم ادعهن يأتينك سعيا » أى ناد وقل لهن تعالين ، والضمير فى قوله : ادعهن يعود على الطيور لا على أجزائها .

وروى أنه حين ناداها تطاير كل جزء الى الجزء الذى كان بجانبه حتى تكاملت الجثث ثم تقدمت كل جثة الى رأسها ، فعاد الطير حيا بكل أجزائه ولحمه وشكله وريشه ودمه .

وكان سعيهن عدوا ومشيا على أرجلهن ، وقيل : ان السعى هو الاشتداد فى الحركة ، ومعنى ذلك أن تحرك الأجزاء كان شديدا حتى تم الاكتمال .

« واعلم أن الله عزيز حكيم » .

أى غالب على جميع الممكنات حكيم عليم بكل شىء .

وبهذا حقق الله لابراهيم عليه السلام ما سأل وأراه كيف يحيى الموتى على أيسر ما يكون حيث أراه عمليا كيفية احيائه للموتى ، وكيف يجمع الأجزاء وان كانت ترابا اختلط مع تقادم العهد .

وسبحان الذى بعثها كما خلقها أول مرة .

اصطفاء الأنبياء :

قال تعالى : **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ »**

آل عمران ٣٣ والآية مدنية اصطفى فى اللغة : اختار ، اصطفاهم : جعلهم صفوة خلقه .

وقد قال الله فى شأن موسى عليه السلام :

« **إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي** » .

وقال فى ابراهيم واسحاق ويعقوب :

« **وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ** » .

وقيل : ان الله اصطفى آدم بأن خلقه بيده وأسجد له الملائكة وأسكنه الجنة واصطفى نوحا فجعله أول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبله تزويج المحارم حراما فنسخ ذلك وحرم المحارم ، وجعل ذريته هم الباقين ، وحمله على متن الماء حين الطوفان والمراد بآل ابراهيم : اسحاق ويعقوب والأنبياء من أولادهما .

والمراد بآل عمران عيسى عليه السلام وأمه مريم ابنة عمران التى ينتهى نسبها الى سليمان عليه السلام وينتهى نسب سليمان الى يعقوب واصطفاء عيسى ينتهى الى ابراهيم أما موسى ابن عمران ، فهو وان انتهى نسبه الى يعقوب الا أن بين عمران والد مريم وعمران والد موسى ألف وثمانمائة سنة .

ومن العلماء من قال : المراد هنا :عمران والد موسى وهارون فيكون المراد من آل عمران : موسى وهارون ونسلهما من الأنبياء .

أهل الكتاب يحاجون فى ابراهيم :

قال تعالى :

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ • هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ • مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ • إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ » آل عمران ٦٥ — ٦٦ — ٦٧ — ٦٨ والآيات مدنية •

لقد جادل اليهود والنصارى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى أمر ابراهيم وملته وشريعته فزعم كل فريق منهما أن ابراهيم عليه السلام كان على ملته ، حيث زعم اليهود أن ابراهيم دان باليهودية ، وزعم النصارى أنه دان بالنصرانية ، على حين أن اليهودية لم توجد إلا بعد نزول التوراة، والنصرانية لم توجد الا بعد نزول الانجيل ، وبين ابراهيم وموسى ألف سنة ، وبين موسى وعيسى ألفا سنة ، فكيف يكون ابراهيم على دين لم يوجد الا بعده بألف أو ألفى سنة •

(أفلا تعقلون) أيها اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدل العجيب فاذا طعن هؤلاء أو أولئك فى ابراهيم كان قبل الاسلام بآلاف السنين فكيف يعقل أن يكون مسلما ؟ •

وجاءهم الرد من القرآن الذى أخبر أن ابراهيم كان حنيفا مسلما ، ولم يجىء فى التوراة ما ينص على أنه كان يهوديا ، وكذلك لم يجىء فى الانجيل ما ينص على أنه كان نصرانيا ، ولم يرد ذكر لابراهيم فى التوراة أو الانجيل •

(هاءنتم) اختلف فى ها فقيل : للتنبيه والأصل أنتم •

وقيل أصله : أأنتم قلبت الهمزة الأولى هاء والاستفهام للتعجب ومحاجتهم فيما لهم به علم هو ما قالوه : ان الشريعة التى جاءت بها التوراة والتى جاء بها الانجيل مخالفة للشريعة التى جاء بها القرآن •

(فكيف تحاجون فيما ليس لكم به علم) وهو ما تدعون أن شريعة ابراهيم مخالفة لشريعة محمد — صلى الله عليه وسلم •

(والله يعلم) كيف كانت الشرائع من حيث المخالفة والموافقة (وأنتم لا تعلمون) كيف كانت أحوال تلك الشرائع •

ثم أعلن تكذيب اليهود والنصارى فى دعواهم فقال : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) فأبطل بما لا يحتمل الشك ما ادعاه كل فريق من حيث يهودية ابراهيم أو نصرانيته ، ثم أعلن وأثبت دين ابراهيم فى قوله : (ولكن كان حنيفا مسلما) منقادا لله تعالى •

والحنيف : المائل عن الباطل وعن العقائد الزائفة الى الحق (وما كان من المشركين) وبهذه الصيغة نفى عن ابراهيم الشرك ، وفى

هذا الأسلوب تعريض باليهود الذين يقولون بالتشبيه ، وتعريض كذلك بالنصارى الذين يقولون بألوهية المسيح •

ان أولى الناس بابراهيم وأخصهم به هما فريقان :

أولهما : من اتبعه ممن سبقوا عهد محمد — صلى الله عليه وسلم — سواء كانوا فى عهد ابراهيم أو فى غير عهده من أولئك الحنفاء الذين كانوا فى الجاهلية ، واتبعوا ابراهيم وملته •

وثانيهما : النبى — محمد صلى الله عليه وسلم — وسائر المؤمنين برسالته •

هؤلاء وأولئك أولى الناس وأجدرهم بابراهيم (والله ولى المؤمنين) ينصرهم ويوفقهم ويكرمهم ، ويجازيهم بالحسنى وخص المؤمنين بولايته ليثبت ذلك الحكم لرسول الله امام المؤمنين •

الايمان بالله وما أنزل على الرسل

قال تعالى : ((**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**)) آل عمران ٨٤ والآية مدنية •

لقد اخذ الله الميثاق على الأنبياء أن يصدقوا بالرسول الذى يصدق ما معهم ، وقد بين فى هذه الآية أن من صفات محمد — صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما جاء به الأنبياء والرسل قبله ، فقال تعالى آمرا لرسوله — صلى الله عليه وسلم : قل آمنا بالله •

وقد خاطبه الله بلفظ الواحد : قل ليبين أنه ليس ثمت من مبلغ لهذا التكليف الا رسول الله ، وليظهر بذلك أنه مصدق لما جاء به الرسل ، وليس هذا التكليف من خواص الرسول بل هو لازم للمؤمنين جميعا أن يقولوا : آمنا) كما قال فى آية أخرى : **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**) •

وقدم الايمان بالله فى هذه الآية على الايمان بالأنبياء ، لأن الايمان بالله أصل الايمان بالنبوة ، وقدم الايمان بما أنزل علينا على الايمان بما أنزل على الرسل مع أن الايمان بما أنزل علينا متأخر زمنا عن ما أنزل على غيرنا ، لأن كتب الأنبياء حرفت عما أنزلت وبدلت ، فلا سبيل الى معرفة أحوالها الا بما أنزل على — محمد صلى الله عليه وسلم — ، فكأن ما أنزل عليه هو الأصل لما أنزل على سائر الأنبياء ولذلك قدم فى الآية وبينا فيما سبق أن اسماعيل واسحاق ويعقوب لم تنزل عليهم كتب ، بل أنزل على ابراهيم الصحف ، وهم عملوا وأتباعهم بما جاء فى صحف ابراهيم •

بقية ص ٦٦٨

أولو الألباب

أولو الألباب : وهم أصحاب العقول السليمة ، التى يستعملونها فى مرضاة ربهم ، وفى رفعة شأنهم ، وفى اسعاد بلادهم ووطنهم ، وفى حب الخير للغير ، وللمجموعة الانسانية من حولهم ، حتى يعيشوا مع الناس ، هنا وهناك ، فى أمن واطمئنان ، وسلام ووئام ، فتصفو حياتهم من جميع المكدرات ، وينصرفون فى وداعة وهدوء ، الى طاعة مولاهم ، يرجون رحمته ، ويخشون عذابه ، ويعبدونهجل علاه ، مخلصين له الدين ، ويجعلون لهم أسوة حسنة ، وقدوة طيبة فى خاتم النبيين ، وامام المرسلين ، سيدنا ومولانا محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، والمصطفين الأخيار ، فى كل وقت وحين ، **ويكملون أنفسهم بألوان المعارف** ، وضروب العلوم والفنون ، التى ترقى مداركهم ، وتنهض بمستواهم ، وترفع بين الورى من قدرهم ، فيعرفون مالهم ، وما عليهم ، **ويحبون لغيرهم مايحبون** لأنفسهم ويكرهون للناس ما يكرهونه لذواتهم ، ويعاملون سواهم معاملة طيبة ، يذكرها لهم عبر الأيام والسنين ، بالرضا ، والارتياح والاعجاب ، والمدح والتقدير ، والثناء المستطاب ، ويأخذون حقهم بلا زيادة عليه ، ويؤدون واجبهم من غير نقص منه ، وينظرون فى ملكوت السموات والأرض بعيون ملؤها العبرة والعظة ، ليصلوا من وراء ذلك ، الى وحدانية رب العالمين ، وقدرتهوعظمته ، وتدبيره عز وعلا ، وحكمته ومشيئته ، وأنه خلق فسوى وقدر فهدى ، وأخرج المرعى فجعله غثاء أحوى

وخلقنا وصورنا فى أحسن تقويم ، وأنعم علينا تفضلا وكرما ، بنعم كثيرة ، لو انقطعت عنا طرفة عين لكنا من الهالكين ، وأن أمره جل جلاله بين الكاف والنون ، فاذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، ويعلم ما يسر الخلق وما يعلنون ، ولا تغيره الأيام ولا السنون ،

وكل المخلوقات قهر عظمته ، واليه الناس يرجعون ، وبين يديه — تباركوتعالى — يقفون وعلى ما قدموا فى دنياهم يحاسبون ، يوم تشهد على الناس فيه ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا فى حياتهم يفعلون ، وفى هذا اليوم العظيم ، يوفيهم السميع العليم ، دينهم

وجزاءهم الحق ، ويعلمون أن الله جل علاه ، هو الحق المبين ، خير الفاصلين ، وأسرع الحاسبين ، وأرحم الراحمين •

لفضيلة الشيخ
احمد علي منصور

أولو الألبـــاب وعلمهم ..

وأولو الألباب، يعلمون علـم اليقين، أن الأدلة النقلية والعقلية، أثبتت لله تعالى كـل كمال، ونفت عنه سبحانه كل نقص فـــان النقص لا يليق بذاته، وأجازت فى حقه ،جلت حكمته، فعل الممكن وتركه، وأنـــه ــ تبارك اسمه ــ أول بلا ابتداء، وآخر بلا انتهـــاء، وظاهر فوق جميع الأشياء، وباطن فلا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء، وأنـــه الغنى عن جميع العالمين، وأنهم فى أمس الحاجة إليه فى كل زمان ومكان، **وأنه جل جــلاله: اصطفى رسله من خلقه**، وأرسـلهم مبشرين ومنذرين، وأوجب لهم كل كمـــال بشري، ونزههم عن كل نقص انسانى، وآجاز فى حقهم ما يجوز فى حق الناس،مما لايؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية، أو ينفر المبعوثين اليهم منهم وآن عددهم كثير، لا يعلمه الا اللــه أحكـم الحاكمين. وأيقن أولو الالباب، **أننا سنرجع الى الله تعالى** يوم الحساب، للثواب والعقاب فآمنوا بالله وملائكته، وكتبه ورسله، ولـم يفرقوا بين أحد من رسله، وراقبوا ربهم فى سرهم وعلنهم، ونأوا بجانبهم عن المعـاصى فى جميع شئونهم، وآخذوا من دنياهم لآخرتهم، ومن شبابهم لكبرهم، ومن صحتهم لمرضهم، ومن فراغهم لشغلهم، ومن غنـــاهم لفقرهم، وعاشوا عيش الزاهدين، وعملوا عمل الصالحين وحكمـــوا حكم العـــادلين، ويرفعون أكف الضراعة والابتهال الى أكـــرم الأكرمين، أن يوفقهم، ويسدد خطاهم، ويحقق آمالهم، فى الدنيا وفى الآخرة أجمعين.

أولو الألباب فى القرآن الكريم .

ولقد آشاد الله عز وجل، بذكر أولى الألباب فى مواضع عدة من القرآن العظيم، ففى الآية السابعة من سورة آل عمران، يقول مولانـــا وهو أصدق القائلين:

« هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْـــهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَـــرُ مُتَشَـابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِـهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الْأَلْبَـابِ »

أولو الألباب

فقد أنزل الله القرآن المبين ، على الصادق الأمين ، وبه آيات أحكمت عباراتها ، وخلت من الاحتمال والاشتباه ، وفيه آيات أخر مشتبهات محتملات للتأويل ، والآيات المحكمات أم هذا الكتاب الكريم وأصله ، وتحمل المتشابهات عليها ، وترد كل حين اليها .

وأهل البدع ممن فى قلوبهم زيغ ، وميل عن الحق ، يتعلقون بالمتشابه ، المحتمل لما يذهبون اليه ، جريا وراء فتنة الناس فى دينهم واضلالهم وطلبا لتأويله على الوجه الذى يتمشى مع أهوائهم ، ولا يهتدى الى تأويله التأويل الحق الذى يجب أن يحمل عليه ، الا الله جل علاه ،

والراسخون فى العلم ، الثابتون فيه ، المتمكنون منه ، العاضون عليه بالنواجز ، يقولون آمنا به وكل من محكمه ومتشابهه ، من عند ربنا العزيز الحكيم ، الذى لا يتناقض كلامه ، وما يذكر ويتعظ ، بكل ما تقع عليه عيونهم ، وتسمعه آذانهم ، الا أولو الألباب وأصحاب العقول السليمة الراجحة ، وفى هذا مدح لهم بالايمان الصادق ، والتسليم للخالق ، واعتقاد الحقية بلا تكييف ، ونقاء الذهن ، وسلامة الطبع ، وحسن المشاهدة والتأمل .

ومن الآية التسعين بعد المائة ، الى الآية الخامسة والتسعين بعد المائة ، بسورة آل عمران أيضا ، يقول مولانا وقوله الحق :

« **إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**

.. رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ . رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ . رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ .

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِى سَبِيلِى وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ » .

ان فى ذلك لذكرى ..

ففى خلق السموات والأرض ، بهذا النظام المحكم البديع ، وفى توارد الليل والنهار ، على وجه ثابت ، لا يتغير ولا يتبدل ، دلالات واضحات ، على اله قادر عظيم ، عزيز حكيم ، سميع عليم ، لأصحاب الألباب والعقول الراجحة ، الخالصة عن الهوى ، خلوص اللب عن القشر ، فيرون أن العرض الحادث فى

الجوهر ، يدل على حدوث ذات الجوهر ، لأن الجوهر لا ينفك بحال عن العرض الحادث ، ومالا يخلو عن الحادث فهو حادث مثله ، وحدوث الجواهر والأعراض ، يدل على محدثها وهو تعالى قديم ، والا لاحتاج سبحانه الى محدث آخر ، الى مالا يتناهى ، وحسن صنعه تبارك اسمه ، يدل على علمه ، واتقانه عز شأنه يدل على حكمته ، وبقاؤه تعالى جده يدل على قدرته • ولهذا يقول نبينا ، صلوات الله وسلامه عليه : « ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها » •

وكان فى بعض الأمم السابقة ، من اذا عبد الله تعالى ثلاثين سنة ، أظلته سحابة ، فعبد رجل منهم هذه المدة ، ولم تظله تلك السحابة ، فأسف وظن بنفسه الظنون ، وأخبر أمه بما كان ، فقالت له لعلك فعلت فى مدة عبادتك ، ما حال بينك وبين اظلال السحابة لك •• فقال لها : ما أذكر أنى فعلت شيئا من ذلك — فقالت له لعلك نظرت الى السماء ذات يوم ولم تعتبر فقال لها لعل ذلك قد كان • فقالت له أمه : فما أوتيت الا من ذلك ، ولم تظلك السحابة بعد عبادتك هذه المدة ، الا لذلك السبب ، وفى ذلك ذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد •

أولو الألباب وذكرهم :

وأولو الألباب هم الذين يذكرون الله تعالى قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام ، وابداع صنعتها على ذلك النظام ، وما دبر فيها من الأسرار ، التى تكل عن ادراك بعض عجائبها الأفهام ، على الصانع العظيم ، وكبرياء سلطانه ، فالتفكر فى الملك والملكوت عبادة ، لأنه يذهب الغفلة ، ويحدث فى القلب الخشية ، وما جليت القلوب بمثل الأحزان ، ولا استنارت بمثل التفكر والتدبر • وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل مستلق فى فراشه ليلا ، اذ رفع رأسه فنظر الى السماء وما بها من نجوم ، وقال أشهد أن لك ربا وخالقا ، اللهم اغفر لى ، فنظر الله تعالى اليه ، فغفر له » •

ويقول أولو الألباب ، عند ذكر ربهم ، وتفكرهم فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا بغير حكمة ، بل خلقته لسر عظيم لتجعله مساكن للمكلفين ، وأدلة واضحة لهم على معرفتك ، وينزهونه سبحانه عن كل مالا يليق بجلاله ، ويسألونه أن يحفظهم من عذاب جهنم ، لأن من يدخل النار فهو هالك مفضوح ، وليس لأهلها أعوان وشفعاء لهم ، ويحولون دون وقوع العذاب بهم ، ويقر هؤلاء الأبرار ، بأنهم سمعوا الرسول الكريم أو القرآن الحكيم ، يدعوهم الى الأيمان بربهم العلى العظيم ، فآمنوا صادقين ، ويسألون مولاهم ، أن يغفر كبائرهم ، ويمحو صغائرهم ويتوفاهم مع عباده الصالحين ، وأن يحقق لهم ما وعدهم به منزلا على رسله ، من الثواب والنصر على الأعداء ، وألا يفضحهم يوم الحساب بين الأشهاد ، فانه سبحانه سميع الدعاء ، ولا يخلف الميعاد •

أولو الألباب

ما أعــده الله لهم :

ولقد استجاب الله تعالى لدعائهم ، وأنبأهم بأنه لا يضيع عمل عامل منهم ، من ذكر أو أنثى فبعضهم من بعض ، وكلهم بنـــو آدم ، أو بعضهم من بعض فى النصرة والدين ، فالذين يغادرون أوطانهم ، فارين بدينهم ، وأخرجـوا من ديارهم التى ولدوا فيها ، ويعطـــون من حرمهم ، ويصلون من قطعهم ، ويتوبـون الى الله تبارك وتعالى من ذنوبهم ، ويتوكلون عليه فى جميــع أمورهم ، ويعتمدون عليـــه فى كل شئونهم ، ويفوضون اليه سبحانه كل ما يتصل بهم ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ٠

وهؤلاء الصالحون الأبرار ، لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ، ومن صلح من آبائهم ، وأمهاتهم وأزواجهم وذرياتهـم ، والمـــلائكة يدخلون عليهم من كل باب ، فى قدر كل يـــوم وليلة ، ثلاث مرات بالهدايا ، وبشارات الرضا ويقولون لهم : سلام عليكم بما صبرتم ، على أمر الله تعالى ، وعن الشهوات ، ونعـم عقبى الدار الجنات ، وفيها النعيم المقيم ٠

وفى الآيتين السابعة عشرة ، والثامنة عشرة من سورة الزمر ، يقول الله جل علاه :

« وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَـــا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّــرْ عِبَادِ ٭ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ »

فالذين نأوا بجانبهم عن عبادة الشـــياطين ، وعبدوا الله رب العالمين ، تتلقـــاهم ملائكة الرحمن ، عند مفارقة أرواحهم لأبدانهم ، وعند الحشر مبشرين لهم ، بدخول الجنان آمنين ،

وبشر يا خير الورى هؤلاء المتقين ، الـــذين يستمعون القول ، فيتبعون أحسنه ، بأن يكونوا نقادا فى الدين ، يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل ، فاذا اعترضــهم أمران واجب وندب ، اختاروا الواجب ، وكذا المباح والمندوب ، عمدوا الى الثانى ، حرصا عـلى ما هو أقرب عند الله ، وأكثـر ثوابـــا ، أو يستمعون القرآن الكريم وغيره ، فيتبعـــون القرآن الحكيم ، أو يستمعون أوامر الله تعالى فيتبعون أحسنها ، كالقصاص والعفو ، ونحو ذلك ، أو يستمعون لحديث القوم ٠

وفيه محاسن ومساوىء ، فيحـدثون بأحسن ما سمعوا ، ويكفون عما سواه ، وهؤلاء الأبرار ، هم الذين هداهم اللـــه عز علاه ، وأولئك هم أولو الألبـــاب ، وأصحاب العقول السليمة ، المنتفعون بها على الدوام ٠ اللهم اجعلنـــا من أولى الألباب ، ووفقنا دائما للسداد والصواب وآتنا الحكمة وفصل الخطـاب ، وحقق اللهم آمالنا فى الأولى والآخرة ، يا كريم يا وهاب ، وأنت أنت الله الســـميع المجيب ٠

احمدعلى منصور

دعائم الإسلام

للأستاذ عبد المعز عبد الحميد الجزار

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنهما ــ قال :

« سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » .

رواه البخارى ، ومسلم

ترجمة الراوى :

روى هذا الحديث صحابى جليل ، هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أحد العبادلة الأربعة ، وثانيهم ابن عباس ، وثالثهم عبد الله ابن عمرو بن العاص ، ورابعهم عبد الله بن الزبير . كان عبد الله بن عمر ــ رضى الله عنه ــ من فقهاء الصحابة الكرام ، ومفتيهم ، وزهادهم ، واعتزل الفتنة ، فلم يقاتل مع سيدنا على ، ولا مع سيدنا معاوية ، وكان ورعا ، تقيا ، وهو أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية .

ولد قبل البعثة بسنة ، ثم أسلم مع أبيه بمكة ، وهو صغير ، وقيل قبله ، وهاجر معه ، ونظرا لصغر سنه لم يشهد غزوة بدر ، ثم أجازه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى عام الخندق ، ومنذ هذه الغزوة لم يتخلف عن سرية من سرايا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .

وصفه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالصلاح والتقوى حيث قال لشقيقته أم المؤمنين حفصة ــ رضى الله تعالى عنها ــ

دعائم الإسلام

« ان أخاك رجل صالح لو أنه يقوم الليل » فلم يترك عبد الله قيام الليل بعد .

قال جابر : « ما منا الا من نال من الدنيا ، ونالت منه ، الا عمر وابنه » .

وكان من أعلم الناس بالمناسك ، كثير الصدقة .

قال نافع : « أعتق ألف رقبة أو أزيد » .

وحج ستين حجة ، واعتمر ألف عمرة ، وحمل على ألف فرس فى سبيل الله .

توفى سنة ثمان وخمسين بمكة عن ست وثمانين سنة ، ودفن بذى طوى فى مقبرة المهاجرين . وقيل بفخ :

روى له ألف حديث وستمائة وثلاثون حديثا .

اتفق الشيخان منها على مائة وسبعين .

وانفرد البخارى بأحد وثمانين .

ومسلم بأحد وثلاثين (١) .

« الشرح »

هذا الحديث قبس من نور النبوة ، ومن هدى سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اشتمل على أركان الاسلام ، وقواعده ، ودعائمه ، وشبه الرسول الاسلام الذى هو تصديق وعمل ، وخضوع ، واستسلام ، عناصر وأصول هى منه ، بالبيت العظيم المحكم ، القائم على دعائمه المحتوية على الأحجار والأخشاب ، والرمل والأسمنت والحديد .. الخ .

وان هناك أشياء أخرى هى كالفروع من هذه الأصول مثل الجهاد فى سبيل الله لازم للعقيدة الخالصة ، لأنه دفاع عنها ، أو نشر لها . وما من مبدأ يملك النفس الا سخرها ، وسخر ما تملك فى سبيل خدمته ، وصيانته ، ونشره واذاعته .

وبعد هذا يستبين وجه الحصر فى أركان الاسلام الخمسة المذكورة ، لأن العبادة :

اما قولية : وهى الشهادة .

أو غير قولية ، وهى اما ترك وهو الصوم .

أو فعل وهو اما بدنى وهو الصلاة ، أو مالى وهو الزكاة أو مركب منهما وهو الحج .

---

(١) خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال للخزرجى ٢ـ٨١، أسد الغابة ٣ـ٢٤٠ ، العبر ١ ـ ٨٣ ، النجوم الزاهرة ١ ـ ١٩٢ ، طبقات الحفاظ للسيوطى ٩ نكت الهميات ١٨٣ .

« الشهادتان »

الدعامة الأولى للاسلام الشـهادتان وهى اعتراف واقرار واعتقاد بأن الالـه المعبود ، خالق السموات والأرض ، وجميع العالم واحد هو الله ، الواجب الوجود بيده وحده سبحانه الأمر والتدبير ، لا اله غيره ولا شريك لـه فى الملك قال سبحانه :

« قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١) .

وقال رسول الله ـ ﷺ : « خير مـا قلت أنا والنبيون من قبلى : لا الله الا الله وحـده لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » (٢) .

ومعنى أشهد أن محمدا رسول الله : أقـر وأعترف وأعتقد بأن الله سبحانه وتعالى أرسل سيدنا محمدا ﷺ على حين فترة من الرسل ، الى جميع الخلق ، ليرشـدهم الى الهـدى ، ودين الحـق ، ويرشـدهم الى مصـالحهم ويعلمهم الدين الحنيف ، وصدق الله اذ يقول « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا » (٣) وقال سبحانه « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » (٤) .

وان الاعتراف بوحدانية الله تبارك وتعالى وبرسالته لمحمد ﷺ انما هو أساس الاعتراف بالحقائق النيرة المضيئة ، ولذا يجب على المرء أن يشهد بلسانه ، ويعتقد بقلبه بألا معبـود بحق الا الله ، وأن محمدا مرسل من قبلـه لارشاد الخلق عامة الى ما فيه الصلاح والنجاة والسعادة فى الدنيا والآخرة .

شروطهما :

يشترط فى أداء الشهادتين أن ترتب ألفاظهما وأن يتتابعا ، وأن يفهم معناهما مع انكار مـا يخالفهما ، وأن يفهم لفظ : أشـهد » فيهما ، والقطع فيهما ، ويجب أن يتلفظ بهما المرء فى عمره مرة لأن الغاية اعتقـاد معناهما ، وأن الاكثار من ذكرهما محبوب ومرغوب فيه .

أثر الشهادتين :

للشهادتين أثر عظيم فى تقويم الأخـلاق ، وتهذيب النفوس ، وتعضيد الوحدة الاجتماعية اذ فى « شهادة أن لا الـه الا الله » تحريـر

(١) سورة الكهف الآية : ١١٠ .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) سورة الاحزاب الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .
(٤) سورة الصف الآية ٩ ، وسورة التـوبة الآية ٣٣ .

للعقول من الخرافات والأوهام ، وتطهير

النفوس وتنقيتها من ضلال الشرك ، والارتفاع بها عن العبودية لغير الله ، ومنعها من الانحطاط الى عبادة غير الله من مخلوقاته وبها جمع القلوب على اله معبود واحد ، وتوجيه الوجوه الى قبلة واحدة ، ولهذا أثره الكريم فى جمع الكلمة ، وتعاون الانسان وأخيه الانسان على الخير والفلاح .

كما أن فى شهادة أن محمدا رسول الله ، والايمان برسالته ، والقرآن ، تقويما للاخلاق ، واصلاحا للنفوس ، والنظم الاجتماعية ، بدليل قول الله تعالى :

« هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ » (١) .

وصدق رسول الله ﷺ اذ يقول « انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » (٢) .

« إقامة الصلاة »

إقامة الصلاة : اتيانها بأركانها ، وشروطها والمواظبة عليها فى أوقاتها ، لأنها عماد الدين ، ونور اليقين ، وركنه الركين ، والصلة بين العبد وربه ، لأنها اظهار الحاجة ، والافتقار الى الله بالقول والعمل ، وهى سلاح على أعداء الله ، واجابة للدعاء ، وبركة فى الرزق ، قال عليه الصلاة والسلام : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات:

اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط . فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » (٣)

وأيضا قال : « يا أبا هريرة: مر أهلك بالصلاة ، فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب » .

وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها ، كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه ، فاذا حضرت الصلاة قام كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » .

وصدق رسول الله اذ يقول : « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » اذ فيها راحة للأبدان ، وقبول الأعمال ، وأنها تشفع للمرء لدى ملك الموت ، وأنها سراج فى قبر المسلم ، وتكون ظلا فوق صاحبها ، وتكون نورا بين يديه ، ووقاية له من النار ، وثقلا له فى الميزان .

أثرها فى النفس :

الصلاة طهرة للنفس من التكالب على الدنيا قال تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا

---

(١) سورة الجمعة الآية ٢ .
(٢) رواه ابن سعد والبيهقى والحاكم والبخارى فى الادب المفرد عن أبى هريرة ، الفتح الكبير ١ ـ ٤٣٧ .
(٣) ابن ماجه ١ ـ ١٤٨ كتاب الطهارة . الفتح الكبير ١ ـ ٤٧٨ .

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » (١)

قال حذيفة : كان رسول الله ﷺ اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة » وقال أبو الطفيل :

سمعت أبا بكر الصديق يقول : « يا أيها الناس قوموا الى نيرانكم فأطفئوها ، فان رسول الله ﷺ كان يقول : الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر » .

وقال بكر بن عبد الله : من مثلك يا ابن آدم اذا شئت أن تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : تسبغ وضوءك وتدخل محرابك » .

وقيل : كان الحسن اذا توضأ تغير لونه ، وارتعدت فرائصه ، فقيل له فى ذلك ، فقال:

حق لمن وقف بين يدى الله تعالى أن يصفر وجهه وترتعد فرائصه .

وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذا حضر وقت الصلاة تغير لونه فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قد جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، فلا أدرى هل أحسن أن أودى ما حملت أم لا » (٢) .

وبالجملة : فالصلاة تعود المؤمن على الصفاء ، والنقاء ، والاخلاص ، والابتعاد عن النفاق ، اذ يقرأ فيها القرآن ، وقلبه خاشع وذهنه حاضر ، فيتعلم من نوره ، ويهتدى بهداه ، ويستنير عقله .

أثرها فى الجسم : ان الصلاة تبعث فى جسم المصلى نشاطا ملحوظا لما تحتوى من القيام والقعود والركوع والسجود .

أثرها الاجتماعى : الصلاة تعود النفس على حب الطاعة ، وحب النظام وحب المساواة والحرية ولأهميتها كان آخر كلام سيدنا رسول الله ﷺ : الصلاة . الصلاة . ولهذا كانت الصلاة لا تسقط عن المؤمن بحال من الأحوال فى الصحة والمرض ، ولذا قدمت الصلاة فى الحديث على ما بعدها ، لأنها عماد الدين ، ولشدة الحاجة اليها لتكررها كل يوم خمس مرات . وقدمت الشهادتان عليها لأن بهما حصول الايمان ، الذى به ملاك الأمر وأصله ، اذ الباقى مبنى عليه وبه النجاة فى الدارين .

ممن تقبل الصلاة ؟ هل تقبل الصلاة من المرائى أو من يؤديها على وجه يشوبه التصنيع؟ انما تقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمة الله ، ولم يستطل على خلقه ، ولم يبت مصرا على معصيته وكلما ازداد العبد معرفة بالله — تعالى — كلما اعتنى بالتعظيم لأمره ونهيه، وكلما بعد عن حضرة الله كلما تهاون بفعل أمره واجتناب نهيه .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٣ .

(٢) المجالس السنية للفشنى ٦٢ .

روى الحاكم وصححه مرفوعا : « من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فان الله ـ تعالى ـ ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه » (١) .

« ايتاء الزكاة »

أردفت الزكاة للصلاة فى الحديث ، لأنها قرينتها فى اثنتين وثمانين آية من كتاب الله تبارك وتعالى ، وكما أن الصلاة فيها تطهير للقلب ، وتهذيب للنفس ، واتيانها الثمرة الطيبة للفرد وللجماعة فكذلك الزكاة فيها تطهير للمال ، وتنميته ودعم أواصر الدين ،

ورفع البؤس عن المعوزين والمحتاجين ، وبأدائها تنتشر المحبة والوئام بين الجميع ،

كما أنها تطهر النفس من رذيلة البخل والشح ، وتعودها الخير ، وترفع مكانتها بين الخلق . تطبيقا لمبادىء الرحمة وتحقيقا للأخوة ومن هنا اعتبرها الاسلام ركنا من أركانه ، وعمودا من عمده .

حج البيت

فرض الله الحج الى بيته الحرام فى البلد الأمين ، الذى نشأ فيه سيد العالمين ، ونبت فيه هذ االدين على المستطيع من عباده كى يتعارف المسلمون المجتمعون من أنحاء العالم ببعضهم مهما اختلفت ألسنتهم وأجناسهم وألوانهم تجمعهم عبادة واحدة فى أرض واحدة على دين واحد ، متجهين الى قبلة واحدة .

الكل يقوم بأعمال كلها قربات من طواف وصلاة وسعى ووقوف بعرفات ، وذكر وتهليل وتلبية وتكبير وفى هذا كمال العبودية ، ونهاية الاسترقاق بما اشتمل عليه من الأعمال التى لا تأنس بها النفوس .

وان فى الحج منافع كثيرة وعوائد جمة اذ فيه تذكر النشأة الأولى للاسلام ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وتهذيب النفس بالسفر وبذلها المال ابتغاء مرضات الله ، ومفارقة الأهل والأوطان وتكبد المشقات طلبا لمثوبة الله ورضوانه ، وأنه يجتمع فيه المسلمون من كل فج يتبادلون أنواع المحبة والمودة يتحابون ويتآزرون ، ويواسون بعضهم بعضا ، فى صعيد واحد مخلصين لله النية آملين أن يتقبل الله منهم أعمالهم ، وبهذه المعرفة يقف المسلم على متطلبات أخيه فى الأقطار المختلفة ، والعلم أول خطوة الى العمل .

وقدم الحج فى هذه الرواية على الصوم كى تنشط النفس وترضى بما فيه من المشقة وبذل المال ، وفى رواية أخرى قدم الصوم لأن الصوم أعم وجوبا أو غير ذلك .

الدعامة الخامسة : الصوم

الصوم شرعا : امساك عن مفطر بنية

(١) المجالس السنية للفشنى ٤٢ ، نور الايمان ، الاربعين شرح النبراوى ٢٢ ، لطائف المنن للشعرانى ٦٧ .

مخصوصة جميع نهار قابل للصوم من مسلم عاقل مستطيع طاهر من الحيض والنفاس ٠

وفى الصوم تأديب للأبدان بالجوع والعطش ، وتطهير للمعدة مما علق بها من بقايا الطعام وينمى فى النفس الشعور بحال الفقير والمحتاج ، حينما يذوق ألم الجوع والظمأ يتذكرهم كما أن فى الصوم تشبيه بصفات الملائكة من ترك الطعام والشراب ، واللذة البهيمية وفيه قهر للشيطان واذلال لسلطته وابطال سطوته ففى الحديث « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » (١) ٠

من الفوائد البدنية للصائم : فى الصوم صحة لبدن الانسان ، ودرء الأمراض عنه تصديقا لقوله ﷺ « صوموا تصحوا » وعن المقداد بن معد يكرب قال رسول الله ﷺ « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » (٢) ٠

من الفوائد المالية :

فى الصوم خفة المؤونة ، وتعويد للصائم على الاقتصاد من عدم الافراط فى طعامه وشرابه ٠

من الفوائد الأدبية للصائم :

فى الصوم ذل النفس وانكسارها وزوال البطر الذى هو مبدأ الطغيان وفيه صفاء القلب وتنور البصيرة ، ويقوى عنده الصبر على مقاومة آلام الجوع والعطش ، كما يعود الصائم على الأمانة والحياء والثبات وقوة العزيمة والمروءة والعفة والشجاعة وصون اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والشتم والسب وكف البصر عما حرم الله وصون النفس عن ارتكاب المحرمات ٠ والاكثار من ذكر الله وتلاوة القرآن ، أخر الصوم عن الزكاة فى بعض الروايات وان كان أنسب بالصلاة لكونه بدنيا لأن اهتمام الشارع بالصلاة والزكاة أعظم ولذا ذكرهما فى القرآن كثيرا ٠

وان سأل سائل بأن ظاهر الحديث يقتضى حصول الاسلام الكامل لمن أتى بهذه الخمس ولو مرة واحدة لأنه ليس فيه مايدل على عمومها فى الأزمان ولاتكرر وجوبها فيها ٠

فالجواب أن هناك أدلة مفصلة مقتضية لوجوب ما ذكر فى جميع الأزمنة كقوله ﷺ لمعاذ لما بعثه الى اليمن : أخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة الى غير ذلك من الأدلة (٣) ٠

وبعد فاللهم وفقنا لطاعتك وحسن عبادتك ٠

والله الموفق

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(١) رواه الشيخان ورواه ابن ماجه فى كتاب الصوم ١ ـ ٥٦٦ ٠

(٢) شرح الاربعين للنبراوى ٢٣ ، ٤١ ٠

(٣) الفتح الكبير ٣ ـ ١٠٢ رواه الامام احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم ٠

وما أوتى موسى هو التوراة ، وما أوتى عيسى هو الانجيل ، وما أوتى النبيون على اختلاف عصورهم أمرنا أن نؤمن بـه ، لأن القرآن مصدق لما جاء فى الكتب التى لم تحرف والسبط : الحافد ، والأسباط : هم أولاد يعقوب الذين ذكر الله أممهم فى الأعراف فى قوله تعالى : « وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا » .

وقد عدى أنزل هنا بعلى وفى آية البقرة بالى ، لأن الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسول فجاء تارة بعلى وأخرى بالى .

وقيل : قيل أنزل علينا فى حق الرسول لأن الوحى ينزل عليه ، والينا فى حق الأمة لأن الوحى يأتى من الرسول وينتهى اليهم .

(لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ) أى أننا نعترف بأنهم كانوا على دين واحد من حيث الدعوة والانقياد الى التكاليف ، أو لا نفرق بين أحد منهم بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) منقادون مستسلمون لحكمه وقضائه ، راضون بأمره .

وقيل : ان هذا الأسلوب يفيد الحصر والتقدير : له أسلمنا لا لغرض من طلب مال أو جاه أو سمعة وقد أخذ الله فى آيات سابقة الميثاق على النبيين أن يؤمنوا بالرسول محمد حين يجىء مصدقا لما معهم وأن ينصروه وفى هذه الآية : « قل آمنا » أخذ الميثاق على محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن يؤمن بكل من أتى قبله من الرسل ، ولم يأخذ عليه الميثاق أن يؤمن بمن يجىء بعده وهذا دليل على أنه لا نبى بعده .

د. محمد محمد خليفة

دعم الإنتاج لا دعم الاستهلاك

دراسة فى قضية الدعم من وجهة النظر الإسلامية

أ . د / رءوف شلبى

« المؤمن يأكل فى مِعىً واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء »

« حديث شريف »

ان قضية الدعم ينبغى ألا تظهر فى المجتمع المسلم .. لأن المجتمع المسلم مجتمع التآخى بمعنى أنه من بات شبعان وجاره جوعان وهو يعلم .. فليس منا كما جاء فى الحديث الشريف فرعاية الفقراء والمحتاجين أمر واجب شرعا .. ليس فقط بحكم شرعى بل بأصل فى العقيدة لقوله تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » ولقوله تعالى «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » .

فلو أن التربية فى المدارس علمت الأطفال منذ الصغر العطف والشفقة والرحمة والانفاق .. لحولنا هذه التعاليم الى سلوك تطبيقى يصير بعد ذلك .. عادة ، ثم يصير عرفا اجتماعيا .

ولذا لما قال الله تعالى « **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ** » لم تكن عجيبة بعد تربية سلوكية للمسلمين دامت ، دهرا طويلا من الزمن وظهر ذلك بوضوح فى المجتمع الاسلامى الاول حيث لم نجد فيه شبح رجلين ، عاطل أو شحاذ .

فالرسول ﷺ علم السائل أن يحتطب .. فخفف عن المجتمع عبئا نحو عاطل .. وأضاف اليه تنمية .. كذلك فان المجتمع نفسه فى صورة عبد الرحمن بن عوف عندما رفض أن يقسم المال مع الصحابى بيثرب واشتغل .. فكان من أغنى أغنياء المسلمين .. فمن عَفَّ أعَفَّهُ اللـه .

◄

دعم الانتاج لدعم الاستهلاك

والرسول ﷺ كانت تأتيه أموال طائلة .. وأنزل الله حقا شرعيا فى الانفال والفىء .. ومن ذلك كان يقسمها على الفقراء والمساكين.. اذن مفهوم قضية الدعم لا ينبغى أن يظهر فى مجتمع فيه مؤاخاة وعطف وبذل وعطاء . ان قضية الدعم هذه ناشئة من تطبيق أنظمة اقتصادية لاتتلاءم مع البيئة الاسلامية .

ومع هذا فان الاسلام يوجب على رئيس الدولة أن يرعى المحتاجين والفقراء .. وأن يوائم بين الأثرياء والمساكين لأن النبى ﷺ فى تقسيم الغنائم فى خيبر ، أعطى المهاجرين الفقراء واثنين فقط من فقراء الانصار، ولم يعط الاغنياء .. وذلك لتنظيم الثراء فى المجتمع « كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ » .

أما الجانب التنموى من قضية الدعم .. فانه من الخطأ الاقتصادى والسياسى معا .. أن تجعل الدولة من نفسها بطلا لتحمل مشكلة الدعم .. فلابد من التنمية .. لأن الدعم بدون تنمية « كالبالوعة » يضيع كل ما ينزل فيها .. فحتى يكون للدعم أثر .. لابد من توجيه الشعب الى التنمية .. وهذا هو معنى الدعم الحقيقى .. هو دعم الانتاج لا دعم الاستهلاك .

والمجتمع الاسلامى ونحن منه يعرف أن الاكتفاء الذاتى مسألة أساسية فى التنمية .. والاسلام يحض على التنمية أكثر مما يحض على الاستهلاك .. وقد جعل الله المبذرين والمسرفين اخوانا للشياطين .. والشيطان صفة للتخريب والتدمير والاستهلاك ليس فيه شىء من صفة التنمية .. والتنمية أمرها سهل. لأنها عبارة عن كثرة فى الانتاج مع قلة فى الاستهلاك (الانفاق) .. يتطلب هذا من الحكومة اغلاق الاستيراد فى جميع الكماليات وخاصة أدوات الزينة التى ننفق عليها ١٨ مليون دولار فى السنة. . وهذا لا يتأتى اقتصاديا وسياسيا .. الا اذا ارتفع حب الانتماء لمصر .. والتاريخ الاقتصادى القديم أثبت أن بعض دول أوربا فى القرن السابع والثامن عشر قد أغلقت جميع مجالات الاستيراد حماية لصناعتها .

أما اليوم فالقضية قضية كرامة الشعوب . وفتح باب الاستهلاك بناء على ثورة الشهوة يحيل الشعوب الى الذلة .. لذلك لابد من التنمية الانتاجية .. حتى يكون الدعم مقبولا ومعقولا فى اصلاح الحالة المعيشية .. ومن جانب آخر .. ينبغى الغاء جميع مظاهر التبذير فى الوزارات والمصالح الحكومية .. ويكون الالغاء بالغاء بنودها من الميزانية وتوجيه الدعم الى الطاقة الانتاجية .

وعلى وزارات الاوقاف والتربية والتعليم والشئون الاجتماعية والأزهر القيام بحملة ثقافية لتعليم الشعب كيفية الاعتماد على الاكتفاء الذاتى ومحاربة الشهوة .. واحترام الانتماء الى مصر وتاريخها والعمل على تقويتها ومحاربة الأعداء الذين يثيرون الشعب باسم الاقتصاد والتنمية الاقتصادية .

دور الشعب فى التنمية :

والاسلام حريص كل الحرص على ألا تتحمل الحكومة الاسلامية وحدها مسئولية التنمية بل لابد من مشاركة جميع أفراد الشعب فى عملية التنمية ، يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « على كل مسلم صدقة ، قيل : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : يعتمل بيديه ، فينفع نفسه ويتصدق ، قال : قيل له : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف

قال : قيل له : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف ، أو الخير ، قال : أرأيت ان لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فانها صدقة » مسلم .

وتدفع السنة النبوية المطهرة جماعة المسلمين الى العمل بشتى الأسباب ففى مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان : فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » .

وهذا الانفاق الذى تحث عليه السنة لابد وأن يكون من عمل طيب ففى الحديث الشريف : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما تصدق أحد بصدقة من طيب ـ ولا يقبل الله الا الطيب ـ الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت ثمرة ، فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه أو فصيلة » .

ومن جانب آخر : جانب التخويف من هول يوم القيامة فان الاسلام يدفع جماعة المسلمين الى العمل والبذل والتصديق .

يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حديث عدى بن حاتم ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة » .

وفى رواية أخرى : قال :

« ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النار فأعرض وأشاح ثم قال : اتقوا النار ، ثم أعرض وأشاح حتى ظننا أنه كأنما ينظر اليها ، ثم قال : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

رواه مسلم

وفى الطبرانى والحاكم باسناد صحيح : « ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع الى جنبه » .

وفى المقابل فان الاسلام قد نهى عن البطالة وحذر من التمادى فى المسألة ففى مسلم : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا تزال .. المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم » .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم ، ويقول أيضا صلى الله عليه وسلم : ـ

« من سأل الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل أوليستكثر .

ويضع الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حلا لهؤلاء أصحاب المسألة فيقول :

« لأن يغدو أحدكم فيحطتبعلى ظهره فيتصدق به ويستغنى به من الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك فان اليد العليا أفضل من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول » .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب فيحملها على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل رجلا يعطيه أو يمنعه » .

ولقد حذر القرآن الكريم من فوضى العمل الاقتصادى بالتبذير أو بالتقتير وأمر بالاعتدال فقال الله تعالى :« **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** » الاسراء .

وفى سورة الكهف دعوة الى مشاركة الشعب مع الحاكم فى عملية التنمية يقول الله تعالى : ـ « **قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا** » الكهف ـ ٩٤ .

فالناس بين السدين أرادوا أن يظلوا عاطلين بلا حركة ويستأجروا ذا القرنين بأجر نظير أن يعمل لهم سدا .

فرفض ذا القرنين لأن أصحاب المصلحة والحاجة هم أولى الناس بالعمل فيها فقال لهم : « **قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا . فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا** » الكهف ٩٧ .

اذن قضية الدعم قضية تسيل لعابا دفعت اليه ظروف سياسية يجب أن تنتهى وأن .. يشترك الشعب مع الحكومة فى عملية التنمية عن طريق الدعم الانتاجى لا الاستهلاكى ،

فان التقدم لا يتم الا عن طريق زيادة فى الانتاج بقوة عمل كبيرة وقلة استهلاك موزونة

فيكون بعد ذلك الرخاء والأمن وهى تجربة سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ فى مصر .

قال تعالى :

« قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ . ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ . ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ » ٤٧ ـ ٤٩ .

ففى الآية حكاية حل لمشكلة اقتصادية وقعت فى مصر وكان الحل عن طريق : ـ

(أ) التنمية بالزراعة .

(ب) اختزان المحاصيل الا القدر القليل الكافى .

(جـ) هذا المخزون أنقذ مصر فى السنوات العجاف .

(د) ثم فاض الخير وكثرت النعم .

وأساس حل المشكلة : العمل + الاقتصاد والتحسب ليوم المجاعة .

فاندفاع الناس الى قوة شرائية وتنعم فى كل شىء وانفتاح استهلاكى رغب الناس فى اقتناء أشياء حرموا منها زمنا طويلا هو الذى أحدث هذا الاضطراب الاقتصادى ، ولذلك اقترح : ـ

(أ) الحجر على استيراد كل سلعة لها نظير يصنع فى مصر .

(ب) رفع كفاءة الانتاج المحلى حتى يضاهى الانتاج الخارجى ليقتنع المستهلك المحلى بضرورة الاعتماد على البضاعة المصرية .

(جـ) تحويل المساحات الشاسعة فى الأراضى الصحراوية الى جمعيات اسكان بأجر زهيد .

(د) العمل على توسيع الرقعة الزراعية عن طريق استخدام كليات الزراعة فى الجامعات حسب خطة توضع .

(هـ) تحويل ورش كليات الهندسة والكليات المعملية الى مؤسسات انتاج قومى تساعد فى رفع المستوى الصناعى والكفاءة العمالية .

(و) عمل معسكرات عمل فى الاجازة الصيفية للطلاب اما فى عمليات استصلاح أرض زراعية أو تخطيط مدن جديدة أو اعمال نظافة المدن .. الخ أو شق الترع وتطهيرها .

(ز) الدعوة الى الاقتصاد فى الاستهلاك من جميع نواحيه وهى مهمة التربية فى المدرسة والجامعة .

(حـ) الغاء جميع المصاريف الترفيهية فى الحكومة والقطاع العام .

هذا وبالله التوفيق ..

أ. د/رءوف شلبى
عميد كلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة

قتل المريض الميئوس منه

جريمة شنعاء

ما وقع حادث فى الغرب الا وترك صداه فى الشرق لأن وسائل الاتصال السريعة قد قربت بين الناس فجعلتهم كالأسرة الواحدة فى المكان الواحد ، وتناقل الآراء كتناقل الأحداث ، فاذا جدت حادثة اجتماعية ذات خطر فى بلد ما رن صداها فى كل بلد ، ووجدت من التعليقات المختلفة ميدانا لتقابل الآراء وتبادل الأفكار ، وفى هذه الآراء ما يقع موقعه من الصواب وفيها ما يتهور صاحبه مندفعا الى خطأ ظاهر العوار ، وعلى أصحاب الفكرة الاسلامية أن يقاوموا كل رأى يخالف ما يرونه ، لأن السكوت على الباطل شر عظيم .

لقد جرت فى محكمة (ليستر) بلندن قضية خطيرة شغلت الرأى العام الأوربى والأمريكى وانتقل دويها الى صحف البلاد العربية ، فسارعت الأقلام الى تحليلها ، واختلفت الآراء بازائها ، ومن حديث القضية أن الطبيب الانجليزى (ليونارد آرثر) المختص بطب الأطفال ، قد قدم الى المحاكمة بتهمة قتل طفل يسمى (جون بيرسون) باعطائه جرعة زائدة من دواء مخدر ، وقد ولد ذو عاهة جعلته بغيضا الى أمه اذ تأكدت تخلفه العقلى ، وعذابه الجسمى عندما تتفست به الحياة ، فشاورت زوجها فيما تعتقد أنه مأساة فوافقها على ضرورة التخلص من الطفل ، وتوسلا الى الطبيب كى ينهى حياته بأرحم السبل فمال الى رأيهما وكتب فى ملفه الطبى « ان أهل الطفل لا يريدونه » وأشار بالعناية العادية كيلا تبذل الممرضات جهدا فى سبيل شفائه كأى مريض تحرص المستشفى على شفائه ، فكان الممرضات لا يقمن بأى مساعدة جدية تتقدم به فى سبيل البرء وأهمل الطفل ، ووضع فى زاوية جانبية ليموت بهدوء ، وبدلاً أن يأخذ غذاءه الطبيعى كان الطفل المسكين يتناول كل أربع ساعات شرابا مخدرا قاطعا للألم من ناحية ولكنه يسبب فقد الشهية ، ويعرض الطفل الى الانحدار نحو العاقبة المحتومة فبدأ لونه يتغير ، فغاض الدم ، واستشعر صعوبة فى التنفس ، وهذا وحده ألم كبير فكيف يقال أن الطفل يموت دون ألم !! وفى الحالة الاعتيادية لحدوث الضيق التنفسى كان من الواجب أن ينقل المريض الى غرفة الانعاش ولكنه أهمل حتى لاقى مصيره المؤسف ، ووقع الطبيب على شهادة الوفاة قائلا أنها نتيجة الاصابة بالالتهاب الرئوى !

للدكتور محمد رجب البيومي

ولكن احدى الممرضات قد صرحت بالمأساة اذ تألمت وجدانيا لما نزل بالطفل المسكين ، واتصل النبأ باحدى الجمعيات الخيرية لمساعدة الطفولة فرفعت قضية تحاكم فيها الطبيب أمام دائرة (ليستر) اللندنية ، ودوى الخبر فى الصحف وتصارعت حوله الأقلام •

وقد تراجع الطبيب ليعلن انقاذا لسمعته أنه لم يتسبب فى قتل الطفل (جون بيرسون) ولكنه كان يعطى دواء ليخفف الألم فحسب لأن الطفل يعانى من صعوبات عضوية فأراد مساعدته ليستريح ، ثم توالت شهادات الممرضات ، فأعلن أن والدة الطفل رفضت تسلمه ، وأصرت على التخلص النهائى منه ، وأن الدكتور قد استجاب لها تحت شعور الشفقة ! لأنه — فى زعمه — (تأكد) أن بقاء الطفل وان امتد أعواما فلن يتجاوز مدى الطفولة • وسيقضى حياته تعسا بمرضه مؤرقا والديه دون جدوى فأشار بالتخلص منه دون أن يكابد ألما حادا ، كما ذكر الشهود من عارفى الطبيب أنه رحيم بمرضاه ، وليس من طابعه القسوة ! وتورط أحد الشهود فأشار الى تحليل صحفى لبعض العلماء يزعم فيه أن ما فعله الطبيب هو عين العطف ولا يتصل بالقسوة بحال ، لأن العمل على اراحة الميئوس من شفائه بالقتل المريح شفقة رحيمة ، ولو عاش المريض لصادف أهوالا أشد وستنتهى بموته لا محالة ! فأين هى القسوة اذن ! •

وعلى غير العادة فى صحف انجلترا نجد أن القائمين عليها لم ينتظروا حكم القاضى الفاصل ولكنهم فسحوا المجال لعرض الآراء المتقابلة وقد اتخذت وجهة الصراع العقلى اذ تحمس كل فريق لمتجاه ، فالذين رأوا أن الطبيب مصيب قد بالغوا فى تمجيده وارتفعوا بانسانيته الى مستوى خلقى ! ومعنى هذا أن الطبيب ليس مذنبا فحسب ، بل انه تجاوز الذنب الى مستوى مثالى أصبح فيه من ذوى الرحمة بالضعفاء وحين كثر اللجاج أثناء نظر القضية وجهت المحكمة تحذيرا الى صحيفة (الصاندى اكسبرس) التى هاجمت الطبيب بعنف ، اذ ترى المحكمة أن المتهم برىء حتى تثبت ادانته ، وحكم القاضى لم يصدر بعد ، وكان رد المحكمة باعثا لجدل آخر اذ انطلقت بعض الأقلام تشير الى أن المحكمة بهذا التحذير تنتوى وجهة الرحمة بالطبيب ، وهى اذن بذلك تعترف بحق القتل اذا كان المقصود به الشفقة !

أما نقابة الأطباء فقد انحازت الى جانب الطبيب فى مواجهة الرأى العام ، وأصدرت بيانا قالت فيه ان القانون البريطانى يسمح

للمتطرفين والمتعصبين بممارسة ضغوطهم على الاطباء لمنعهم من القيام بواجبهم الانسانى ، والأطباء يستشعرون الراحة لو تأكدوا أن المحاكم تعرف خطورة هؤلاء المتعصبين ، وتقدر خطر هذه الملاحقة ، التى تبعد الأطباء عن ممارسة واجبهم الانسانى !!

ولا يهمنا الآن أن نحبس أنفاسنا حتى نتلقى حكم القاضى ، بل يهمنا أن نقرر أن المحيط الأوربى فى منحاه الاجتماعى والثقافى صار من أكبر أسباب هذه البلبلة الفكرية التى جعلت أصحاب الأقلام يتخبطون ذات الشمال وذات اليمين تائهين ، لأن من يزعمون أنهم أساطين علم النفس وعلم الاجتماع قد اندفعوا الى تحبيذ سلوك الطبيب ، وفيهم من جعله مثالا للشفقة الانسانية ومن زعم أنه استطاع أن يكبت مشاعره الرحيمة ليحدث رحمة بالطفل حين يعمل على انقاذه من شقاء محقق !

وهذه البلبلة الفكرية المتخبطة بين اليمين والشمال لايمكن أن تقع فى محيط اسلامى يتقيد أصحابه بشريعة مثالية نزل بها الذكر السماوى ! لأن النصوص التشريعية وما يمت اليها من قياس واجماع تمنع اختلاف الآراء لى درجة التناقض ، وقد حرمت الشريعة الاسلامية على الانسان أن يقتل نفسه مهما اشتدت به الضائقة وتوقع أسود الخطوب ، يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه ، فسمه فى يده يتحساه فى النار خالدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يجا بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا أبدا » .

فاذا لم يكن للانسان أدنى حق فى أن ينهى حياته لأنه ليس المتصرف فيها بأمره فكيف يجوز لانسان آخر – طبيبا كان أو غير طبيب – أن يمنح هذا الحق فيقضى على مريض سىء الحظ بدافع مايسمى بالشفقة ! ومفاجآت الصحة والمرض فى الحياة تمنع هذا الدافع ، فكم من مريض توقع الناس مماته وقامت كل الدلائل على تحقق نهايته ثم دبت فيه الحياة دبيبا انتهى الى شفائه الذى وقف الطبيب عاجزا عن تحقيقه وقد صدق الشاعر حين قال :

لقد ذهب المثلى صحة
وصح السقيم فلم يذهب

فكما يذهب القوى الصحيح فجأة ، وقد نمت مظاهره عن نشاط وفتاء وحيوية ، فكذلك ينهض المريض فجأة وقد نمت مظاهره عن انحلال وتفكك وانهيار ! لأن خالق الناس يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وهو على كل شىء قدير .

واذا كان التاريخ يعيد نفسه ، كما مضى بذلك المثل السائر فانى أذكر أن الصحف المصرية قد خاضت منذ نصف قرن فى هذا الموضوع خوضا فكريا اذ فتحت مجلة (الدنيا المصورة مجلد سنة ١٩٣٠) صفحاتها للاجابة

عن سؤال (هل يجوز قتل المريض شفقة به) واتجهت أكثر الاجابة الى التحريم القاطع ، ولم تعدم الرأى الشاذ ، ولو شاء الله لجعل الناس أمةواحدة • فمن الردود المعتدلة ماذكره الطبيب الشهير الدكتور اسماعيل مرتضى حين قال :

« قد يتطرق اليأس عند بعض الناس فيظنون أن لا محل للرجاء مطلقا ، ويتمنون لو أنقذ الموت مريضهم مما يعانيه من الألم والعذاب ، فيكون ذلك قنوطا منهم • غير أن الطوارىء التى تفاجىء الحالات الميئوس منها ، قد تثير بظهورها العجب من رحمة الله التى تبدل اليأس رجاء ، والحزن فرحا ، فكثيرا مايشفى المريض بمعجزة يحار لها الأطباء وكثيرا ما قرأنا وشاهدنا حالات السرطان نفسه وحالات بلغ فيها المرض مبلغ القنوط واليأس وعجز الطب ثم طرأت طوارىء خفية يعجز العلم عن تعليلها فمحت المرض محوا مدهشا وشفى المريض شفاء لايصدقه العقل) •

هذا الرأى السديد ، ظهر الى جواره رأى خائر سجله الدكتور أحمد ضيف حين قال « اذا نظر الانسان الى هذا الموضوع من غير ارتباط بقيود التقاليد والشرائع وأحكامها يرى أن العمل بهذا الرأى (وهو قتل المريض) يتفق مع الرحمة بالانسان ويظهر لى أنه يجب أن يباح اذا استعصى على الطبيب تخفيف الموت ، و لاأريد أن أتعرض للناحية الدينية فى قول الله (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) لأنى سأتجاهل ذلك مؤقتا ، ولكنى أسجل أن ذلك يتفق مع روح الرحمة بالانسان » •

وأول ما يعصف بهذا الرأى هو قول الدكتور أحمد ضيف انه لا يرتبط بالشرائع ، وانه يتجاهل النص القرآنى مؤقتا ! لأن الذى يتجاهل النص القرآنى ويعترف بذلك فى غير مواربة ، قد فقد الثقة من الناس ! والذين يتجهون وجهة الدكتور فى اباحة هذا الفعل من المسلمين لا يجرءون على القول بأنهم يتجاهلون النص مؤقتا ، ولكنهم يقفون أمام النص ويحاولون تأويله على وجه مريح ! ولسنا بذلك نؤيد منحاهم فى التأويل والتبرير ولكننا نستبشع أن يقول مسلم عن كلام ربه (سأتجاهل ذلك مؤقتا) فكيف اذا كان هذا المسلم يحمل دكتوراه وأستاذا فى جامعة !!

واذا كان الدكتور مرتضى قد ذكر أن بعض الحالات قد يئس فيها الطبيب يأسا لا أمل فيه ثم طرأت روح خفية يعجز العلم عن تعليلها فمحت المرض محوا مدهشا وشفى المريض شفاء لا يصدقه العقل ، اذا كان الدكتور مرتضى قد ذكر ذلك فان مجلة (الدنيا المصورة) التى تحمل هذه الردود قد نشرت فى العدد نفسه هذه النادرة •

« روت صحف برلين أن فتى أصابته غاشية لموت فى ١٧ يناير ، وأقيمت له مراسيم جنازة بعد أن فحصه الاطباء فحصا جيدا

قتل المريض جريمة شنعاء

وقرروا أنه جثة هامدة ، ثم وضع فى التابوت وسار به فى موكب الجنازة الى القبر ثم أنزل فى اللحد ، وفى هذه اللاحظة قبل أن يهيلوا عليه التراب أفاق من غشيته ثم لم يستطع الحراك فى أول الأمر ولكنه تجمع واجتهد حتى استطاع أن يرفع غطاء التابوت ويخرج منه !

وهكذا عاد الميت الى منزله حيا مع من شيعوه الى قبره » .

فهذا انسان لم ييأس منه الطب فحسب ، بل خيل الى الاطباء أنه مات فعلا وسارت به الجنازة وحمل الى اللحد ثم أدركته رحمة الله فانتعش !

أفما يجوز لدى العقل أن يبرأ مريض يشكو ألما مهما قسا ذلك الألم واذا كنا نرى ذلك رأى العيان ، فما الذى يجعل الطبيب يبادر الموت مستعجلا اياه مع أن رسالته الحقيقية فى أن يبحث عن عوامل الشفاء .. أليس قتل المريض بحجة اليأس من شفائه جريمة نكراء !؟ .

دكتور / محمد رجب البيومى
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

من الشرق إلى الغرب

الإسلام والمسلمون في الصين

الجذور التاريخية للمشكلة السودانية الجنوبية

أسطورة الإله المتجسد

الجذور التاريخية
للمشكلة السودانية الجنوبية

فى الزمن القديم ، أطلق المصريون على المنطقة الممتدة من أسوان شمالا حتى الشلال الثانى عند وادى حلفا جنوبا اسم « واوات » أما المنطقة الواقعة الى الجنوب من الشلال الثانى والتى تشمل معظم أجزاء السودان الشمالى ، فسميت « كوش » ثم أصبح هذا الاسم يطلق على المنطقتين معا ، أما اسم « النوبة » فحديث نسبيا ، ولم يستخدم الا منذ القرن الثالث الميلادى •

ولا يختلف السكان القدماء فى « كوش » أو « النوبة » عن المصريين منذ عصر ما قبل الأسرات ، كما أن الحضارة والديانة فى كليهما كانت متشابهة الى حد كبير منذ حضارة المجموعة الأولى (حوالى ٣١٠٠ ق ٠ م) ، واستمرت بلاد « كوش » مرتبطة بمصر الى العصر الحديث •

وجمهورية السودان بحدودها الحالية ، هى نتاج ادارى حديث بدأ مع القرن التاسع عشر ، وهى تمثل مساحة ضخمة من حزام السافانا الجاف • والمناطق شبه الصحراوية الممتدة فى عرض القارة الأفريقية •

وقد نشأت بالسودان مشكلة حديثة ، أساسها اعتقاد خاطىء مؤداه أن السودان يتكون من شعبين مختلفين هما شعب الشمال وشعب الجنوب ، ولكن الحقيقة أنه لا توجد حدود عرقية بين أبناء السودان جميعا ، بل ان كثيرا من القبائل الجنوبية مثل « الزاندى » « الأشولى » « واللاتوكا » « والتركانا » « والأنواك » وغيرهم منتشرون بين الشمال والجنوب ، كذلك القبائل الشمالية تنتشر وتتداخل أوطانها بين مديريات الجنوب الثلاث ، وهى . بحر الغزال والاستوائيه وأعالى النيل ، ويربط النيل وفروعه بين الشمال والجنوب فضلا عن الطرق البرية الكثيرة ، وقد مدت الحكومة مؤخرا خطا حديديا الى مدينة « واو » وبذلك تعددت وسائل الإتصال بين الشمال والجنوب •

وقبائل الجنوب لا تجمع بينها وحدة ثقافية ، بل تختلف لديها النظم والعادات والتقاليد واللغات •

ولذلك يمكن القول بأنه لا توجد حدود عرقية ولا حدود طبيعية تفصل الجنوب عن الشمال ، بل هى خطوط رسمتها دولة أجنبية لأسباب دينية وسياسية •

وثمة حقيقة يجب الاعتراف بها هى ان بعض ناطق الشمال تماثل الجنوب فقرا ، وبعضها الآخر أكثر من مناطق الجنوب تخلفا وفقرا ،

للدكتور عبد الله نجيب محمد

كما أن الشمال كان أسبق فى التطور والحضارة من الجنوب منذ عصور سحيقة .

اذن سكان السودان المعاصر جميعا قد نشأوا من اختلاط لا حدود له بين الزنوج والعرب وأبناء عمومتهم الآخرين من القبائل الحامية مثل « البجة » وغيرهم ، وقد بقيت لسكان الجنوب لغات أو لهجات شتى ، ولم تستطع واحدة من تلك اللغات أن تتغلب على الأخرى ومن ثم أصبحت العربية المحلية هى لغة التعامل والتفاهم الرئيسية بين شتى القبائل .

من كل هذا نخلص بأن شعب السودان الجنوبى لا يمثل مجموعا بشريا موحدا ولا ثقافة موحدة ، كما يفتقد العوامل الأخرى التى يمكن أن تجعل منه قومية خاصة .

كذلك يمكن القول بثقة ، بأن الفوارق بين الشمال والجنوب ليست كبيرة أو خطيرة مثلما يصورها بعض المغرضين من الكتاب ، بل من المقطوع به أن الهجرات الداخلية والتاريخ المشترك وعوامل أخرى عديدة قد جعلت من السودانيين جميعا شعبا واحدا متجانسا له مصير واحد وحدود واحدة وآمال واحدة وقومية متحدة .

وعندما فتحت أبواب السودان فى ظل الحكم المصرى ثم الحكم الثنائى ، للتأثيرات الخارجية ، اهتمت الدول الأوربية بالسودان، وأرسلت المكتشفين والمبشرين فى حماية الجنود المصرية والسودانية للعمل فى السودان الأمر الذى أثار كثيرا من الاهتمام بالهلال الخصيب الجيد الرى من البحيرات الاستوائية ، حيث طالب « ليفنجستون » بعد عودته لانجلترا عام ١٨٥٦ بفتح طريق التجارة وطريق للمسيحية عبر النيل (جراى ص ٧٩) .

وما كان الأمر يستقر للمبشرين الأوربيين فى جنوب السودان ، فى ظل الحكومة الحسنة الظن بالأوربيين ، حتى بدأ هؤلاء يخططون لعزل الجنوب السودانى عن الشمال ، ومن بين ما أشاعوه لدى الجنوبيين أن أهل الشمال المسلمين قد استغلوهم زمنا طويلا ، وتاجروا بهم ، وباعوهم فى الأسواق بيع الرقيق ، وأنهم يختلفون عرقيا عن أبناء الشمال العرب .

والحقيقة أن « الرق » بالسودان قد نشأ نتيجة للنظم القبلية والحروب المحلية التى كثيرا ما كانت تنشأ بين القبائل المختلفة فى

الجنوب والشمال على السواء ، ولم يتسع نطاق هذه التجارة الا بعد خضوع السودان للحكم الثنائى ، وفى ظل الادارة الأوربية ، وقد أشار كل من « جراى » (ص ٤٥) والبروفسير ج • ن • ساندرسون ص ٦ الى هذه الحقيقة حيث كان التجار الأوربيون يقومون بحملات لصيد الرقيق وبيعهم ، وأقاموا محطات ببعض الجهات وخاصة فى الخرطوم لهذا الغرض ، وعلى هذا فان أكثر التجار كانوا يعتمدون فى تجارة الرقيق على الأوربيين ، الذين استخدموا ضروبا من القسوة والعنف لم يعرفها العالم من قبلهم لتحقيق أغراضهم ، وعلى هذا فليس صحيحا الادعاء بأن أبناء الشمال هم التجار الوحيدون للرق ، أو أنهم كانوا المسئولين عنها (جراى ٥٣) وثمة أدلة كافية على أن الاداريين الأوربيين كانوا من بين المساهمين الأوائل فى هذه التجارة الخاسرة فى السودان على وجه الخصوص وفى أفريقية كلها (جراى ٣٢ — ٣٣) •

ولقد استخدمت هذه الدعاية المغرضة ضد المسلمين مما أدى الى سوء الظن بهم ، وكراهية الجنوبيين لهم مع أن تجارة الرق الأوربية فى غرب أفريقية ووسائلهم البشعة واتجاههم أساسا لاسترقاق السود معروفة ومشهوره •

كان للسودان فى نظر المبشرين موقع هام على خريطة التبشير ، لأنهم اعتبروه مفترق الطرق بين غرب القارة وشرقيها وجنوبها ، كما كان من أغراضهم أيضا نشر (الكثلكة) فى أثيوبيا لفك ارتباطها بالكنيسة المصرية — وربطها باستراتيجية المسيحية العالمية ، وشجع محمد على باشا وخلفاؤه الارساليات فى مهمتها « الانسانية • ؟ » كما ادعوا ، فأنشئت المدرسة الكاثوليكية بالخرطوم فى عام ١٨٤٦ أنشأ البابا « جريجورى » السادس عشر المقر الرسولى لأفريقيا الوسطى بالخرطوم أيضا ، وامتد نشاطه الى « عندوكورو » عام ١٨٥٠ « وكاكا » ١٨٦٢ •

بعد ذلك خطط « الأوربيون » لابعاد مصر عن جنوب السودان ، ولما عين «غوردون» مديرا للاستوائية قام بتشجيع أعمال الارساليات وبذل لها العون المادى وغير المادى وبعد هزيمة المهدية عام ١٨٨٥ م أعيد فتح الجنوب للنفوذ الأوربى والارساليات التبشيرية على نطاق واسع ، وأضحى الجنوب منذ ذلك الوقت يتأثر بشدة بمجريات السياسة التبشيرية •

ففى عام ١٨٨٥ م تأسست ارسالية لذكرى « غوردون » بلندن ، وتأسست بعثة تبشيرية للسودان بألمانيا عام ١٩٠٠ م (ماكسويل ج • ب • نصف قرن • لندن ١٩٥٠ ص ٢٩) وهكذا فتحت أبواب الجنوب على مصاريعها أمام النشاط التبشيرى •

واتفقت الجمعيات الارسالية مع الحكومة على استبعاد النفوذ الاسلامى من أرجاء الجنوب على وجه السرعة (خطاب ونجت لمدير بحر الغزال فى ١٩٠٤/٢/٣) •

والوقوف أمام زحف اللغة العربية جنوبا واستبدالها بلغات محلية ، وجعل اللغة الانجليزية لغة التعليم والادارة •

وقد تم ذلك في حدود عام ١٩١٨ (خطاب ونجت لمدير بحر الغزال فى ٢/٣/١٩٠٤) • وأصبحت هذه سياسة رسمية لانجلترا فى السودان ، وقررت الارساليات التبشيرية فى المؤتمر الدولى الذى عقدته فى (أدنبره) عام ١٩١٠ م : أن السباق مع الاسلام بأفريقيا يجب أن يحظى بالأولوية على أية واجبات أخرى (أو لفريد الارساليات فى شرق أفريقية ص ٢٠٥) •

وعندما أنشئت قوة سودانية سنة ١٩١٧ ، ولاحظ الانجليز أثر أفرادها فى نشر الاسلام ، صدرت اليها الأوامر بمغادرة الجنوب فى ٧/١٢/١٩١٧ ، واقترح « أوين » تكوين فرقة من الجنوبيين المسيحيين (مقتطف نشر بكتاب كولنتز ص ٢٧) وكان « وينجت » يرى فى هذه الفرقة « ترياقا افريقيا مضادا لأى ثورة عربية قد تدور رحاها فى ربوع السودان » •

وهكذا غدت الانجليزية هى اللغة الرسمية فى جنوب السودان ، وتم وقف انتشار اللغة الرسمية فى جنوب السودان ، وتم وقف انتشار اللغة العربية فقام التمييز اللغوى بين الشمال والجنوب ، وانصرف التعليم التبشيرى فى الجملة صوب نشر النصرانية والعمل على الحد من انتشار الاسلام واللغة العربية ، والعمل أيضا على زيادة التخالف والفروق بين الشمال والجنوب (راجع خطاب جروف لمدير الاتصال العام — الخرطوم فى ١٧/٩/١٩١٨ ، ساندرسون ، تطور التعليم فى جنوب السودان ص ١٠٦) •

وفى عام ١٩٢٠ كتب مستر ت • ر• وودلاند مدير منجلا يقول : « لقد حان الوقت لفصل هذه المديرية عن باقى أجزاء السودان (خطاب وودلاند للسكرتير الادارى فى ٢٩ / ٨ / ١٩٢٠) •

وفى مذكرة قدمت للجنة « ملنر » وضحت تلك السياسة وضوحا تاما ، فى الخطوط العريضة التى تضمنتها حيث قررت :

أن الحكومة عازمة على استبعاد أى نفوذ للدين الاسلامى فى الجنوب ، بل واقترحت أن يوضع فى الاعتبار احتمال فصل جنوب السودان « الأسود » عن شماله « العربى » وربط الجنوب ببعض بلدان وسط أفريقية (د• عبد الرحيم • تطور السياسة البريطانية فى السودان ص ٧) ، وفى مذكرة أخرى اقترح اقامة الحدود بين الشمال والجنوب فى اتجاه خط ممتد من الشرق الى الغرب يتبع أنهار « البارو » و « السوباط » و « والنيل الأبيض » « وبحر الغزال » (السابق) واتخذت اجراءات أخرى عديدة لاستبعاد المصريين وأبناء الشمال وغيرهم من المسلمين عن الجنوب •

ولعله من الواضح أنه يمكننا أن نستخلص من تلك الأحداث والظروف الملابسة ، أن ثمة سياسة وضعها الغرب لفصل الشمال عن الجنوب منذ أمد بعيد وأن بذور الحركة الانفصالية الحالية قد تم غرسها والتخطيط لها منذ أمد بعيد • •

وقد أدرك أبناء الشمال أبعاد المشكلة ، وما يعانيه أبناء الجنوب لما وقر فى نفوسهم من سوء ظن وسوء فهم ، فعملوا على التفاهم معهم ، بل وقرروا منحهم الحكم الذاتى فى

بقية ص ٧٠٩

الإسلام والمسلمون فى الصين

٣ السؤال الصعب

كانت زيارتنا الى الصين زيارة تاريخية بكل مقاييس الكرم • والحفاوة ، لم يكن استقبالا قاصرا على المسلمين وحدهم ، بل كانت هذه الحفاوة وهذا الاستقبال سمة ظاهرة عند جميع من لقيناهم من المسئولين والشعب •

وفى كل مكان ذهبنا اليه فى الشرق أو الغرب، لقد سافرت الى أقطار كثيرة فى آسيا وأفريقيا وأوربا •• وشاركت فى مؤتمرات عديدة فى مختلف أطراف الدنيا • وأؤكد للمرة الثالثة • أن الأدب الصينى والكرم الصينى كانا فوق كل حد ، وتجاوزا أى تصور يخطر على بال احد•

ولما كان هدفنا هو الحقيقة ، وكشف اللثام عما يبدو غامضا فى نظر البعض • فلسوف تبقى هذه الحقيقة هى هدفنا الاسمى فى كل كلمة ، وسيبقى حرصنا على — علاقات ممتازة بين الصين وغيرها من الدول الاسلامية • غاية مقدسة •

لقد وقفت الصين — من ورائنا — فى كثير من قضايانا المصرية ، وآخر هذه المواقف • موقفها من الغزو الروسى الهمجى لأفغانستان الضحية المسلمة •

وهى — أى الصين — اذ تفعل ذلك انما تفعله انطلاقا من سياستها التى تتبنى الدفاع عن الشعوب المقهورة أمام قوى البغى التى خربت العالم قرونا طويلة •

غير أن ذلك لا يمنعنا من مناقشة هذه القضية الهامة •

وبعبارة أكثر وضوحا قضية المسلمين وعددهم فى هذه الدولة •

وهذه المشكلة • مشكلة « العدد » أو «الرقم» أو « النسبة » من أهم المشكلات التى تواجه المسلمين فى كل دولة وبخاصة فى تلك الدول التى يحكمها « غير المسلمين » ممن تربوا فى أحضان الارساليات التبشيرية — كما هو الحال — فى معظم أقطار أفريقيا •

والأمر المعيب حقا : أن المسلمين أنفسهم لا يهتمون بهذه القضية ، بل يعيشون عالة على غيرهم فى هذه الاحصائيات الزائفة والمزورة •

بل ان الجامعات والمعاهد العلمية وكذلك أجهزة الاعلام فى الدول الاسلامية — تعتمد هذه الاحصائيات وتروجها دون وعى بما تحتويه من أكاذيب صارخة •

والسؤال الصعب بالنسبة لعدد المسلمين فى الصين هو : كم عدد المسلمين — فى هذه الدولة

للدكتور عبد الودود شلبى

العظمى ــ بالرغم من تواضع حكامها الذين يصرون على أنهم دولة نامية .

نعم : كم عدد المسلمين ؟ وهل يختص الاسلام بقوميات معينة ؟ أم اختاره «المؤمنون» بصرف النظر عن انتمائهم لهذه القومية أو غيرها من القوميات المختلفة ؟

ان التقارير الرسميه تقول بأن المسلمين موزعون بين عشر قوميات هى قوميات :

« هوى »، « نعور » ، « قازاق »، «أوزيك»، « قرعيز » ، « تتار » ، « طاجيك » ، « سالا »، « تشيانغ » ، « باوان » .

ولكن من يقول ان الاسلام كان دين قوميات فقط .

ان الهداية الالهية ــ لاتعرف اللون أو الجنس أو الطبقة ..والنور حين يشع لا يتوقف ضوؤه على جهة دون جهة .

والسؤال : مرة ثانية : كم عدد المسلمين فى الصين ؟ ثلاثة عشر مليونا ؟ أم عشرون مليونا أم سبعون مليونا أم مائة من الملايين ؟ .

كلها أرقام تتردد . فالرقم الرسمى يقول : ان عدد المسلمين هو ثلاثة عشر مليونا فقط .

بينما تقرر مصادر اخرى بأن عددهم يتجاوز أكثر من سبعين مليونا.ان لم يكن مائة مليون.

ولا فرار أو مناص أمام هذا التضارب والتناقض من العودة الى التاريخ والاحصائيات أقصد الى ما كتب قبل قيام حكم « ماوتسى تونج » والى ما بعد انتهاء حكم « تشيانج كاى شيك » .

ان أى باحث فى هذا الموضوع لابد أن تنتابه حيرة شديدة . فلا هو مقتنع تماما بما يقال ولا هو قادر على تحديده . ولكن من العجيب انه قد صدر فى عام ١٩٣٥ م كتاب الصين السنوى عن المطبعه التجاريه المحدودة فى « شنغهاى » وفى هذا الكتاب بيان بعدد المسلمين فى الصين وأنهم « خمسون مليونا » كما أن كتاب الصين السنوى الذى صدر فى تايوان ١٩٦٣ م ــ ١٩٦٤ م يؤكد هذا الرقم الذى نشر قبل ذلك بحوالى عشرين عاما .

على أن « تيرسان » صاحب كتاب (المحمدية فى الصين) (١) الواقع فى مجلدين يحصى المسلمين بـ ٢٥ مليونا فى الصين وكذلك

(١) حاضر العالم الاسلامى جـ ٢ ص ٢٢٢

الجغرافى الشهير « اليزه ركلوس » يقول فى جغرافيته العامة ما يأتى :

« ان المسلمين لهم بال كبير فى المملكة الصينية وقد حزرهم « سكاتشكوف » بعشرين مليونا ولكن هذا العدد يظهر ضئيلا بالقياس الى أقوال مؤرخين آخرين من الصين ففى ولاية « كانسو » كان المسلمين هم الأكثرية كما أنهم كانوا فى كثير من نواحى شمالى الصين نحو ثلث السكان .

ويراهم الانسان أعلى درجة من سائر السكان واعز نفوسا واصرح نظرا وفى ولايات غربى الصين يتقلدون السلاح وهم لا يشربون المسكرات ولا التبغ ولا الأفيون فتجدهم أصح أجساما من أبناء الملل الأخرى .

ويوجد بينهم تضامن يجعلهم أسعد حالا وأعظم ثروة من غيرهم ويفرضون على جماعاتهم ضريبة معلومة نظير العشر من الدخل لأجل أنفاقه فى مصالح الجماعه وهذا فى ولايات « كانسو » و « وشنسى » وفى بلاد « ينان »

عندهم مدارس يتعلمون فيها العربية ويفهمون معانى القرآن كما أن الصلاة هى فى كل مكان بالعربية وفى كانسو يوجد مئات من الجوامع

ثم ان التجارة فى الشمال تكاد تكون منحصرة فى أيديهم لاسيما تجارة المواشى فتجدهم هم الذين يميرون « باكين » وسائر المدن الشماليه الساحلية الخ » .

وقد همت مسألة اسلام الصين دول أوربا كثيرا لأنها توجست ولا تزال تتوجس خيفة من انتشار الاسلام فى الصين الى حد أن يصير هو الغالب على تلك المملكة التى عددها يزيد على أربعمائة مليون (١) فاذا قدر الله دخول هذه المئات من الملايين فى الاسلام حصل انقلاب فى وجه العالم .

وفى حديث نشرته جريدة « الاهرام » . أجرته هذه الجريدة على لسان محررها الشيخ عبد السلام العسكرى مع أحد مبعوثى الصين الى الأزهر دار هذا الحوار :

ما عدد المسلمين فى الصين ؟

وما عدد غيرهم من الطوائف الاخرى ؟

وهل هناك تنافس دينى بين المسلمين وغيرهم من تلك الطوائف ، ولأى سبب يرجع ذلك التنافس ، اذا كان موجودا ؟

قال : أما عدد المسلمين فى الصين فخمسون مليونا ، وعدد السكان أربعمائة مليون والمذاهب الدينية فى الصين متعددة كالكونفوشيسية فالبوذية فالمسيحية ومع ذلك فان أكثر أهل الصين لا دين لهم ، وهم يعبدون أشياء متعددة، كالجمال والنور والنار وبعضهم يعبد الماشية والدواب ، وهناك مذهب دينى قليل الانتشار يسمى « التوصينية » نسبة الى رجل يقال له « لوتزا » وأصحابه هم المتصوفة المتقشفون

(١) كان هذا منذ خمسين عاما .. أما عدد سكان الصين اليوم فقد تجاوز الالف مليون .

الزاهدون الذين لا يتزوجون طوال أيام حياتهم، ولا ينظرون الى المرأة ولا يتصلون بها أى اتصال وانى أقرر لك أن بين المسلمين وبين أفراد الطوائف الاخرى تنافسا دينيا بعيد المدى شديد الأثر وذلك لأن الطوائف غير المسلمين تمقتنا وترمينا فى اعتقادنا الدينى ، وهم متعصبون ضدنا كثيرا • ويرجع السبب فى أغلب المعارك الدموية الداخلية الى ذلك التعصب الدينى ولكن الأديان فى الصين أمام القانون سواء وحرية المعتقدات مكفولة والحكومة لاتناصر طائفة على طائفة ولا تؤازر مذهبا دون مذهب فهى لا دينية ولا تتبع خطط دين معين .

قلنا — وهل يوجد بين الموظفين فى الحكومة أفراد مسلمون وما هو عددهم ؟ •

قال — نعم يوجد بين الموظفين فى الحكومة أفراد مسلمون • منهم خمسة قواد فى الجيش ومحافظ لاحدى عواصم المقاطعات ، وبعضهم يشغل وظائف فى المجالس البلدية والمحلية وبعضهم فى وظائف التدريس ، وهناك مسلمون كثيرون فى الجيش كجنود لأنهم مشهورون بالشجاعة والاقدام • وأما فى الوظائف الملكية المدنية فعددهم قليل جدا •

قلنا — أليس هناك قانون عام للتجنيد ، وكيف تكون أكثرية الجنود من المسلمين مع أن القانون عام ينفذ على الجميع ؟ •

قال — المسألة نسبية • والقانون حقيقة عام ولكن عدد المسلمين فى بعض المقاطعات الصينية أكثر من عدد أية طائفة من الطوائف الأخرى لأنى اذا قلت لك أن عدد المسلمين فى الصين خمسون مليونا لوجب أن يكون عدد كل طائفة من بقية الطوائف الأخرى أقل من ذلك بكثير من خمسين دينا ومذهبا (١) •

وفى حديث آخر أجرته هذه الصحيفة كان هذا الحوار :

اسمى « واى ون كين » وترجمته بالعربية سعيد الياس وصناعتى عالم اسلامى وامام بلدى « تنسين » ومحرر جريدة تنسين وقد سافرت من بلدى منذ عام وغايتى من هذه السياحة الاطلاع على أحوال الاقطار الاسلامية والاستنارة بالأفكار الجديدة الموجودة فى الشرق الأوسط والشرق الأدنى فزرت بلاد الهند وها أنا فى مصر وسأزور سوريا والأناضول والاستانة ثم أعود الى وطنى » •

قلنا — ما عدد المسلمين فى بلادكم وما حالة تعليمهم وشئونهم الاجتماعية ؟

أجاب — يبلغ عدد المسلمين فى الصين نحو سبعين مليونا وكلهم يقومون بواجباتهم الدينية وفى بلدى نحو أربعين مسجدا ومعظمهم يقرأون الكتب العربية بنطق صينى ما عدا * العلماء الذين يتعلمون العربية منذ الصغر • ويؤدون الصلاة باللغة العربية • وتعدد الزوجات وان

◄

(١) حاضر العالم الاسلامى جـ٢ ص ٢٦٥ •

يكن مباحا بالشرع فى الدين الاسلامى الا أنه مفقود من عاداتنا فلكل رجل امرأة واحدة بحكم عاداتنا والطلاق نادر جدا ويكاد يكون معدوما.

وقد درست فى صغرى وشبابى الفقه والحديث والسنة وعلوم الكلام والتصوف والتوحيد وآداب اللغة العربية .

سألناه – هل يوجد لبوذا وكونفوشيوس اتباع كثيرون فى الصين ؟

أجاب – ان بوذا متبع فى بلاد الهند فقط وذكره عندنا قليل أما كونفوشيوس فله أتباع كثيرون فى الصين ويطلق عليهم اسم « أصحاب كونفوشيوس » ولم يكن هذا الزعيم المصلح نبيا مرسلا ولم يقل بذلك هو نفسه أو أحد من أصحابه بل كان حكيما وكل تعاليمه خاصة بشئون هذه الدنيا وتدبير الامور المادية والسياسية والادارية وأصحابه ليسوا مقيدين بعبادة اله معين فهم يعبدون ما يشاءون كأجدادهم فيعبدون الأشجار والأنهار وبالجملة فانهم مشركون .

سألناه – وما حالة الصين منذ دخول الحكم الجمهورى فى البلاد ؟

أجاب – ان الشرق عامة محتاج الى حكم قوى يكون مصدره العدل والحكمة وحب الخير ولكن الحكام الذين من هذا القبيل لا وجود لهم فى هذا الزمان وأفضل مثال لهم الخلفاء الراشدون فى صدر الاسلام ونحن المسلمين فى الصين نعتقد فى أن الاسلام دين شورى وديمقراطى وقد جاء فيه « **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** » .

سألناه – هل حصل تقدم فى البلاد فى الأعوام الأخيرة ؟

أجاب – نعم فقد أبطلت عادات كثيرة من العادات الرديئة مثل تقييد أقدام الفتيات ومنعها من النمو ظنا بأن هذا أثر من آثار الجمال وأصبح هذا الفعل معاقبا عليه وبدأت بلاد الصين تشعر بوجودها القومى وتسترد المقاطعات التى كانت اغتصبتها منها بعض الدول الأجنبية وهى سائرة ببطء لأنها أمة عظيمة وملكها مترامى الأطراف (١) .

وفى لقاء ثالث مع محرر جريده « الجامعة العربيه » التى كانت تصدر فى مدينة القدس ، كتب محرر هذه الصحيفة يقول :

اغتنمت فرصة وصول الوفد الصينى المسلم الى القدس المؤلف من السيدين الحاج عبد الله الصديق جاوبين سكرتير مدرسة المعلمين الاسلامية فى بكين ومدير مطبعتها ومكتبتها ومحرر مجلة نضارة الهلال فى بكين ، والحاج عبد الرحيم ماسون تين امام جامع تونسييالو فى بكين ووكيل مدرسة المعلمين الاسلامية فيها . فتقدمت اليهما باسم جريد « الجامعة العربية » حيث يقيمان بالزاوية النقشبندية ملتمسا منهما

(١) المصدر السابق ص ٢٦٥ .

ان يتفضلا على قرائها بحديث عن رحلتهما وعن حالة اخواننا مسلمى الصين ، فأجابا ملتمسي بكل بشاشة وسرور .

وقد ازداد ابتهاجهما عندما أطلعتهما على العدد الاخير من الجامعة العربية المشتمل على مقال عن مسلمى الصين وبعض معلومات عنهم . والى القراء موجز الحديث الذى اشترك فيه السيدان المذكوران :

« غادر السيدان الحاج عبد الله الصديق جاوبين والحاج عبد الرحيم ماسون تين مدينة بكين عاصمة الصين السالفة فى أول شهر شعبان الماضى على رأس بعثة صينية مؤلفة من خمسة طلاب من مدرسة المعلمين الاسلامية فى بكين فوصلوا الى القاهرة فى الثالث من شهر رمضان المبارك ليدخلوا البعثة المذكورة فى الأزهر الشريف لتعلم العلوم الدينية الاسلامية والقرآن الكريم واللغة العربية » .

أما أعضاء هذه البعثة العلمية فهم : سعيد ونجش مين ، على خان خون كوى ، شعيب جنداى كوى ، اسماعيل ماجن بوم ، سليمان جنبنتو . وقد دخلوا فى الأزهر الشريف ولقوا كل مساعدة من الحكومة المصرية والشعب المصرى .

والسيدان المذكوران ينويان زيارة بلاد الحجاز لقضاء فريضة الحج ، وذلك من أسباب رحلتهم الرئيسية كما أن من أسبابها أيضا زيارة بيت المقدس والمدينة المنورة والتعرف على اخوانهم المسلمين فى هذه الأقطار والوقوف على أحوالهم .

ويبلغ عدد المسلمين فى الصين نحو خمسين مليونا وهم آخذون فى الازدياد بالتدريج وأكثرهم يقطنون فى الولايات الغربية والشمالية وفى ولاية « يوننان » فى الجنوب . أما حالتهم فحسنة وتقدمهم مطرد . وحالتهم المادية متوسطة وحالتهم العلمية بالنسبة الى أهل الصين عامة فى المقام الأول » .

ولتوضيح هذه الصورة ننقل هنا ما نشرته مجلة الهلال فى عددها الصادر فى أبريل ١٩٣٩ عن « العرب والاسلام فى العصر الحديث » تقول المجلة :

« .. الاسلام فى الصين قوة يعتد بها وله شأن عظيم ويبلغ عدد المسلمين حسب آخر احصاء نحو ٥٠ مليونا ينتشرون فى المقاطعات الشمالية وفى ربوع الصين من الجمعيات الدينية التى تسعى الى نشر الثقافة الاسلامية عشرات ومن المدارس الابتدائية الاسلامية هناك مئات وترى فى أعلى الصورة (١) كلية ومدرسة اسلامية فى مقاطعة يونان وفى الزاوية العليا صورة الجنرال المسلم « عمر باى جونغ سى » الذى يتولى رياسة أركان حرب القوات الصينية وهو الرئيس الأعلى للاتحاد الاسلامى العام وأقوى شخصية فى الصين بعد المارشال « شانغ كاى شيك » .

وقد أسس الجنرال عمر مدرسة حربية قصر دخولها على الشبان المسلمين ويبلغ عدد طلابها الآن نحو ١٣٠٠ وقد اتصلت جمعية

(١) بالاشارة الى الصورة الموجودة فى المجلة .

الثقافة هناك بوزارة المعارف فى مصر وبمدرسة دار العلوم ويشرف على هذه الجمعية الاستاذ نور محمد يوسين الذى زار مصر لمناسبة عيد الزفاف الملكى وأكرم جلالة الملك فاروق وفادته وأحسنت جمعية الشبان المسلمين مثواه •

وقد تأسست فى مقاطعة « تسين نان » عام ١٩٢٧ مدرسة جيندا للمعلمين ويشرف عليها السيد عبد الرحيم ماسونغ تين الذى زار مصر عام ١٨٢٨ وعام ١٩٣٦ وعرض على مسامع المغفور له الملك فؤاد الاول حالة مسلمى الصين فتفضل رحمه الله باهدائه مجموعة قيمة من المطبوعات العربية كانت أساس « مكتبة فؤاد الأول بالصين » (١) •

***

مما تقدم نلاحظ أن الوجود الاسلامى فى الصين تحرك على الأرض الصينية من منطلقات ذات مسئوليات واضحة ومحددة لذلك ظل المسلمون الصينيون جزءا من الوجود الصينى وقد راعوا ظروف البلاد فى تعايشهم وممارستهم الحياتية المختلفة فعمقوا وجودهم وأثرو الحضارة الصينية بمعطيات اسلامية تشكل جزءا ملحوظا فى تراث الصين الحضارى وقد حقق لهم هذا السلوك المتوازن الاحترام ومكن من وجودهم فكانوا ومازالوا جزءا من الوجود القومى للصين • وكانت جميع مشاركاتهم وممارستهم تنطلق من هذا المفهوم القومى فى فترات الشدة والرخاء على السواء •

وان كان المجال لا يمكننا من الاستطراد التاريخيى فتكفى الاشارة هنا الى مبادرة الدكتور (٢) صن يات صن رئيس أول جمهورية صينية عام ١٩١٣ عندما اعتبر المسلمين أحد العناصر الخمسة التى تقوم عليها البلاد وأعطاهم حرية الاعتقاد وحفظ لهم حقوقهم المدنية ، ومن البديهى ألا يأتى هذا الاعتراف من فراغ بل جاء مكافأة لهم على موقفهم من الثورة والثمن الذى دفعوه بسبب هذا الموقف •

ولقد واصل المسلمون الصينيون دورهم الايجابى فى صراع الصين مع الاستعمار الغربى والقوى المضادة للثورة وقام تعاون وثيق بينهم وبين ماوتسى تونج الذى قال : « من المستحيل علينا أن نحقق رسالتنا ومهمتنا اذا لم نكسب المسلمين الى جانبنا ونضعهم الى جهتنا » •

ويؤكد خط سير الجيش الأحمر الذى انطلق من الجنوب واستقر فى الشمال الغربى وسط تجمعات المسلمين أهمية الدور الذى قام به المسلمون فى الثورة فوعد ماوتسى تونج المسلمين باقامة حكومة اسلامية مستقلة ذاتيا والغاء الديون والفوائد القديمة وحماية حرية العقيدة وحماية الثقافة والتراث الاسلامى وقد حرم جيش الثورة على جنوده من غير المسلمين أربعة أمور تحريما قاطعا :

(١) العدد الممتاز من مجلة الهلال الصادر فى شهر ابريل ١٩٣٩ عن « العرب والاسلام فى العصر الحديث » ص ١٠١ •

(٢) من كتاب « الثلوث الفكرى » حسن التل : ص ٣١١ ـ ٣١٢ طبعة عمان ـ الاردن •

١ ــ التزام المحاربين بعدم دخول المساجد ٠

٢ ــ عدم أكل لحم الخنزير أو نطق كلمة خنزير أمام المسلمين ٠

٣ ــ عدم دخول أى بيت من بيوت المسلمين بغير استئذان فلا ينظر الى النساء ولا تنتهك حرمتهن بأى صورة ٠

٤ ــ عدم جمع تبرعات أو مصادرة ممتلكات المسلمين ٠

وواصل المسلمون الصينيون مواقفهم الوطنية فى مسيرة الثورة الصينية فكان موقفهم فى فترة المقاومة الصينية للاحتلال اليابانى كمواطنين ومقاتلين مشرفا وبرز من بينهم أبطال حققت بهم المقاومة انتصارات هائلة على المحاولات اليابانية اليائسة (١) ٠

وقد ذكرت مجلة « المسلمون » التى تصدر فى لندن تعليقا حول الزياره التى قام بها ــ فضيلة المرحوم الشيخ أحمد حسن الباقورى الى الصين ننقله عن هذه المجلة بالنص (٢) « ويسوقنا الحديث فى زيارة الشيخ الباقورى للصين الى الحديث عن الدور الكبير الذى لعبه المسلمون هناك لتحرير بلادهم من الاستعمار اليابانى :

لقد حدث عام ١٩٣٧ أن دعا الزعيم الصينى « ماو » قواد جيش التحرير الى اجتماع عاجل قال فيه : ان شعبنا الكبير يضم حوالى ٣٠ مليون مسلم ومهمتنا الكبرى الآن هى أن نكسبهم الى جانبنا ، ونحن بغيرهم لا نستطيع أن نقيم قواعد للدفاع والهجوم تمكننا من القضاء على الاستعمار اليابانى ومعه جيش تشانج كاى شيك ، وأؤكد لكم أننا لن نحقق شيئا من أهدافنا الا اذا وقف المسلمون فى صفوفنا ٠

وكان من بين قواد جيش التحرير الذى كونه «ماو» بعض الضباط الشبان من المسلمين فكون منهم كتيبة للدعاية تولت الاتصال بزعماء العالم الاسلامى وقد أسفرت بسرعة عن اتفاق أذيع على أثره بيان على المسلمين جاء فيه :

« ان الاسلام فى خطر مادام هناك استعمار واستبداد ، وأن على المسلمين أن يشتركوا فى الجهاد ليحموا دينهم ويحفظوا ثقافتهم » واشترك المسلمون بعد ذلك فى معركة التحرير فى صفوف ماو ، ولما كتب لجيوشه النصر جعل من مبادىء القوات المسلحة الصينية هذه العبارة « المسلمون أخوة لنا فنحن جميعا أبناء الصين » .

ومن أعجب العجب أن تقع عيناى ــ مصادفة ــ على هذا النص العجيب فى كتاب « الرحلة اليابانية » الذى ألف منذ حوالى ثمانين عاما ٠ وفيه يقول المؤلف :

« ٠٠ ومن الاسف الشديد الذى لا أسف بعده أن نحو الخمسين مليونا من المسلمين فى الصين لا يوجد بينهم علماء من الطبقة العالية ينفروهم عن هذه الخرافات والبدع وأن من التقصير الفاحش أن العلماء من المسلمين يعلمون بمثل

---

(١) المصدر السابق ٠

(٢) العدد الصادر فى ١١ ذو القعدة ١٤٠٥

هذه الأحوال ولا يؤلفون الوفود منهم للذهاب الى الصين وبث العقائد الصحيحة الدينية هناك .. » (١)

فاذا عبرنا الحدود من « ستكيانج » أو التركستان الشرقية الى التركستان الغربية — فى الاتحاد السوفيتى — فسنرى أن مؤتمر الحزب الشيوعى الروسى عندما انعقد فى سنة ١٩٢٣ م وردت فقرة فىمقرراته تشير الى ثلاثين مليونا من المسلمين يعيشون فى الاتحاد (٢) السوفيتى . وهذه الثلاثون مليونا تجاوزت الآن الستين مليون نسمه .فماذا يمكن ان يقال عن الثلاثين مليونا من مسلمى الصين الذين كانوا موجودين قبل هذه الفترة ، لا يمكن أن يكونوا — اليوم — أقل من ستين مليونا على الأقل .. وهو رقم متواضع ومتساهل بالنسبة لاحصائيات أخرى تتجاوز هذا الرقم . فبأى الأرقام تأخذ من هذا الكم المتناقض والروايات المتضاربة ، والتفاوت الكبير بين الحدين الأدنى والأعلى . ان جميع الأرقام التى نشرت قبل قيام الثورة لا يقل أدناها عن خمسين مليونا — ولايزيد أكثرها عن مائة مليون مسلم .

وفى ضوء هذه الارقام يمكن أن نقرر أنه لا يمكن الاتفاق بين مختلف الأطراف على تزوير عدد المسلمين فى الصين — ومن الصينين أنفسهم — وأن تنتشر هذه الأرقام دون التعليق عليها من أى مسئول . فى حكومة « صن بات صن » أو « تشانج كابشيك » .

ثم ان الأرقام « الرسمية » لا تتفق مطلقا مع حجم الولايات الاسلامية فى الشمال الغربى للصين . فمساحة ولاية « ستكيانج » فقط تعادل مساحتها سدس مساحة الصين وكان فيها — كما قيل — ١٢٫٠٠٠ أثنا عشر ألف مسجد وخمسة عشر ألف اماما وخطيبا .... وتكمن فى باطنها أهم ثروات الصين الطبيعية وتمتد حدودها — الى مسافات بعيدة مع حدود الاتحاد السوفيتى .

وفى ولاية « كانصو » وعلى بعد حوالى أربعين ميلا من عاصمتها « لانشو » توجد منطقة كاملة أطلق عليها اسم « مكة المكرمة » لكثرة ما فيها من مساجد ومعاهد .

وهذا الرقم الرسمى يتخلف كثيرا عن الرقم الذى ذكره الزعيم « ماو » ابان الثورة — حيث ذكر للمسلمين عدداً هو ثلاثون مليونا ، وكان ذلك قبل انتصار الثورة ، ودخولها الى « بكين » ظافرة . ولو ارتضينا هذا الرقم واعتبرناه صحيحا مائة فى المائة . ثم تدرجنا مع الزمن فى تطور العدد السكانى للصين « الثورة » فلسوف يكون هذا الرقم ستين مليونا على الأقل مع الأخذ فى الاعتبار أن الزيارة السكانية — بين المسلمين — كما يقول بعض العلماء أكثر من غيرها بنسبة أربعة الى ستة .

وليس من المقبول — ولو شكلا — أن يكون للمسلمين فى تاريخ الصين هذه المكانة ، وهذا التأثير بحيث يصبح منهم الوزراء وقواد الجيش ، وحكام الولايات . ومنذ أيام الامبراطورية الى قيام الجمهورية على يد « صن يات سن » الى حكم « الثورة » على يد

---

(١) تأليف على الجرجاوى — القاهرة — ١٦٠٦

(٢) المصدر السابق .

« ماوتسى تونج » وأن تكون نسبتهم بالنسبة الى عدد السكان ما يزيد قليلا عن الواحد فى المائة .

قد يكون الرقم الرسمى محتملا بالنسبة للقوميات المتمايزة . حيث يمثل المسلمون الاغلبية الساحقة بين هذه القوميات ولكن قصر الاسلام على القوميات المسلمة — فى الأصل — تعسف يرفضه العقل ، والمنطق .

لقد ذكر بعض المؤرخين الصينيين : (١) أنه كان للمسلمين الصينيين — فيما مضى ٤٠٫٠٠٠ أربعون ألف مسجد كانت تقام فيها صلاة الجمعة ، كما كان ملحقا — بكل مسجد مدرسة لتعليم الدين واللغة العربية . ومثل هذا العدد من المساجد والمدارس لا يوجد الا فى الدول ذات الغالبية المسلمة ، ولو طبقنا هذا الرقم على نظيره فى البلاد ذات الأغلبية الاسلامية . فلسوف نجد أن هذا الرقم قريب من رقم عدد المساجد فى مصر التى يبلغ عدد سكانها حوالى خمسين مليون نسمة .

ومن المنطق أيضا . الا نأخذ هذه الأرقام مسلمة كلها — نظرا لعدم وجود احصائيات وثيقة تصنف الناس حسب دينهم ومعتقداتهم . ولكن من المنطق أيضا . أن تقرر أن تحديد عدد المسلمين فى الصين بـ ١٣ ثلاثة عشر مليونا — كما تقول الدوائر الرسمية — غير مقبول ولا منطقى أيضا . فليس من المعقول أن تكون احصائيات المسلمين فى الصين قبل الثورة تتراوح بين الخمسين والمائة مليون . ثم تهبط التقارير الرسمية بهذا العدد الى ما يزيد عن العشر .

« .. عندما كتب أحد سفلة الكتاب الكفار فى (مجلة الآداب الصينية) حكاية فكاهية بهيمية خلاصتها أن المسلمين لا يأكلون لحم الخنزير لأنهم أبناء الخنزير وطبعت المطبعة الحديثة بشنغهاى هذه الحكاية كتابا مستقلا ، فقام المسلمون فى شنغهاى يتشاورون فى الجمعية العلمية الاسلامية الصينية فى هذا الأمر الخطير فاتفقوا على أن يقدموا احتجاجا على ادارة المجلة ، فوعد رئيس تحريرها أن ينشر فى الجرائد اليومية المشهورة اعتذاره الى المسلمين ويصحح الغلط فى الحكاية فى العدد الأخير من نفس المجلة ويضمن الا يقع فيها مثل هذه الحادثة مرة أخرى ويحرق بحضرة المسلمين الباقى من العدد الذى فيه الحكاية ولكن المسلمين فى بكين لم يقتنعوا بهذه التسوية ، فاجتمعوا وتشاوروا فى لجنة الدفاع عن الاسلام . وفى أثناء الاجتماع قطع السيد الغيور « ليهيتين » سبابته فسال الدم فكتب بدمه هذه الكلمة : « دافعوا عن دينكم » فبلغت حماسة المسلمين الحاضرين ذروتها ، وغطت الغيوم سماء المجلس ، فتحالف الحاضرون أن يدافعوا عن دينهم الى النهاية مهما كلفهم الأمر ، وأجمعوا على أن يبرقوا الى المسلمين فى البلاد كلها ويوفدوا أربعة مندوبين الى نانكين ليشكوا الى الحكومة الصينية المركزية ما فى هذه الحكاية الخبيثة ، وقد شاركهم فى ذلك المندوبون من قبل المسلمين فى شنغهاى ، والرسائل البرقية

بقية ص ٧٧٧

(١) تقويم البلاد الاسلامية — المؤتمر الاسلامى — كراتشى ١٩٦٥ .

أسطورة الإله المتجسد

THE MYTH OF GOD INCARNATE

تتعرض المسيحية فى الغرب فى عصرنا الحاضر لنقد شديد ٠ وقد يتبادر الى الذهن أن الذى يقوم بهذا النقد هم بعض أعداء المسيحية فى الغرب ، أو على الأقل فريق من غير المسيحيين هناك ٠ ولكن الواقع غير ذلك ٠

فالذى يقوم بهذا النقد هو فريق من المسيحيين الغربيين أنفسهم وليس هذا الفريق من المسيحيين العاديين ، بل من العلماء البارزين ورجال الدين المتخصصين فى دراسة المسيحية وتدريسها بالجامعات ٠

ومن ثم فالنقد الذى نعرضه ونقيمه فى هذه الدراسة ليس نقدا عاطفيا أو خطابيا ، وإنما هو نقد علمى موضوعى (فى كثير من جوانبه)، قام به عدد من كبار علماء المسيحية المتخصصين فى علم اللاهوت ، وهو العلم الذى يبحث فى العقيدة المسيحية ٠

وقد ظهر هذا النقد فى كتاب بالانجليزيه من عشرة فصول بعنوان :

أسطورة الاله المتجسد

THE MYTH OF GOD INCARNATE

والكتاب يعالج عقيدة التثليث المحرفة ، ويركز بوجه خاص على مايترتب عليها من الزعم بأن عيسى (عليه السلام) إله متجسد ، أى أن الله – **تعالى عما يقولون علوا كبيراً – قد تجسد فيه ٠**

وقد اشترك فى تأليفه سبعة من أساتذة اللاهوت فى عدد من أشهر الجامعات البريطانية ونشر فى لندن لأول مرة سنة ١٩٧٧ ، وأعيد طبعه للمرة السادسة سنة ١٩٨١ (وهذه الطبعة الأخيرة هى التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث)٠

وقد أثار الكتاب عقب نشره لأول مرة عاصفة شديدة من الجدل العقائدى لم تعرف لها بريطانيا مثيلا منذ الستينيات ، كما أثار العديد من التعليقات العدائية فى معظم الصحف المسيحية ، وظهرت عدة كتب ومقالات تتناوله بالهجوم أكثر مما تتناوله بالنقد المتزن ، وطالب مجلس الكنيسة الانجليزية أن يستقيل معظم مؤلفى الكتاب من مناصبهم الدينية ، اذ يفهم من نقدهم لعقيدة التجسد أنهم قد خرجوا على المسيحية ، وان كانوا هم أنفسهم لايوافقون على ذلك ٠

للدكتور أحمد عبد الحميد غراب

وبالرغم من هذا فقد نجح الكتاب وأقبل عليه القراء اقبالا شديدا (١) .

ولعل من أهم العوامل فى الاقبال على الكتاب هو استعمال كلمة أسطورة MYTH فى عنوانه . فقد فهمها معظم الناس بمعناها الشائع فى اللغة الانجليزية وهو « خرافة » ويشير أحد مؤلفى الكتاب الى هذا المعنى فيقول : « ان الفهم الشائع للأسطورة أنه نوع من السراب ، شىء يقود الناس الى لضلال » (٢) .

ومقتضى هذا الفهم أن عقيدة التجسد المسيحية انما هى خرافة لاتتفق مع الحق ، ولايصدقها العقل ، بل هى فكرة مضللة للناس ومن ثم يجب رفضها .

وقد حاول معظم المؤلفين الدوران حول هذا الفهم الشائع ، فلجأوا الى معنى آخر للأسطورة وهو أنها تعنى التعبير التصويرى أو الرمزى عن فكرة ما ، لايمكن أن تفهم حرفيا على أنها حقيقة (٣) .

وأيا ما كان المعنى الذى يقصده هؤلاء المؤلفون فالنتيجة — فى نهاية الأمر — واحدة وهى التخلص من عقيدة التجسد لأنها ليست حقيقة ، ويستوى بعد ذلك أن تعتبر « خرافة » أو تؤول على أنها نوع من الرمز أو المجاز .

ومن العوامل الأخرى فى الاقبال على الكتاب أن معظم مؤلفيه من كبار الأساتذة الجامعيين ، وكبار رجال الدين المسيحى ، فى نفس الوقت :

فالأستاذ « موريس دايلز » هو أستاذ اللاهوت بجامعة أكسفورد ، وكان رئيسا للجنة من أهم لجان الكنيسه الانجليزية ، وهى لجنة العقيدة .

والدكتور « نينهام » هو أستاذ اللاهوت بجامعة كمبردج ، وله صوت مسموع فى مجالس الكنيسة الانجليزية .

والأستاذ هولدن هو عميد كلية ريبون ، وهى فى طليعة الكليات المتخصصة فى الدراسات اللاهوتية بانجلترا .

---

(١) للمزيد من التفاصيل عما اثاره الكتاب من جدل عقائدى راجع :

Michael Goulder (Edr.) : INCARNATION AND MYTH : THE DEBATE CONTINUED

(التجسد والاسطورة : المناظرة مستمرة)

SCM Lrd. London 1979. Foreward and PP. 1 -- 16.

(٢) راجع : P. 16 H (الاسطورة فى علم اللاهوت)

Maurice Wilcs : Myrk in Theology,

(٣) راجع Mausice Wiles : Ibid. P. 154.

والدكتور « جون هيك » كان أستاذا للاهوت بجامعة برمنجهام ، وهو معروف بالدفاع عن العقيدة المسيحية من خلال كتاباته الفلسفية (وهو المحرر العام للكتاب) •

والأستاذ « دون كيوبيت » — بالاضافة الى تدريسه اللاهوت بجامعة كمبردج — يعتبر المتحدث بلسان الكنيسة على شاشة التليفزيون•

فمؤلفو الكتاب اذن هم أساتذة ورجال دين يعدون « محافظين » ، ولايقاسون مثلا بأولئك «التقدميين » الألمان الثائرين على العقيدة المسيحية فى العصر الحاضر •

ومن أهم الأسباب فى نجاح الكتاب كذلك أنه يعالج موضوعا يلقى اهتماما كبيرا بين الناس ، ويعبر عن شكوك كثير من المسيحيين •

فان الشك فى العقيدة المسيحية المحرفة التى تزعم تأليه المسيح هو شك آخذ ينتشر فى السنوات الأخيرة بين المسيحيين الغربيين ، حتى المتدينين منهم • ولذلك كانوا — ومازالوا — يتلهفون على أن يجدوا من يعبر عن الشكوك التى تختلج فى نفوسهم حول المسيحية • ومن هنا كان اقبالهم على الكتاب كبيرا •

ومهما يكن فقد أثار الكتاب — كما رأينا — عاصفة شديدة من النقد والاحتجاج •

ولتهدئة هذه العاصفة قرر المؤلفون عقد ندوة فكرية تضمهم ونقادهم ومخالفيهم فى الرأى ، ليناقشوا المشكلة فى هدوء • وفعلا عقدت الندوة — بعد حوالى سنة من صدور الكتاب — برئاسة أستاذ فلسفة الأديان بجامعة اكسفورد (١) •

وكان من أهم الموضوعات التى أثيرت فى هذه الندوة — الى جانب الموضوعات الرئيسية للكتاب — السؤال التالى :

هل مازال مؤلفو الكتاب يعتبرون مسيحيين ؟ أم ينبغى اعتبارهم خارجين على المسيحية ؟

وقد اتهمهم خصومهم المحافظون — من البروتستانت والكاثوليك على السواء — بأنهم قد خرجوا على المسيحية كما هى معروفة عند جميع المسيحيين ، وذلك للأسباب التالية :

١ — أن ماكتبوه يودى الى تمزيق المسيحية تمزيقا تدريجيا من جميع جوانبها : مصادرها وعقائدها (ولاسيما فيما يتصل بصحة الانجيل وألوهية المسيح) •

٢ — أنهم أنكروا حقيقة « التجسد » ، أى أنكروا عقيدة من العقائد الأساسية فى الديانة المسيحية ، فهى القاعدة التى ينبنى عليها الايمان المسيحى ، ويتفرع عنها علم اللاهوت •

٣ — أنهم خالفوا العقائد الرئيسية كما اتفق عليها مجمع خلقيدونية (وهو المجمع الذى عقد سنة (٤٥١ م) وقرر أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين : انسانية وإلهية) •

٤ — أنهم أخرجوا للناس مسيحية غير المسيحية التى شب المسيحيون جميعا على

---

(١) عن هذه الندوة وما أحدثه الكتاب من ردود فعل بوجه عام راجع : Michael Gaulder (Edr.) : Ibid. PP.

اعتقادها • ومن التضليل أن تدعى « مسيحية » هؤلاء المؤلفين مسيحية •

ولكن المؤلفين — حتى الآن — مازالوا يعتبرون أنفسهم « مسيحيين » وان كانت مسيحيتهم من نوع مختلف •

المسيح بشر رسول .

ان التمهيد الذى كتبه محرر الكتاب وتحدث فيه باسم المؤلفين جميعا — ليلقى الضوء على أهم أهداف الكتاب •

يقرر هذا التمهيد أن من الواضح للمؤلفين — ولكثير من المسيحيين المعاصرين — أن المسيحية قد تعرضت خلال تاريخها الطويل للنمو والتغير المستمر ، وبخاصة فى عقائدها • ولذلك فقد تعرض علم اللاهوت فيها الى تطورات عديدة ، نشأت من أن الكنيسة قد مرت بفترات تاريخية متنوعة ، واستجابت لظروف ثقافية شديدة الاختلاف • والحقيقة هى كما قال الشاعر المسيحى ت • س • اليوت : « ان المسيحية تكيف نفسها دائما لشىء يمكن أن يعتقد » •

ففى القرن التاسع عشر ، واستجابة لتقدم المعرفة الانسانية بوجه عام ، وتقدم العلوم بوجه خاص — « تأقلمت » المسيحية الغربية فقبلت مبدأين جديدين عليها كل الجدة ، وهما :

١ — أن الانسان جزء من الطبيعة : أى أن الانسان نشأ فى اطار التطور لأشكال الحياة على الأرض •

(وقبول هذا المبدأ يدل على قبول المسيحية الحديثة لنظرية دارون فى التطور ، بالرغم من أن هذه النظرية تناقض عقيدة خلق الله للانسان مختلفا اختلافا جوهريا — بسبب ما نفخ الله فيه من روحه — عن الحيوان وعن المادة) .

٢ — أن العهد الجديد (الذى يبدأ بالأناجيل الأربعة) قد ألفه بشر مختلفون فى ظروف مختلفة بعد زمن المسيح عليه السلام • ومن ثم فلا يمكن أن تضفى عليه حجية الوحى الالهى •

ولكن تكيف المسيحية الغربية لقبول هذين المبدأين لم يتم الا بعد مقاومة الكنيسة مقاومة شديدة ، ولفترة طويلة للحقائق العلمية • ومازال لتلك المقاومة آثار سيئة حتى اليوم (وبخاصة فى الانفصام المعروف فى الغرب بين الدين والعلم) •

ومازالت المعرفة الانسانية والعلوم مستمرة فى النمو والتقدم بدرجة متزايدة ، ولذلك مازالت المسيحية تتعرض لضغوط شديدة ترغمها على الاستمرار فى عملية التكيف للظروف المتغيرة ، أى ان تكيف نفسها دائما لشىء يمكن أن يعتقد ، وبخاصة من جانب المسيحيين المعاصرين المتأثرين بشخصية المسيح ورسالته •

ولعل أهم مايجعل لهذا الكتاب قيمة علمية أن مؤلفيه مقتنعون تماما بأن تطورا هاما آخر فى العقيدة المسيحية ينبغى أن يحدث خلال هذا الجزء الأخير من القرن العشرين •

والحاجة الى هذا التطور تنبع من نمو المعرفة بأصول المسيحية ، وتشمل — كما يقرر التمهيد — **الاعتراف بأن المسيح بشر** ، وذلك كما وصف فى العهد الجديد بأنه « رجل قد تبرهن

◄

من قِبَل الله » أى أيده الله بمعجزات « وآيات صنعها الله بيده » (١) .

وهذا الوصف يدل على أن المسيح بشر أرسله الله وأيده ببراهين المعجزات ، ليؤدى دوره (رسولا من الله) فى اطار الهدف الالهى من خلق الانسان .

ومعنى هذا — كما يؤكد الكتاب فى كل فصوله — أن تصور المسيح فى فترة متأخرة من رسالته إلها متجسدا (فى شكل انسان) — هذا التصور ليس حقيقة ، وانما ينبغى أن يفهم على أنه أسطورة ، أى مجرد طريقة رمزية للتعبير عن أهمية المسيح بالنسبة للمسيحيين .

ولذلك يدعو المؤلفون جميعا الى التخلص من عقيدة التجسد ، والابقاء عليها كأسطورة فقط . ويخالفهم فى هذا الموقف واحد منهم وهو « دون كيوبيت » فهو الوحيد الذى دعا الى التخلص النهائى من هذه العقيدة ، وعدم الابقاء عليها حتى كأسطورة (٢) .

والجميع يأملون بتأليف الكتاب تخليص تصور المسيحيين لله وللمسيح من التشويش والاضطراب .

وفيما يلى نتناول بالعرض والتقييم أهم الأفكار التى تتردد فى الكتاب عن عقيدة التجسد والتى تتركز فى ثلاثة فصول : فصلان يمثلان الاتجاه الى التخلص منها حقيقة والابقاء عليها أسطورة ، وفصل يمثل الاتجاه الى التخلص منها نهائيا .

**

المسيحية وعقيدة التجسد :

فى الفصل الأول من الكتاب يقدم المؤلف (٣) معنيين لعقيدة التجسد :

المعنى الأول (وهو المعنى العام) : أن المسيحية دين يقيم الانسان فيه صلته بالله عن طريق العالم المادى ، أى باضفاء المعانى الروحية على هذا العالم ، والقول بامتزاج « الربانية » بالبشرية ، ليس فى المسيح وحده ، بل فى كل انسان .

والمعنى الثانى (وهو المعنى الخاص) : أن المسيحية دين عقيدته الرئيسية هى تجسد الله (تعالى عما يقولون علوا كبيرا) فى شخص فرد معين ، وهو عيسى بن مريم (عليهما السلام) .

والمعنى الثانى هو المعنى المعروف والشائع بين المسيحيين ، وهو يقرر أن عيسى (على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) ذو شخصية فذة لانظير لها فى التاريخ الانسانى : فهو من ناحية بشر كامل البشرية ، ومن ناحية أخرى إله كامل الألوهية !!

(١) أعمال الرسل ٢ : ٢٢ وراجع أيضا مرقص ١٢ : ٢٨ — ٣٢ حيث يقول المسيح : « الرب الهنا رب واحد » (وأيضا ١٠ : ١٨) ومتى ٢١ : ١١ ، ٢٣ : ٨ ، ولوقا ١٣ : ٣٣ — ٣٤ ، وحتى انجيل يوحنا ١٧ : ٣ — ٤ .

(٢) راجع :
Don Cujrilt : The Christ of Christendom
P. 133
(مسيح العالم المسيحى)

(٣)
Mausice Wiles : Christianity Withovt Incarnaition
PP. 1 — 10 . (مسيحية بدون « عقيدة » التجسد)

ويتساءل المؤلف : هل هذه العقيدة (بالمعنى الثانى) ضرورية للمسيحية ؟ ألا يمكن أن تكون هناك مسيحية بدون هذه العقيدة ؟

ويشير الى أن أكثر المسيحيين يرونها جوهرية ، ولايتصورون مسيحية بدونها •

ويبين أن هذا فهم خاطىء ، وأن عقيدة التجسد ليست جوهرية ولاضرورية ، فقد بنيت على فكرة خاطئة ، وهى أن عيسى ابن الله وأن الأب تجسد فى الابن ، ومن ثم فعقيدة التجسد خاطئة من عدة وجوه :

فأولا : ليس لها أصل صريح حتى فى الأناجيل التى ألفها البشر ، لأنها نشأت فى مرحلة متأخرة من ظهور المسيحية • ولذلك لانجد لها ذكرا صريحا مباشرا فى الأناجيل الثلاثة الأولى (وهى أناجيل متى ومرقص ولوقا) • وحتى انجيل يوحنا الذى يعد أقرب الأناجيل الى الاشارة الى عقيدة التجسد لايذكرها بالصورة التى عرفت بها فى العصور التالية لظهور المسيحية (١) •

وثانيا : أن مؤلفى الأناجيل لم يكتبوا أناجيلهم كشهود عيان للمسيح (يحدد الباحثون الفترة التى ظهرت فيها الأناجيل الأربعة ما بين حوالى سنة ٧٠ وسنة ١١٠ بعد زمن المسيح) (٢) • ومعنى هذا أنهم لم يكونوا مجرد نقلة يروون تعاليم المسيح كما سمعوها ولم تكن لهم عقيدة واحدة تجمعهم ، وانما كانوا مفسرين يعبرون عن أهمية المسيح بطرق شديدة الاختلاف (حسب اختلاف شخصياتهم واهتماماتهم) ، ويصفونه بألقاب شديدة التنوع ومنها : « النبى » و « ابن الانسان » و « كلمة الله » و « المخلص » • وقد بلغت هذه الألقاب ذروتها فى « ابن الله » •

* * *

ويؤكد الكتاب ــ فى فصل آخر (٣) ــ أن ألقاب عيسى (عليه السلام) فى العهد الجديد ولاسيما « المخلص » و « الرب » و « ابن الله » انما أخفاها عليه المسيحيون الأوائل ، ولم يدعها المسيح قط لنفسه •

وهذه هى الحقيقة التى أعلنها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا فى قوله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ •

◄

---

(١) ورد فى هذا الانجيل : « والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لو حيد من « الا ب » يوحنا ١ : ١٤ •

(٢) راجع موريس بوكاى : **التوراة والانجيل والقرآن : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة** • الترجمة العربية لدار المعارف (ط • رابعة دار المعارف القاهرة ١٩٧٧) ص ٧٣ ، ٧٥ ــ ١٠٣ •

(٣) راجع : (تعدد الشهود)
Fronces Young : ((Acloud of Witnesses)) PP. 13 and 17.

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ » المائدة ١١٦ - ١١٧

وثالثا : أنها عقيدة متناقضة .

فلم تنجح الكنيسة قط ــ رغم محاولاتها المتكررة خلال تاريخها الطويل ــ فى أن تقدم للناس صورة معقولة أو متناسقة أو مقنعة

للمسيح على أنه بشر كامل البشرية ، و إله كامل الألوهية ، فى آن واحد .

وفى معظم محاولاتها نراها تضحى بانسانية المسيح (لتثبت ألوهيته) ، فنخرج فى النهاية

بصورة للمسيح لا نكاد نتعرف فيها عليه كانسان !

ويستشهد المؤلف بأمثلة تاريخية تدل على اضطراب الكنيسة وعلماء اللاهوت فى تقديم هذه العقيدة للناس .

ومن أهم هذه الأمثلة ما يتعلق بصفات المسيح الانسان ، ولاسيما صفة الارادة وصفة العلم .

فمن حيث صفة الارادة يعود بنا المؤلف الى القرن السابع الميلادى ، حين نشأ نزاع بين المسيحيين حول ما اذا كان المسيح ذا ارادة واحدة (إلهية) ، أو ارادتين (إلهية وإنسانية)؟

وكانت الأغلبية فى جانب الرأى القائل بالارادتين ، مما يوحى على الأقل باعطاء بعض الأهمية للجانب الانسانى فى المسيح .

ولكن أصحاب هذا الرأى أصروا على أن طبيعة المسيح الانسان لا تحتوى على أى نقص

مما تحتويه طبائع البشر ! وكذلك ارادته لا تحتوى على أى ضعف !

وأما من حيث العلم فقد أصر الجميع ــ حتى أصحاب الاتجاه الانسانى ــ على أن علم

المسيح الانسان يشارك علم الله فى احاطته بكل شىء !

ويعلق المؤلف على اتجاه الكنيسة لتصوير المسيح بشرا وإلها فى آن واحد بأنه اتجاه لا

يستند الى أى حجة معقولة ، ويؤدى الى نتائج لا يبررها أى دليل .

وينتهى الى التشكيك فى عقيدة التجسد ، وأنها تقول بكائن هو (إله ــ انسان) معا ، وأن

مفهوم هذا الكائن لا يتصوره العقل فضلا عن أن يقبله .

* * *

ما البديل :

يتضح مما تقدم أن المؤلف يحاول أن يخلص المسيحية من عقيدة التجسد . ولكن ما البديل ؟

هل هو رفض عقيدة التثليث كلية ورفض

ما يترتب عليها من « تجسد » ؟ والرجوع الى عقيدة التوحيد ؟

كان ينبغى أن يكون جواب المؤلف على هذا السؤال : نعم . فمن الواضح أن ذلك هو الجواب الصحيح ، وهو النتيجة المنطقية التى ينبغى أن يقبلها كل من يرفض عقيدة التجسّد . وبديهى أن عقيدة التوحيد هى البديل الوحيد لكل عقائد الشرك والوثنية .

والبديل فى رأيه بايجاز : هو التخلص من التجسُّد كعقيدة ، والإبقاء عليها كأسطورة . أى لا ينبغى أن تفهم على أنها حقيقة ، بل تؤول على أنها نوع من التعبير المجازى أو الرمزى عن أهمية المسيح بالنسبة للمسيحيين . وبعبارة أخرى : أنه لا يقصد بها إضفاء الألوهية على المسيح بل مجرد تمجيده وتكريمه .

(ألا يكفى اصطفاء الله إياه رسولا الى بنى اسرائيل ، وأنه أتاه « الانجيل فيه هدى ونور » — ألا يكفى ذلك تمجيدا وتكريما ؟!)

عيسى والأديان العالمية :

فى فصل بهذا العنوان ، يعبر الكاتب (١) عن حيرة المسيحيين المعاصرين عند ما يحاولون الحديث عن عيسى الشخص الحقيقى التاريخى الذى عاش فى الجليل فى الثلث الأول من القرن الأول الميلادى .

ومن أهم أسباب هذه الحيرة أن الدراسة العلمية الموضوعية للعهد الجديد قد أثبتت أن الحقائق المتاحة عن عيسى هى حقائق قليلة

ومبعثرة وغامضة ، وأن الخيال الفردى والجماعى قد لعب دورا كبيرا فى رسم « صور » المسيح عند المسيحيين عبر العصور .

ويرى الكاتب أن هذه الصور لا تمثل الحقيقة، بل تمثل عمليه إسقاط PROJECTION لتطلعات المسيحيين وحاجاتهم الروحية المختلفة باختلاف الظروف والحقب التاريخية .

وهذا ينطبق بوجه خاص على تصويرهم للمسيح على أنه « إله متجسد » ، وهى الصورة التى شاعت بين المسيحيين منذ حددها مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م .

وقرار هذا المجمع يصف المسيح بأنه « الابن الوحيد لله » وأنه ولد من أبيه قبل العوالم كلها وقبل كل زمان ، وأنه « ليس بمصنوع » أى ليس بمخلوق ، وأنه « إله حق من إله حق من جوهر أبيه » (؟ !) .

وهذا القرار يكفر كل من يقول بمرور زمان لم يكن عيسى موجودا فيه ، أو أنه خلق من

---

(١) John Hick : Jesus and The World Religions. P. 167.

لا شيء ، أو من جوهر غير جوهر الأب ، أو أنه قابل للتغير ..

ويستبعد الكاتب كل الاستبعاد أن يكون عيسى (عليه السلام) قد وصف نفسه بمثل هذه الأوصاف ، او فكر فيها ، أو علمها لأحد . ومن ثم يشك فى صحة ما نسب الى المسيح فى انجيل يوحنا من أقوال مثل : « أنا والأب واحد » (٢) و « لا (يستطيع) أحد أن يصل الى الأب الا عن طريقى » .

ويؤيد الكاتب شكه هذا بملاحظة أن انجيل يوحنا يختلف عن الأناجيل الثلاثة الأخرى (متى ومرقص ولوقا) فى أن وعظ المسيح فى هذا الانجيل يتركز حول المسيح نفسه ، بينما يدور وعظه فى الأناجيل الأخرى حول مملكة الله .

ويتتبع الكاتب التطور الخطير الذى طرأ على وصف المسيح ، اذ تحول وصفه وقد شاع

هذا الوصف الأسطورى (منذ مجمع نيقية) حتى ورثه المسيحيون اليوم .

ويتساءل الكاتب عن هذه الأوصاف : أهى حقائق أم مجازات ؟ أهى تعبر عن أحكام تقييمية أخلاقية ؟ أم تعبر عن التزام دينى باتباع تعاليم المسيح ؟ أتفهم معانيها حرفيا أم رمزيا أم أسطوريا ؟

ويؤكد أنه من الضرورى أن تثار هذه التساؤلات (للوصول الى الحقيقة) عن اللاهوت المسيحى الذى يقول بطبيعتين للمسيح ، ذلك اللاهوت الذى تحدد فى نيقية فى عقيدة يقصد بها أن تفهم حرفيا .

ويلاحظ أن الكنيسة قد فشلت فى كل محاولاتها أن تقنع الناس بمسيح ذى طبيعتين، فظل هذا المفهوم متناقضا ولا معنى له :

فالقول بأن عيسى بشر وإله معا هو كالقول بأن الدائرة هى مربع أيضا ! أى قول متناقض لا يقبله العقل .

ويرى الكاتب أن هذه العقيدة لا ينبغى أن تفهم حرفيا ، بل على أنها رمز لا يعنى أكثر من التعبير عن أهمية المسيح عند المسيحيين والتزامهم بتعاليمه .

ويرى كذلك أن الفهم الحرفى لهذه العقيدة فهم خاطىء ، ولايتفق مع التطور العلمى فى العصر الحديث . وقد أدى هذا الفهم فعلا الى الصدام بين الكنيسة والعلم منذ القرن السابع عشر حتى الآن .

وينتقد الكاتب عقيدة أخرى ترتبت على عقيدة

---

(٢) يوحنا ١٠ : ٣٠

التجسد ، وهى اعتقاد المسيحيين أن خلاص البشر لا يتحقق الا عن طريق اتخاذ المسيح واسطة بينهم وبين الله . فالاعتقاد بهذه الوساطة يؤدى الى القول بأن المسيحية وحدها — دون غيرها من الأديان — هى السبيل الوحيد للنجاة فى الآخرة . ويرى أن هذا الاعتقاد كان قليل الضرر عند ما كانت المسيحية والمسيحيين بين أتباع الأديان الأخرى ، ولاسيما مع وجود الصراع بين المسيحية والاسلام ، وتحالف المسيحية مع الاستعمار الغربى الحديث ضد اغلبية شعوب العالم من غير المسيحيين .

ولذلك يقترح الكاتب نوعا من العقيدة العالمية التى تحقق رؤية دينية شاملة للعالم كله ، وتنظر اليه كوحدة انسانية أمام الله . وفى الوقت نفسه تأخذ بعين الاعتبار ذلك التعدد بين الأديان على أنه يمثل طرقا كثيرة تؤدى كلها الى الله . ولهذا حاول الكاتب — كما يقول — أن يطور علما عالميا جديدا للعقيدة يشمل جميع الأديان »(١)

* * *

اننا حتى لو افترضنا حسن نية الكاتب فى هذه المحاوله فمن الواضح أنه ضل الطريق :

فإذا كان يريد عقيدة عالمية صالحة للانسانية فى كل زمان ومكان فلا شك أنها عقيدة التوحيد الخالص ، التى لم تشبها هذه الأساطير والمتناقضات ، والتى تقبلها الفطرة السليمة ، ويصدقها العقل والحس والبصيرة والوجدان ، أى يشهد لها كل كيان الانسان .

والاسلام وحده هو الذى يقدم هذه العقيدة .

أما زعم الكاتب أن جميع الأديان الأخرى تؤدى الى الله الواحد فهو زعم ظاهر البطلان ، إذ كيف تؤدى الوثنية الى الله ؟ وكيف يؤدى الشرك الى التوحيد ؟ أليس هذا أشبه بقول المشركين عن أصنامهم : « **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** » (٢) ؟ وكيف يؤدى التحريف أو التأويل فى العقائد غير الاسلاميه ومصادرها الى رؤية الحق واتباع الهدى ؟ .

اذا كان الكاتب يبحث عن الهدى للانسانية كلها فهذا الهدى ماثل أمامه فى القرآن الكريم ، وهو الذى يحتوى على الوحى الصادق المعصوم الذى نزل على خاتم الأنبياء والمرسلين شاملا لكل ما أوحى الى الأنبياء من قبل ، ومنهم عيسى (عليه وعلى نبينا والأنبياء جميعا — لانفرق بين أحد منهم — صلوات الله وسلامه) .

فلماذا لا يتخذ هذا الكتاب العزيز الوسيلة الى وحدة الانسانية على الحق والهدى ؟ :

« **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** » (٣) .

---

(١) وذلك فى كتابه : **الله وعالم العقائد**
GOD AND THE UNIVERSE OF FAITH
(Macmillan , London 1973)

(٢) الزمر ٣٩/٣ .
(٣) الأنعام ٦/١٥٣ .

تطور صورة المسيح فى العالم المسيحى :

فى فصل من أهم فصول الكتاب يعـــالج كاتبه (١) هذا الموضوع علاجا تاريخيا فلسفيا يجمع بين العمق والطرافة •

يروى أن يوحنا الدمشقى (٦٧٥ ــ ٧٤٩ م) ــ وهو قسيس ومتكلم مسيحى عاش فى دمشق فى عصر الدولة الأموية ــ كان يؤيد تقـديس الأيقونات (وهى تماثيل صغيرة للمســـيح والقديسين) فقيل له : انها بدعة لم يــرد ذكرها فى الكتاب المقدس . فأجاب بأن التثليث وتساوى الأقانيم الثلاثة فى الألوهية ووجـود طبيعتين للمسيح ــ كلها عقائد لم يرد ذكرها فى الكتاب المقدس ، ولكننا نعلم بالضرورة أنها حقائق !

ولهذا مضى يوحنا يحث المسيحيين عـــلى التمسك بها « لأنها تقاليد محترمة ورثناها عن الآباء • فاذا ضاعت هذه التقاليد فان الانجيل كله يصبح مهددا بالضياع » !

ولم يقتصر استعمال هذه الحجة (حجـــة التقاليد) على يوحنا الدمشقى ، بل استعملها غيره من رجال الدين المسيحى ، مثـل تيودور الاستدايت (٧٥٩ ــ ٨٢٦ م) •

ويرى الكاتب أن هذين المثلين يبرزان خاصة غريبة من خصائص المسيحية ، وهى مقدرتها على التبدل والتغير و « التكيف » والسرعة التى يتم بها قبولها للبدع ، وإضفاء الهيبة الدينية عـلى هذه البدع ، حتى أن من يحاول انتقـــادها (أى انتقاد البدع) فانه يجد نفسه متهما من قبل المسيحيين بأنه مبتدع خطير بل وزنديق !

ويستشهد الكاتب بمثـال آخـر من عصرنا الحاضر :

وهو اعلان الكنيسة ثناءها ودفاعهـــا عن الأسرة • حتى لتكاد تعتبر احترام الأسرة وأداء كل مسيحى لواجباته الأسرية ــ أول وأهم مبدأ فى الأخلاق المسيحية ••

ومع ذلك فالأسرة فى الانجيـــل لا تحظى بأكثر من اهتمام شكلى • بل ان المسيح نفســه (طبقا للأناجيل) ينتقد نظام الأسرة نقـــدا شديدا لأسباب دينية ، ويؤكد أن الدعوة الى مملكة الله هى دعوة تقع خارج وظائف الأسرة، وليس فى اطارها .

أما تمجيد الأسرة فهو اتجاه حديث ، أيدته الكنيسة (مجاراة للعصر) ، فلا يجرؤ قسيس معاصر أن يؤيد علنا آراء المســـيح فى الأسرة (كما روتها الأناجيل) •

(ما يقوله الكاتب عن موقف المسيحية مـن الأسرة صحيح • راجع مثلا ما نسب الى المسيح من أنه قال : « أن كل أحد يأتى الى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته لا يقدر أن يكون لى تلميذا » (٢) وأنه قـال :

(١) راجع :
Don Cupitt : (The Christ of Christendom) P. 133

(مسيح العالم المسيحى)

(٢) لوقا ١٤ : ٢٦ •

« ما جئت لألقى سلاما بل سيفا ، فانى جئت لأفرق الانسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها . وأعداء الانسان أهل بيته » (١) . ومن المعروف أن المسيحية وبخاصة الكاثوليكية لا تشجع الزواج ولا الأخذ بأسباب قيام الأسرة وسعادتها ، بل تشجع الرهبانية والعزوبة ، واحتقار الجسد ، والزهد المطلق فى المال) .

التمرد على عقيدة التجسد :

يؤكد الكاتب ــ كزملائه ــ أن عقيدة التجسد لا تمت بصلة إلى جوهر المسيحية الأصلية (أى غير المحرفة) ، وأنها أضيفت اليها فى عصور لاحقة ، وتعرضت للتطور ، ثم أخذت تدريجيا فى الانهيار . ويشير الى أن هذا الانهيار داخلى ، أى يحدث بين المسيحيين أنفسهم . ويؤكد هذه الحقيقة فيعرض تاريخ التمرد على عقيدة التجسد ــ منذ القرن التاسع عشر ــ ليثبت أنها تنهار تدريجيا ، ليس بين المسيحيين « العقلانيين » فحسب ، بل بين كبار رجال الدين المسيحى أنفسهم .

الوثنية فى الفن والعقيدة :

يشير الكاتب الى ما ورد فى التوارة من تحريم اتخاذ الصور والتماثيل للعبادة (٢) ، وأن هذا التحريم كان مطبقا ومحترما بين المسيحيين الأوائل .

وعندما بدأ الفن المسيحى (رسم الصور ونحت التماثيل) يظهر فى القرن الرابع الميلادى ــ قوبل أول الأمر بمعارضة شديدة بين رجال الدين الذين استنكروا تصوير الصلب ، أو إقامة تمثيل وأيقونات فى الكنائس للمسيح أو للقديسين ، لأن كل ذلك يعد من مظاهر الشرك والوثنية .

ولكن ما لبث الفن المسيحى أن نشأ وتطور كجزء من عملية معقدة صبغت المسيحية كلها بصبغة وثنية فى عقيدتها وعبادتها ونظمها وتعاليمها الاجتماعية .

ويقرر الكاتب أن الفترة التى ظهرت فيها عقيدة التجسد هى نفس الفترة التى ظهرت فيها وثنية الفن ، ولاسيما ظهور أيقونات كثيرة للمسيح فى الكنائس (بقصد العبادة والتقديس) .

ويرى أن هذا التطور ــ بمظهريه فى الفن والعقيدة ــ قد تأثر بحاجات وضغوط سياسية فى الامبراطورية الرومانية (وظهر هذا التأثر كنوع من « تبادل المصالح » بين الكنيسة والامبراطورية) :

فعلم اللاهوت فى القرن الرابع كان يتبع خطى الفلسفة السياسية الهلينية فى نظام الحكم الملكى : فالله مدبر الكون ، كما أن الملك مدبر الدولة . والروح الالهى (الكلمة) تحل فى الملك وتعلمه أن يحتذى الفضائل الربانية وأن يكون راعيا صالحا لرعيته ، فيخلصهم من الذنوب ، ويقودهم الى مملكة السماء . فكان الملك فى هذه

---

(١) متى ١٠ : ٣٤ ــ ٣٨ .

(٢) راجع سفر الخروج ٢٠ : ٤

النظرية كأنه « إله متجسد » يقوم بمهام شبيهة بمهام المسيح ، ولاسيما بدور الوساطة بين الله والناس .

ومن جهة أخرى قدم (المسيح) للناس على أنه « امبراطور » عالمى ، أضفيت عليه ألقاب تشبه ألقاب الأباطرة الرومان . فالامبراطور الرومانى كان يعتبر نفسه إلها وابن إله ! وقد وصف يوليوس قيصر بأنه إله من سلالة آلهة ! وأنه « مخلص » الانسانية (١) !

وفى مقابل ذلك أضفى المسيح المشروعية (الدينية) على الامبراطور ! ومنحت بالتدريج امتيازات مهمة لرجال الكنيسة تشبه امتيازات رجال البلاط الامبراطورى ، وتتمثل هذه الامتيازات فى شاراتهم وأروابهم المزركشة الزاهية الألوان ! وحتى العبادة فى الكنيسة استعارت كثيرا من الطقوس التى كانت متبعة فى القصر الامبراطورى .

وكل هذا أدى الى تغيير الطريقة التى كان يقدم بها المسيح للناس فى اللوحات الفنية والتماثيل :

فبدأ المسيح يظهر (فى اللوحات والصور) كأنه حاكم متربع على عرش الكون ، واتخذ مظهر الامبراطور : على مفرقه التاج ، وعرشه مزين بالجواهر والحشايا الأرجوانية ! وقد أقبل الناس يقبلون يديه ورجليه ! وأحيط بالحاشية الملائكية . ولم يبق من المسيح « الحقيقى » الا وجهه الأسمر الملتحى ذو السحنة السامية ، وهو ينظر بحزن من مكانه الجديد المثير للسخرية !

وقد حدث ما يشبه ذلك لكل من له بالمسيح صلة : فبدت مريم فى صورة الامبراطورة الأم، وظهر الحواريون فى هيئة أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى ، وأصبح الملائكة يمثلون حاشية الامبراطور ، بينما جاء القديسون للمثول بين يديه ، وتقديم القرابين إليه !

لقد استنكرت المسيحية القديمة الطقوس الامبراطورية ، ولكنها أخذت — منذ القرن الرابع — تتشكل فى تلك الطقوس نفسها !

فلا عجب اذن أن يرى الأباطرة فى اعادة تحديد العقيدة المسيحية (أى تغييرها من عقيدة توحيد الى عقيدة تثليث وتجسد ووساطة) أهمية سياسية قصوى ، (إذ أصبحت الكنيسة بهذا التغيير مسخرة لخدمة مصالحهم) . فلما حددت المسيحية تحديدا يرضيهم أيدوها بكل قوى الدولة . وبهذه الطريقة أسسوا نظاما سياسيا استمر (فى أوروبا) بشكل أو بآخر حتى قيام الحرب العالمية الأولى .

* * *

الآثار السيئة لعقيدة التجسد :

يبين الكاتب هذه الآثار (وهى تدور حول التصور المنحرف لمفهوم الألوهية ومن ثم لمفهوم العلاقة بين الله والانسان) ويدلل على سوء هذه الآثار بأربع حجج :

١ — ان تأكيد هذه العقيدة بأن هناك وحدة

(١) راجع أيضا ص ٩٨— ١٠٠ من الكتاب

أبدية بين الألوهية والبشرية فى شخص واحد يؤدى الى الاعتقاد باستمرارية هذه الوحدة بين الله والعالم (مثل فكرة وحدة الوجود) • والقول بالوحدة بين الله والعالم يشوه رسالة المسيح :

فان حرية الانسان فى أختيار أفعاله (وبالتالى مسئوليته عنها) تقوم على مبدأ نادى به المسيح نفسه ، وهو الفصل بين ما هو إلهى وما هو بشرى ، وعلى تأكيده لحتمية الصراع بين القيم المتضادة : كالخير والشر ، والبر والاثم ، والعدل والظلم ، والربح والخسارة ، والحياة والموت ، والأمن والخوف ، والتبصر والحمق ••

ولكن عقيدة التجسد توحد بين هذه المتضادات ، وبهذا تلغى حرية الانسان فى الاختيار بينها (ومسئوليته عن هذا الاختيار) كما تضعف من تقديرنا للقيم المتميزة التى جاهد المسيح (عليه السلام) من أجلها •

لقد حولت هذه العقيدة فكرة الحرية الانسانية الى فكرة أخرى تؤكد الاستمرارية والطاعة ودكتاتورية السلطة (كما هو واضح فى السلطة البابوية التى تدعى العصمة) •

وعلى سبيل المثال : فإن مفهوم « الملك » فى المسيحية القديمة مختلف تماما ، بل ومتعارض أخلاقيا ، مع المفهوم الدنيوى « للملك » ولكن المسيحية (الرومانية) أزالت الفروق بين المفهومين : فأصبحنا نرى المسيح يتوج بيديه الامبراطور الرومانى ، ولا فرق بينهما فى المستوى إلا بمقدار درجة واحدة !

وفى عصر الأيقونات (منذ أواخر القرن الرابع الى نهاية العصر البيزنطى) أصبح المسيح والامبراطور فى درجة متساوية • وقد أعلن علماء الدين أنفسهم أن احترام أيقونة الامبراطور لا يقل عن احترام أيقونة المسيح !

وكذلك تغير مفهوم « السيد » LORD الذى يطلق على المسيح ، فقد كان مفهوما دينيا أخرويا فأصبح مفهوما « علمانيا » يؤكد السلطة الدنيوية • وبذلك أصبح المسيح قاعدة مذهبية للامبراطورية الرومانية ولسلطة الكنيسة ، وأضفى الشرعية على الأعراض الفانية فى الدنيا (أى السلطة الدنيوية العلمانية) •

وهكذا «كيفت» المسيحية عمدا لتصبح سلطة دكتاتورية مطلقة • وفقدت عقائدها وتعاليمها صبغة التوحيد الأصلية ، وتغلبت عليها صبغة العقلية اليونانية (الوثنية) ، وضاعت القيم (الدينية) التى تحدث عنها المسيح فى الانجيل (١) •

٢ ــ تدعى هذه العقيدة أن تجسُّدَ الله فى المسيح قد تمّ مُذ الحمل به • وهذا يؤدى الى إلغاء كل جهاده (فى تبليغ الرسالة • أى لا يكون للمسيح الانسان أى فضيلة فى احتماله وصبره ومعاناته فى هذا التبليغ ، وتصبح كل جهوده لا قيمة لها •

٣ ــ أدّت هذه العقيدة ــ بسبب زعمها أن الله تجسّد فى المسيح ــ الى اتخاذ المسيح إلها

(١) راجع **يوحنا** ١٨ : ٣٣ ــ ١٩ : ١٦ ، متى ٢٠ . ٢٠ ــ ٢٨ ، **لوقا** ٢٢ : ٢٤ ــ ٢٧ .

يعبد مع الله أو من دون الله • وقد نشأ هذا الاتجاه الوثنى (الذى تمثل فى الصلاة للمسيح مباشرة وليس لله عن طريق المسيح كواسطة) بين خصوم مذهب أريوس (القائل ببشرية المسيح ووحدانية الله تعالى) وذلك فى القرن الرابع الميلادى • وبالرغم مما لقيه هذا الاتجاه من معارضة شديدة فقد انتشر حتى صبغ المسيحية بصبغة وثنية واضحة •

ومن الأمثلة الحديثة على هذه الوثنية اتفاق المسيحيين (من جميع الفرق والمذاهب) على تكوين المجلس العالمى للكنائس على أساس عقائدى يعلن الاعتراف بعيسى « إلها ومخلصا » لا غير ! وبعد هذا الاعلان الذى صدر سنة ١٩٣٨ أصدر المجلس سنة ١٩٦١ إعلانا آخر يقرر اتخاذ عقيدة التثليث أساسا عقائديا للمجلس •

ان هذه المسيحية الوثنية يمكن أن تعد أصلا من الأصول البعيدة للكفر المعاصر ، وذلك لأنها حولت الناس من عبادة الله الى عبادة البشر • ولم تتورع هذه المسيحية أن تضفى على مريم لقب « أم الاله » وهو لقب يدل بوضوح على الكفر •

سبحان الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا

٤ ـ أدت هذه العقيدة الى إعادة الفكرة الوثنية القديمة عن الله على أنه «انسان أعلى» SUBERHUMAN PERSON. • وقد ساعد على ذلك صورة الاله (الأب ـ الابن) فى عقيدة التثليث المسيحية •

وقد انتشرت هذه الصورة البشرية لله (سبحانه وتعالى) فى الأعمال الفنية المسيحية (فى الكنيسة الغربية) منذ القرن الحادى عشر • وفى كثير من هذه الأعمال يصور الله (سبحانه وتعالى) فى صورة انسان له ابن ، وهو أقصى ما وصلت اليه المسيحية الغربية من وثنية وشرك •

وأسوأ ما فى الأمر آن ظهور الله (سبحانه وتعالى) فى صورة انسان له ولد لم يعد يصدم شعور المسيحيين الغربيين حتى أولئك الذين بلغوا درجة عالية من الثقافة •

وهذا يمثل انهيار الدين (المسيحي) فى أهم معنى من معانى الدين وهو العقيدة •

وفى نهاية الفصل يدعو الكاتب الى أن تتخلص المسيحية من كل العقائد (الوثنية) التى علقت بها تحت ضغط الظروف التاريخية والسياسية (فى الامبراطورية الرومانية) ، ولا سيما عقيدة التجسد •

وبذلك تتمركز المسيحية حول عبادة الله وحده ، لا حول عبادة البشر •

ويلاحظ ـ كما أشرنا من قبل ـ أن هذا الكاتب هو الوحيد الذى دعا الى التخلص النهائى من عقيدة التجسد ، ولم يحاول ـ كزملائه ـ الابقاء عليها حتى كأسطورة !

يتضح مما تقدم أن الحقيقة التى تدور حولها معظم فصول الكتاب هى أن المسيح بشر وليس إلها •

وهذه الحقيقة هى التى تجعل لهذا الكتاب قيمة علمية ، ولكنها قيمة جزئية •

وذلك لأن المؤلفين اذ يقررون هذه الحقيقة لا يمضون الى نهاية الشوط فيقبلون نتائجها،

إنهم فى تقريرهم لهذه الحقيقة يصدرون عن رغبة عميقة فى مجاراة العصر ، وعن تأثر واضح بالضغط الذى يمثله تقدم العلم فى القرن العشرين .

فقد أثبتت البحوث العلمية الحديثة أن الكتاب المقدس بوجه عام ، والانجيل بوجه خاص ، ليس وحيا إلٰهيا ، وإنما هو من تأليف البشر فى عصور مختلفة •

كما رفضت هذه البحوث عقيدة التثليث ، لأنها تقوم على فكرة متناقضة ، لا يقبلها العقل ولا يقرها العلم ، وهى أن المسيح بشر وإله معا •

والنتيجة المنطقية لهذا كله أن المسيح عليه السلام ليس إلا بشرا رسولا ، وأن الله واحد لا شريك له •

والأمانة العلمية كانت تقتضى هؤلاء المؤلفين أن يعلنوا هذه الحقيقة كاملة ، وبلا تردد •

ثم كان عليهم أن يتخذوا خطوة أخرى تترتب منطقيا وخلقيا على إعلان هذه الحقيقة : وهى أن يؤمنوا بدين التوحيد ، وهو الاسلام •

فهم يعلمون تمام العلم أن تلك الحقيقة ، وهى أن المسيح بشر رسول وليس إلٰها ، قد أكدها القرآن الكريم فى العديد من آياته منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، ودعا المسيحيين الى قبولها .

ومهما يكن من أمر هذا الموقف ودوافعه فان الكتاب تظل له قيمته العلمية ، فهو يؤكد ــ بصورة واضحة ــ أن ما جاء به القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام هو القول الفصل ، لأنه الحق لا ريب فيه :

« ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ • مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ » مريم ١٩/ ٣٤ ــ ٣٥ •

أحمد عبد الحميد غراب

الجذور التاريخية للمشكلة السودانية - البقية

إطار السودان الموحد ، ولكن منظمة « الاتيانيا » المتطرفة ، تقودها حربا مدمرة ضد السودانيين بما فيهم الجنوبيين المعتدلين ، وتشجعها فى ذلك « أثيوبيا » النصرانية وبعض الدول الغربية الحاقدة ،

مع أن المصلحة تقتضى الحل السلمى لمصلحة الجميع ، لأن الجنوب لا يمكنه الاعتماد على نفسه لفترة طويلة فهو مازال يعيش فى ظل الاقتصاد البدائى المعتمد على الاكتفاء الذاتى علاوة على ما بين قبائله من أوجه خلاف عديدة قد تسبب الصراع ويضيع الجنوب وتتمزق أواصر العلاقة الأبدية بين أبناء الشعب الواحد ، وهذا ما تبدو بذوره وعلاماته واضحة للعيان منذ الآن •

د• عبد الله نجيب محمد

من أعلام الأزهــر

للأستاذ السيد حسن قرون

الشيخ أحمد حسن الباقورى ظاهرة أزهرية تسترعى الأنظار وتأخذ بالألباب ، والمتحدث عنه أو المسطر لحياته لابد أن ينظر الى أقواله وأعماله ، وقد تكون الأعمال أقوى أثرا وأبلغ ذكرا من بلاغة الكلام وفصاحة الكلمات ولكن الكتاب ومنهم النقاد ينظرون الى وثائق التاريخ أكثر من نظرتهم الى شامخ الأعمال ، والكلمة من الله « ايجاد وتكوين » ، والكلمة من البشر ــ فى أقوم مقصدها ــ « تصوير وتعبير » ، وشتان بين الخلق والتعبير عنه .

والشيخ الباقورى كان منهجه أن يكون عمليا ــ وان عرفناه صاحب لسان وقلم ــ فأدبه هادف ، فهو على مذهب « الفن فى خدمة المجتمع » .

وبعض الأدباء يرى أن يكون الفن للفن » ومن ثم يرضى الحكومات المذهب الأول ويزعجها ، وتغض الطرف عن المذهب الآخر .

وفى ضوء هذا القول نتحدث عنه ونعطى صورة عن منهجه قبل أن نخوض فى بحثه عن ذى القرنين (١) الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم وعنى به مولانا أبو الكلام أزاد ، ونقل بحثه الينا باللغة العربية الشيخ الباقورى والناس يعرفونه عالما وأديبا ومسئولا تولى كثيرا من المناصب كان أشهرها توليه وزارة الأوقاف ثم رياسة جامعة الأزهر وأخيرا الأمين العام لجمعيات الشبان المسلمين ، لكن الحديث عن طفولته وبدء ظهوره يأخذ قسطا قليلا من الاهتمام ، وأنا مع كثرة ما قرأت عنه وسمعت منه لم أعرف جذوره الا حين قرأت ما نشر من مذكراته فى مجلة « آخر ساعة » فى العدد ٢٦٥٤ ــ ٤ سبتمبر ١٩٨٥ التاسع عشر من ذى الحجة ١٤٠٥ هـ بعد وفاته .

قال عن نفسه :

انه ولد فى « باقور » واليها نسب وهى من قرى محافظة أسيوط سنة ١٩٠٩ فى ٢٦ مايو ، ولكن شهادة الميلاد تقول : انه ولد فى ٢٦ مايو ١٩٠٧ ، ويبين السبب فيقول : كان لى أخ ولد فى ٢٦ مايو ١٩٠٧ ومات أثر حقنة التطعيم بالجدرى ، فلما ولدت لم يشأ أهلى أن أعيد الكرة فى التطعيم ، فقالوا : لا داع لتسجيل واستخراج شهادة ميلاد واكتفوا بشهادة

---

(١) تقدم مجلة الازهر للكاتب ــ فى العدد القادم ــ بمشيئة الله ــ دراسة عن بحث فضيلة الشيخ الباقورى « ويسألونك عن ذى القرنين » فى باب « اللغة والادب والنقد ».

فضيلة الشيخ
أحمد حسن الباقورى

ميلاد أخى ، واعتبروها شهادة ميلادى .

ومن المذكرات نعلم أن نسبه من جهة الأب يتصل بالحسن بن على — رضى الله عنهما — وأن أمه حسينية ، فهو شريف الأبوين وفدت أسرته من « سوسة » من مدن « تونس » من شمال أفريقية ، ونزلت تلك الأسرة بقرية « دوينة » ثم انتقلت الى « باقور » وكلتا القريتين من أعمال أسيوط .

وقد كان والده متصوفا ، وعلى قدر من العلم والمعارف الاسلامية ، ومن هنا رأى أن يعلم ابنه فى الأزهر ، وفى نهاية ١٩١٩ قدم به الى أسيوط ليلتحق أحمد ابنه بالمعهد الدينى فتم له ما أراد . ومن محاسن المصادفات أن المعهد الدينى فى ذلك الحين كان فى شبابه ، وبه أساتذة لهم شأن فى العلم وفهم الحياة ، ذكر منهم فى مذكراته الشيخ عبد الرحيم العدوى ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، والشيخ عبد الجليل عيسى ، وكانوا روادا فى الأدب وشئون الوطن وحب الحرية ، فكان لهم أكبر الأثر فى تكوينه الأدبى والوطنى ، وحسبك من تلك الصلات أنه أصهر فيما بعد الى أستاذه « الشيخ دراز » فتزوج ابنته السيدة « كوكب » .

والشيخ « عبد الجليل عيسى » معروف للعالم الاسلامى بعلمه الواسع وتفسيره للقرآن الكريم .

والشيخ « محمد عبد اللطيف دراز » له شهرته الواسعة فى عالم الوطنية فهو من زعماء ثورة ١٩١٩ وتولى بعض المناصب الكبرى فى الأزهر .

أما « الشيخ عبد الرحيم العدوى » فقد يكون فى حاجة الى تقديم شخصيته للأزهريين وغيرهم ، وعلماء بنى عدى من واجبهم الكشف عن أعماله وبيان أفضاله ، أما أنا فلا أعرف عنه الا أنه كان شاعرا ، وله قصائد فى مدح النبى — صلى الله عليه وسلم — رائعة منها قصيدته التى كان مطلعها :

ياحادى العيس نعم العيس والحادى
ان زرت طيبة حيث المصطفى الهادى

وطيبة هى « المدينة المنورة » على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

والعيس هى الابل البيض التى يخالط بياضها شىء من الشقرة .

◄

وكان الباقورى منذ طلب العلم تبدو عليه مخايل الذكاء والطموح وقد حباه الله فصاحة فى اللسان وصباحة فى الوجه ودماثة فى الخلق فأحبه زملاؤه وأعجب به شيوخه فقدموه وعنوا به •

وحدث أن احتفلت مصر فى « مدينة أسيوط » بتأبين الصحفى العظيم « أمين الرافعى » وكان رئيس الاحتفال ــ كما سمعت ــ « محمد نجيب الغرابلى باشا » عضو الوفد المصرى حين ذاك ، وقد اشترك معهد أسيوط الدينى بطالبين أحدهما الشيخ « أحمد حسن الباقورى » والآخر الشيخ « أحمد محمد مراد » ــ من رجال القضاء الشرعى فيما بعد ــ فألقى الشيخ الباقورى فى ثبات واعتداد بالنفس قصيدة عصماء نالت اعجاب المحتفلين ، وكانت باكورة نباهته وشهرته ، ولما جمع رثاء أمين الرافعى فى كتاب كانت قصيدة الباقورى من مواد هذا الكتاب •

وأتم تعليمه بالمعهد الدينى بأسيوط والتحق بالقسم العالى بالأزهر الشريف فى القاهرة فرافقته شهرته ونباهته ، فنال أرفع الدرجات وأكبر الشهادات الأزهرية ، ولم يتخرج فيه حتى قاد ثورة تحدث عنها التاريخ ، وكان رئيس اتحاد الطلاب •

وبعد أن نجح الأزهريون فى ثورتهم سنة ١٩٣٥ ولووا ، ذراع « الملك فؤاد » فأعاد اليهم شيخهم المفضل « الامام محمد مصطفى المراغى » أقيم احتفال أذيع من الاذاعة المصرية وكان أحد خطباء الحفل الشيخ أحمد حسن الباقورى •

يقول الدكتور طه حسين فى أحد كتبه : « والثورات تخرج المعادن النفيسة من الرجال والأبطال » ، ولقد صاغت الباقورى فى بوتقتها ثورة ١٩١٩ ، فقد طلب العلم حين قامت ، وأعجب بالزعيم سعد زغلول وهو البطل الأسطورى عند مصر وعند الباقورى ، رجل فى شيخوته يقوم بثورة ليعيد الى مصر شبابها ، هذا شىء كبير ، نظر اليه الباقورى وهو فى شرخ الشباب فكان مثله الأعلى ، لقد أطلع الأزهر سعدا فعليه أن يطلع غيره ، ليكن « أحمد حسن الباقورى » ، وقد جمع الباقورى الى موهبة الخطابة موهبة الشعر والكتابة ، فكان المجلى فى كل حلبة رهان •

أكبر الظن أنك ألممت معى بسطور من حياته الأولى وجهاده الوطنى وقيادته لثورة الأزهر على الملكية فى عنفوانها وبقى أن أشير الى منهجه فى الدعوة الاسلامية ورأيه فى المؤسسات القائمة بهذا العمل العظيم شرقا وغربا وفى مقدمتها أزهر مصر •

وللباقورى مؤلفات عدة ، ولكنى اخترت منها ما لم تذكره الصحف والمجلات وهو كتاب « وَيَسْـــأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ » •

تأليف أبو الكلام أزاد ، تقديم أحمد حسن الباقورى •

وينحصر حديثى فى هذا المقال عن ذلك التقديم ، فقد رأيت فيه الباقورى كما خلقه

الله صاحب رسالة ، وصاحب قلم ويحب لقارئه أن يخرج مما يقرأ بفائدة فهو يقول :

« لست أحب لك — أيدك الله — أن تقرأ موضوعا انشائيا لا تخرج منه بطائل ، ولكننى أحب لك فائدة كلما كان الى فائدة سبيل » .

وعلى هذا النحو بدأ تقويم كتاب « مولانا أبو الكلام أزاد » وقد بدأ الكتاب بأنه تولى وزارة الأوقاف فى السابع عشر من سبتمبر سنة ١٩٥٢ وقد أخذ نفسه بتأييد ثورة يوليو :

يقول : ولم أكن فى وسعى أن أتخلى عن تلك الثورة ومناصرتها « وزعيم الثورة — جمال عبد الناصر لا يفتأ يردد فى كل مدينة وقرية وفى كل حفل وناد : ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد ، لن أخادع ولن أضلل ، وعلى الاستعمار أن يحمل عصاه على كتفه ويرحل ، والا فليقاتل دفاعا عن نفسه حتى الموت ، لا حرية مع الرشوة والاستغلال ، مصر للمحكومين لا للحاكمين ، الثورة ضد كل خائن وخائر ، الديمقراطية هدف الثورة الأول على العرب والمسلمين أن يتحدوا لمحاربة عدوهم المشترك ، الحاكم أخو المحكوم لا سيده » أعجبه كثائر تلك الشعارات الناصرية:

« من أجل ذلك كله مضيت غير مبال نقد ناقد ولا سخط ساخط » والباقورى غير مسئول عما حدث بعد ذلك .

الى « باندونج » كان فى صحبة الرئيس جمال عبد الناصر لحضور المؤتمر الآسيوى الأفريقى فى أندونيسيا ، وقد كان من المقرر أن يستجيب الوفد فى طريقه الى أندونسيا — دعوات يزور فيها باكستان فى عاصمتها كراتشى ، وهندستان فى عاصمتها نيودلهى .

وقبل أن يحدثك عما حدث فى تلك العواصم يلقى اليك بمعلومات يحسن الوقوف عليها :

فهو حريص على الافادة والاستفادة ورأيه فى بعض تلك الدول ، فيفسر « نيودلهى » قائلا كان العرب ينطقون هذا الاسم « دهلى » فكان من حقها أن تعرب « دهلى الجديدة » ولكن التحريف البريطانى أصبح هو العلم على هذا البلد .

ويصنع مع باكستان أكبر مما صنع فى نيودلهى ، فيقول لنا : ان باكستان لها معنى بخلاف المدن التى لا معنى لها ، فيذكر أن الباكستانى يقول فى اعتزاز ان الكلمة تعنى « الأرض الطهور » وربما زادك شرحا لمعناها فذكر لك أن هنديا جامعيا مسلما كان فى انجلترا عام ١٩٣٣ — ابتدع هذا الاسم وكونه من حروف ومقطع يشير كل منها الى أسماء المقاطعات الهندية التى يكثر فيها عدد المسلمين ، والتى كان يراد للدولة الجديدة أن تتألف منها .

وبيان ذلك أن الباء مأخوذة من البنجاب ، والألف اللينة مأخوذة من باثان — مقاطعة الحدود الشمالية الغربية — والكاف مأخوذة من كشمير ، والسين مأخوذة من السند ، والمقطع تان مأخوذ من بلوخستان .

لكن باكستان حين قامت ١٩٤٧ بزعامة « محمد على جناح » كانت تضم مقاطعة « البنغال » فماذا يقول الباقورى فى أن باكستان ضمت اليها مقاطعة لم يدخل حرف منها فى الاسم ؟ .

يرى أن مؤلف الاسم « باكستان » كان ملهما ، أو ينظر الى الغيب من ستر رقيق ، فقد انفصلت مقاطعة « البنغال » وسالت الدماء الزكية فى سبيل الانفصال وسميت « بنجلادش » بزعامة الشيخ مجيب الرحمن ، ويأسف الشيخ الباقورى لما حدث لباكستان ، ويرجو لبينجلادش الاستقرار ، وهذا يدل على عاطفة نبيلة يكنها الشيخ لتلك الدولة المسلمة ويحزنه أن تقع الفتنة بين أبنائها — ولكنى أنا أرى أن البنغال داخلة فى تركيب الاسم ، فمن حروفها الباء كما هو الحال مع البنجاب — .

ولتلك المناسبة تحدث عن رجلين عظيمين من باكستان : شاعرها « محمد اقبال » ، ورئيسها الأول « محمد على جناح » وأطنب فى شمائلهما وثقافة كل منهما .

ومن كلماته الحسان فى انبهاره بشعر اقبال قوله : « وما نسميه نحن فلسفة اقبال هو فى الحقيقة قبس من النور الأعظم الذى يتوهج فى كل آية من كتاب الله .

وما نسميه نحن قوة مبدعة فى اقبال هو فى الحقيقة نفحة من نفحات الرسالة العظمى التى بعث الله بها نبيه — صلى الله عليه وسلم .

واذا كان الشعراء — كما يقولون — يستوحون شياطين الشعر فان اقبالا كان يستوحى النور الحق الذى قامت به السموات والأرض » بهذا السمو التعبيرى جاء وصف شعر اقبال على لسان الباقورى وقلمه .

وحين تحدث عن القائد الأعظم محمد على جناح أعجب بجوابه عن سؤال وجهه اليه الزعيم الكبير « مهاتما غاندى » قال غاندى يسأل : أريدك أن تبين فى وضوح الاختلاف بين المسلمين والهندوس اختلافا يسوغ اعتبارهما أمتين مختلفتين فى كل شىء كما يقضى بذلك النص فى قرار باكستان .

فأجابه القائد الأعظم قائلا : ان المسلمين جاءوا الى الهند غزاة ، وتجارا ، ومبشرين ، وجاءوا معهم بثقافتهم وحضارتهم فأقاموا امبراطورية قوية ، وأرسوا قواعد مدنية عظيمة ، وأعادوا بناء الهند وأصلحوا شئونها .. والمائة مليون مسلم فى الهند اليوم هم أكبر مجموعة من المسلمين فى مكان واحد ، فنحن — المسلمين — فى الهند أمة مستقلة بثقافتها ، ومدنيتها ، ولغتها وأدبها وفنها وأسمائها ، وقوانينها وعاداتها ، وتاريخها وطموحها — فنحن فى منطق كل شريعة وفى اعتبار كل قانون عالمى أمة مستقلة .

وقد أعجب الباقورى بهذا الجواب وأشاد به وجعله علامة شجاعة ، « ولا يقبلها الا منصف يؤثر الانصاف على كل أثير » .

ويتابع الباقورى حديث رحلته مع عبد الناصر الى باندونج فيذكر الحفل الذى أقامته حكومة باكستان تكريما لوفد جمهورية

مصر ثم سجل الخطاب الذى ألقاه السيد غلام محمد حاكم باكستان يومئذ وتوجه به الى الرئيس جمال عبد الناصر ، ولقد حرص الباقورى على تسجيله وتسجيل ما جاء عن الأزهر فى ذلك الخطاب •• يقول حاكم باكستان فى ذلك الزمان :

ان وراء شعب مصر ماضيا مجيدا ، وهم يمثلون حضارة من أقدم حضارات التاريخ •• كما أن مصر كانت دائما موضع التطلع اليها كمنبع عظيم من منابع العلوم والثقافة الاسلامية ، ذلك المنبع الذى تمثله الجامعة الأزهرية الكبرى ، والذى يرتوى منه العالم الاسلامى كله •

وجاء رد عبد الناصر حافلا بالشكر على الحفاوة •• ومنه :

« وانى لأشكر سعادتكم على ما تحدثتم به عن الأزهر الذى يسعدنى أن أذكر أنه ممثل خير تمثيل هنا ، بصديقى الشيخ الباقورى وزير الأوقاف الذى يشترك معنا فى بهجة وجودنا اليوم بينكم » •

ويعلق الباقورى على الخطابين تعليقا رائعا يبين فيه الجامعة الاسلامية والأخوة الخالدة التى تجمع المسلمين — على اختلاف مذهبهم — على تأسيس المؤتمر الاسلامى الذى يعمل على جمع الكلمة وتوحيد الصف والشتات •

ويبين فيه مكانة الأزهر وعطاءه للانسانية :

« فان الأزهر منذ كان يطارد الشك والحيرة فى مجتمع بنى الانسان ••• ولقد استطاع الأزهر أن يجمع من حوله قوى كثيرة فى أمكنة مختلفة من شتى أنحاء العالم تحمل راية الحرية الحقيقية التى تقرر فى صراحة أن العبودية لغير الله ذل ، وأنها لا تلتقى مع الاسلام فى قلب مسلم ولو صلى حتى انحنى ، وصام حتى انبرى » ومع فضل الأزهر فى جميع العهود ورعايته حتى لغير المسلمين نجد من يجحد فضله وينكر حقه ، « يقول فيه حتى أعرف الناس به وأقربهم نسبا اليه ، وأبينهم نعمة منه ما قال مالك فى الخمر » •

واذا كان الأزهر مجحود الفضل من بعض الناس ، فلقد جحد بعض الناس فضل ابنه الباقورى ، وفى هذا الصدد يقول — وقد ذكره عبد الناصر فى خطابه ووصفه بصداقته فى حفل باكستان الذى ذكرناه آنفا •

ثم لما حاولت ادارة الاستعلامات جمع خطب وتصريحات الرئيس جمال فى خمسة أجزاء أخرجتها للناس لم تشأ أن تذكر هذه الفقرة الخاصة بى فى خطاب الرئيس ••• وكأنى بالمواطن الذى نقل الخطاب عن الصحف مغفلا ما يتعلق بى فيه قد تصور عدم ذكره اياى قد يرمى بشخصى وتاريخى الى زوايا النسيان • والمعنى المؤسف الذى يشير اليه هذا التصرف فى حذف هذه الفقرة مع وجودها فى الصحف هو أننا فى شرقنا كثيرا مانسف فى تملق الحاكمين ولو انتهى بنا ذلك الى طمس معالم التاريخ » •

والشيخ الباقورى مع ذكائه غاب عنه ما كان يجب أن يكون ماثلا أمامه ، وهذا يقع

فى مصر وغيرها ، وأغلب الظن أنه عاش ورأى أن كتب التاريخ لم تذكر « محمد نجيب » على أنه أول رئيس لجمهورية مصر ، وقد قرأ فى الميثاق أن سعد زغلول ركب الموجة لا أنه زعيم ثورة ١٩١٩ — والمؤرخون يذكرون أن الفراعنة كانوا يفعلون ذلك فينسب بعضهم عمل الآخر لنفسه ، وهذا يدل على نقص البشر ، وتكالبهم على ترك الذكرى الطيبة بعد رحيلهم ، أما الذين يفعلون لغيرهم فقد وصفهم بأنهم متملقون •

وأكبر الظن أن هذا جرى حين وقعت الجفوة بينه وبين عبد الناصر بالدسيسة التى عرفت بعد خروجه من الوزارة ومعلوم للوفد الذى حضر الحفل ولكل من قرأ الصحف أن عبد الناصر أشاد به ، وأن كلماته عنه وجهت اليه أنظار جميع الذين انتظمهم الحفل من الرجال والنساء « فاتجهوا ينظرون الى ويحرصون على محادثتى تكريما للأزهر الشريف فى شخصى الضعيف » •

ويظهر أن اغفال كلمات الرئيس عنه دعته الى أن يسجل رحلته ولو بقلم غيره ، فنقل لنا فى هذا الكتاب ما كتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل فى يومياته التى كان ينشرها فى جريدة أخبار اليوم ، وما كتبه هيكل فى هذا اليوم عن الحفل فى قصر الحاكم والمأدبة التى ضمت عليه القوم ونجوم المجتمع •

يقول هيكل :

ها هو ذا أمامى خريج الأزهر بالعمامة والكاكولة وقد تحول الى رجل صالون من الطراز الأول ، وانتهى العشاء وأسرعت متلهفا الى حيث كان وقلت له فى حماسة : تحياتى للأزهر » والمقال طويل وأنيق فاقرأه فى الكتاب من صفحة ٢١ الى صفحة ٣٥ •

مولانا أبو الكلام أزاد :

أما ما رآه حين زار مولانا أبو الكلام أزاد فيدل على عقلية تدرك النافع والضار ، ولا تهرب من الواقع ، بل تجعل الواقع — وان كان مرا — سبيلا أن تستخرج منه ما يحلو وينعش •

كان السبيل الى التعارف فى أول الأمر هو سفير الجمهوية المصرية ثم كان اللقاء بين الشيخ الباقورى يتم بمصاحبة أزهرى هندى له صلة بمولانا أبو الكلام أزاد ، ومولانا أبو الكلام وصفه الباقورى بالعلم الغزير والأفق الرحيب والبصر النافذ بشئون الدين والدنيا بجانب الاعتزاز بالنفس ، وهذا الاعتزاز يجعل زائريه يرونه جافيا غليظا •

ولكنك متى خالطته وجدته كما تحب وترضى ، ومولانا أبو الكلام له جهاد وطنى كبير فى سبيل تحرير الهند من الاستعمار البريطانى ، وكم لاقى من عنت فى السجون والمعتقلات والمحاكمة ، وبعد استقلال الهند سنة ١٩٤٧ لم ينضم الى الباكستان المسلمة ولكنه بقى هنديا فى الهند يتولى المناصب ، ويستظل بظلها •

البقية ص" ٧٢٥ "

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الإعجاز الطبي في القرآن الكريم ومرض الإيدز

تأملات في قانون الحياة

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

٨

العمق السـابع للاعجـاز العلمى فى القرآن الكريم :

يتلخص هذا العمق فى تعـريف العلم الطبيعى ، وتحديده داخل أطار ما يشاهد ويرصد ويقاس أو يحسب •

ويقوم العلم الطبيعى على أسـاس تلمس الحقائق بالاختيار والرصد والقياس فى عـالم الحس باسـتخدام الحـواس أو مـا يرقى الى مستوى الحس باستخـدام الآلات أو الأجهزة ، مثل : المجال المغنـاطيسى الذى نتعرف عليه باستخدام الابرة الممغنطة ، ومثل الأشعة الكونية التى نتعرف عليها بعـدادات « جيجر » ، ثم معالجة نتائج ذلك الاختيـار والقياس الحسى باستخدام العقل •

أما عالم ما وراء الحس فـلا دخـل للعلم الطبيعى به مثل عالم الأرواح •

والدين هو الذى يبصرنا ببعض معالم عالم ما وراء الحس ويمدنا بكل الطاقات الروحية • وتشترك أسس المعرفة الدينية مع أسس العلم الطبيعى فى مبادىء أهمها :

(ا) شمول النظام فى الكون ، وثبوت هذا النظام بالنسبة لكل من المكان والزمان • وفى الحقيقة لولا هذا الشمول وذلك الثبوت ما كان هناك علم :

١ ـ « ••• **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** • »
ـ الأحزاب (٦٢) ـ

٢ ـ « ••• **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** •• »
ـ فاطر (٤٣) ـ

٣ ـ « ••• **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** »•
ـ فاطر (٤٣) ـ

(ب) ضرورة التثبت وعدم الركون الى مجرد التخمين ، ولهذا لا تعتمد حقيقة علمية الا بعد اختبارها وتمحيصها عمليا أو نظريا « حسابيا» أو بالوسيلتين معا :

١ ـ « **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ••• »
ـ يونس (٣٦) ـ

٢ ـ « ••• **إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ** » •
الانعام (١١٦) ـ

بقلم أ. د
محمد جمال الدين الفندى

٣ ـ « ... قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ».

ـ البقرة (١١١) ـ

وما من شك أن العلماء باتخاذهم الكون وما حوى من ظواهر ونواميس معلما لهم ، منه يستمدون الحقائق واليه يرجعون تلك الحقائق انما يعالجون ـ عن طريق الرصد والقياس ـ الأمور بطريقة معينة ضمنت لهم الحصول على أوصاف صادقة لما يرصد فى الطبيعة .

ومن الواضح أن الظاهرة الكونية هى ما يشاهد حدوثه فى الطبيعة ، أما « **الحقيقة العلمية** » فهى الوصف الصادق الأمين لأية ظاهرة ، أو حتى لأى جانب منها ، ويتوقف التعريف على هذا النحو على مدى الدقة التى نصف بها ما يحدث بالفعل . ولقد توصل الانسان الى الوقوف على العديد من « الحقائق العلمية » عن طريق الرصد والتجربة المعملية لما هو ظاهر فى عالم الحس أو ما يرقى الى مستوى الحس باستخدام الأجهزة أو الآلات التى يصنعها لهذا الغرض كما قدمنا .

« يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ » .

ـ الروم (٧) ـ

ومن أهم صفات الطريقة العلمية امكان اعادة خطواتها وعرضها من أجل التثبت من أية ظاهرة ، فالظواهر هى نهاية معرفتنا ـ العلمية بالحياة الدنيا ، وهى تخضع لناموس ثابت كما قدمنا لا يتغير ولا يتبدل بتغير الزمان والمكان .

ولا يتم قبول أية حقيقة علمية ونشرها فى المجلات العلمية المتخصصة ما لم يتم التأكد من صحتها وصحة كافة الخطوات التى اتخذت من أجل الوصول اليها ـ أى الى تلك الحقيقة ونحن ننادى بتفسير آيات كتاب الله فى ضوء هذه الحقائق فى أى فرع من فروع العلم مثل الفلك والفيزياء والطب .... وقد نادينا بذلك منذ أكثر من ثلاثين سنة .

القانون الطبيعى :

هناك عناصر مشتركة بين الحقائق العلمية المتعلقة بظاهرة كونية بالذات ، ومثل هذه العناصر المشتركة يمكن أن نستنبط منها طريقة من الطرق التى تسلكها الطبيعة ـ أو يسلكها

الكون — ، ونحن نطلق عليها اسم « القانون الطبيعى » • ولعله من الواضح ان القانون الطبيعى انما يصف لنا نوعا من الانتظام الموجود فى الكون ، الا أنه لا يصل الى مستوى معرفة « لحقيقته المطلقة » •

وفى معنى آخر نحن نقول ان القانون الطبيعى هو مجرد وصف لسلوك الأجسام وما قد يحدث لها • فمثلا عندما صاغ « نيوتن » قانون الجاذبية ، لم يقل لنا ما هو سر تلك الجاذبية أو حقيقة أمرها ، ولكن وصفها وعبر عنها نظريا بقانون رياضى باستخدام بعض تصوراتنا التى على غرار الزمن « ن » ، المسافة « ع » ، والكتلة « ك » •

النظرية العلمية :

لنفترض جدلا أن لدينا مجموعة من الحقائق العلمية التى تم التسليم بصحتها بخصوص ظاهرة كونية مثل الضوء ، فنقول فى سلامة علمية أن الضوء ينعكس ، وينكسر ، ويتناثر أو يتشتت ، ويحيد •

وعندما نحاول الربط بين هذه الحقائق باستخدام قوى العقل نحصل على نظريات خاصة بالضوء ،فنقول مثلا ان الضوء جسيمات غاية فى الصغر كما قال « نيوتن » ، أو نقول كذلك ان الضوء موجات فى عالم الأثير أساسها « كهرمغناطيسى » كما قال«مكسويل» أو نجمع بين القولين أو النظريتين فنحصل على نظرية « الكم » كما قال « بلانك » •

لمثل هذه الأسباب لا تمثل النظرية العلمية حقيقة مطلقة ، ونحن لا نقحم النظريات العلمية فى تفسير آيات الذكر الحكيم ، لأن النظريات عرضة للتبديل والتغيير كما قدمنا•

وحتى المبادىء والنظريات الاجتماعية التى ظهرت فى عصر العلم كانت قاصرة على حل مشكلة بالذات وخلق مشاكل أكبر فى نفس الوقت • ومنذ عشرات السنين كان علماء الطبيعة يتكلمون كأنما كشف علم الطبيعة السر وأماط اللثام عن الأسس التى بنى عليها الكون وأصل تركيب المادة ، الا أن هذا الزعم تبدد ، ولم يعد أحد يزعم بأن علوم الطبيعة أعطت كلمتها الأخيرة على الرغم من اتساع آفاق المعرفة اتساعا ينير السبيل الى التسليم بعظمة الخالق •

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ••• » فصلت (٥٣)•

ان التركيب الأساسى للمادة مازال مجهولا ، ومن المحتمل أنه لا وجود للجسيمات الأولية التى يكشف عنها العلماء تباعا داخل الذرة ، بمعنى أن نهايتى البناء المادى للكون لا حدود لهما يمكن أن يدركهما البصر سواء فى ذلك النهاية الدنيا ممثلة فى اللبنات التى تبنى منها الذرة ، أو النهاية العظمى ممثلة فى حدود الكون وما نطلق عليه اسم أشباه النجوم « الكوازار » ، وهى مجرات تضم بلايين النجوم ومع ذلك تبدو من فرط بعدها أنها مجرد نقط مضيئة فى كبد السماء ولا نتعرف عليها بالمناظير البصرية العادية ولكن بالمناظير الراديدمة :

« فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ • وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ » الواقعة (٧٥ — ٧٦)•

وعندما نتذكر ذلك ونتمعن فى مضمونه ، نستطيع فهم المراد من قوله تعالى :

« ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ » . الملك (٤) .

الكون ونماذجه :

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

« لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .

ـ غافر (٥٧) ـ

وتعتبر المجرات بمثابة اللبنات الأولى المكونة للنظام الكونى . ونحن لانستطيع رصد الكون كله وذلك على الأقل لأننا نعيش فى داخله ، الا أننا نستطيع باستخدام الرياضيات وقوانين الطبيعة التى تعرفنا عليها ولها صبغة التعميم كما قدمنا أن نرسم نماذج لصورة الكون نطلق عليها اسم « النماذج الكونية » .

وفى واقع الأمر نجد تحت أيدينا مما يلزم استخدامه :

١ ــ الأرصاد الفلكية .
٢ ــ القوانين الطبيعية .
٣ ــ امكان تعميم تلك القوانين .

وأكبر ما يعترض سبيل هذه الدراسة المجرات والسدم البعيدة الضاربة فى أعماق الفضاء الفسيح ، ولا قيمة للأرصاد الخاصة بالنجوم والكواكب والمذنبات .. لأنها تعتبر بمثابة الجسيمات الصغيرة وتأثيرها محدود .

ومن الظواهر العامة التى تم رصدها للمجرات والسدم البعيدة أنها « بغض النظر عن أشكالها أو كتلها وأحجامها » موزعة بانتظام وتماثل تامين فى الفضاء ، وذلك على هيئة حشود أو عناقيد ذات رتب مختلفة ، وهى لا تتبع نظام « العشوائية » أى أنها ليست وليدة الصدفة ، بل هى نتاج نظام محكم ثابت وتدبير شامل تبعا لقوانين أو سنن لا مبدل لها ومن الظواهر العامة الثابتة التى رصدت ان خطوط أطياف تلك المجرات والسدم كلها تكون مزاحة نحو الطرف الأحمر بمقادير تزداد بازدياد بعد المجرات عنا . ومعنى ذلك علميا أن جميع المجرات والسدم آخذة فى الابتعاد عنا وعن بعضها البعض بسرعات تتناسب مع أبعادها ، أى أن الكون الذى تم بناؤه بكل دقة وعناية فى حالة تمدد ، وذلك مصداقا لقوله تعالى :

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » .
الذاريات (٤٧)

واذا ما تخيلنا شريطا سينمائيا كان ومازال يصور الأطوار التى مر بها الكون منذ نشأته الأولى ، ثم عرضنا هذا الشريط متراجعين الى الماضى ، نجد أنه فى النهاية وعند لحظة معينة كانت جميع المجرات والسدم متجمعة فى صعيد واحد صغير يطلق عليه العلماء اسم « البيضة الكونية » ويقدر الزمن الذى مضى منذ انفجار تلك البيضة تقديرا فلكيا بنحو خمسة بلايين سنة الا أن التقديرات بطرق أخرى تعطى أرقاما أكبر من ذلك .

ومهما يكن من شىء ربما نجد فى هذا كله تفسيرا أعم لقوله تعالى :

البقية ـ ص ٧٢٤

الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم

قال تعالى : « وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » الذاريات (٢١/٥١) ومعنى الآية الشريفة : وفى أنفسكم آيات وعبر من مبدأ خلقكم الى منتهاه ، أفلا تبصرون قدرة الله فى خلقكم لتعرفوا قدرته على البعث ؟ قال ابن عباس رضى الله عنهما : يريد اختلاف الصور ، والألسنة ، والألوان ، والطبائع ، والسمع والبصر والعقل .

راجع تفسير الخازن (٤ / ٢٠٣) وقال قتادة : من تفكر فى خلق نفسه ، ودقائق تكوينه عرف أنه انما خلق ، ولينت مفاصله للعبادة ، راجع القرطبى (١٧/ ٤٠) ط . دار الكتب ثم يقول القرطبى بعد ذلك : « قلت : كل ما ذكر مراد فى الاعتبار وما فى بدن الانسان الذى هو العالم الصغير شىء الا وله نظير فى العالم الكبير ، وذكرنا هناك فى تفسير سورة البقرة من الاعتبار ما يكفى ويغنى لمن تدبر » أ هـ .. بتصرف .

والسؤال الذى يتكرر بين الناس : هل مرض الايدز الذى ذاع وانتشر ، وتفشى هذه الأيام ، هل هو مرض حديث أضيف الى معجم الطب المعروف ، أم أنه مرض قديم تأخر اكتشافه الى هذه الأيام ؟؟

فاذا كان مرضا قديما فلم لم يرد ذكره مقرونا بوبائيات سابقة أو متوطنة Endemics or Epidemics.

اكتشف مرض الايدز عام ١٩٨١ م . وأصيب به اثنا عشر شخصا ، توفى نصفهم ، ولكن الفيروس المسبب له قديم الوجود .. والغريب من أمر هذا المرض أنه يحدث فى بعض الأحيان من غير مخايل أمراض تنذر بمقدمه ، أو أمارات تحذر منه .. وسبب هذا المرض اللعين المدمر فيروس دقيق الجرم صغير الحجم Virus يسبح فى سوائل الجسم المختلفة مثل الدم Blood ، والسائل المنوى Semen واللعاب Salivery Secretim والدموع .

كما تحدث العدوى بهذا الميكروب (الفيروس) خلال اللقاء الجنسى من الشخص المريض الى السليم ، وقد يكون ذلك باستعمال محقن واحد أو غير ذلك مثل القبلة العارمة بين المحبين والمظنون أن المصدر الرئيسى للفيروس هو نوع معين من القردة التى تعيش فى وسط أفريقيا ، ومنها ينتقل الى الانسان الذى تعضه .

ومجرد أن يسرى الفيروس فى الدم سرعان ما يستقر فى الكرات الدموية البيضاء المسماة بخلايا (ت) Tcells فيدمر الحامض النووى D.N.A الموجود بها والمسئول عن نقل الصفات الوراثية للانسان .

ومرض الإيدز

للدكتور السيد الجميلى

وهذه الخلايا البيضاء لها دورها فى مناعة الجسم ، ومن هذه الخلايا المناعية تخرج جحافل مقاومة الامراض المدافعة عن بدن الانسان •

ومعنى تدمير هذه الخلايا المناعية ، أن يقضى هذا الفيروس على كل مقاومة الجسم للأمراض اذ يصيبه بالشلل والخور والفتور ازاء جيوش الأمراض العاتية •

وقد قدرت فترة الحضانة لهذا المرض ما بين عامين الى خمسة أعوام تقريبا ، وفترة الحضانة Incubation Peroid عبارة عن الفترة التى تمر من لحظة العدوى بالفيروس الى لحظة ظهور الأعراض الدالة عليه •

وأعراض الايدز تتلخص فى التضخم العام فى الغدة الليمفاوية Jeneralized Lymphadenopathy

وقد يستمر هذا التضخم شهرا كاملا ، مع ارتفاع حرارة الجسم والعرق الغزير ليلا ، وفقدان الشهية للأكل Loss of appetite هذا فضلا عن الاجهاد الشديد والاعياء ، والتعب لأقل مجهود ، مع صعوبة التنفس ووهن العضلات •

وتكتمل الصورة « الاكلينيكية » بظهور بقع بيضاء فى الفم من الداخل مع ظهور بثرات منتشرة هنا وهناك فى مختلف أنحاء الجسم •• مع الاصابة بالاسهال الشديد والسعال الجاف •

وقد اكتشف بعض الباحثين علاقة وارتباطا بين مرض الايدز وبين التهاب الكبد الوبائى Infective hepatitis وقد قرر علماء الطب الأمريكان أنه من المرجح أن يجتاح وباء الايدز العالم فيصبح وباء عالميا مثله مثل وباء الكوليرا فى الخطورة ، والانتشار •

وقد انتشر المرض وزحف على رقعة واسعة من بلاد العالم ، فغزا الهلع والفزع معه ربوع أوروبا وأمريكا ، وغيرها من البلاد التى زارها المرضى أو حاملو الفيروس •

وقد علمنا أن أكثر من نصف المرضى يهلكون هلاكا محققا فيموتون من جراء تدمير جهاز المناعة فى أبدانهم •

والجدير بالذكر أن ممارسى البغاء ، ومحترفى الشذوذ الجنسى ، وعراة المنحرفين هم ضحايا هذا الوباء القتال •

وقد سارع العلماء الأطباء الباحثون لاجراء التجارب النافعة الى حد كبير يثير الدهشة ، فأفرغوا مجهودهم لمقاومة هذا الطوفان المغرق المدمر ، لكن النتائج غير مرضية تماما كما هو مرجو ، انما لا يزال الأمل قائما فى الوصول الى عقار يحسم المرض تماما ويقتل هذا الفيروس الفتاك اللامرئى •

خواطر اسلامية :

لا يجب أن نمر على هذا الحدث المروع من غير

الاعجاز الطبي في القرآن الكريم

نظرة تفكير وتأمل متأنية ، فان في هـــذا البلاء مجالا للاعتبار ، وهو أن الطب الحديث المتطور بأحدث الأدوات والآلات الدقيقة وقف مشدوها جامـــدا ازاء هذا الفيروس اللامرئى بالعين المجردة أو بالمجاهر والمكبرات العادية •

* ان أى قوة عاتية مدمرة غازية مهما كان مستوى استعدادها لا تستطيع أن تصـــل الى درجة نفاذ هذا الفيروس ومضائه •

* لا أعدو الحقيقة اذا قلت انه ــ أى مرض الايدز ــ عبارة عن قنبلة ذرية غير منظورة ••

* ان الزناة وممارسى البغاء هم حطب هذا الداء الوبيل •

*** انه يخاطب أهل الفطنة والزكانة قائلا : أريحوا أنفسكم وطامنـــوا من غروركم فان صحف الغيب فيهـــا أشياء وأشياء تجل عن الوصـــف ، وتدق عن الفهم ، وانما يستأثر بها الحق جل شأنه رحمة بالعباد ، فما أوتيتم من العلم الا قليلا •**

سبحانك ربنا وسعت كل شيء رحمـــة وعلما فاكتبنا مـــع الشاهدين وآخـــر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

« السيد الجميلى »

الاعجاز العلمى في القرآن الكريم ـ بقية

« أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَـــرُوا أَنَّ السَّـــمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًـــا فَفَتَقْنَاهُمَا ••••»
ــ الأنبياء (٣٠)

ان الآية الكريمة تحمل كثيرا من معـــانى العلم السليمة ، وهى ــ بذلك ــ عدق مـــن أعماق الاعجاز العلمى في القرآن الكريم سبق أن تحدثنا عنـــه •

ومن قواعد الكون المسلم بهـــا أنه يبـــدو متماثلا بالنسبة لأى راصد في داخله ، أى أن الراصد عن سطح أرضنا يرى الكـــون علـــى نفس النمط الذى يراه راصد آخر على كوكب في مجرة أخرى •

ومكونات الكون هى المادة والطاقة ، ومادة الكون في حركات مستمرة ، وكل ما في الوجود لا يعرف السكون •

أما حجم الفضاء الكونى فهو كبير جـــدا الى أقصى حد عندما يقـــارن بـــالحيز الذى تشغله المادة.

أما الفراغ خارج نطاق الكون فيعنى العدم بالنسبة للمادة والطاقة والزمـــن ولا توجد فيه أحداث • ويتم التفـــاعل بين المادة والفراغ عندما توجد فيه المادة من خلال ما يعرف علميا باسم المجـــال الذى يحول الفراغ الى فضاء ، واللـــه تعالى أعلم ، وللحديث بقية •

أ • د محمد جمال الدين الفندى

من أعلام الأزهر - بقية

زاره الباقورى ذات مرة فتطلع الى صور حكام الهند من البريطانيين تعلو جدران قاعة واسعة فى قصر أنيق تحيط به مروج خضر ، وتتراقص من حوله شجيرات صغيرة تزينهـا أزاهر تملأ الجو رائحة ذكية ، ونظر الرجـل الى ضيفه فرأى أمارات الاستنكار على وجهه فالتفت اليه قائلا :

ان هـذا الذى تعجب لـه وتكـاد تصرخ باستنكاره هو جزء من تاريخنا نحن الهنود ، ولن يزول هذا التاريخ ان حططنا من الجدران هذه الصور • وأفـاض فى البيـان ، وبين أن بقاءها يذكر الأجيال بما كـان •

وبينما كان أبو الكـلام يشرح ويوضـح والهندى الأزهرى يترجم كان الشيخ الباقورى يتمثل ما صنعته الثورة المصرية « فقد ضاقت صدرا بكل آثار الذين حكموا مصر من قبلها ،

فراحت حاقدة مغيظة تشفى غيظها هذا مـن قصورهم وقبورهم معا •• فى حـين أن تلك الآثار لو بقيت كما بقيت آثـار الأباطـرة فى الصين وفرنسا ، والقياصرة فى روسيا وغيرها لكان ذلك أرضى للتاريخ وأشبه بالنظر البعيد، وأنفع للأجيـال القابلة فى مجـال العظـة والأدكار » •

ومن هنا تطرق الباقورى الى الاستعمار وما يقابل به من بغضاء يحول بيننا وبين الانتفاع بعلمه وكشوفه واختراعاته ، ولم تنته الصداقة عند تلك الزيارات بل الود متصلا بين العالمين الكبيرين بالتراسل والمكاتبات •

يقول الشيخ الباقورى فى هذا الشأن •

ولقد كنت أكاتبه بعد عودتى الى القـاهرة عقب الرحلة الطويلة التى بلغت فيها الصـين لزيارة المسلمين ، وعشت فى ربوعها اكثر مـن ثلاثين يوما ، ولما عدت كان يسعدنى برسائله حتى رحل عن دنيا الناس •

ولقد طوفت بك مع فكر الباقورى نحـــو لدين والدنيا والناس ، وفى كل مواقفه تراه رجلا متزنا يصور الأمور بأسلوب مهذب يعتمد على ركن ركين من الخلق المتين القويم ،والأفق الواسع •

ويتحدث عن الأديان فيتسع صدره لتعاليمها مادامت فى رحاب التوحيد ، والاسلام عنـده هو المهيمن والجامع لكل ما يفيد البشر ويرتفع بهم فى كل زمان ومكان •• والأزهر عنـــده ــ وان جحد فضله ــ هو الصورة المثلى لمـا أراده الله لخلقه من الهدى •

وهو رجل كريم حسن الصـحبة لا ينسى جليسه ولا يترك صديقه ولا يغمط حق من خدم وطنه أو دافع عن كيانه •

رحمه الله ونفعنا بما خلف لنـا مـن كتب وخطب وشعر •

السيد حسن قرون

بســم الله الرحمن الرحيم
«الٓمٓ ، ذَٰلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ»

تأملات فى قانون الحياة

منذ ظهور شعاع الحياة الأول فى فجر البشرية ، والانسان تواق الى معرفـــة الحقيقة — وصياغة قانون للحياة يعينه على فهم قوانينها رغبة فى المعرفة بهدف الاستفادة من اكمانيات الحياة فى معيشته وأسباب حياته .

وفى هذا السبيل ، بدأ العقل البشرى رحلة خالدة فى هذا الكون بحثا وفكرا فى نفسه وفى الظواهر الكونية من حوله ، وكلما تصور أنه أصبح على وشك الوصول الى غايته ، وجد آفاقا جديدة للعلم لم يكن يتصورها عندما بدأ رحلته الخالدة على ظهر هذا الكوكب الذى نحيا عليه .

بدأ ينظر الى الأرض بما فيها من مــواد وظواهر وكائنات وينتظر وحى السماء عسى أن يجد ضالته وبدأ يسجل ما يصل اليه من علوم بطرق تتسق مع امكانيات عصوره المختلفة، ولكنه لازال الطريق الى الهدف لأنه كلما سار خطوة تشعبت أمامه المجـالات التى تعينه على فهم « قانون الحياة » .

وحتى يسهل عليه البحث قام بتقسيم العلوم وأنواع المعرفة الى فرعين رئيسيين :

علوم طبيعية -
وعلوم انسانية .

وتعاملت العلوم الطبيعية مع الانسان — برغم أنه الهدف النهائى ، على أنه تركيبة محكمة من مواد لها قوانين المادة الطبيعية والكيميائية ، وفى سبيل ذلك لجأت الى دراسات فرعية فى علوم الطبيعة والكيمياء بفروعهما ثم اقتربت عدسات البحث الى « كيمياء الحياة » عن طـــريق الدراسات الخاصة بالنبات والحيوان وكل هذا يعذى أساسا — بفروعه وفروع الفروع — العلوم الطبيعية ، ومع تقدم الزمن نتج فى مجال العلوم الطبيعية لفيف قد لا يأتى عليـه الحصر من أنواع المعرفة فى شتى المجالات : الطب والهندسة والزراعة والصيدلة والتجارة .

هذا خلاف العلوم الاساسية التى تغذى كلا من هذه المجالات وغيرها .

تحت كل عنوان من هذه الفروع يوجد حشد هائل لعناوين فرعية وتخصصات دقيقـــة

للدكتورة سعاد حسين البيلى

يتناول كل منها مجالا لخدمة هذا القسم من العلوم .

***

واذا ما انتقلنا الى فرع العلوم الانسانية ـ حيث الانسان هو المحور الأساسى للبحث ـ الانسان بكل ما فيه من مميزات دون سائر المخلوقات، من ارادة وفكر وحرية ورغبة ومقدرة على تغيير الظروف المحيطة به • ونظرا لاختلاف مقاييس البشر باختلاف الزمان والمكان فاختلاف القيم السائدة فى مجتمع دون آخر ، نجد أن العلوم الانسانية لا تتفق نتائج علمائها ـ بل تتباين تباينا ملموسا ، بخلاف العلوم الطبيعية ولا أدل على ذلك من هذا المثل البسيط :

فلو سألنا مجموعة من الدارسين فى دول مختلفة فى زمن واحد عن كثافة الماء عند درجة ٤ مئوية لكانت النتيجة ان كثافتها تساوى واحد ولا يختلف فى هذه القيمة اثنان • أما لو سألنا مجموعة أخرى من المهتمين بالدراسات الانسانية عن « معنى الحرية » لسمعنا عجبا ، كل يعرف « الحرية » بتعريف خاص يعكس القيم السائدة فى مجتمعه حين سئل •

وللمرة الثانية ـ تشعبت الدراسات الخاصة بالعلوم الانسانية ـ ونتج لفيف من أنواع التخصصات فى علم التاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع •••• مع ما بين علماء هذه العلوم من اختلافات •

***

والآن فلنقف وقفة قصيرة لنتذكر أنه انما كان الهدف فى بداية رحلة العقل البشرى أن يصيغ قانونا عاما للحياة ونلجأ الى هذه الدراسات لتحقيق هذا الهدف ، ولكن وسط هذا الحشد الهائل لعناوين العلوم ـ وليس للمعلومات نفسها ضاع من أساتذة كراسى هذه العلوم الهدف الأول لرحلة العقل البشرى •

أسأل بالله من ذا الذى له القدرة على ضم وهضم هذه العلوم كلها فى عقلية واحدة ليجيبنا ـ فى النهاية ـ على سؤال البشرية :

ما قانون الحياة ؟

القانون الذى يتفق عليه عالم التاريخ وعالم الاجتماع وعالم النفس وعالم الطب والرياضة والفلك •••• وغيرها وغيرها •

لست أتصور انسانا يستطيع أن يقوم بهذا الدور كذلك لست أتصور انسانا فى عالمنا اليوم يحمل هذه العقلية الفذة من بنى البشر بل يبدو

لى آن علماء هذه الفروع انفسهم انصرف كل منهم عن العمل لهذه القضية ان لم يتصـــور ــ قصورا ــ أن بعض هذه العلوم يتناقض مع بعضها الآخر •

فاذا عدنا الى « ذلك الكتاب » الى القرآن الكريم وجدناه سجلا لكل « قوانين الحياة » بشتى ظواهرها الطبيعية والانسانية •••• كيف هـــذا ؟

هل يختلف اثنان فى آن علم النفس : ليس له من قانون أبلغ من قـــــول علام الغيوب :

« وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا • فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا • قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا » •

هل من قانون عام لعلم النفس أكثر عمقــا من « لا اله الا الله » الذى سوى النفس وعلمها •••• ولها الاختيار •

واذا ما تناولنا الطب ، أين دوره اذا صعدت الروح الى خالقها •••• لا يوجد له دور •••• اذا مهمة الطب مرتبطة بدوران الروح فى الجسد فاذا انفصلت فهذا قول الحق تبارك وتعالى

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى » •

اليس قانون الطب « لا اله الا الله » رب هذه الروح وعالم سرها الأعظم • حتى أعقد العلوم الرياضـــية ••• أليس يجمعها جميعا قول الحق تبـــارك وتعالى :

« وَكُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ » •

فسبحان من أعطى هذا العطاء وجعل ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه كنز الكنوز• اذا أردناه كنزا للعقل وجدناه أو أردناه كنزا للروح وجدناه •

كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه •

د • سعاد البيلى

الشعر والشعراء

يشرف عليه الدكتور حسن جاد

إبنة الإسلام

أول منزل

يا شعر

ابنة الاسلام

يا سـائلا عنى وعن آبائيا | أو ليس اصلى كالحقيقة زاهيا
انى ابنـة الاسلام أكرم والد | حسبى من الدنيـا به نسبا ليا

* * *

فى الجاهليـة كنت كما مهملا | وأنوثتى عـار يسير ورائيا
أحيـا مضيعة الحقوق ذليلـة | ان لم يئـدنى فى الطفولة آليا
كفر وعصيان وكبر جهـالة | فى أفق عمرى كان يجثم داجيـا
فرفعت كفى للسماء لعلها تحنـو | وتشرق بالضـياء سـمائيا
حتى أضـاء الكون نـور محمـد | صلى عليـه الله نورا هـاديا
فتشبثت روحى به وبدينـه | وتحطمت فى ظلـه أغلاليـا
وأعـزنى الاسلام وارتفعت به | رأس وأرسى فى الحيـاة مكانيا
وبلغت رشـدى فى هدى أحكامه | أصبحت أعرف ما على وما ليـا
فرضت حقـوق فى الكتاب وكلها | تحمى حيـاتى أو تؤمن ماليـا
وتـأكدت بالـدين انسـانيتى | وبلغت فيـه منتهى أماليـا

* * *

شعر: علية الجعار

ومضيت أستبق الرجال الى العلا
ليغير فجر الخالدين حيينا

انى أنا أسماء حين تتبعت
خطو النبى بغار ثور نائيا

حملت اليه الزاد فى جوف الدجى
لم تخش ذئبا فى الفيافى ضاريا

قد آمنت بالحق ليس يخيفها
يوما أبو جهل عتيا قاسيا

انى أنا ذات النطاقين التى
كانت مثالا للبطولة عاليا

* * *

ونسيبة خاضت غمار الحرب فى
أحد فكانت فيه سيفا ماضيا

كانت تذود عن النبى بروحها
وتصد عنه مشركين عواتيا

فأنا نسيبة بنت كعب واسمها
سيظل رمزا للشجاعة باقيا

* * *

يا سائلا عنى أنا بمحمد
قد هذبت وتأثرت أخلاقيا

النبل والخلق العظيم صفاته
ومن الرسول قبست كل صفاتيا

يا سائلا عنى وعن آبائيا
انى أتيه على الزمان بجاهيا

فأنا ابنة الاسلام أكرم والد
حسبى من الدنيا به نسبا ليا

أول منزل

للشاعر الدكتور
عزت شندى موسى

أفنيت فيك فتوتى ومراحى — ونسيت بعدك بهجة الأفراح
بى من عهودك فى الشباب مشاهد — ما عشت أذكرها .. تكأن جراحى
لم أدر أحداث الزمان وجورها — أو أدر يوما غصة الأتراح
ورشفت فيك من الحياة رحيقها — والعيش جد ميسر ومتاح
والنيل يجرى تحت بابك هادئا — ويرن فيك ترنم الملاح
والماء يغسل جانبيك مطهرا — ينساب بين زنابق وأقاحى
ويرف سرب الطير حولك شاديا — يختال بين الزهر والأرواح

* * *

لم ألق يا مغناى مثلك منزلا — عبق المساء معطر الاصباح
أو ألق للقمر المنير طلاوة — فى غير ساحك يا منير الساح
طوفت ما طوفت بعدك .. لم أجد — ركنا يظل كركنك الفياح
أو ألق فى دنياى ثغرا باسما — يجلى الهموم .. كثغرك الوضاح
أو مر بى فى العيش عهد شائق — عبر الحياة .. كعهدك اللماح

* * *

عفت المعالم منك يا مهد الصبا — وأتت عليك يد الزمان الماحى
هدمتك بالأيدى المغيرة فكرة — بعدت عن التنسيق والاصلاح
لهفى عليك .. وكنت مرتع بلبل — حلو الغناء مغرد صداح

* * *

يا دار هذا العهد كان وسيلة — للقرب والزلفى الى الفتاح
صاحبت فيك أخا له فى مهجتى — حب الشقيق .. على هدى وصلاح
قاسمته حلو الحياة ومرها — والعيش بين تعثر ونجاح
وبقيت وحدى فى الحياة مجاهدا — يسعى الى الهيجا .. بغير سلاح

ياشعر

للشاعر: محمد صان الدين

تردد بأسماع الزمان رخيما — ورفرف على وجه الحياة نسيما
وطوف بآفاق الوجود مصورا — وترجم أحاسيس القلوب نظيما
ونور بوجدان الغواة بصائرا — ترى الحسن قبحا والحميد ذميما

* * *

ولوح برايات السلام على الورى — وكن لى صديقا فى الحياة حميما
أنيسا تناجينى بكل فضيلة — أكون بها خصب الفؤاد كريما
أيا شعر .. ان لم تنتصر لعقيدتى — وتجهر بها فى الناس كنت عقيما

* * *

رأيتك عند القانتين لربهم — ملاكا ، وعند الغافلين رجيما
ونظام هجر القول ليس بشاعر — وان هز أعطافا وصاغ نجوما (١)
سمو المعانى فى القريض منابع — تفيض بجدباء النفوس نعيما

* * *

وتضفى على الدنيا بهاء ورونقا — يضيآن من قدس الجلال حلوما
لهذا جعلت الشعر نايا أبثه — ترانيم قلب لا يزال صميما
يرى أن قول المرء فى كل حالة — يصير بديوان السماء رقيما

* * *

ومن يحظ بالذوق الرفيع فانه — يكون لسفساف القريض خصيما
فلا كان فن بالمجون مزخرف — ولا كان شعر يستبيح حريما (٢)

---

(١) هجر = هذيان .

(٢) حريما = الحريم المصان الممنوع .

قطوف دانية
فى الشعر الإسلامى

أجد لذة عظمى فى هذه الأيام ، عندما أطالع روائع الشعر الاسلامى ، وذلك لأننا أصبحنا فى حاجة ماسة الى التزود من ينابيعنا الأولى الصافية ، فى زمن رانت فيه على آفاقنا أحداث جسام ، تريد أن تعوق المسيرة الى الغد الأرغد ، والمستقبل الأسعد ، أو كما جاء فى فى التنزيل الحكيم : « يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » .

أكتب هذا الكلام وبين يدى ديوان الشاعر الاسلامى : محمد عبد المنعم ابراهيم المحامى ، الذى يسعدنى أن أجيل فيه نظراتى ، وهو يحمل عنوان :

« استشفاف الآدلة ، فى استشراف الأهلة » .

وهذا العنوان المسجوع ، قد يوحى للقارىء الكريم ، لأول وهلة ، أن صاحبه سوف يقدم مادة شعرية ذات صيغة تراثية ، احتذاء بالسلف الصالح الذين كانوا يميلون ، فى كثير من التصانيف ، الى ايثار اختيار مثل هذه العناوين .. الا أن الاستقراء لنصوص الديوان ، سرعان ما يكشف عن أصالة صاحبه ، واستقلال شخصيته ، لأن لديه ما يقوله ..

وكيف لا .

وللشاعر قصائد عديدة نظمها فى المعانى الدينية السامية ، وصدر فيها عن هتفات وجدانه ، بأسلوب يجمع بين الجزالة والرقة . وقد استمتعنا بمثل هذه القصائد ، لأول مرة ، حينما بدأ فى نشرها ، منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ، بمجلاته التى كان يصدرها ويرأس تحريرها ، وهى مجلات :

« الجامعة الاسلامية » .

و « الأمانة » .

و « ربة البيت » ، وغيرها .

وكان يستكتب لمجلاته تلك أقلام طائفة من أعلام الفكر والأدب ، فى مصر وسائر أقطار الأمة العربية . ولا يضن بوقت أو مال أو جهد ، فى سبيل تقديم الزاد الرفيع ، لعشاق الكلمة المجنحة ، والبحوث الجادة الممتعة .

جولة مع الشاعر محمد عبد المنعم ابراهيم في ديوانه "اسشراف الأهلة"

بقلم الدكتور مختار الوكيل

شيء من نشاطه :

وشاعرنا محمد عبد المنعم ابراهيم — الى جانب دراسته القانونية المستفيضة ، قد عكف على قراءة واستيعاب العديد من دواوين فحول الشعراء ، في شتى العصور ، كما عاش تأملات كبار الفلاسفة والمتصوفين ، بمداومة القراءة لهم ، والاستغراق العميق فيما يثيرونه من أقضية ونظريات ومجادلات ،

وسياحات روحية وفكرية .. كما خاض شاعرنا تجربة اقتصادية طويلة ، حينما أنشأ الكثير من الشركات ، وأدارها بنجاح .. وفي مجال الخدمة العامة ، كان عضوا عاملا نشيطا في مجلس ادارة جمعية (تدعيم) الأسرة ،

وكان عضوا بأول جمعية أنشئت للوحدة العربية ، وأمينا عاما لأول هيئة أنشئت لتحرير الجزائر ، برئاسة الأمير « مختار الجزائرى » ، ووكيلا لهيئة الدفاع عن الأمير عبد الكريم الخطابى ، التى توجت مجهوداتها بافراج فرنسا عنه ، وعودته من المنفى ..

وبجانب ذلك كله ، كان وكيلا لجامعة أدباء العروبة ، وعضوا بمجلس ادارة المركز العام للشبان المسلمين ، ومديرا عاما له .



ومن مؤلفاته :

واذا كانت للشاعر مؤلفاته العديدة ، مثل : « الأمير عبد الكريم الخطابى » و « عصر الايمان » و « مبادىء المبادىء » و « أسئلة الأطفال » و « معتقدات قدماء المصريين » و « من جيل الى جيل » الخ .. فانه أصدر في مجال الشعر ، دواوين : « وانشق القمر » و « غنوا معى للحب والحياة » و « من وحى الهجرة » و « الأم » ، و « الهمزية السنية في مدح خير البرية » ..

وأخيرا ، توج هذا كله ، بديوانه الأخير ، موضوع كلمة اليوم : « استشفاف الأدلة فى استشراف الأهلة .. » ولا شك أنه قد بذل جهدا كبيرا فى صياغة هذا العنوان الطريف ، ليكون أكثر دلالة على موضوعه .. فهو يعالج فى ديوانه هذا ما تزخر به الأشهر العربية من أحداث جسام فى تاريخ الاسلام ، وما وقع فيها فى عصر النبوة ، والعصور التالية له ، من وقائع وغزوات وسرايا .. وهذا فى تقديرى ، عمل جليل لم يسبقه أحد اليه من قبل ، فيما أعلم .

وهو يتحدث عن الشهور العربية بعاطفة جياشة ، تزف شعرا وجدانيا ينساق الى نفس القارىء ، كالأمواج المناسبة فى ريث ، منوها بجلائل الأعمال والمآثر ، التى تحلى بها كل شهر من هذه الشهور على حدة ، ابان عصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ..

فهى تموج بسرد واف للغزوات والسرايا ، ووصف شامل لجهاد المسلمين فيها ببسالة تحت راية القرآن ، فمنها ، مثلا ، (غزوة مؤتة) التى وقعت فى جمادى الأولى ، والتى خاضت فيها جيوش المسلمين معركة طاحنة ، ارتفع فيها علم الاسلام عاليا خفاقا ، وان انتهت باستشهاد الأبطال الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة .. وكانت هذه المعركة غير متكافئة ، اذ أن عدد المحاربين من الروم بلغ مائة ألف جندى ، غير من ناصرهم ، فى مقابل ثلاثة آلاف فقط من المسلمين المستبسلين .

وفى استشهاد جعفر بن أبى طالب ، يقول شاعرنا :

وفى حر القتال نرى كميا
يراه المجد بالعليا قمينا
فتى من آل طالب ذو جلال
عليه مهابة المستشهدينا

ويصور مراحل كفاحه الذى لا هوادة فيه ، برغم ما أصابه من بلاء عظيم ، بقوله :

أصيب بقطع يمناه .. ولكن
غدت يسراه تقتحم الحصونا
وتتركه اليسار ! .. فلا يبالى
ويمضى فى قتال الكافرينا
تلقفها بباقى منكبيه
هزبرا صامدا فذا أمينا

ثم يشير شاعرنا الى امداد الله تعالى لمقاتلى المسلمين بجند من عنده ، بقوله :

الله أرسل للنبى ملائكا
الفا يحارب كل ملك مشركا
فرت جموعهمو .. وخلت هالكا
أو عاجزا ، من رعبه .. متهالكا

وقد ضمن الشاعر فى احدى قصائده عن شهر رمضان المبارك ، قواعد الدين الحنيف ، فى بيتين ، هما :

أرسى قواعد دينه فى خمسة
يزهى بها وجه الزمان ويفتخر
«الصوم» و «الحج» و«الصلاة» .. ثلاثة
وكذا «الزكاة» ، مع «الشهادة» ، للبشر

وان كان مثل هذا الشعر أقرب ما يكون الى نظم شعر المتون ، وشعر ألفية ابن مالك وغيرها ، الا أن حرص الشاعر على تدوين كل ما يعن له ويحرص على اثباته ، تجعلنا نتقبله بقبول حسن ، خاصة لأنه كان يبذل جهدا كبيرا لتطويع الشعر ، لأسماء الغزوات والسرايا ، وكذلك ما تم بشأن تحطيم الأصنام ، كقوله بقصيدة (شهر رمضان) :

ومضى بخير الجند حتى حطموا
ذل الجهالة فى خيالات البشر

«عزى» و «عرنة» ثم «مسخ يلملم»
و «سواع» و «الكفتين»٠٠والبدع الأخر

اما « مناة » فقد تولى أمرها
سعد بن زيد وانتهى ٠ ٠ملك الحجر !

* * *

وفى قصيدة عن شهر رجب ، نراه يجنح الى سرد واقعة تاريخية ، يحفظها لنا التاريخ فى أنصع صفحاته ، لعمق مغزاها ودلالتها على ما يمكن أن تحدثه معجزة الايمان ٠٠ وذلك عندما أرسل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

(خالد بن الوليد) ، فى سرية ليحارب « أكيدر » فى حصن (دومة الجندل) وكان حصنا منيعا ٠٠ يقول الشاعر محمد عبد المنعم ابراهيم :

فقال ابن الوليد : وكيف أغزو
بقلة جيشى الحصن الحصينا ؟

وقال له الرسول مقال صدق
ــ وكان الله ما نحه اليقينا ــ

« أكيدر » سوف تلقاه بليل
بغير الحصن يجتاز الحزونا

ويسترسل الشاعر مصورا (أكيدر) وهو يسهر ليله ، يعب الخمر ، فى جو عابث صاخب ، فلفت ذلك نظر قطيع من البقر ، فأسرع نحو الحصن الغارق فى شعلة من نور ، فلما رآها أكيدر فرح فرحا شديد ، وقال : الليل خير الرازقينا ٠٠ وخرج يطاردها ٠٠ يقول الشاعر :

وحاول أن يسيطر فى عناد
على البقرات ٠٠ فانقلبت : كمينا !

فتجرى نحو (خالد) ٠٠ وهو يجرى
الى أن صار مأسورا مهينا

ونمضى مع الشاعر فى استعراض الشهور العربية ، الى أن نصل الى رحاب شهر شعبان ، حيث نجده يتحدث بعمق عن تحويل القبلة فى ذلك الشهر ، من بيت المقدس الى بيت الله الحرام ، فيقول :

شعبان يا شعبان أنسـ
ـت يشير شهر المعى

فيه تحول قبلة
من بيت مقدسنا العلى

للكعبة العظمى وقد
فرض الصيام على التقى

وكذا زكاة الفطر قد
فرضت ٠٠ لتطهير الغنى

والشاعر ينظر فى البيت الأخير ، لقوله تعالى : ((**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ..)) .

ومهما يكن من أمر ، فان القارىء ، المتأنى ، لابد أن يلحظ أن الشاعر محمد عبد المنعم ابراهيم — بالتزامه بما يلزم فى نظمه — لم يكن بعيدا عن دفقة الالهام ، برغم ماتستلزمه الصنعة من تحكم فى المادة المتشعبة التى يتخذها مضمونا واطارا لصوره وأخيلته ..

فقد حافظ على الجرس وسلامة العبارة ، واختيار الألفاظ بعناية فائقة ، لتكون أكثر دلالة واشعاعا للمغذى الاسلامى العميق ، فى تلك القصائد الجياد ، وما تتضمنه من ذكريات غالية ، حافلة ، عن شهورنا العربية ، التى تمر بالكثيرين ، دون أن يلتفتوا الى روعة ما تفيض به من المفاخر والمآثر .

وعندى أن شعر هذا الديوان يقف فى صف مع عيون الشعر الاسلامى فى أزهى عصوره .. ولعل السبب فى ذلك أن الشاعر قد وجد (موضوعه) الذى انفعل به ، وعاش فيه .

والرأى عندى الذى أود ابداءه على هذا المنبر العالى ، منبر مجلة الأزهر الغراء ، أن أشعار هذا الديوان جديرة بأن يستوعبها ناشئتنا ، ليتمثلوا بها ويستوعبوا مضامينها ومزاياها لتكون لهم نبراسا وحبذا لو التفتت اليها أجهزة الاعلام ، من اذاعة وتليفزيون ، لاذاعة فلذات ومختارات منها ، لتجسيد الأمجاد التى يصورها هذا الشعر ، بأسلوبه السلس ، السهل ، الممتنع .

وصفوة القول ، أن شاعرنا فى مجموعته الشعرية الجديدة تلك ، لم يكن شاعرا فقط ، بل كان أيضا ، فى ثناياها ، باحثا ودارسا ومفكرا ، وكيف لا ، وهو من الجيل الشعرى الذى تلا جيل العمالقة : شوقى وحافظ ، وكان من أبرز شعرائه ، من أمثال : محمد الأسمر ، وأحمد محرم ، والجارم ، والبزم ومحمود جبر ومحمود عماد وغيرهم من الشعراء الأعلام . وهو من أكثر شعرائنا وأدبائنا زهدا وبعدا عن الأضواء ، ورب ضارة نافعة ، فقد أفاده ذلك فى اختزان طاقته وموهبته ، وصياغة أفكاره على مهل ، بريث وأناة ، حتى جاءت ، كما نرى ، حافلة بالاشراق ، وعناصر التجربة الشعورية الوجدانية الحية ..

هذا وبالله التوفيق .

الشهادة المسمومة

بقلم : أحمد مصطفى حافظ

بعد تدبر واستيعاب جولات الشاعرة جليلة رضا المتعمقة فى ثنايا شخصية وشاعرية الأديبة الراحلة : روحية القلينى .. أرى أن ما أبدته من أفكار وآراء — حول السفور والحجاب ، بصفة خاصة (١) — لايزال بحاجة الى تعقيب واضافة .

وأود أن أقرر — بادىء بدء — أن المتأمل فى ثنايا ماكتب عن الأدب النسائى عامة — على قلته نسبيا — يجد أن دراسة الأستاذة جليلة رضا قد اتسمت بالدقة والانصاف .. وعسى أن يتاح للشاعرة جليلة نفسها ، أن تظفر بمثلهما من نقادنا وباحثينا ..

وكيف لا ؟ .. وهى تمثل فى تقديرى ، وتقدير كثير من الكرام الكاتبين ، — كالدكتور محمد رجب البيومى وغيره (٢) أحد أضلاع المثلث الذهبى المتساوى الأضلاع ، تقريبا ، فى الشعر النسائى المعاصر ، الذى يضم — بالاضافة الى « جليلة رضا » كلا من الشاعرتين النابغتين الأخريين : نازك الملائكة ، وفدوى طوقان . ولا ريب أن هذا المثلث الذهبى ، يعد بمثابة الثمرة الجنية ، أو الامتداد الطبيعى ، لابداع الشواعر الرائدات ، فى أدبنا المعاصر ، بدءا من عائشة عصمت تيمور ، وملك حفنى ناصف ، ووردة اليازجى ، وأمينة نجيب ، ومارى زيادة : « الآنسة مى » ..

ومرورا بالشواعر : جميلة العلايلى ، وسهير القلماوى ، ورباب الكاظمى ، وانتهاء بروحية القلينى ، وطلعت الرفاعى ، وملك عبد العزيز وسلمى الخضراء الجيوسى وشريفة فتحى وعلية الجعار ووفاء وجدى وحياة أبو النصر ونعمت عامر وغيرهن .

◄

(١) وقد وفى الدكتور عبد الودود شلبى هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة ، بكتيب الهدية الملحقة بعدد مجلة الازهر الغراء ، الصادر فى جمادى الاخرة سنة ١٤٠٥ هـ ، الذى يحمل عنوان : « فى مسألة السفور والحجاب » فليرجع اليه من يشاء .

(٢) بمقال له بعدد مجلة الثقافة الصادر فى ابريل سنة ١٩٨٢ ، تحت عنوان « قراءة فى ديوان : (العودة الى المحارة » .) وكذلك كتابات الناقد الراحل مصطفى عبد اللطيف السحرتى ، المتعددة ، عن الشاعرة ودواوينها المختلفة .

السهام المسمومة

ولابد من وقفة مع بعض شواعرنا الرائدات لنتتبع رايهن فيما أثارته الشاعرة جليلة بشأن السفور والحجاب ، خاصة وأنهن قد عاصرن بداية انبثاق هذا الموضوع ، فى فجر القرن الحالى ، عندما أصدر « قاسم أمين » كتابيه المشهورين ، اللذين أحدثا دويا هائلا ، مازال صداه يتردد فى آفاقنا حتى اليوم . وهما يحملان عنوانى : « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » .

فها هى عائشة التيمورية تقول باعتداد وايمان راسخ :

بيد العفاف أصون عز حجابى
وبعصمتى .. أسمو على أترابى
ولقد نَظَمت الشعر .. شيمة معشر
قبلى .. ذوات الخدر والأحساب
فجعلت مرآتى : جبين دفاترى
وجعلت من نقش المواد .. خضابى

الى أن تقول :

ما عاقنى خدرى عن العليا .. ولا
سدل الخمار .. بلمتى ونقابى (١)

وقد أشارت ملك حفنى ناصف ، فى رثائها لعائشة التيمورية ، الى ايثار عائشة للحجاب ، بقولها .

هى الدرر المصون .. ببطن أرض
وقد كانت كذلك فى .. قناع

وقد أبدت « ملك » رأيها — نثرا — فى هذا الموضوع ، بقولها : « ان كثيرات من فتياتنا المتعلمات ، يحسبن أن الدرجة التى وصلن اليها ، تكفى لاعطائهن مطلق الحرية ، يجئن ويرحن وحيدات ، وحوادث الفتيات المحزنة كثيرة جدا فى أوربا ، لأن الفتيات الطائشات ، يصدقن — لصفاء نيتهن — كل مدع لهن بالغرام (٢) ، وتساعدهن حريتهن المطلقة على مسايرة الفتيان ، ثم لا يلبث الرجال أن ينفضوا من حولهن ، ويتركوهن بين اليأس والعار ، وهما أمران : أحلاهما مر (٣) . » .

الى أن تقول : « يكفى تجنبا لمثل هذا الاختلاط المعيب ، أن أهله أنفسهم ، « تعنى الأوربيين » ، هم أول العائبين له .. والفتاة فى مثل هذه السن — ككل انسان — تطلب الحرية .. ويجب أن تتريض وتتخرج ، وهذان أمران لا أمنعهما عنها ، وانما أنصح للأمهات بأن يرافقنهن ، وللآباء أن يراقبوهن مراقبة لا تتمكن بها من الوجود مع غير ذى رحم محرم . » (٤)

وتؤكد ماتدعو اليه فى خطبتها تلك بقصيدتها المشهورة التى حفظناها فى طفولتنا ، ولم نعمل بها !! .. والتى تقول فيها :

مجد الفتاة .. مقامها
فى البيت .. لا فى المعمل
والمرء يعمل فى الحقو
ل ، وزوجه .. فى المنزل

---

(١) أنظر ديوانها : « حلية الطراز » ص ٢٦٥ .
(٢) ويحضرنى فى ذلك قول الشاعر محذرا :
غرها طول الثناء — والمديح المصطنع
صدقت أن الهوى — عذرها حين تقع !
(٣) أنظر كتاب « آثار باحثة البادية » لمجد الدين حفنى ناصف ص ٩٦ .
(٤) المصدر السابق ص ٩٧ .

من للوليـــــد يعينــــــه
فى لبســـــه والمـــــأكل ؟
من للرضـــــاعة والحضـــا
نــة والفطــام ومـــا يلى ؟
من للمـريض يحــــوطه
أبـــدا بـــدون تملمــل ؟
يجـرى عــلى وصـــــف الطبيــــ
ــــب ٠٠ على الطريق الأفضــل ؟

الى أن تقول :

لكن اذا دعت الضــــــرو
رة للخـــــروج فحيهـــل
وتنكبى نهـــج الزحـــــا
م وفضـــلى النهـج الخلى
لا تخضــــعى بالقــــول لا
تتبـــرجى ٠٠ لا ترفـــلى

وبعد ما سقناه ، نثرا وشعرا لباحثـــة البادية وعائشة التيمورية ، نود أن نتوجـــه بالسؤال الى السافرات المتزينات المتعطرات ، لمعرفة رأيهن فى الحـديث الشريف الذى رواه أبو هريرة عن رسول الله — صلى الله عليـه وسلم — « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله ، ولكن ليخرجن وهن تفلات » اهـ

أى غير متطيبات ، لئلا يحركن الرجـــال بطيبهن ٠

وكذلك رأيهن فى الحديث الشريف الاخـر ، الذى رواه ابن عمر رضى الله عنهما : «لاتمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن ٠ » (١) ونحن اذا نظرنـــا اليوم حولنا ، تذكرنـــا على الفور مدى حاجتنا الماسة الى اعادة النظر لوضع الضوابط التى تكفل صيانة مكانة المرأة وخاصة بعد وقوع بعض الحوادث الشـــاذة الأليمة ، التى تفاقمت حتى وصلت الأزمـــة الأخلاقية فيها الى حـد الخطف والنهب و٠٠ الاغتصاب !

والرأى عندى أن الاجراء « البــوليسى » وحده لا يكفى ، بل ينبغى أن تواكبه حملـــة تنوير وتبصير وتوعية ٠ من أعلام الدعـاة فى الأزهر الشريف ، ومن جهـابذة الكتـــاب والمصلحين الاجتماعيين ، لتذكـير النـــاس وتنبيههم الى ما تقضى به الشرائع السماويـة فى هذا الموضوع الحيوى الهام ، ورفـــع الغشاوة عن أعـين الكثيرين والكثـيرات ٠٠ ويحضرنى فى هذا الشأن ، مقال بليغ للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ٠٠ بعنـوان : « عبرة من حياة أديب (٢) » ، تحدث فيـه ، باسهاب ، عن المرحوم الدكتور منصور فهمى ورسالة الدكتوراه التى حصل عليها من جامعة السربون ، عن : « حال المرأة فى الاســلام » صدر فيه — أثناء دراسته بباريس عن تعاليم الاسلام ، ولكن ٠٠ بعد مسخها وتشويههــــا هنالك !٠٠

ثم أتاح الله له من بصره بالحق ، فتغيرت نظرته تماما الى المـــرأة ، فى ظـل المفـاهيم الاسلامية الصحيحة ، ولم يعد الاســلام فى نظره — كما يقول الدكتور البيومى : عـــامل

---

(١) ليس يكفى — أبدا — أن يسـوق الـكاتب الحديث الشريف دون ذكر مصدره ، وكم كررت المجلة هذا القول وحذرت منه فمعذرة اذا تسبب اهمال هذا الامر فى عدم نشر المقال مطلقا ٠

(٢) منشور بعدد مجلة الازهر الصـــادر فى جمادى الاخرة سنة ١٣٨١ هـ (نوفمبـــر ســـنة ١٩٦١ م) ٠

السهام المسمومة

تحجر وجمود بل أصبح تهافت المرأة فى أوربا على الأعمال الشاقة ، مهزلة أليمة ، تهدم بناء الأسرة ، وتحول أمنها المنتظر ، الى اضطراب قلق ، لا بهجة معه ولا ارتياح !

ويبدى الدكتور منصور فهمى رأيه الصريح فى « مسئولية الفنون والآداب عن انحراف الشباب » بالندوة التى أقامها مكتب حماية الشباب مساء يوم ١٦ من يناير سنة ١٩٥٨ بقوله (١) :

« أن الذى ننكره هو ذلك الانحراف الشديد الذى جاءنا فى الزمن المنحرف ، واتبعناه ولم نقاومه فى الرسم العارى الخليع » .

« أهذا فن جميل ؟ ! .. وهل نحن لا ننظر للشهوات ولكن ننظر لجمال الجسم العارى ؟؟

« أين الحياء ؟ أين معنى الحياء ؟ .. وهو معنى جميل . اذا تجردت عنه الانسانية . أو اذا تجردت عنه المرأة . أو اذا تجرد عنه الشباب ؟ أو اذا تجرد عنه الشيخ — ذهب بأكبر قيمة من قيم الانسانية .. »

يقول :

« اننا لا شخصية لنا الآن ، فأذواقنا تتلون بهذا الذوق الأوربى المنحط المائع ، الذى يغزونا كل يوم .. من غير أن نتعلق بمثل لنا ، ومن غير أن نتعلق بماض نعتز به أو للانسانية أن تعتز به » .

وحسبنا ما أورده الامام الجليل أحمد بن حنبل فى مسنده ، من أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس . فمن غض بصره عن محاسن امرأة ، أورث الله قلبه حلاوة يجدها الى يوم يلقاه » ، كما ورد عنه — صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نظر الى محاسن امرأة أجنبية عن شهوة ، صب فى عينيه الآنك يوم القيامة » والآنك : هو الرصاص المنصهر والعياذ بالله .

فالعين — حين تنظر آثمة الى المحرمات — تثير فى النفس الشهوات ، وتطلق الغرائز من عقالها .

وصدق (شوقى) حينما صور مراحل بدء تعلق الرجل بالمرأة ، والمرأة بالرجل بقوله :

نظرة .. فابتسامة فسلام
فكلام فموعد .. فلقاء !

فالأمر ، كما نرى ، قد بدأ بـ (نظرة) واحدة ، استحكمت وتمكنت .. وجنت !

البقية ص " ٧٦٠ "

(١) انظر كتيب « مسئولية الفنون والآداب — عن انحراف الشباب » الذى أصدرته ادارة الشئون العامة بوزارة التربية والتعليم « مكتب حماية الشباب » فى ٢٥ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ ص ٤٣ .

مجلة الأزهر من خمسين عاما

حكم الشرع فى المخدرات

لصاحب الفضيلة
الشيخ عبد المجيد سليم

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

سيظل الاسلام الى أن يرث الله الارض ومن عليها حربا على الرذائل ما ظهر منها وما بطن . صيانة للمجتمع الاسلامى ووقاية له من التردى فى مهاوى الشرور والآثام ، وحماية له من كل الموبقات الاخلاقية على اختلاف أنواعها وفى مقدمتها المخدرات لذا جعل الاسلام من اهم أهدافه تطهير المجتمع من كل النقائض والموبقات بتشريعاته الحكيمة . وتوجيهاته السامية الذين عملوا لحفظ النوع الانسانى من كل ما يناقض انسانيته أو يدنسها أو يتلفها ، فقدم العلاج لكل انحراف وأوجد الحلول لكل المشاكل النفسيه والخلقية والاجتماعية .

واليك بيان فضيلة الامام ..

طلب سعادة مدير مكتب المخدرات من حضرة صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية بيان حكم الشرع فى المواد المخدرة ، واشتمل السؤال على المسائل الآتية :

١ ــ تعاطى المواد المخدرة .

٢ ــ الاتجار بالمواد المخدرة واتخاذها وسيلة للربح التجارى .

٣ ــ زراعة الخشخاش والحشيش بقصد البيع أو استخراج المادة المخدرة منهما للتعاطى أو للتجارة .

٤ ــ الربح الناجم من هذا السبيل أهو ربح حلال أم حرام ؟

وقد أجاب فضيلته بما يأتى :

١ ــ تعاطى المواد المخدرة :

انه لا يشك شاك ولا يرتاب مرتاب فى أن

حكم الشرع فى المخدرات

تعاطى هذه المواد حرام ، لأنها تؤدى الى مضار جسيمة ومفاسد كثيرة ، فهى تفسد العقل ، وتفتك بالبدن ، الى غير ذلك من المضار والمفاسد ، فلا يمكن أن تأذن الشريعة بتعاطيها مع تحريمها لما هو أقل منها مفسدة وأخف ضررا ، ولذلك قال بعض علماء الحنفية : « ان من قال بحل الحشيش زنديق مبتدع » ، وهذا منه دلالة على ظهور حرمتها ووضوحها • ولأنه لما كان الكثير من هذه المواد يخامر العقل ويغطيه ويحدث من الطرب واللذة عند متناوليها ما يدعوهم الى تعاطيها والمداومة عليها ، كانت داخلة فيما حرمه الله تعالى فى كتابه العزيز وعلى لسان رسوله ﷺ من الخمر والمسكر •

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه « السياسة الشرعية » ما خلاصته : « ان الحشيشة حرام يحد متناولها كما يحد شارب الخمر ، وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد ، وانها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهى داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظا أو معنى •

قال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه : يا رسول الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن : البتع وهو العسل ينبذ حتى يشتد ، والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد • قال : وكان رسول الله ﷺ قد اعطى جوامع الكلم بخواتمه فقال : « كل مسكر حرام » • رواه البخارى ومسلم : وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان من الحنطة خمرا ، ومن الشعير خمرا ، ومن الزبيب خمرا ، ومن التمر خمرا ، ومن العسل خمرا ، وأنا أنهى عن كل مسكر » • رواه أبو داود وغيره •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » وفى رواية « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » • رواهما مسلم •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر حرام ، وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام » • قال الترمذى حديث حسن • (والفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا • و لمعنى ما أسكر كثيره فقليله حرام)•

وروى أهل السنن عن النبى — ﷺ — من وجوه أنه قال : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » وصححه الحفاظ •

وعن جابر رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى — ﷺ — عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر ، قال : أمسكر هو ؟ قال . نعم ، فقال : « كل مسكر حرام ، ان على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار » رواه مسلم •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى — ﷺ — : « كل مخمر وكل مسكر حرام » رواه أبو داود (والمخمر ما يغطى العقل) •

والأحاديث فى هذا الباب كثيرة مستفيضة ، جمع رسول الله — ﷺ — بما أوتيه من جوامع

الكلم كل ما غطى العقل وأسكر ، ولم يفرق بين نوع ونوع ، ولا تأثير لكونه مأكولا أو مشروبا . على أن الخمر قد يصطبغ بها ، أى تجعل اداما ، وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب ، فالخمر يشرب ويؤكل ، والحشيشة تؤكل وتشرب ، وكل ذلك حرام . وحدوثها بعد عصر النبى — ﷺ — والأئمة لا يمنع من دخولها فى عموم كلام رسول الله عن المسكر ، فقد حدثت أشربة مسكرة بعد النبى — ﷺ — وكلها داخلة فى الكلم الجوامع من الكتاب والسنة » . انتهت خلاصة كلام ابن تيمية .

وقد تكلم رحمه الله عنها أيضا غير مرة فى فتاواه ، فقال ما خلاصته : « هذه الحشيشة الملعونة هى وآكلوها ومستحلوها ، الموجبة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين ، المعرضة صاحبها لعقوبة الله ، تشتمل على ضرر فى دين المرء وعقله وخلقه وطبعه ، وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقا كثيرا مجانين ، وتورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك ما لا تورث الخمر ، ففيها من المفاسد ما ليس فى الخمر ، فهى بالتحريم أولى .

وقد أجمع المسلمون على أن السكر منها حرام ، ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فانه يستتاب ، فان تاب والاقتل مرتدا لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين . وان القليل منها حرام أيضا بالنصوص الداله على تحريم الخمر وتحريم كل مسكر / اهـ .

وقد تبعه تلميذه الامام المحقق ابن القيم — رحمه الله — فقال فى زاد المعاد ما خلاصته :

« أن الخمر يدخل فيها كل مسكر ، مائعا كان أو جامدا ، عصيرا أو مطبوخا ، فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور — ويعنى بها الحشيشة — لأن هذا كله خمر بنص رسول الله — ﷺ — الصحيح الصريح الذى لا مطعن فى سنده ولا اجمال فى متنه ، اذ صح عنه قوله : « كل مسكر خمر » ، وصح عن أصحابه رضى الله عنهم الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده بأن الخمر ما خامر العقل . على أنه لو لم يتناول لفظه — ﷺ — كل مسكر لكان القياس الصحيح الصريح الذى استوى فيه الأصل والفرع من كل وجهة حاكما بالتسوية بين أنواع المسكر ، فالتفريق بين نوع ونوع تفريق بين متماثلين من جميع الوجوه » اهـ .

وقال صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام: « انه يحرم ما أسكر من أى شىء وان لم يكن مشروبا كالحشيشة » .

ونقل عن الحافظ ابن حجر « أن من قال ان الحشيشة لا تسكر وانما هى مخدر ، مكابر ، فانها تحدث ما تحدثه الخمر من الطرب والنشوة » . ونقل عن ابن البيطار من الأطباء « أن الحشيشة التى توجد فى مصر مسكرة جدا اذا تناول الانسان منها قدر درهم أو درهمين ، وقبائح خصالها كثيرة ، وعد منها بعض العلماء مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية ، وقبائح خصالها موجودة فى الأفيون ، وفيه زيادة مضار » اهـ .

وما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من العلماء هو الحق الذى يسوق اليه الدليل وتطمئن به النفس . واذ قد تبين أن النصوص من الكتاب والسنة تتناول الحشيش ، فهى تتناول أيضا الأفيون الذى بين العلماء أنه أكثر ضررا ، ويترتب عليه من المفاسد

حكم الشرع فى المخدرات

ما يزيد على مفاسد الحشيش كما سبق عن ابن البيطار ، وتتناول أيضا سائر المخدرات التى حدثت ولم تكن معروفة من قبل ، اذ هى كالخمر من العنب مثلا فى أنها تخامر العقل وتغطيه ، وفيها ما فى هذه الخمر من مفاسد ومضار ، وتزيد عليها بمفاسد أخرى كما فى الحشيش ، بل أفظع وأعظم كما هو مشاهد ومعلوم ضرورة . ولا يمكن أن تبيح الشريعة الاسلامية شيئا من هذه المخدرات ، ومن قال بحل شىء منها فهو من الذين يفترون على الله الكذب أو يقولون على الله مالا يعلمون .

وقد سبق أن قلنا ان بعض علماء الحنفية قال : « ان من قال بحل الحشيشة زنديق مبتدع » ، واذا كان من يقول بحل الحشيشة زنديقا مبتدعا ، فالقائل بحل شىء من هذه المخدرات الحادثة التى هى أكثر ضررا وأكبر فسادا زنديق مبتدع أيضا ، بل أولى بأن يكون كذلك . وكيف تبيح الشريعة الاسلامية شيئا من هذه المخدرات التى يلمس ضررها البليغ بالأمة أفرادا وجماعات ماديا وصحيا وأدبيا كما جاء فى السؤال ، مع أن مبنى الشريعة الاسلامية على جلب المصالح الخالصة أو الراجحة ، وعلى درء المفاسد والمضار كذلك، وكيف يحرم الله سبحانه وتعالى العليم الحكيم الخمر من العنب مثلا كثيرها وقليلها لما فيها من المفسدة ، ولأن قليلها داع الى كثيرها وذريعة اليه ، ويبيح من المخدرات ما فيه هذه المفسدة ويزيد عليها بما هو أعظم منها وأكثر ضررا للبدن والعقل والدين والخلق والمزاج ؟ هذا لا يقوله الا رجل جاهل بالدين الاسلامى أو زنديق مبتدع كما سبق القول . فتعاطى هذه المخدرات على أى وجه من وجوه التعاطى من أكل أو شرب أو شم أو احتقان ، حرام ، والأمر فى ذلك ظاهر جلى .

٢ – الاتجار بالمواد المخدرة واتخاذها وسيلة للربح التجارى :

انه قد ورد عن رسول الله – ﷺ – أحاديث كثيرة فى تحريم بيع الخمر ، منها ما روى البخارى ومسلم عن جابر رضى الله عنه أن النبى – ﷺ – قال : « ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » .

وورد عنه أيضا أحاديث كثيرة مؤداها أن ما حرم الله الانتفاع به يحرم بيعه وأكل ثمنه . وقد علم من الجواب عن السؤال الأول أن اسم الخمر يتناول هذه المخدرات شرعا ، فيكون النهى عن بيع الخمر متناولا لتحريم بيع هذه المخدرات ، كما أن ما ورد من تحريم بيع كل ما حرمه الله يدل أيضا على تحريم بيع هذه المخدرات . وحينئذ يتبين جليا حرمة الاتجار فى هذه المخدرات واتخاذها حرفة تدر الربح ، فضلا عما فى ذلك من الاعانة على المعصية التى لا شبهة فى حرمتها لدلالة القرآن على تحريمها بقوله تعالى : « **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** » . ولأجل ذلك كان الحق ما ذهب اليه جمهور الفقهاء من تحريم بيع عصير العنب لمن يتخذه خمرا ، وبطلان هذا البيع لأنه اعانة على المعصية .

٣ – زراعة الخشخاش والحشيش بقصد البيع أو استخراج المادة المخدرة منهما للتعاطى أو للتجارة :

ان زراعة الحشيش والأفيون لاستخراج المادة المخدرة منهما لتعاطيها أو الاتجار فيهما

حرام بلاشك ، لوجوه :

أولا : ماورد فى الحديث الذى رواه أبو داود وغيره عن ابن عباس عن رسول الله — ﷺ — « ان من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه ممن يتخذه خمرا فقد تقحم النار » • فان هذا يدل على حرمة زراعة الحشيش والأفيون للغرض المذكور بطريق دلالة النص .

ثانيا : أن ذلك اعانة على المعصية ، وهى تعاطى هذه المخدرات أو الاتجار فيها ، وقد بينا فيما سبق أن الاعانة على المعصية معصية •

ثالثا : أن زراعتها لهذا الغرض رضا من الزراع بتعاطى الناس لها واتجارهم فيها ، والرضا بالمعصية معصية ، وذلك لأن انكار المنكر بالقلب الذى هو عبارة عن كراهة القلب وبغضه للمنكر فرض على كل مسلم فى كل حال •

بل ورد فى صحيح مسلم عن رسول الله — ﷺ — : « ان من لم ينكر المنكر بقلبه — بالمعنى الذى أسلفنا — ليس عنده من الايمان حبة خردل » • على أن زراعة الحشيش والأفيون معصية من جهة أخرى بعد نهى ولى الأمر عنها بالقوانين التى وضعت لذلك ، لوجوب طاعة ولى الأمر فيما ليس بمعصية لله ولرسوله باجماع المسلمين ، كما ذكر ذلك الامام النووى فى شرح مسلم فى باب طاعة الأمراء ، وكذا يقال هذا الوجه الأخير فى حرمة تعاطى المخدرات والاتجار فيها •

٤ — الربح الناجم من هذا السبيل :

قد علم مما سبق أن بيع هذه المخدرات حرام ، فيكون الثمن حراما :

أولا : لقوله تعالى : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ » أى لا يأخذ ولا يتناول بعضكم مال بعض بالباطل ، وأخذ المال بالباطل على وجهين :

الأول : أخذه على وجه الظلم والسرقة والخيانة والغصب وما جرى مجرى ذلك •

الثانى : أخذه من جهة محظورة كأخذه بالقمار أو بطريق العقود المحرمة كما فى الربا وبيع ما حرم الله الانتفاع به كالخمر المتناولة للمخدرات المذكورة كما بينا آنفا ، فان هذا كله حرام وان كان بطيبة نفس من مالكه •

وثانيا : للأحاديث الواردة فى تحريم ثمن ما حرم لله الانتفاع به ،كقوله — ﷺ — : « ان الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه » • رواه ابن أبى شيبة عن ابن عباس •

وقد جاء فى زاد المعاد ما نصه : « قال جمهور الفقهاء : انه اذا بيع العنب لمن يعصره خمرا حرم أكل ثمنه ، بخلاف ما اذا بيع لمن يأكله ، وكذلك السلاح اذا بيع لمن يقاتل به مسلما حرم أكل ثمنه ، واذا بيع لمن يغزو به فى سبيل الله فثمنه من الطيبات ، وكذلك ثياب الحرير اذا بيعت لمن يلبسها ممن يحرم عليه لبسها حرم أكل ثمنها بخلاف بيعها ممن يحل له لبسها » اهـ •

واذا كانت الأعيان التى يحل الانتفاع بها اذا بيعت لمن يستعملها فى معصية الله على رأى جمهور الفقهاء وهو الحق يحرم ثمنها لدلالة ما ذكرنا من الأدلة وغيرها عليه ، كان ثمن العين التى لا يحل الانتفاع بها كالمخدرات حراما من باب أولى •

واذا كان ثمن هذه المخدرات حراما كان خبيثا ، وكان انفاقه فى القربات كالصدقات والحج غير مقبول أى لا يثاب المنفق عليه •

بقية ص ٧٥٦

طرائف

لو رتعت لرتعوا

حمل مرة الى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب مال عظيم من الخمس ، فلما نظر اليه قال :

ان قوما أدوا الأمانة فى هذا لأمناء . فقال له بعض الحاضرين : انك أديت الأمانة الى الله ، فأدوا الأمانة اليك ، ولو رتعت لرتعوا .

حكم ..

* قال نصر بن يسار : « كل شىء يبدو صغيرا ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر ، وكل شىء اذا كثر يرخص ، الا الأدب فانه اذا كثر غلا » .

* قال أبو عبيده معمر بن المثنى : قال لى أبى ، « يا بنى » لا تردن على أحمق خطأ ، فانه يستفيد منك علما ويتخذك عدوا » .

* قال محمد بن عبد الملك الزيات : « احذر الصديق الجاهل أكثر من حذركم العدو العاقل فليس من أساء وهو يعلم أنه مسىء ، كمن أساء وهو يظن أنه محسن .

كعب بن لؤى كما وصفته أمه

قال لؤى بن غالب (جد النبى ــ صلى الله عليه وسلم) لامرأته : أى بنيك أحب اليك ؟

قالت : الذى اجتمعت فيه ثمان خلال : لا يخامر عقلَهُ جهلٌ ، ولا يخالط حلمه سفه ، ولا يلوى لسانه عى ، ولا يفسد يقينه ظن ، ولا يغيره عقوق ، ولا يقبض يده بخل ، ولا يكدر صنعه مَنٌّ ، ولا يرد اقدامه جبن .

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

قال : ومن هو ؟

قالت : ولدك كعب .

وصية عمر إلى أحد ولاته

كتب أمير المؤمنين عمر الى أبى موسى الأشعرى عامله على البصرة :

« أما بعد : فان أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وان أشقى الرعاة من شقيت به رعيته ، واياك أن تزيغ فتزيغ عمالك ، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة نظرت الى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغى بذلك السمن ، وانما حتفها فى سمنها ، والسلام » .

قالوا..

* الراضى بفعل قوم كالداخل فيه معهم ، وعلى كل داخل فى باطل اثمان : اثم العمل به واثم الرضا عنه .
* أحسنوا فى عقب غيركم تحفظوا فى عقبكم .
* لو لم يتوعد الله على المعصية ، لكان يجب ألا يعصى شكرا لنعمه .
* أقل ما يلزمكم لله أن لاتستعينوا بنعمه على معاصيه .
* كفى بالقناعة ملكا ، وبحسن الخلق نعيما .
* من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة .
* من ظن بك خيرا فصدق ظنه .
* قطع العلم عذر المتعلمين .

دعاء

« أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين » .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب
دلائل الأحكام فى علم الحديث
للشيخ بهاء الدين بن شداد

من العلوم التى عنى بها علماء المسلمين السنة النبوية الشريفة لأنها أدلة الاحكام وأصولها التى تجرى بمعرفتها طرق وأساليب البحوث الشرعية .

وقد ذخرت بها كتبهم وتصانيفهم فمنهم من نبه على الصحيح منها والحسن والغريب ومنهم من لم يشر الى ذلك أو الى أى كتاب تضمنها ولم يشرح غريبها ولم ينبه على وجه الدليل منها .

ومؤلف هذا الكتاب جمع بين التنبيه على الحديث فى أى كتاب ذكر ومن اتفق على نقله من أئمة الحديث المشهورين ونبه على الصحيح والحسن والغريب وعلى اختلاف العلماء من الصحابة ومن بعدهم من المجتهدين فى أخذ الأحكام .

والمؤلف هو العالم الفاضل يوسف (٢) بن رافع بن تميم بن غبة الأسدى الموصلى ، أبو المحاسن ، بهاء الدين بن شداد مؤرخ من كبار القضاة .

ولد بالموصل سنة ٥٣٩ هـ عام ١١٤٥ م ومات أبوه وهو صغير ، فنشأ عند أخواله (بنى شداد) جده لأمه ، فنسب اليهم .

وتفقه بالموصل ، ثم بغداد ، وتولى الاعادة بالنظامية نحو أربع سنين ، وعاد الى الموصل فدرس وصنف بعض كتبه .

---

(١) الكتابة بمكتبة الازهر رواق المغاربة رقم خاص ٦٣٢٢ وعام ٩٣٤١١ حديث .

(٢) الاعلام للزركلى ج ٩ ص ٣٠٦ .

عرض وتقديم
الأستاذ محمد عميره على

وسافر الى حلب ، فحدث بها وبدمشق ومصر وغيرها ، ولما دخل دمشق ، كان السلطان صلاح الدين محاصرا قلعة « كوكب » فدعاه اليه وولاه قضاء العسكر وبيت المقدس والنظر على أوقافه ، واستصحبه معه فى بعض غزواته ، فدون وقائعه وكثيرا من أخباره .

ولما توفى صلاح الدين كان حاضرا ، ونوجه الى حلب لجمع كلمة الاخوة أولاد صلاح الدين وتحليف بعضهم لبعض ، ثم انصرف الى الى مصر لاستخلاف الملك العزيز « عثمان بن صلاح الدين يوسف » وعرض عليه الظاهر صاحب حلب الحكم فيها .

وقال ابن النديم : كانت ولايته قضاء حلب ووقوفها سنة ٥٩١ هـ واستمر الى أن توفى فيها سنة ٦٣٢ هـ سنة ١٢٣٤ م وهو شيخ المؤرخ ابن خلكان .

من كتبه « النوادر السلطانية » « والمحاسن اليوسفية » فى سيرة السلطان صلاح الدين ، « ودلائل الاحكام » فى الحديث « وملجأ الحكام عند التباس الأحكام» وله كتب أخرى .

وقال عنه صاحب كتاب غاية النهاية فى طبقات القراء الجزء الثانى ص ٣٩٥ انه نشأ بالموصل وحفظ القرآن ، ولزم يحيى بن سعدون القرطبى فأحكم عليه القراءات والعربية وسمع محمد بن اسماعيل العطاردى وأبا الفضل خطيب الموصل وجماعة ، ودخل بغداد فسمع من شهدة وأبى الحسن القزوينى وأتقن العلوم وبرز فى مذهب الشافعى وعاد بغداد ودرس بمدرسة الكمال الشهر زوردى بالموصل .

ووفد على السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب فأقبل عليه وولاه قضاء العسكر وحضر معه فتح بيت المقدس وفوض اليه نظر مدرسته الصلاحية وتدريسها بالقدس ، ثم ولاه قضاة حلب .

والكتاب الذى نقدمه اليوم (دلائل الأحكام فى علم الحديث) شرع المؤلف فى كتابه فقسمه الى عدة أبواب فى ثلاثة أجزاء بدأ بالطهارة ، والبيوع فالجنايات .

قال كتاب الطهارة وفيه أبواب .

الباب الأول فى الوضوء ، حديث فى فرض الوضوء عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ » أخرجه الشيخان وأبو داود .

وعن ابن عمر قال . قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى ، غريبة قوله من غلول بضم الغين المعجمة ولام مضمومة وواو ولام، قال الهروى هو سرقة المال وأخذه خفية .

وقال الترمذى هذا الحديث أصح ما فى هذا الباب .

القول فى الأسباب الموجبة للوضوء :

السبب الأول :

خروج الخارج من السبيلين ينقض الوضوء على سائر صفاته .

وسئل أبو هريرة عن قوله « لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث » .

فقيل له ما الحدث قال : فساء أو ضراطا فأجاب بالأخف منه فنبه على الأعلى . ماذكره البخارى فى صحيحه واليه ذهب أكثر العلماء . وقال ربيعة اذا لم يكن معتادا لا ينقض الوضوء وبه قال مالك الا فى دم الاستحاضة .

السبب الثانى :

المذى وأفردناه بالذكر وان كان من جملة الخارج من السبيلين اتباعا لعادة أهل الحديث فانهم يفردونه بالذكر .

وعن على كرم الله وجهه قال : كنت رجلا مذاء وكنت أستحى أن أسأل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لمكان ابنته . فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال يغسل ذكره ويتوضأ وضوء الصلاة » ، وقال أيضا فى رواية : « توضأ وانضح فرجك » . ولفظ الموطأ فلينضح فرجه وليتوضأ وضوءه للصلاة ، ولفظ الترمذى عن على قال : سألت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن المذى فقال : « من المذى الوضوء ومن المنى الغسل » ، ذكر الحديث فى الموطأ وأخرجه البخارى .

قال غريبه : المذى بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وياء مخففة . وقد تشدد لغة ، والمنى مشدد الياء ، والودى بالدال المهملة مخفف الياء ، وتشديد الياء فى الودى . حكاها فى الصحاح يقال منيت وأمنيت وأمذيت ، والمنى : ما يخرج عند الجماع ، والمذى : ما يخرج عند المداعبة ذكره فى الغريب .

وقد رواه أبو داود عن المقداد وفيه أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم قال « يغسل ذكره وأنثييه » ورواه الترمذى عن أبى هريرة أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال « جاءنى جبريل فقال يامحمد اذا توضأت فانضح فرجك » قال الترمذى وضعفه البخارى وقال : راويه منكر . غريبه فانضح قال الجوهرى : النضح الرش وضبطه بسكون النون وفتح الضاد المعجمة وحاء مهملة يقل : منه نضحت الثوب أنضحه بكسر الضاد فى المستقبل .

السبب الثالث :

الصوت وهو الريح روى أبو هريرة قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

« اذا وجد أحدكم فى بطنه شيئا فأشكل عليه أخرج أم لا فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا « أخرجه أبو داود والترمذى •

وروى أبو هريرة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم قال : « اذا كان أحدكم فى المسجد فوجد ريحا بين اليتيه فلا يخرج حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا « أخرجه الشيخان •

السبب الرابع :

النوم • وقد روى الترمذى عن عاصم بن بهدلة قال أتيت صفوان بن عسال فقال ما جاء بك قلت ابتغاء العلم قال : ان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يطلب قلت انه جاءك فى نفس المسح على الخفين بعد الغائط والبول وكنت امرأ من أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم — فأتيتك أسألك هل سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم فى ذلك شيئا ؟ قال نعم كان رسول الله يأمر اذا كنا سفرا أو مسافرين لا تنزع خفافا ثلاثة ايام ولياليهن الا من جنابة لا من غائط وبول ونوم • أخرجه الترمذى وقال هذا حسن صحيح •

وهذا يدل بظاهره على وجوب الوضوء بمطلق النوم كما يدل أنه يجب بمطلق الغائط والبول وبه قال من الصحابة أبو هريرة وعائشة ومن التابعين الحسن واليه ذهب اسحاق •

وقال ابن عباس يجب الوضوء على كل نائم الا أن يكون قاعدا هكذا حكاه البغوى الا أن يكون قاعدا ، قال ووجهه حديث رواه الشافعى باسناده عن أنس قال : كان أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ينتظرون العشاء فينامون أحسبه قال : قعودا حتى تخفق رءوسهم ثم يصلون ولا يتوضئون ، وقال الثورى وابن المبارك وأحمد وأبو حنيفة اذا نام قائما أو راكعا لا وضوء عليه ، واحتجوا بحديث مرفوع الى علقمة عن ابن مسعود قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ينام وهو ساجد ما يعرف نومه الا بنفخه ثم يقوم ويمضى فى صلاته •

السبب الخامس :

مس الفرج • عن بسرة بنت صفوان أنها سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « اذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ » ذكره فى الموطأ وأخرجه أبو داود فى سننه والترمذى فى جامعه • لكن لفظ الترمذى فلا يصلى حتى يتوضأ •

وقال البخارى هو أصح شىء فى هذا الباب ، وظاهر الحديث ايجاب الوضوء لمس الذكر وقد صار اليه من الصحابة عمرو بن عمر وابن عباس وسعد بن أبن وقاص وأبو هريرة وعائشة وغيرهم من التابعين وكذلك المرأة اذا مست فرجها أو فرج غيرها • غير أن عند الشافعى لا ينقض الوضوء الا اذا مس بباطن كفيه وباطن أصابعه وقال الأوزاعى وأحمد اذا مسه بظاهر كفه أو بمساعده انتقض

وضوءه الى غير ذلك من الروايات التى أوردها .

وقال رحمه الله فى أسباب كثيرة منها . لمس المرأة ، ومما مست النار ، وأكل لحوم الابل ، وخروج الدم ، وساق لكل منها أدلة .

وانتقل رحمه الله الى الجزء الثانى من كتابه فى البيوع وقال : القول فى اباحة التجارة عن ابن عباس قال : كانت عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز ، أسواقا فى الجاهلية ، فلما كان الاسلام تأثموا من التجارة فيها فأنزل الله تعالى (**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ**) فى مواسم الحج وقرأ ابن عباس كذا رواه البخارى .

وعن أبى سعد الخدرى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » أخرجه أبو عيسى وقال هذا حديث لا نعرفه الا من حديث الثورى عن أبى حمزة ، وأبو حمزة اسمه عبد الله بن جابر ، ثم ذكر حديثا فى كسب اليد .

عن المقدام بن معدى كرب صاحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انه حديث عن رسول الله أنه قال : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من عمل يده » قال : « وكان داود لا يأكل الا من عمل يده » أخرجه البخارى . ثم ذكر حديثا فى اتقاء الشبهات .

عن النعمان بن بشر قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول :— « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » أخرجه مسلم فى صحيحه والبخارى وأبو داود والترمذى .

ثم ساق حديثا فى كراهية ملازمة الأسواق وما يحذر منه التجار .

عن ابن مسعود الأنصارى قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ليلينى منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثلثا واياكم وهيشات الأسواق » أخرجه مسلم . وقال فى غريبه قوله الاحلام وهو جمع حلم بكسر الحاء وسكون اللام وهو الاناة . قوله والنهى بضم النون هى العقول وأحدها نهية بضم النون اشتق من النهى لأن العقول تنهى عن القبح . وقوله هيشات الأسواق بفتح الهاء وسكون الياء وشين معجمة وألف وياء . قال الأصمعى الهيشة مثل الهوشة ومنه هاش القوم يهيشون هيشا اذا تحركوا وماجوا ويقال هاش القوم اذا اضطربوا ذكره الجوهرى .

وقال فى الحث على الصدق فى البيع حديث عن رفاعة بن رافع أنه خرج مع رسول الله — صلى الله عليهوسلم — الى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال يامعشر التجار فاستجابوا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم ورفعوا أعناقهم وأبصارهم فقال « ان التجار

يبعثون فجارا الا من اتقى الله وبر وصدق » أخرجه الترمذى .

وعنه أيضا أن النبى – صلى الله عليه وسلم – مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بلة فقال ما هذا ياصاحب الطعام . قال أصابته السماء يارسول الله فقال : « هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غش فليس منى » رواهما مسلم . واستطرد رحمه الله فى بيان أحكام البيع وشروطه .

وبدأ الجزء الثالث بكتاب الجنايات بالقول فى القصاص . ذكر حديثا فى تحريم القتل عن مسروق عن عبد الله قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » أخرجه الشيخان والترمذى ، وأورد حديثا آخر عن ابن عمر قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لا يزال المؤمن فى فسحه من دينه ما لم يصب دما حراما » أخرجه البخارى .

ثم أورد أحاديث فى قتل المسلم بالكافر نذكر منها :

عن قيس بن عباد طبطه المطالع فقال بضم العين وتخفيف الباء قال ومن عداه بالفتح قال انطلقت أنا والأشتر الى على كرم الله وجهه فقلت هل عهد اليك نبى الله – صلى الله عليه وسلم – شيئا لم يعهده الى الناس فقال لا . الا ماقى كتابى هذا . قال مسدد فأخرج كتابا وقال : أحمد وكتاب فى قراب سيفه فاذا فيه » المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم ألا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهده ، من أحدث حدثا فعلى نفسه ومن آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » أخرجه أبو داود وقد روى من طريق آخر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مثل حديث على وختم المصنف كتابه بأحاديث فى شرائط قبول الشهادة .

فقال عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رد شهادة الخائن والخائنة وذى الغمرة على أخيه ورد شهادة القانع لأهل البيت وأجازها لغيرهم . أخرجه أبو داود فى سننه ، وقال فى الحديث ألفاظ وفوائد أما الألفاظ قوله وذى الغمر ضبطه بكسر الغين المعجمة وسكون الميم وهو الضغن والحقد ، والقانع لأهل البيت وضبطه بالقاف والألف والنون والعين وهو الساعى لهم . والمراد به فى الحديث المنقطع الى القوم يخدمهم فى حوائجهم فهو ينتفع بما يصل اليهم – وعلى هذه القاعدة قالوا لا يجوز شهادة أحد الزوجين للآخر وهو مذهب أبو حنيفة ، وأجازها الباقون .

وقال الناسخ انه وقع الفراغ من جمع الكتاب يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمانى عشرة وستمائة . والجزء الأول يقع فى ١٩١ ورقة ، والثانى فى ٩١ ورقة ، والثالث فى ٧٧ ورقة ، وكلها فى مجلد واحد بحالة جيدة مسطرتها ٢١ سطرا .

والله المستعان والموفق .

محمد عمره على

فقد روى مسلم عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : « ان الله تعالى طيب لايقبل الا طيبا ، وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا الآية » وقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء: يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟ » .

وقد جاء فى الحديث الذى رواه الامام أحمد فى المسند عن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : « والذى نفسى بيده لا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده فى النار ، ان الله لا يمحو السىء بالسىء ولكن يمحو السىء بالحسن، ان الخبيث لا يمحو الخبيث » .

وجاء فى شرح ملا على القارى للأربعين النووية عن النبى ــ ﷺ ــ : « أنه اذا خرج الحاج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز ــ أى الركاب ــ وقال لبيك ، ناداه ملك من السماء: لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك » .

فهذه الأحاديث التى يشد بعضها بعضا تدل على أنه لا يقبل الله صدقة ولاحجة ولا قربة أخرى من لقرب من مال خبيث حرام . ومن أجل ذلك نص علماء الحنفية على أن الانفاق على الحج من المال الحرام حرام . وخلاصة ما قلناه :

أولا ــ تحريم تعاطى الحشيش والأفيون والكوكايين ونحوها من المخدر

ثانيا ــ تحريم الاتجار فيها واتخاذها حرفة تدر الربح .

ثالثا ــ حرمة زراعة الأفيون والحشيش لاستخلاص المادة المخدرة لتعاطيها أو الاتجار فيها .

رابعا ــ أن الربح الناتج من الاتجار فى هذه المواد حرام خبيث ، وأن انفاقه فى القربات غير مقبول بل حرام .

قد أطلت القول اطالة قد تؤدى الى شىء من الملل ، ولكنى آثرتها تبيانا للحق، وكشفا للصواب ، ليزول ما قد عرض من شبهة عند الجاهلين ، وليعلم أن القول بحل هذه المخدرات من أباطيل المبطلين وأضاليل الضالين المضلين ، وقد اعتمدت فيما قلت أو اخترت على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ، وعلى أقوال الفقهاء التى تتفق مع أصول الشريعة الغراء ومبادئها القويمة .

والحمد لله رب العالمين ، وهو الهادى الى سواء السبيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

عبد المجيد سليم
شيخ الأزهر الأسبق

اللغة والأدب والنقد

من روائع تراثنا المخطوط

غراس الأساس

بين الجاحظ وأبي حيان التوحيدي

تحليل لكتاب "الإسلام يتحدى"

غراس الأساس

من روائع تراثنا المخطوط

للحافظ ابن حجر العسقلانى

* (تأق) تئق الرجل : امتلأ غيظا . وفى المثل : أنت تئق وأنا مئق فكيف نتفق (١) .

وفرس تئق : ممتلىء جريا . وأتأق القوس : ملأها نزعا .

* (تبب) تب الرجل : اذا شاخ . واستتب الطريق : ذل وانقاد . واستتب له الأمر : استقام . والاستتباب يطلق على التمام ، لأن التباب يتبع التمام .

* (تبع) تُبَّع النحل : عظيمها . (٢) تبعت الأغصان الريح . وفرس متتابع : معتدل الأعضاء . وتتابع الفرس : اذا استوى جريه . وغصن متتابع : معتدل . وتابع الرِّعْى (٣) الابل : سوى حلبها وسمنها . وفلان يتابع الحديث : اذا أحسن سياقه . (٤) وتابعنا الأعمال فلم نجد أنجع من الزهد (٥) .

ومن اتبع على ملىء فليتبع : أى من أحيل فليحتل . وقرأ ابن عباس [آية] (٦) فلم يعرفها ابن عمر ، فقال : « أتبع يا ابن عباس » فقال : أتبعتك على أبى بن كعب » .

* (تبل) تبلته فلانة : هيمته كأنها أصابته بتبل ، وهى الداهية . وقلب متبول وَتَبَلَهُمُ الدهر وأتبلهم . ودهر خابل (٧) تابل . وقزَّح (٨) كلامه وتوبله .

---

(١) فى الاصل : أنت تئق وأنا متق فكيف تنق ، وهو تحريف .

(٢) أى يعسوبها الاعظم .

(٣) فى الاساس : المرعى .

(٤) فى الاصل بنيانه ، وفى الاساس سياقه .

(٥) هذا حديث أبى واقد الليثى ، ولفظه فى الاساس : (تابعنا الاعمال فلم نجد أبلغ فى طلب الآخرة من الزهد فى الدنيا) .

(٦) الزيادة من الاساس .

(٧) فى الاساس ودهر حابل . وفى صحاح الجوهرى : ومنه قول الأعشى :

ودهر متبل خبل

أى يذهب بالاهل وبالولد ، يقال : تبلهم الدهر ، وأتبلهم أى أفناهم .

(٨) فى الاصل فرخ بالفاء ، وفى المعجم الوسيط : تقزح النبات بالقاء : تفرعت أطرافه شعبا كثيرة .

وفى الصحاح : توبله : جعل عليه التوابل (أى عذب شيق) . وفى المعجم الوسيط : ضمن كلام ما يشوق ويزيل السأم من فكاهة ولطف حديث .

تحقيق الدكتور
توفيق محمد شاهين

* (تجر) ناقة تاجرة : حسنة ناقة (١) . ونوق تواجر وعليكم بالسلع التواجر ، وعليكم بتجارة الآخرة . وصفقته فى متجر الحمد رابحة .

* (تخم) فلان طيب التخوم : أى العروق .

* (ترب) تربت يداك : أى خابت وخسرت (٢) .

* (ترس) تترست بك من سهام ، وتترست بترستها : اذا سمنت (٣) وغاب ترس الأرض (٤) ، وواجهنا ترسا من الأرض ، وهو القاع الأملس من الأرض .

* (ترع) فتح ترعة الدار : أى بابها . وحجبنى التراع : أى البواب . وفى المثل : جاء القراع فرده التّراع .

* (تعب) أمر تعب ، وأُتعِبَ العظم : اذا أُعنِتَ . وعظم متعب . وأتعب القتاد أى القدح : ملأه . والماء المتعب : المعتصر من الثرى .

* (تعس) جدنا تاعس ناعس .

* (تفح) ضربه على تفاحتيه (٥) وهما رأس الوركين فى الفخذين . وَلَطَمَتْ التفاحَ بالعناب (٦) .

* (تلع) ما يوثق بسيل تلعته : مثل للكاذب . والتلعة : مسيل الماء . وتلع النهار وأتلع : ارتفع .

* (تلو) ذهبت تلية (٧) الشباب : أى بقيته . وعليه تِلِيَّة من الدين وتلى فلان على فلان : أى أحيل عليه (٨) والتلاء : الحوالة. وأتليت فلانا سهما : أى أجرته . وتلوت الابل : طردتها ، (٩) لأن الطارد يتبع المطرود.

* (تمر) تمر اللحم : قدده . ولحم متمّر ، وقد تتمّر . ونفسى تمرة بكذا : أى طيبة . وتمرة الغراب : كناية عن الشىء الفائق . نعمة لم تتمر : أى لم يبارك فيها .

* (تمك) شرف تامك ، وجمال (١٠) تامك . وأتمك الربيع سنامه (١١) .

* (تمم) تمّم على الجريح : اذا أجهز عليه . وتمّ على أمره : مضى عليه . وتمم على أمرك . وتمّ الى مقصدك . وتم تمامه .

(١) الزيادة من الاساس .
(٢) فى الاساس تربت يداك اذا دعوت ، كأنك قلت : خبت وخسرت .
(٣) فى الاصل بترسها .
(٤) فى الاساس : وغاب ترس الشمس .
(٥) فى الاصل تفاحيه .
(٦) أى ضربن الخدود بالبنان .
(٧) فى الاصل تلبة .
(٨) أى أتبع عليه .
(٩) فى الاصل طرتها .
(١٠) فى الاساس : وانه لتامك الجمال
(١١) ارتفع .

* (تنأ) تنأ على أمر كذا : اذا قـرّ عليه لازما له لا يفارقه .

* (تـوق) تاق الى الغاية : أسرع اليها وخفّ . وتاقت عينه بالدموع : بدرت بهـا . وتُقْ إليّ : أَسرعْ .

* (تير) فرس تيار : يمـوج فى عدوه . وقطع عرقا تيارا : سريع الجرية . ورجل تَيّـار تَيّـاه : يطمـع طمـوح الموج (١) من تيهه .

* (تيس)تتايس المـاء : تناطحت أمواجه وتايس فرسه (٢) : مارسـه . وتيس البعير : ذلله (٣) . «وتيسى جعـار» :

أى كونى كـالتيس فى حمقـه (٤) ياضبع (٥) « وعنزٌ استتيست » : مثل فى ذليل عز .

* (تيم) تامت فلانة (٦) قلبـه ، وتيمته فهو متيم ، وهو من التيماء وهـو المفازة المضلة ، وقيل مـن التيمة وهى التميمة . والمعنى : علقت قلبه ، عن ابن الأعرابى .

(١) فى الاصل المرح .
(٢) فى الاساس : قرنه .
(٣) فى الاصل دلله بالدال .
(٤) فى الاصل فى جهة .
(٥) الكلمة من الاساس .
(٦) فى الاصل فلان بلا تاء .

السهام المسمومة - بقية

ومعظم النار من مستصغر الشرر كما يقـول ابن المعتز :

متيم يـرعى نجـوم الـدجى
يبكى عليه ، رحمة ، عـاذله
عينى أشاطت (١) بدمى فى الهوى
فابكوا قتيلا .. بعضـه .. قاتله

ومما هو جدير بالذكر قبيل أن ننحى القلم أن الشاعرة جليلة رضا قامت من تلقـاء نفسها،منذ سنوات عديدة،باعتزال المجتمعات والمحافل العامة وكذلك تقضى الشريعـة حيث لا ضرورة وأطلقت على الديوان الذى يشتمل على نتاج فترة الاعتـزال هـذه ، اسـم : (العودة الى .. المحارة) ، أى عودة اللؤلؤة الى محارتها .. وياله من معنى عميق وتشبيه بليغ ، لعله يغـرى الكثـيرات بالاحتـذاء والاقتداء .

وصفوة القول ، فان الانسان السوى ، هو الذى يحرص على محاسبة نفسـه قبل أن يحاسب بين يدى ربه ، عمـا قدمت يداه ، والمسـئولية أولا وأخـيرا مسئولية الرجال ، باعتبارهم « قَـوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ (٢) » والله ولى التوفيق .

أحمد مصطفى حـافظ

(١) أشـاطت بدمه ، أى عملت على هلاكه وتعريضه للقتل .
(٢) النساء الآية ٣٤ .

بين الجاحظ وأبى حيان التوحيدى

للدكتور حامد ابراهيم الخطيب

لقد عرف التوحيدى – كثيرا – بالجاحظ الثانى(١) وهناك من يقول بأنه يقلد الجاحظ ، ويجرى على سننه .

ولقد عرفت أطرافا مما أحاط به من سياج الكراهية والاهمال ، خصوصـــا ما كان من الصاحب ، وأبى الفضل بن العميد .

ولأنى أود – أبدا – أن أزيل عن صاحبى أوضارا علقت به ، وأن أكشف – دائما – عن قيمته ومكانته ، وقع فى روعى أن مقارنته بمثل هؤلاء تأتى الى بما أود وأريد . وخلف أولئك أردفت بالثعالبى ، لأنه مكثر فى الترجمات ومن سير الرجال ، ولصاحبى فى هذا الاتجـاه نهج خاص .

بين التوحيدى والجاحظ

الجاحظ « أبو عثمان عمرو بن بحر(٢) » علم غنى عن التعريف ، بيانه يأخذ بكل لب ، ويشغل كل فكر ، وبابداعه يلهج كل لسان ، وهو صدر فى العربية علما وأدبا ، وبطريقته المتميزة يعرفه العلماء والأدباء ، ومن ثم أغرم بأعماله كل من جاء بعده ، وصار مغرى بطرائقه أغلب المنشئين ، ولقد يعجز عن مجاراته فى الحلبة جلة المبرزين ، سوى أن واحدا – على ما أعتقد – قد أعجب به أيما اعجاب ، وتأثر آثاره ، لكنه لم يفن ذاته فى ذاته ، ولم يذب فنه فى فنه ، بل ظل – رغم شديد اعجابه – صاحب نتاج يعرف به ، وكثيرا ما يتقدم ويتفوق ، ولست أعنى غير أبى حيان .

لقد كان الجاحظ عمدة فى جملة فنون ، أبان عن ذلك « أبو الفضل بن العميد » ، فقال :

ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس : أما الفقه فعلى « أبى حنيفة » (٣) ، وأما الكلام فعلى « أبى الهزيل » (٤) ، وأمـا ◄

---

(١) يطلق ذلك أيضا على أبى الفضل بن العميد

(٢) ترجمته فى ١٢ – ٢١٢ من تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ١–١٩٤ من أمالى المرتضى ، ١٦ – ٧٤ من معجم الادباء .

(٣) أبو حنيفة النعمـان بن ثابت ، كان مولى لبنى تيم الله خزازا يشتغل بتجارة الخز ، وكان أبوه قد أسر فى فتح كابل ، فجاء عبدا الى الكوفة لرجل من تيم فأعتقه ، وقد عرف بمذهبه ، توفى سنة ١٥٠ هـ .

(٤) أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف ، تلميذ عمرو بن عبيد ، ويعد المؤسس الحقيقى لعـلـم الكلام ، كان مولى لقبيلة عبد القيس ، ولد سنة ١٣٥ وتوفى سنة ٢٢٦ هـ .

البلاغة والفصاحة ، واللسن والعارضة (١) ، « فعلى أبى عثمان الجاحظ » (٢) ، الذى يعده التوحيدى ممن تحسد عليهم الأمة العربية •

ولفرط ما جمع من عدة العالم ، واستعداد الأديب ، نعتوه بأجل ما ينعت به العالم ، ووصفوه بأحسن ما يوصف به الأديب •

ولسوف يدرك الممعن فى ثقافة التوحيدى والجاحظ ، أن كلا منهما ينهل من معين واحد ، أو يكاد ، وفى ذلك يستوى العربى والوافد ،

غير أن هذا الوافد لم يكن ليبلغ رشده ، ولا أن يهضم ابان عصر الجاحظ ، على حين أنه نهض نهضته ، واستقام مستويا على سوقه فى زمن أبى حيان ، واذا أضفنا الى نضج عصر التوحيدى واتساع روافده ما لدى صاحبنا من مقومات فكرية وفنية ، فلا مشاحة أن يكون نتاجه أكثر عمقا ، وأروع تنسيقا ،

ولاشك أن ضراوة ما واجهه التوحيدى من البأساء والضراء ، قد جعل عواطفه أشد صدقا، وأكثر تدفقا وتأثيرا من أبى عثمان •

ولئن كان الجاحظ أديبا فنانا ، لقد كان التوحيدى أديبا فنانا مفكرا فى آن — وان كتابا كالمقايسات قد سجل فكر العصر ، وأرخ لدقائقه العلمية ومجالس علمائه ، هذا الكتاب ، ربما لا نجد ما يناظره فى نتاج الجاحظ ، وبخاصة ما فيه من تسجيل لحشد هائل لأسماء الكتاب والعلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء ، وكثيرا ما يأتى بطرف مناظراتهم ومساجلاتهم ، وما كان يطرح فيها من الأسئلة والمناقشات ، وما يقال فيها من مختلف الاجابات ، حتى ليجد القارىء فيه ميدانا فسيحا لكل الفنون •

وحتى لو وجدنا لأبى عثمان أفكارا مماثلة فانها تتناثر فى أطواء أسفاره ، وليست فى نضوج ما أفرزه أبو حيان ، وليس ذلك يقلل من قدر الجاحظ وسبقه ، وجليل عطائه فى مختلف الميادين •

وليس بخاف أن التوحيدى قد تميز بمزج العلم بفن البيان ، مما سوغ لنا القول بأنه رغم حبه واعجابه الشديدين بالجاحظ لم يكن تابعا له تبعية مطلقة ، ولم يكن يترسم آثاره دون أن يعرف أو أن يقدر موقع خطاه ، بل انه عرف طريقا تميز به وتفرد ، وقد أشاع هو ذلك فى كل ما تناول من المعارف والعلوم •

لقد كان الجاحظ يعتنق الاعتزال ويدافع عنه ، وكان شديد الشغف بما فيه من اتجاهات وآراء ، وكان يلازم علماء هذا المذهب ، ويحرص حرصا على استيعاب آرائهم وأقوالهم ، وكان يهرع الى كل معتزلى يرى فيه قوة الحجة ، وشدة الحجاج والجدال ، ومن ثم كان أكثر تأثرا بأستاذه وأستاذ المذهب « النظام (٣) »

(٢) اللسن ، الفصاحة — والعارضة ، الصرامة وقوة الحجة •

(٢) ٦ـ٦٤ معجم الادباء •

(٣) ابراهيم بن سيار بن هانىء أبو اسحاق النظام ، كان أعظم تلاميذ الهذيل ، ترك البصرة الى بغداد وتوفى بها فى عنفوان الشباب ، وكان يقف حياته ضد الدهرية والديصانية ، برع فى الشعر والجدل ، وتوفى بين سنتى ٢٢٠ — ٢٣٠هـ

الذى كان أكثر شىء جدلا ، وسرى منه ذلك الى تلميذه « أبى عثمان » ، فكان محاورا مجادلا ، صاحب حجة تلزم الخصم بما يبتغيه ، كـــأن يقول :

« قلت لأبى يعقوب الخريمى الشاعر : (١) من خلق المعاصى ؟ قال : الله ، قلت : فمن عذب عليها ؟ قال : الله ، قلت : فلم ؟ قال : لا أدرى والله !! » (٢) •

والخريمى هذا كان من الجبـــرية الذين يقولون : ان المعاصى مخلوقة لله ، ولا شأن للعبد بها ، والجاحظ هنا يريد افساد مذهبه بهذا الكلام الذى يؤول الى نسبة الظلم لله ، فمادام هو الذى خلق المعصية ، والعبد لا شأن له بها ، ثم يعذبه عليها ، فهو معذب له على شىء لم يوجده ، ولم يتصل به ، فيكون ظالما له ، وفى هذا افساد لمذهب الخريمى ، وابطال لقـــول معتقديه •

* * *

أما أبو حيان فانه ــ على ما يبدو ــ لم يتعمق الاعتزال بالقرار الذى كان عليه الجـــاحظ • صحيح أنه ألم بكثير من أطراف المذاهب الفكرية المختلفة ، ومن بينها مذهب المعتزلة ، ولكنه لم يكن مغرقا فيه أو متعصبا له مثل أبى عثمان ، ولربما كان تعلق التوحيدى بالتصوف ــ وان قيل بتأخره ــ من أظهر ما بدا عليه أو مـــال اليـــه •

على أن عدم تمذهبه بمذهب معين قد هيأ له ألا يقف عند حد من حدود المعرفة ، وأتاح له ألا ينحاز الى فكر دون أن يأخذ من غيره بخط عظيم ، ومن ثم ــ صار حقا ــ يمثل ماوصلت اليه قمة النهضة فى شتى فروعها فى القـــرن الرابع الهجرى ، الذى يعد مفخرة التـــاريخ العربى على الاطلاق فى المعارف والعلوم ، على حين كان الجاحظ ممثلا لبداية البناء ، ولعل ذلك ينكشف لنا فى جانب من اتجاه كل منهما « فقد غلب الجاحظ فيما جمعه جانب الحيوان ، بينما غلب التوحيدى فيما جمعه جانب النقل العلمى » (٣) ، وتسجيل المحاورات والمناظرات ، وتاريخ الأحداث • ولئن بدأ الجاحظ أكثر تشـــعبا وانطلاقا وتدفق ألفاظ ، لقد تفوق التوحيدى فى جزالة اللفظ ، واتساع العلم ، ودقة التعبير، لأن الجاحظ كان مسجل القرن الثانى ، وفى القرن الثانى كانت نشأة العلوم •

وأبو حيان كان مسجل القرن الرابع ، وفى القرن الرابع كان نضج العلوم ، وشتان بين علم ناشىء وعلم ناضج » (٤) ، نما فى زينته ، وطاول بروائعه أعناق السماء •

على أن القول بنضج القرن الرابع ، واستواء نتاجه دون النظر الى ما تميز به التوحيدى من خصائص نفسية وعقلية ومزاجية، سوف يجحف بحقه كثيرا ، لأن هناك غيره ممن عاصروا تلك النهضة ، ولمسوا ابداعها ، ولكنهم كانوا بمعزل عنها ، فلم يبد عليهم طابع العصر •

---

(١) اسحاق بن حسان ، ويكنى أبا يعقوب ، كان مولى ابن خريم ، وقد عمى بعد ما أسن ، وكان متصلا بمحمد بن منصور كاتب البرامكة •

(٢) ١ــ١٩٦ أمالى المرتضى •

(٣) مقدمة الحيوان للاستاذ عبد الســـلام هارون •

(٤) مقدمة البصائر للاستاذين سيد صـــقر ، وأحمد أمين ، ومقدمة الحيوان للأستاذ عبد السلام هارون •

وبرغم الاختلاف الواضح بين كل من الرجلين ـ الجاحظ وأبى حيان ـ فانه يجمعهما الترسل المنطلق ، والتوازن المنمق ، والهندسة الرائعة فى الأساليب ، والتفنن المتشعب فى طرق الموضوعات ، مع فتح السبل المتسعة التى يسيل منها ريق البيان ، غير أن « أسلوب الجاحظ كان مستحدثا لم يستحكم فى التجربة ، وكثيرا ما يشوب طريقته فى الكتابة الثرثرة والاستطراد الى حد الاملال » (١) ، ولقد أحب هذا فيه بعض من الناس ، ومن ذلك الملل المحبب قوله :

« جعلت فداك ، وأطال الله بقاك ، وأعزك وأكرمك ، وأتم نعمته عليك وأيدك • قد نسخت لك ـ أعزك الله ـ فى صدر هذا الكتاب قصيدة قيلت فى أبى الفرج ـ أدام الله عزه ـ ذكروا أن قائلها رجل يكنى أبا عثمان ، ولا أدرى أهو أبو عثمان هشام بن المغيرة ، أم أبو عثمان ابن عفان بن أبى العاص • ولا أدرى أهو أبو عثمان عنبسة بن أبى سفيان ، أم أبو عثمان سعيد بن عثمان ، ولا أدرى أهو أبو عثمان النهدى عبد الرحمن بن مل ، أم أبو عثمان ربيعة الرأى بن أبى عبد الرحمن ،ولا أدرى أهو أبو عثمان سعيد بن خالد بن أسيد ، أم أبوعثمان اسحاق بين الأشعث بن قيس ، ولا أدرى أهو أبو عثمان المنزر بن الزبير بن العوام ، أم أبو عثمان عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك •• والذى لا أشك فيه أنه لم يقرضها أبو عثمان عمرو بين حزرة ، ولا أبو عثمان عمرو المخلخل ولا أبو عثمان ابراهيم بن يزيد المتطيب ، ولا أبو عثمان سعيد بن حيان البزاز » (٢) ، فلمثل هذا كان قول آدم متز بأنه يثرثر لحد الاملال ، ولكنك قد تعجب بتلك البراعة ، وذلك الاطلاع الواسع الذى يأخذ بصاحبه الى الاطناب ، ، وربما يقع منه هذا دون أن يتنبه أو يشعر ، لفرط ما فى ذهنه من تزاحم المعانى ، وتدافع المحفوظ • لقد نظر « الباقلانى » فى أعمال الجاحظ ، فكون له رأيا فيها ارتآه ، وسواء أسلم هذا الرأى أم أبطل ، فان مثله لم يرد فى أعمال أبى حيان ، ومن ثم يمكن الجزم بفضل التوحيدى على أستاذه الجاحظ ، يقول الباقلانى :

انك « لتجد أقواما يرون كلامه ومنهاجه معيبا ، ونطاق قوله ضيقا ، حتى يستعين بكلام غيره ، ويفزع الى ما يوشح به كلامه ، من بيت سائر ، ومثل نادر ، وكحمة ممهدة منقولة ، وقصة عجيبة مأثورة •

وأما كلامه فى أثناء ذلك فسطور قليلة ، وألفاظ يسيرة ، فاذا أحوج الى تطويل الكلام خاليا عن شىء يستعين به فيخلط بقوله قول غيره كان كلاما ككلام غيره فاذا أردت أن تحقق هذا ، فانظر فى كتبه فى « نظم القرآن » وفى « الرد على النصارى » وفى « خبر الواحد » وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، هل تجد فى ذلك كله ورقة واحدة تشتمل على نظم بديع ، أو كلام مليح ؟ •

(١) آدم متز ١ـ٤٢٤ ، ٤٢٥ الحضارة الاسلامية بتصرف •

(٢) رسائل الجاحظ ١ ـ ٣٢٥ : ٣٢٨ •

علـى أن متأخـرى الكتـاب قد نازعوه فى طريقته ، وجاذبوه على منهجه ، فمنهم مـن ساواه حين ساماه ، ومنهم من أبر عليه اذا باراه » (١) ، وليس من فضول القول أن نكرر قولنا :

ان التوحيدى ـ برغم تعظيمه وتقديمـه ومحاكاته للجاحظ ـ قد سماه ، وأبر عليه اذ باراه ، فهو حين يكتب يتناول ما يكتب عنـه من جميع أطرافه ، ولا يتركـه حتى يوفيه ويستقصيه ، بحيث لا يدع فيه قولا لقائل ، ولا فكرة لمفكر ، ومن شواهد ذلك قوله فى نشأة النحو : « .. ان عليا بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ سمع قارئايقرأ على غير وجـه الصواب ، فساءه ذلك فتقدم الى أبى الأسود الدؤلى (٢) حتى وضع للناس أصلا ، ومثالا ، وبابا ، وقياسا ، بعد أن فتق له حاشـيته ، ومهد مهاده ، وضرب قواعده ، وانما فشـا اللحن للسبايا التى كثرت فى الاسـلام من الأعاجم وأولادهن ، فانهم نزعوا فى اللكنة الى الأخوال .

واما قول القائل : قد نقض عـلى النحويين ابن الراوندى (٣) نحوهم ، فانه ذاهب بهـذا القول عن وجه الرشد ، لان ابن الراوندى لا يلحن ولا يخطىء ، لأنه متكلم بارع ، وجهبـذ ناقد ، وبحاث جدل ، ونظار صبور ، ولكنـه استطال باقتداره على قلل النحويين ، ورآها مفروضة بالتقريب ، وموضوعة على التمثيل ، لأنها تابعة للغة جيل من الأجيـال ، ومقترنة بلسان أمة من الأمم ، فلم يكن للعقل فيهـا مجال الا بمقدار الطاقة فى ايضاح الأمثال » (٤) .

وهذا قول يستأهل الوقوف والتأمل ، وسوف ينتج عن ذلك اقتناع بدقة الأداء بأسلوب علمى محدد ، ليس بفضفاض ولا مسوق بلا أهداف، بل ان اللفظة المفردة لها وظيفتها ، وقد لا يغنى عنها فى مكانها سواها ، فليس للنحو الا الأصل والمثال ، والباب والقياس ، ثم انظر الى فشو اللحن وأسبابه ثم انظر الى تحديده وتصويره لشخصية ابن الراوندى برغم ما قيل فيه .

* * *

والتوحيدى والجاحظ يجتمعان على اشراق العبارة ووضوحها ، وسهولة المخارج مع جزالة اللفظ وقوة جرسه ، ويجمعهما تجنب الوحشى والغريب المتكلف ، وكلاهما يفر نفـورا من التعمق ـ التنطع ـ والتقعر ، ويفران مـن

(١) اعجاز القرآن ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ط المعارف سنة ١٩٧٧ .

(٢) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جنـدل الدؤلى الكنانى من سادات التابعين ، وأول مـن رسم للناس النحو باشارة من على بن أبى طالب وأول من نقط المصحف ، وكان الناس يختلفـون اليه يتعلمون منه العربية ، توفى سـنة ٦٩ هـ ـ وفيت الاعيان ، ١ـ٢٤ ، ٢ـ٣٩٨ المزهر .

(٣) هو أبو الحسن احمد بن يحيى الراونـدى ولد بين سنتى ٢٠٥ ، ٢١٥ هـ ، كان معتزليا ، ثم تحول الى الشيعة المتطرفة ، ثم وقع تحت تأثير أحد المانوية فأنكر الاسلام نهائيا فى كتابيـه الأخيرين « الدامغ » ، و « الزمرد » ، ويقال انه مات عن توبة ، وكانت وفاته سنة ٢٩٨ هـ عـلى الأصح ، فى بيت لاوى اليهودى الذى تستر عليـه ومن أجل مروياته كتاب المقتضب للمبرد ـ ملحق فهرست ابن النـديم ، ٤ـ٢٨ ، ٢٦ تاريخ الادب لبروكلمان .

(٤) البصائر والذخائر ١ـ٢١٦ ٢١٧

صناعة السجع فرارا ، ولكنك تلمس أن أباحيان فى ذلك أشد زجرا ، وأقوى نهيا ، وأكثر تشنيعا على من يتكلف ويتصنع ، فجاء كلامه فى هـذا الضرب أعنف وأغنى من كلام أبى عثمان (١).

* * *

ولقد يقال : « ان انتاج الجاحظ أكثر كما وأضخم قدرا ، وأفسح دائرة ، وأعظم تنوعا من انتاج أبى حيان ، وان انتاج أبى حيان اذا قيس بانتاج الجاحظ لا يساويه ولا يدانيه » (٢) .

فاذا قيل هذا .

فان ذلك القول سيظل موضع ريبة وتردد ، مادام القول بأن التوحيدى قد أطعم النار كتبه موضع يقين ، وذلك ما يحدونا دائما الى القول بغموض كثير من جوانب حياته ، ولقد يكون الجانب الذى أحرق من كتبه مشتملا على ما يجلى طرائق حياته ، ويوضحها كل التوضيح .

على أننا لو قلنا بمقياس الثنائية فى كل عمل فنى بين المنشىء والمتلقى ، أى أنه كلما تذوق المتلقى وأعجب ، جود المنشىء وأبدع ، لو قلنا بهذا فان التوحيدى يكون فارس الحلبة ، ومعجزة عصره بلامراء ، فقد حلق وسما برغم ما كان يلقى من عنت واحباطات . ومهما يكن من هم صادف الجاحظ مصادفة ، فانه لا يقاس أبدا بما دبر ونسج لأبى حيان ، ومن ثم لامجال للمقارنة بينهما فى هذا المضمار ، ولكنهما حقا يتشابهان فى أن كلا منهما يعتمد فيما يذهب اليه من رأى ، أو يسطر من قول ، على الاستنباط من الشواهد التى وردت عن العرب ، وأوضح ما يكون ذلك فى كتاب « البيان والتبيين » عند الجاحظ ، وفى كتاب « البصائر والذخائر » عند أبى حيان .

* * *

والتوحيدى والجاحظ يسعفهما فى كل أعمالهم أسلوب مرن عذب رقيق يستساغ ، لا يمل ترديده لسان ، وبه تتملح المجالس ، ويتفكه الأدباء ، وفى أطوائه يجد العالم متعة وغنية ، ولا يشك أحد فى أن وراء كل هذا ذهن علمى فاحص ، وقلب ذكى يرصد النوادر والشوارد ، وينم عن شخصية فى الرجلين لا تقنع بالمأثور والمروى ، وانما تورد المشاهد وان خالفت ماتراه ثم تفند ذلك المخالف أو تقومه بفكر سوى ، دونما حيف أو تحيز .

* * *

ويعرف كل من الرجلين بالتفكه والتظرف ، والتندر الطريف ، وترجع براعة الجاحظ فى ذلك الى نفسه المرحة ، ومزاجه الضاحك ، ومقدرته على التعبير والتلوين ، وقدرته على النقد وتجسيم الصغير ، وتصغير الجسيم (٣) ، وزاده اكثارا فى هذا اللون ضحك زمانه له ، وانفساح حظه عن كل ما يسره من هناءات الحياة ، فاذا جاء التوحيدى أقل نتاجا فى هذا الباب ، فمرد ذلك الى عاثر حظه ، وضنك عيشه ، ثم

---

(١) راجع ١ـ٢٨٧ : ٢٩١ من البيان والتبيين تقف على رأى الجاحظ فى هذا الامر .

(٢) ١ـ١٥٢ أبو حيان التوحيدى ، د. الحوفى

(٤) ٢ـ١٤٤ أبو حيان ، د. الحوفى ، بتصرف .

ما غلب على زمانه من العبوس والبؤس، وتحالفه مع شانئيه على الكيد والتنكيل •

« واذا كانت تنقصه فكاهة الجاحظ ومرحه وخفة روحه ، فانه امتاز عنه بأنه يتناول المسائل تناولا جديا ، ويكتب عن عقيدة وصدق ، فهو لا يريد أن يظهر براعته وألمعيته فى القدرة على اثبات الشىء ونفيه أو ذمه ومدحه ، وانما يستغل بلاغته وقوة بيانه فى عرض وجهة نظره ، والمصارحة بما يعتقده حقا » (١) ، ولئن صدق ذلك — وهو صادق — لقد صنعت الشدائد منه رجلا جادا ، وكونت فيه نزعة واقعية حتى فى أكثر ما كان يخرج من الفكاهات وأكبر الظن أن الملح الجادة لاتكون مثيرة لطويل اضحاك ، ورغم كل هذا فانك واجد عنده كثرة كاثرة من الفكاهات الضاحكة ، والملح المثيرة ، وربما كان بعضها — وان قل فاضحا عاريا (٢) •

ان السخرية والتهكم فن يتصل بالفكاهة والنادرة بوثيق رباط (٣) ، وعليه فان كتاب التوحيدى « أخلاق الوزيرين » يعد برمته من هذا القبيل ، ناهيك بما يشتمل عليه من صور حية تثير الضحك والسخرية ، وتبعث الاشمئزاز والاشفاق فى آن ، وأنا أعد ذلك مقدرة فنية نادرة ، قد تكون حيزت فقط لأبى حيان •

وبالجملة ، فان الجاحظ والتوحيدى قريبان من التوافق والاتفاق ، غير أن ما بينهما من تخالف هو وليد اختلاف فى الزمن ، وتفاوت فى الطبع والتكوين الفكرى والنفسى ، وافتراق فى الثقافة وحدة المزاج ، وتباين شاسع بين شدة الحياة ورخاوتها ، أضف : الافتراق فى المذهب ، وكيفية التعامل والالف ، ومجالسة الصدور ، وتقبل أو رفض ومواجهة ما يقولون •

فلقد عرف الجاحظ بالدهاء والمكر ، على حين عرف التوحيدى بالصراحة الصارمة ، مع شدة العارضة ، حتى جر عليه ذلك أن يعيش حياته التى وصفها بدقة ، وأبان عما اكتنفها من أباس ، أما دهاء الجاحظ فقد أتاح له أن يمالئه كبار عصره ، وأن يخادعوه وأن يخاتلوه •

« فاذا قيل : ان الجاحظ كان على دهاء لا ينكر محله ، فاتقى بجربزته (٤) لدغات حسادة ، ومؤملات مناظريه ، وأن التوحيدى لم يعرف سياسة العلم ، ولم يستكمل تعاطى الاسباب الى الرزق ، واحراز قصل السبق ، فلا تنسى أن الجاحظ كان الخلفاء يرعونه ويحبونه ، والوزراء يخادعونه ويحبونه ، والناس يعجبون به ويمجدونه ، والتوحيدى للجهل الطارىء على الخلفاء والأمراء فى عهده يضطرب فى حياته اضطراب الأرشية (٥) فى الطوى البعيد ، كلما التفت يمنة جاءت الصدمة يسرة ، وكلما

البقية ص ٧٨٢

(١) الاستاذ على أدهم — مجلة الثقافة عدد ٦١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٠ م •
(٢) راجع فى ذلك « البصائر والذخائر » بأسفاره المختلفة ، «أخلاق الوزيرين» •
(٣) أنظر ٢ــ١٤٤ أبو حيان ، د• الحوفى •

(٤) الجربز — الخب من الرجال ، والخب ضد الغر ، فالخب هو الخداع المفسد •
(٥) الرشاء : الحبل ، وحبل الدلو يلقى بها فى البئر ، الجمع أرشية •

تحليل لكتاب الإسلام يتحدى

مؤلف الكتاب هو السيد / وحيد الدين خان أحد الاعلام المسلمين فى شبه القارة الهندية فى العصر الحديث . والكتاب صدر باللغة الأردية سنة ١٩٦٦ عن (المجمع العلمى الاسلامى) التابع لندوة العلماء (لكنو) بالهند .

وقد ترجمه الى العربية نجل المؤلف الأستاذ ظفر الاسلام خان ..

والمؤلف التزم فى كتابه خطة فرضها عليه الأسلوب المعاصر فى البحث حتى يواجه أبناء عصره بما يتفق مع منهجهم فى التفكير فيكون بما يقدم أقرب الى عقولهم .

رأى المؤلف أن العصر الحديث يسمى « عصر الالحاد » لانكاره الدين ، وأن هذا الالحاد الذى يسود العصر ليس محض ادعاء بل هو منهج بحث ودراسة ، اهتدى اليه الانسان بعد التطور الحديث فى ميادين العلم المختلفة .

ورأى أن الانسان فى العصر الحديث لا يهدف بهذا المنهج الالحادى الى اثبات نظرية ما أو انكارها ، وانما هو منهج خالص يقصد من ورائه الوصول الى الحقيقة دون الوقوع تحت تأثير مسلمات سابقة .

ورأى ـ كذلك ـ أن الانسان فى العصر الحديث أثبت بهذا المنهج الجديد أن الدين باطل .

من هذا المنطلق تحرك المؤلف ليسلك الطريق نفسه ، ويزيل عن الفكر المعاصر ما اختلط عليه .. حتى يكشف عن الحقيقة الحقة التى ضل عنها الانسان المعاصر وضللته عنها أوهام صادفته فى أثناء تفكيره فانحرفت بمساره ، فحجبت عنه الحقيقة ، وخيل اليه أن الفكر العلمى الحديث لا يوصل الى الايمان بالله .

فالكتاب دفاع عن الدين بأسلوب عصرى يتلاءم مع الأسلوب الذى توسل به من أنكر الدين فى العصر الحديث من العلماء والمفكرين وهو الأسلوب التجريبى العلمى ، وليس الأسلوب الفكرى الفلسفى الذى سار عليه السابقون وذلك استجابة من المؤلف لقوله تعالى فى سورة النمل « **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا** » .

والمؤلف فى التمهيد يحدد غايته وطريقه فى قوله :

« وواضح من عنوان الكتاب أنه يهدف الى اثبات أحقية الدين أمام الفكر المادى الجديد وهذا الاثبات يتخذ لنفسه أسلوبين :

تأليف:
وحيد الدين خان

عرض وتعليق
الدكتور ابراهيم عوضين

أولهما : أن نستدل بأن الدين ليس (ماديا) بل فوق المادة ، وبناء على ذلك ليس للعلوم المادية أن تعترض طريق الدين ، وقد أصبح هذا الاستدلال فى غاية القوة ، حيث أن العلماء قد اعترفوا فى هذا القرن (بأن العلوم المادية لا تعطى الا علما جزئيا عن الحقائق) • ومغزاه أنه بناء على اعتراف هذه العلوم نفسها — هناك حقائق أخرى لا تستطيع العلوم المادية الوصول اليها ، ومنها حقائق الدين •

وأما الطريقة الأخرى لاثبات حقائق الدين فهى اتباع نفس الطرق العلمية التى يتبعها العلماء الملحدون لاثبات معتقداتهم •

وقد ركز المؤلف أهمية أكثر على هذا الجانب فهو يرى : أنه لابد من اتباع نفس أساليب الاستدلال التى يستغلها الملحدون ، حتى يمكن اثبات حقية الدين » •

والترجمة العربية للكتاب تقوم على تقديم بقلم الدكتور عبد الصبور شاهين ، وتمهيد وتسعة أبواب •

أوضح المؤلف فى التمهيد طبيعة العصر الحديث ، والمنهج المتبع فى الدراسة الجديدة وكيف توصل به المفكرون الملحدون الى انكار الدين • وضرورة التوسل بالطريقة نفسها للدفاع عن الدين ، لعدم تلاؤم ما التزمه علماؤنا فى ذلك السبيل مع المنهج العصرى ، فلم يعد مقبولا فى هذا العصر أن نعتمد على الدراسة الفكرية الفلسفية فى مقابلة الدراسة التجريبية العلمية •

ثم أوضح أن الكتاب — كما يتضح من عنوانه — يهدف الى اثبات أحقية الدين أمام الفكر المادى الجديد •

قضية معارضى الدين

وفى الباب الأول يستعرض المؤلف طائفة من معارضى الدين ومنكريه ، ويقدمهم فى ثلاثة أصناف ، **كل صنف يعتمد فى فكره على أساس علمى قاده الى انكار الدين والانصراف عن الاعتقاد بأن هناك قوة عليا فوق الطبيعة أو وراءها •**

ويرى المؤلف أن المجموعة الأولى من منكرى الدين قد اعتمدت على **التطور الحديث فى (البيولوجيا)** ، ويقودها فى هذا السبيل (نيوتن) الذى عرض على الدنيا فكرة تثبت أن الكون مرتبط بقوانين ثابتة ، تتحرك فى نطاقها الأجرام السماوية • ثم جاء بعده آخرون فأعطوا هذه الفكرة مجالا علميا أوسع حتى قيل ان كل ما يحدث فى الكون من الأرض

الى السماء خاضع لقانون معلوم سموه (قانون الطبيعة) ، ومن أبرز علماء هذه المجموعة (والتير) ، و (هيوم) ، و (هكسلي) .

وتعتمد المجموعة الثانية على ما توصلوا اليه **فى ميدان علم النفس** ، فقد توصلوا فىذلك الى نتائج أثبتت لهم أن الدين نتاج اللاشعور الانسانى ، وليس انكشافا لواقع خارجي ، وأن الاعتقاد فى الحياة الدنيا والحياة الآخرة انما هو صورة مثالية للأمانى الانساينة ، وأن الوحى والالهام انما هو اظهار غير عادى لأساطير الأطفال المكبوتة ، ويقوم على رأس هذه المجموعة (فرويد) ، و (رالف لنتون) .

أما المجموعة الثالثة فتعتمد فى **معارضة الدين على التاريخ** ، مقررة أن القضايا الدينية وجدت لأسباب تاريخية أحاطت بالانسان ، فلم يكن فى استطاعته أن يفلت من السيول والأعاصير والطوفانات والزلازل والأمراض ، فأوجد (قوى فرضية) يستغيثها لتنقذه من البلايا النازلة ، وهكذا ظهرت الحاجة الى شىء يجتمع الناس حوله ولا يتفرقون ، فاستغل أسم « الاله » الذى تفوق قوته قوة الانسان ، ويهرع الجميع الى رضاه ويتصدر هذه المجموعة فلاسفة الشيوعية مثل (انجلز) و (لينين) .

نقد قضية المعارضين

وفى الباب الثانى يقدم نقدا عاما لهذه المجموعات الثلاث المعارضة للدين .

ويبدأ نقده بتفنيد مزاعم الطائفة الأولى على أسس علمية بحتة ، مستشهدا بما توصل اليه العلم الحديث فى مجال الطبيعة مقررا أن ماكشفه هؤلاء الطبيعيون ليس بيانا لأسباب وجود الدين ، فالدين يبين لنا الأسباب والدوافع الحقيقية التى تدور (وراء الكون)، وما كشفه هؤلاء هو الهيكل الظاهر للكون . أى أن العلم الحديث تفصيل لما يحدث ، وليس تفسيرا له ، فكل مضمون العلم هو اجابة عن السؤال : (ما هذا ؟) وليس لديه اجابة عن السؤال : (ولكن لماذا ؟) .

ولا يقف عند حد تفنيد تلك الآراء بالحوار العقلى ، ولكنه يقدم أمثلة حية من الواقع ، تبين أن خطأ هؤلاء يرجع الى أنهم وجدوا المكتشفات الحديثة تفتح أمامهم معارف كونية جديدة فظنوا أنهم بذلك وقفوا على سر الطبيعة ، والواقع يؤكد أنهم بذلك تمكنوا من مشاهدة الطبيعة على نطاق أوسع ، ولكنهم لم يتمكنوا من الوقوف على تفسير لما يحدث فيها، فالاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعى يفسر عملية (بقاء الأصلح) ، ولكنه لا يستطيع أن يفسر حدوث هذا الأصلح .

وينتقل الى مناقشة **اللاشعور ودليل علم النفس** على أن الاله والآخرة قياس للشخصية الانسانية وأمانيها علىمستوى الكون ، فينقض على الفكر الحديث أنه يستنبط من حادث عادى دليلا غير عادى ، ويمثله بمن يشاهد مثالا يصنع صنما فيصرخ هذا هو الذى قام بعملية الانسان فى تولد الدين فيقرر أن اللاشعور الانسانى فى تولد الدين ، فيقرر أن اللاشعور الانسانى — من الوجهة العلمية — فراغ فى أصله ،«لا شىء فيه قبل مولد الانسان ، وانما

يستقر فيه عن طريق الشعور ما يشغله الآن لأن اللاشعور ليس سوى مخزن للمعلومات والمشاهدات التى شاهدها الانسان فى حياته ولو مرة ، ومن المستحيل أن يختزن حقائق لم يعلمها من قبل ، والذى يثير الدهشة أن الدين الذى جاء على لسان الأنبياء يشتمل على حقائق أبدية لم تخطر على بال أحد من الناس فى أى زمان ، فلو كان اللاشعور هو مخزن هذه المعلومات ، فمن أين يأتى بها هؤلاء الذين يتكلمون عن أشياء لا طريق لهم الى العلم بها ؟

ويرد على الذين يستدلون بالتاريخ أو الاجتماع على انكار الدين وما يتصل به بأن خطأهم الأساسى أنهم لا يدرسون الدين من وجه صحيح ، ولهذا يبدو لهم الدين شيئا غريبا ، فهم يجمعون فى سلة واحدة كل ما أطلق عليه اسم (الدين) فى أى مرحلة من التاريخ ، ثم يتأملون فى ضوء هذا المحصول حقيقة الدين .

ويأخذ — فى شىء من التفصيل — معالجة الفكر الماركسى ، مبينا مجافاته للمنهج العلمى وبعد نتائجه عن الحقيقة .

ثم يجمل ذلك فى قوله :

وهذا هو أمر قضية المعارضين ، فانهم نظروا الى حقائق ناقصة وجزئية ، لا يتصل بعضها بالموضوع مطلقا،واعتقدوا أن الدراسة العلمية الحديثة قد أبطلت الدين ، على حين أننا لو نظرنا الى الواقع جملة وتفصيلا فسوف نصل الى نتيجة تختلف عن الأولى كل الاختلاف .

طريقة الاستدلال العلمى

وفى الباب الثالث يتناول المؤلف طريقة الاستدلال العلمى فى العصر الحديث ، فيكشف عن أن التجربة والمشاهدة ليستا وسيلتى العلم القطعيتين ، فالذى يطالع العلم الحديث يجد أن أكثر آرائه تفسير الملاحظات ، وأن هذه الآراء لم تجرب مباشرة ، ذلك أن بعض الملاحظات يحمل العلماء على الايمان بوجود بعض حقائق غير مشاهدة قطعيا،فأى عالم من علماء عصرنا لا يستطيع أن يخطو خطوة دون الاعتماد على ألفاظ مثل (القوة) ، و (الطاقة) ، (الطبيعة) ، و (قانون الطبيعة) وما الى ذلك . ولكن هذا العالم لا يدرى ما (القوة والطاقة ، والطبيعة ، وقانون الطبيعة) ، فهو قد صاغ كلمات تعبر عن وقائع معلومة ، لكى يبين عن علل غير معلومة ، وهذا العالم لا يقدر على تفسير هذه الألفاظ تماما كرجل الدين ، لا يستطيع تفسير صفات الاله، وكلاهما يؤمن — بدوره — بعلل غير معلومة .

فالمؤلف فى هذا الباب يقرر أن العلم الحديث يعتمد فى الاستدلال على بعض حقائقه على الوسائل نفسها التى يعتمد عليها فى اثبات الغيبيات الدينية .

ويسوق المؤلف فى هذا السبيل طائفة من آراء العلماء المختلفين فى شتى ميادين العلم والمعرفة مثل الدكتور (الكسيس كيرل) ، والبروفيسور (أ . ى . مانديز) .

ويخلص من ذلك بتقرير أنه لا ينبغى القول بأن الدين هو (الايمان بالغيب) ، وبأن العلم هو « الايمان بالملاحظة العلمية » فالدين والعلم كلاهما يعتمد على الايمان بالغيب ، غير

أن دائرة الدين الحقيقية هى دائرة « تعيين حقائق الأمور » ، نهائيا وأصليا ، أما العلم فيقتصر بحثه على المظاهر الأولية والخارجية فحين يدخل العلم ميدان تعيين حقائق الأمور تعيينا حقيقيا ونهائيا — وهو ميدان الدين الحقيقى — فانه يتبع نفس طريق الايمان بالغيب •

الطبيعة تشهد بوجود الاله

وفى الباب الرابع يستجلى مظاهر الطبيعة ليقدم الشواهد التى تؤكد وجود الاله ، فيقدم من القوانين العلمية ما يثبت أن وجود الكون ليس أزليا ، أى أن له بداية ، وكل ماله بداية لا يمكن ان يبتدىء بذاته ، ولا بد أن يحتاج الى المحرك الأول « الخالق الاله » •

والمؤلف يستعرض فى هذا السبيل البحوث العلمية فى مجال الطبيعة والكيمياء ، والفلك ، والميكانيكا ، فالشواهد الطبيعية تثبت أن الكون لم يكن موجودا منذ الأزل ، وأن له عمرا محدودا ، والكشوف الفلكية تقرر أن هذا النظام العجيب والتنظيم الدقيق فى الحركة لا يمكن أن يقوم بنفسه ، بل ان هناك طاقة غير عادية هى التى تقيم هذا النظام العظيم ، وتهيمن عليه •

ويواصل طريقه فى الاستدلال على وجود الاله ،فيقدم التوازن الأرضى ،وقانون الضغط والتوازن الغازى ، والسنن الرياضية المحكمة ونظام العناصر ودوريتها ، الى غير ذلك من القوانين العلمية ، والشواهد الطبيعية •

دليل الآخرة

وفى الباب الخامس يسلك المنهج ذاته ليستدل على الحياة الآخرة ، ويسير وفق تسلسل منطقى ، فيبدأ باثبات امكان وقوع الآخرة ، ويثنى باثبات ضرورة الآخرة وحتميتها ، ثم ينتقل الى اثبات الحاجة الى الآخرة نفسيا ، وأخلاقيا ، وسلوكيا ، وكونيا •

ولايكتفى بذلك فى الاستدلال على الحياة الآخرة ، ولكنه يلجأ الى الشهادة التجريبية ليثبت بها الحياة بعد الموت ، متوسلا الى ذلك بمقررات العلم الحديث ونظرياته •

كما يستخلص من البحوث الجديدة فى علم النفس الأدلة التى تقطع بوقوع الحياة الآخرة •

اثبات الرسالة

وفى الباب السادس يعالج المؤلف قضية « الرسالة » ، باثبات امكان الرسالة أولا ، ثم بالاستدلال على ضرورة الرسالة ، وحاجة الانسان الى الوحى ليقوده فى التعرف على الحياة التى لم يستطع أن يكتشف منها ما يشبع حاجاته الى وقتنا هذا •

ويختم الباب باثبات نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — اعتمادا على أن اثبات نبوته هو فى الوقت ذاته اثبات لنبوة سائر الأنبياء من قبله ، لكونه آخر الأنبياء من جهة ، ولأنه يصدق الأنبياء السابقين عليه جميعا ولاينكرهم من جهة أخرى •

والمؤلف يعتمد فى اثبات نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — على المقاييس المنطقية المعتمدة على الواقع التاريخى بما تضمه من أحداث ، وما حمل من صفات تميز بها محمد

ـ صلى الله عليه وسلم ـ على سائر قومه ومعاصريه اعترف بها العدو والصديق •

القرآن صوت الله

وفى الباب السابع يواصل مسيرته فى اثبات رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فيقدم ما يثبت أن الكتاب الذى جاء به صاحب الرسالة هو ـ كما ادعى ـ منزل من عند الله•

والمؤلف فى ذلك يعتمد على ابراز الخصائص القرآنية التى تبرهن على أنه فوق طاقة المخلوق ، والتى تؤكد انه لا يمكن أن يصدر الا عن الله سبحانه وتعالى ، فيقدم من تلك الخصائص :

اعجاز القرآن الأدبى ، النبوءات القرآنية ، صدق القرآن فى كل اشاراته العلمية على الرغم من مضى هذه القرون الكثيرة على نزوله•

الدين ومشكلات الحضارة

وفى هذا المبحث يقدم المؤلف الباب الثامن ، فيستعرض أبرز مشكلات الحياة التى عجز العقل البشرى عن الوصول الى حلول لها ، وكيف وضع الدين حلولها تحت سمع وبصر الانسان معتمدا فى ذلك على تقديم نماذج من الجهود البشرية المبذولة فى هذا الصدد على اختلاف العصور والبيئات ، دون جدوى •

ثم يختتم المبحث بقوله :

« وتؤكد هذه التجارب القاسية التى خاضتها البشرية أن العقل الالهى ـ الذى هو منبع القانون الحقيقى ـ هو أعرف بالطبيعة الانسانية وأكثر فهما لمسائلها ومشكلاتها •

ان فى الدين جوابا محددا لكل الأسئلة التى تؤرقنا فى كفاحنا الحضارى ، انه يوجهنا الى المشرع الحقيقى الطبيعى ، وهو يضع لنا الأساس النظرى للقانون •• فهو يمنحنا أساسا صائبا لكل مسألة فى الحياة البشرية حتى يمكن لها الوصول الى أعلى درجات الازدهار والرقى ، وهو الصورة الوحيدة للمساواة الكاملة بين الحاكم والرعية ، وهو يهيىء الأساس النفسى ، الذى يصبح القانون بدونه مشلولا بلا حراك ، وهو يخلق لنا ذلك المناخ المناسب الذى لابد منه لتطور أى مجتمع تطورا حيويا وفعالا •

وهكذا يعطينا الدين كل ما نحتاج اليه لبناء الحضارة ، فى حين لا يتيح لنا الالحاد والكفر شيئا ما ، سوى الضياع والفاقة ، فهو عقيم لا يجدى نفعا •

الحياة التى ننشدها

وفى الباب التاسع والأخير يقدم المؤلف وصفا مفصلا لما تعانيه المجتمعات الأوربية الملحدة فى ظلال الحياة المادية التى فرضت على نفسها الدوران فى داخلها ، وكيف انتهى أمر هذه المجتمعات الى كل أسباب القلق والاكتئاب من التحلل ، والتمزق الأسرى ، وشيوع الاجرام والشذوذ ، والوقوع فى قبضة الأمراض النفسية • على الرغم من الوفرة المادية التى تكاد تفرقها تماما •

ويستخلص من ذلك أن الانسان فى حاجة ماسة الى ما يلبى حاجة الروح الفطرية من الايمان بالله الخالق حتى يوفر لنفسه تلك النفحات الالهية التى لاغنى له عنها مثل

البقية ص ٧٨٢

أنباء.. وآراء

جامعة اسلامية فى قبرص

تفتتح فى جمهورية قبرص التركية أول «جامعة اسلامية» فى بلدة «قرتة» تضم كليات للاقتصاد الاسلامى والهندسة الى جانب دروس تحضيرية فى اللغة الانجليزية تقبل الجامعة الى جانب أبناء قبرص الطلاب المسلمين من منطقة الشرق الادنى والدول الاسلامية وسوف تضم فى المستقبل كليات للطب و «الكمبيوتر» وكليات أخرى وقد قامت الجامعة بناء على اتفاق خاص بين كل من جمهورية قبرص الاسلامية وبين المسئولين القائمين عليها وموافقة رئاسة الجامعات التركية وستكون شهادتها معترفا بها عالميا .

انشاء مركز اسلامى

قامت مؤسسة العلوم الطبية الاسلامية بالولايات المتحدة بانشاء مركز اسلامى فى شمال ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية . ضمن مشروع الدعوة الاسلامية الذى تنظمه المؤسسة ، بهدف تقديم الاسلام للمسلمين وغير المسلمين بأسلوب يختلف عن أسلوب الوعظ والارشاد وذلك من خلال برامج تعليمية وخدمات مختلفة .. وذلك من خلال قنوات ثلاث هى المستشفى الاسلامى ، والمدرسة الاسلامية ، والمركز الاسلامى الذى أنشأته فى شمال فلوريدا .. ويضم المركز مسجدا ومكتبة وقاعة للمحاضرات بالاضافة الى مدرسة اسلامية نموذجية .

دفعة جديدة من الدعاة

تم تخريج دفعة جديدة من الدعاة الأفارقة الذين أعد لهم الأزهر دراسات على مستوى عال فى الدعوة وأسلوبها بمقر مدينة البعوث الاسلامية ـ بالقاهرة .

يبلغ عددهم سبعة وثلاثون داعية ، ينتمون الى سيراليون وجزر القمر ونيجيريا وكينيا طالب الدعاة الافارقة الأزهر بمزيد من الجهد للوقوف أمام الهجمات التنصيرية الشرسة فى أفريقيا . وأكدوا انه برغم قلة عدد الدعاة فى أفريقيا الا أن عدد المسلمين يزيد يوما بعد يوم . كما طالبوا بمزيد من المساعدات المادية لمساندة الدعاة الذين لا يتقاضون أية مرتبات من حكوماتهم ، ومد الدعاة بالكتب الدينية باللغة العربية .

سلسلة كتب اسلامية للهيئة المصرية

اتفق الدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب مع الدكتور مصطفى محمود على الاشراف على اصدار سلسلة كتب دينية جديدة تصدرها الهيئة تحت عنوان

إعداد
أحمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد

« قضايا اسلامية » تتناول القضايا الاسلامية المعاصرة من خلال كتابات للمفكرين الاسلاميين.
بدأ الدكتور مصطفى محمود اجراء اتصالاته لبدء أصدار سلسلة الكتب التى ستباع بأثمان رمزية وتطبع باللغتين العربية والانجليزية .. ومن القضايا التى ستتناولها الكتب الجديدة :
الشباب فى المجتمع الاسلامى . الزواج ، الصحوة الاسلامية ، الربا ، المخدرات والخمور وتأثيرها على الشباب .
ويتم توزيع هذه الكتب على المدارس والجامعات .
وعدد آخر من الكتب الدينية ستوجه الى تلاميذ المراحل الدراسية الأولى فى أسلوب ميسر .

أحكام الشريعة أساس التشريعات القضائية

طالب القاضى سعد الله المهيرى رئيس جمعية الحقوقيين فى دولة الامارات العربية المتحدة بتوحيد التشريعات والنظم القضائية فى الوطن العربى على أساس أحكام الشريعة الاسلامية .. وقال :

ان أية محاولة لتوحيد التشريعات العربية اذا لم تتخذ الشريعة الاسلامية أساسا لها ستكون عاجزة عن تحقيق أهدافها .
وأضاف : أن الشريعة الاسلامية ستظل المصدر الحى ، وأن عملية توحيد التشريعات فى البلاد العربية المستمدة من أحكام الشريعة الاسلامية لم تعد مجرد حلم يراود أذهان المهتمين من العلماء ورجال الفكر ، وانما أصبحت حقيقة واقعة أقرها وزراء العدل العرب ، وخطوا فى سبيل تحقيقها خطوات ايجابية .

المؤتمر الأول للدعوة بغرب افريقيا

اختتمت فى « فرى تاون » عاصمة سيراليون أعمال المؤتمر الأول للدعوة الاسلامية بغرب افريقيا . نظم المؤتمر رابطة العالم الاسلامى بالتعاون مع المجلس الاسلامى الأعلى فى سيراليون . وصرح الدكتور عبد الله نصيف رئيس المؤتمر بأنه تم مناقشة المعوقات التى تحول دون المد الاسلامى المنتظر فى أرجاء القارة الافريقية . وقال : « ان المؤتمر جاء تعبيراً عن الصحوة الاسلامية المباركة التى تعم أرجاء المعمورة ، وأن حاجة البشرية للاسلام أصبحت تزداد يوما بعد يوم بسبب فشل كافة الأنظمة التى طبقت تحت غلبة الاستعمار العسكرى والسياسى وعجزها عن تحقيق السلام للانسان وتحقيق ما يحتاجه من أمن وسكينة وتقدم ورفاهية » .

فى أسبانيا

بعد مضى أكثر من خمسمائة عام على خروج

العرب من أسبانيا ينطلق آذان الصلاة ليدوى فى أرجاء العاصمة « مدريد » أعلنت السلطات الأسبانية أنه تقرر البدء فى انشاء مسجد مدريد بشارع ام ٣٠ فى منتصف العام القادم • وسوف يكون بوسع سكان مدريد أن يستمعوا الى دعوة المؤذن اذا مروا بطريق « ام ٣٠ » كما سيكون بوسع سكان محلة « كو نسيبينا » دراسة اللغة العربية وقراءة المخطوطات الاسلامية فى ذلك البناء • وانشاء هذا المسجد له دلالات كبيرة • والمسجد الجديد يتسع لاكثر من ألف وخمسمائة مصل ، ويضم مكتبة وثلاث صالات للاستقبال والاجتماعات والمحاضرات بالاضافة الى طابق أرضى للسيارات •

مجلة الأزهر •• نرجو ألا يكون الخبر سببا فى تغيير فكر المسلم المعاصر عن علمه القديم بالقوم ، فقد أذاعت محطة لندن قبل أقل من شهرين أن سلطات أسبانيا حرصت على طرد خمسة وعشرين ألف مسلم ولدوا بأرضها بحجة أنهم لا يتمتعون باقامة رسمية فليسأل المسلم نفسه: من الذى يعطى الاقامة ؟ ولماذا امتنع ••؟ ولماذا منعوا من حمل الجنسية الأسبانية ••

حل مشاكل الأقليات الاسلامية

أعلن الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى : أن هناك جهودا تبذل حاليا لتطوير وزيادة فعالية المنظمة للاستجابة لاحتياجات وتطلعات الدول الاسلامية ومتابعة تنفيذ القرارات التى يتم التوصل اليها فى مؤتمرات القمة الاسلامية •• والمنظمة تعمل دائما على حل المشاكل بين الدول الاسلامية والمنظمة منذ انشائها عام ١٩٦٩ م وهى تولى عناية كبيرة بأحوال الاقليات المسلمة فى العالم •

اعداد الدعاة

صرح فضيلة الشيخ محمد زكى ابراهيم عميد معهد اعداد الدعاة : بأن المعهد يضم من بين الدارسين به المتخرجين من الجامعات المختلفة ومن مختلف التخصصات •• كما أن الوافدين من الدول الاسلامية يقبلون على المعهد ، ليكونوا دعاة فى بلادهم •

ومعهد اعداد الدعاة من المعاهد التى قامت فى عهد الدكتور عبد الحليم محمود لمواجهة الانحراف وتحديات العصر •• ويعمل المعهد على نشر الفكر الاسلامى الصحيح •

* شارك فضيلة الأمام الأكبر الشيخ • جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى جلسات المؤتمر العالمى للمساجد وقد نوقش فى هذا المؤتمر عدة قضايا تهم العالم الاسلامى وقد أصدر المؤتمر عدة توصيات من أهمها تشكيل لجنة لتوحيد أوائل الشهور القمرية ولجنة أخرى لبحث التنسيق بين الجهات الرسمية والشعبية القائمة على أمور الدعوة فى العالم الاسلامى والعمل على التكامل بينها •

* القى الدكتور حلمى الحديدى وزير الصحة فى افتتاح مؤتمر الأزهر الطبى الدولى كلمة قال فيها أن الدولة بأجهزتها المختلفة حريصة على أن تقوم بواجبها فى دعم كل جهد علمى خلاق وأضاف قائلا : ان الدولة تضع كل امكاناتها فى خلق القوى البشرية على قدر كبير من العلم والسلوك الاسلامى لكى تكون

قادرة على تحقيق خدمة من أهم الخدمات التى تهدف الدولة الى تقديمها للمواطنين وهى توفير الرعاية الصحية والطبية الناجحة التى تساهم فى ارساء وتدعيم أخلاقيات المهنة بالمزيد من العلم والمعرفة .

وقد وضح الدكتور / ممدوح جبر نقيب الأطباء فى كلمته التى ألقاها فى المؤتمر أن كلية طب الأزهر وما تقدمه من المؤتمرات العلمية والطبية الدولية انما تؤكد أنها معقل من معاقل العلم والدين معا كما تساهم بطريق مباشر فى دعم رسالة نقابة الأطباء حين تخرج كل عام الطبيب المسلم المتمسك بالأخلاق والضمير وهو اساس رسالتها .

وقد أعلن الدكتور / محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر خلال الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الطب الدولى الذى عقد بجامعة الأزهر أن كلية الطب تعمل على استعادة المجد العلمى للأزهر حيث تقوم بتخريج الطبيب الداعية الذى يجمع بين الايمان والعلم بما يخدم مهنة الطب .

التقى فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بوفد جزر « فيجى » الواقعة فى المحيط الهندى ورأس وفد المقابلة السيد محمد شيرانى رئيس الرابطة الاسلامية وقد دار البحث خلال اللقاء حول أوضاع الطلبة الموفدين فى منح الدراسة بالأزهر ووضع برنامج لتعليم اللغة العربية وايفاد مبعوثين من الأزهر يجيدون اللغة الانجليزية لتدريس اللغة العربية.

وقد وافق فضيلة الامام الاكبر على اعتماد ست منح دراسية وايفاد مبعوث من الأزهر يجيد اللغة الانجليزية يعمل مستشارا لوزير التربية والتعليم حتى يتم ايفاد مبعوثين آخرين .

بقية الإسلام والمسلمون فى الصين

طارت الى الحكومة الصينية المركزية بشكاية المسلمين من أقطار الصين فأمرت الحكومة الجمهورية الصينية بمعاقبة الكاتب الملعون وتعطيل مجلة (الآداب الصينية) واغلاق (المطبعة الحديثة) وسنت قانونا خاصا لحماية الأديان توطيدا لما فى الدستور من حرية الدين ومساواة الشعوب فى الحقوق ، وأعلنت أن المسلمين من العناصر المهمة للأمة الصينية ولهم تاريخ مجيد فى خدمة هذه الأمة .. » (١) .

فاذا كان للمسلمين هذا التأثير . فى الرأى العام الصينى . وفى الحكومة المركزية وفى دور النشر والصحافة . أفلا يدل ذلك على قوة المسلمين فى الحياة العامة ،

ان الرقم الذى حدد عدد المسلمين فى هذه الفترة - قبل الثورة - بخمسين مليونا لم يكن مبالغا فيه أبدا . كما أن الرقم الذى تحدده المصادر الرسمية عن عدد مسلمى الصين - بعد الثورة - غير معقول ولا مقبول أيضا .. وفى ضوء هذا كله يمكن أن نقرر مطمئنين بأن عدد مسلمى الصين فى كل أنحاء الصين لا يقل عن ثمانين مليونا تحت العجز القليل ... والزيادة الأكثر .

---

(١) تقويم البلاد الاسلامية - المؤتمر الاسلامى - كراتشى ١٩٦٥ .

من خير ما كتب

الأستاذ / ابراهيم راشد ..

من هـدى القرآن

الذين يتتبعون الأحداث الأخيرة ويبحثـون عن النتائج التى تمخض عنهـا مؤتمر القمـة بين العملاقين .. جورباتشوف وريجـان .. سوف يشعرون بالأسى لأن خريطـة العـالم الاسلامى بمساحاته الواسعة لم تشغل مـن ذهن الرئيسين شيئا وخاصة أن هناك منـاطق ملتهبة شـديدة الالتهاب والحسـاسية مثـل أفغانستان وما يجرى لشعبها على يد أعـداء الله .. وايران والعراق ولبنـان وجنـوب السودان .. وحدود الصومال مع اثيوبيا وتشاد وليبيا .. حتى انك لتتخيل بحـارا من الدم تجرى هنا .. وهناك تحت سمع وبصر العالم كله ..

ولقد كنا ننتظر أن يكون للشرق الأوسط » مهد الديانات والرسالات أهميته وثقله فى المباحثات بين الزعيمين ولكن للأسف .. لم يذكـر شىء عن وضع حد لاعتداء اسرائيل المتوالى عـلى الأمة العربية .. ولا عن كيفية انهـاء حـرب العراق وايران وغيره .. وغيره ، فالمهم كمـا قلنا كيف يمكن استرجاع أمـوال البترول ..

أموال العرب لكى يشترى بها السلاح من أجل أن يقتل المسلم أخاه المسلم .

والثابت أيضا أن الله له سـنن لا تتبـدل ولا تتغير فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فهذه سنة الله .

ان الانسان ليشعر بالأسى عندما يجـد أن الدنيا كلها تمكر بالمسلمين وبدينهم وبعقيدتهم وهى تلك العقيدة السمحة الكريمة التى أعطت أجمل النتائج للانسانية جمعاء .. واذا كنـا قد فرطنا فى أنفسـنا .. وفى عقيـدتنا فهـل مطلوب من الناس أن يقفوا بجـوارنا .. وصدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما قال : توشك أن تجتمع عليكم الأمم كما تجتمع الأكلة على قصعتها .

قالوا : أومن قلة نحن يومئـذ يارسـول الله .. ؟

قال لا .. أنتم يومئذ كثير .. ولكنكم غثاء كغثاء السيل .. ولينزعن الله المهابة منكم من نفوس عدوكم وليبدلنكم اياها بالوهن .

قالوا وما الوهن يارسول الله .. ؟

قال حب الدنيا وكراهية الموت .. صـدق رسول الله .

هذا هو حال المسلمين اليوم .. فهل مـن يقظة جديدة ، هل من صحوة جديدة تعيد الينا عزتنا وقوتنا ؟ !

إعداد
عبد الفتاح السيد عبد السلام

عسى أن يكون قريبا .

الأستاذ / أحمد زين ..

بلا مشاكل

عندما اختطفت الطائرة الامريكية الى لبنان .. وجلس الطيار الامريكى يتحدث مع الفلسطينيين .. خرج بعد هذا الحديث وهو يقول فى مؤتمر صحفى عالمى أن هؤلاء الناس لهم وجهة نظر .. وان وجهة النظر هذه لابد أن تسمع .. وان الظلم الذى وقع على الفلسطينيين هو أساس كل ما يحدث .

ولكن هذا لم يجد آذانا صاغية من أحد .. ولعل وكالات الأنباء قد قتلت هذه القصة .. فلم تذع هذا الحديث .. لأنها لا تريد اظهار الفلسطينيين ضحايا ومظلومين . بل اظهارهم بصورة القتلة والمجرمين .. ولو أن منصفا أحصى كم فلسطينى يتم قتله كل يوم .. وكم أجنبى قتل بيد الفلسطينيين .. كان الاحصاء يساوى ألفا الى واحد على الأقل .. ولكن لا أحد يريد أن يظهر الحقيقة .

واذا كان الانسان قد ولد فطرد من بلده وأرضه .. ولم تعد له جنسية .. ولم يعد له مكان يقيم فيه .. وأصبح معرضا فى كل لحظة .. لأن يقتل .. ويوضع فى السجن .. أو يطرد من بلد .. الى آخر بلا رحمة .. اذا كان هذا قد حدث لأى فرد فى أمريكا أو أوربا .. لكان قد حمل السلاح .. وذهب يقاتل من أجل حياته .. وكان القتال قد اعتبر دفاعا مشروعا عن النفس .. ولكن بالنسبة للفلسطينيين فان مجرد دفاعهم عن أنفسهم يعتبر ارهابا .. يعتبر قتلا .. بينما الاعتداء عليهم وقتلهم يعتبر حقا ..

ولكن الى متى تستمر هذه الأوضاع .. هذا هو السؤال .. ذلك انه كلما استمر الظلم وظلت المشكلة بلا حل .. فان العنف سيستمر .. ومادام لم يقم العدل .. فان القتل والقتال لن ينتهى .. وهناك قوى كثيرة فى العالم تحرص كل الحرص على أن يستمر الظلم .. وأن يستمر القتل والقتال .. لأن لها منافع شخصية تتحقق .. وجيوبا تملأ بالأموال .. وللأسف الشديد .. أن بين هذه القوى فى المنطقة دولة كسوريا جعلت حياتها على أساس دماء الفلسطينيين وابتزازها للأموال على أساس بقاء القضية الفلسطينية بلا حل ..

من خير ما كتب

تلك هى الحقائق التى تحيط بما يسمونه الارهاب .. وذلك هو المنطق المعكوس الذى يسود العالم .. ولسنا ندرى من هم الارهابيون الحقيقيون .. هم أولئك الذين يشعلون النار فى كل مكان .. وينشرون الحروب بين الدول الصغيرة .. أم هم أولئك الذين يدافعون عن حقوقهم ضد الظلم والارهاب الذى سلبهم حق الحياة .

ان كل فلسطينى هو ضحية مطامع الدول التى تهدر دمه لتكسب من وراء ذلك وتربح وتغنى .

الأستاذ / مصطفى أمين ..

فكرة !

يسألوننى هل مازلت متفائلا ؟ ! قلت مازلت متفائلا ومتفائلا جدا . مادمت أؤمن بالله وأعتقد أنه أقوى من أى ظالم . مادمت أؤمن بالشعب وأعتقد أنه أكبر من أى جبار . مادمنا نعترف بأخطائنا ونحاول أن نصححها . مادمنا نكشف عن أمراضنا ونعالجها .

اننى متفائل لأننى أعرف أن كل أزمة نصادفها هى أزمة مؤقتة . بلاد غيرنا واجهتها وتغلبت عليها . كوارث كثيرة نزلت بمصر ، وذهبت الكوارث وبقيت مصر .

عندما يجىء الليل أنتظر النهار . وعندما ينتشر الظلام أتوقع بزوغ الفجر . وعندما تشتد الأزمة أثق بأنها لابد أن تنفرج . وعندما يجىء الظلام أضىء شمعة ! .

الشدائد التى تحيط بنا ليست نهاية الدنيا وانما هى بدايتها . الكساد فى السوق لا يمكن أن يستمر . نستطيع أن نضاعف انتاجنا ونحسن أعمالنا ونحول الكسل والخمول الى انتاج ونشاط . ونضع الرجل المناسب فى مكانه الصحيح . ونفتح الطريق للأكفاء ونسده أمام المحاسيب والأقرباء ، ونستطيع أن نفتح عيوننا ونمسك بتلابيب كل من يستغل نفوذه أو يسلب أو ينهب أو ينصب . ممكن أن نفتح محاكم ليلية لنبت فى القضايا المكدسة عشرات السنين . ممكن أن نزيد ساعات العمل . ونعطى ساعتين مجانا كل يوم لتسديد ديون مصر ممكن أن نعيد توزيع موظفى الحكومة فلا يبقى موظف جالسا على مكتبه يحل الكلمات المتقاطعة ، ولا يبقى موظف بغير كرسى وبغير مكتب . ممكن ألا تبقى ورقة واحدة فى الحكومة يوما واحدا بغير أن نبت فيها ، ولا تبقى مظلمة فى الدولة الا ونحقق فيها العدل وننفذ القانون . ممكن أن نجعل الذين يخدمون الجمهور يتأدبون فى معاملته فتتوقف الغطرسة وقلة الأدب فلا يشعر مواطن باهانة فى مكتب حكومى ، بل يحس أنه سيد يعامل معاملة السيد . وأنه مواطن لا رعية وأنه صاحب البلد لا غريب عنه .

الذى نطلبه ليس مستحيلا . فى يدنا وحدنا . لا يحتاج الى عملة صعبة . ولا يستدعى أن نطلب خبراء من الخارج . كل

ما هو مطلوب منا أن نفعل ما تفعل الدول المتحضرة التى تؤمن أنها اذا أهملت جاعت ، واذا عملت أكلت وشبعت .

فالعمل المتواصل والانتاج الجيد وحدهما هما طريقنا الى الرخاء،والحرية والديمقراطية هما النور الذى يضىء لنا الطريق . وأنا متفائل لأننى أعتقد أننا نسير فى النور ولن نعود الى الظلام . وصحيح أننا فى النور نرى كثيرا من الأخطاء . ولكنى لا أتفق مع الذين يرون أن الطريق لاخفاء الأخطاء هو اطفاء الأنوار . اننى أرى أن القضاء على الأخطاء ، يكون باصلاح الأخطاء وتلافيها ، ونقدها واعلانها للناس ! .

ثقوا بالشعب يصنع المستحيل .
ويخطىء الذين يتصورون أن الشمس ستأخذ اجازة ! .

الأستاذ / أنيس منصور ..

مواقف

توقعت فى هذا المكان ان تسكت وسائل الاعلام كلها : لا حس ولا خبر

عن انتشار المخدرات فى مصر بين الصغار والكبار .

فهل معنى ذلك أننا حللنا المشكلة بأن سددنا الطريق برا وبحرا ضد التجار وألقينا القبض على كل المدمنين والمبتدئين ؟ هل الآباء أحرقوا أصابع أولادهم وبناتهم ؟ هل انتهى كل شىء واختفى المسحوق الأبيض والدخان الأزرق من كل مكان ؟ .

ان التاريخ القريب يؤكد لنا أنه ما لم « نغلظ » العقوبة على التاجر والمتعاطى مرة واحدة والى الأبد ، فلا معنى للشكوى والبكاء على حاضر ومستقبل مصر .

فقد اشتعلت النار فى كل بيت وكل قلم وكل ميكروفون . ثم خمدكل شىء .

ومنذ أيام رأيت ندوة فى القناة الثالثة للتليفزيون عن الفزع الذى أصاب طلبة الجامعة من مرض « الايدز » مما استوجب أن يجىء أطباء مختصون يشرحون ذلك ويهدئون خواطر الجميع . لا مانع أن يعرف الطلبة والمشاهدون ما هو هذا المرض وكيف ينتقل وما هى وسائل العلاج . ولا مانع ولا كلمة عن المخدرات — مع أنها أكثر انتشارا بين الطلبة وبين المستمعين . وأن هذا مؤكد وان الشفاء ممكن فى أى وقت . فالداء معروف والقضاء عليه معروف .

ولكن هذه حالنا عادة : نثور ونقلب الدنيا ، ونتلفت حولنا خوفا وفزعا .. وتمتلىء الصحف والميكروفونات والكاميرات والجامعات ، ثم بعد ذلك صمت رهيب مريب .

وهكذا يكون الاسراف فى الكلام سببا ضروريا للسكوت . ولا يكون السكوت علامة الرضا ، وانما هو دليل على القرف من الكلام ومن التشخيص ومن العلاج أيضا ! .

المشاعر السامية ، والقيم والاحتشام والاحترام ، والسخاء الى غير ذلك مما يفتقده الانسان فى العالم المادى الملحد .

والمؤلف بذلك المنهج الجديد الذى عرض به الاسلام يستجيب لحاجة العصر فى أسلوب الدعوة والحجاج ، فيخاطب العقل العصرى باللغة التى يعشقها والتى يخيل اليه أنها وحدها اللغة المثلى فى التفكير والاقناع .

وقد وفق المؤلف أيما توفيق فى اختيار منهجه ، كما وفق فى الوفاء بما يلتزمه من الحجج الموضوعية العقلية الهادئة .

والمؤلف بذلك يقدم برهانا على أن الاسلام يكفل للبشرية فى كل بيئاتها وعصورها ما تحتاج اليه من مقومات الحياة ، وأن هذا الدين لا يمكن أن تؤثر فيه الأعاصير مهما اشتدت .

وعلى الاجمال أستطيع أن أقرر أن الكتاب بمنهجه يمثل هدفين نسعى اليهما فى هذا العصر .

أما أولهما : فهو أن يطمئن الشباب المسلم الى أن روح الاسلام طاقة مستمدة من القوة الأبدية .

وأما ثانيهما : فهو أن يأخذ الدعاة المسلمون أنفسهم — وأخص منهم الشباب — بهذا المنهج فى الدعوة .

وصدق الله العظيم : « **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** » .

دكتور / ابراهيم محمد اسماعيل عوضين

بين الجاحظ وأبى حيان التوحيدى — بقية

قال يسرا قالت الأيام عسرا،عاش فقيرا موتورا .. والمرء مهما أوتى من عقل سليم ، وأخلاق فاضلة ، لا يخرج عن كونه محصول مسكنه وهوائه ، ومدرسته وأساتذته وأقرانه ،وعنوان ما تأثر به روحه منذ وعى على نفسه » (١) وأدرك ما يحيط به من صروف الحياة .

نتساءل :

أكان كل القوم حينئذ يفتقر الاستعداد ، ويفتقر الى ذهن يؤهله لأن يفهم التوحيدى على حقيقته ؟

أم كان اذا فهمه أحد ، أو حاول اظهار فضله أو بعضه نكت فى عيشه ، وضيق عليه فى رزقه، وأخذت عليه سبل حياته ، نتيجة حتمية لسيطرة الوزيرين وشدة تحكمهما ، ومن جراء بغضهما العنيد لمثل هذا الرجل العظيم ؟

انها — فى يقينى — أمور واردة مرجحة الوقوع وبرغمها وصل صاحبى الى ما عرفت من المكانة وحظى بما لم يحظ به كثير من المتزلفين .

فأن يفوق أستاذه الجاحظ فى أكثر من أمر ، هو شىء لا غرابة فيه ، وتفوقه هذا وتبريزه لايقدح فى قدرات الجاحظ ، ولا يحط من ذلك المقدار ، بل ربما زاده رفعة وتشريفا ، ناهيك بما دبجه التوحيدى فيه وكشف عن فضله فى مختلف الفنون .

د .حامد الخطيب

(١) ٢ — ٥٤٥ أمراء البيان للاستاذ محمد كرد على .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة

الشعر والشعراء

اللغة والأدب والنقد

القسم الانجليزى

مراجعة وعناوين داخلية

which was emphasized in the Salaf's definition of the world. The second concept was "absolute non existence" or "nothingness" which was emphasized by defining the "thing" before talking about substance and accident. Thus substance and accident had attained for the "mutakallimun" a special significance completely different to what characterised these two terms in Greek thought where they were characterised by "substrate" and "form". The "Mutakallimun's" treatment of substance and accident have made them two concepts that were in complete harmony with the Islamic principles. Other than the definitions mentioned above, there were very clear indicators about the Muslim's opinions concerning these two concepts.

"to be continued"

References

1) "Principles (Usul) of Religion" by Abdul Qadir Al-Baghdadi. P. 11.

2) "Glowing proofs of the bases of the creeds of the Sunnis and the Islamic Groups", by Al-Guwaini P. 76 (Verified by Dr. Fawkia Hussein Mahmoud).

3) "Guidence to irrevocable proofs of the bases of belief" by Al-Gwaini (Verified by D.M.Y. Moussa et,al.)P. 17.

4) The comprehensive book of the bases of religion BY Al-Gwaini- A copy of the manuscript No. 1290, "Kelam" Egyptian Library. Plate 23.

equal in their significance,,what is other than God has substance and accident.

Thus the Islamic concept of the world lies behind the "Mutakallimun"'s use of the terms substance and accident. This concept is used to give a method of proving contingency dependent on two terms which are alien to Islamic heritage.

In the discussions of the "Sunnite Mutakallimun" the "thing" is defined as the "existent" such that the exsitent is the thing and the thing is the existent. The "Sunnite Mutakallimun" in contradistinction to the "Mutazalites" refused to define the "thing" as "what is known" because "what is known" may include the concept of "nothingness" or non-existance . The aim of the "Sunnite Mutakallimun" was to show that non-existence is not a"thing" because if it were a thing, it may be an existence rather than a non-existence. In the "Mutazalite" definition, there was left the possibility of misunderstanding that the world is ancient (uncreated), and that God merely "made" things. The "Sunnite Mutakallimun" insisted that God created "things" from "nothingness". God's ability is characterised by producing things out of nothing,and not out of matter of "previous existence" such as the intellectual substrate (Hayaula) of the Greeks from which the existence of objects was thought to be derived.

The "Mutakallimun" at the beginning of their discussion emphasized two very important concepts which show the Islamic origin of their thought as distinct from Greek origin. The first concept was "contingency"

titude was shown since the very beginning by two main criteria.

First, the "Mutakallimun" provided a definition of the world or universe that represented the opinion of the early theological thinkers (the Salaf), before using the definition which includes the terms substance and accident that were used by the later theological thinkers (the Khalaf). Second, the "Mutakallimun" used the concept of (Shai-thing) before dealing with the terms substance and accident in their system of proving the contingency of the world.

The definition of the world for the Salaf was the world is every being "other than" God. This definition points to two types of existence; namely God (glorified be his name) and the world. This hint does not talk of these two as equals, but shown the difference by using the words "other than". The Salaf have realised this differentiation, and the Khalaf took it from them, and explained it in this definition : "Beings are of two types", one of which has no beginning and no coming into being, that is God (glorified be his name), but the other has a beginning, that is, a coming into being namely "the world".

Therefore, what is "other than God", is the being which has a beginning (is created). This does not apply to God, who has no beginning and who has not been created. Substance and accident belong to beings that have a beginning and a creation. The "Mutakallimun" have clearly said that the two definitions of the world are

nt the analytical components and facts about these existing objects. This was the case with Greek thinkers. Thus substance and accident in the Greek attitude have an existential significance, despite the fact that they have never crossed the barriers of the mind, because they are just intellectual meanings.

The researcher in the second uses the terms substance and accident as a means rather than an end. This attitude does not use substance and accident to explain existence, but uses them as two mental divisions of an existing object to prove its contingency. The two divisions are related to each other and help, together with other definitions in proving the religious fact of creation and denying that the universe is uncreated or ancient as Aristotle puts it.

This means that substance and accident in the definition of the world were not used by the "Mutakallimun" in pursuit of theory that explains external reality or existence in general, as was the case with Greek philosophers. They used these two expressions as tools to serve religious understanding. That was the reason why the "Mutakallimun" used this definition at a very special level, completely different from Greek thought. The "Mutakallimun" abstained from explaining the world, and aimed at defining their attitudes in using the terms substance and accident . Despite this fact, they were keen on showing their attitude towards the external world, as a world that has its own existance, irrespective of the knowing subject. This at-

Islamic Theology after the First Century of Hijra "Continued"

By: Dr. Fawkia Hussein Mahmoud.

The attitude of the "Mutakallimun" towards alien concepts was anatagonistic, involuntarly handling these concepts in defence of religion. The opponents of religion had introduced the concepts of substance and accident in order to destroy the bases of belief. The Muslim thinkers faced them to defend their beliefs by using the same weapon, that of philosophical conceptualisation.

The reason why the "Mutakallimun" dealt with these alien concepts was not to explain nor to justify existance; but rather to establish belief by proving that this world is contingent e.g that it has a creator. There is quite a difference between these two attitudes. One attitude believes that there is substance and accident in order to explain the universe intellectually . The second uses substance and accident in order to form a mental construction for the purpose of proving the contingency of the world.

The researcher in the first takes the attitude of scholar who aims at conceiving the truth about existing objects. He ends with conclusions that represe-

Let us pray that we are favoured with the blessing of the continuous remembrance of Allah, by utterance of his Holy names and by the recitation of the Holy Quran.

Abstracts taken from an original article by Dr. Taha Abou Kerashah. Published in the Al-Azhar Magazine, Volume 57, Page 2007, September 1985. (Zu Al-Hijja. 1405 H).

charity out of what we have bestowed
upon them".

(Surat Al Hajj, XXII, 34, 35)

The contexts of those verses indicate remembering Allah is a universal demand from humanity and a requirement to be practiced. However ,the Muslim nation is expected to comply with further more objective requirements in the quality of their devotion and rememberance of Allah. such necessitate humility before the greatness of Allah to make them receptive to Allah's message. Fear of Allah is akin to love which touches the heart and penetrates into the innermost depths of the self. Their life should be a continuous portray of self discipline righteousness patience and constancy. Gratitude to Allah is shown in the practical act of charity to all fellow creatures.

The remembrance of Allah in utterance is in fact an act denoting the omni-presence of Allah and the Supreme power of the Creator , and a total acceptance and recognition of the words of the Holy Revelation of the Quran. It is also a total acceptance that the code of Allah to humanity is the true and right code without error or fault. It is the way of the pious that prevents the subtle whispers of the devil to divert man from the correct true path. it is the practice of total adherance to the presence of Allah.

feelings he ascends to higher levels of piety and submission to Allah.

Pilgrimage is performed as an answer to the orders of Allah. This performance of the duty of pilgrimage must be with sacredness. The pilgrim must exceed the forms and shapes of his performance to what is behind the real meaning of Pilgirmage. This entails obedience and submission to the orders of Allah in sincerity and adoration above infallibility.

The continual remembrance of Allah is not a symbol or a motto, but it is a complete prefatory which is central to the greatness of the Creator and an absolute confession of belief in Allah ,and in the revelation of the Holy Quran to the Prophet Mohammad (prayers and peace be upon him). The text of the Holy Quran states :-

> "To every people did we appoint rites of sacrifice, that they might celebrate the name of Allah over the sustenance, He gave them from animals. But your God is One God, submit then your wills to him (in Islam) and give the good news to those who humble themseleves. To those whose hearts when Allah is mentioned are filled with fear; who show patient perseverance over their afflictions, and those who keep up regular prayer, and spend in

standing on the mount Arafat and during the passage through Muzdalifa on the way to Mena. With the various stages and places of pilgrimage, the remembrance of Allah takes different patterns and forms. At the start of Pilgrimage it takes the form of appraisal and commomoration, later it takes the form of asking mercy, forgiveness repentance and empancepation. Such acts of remembrance of Allah must be done wholeheartedly with spiritual honesty and purity. This continual rememberance of Allah is a manner of thanksgiving to Allah for the supreme blessing of faith, without which humanity would live in the abyss of dark ignorance, and would be slave to the carnal demands without spiritual refinement.

When the performance of Pilgrimage are finished, Pilgrims should not divert from the remembrance of Allah. Their hearts should be passionately attached in continual remembrance. Through that belief, the balances of aims and objects are made clear; and man must not become captived by the earthly world, and should form an equilibrium between the earthly world, his spirit, and the life in the hereafter.

The days spent at Mena are three days after slaughter (of cattle), the pilgrim could be contented with two days or may complete the three days. This must be accompained by piety , faith and continuous rememberance of Allah. In the utterance, piety and faith are the shield by which the believer protects himself against slipping away from the circle of obedience to Allah by continual remembrance . Through that frame, the Muslim feels the taste of guidance and blessing, and with such

And proclaim the pilgrimage among men.
They will come to thee on foot and mounted on every kind of mount, lean on account of journeys through deep and distant mountain highways;
that they may witness the benefits provided for them and celebrate the name of Allah through the days appointed, over the cattle which He has provided for them (for sacrifice) : then eat ye thereof and feed the distressed ones in want. Then let them complete the rites prescribed for them, perform their vows , and again circumbulate the Ancient House).

(Surat All-Hajj, XXII, 26-29)

These verses from the Quran pertaining to Al-Hajj indicate the grand purpose of sanctifiying the House of Allah as a place of worship. They also indicate that worship should be paid only to Allah. The verses continue to indicate that the purpose of this grand assembly of people at the time of pilgrimage is to celebrate the name of Allah and continually remember it in utterance through certain appointed days. In the classical interpretation of "appointed" days" , these denote the first ten days of the month of pilgrimage (Zu Al Hijja). These days are credited with great favour as explained in the Honourable Hadith.

The Holy Quran points distinctly to the several stages of pilgrimage where the remembrance of Allah becomes dutiful and necessary. Such places are the

Pilgrimage and Remembrance of Allah

By Ismail Moustafa Kira

Al - Hajj (Pilgrimage) as prescribed in the Holy Quran is always ascertained to be accompanied by certain rituals and duties that are most important to be recognised during the performance of pilgrimage. Besides such specific duties, there is one other matter which is always stressed upon. That matter is the continual remembrance of Allah in utterance and declaration, that Allah is One and the only worshipped. This remembrance is continuous and renewed hour after hour, place after place during all performances and persuals of the rituals of Pilgrimage.

The grand assembly and consortium of people from every kind, race, and colour, and the accumulation of their hearts and tongues, gathering and unified towards continual remembrance of Allah in humble submission and solemnity. This prevailing renewal of spiritual elevation and purity under the standard of belief that Allah is the Supreme Almighty Creator, providing a code for humanity to be in excellence. The Holy Quran states :-

> "Behold! we gave the sight to Ibrahim of the Sacred House, saying associate not anything in worship with Me and sanctify My House for those who compass it round or stand up or bow or prostrate themselves

during battle. This motivated and instigated several hundreds of them to decalre Islam and join in the spreading creed. The tribe of Koraysh in Macca came under the understanding that the high influence of Muslims was lost at Muatah, and that the Muslims lost their class of authority. This fatal understanding made them sever the terms of the truce of Al-Hudaibiah . This made the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) free from the obligations of the terms of that truce .

Prayers and peace upon our Magnanimous prophet.

Al-Akhar of the eighth year of Hijrah and it certainly reinstated the Muslim prestige north of Al-Madinah.

In the month of Rajab of the eighth year, another expedition was missioned under the command of Abu-Ubaidah Ibn Al-Garah with three hundred men to face the tribe of Gahinah living by the coast

The party reached the coast and remained for two weeks without facing any tribal gathering.

They ran out of provisions of food and had to eat herbs. When they encountered no enemy, they returned to Al-Madinah . They had obtained food by catching a huge whale.

The repercussions and after effects of the battle of Muatah was very different according to the various groups that considered the matter. The Roman leaders were certainly content that the Muslim troops returned to Al-Madinah without engaging in further combat. They experienced the bravery of Muslims and the injury they could inflict even when highly outnumbered. The Muslims on the other hand were affected by mixed feelings; they certainly preferred to have defeated the roman and tribal arab armies; but because they were greatly outnumbered, they were content with their safe return as victory. However, there was deep sadness prevailing at Al-Madinah for the death of Zaid Ibn Harithah, Gafar Ibn Abi Taleb, and Abdullah Ibn Rawahah. The Arab tribes fighting on the side of the Romans were very highly impressed by the bravery and skill in combat of the Muslims and their strategy in performance

Rawahah. His personal condolences were given to Asma Bent Umais wife of Gafar, and with tears in his eyes kissed her children. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) instructed Asma how to mourn her husband according to the Shariah of Islam, and as prescribed by the Holy Quran about how a woman should conduct herself in the case of death of her husband, in all aspects of the situation, Asma Bent Umais was later married to Abu Bakre, and later after his death was married to Aly Ibn Abi Taleb. She had children from three of her husbands .

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) desired to reinstate the reputation of the Muslims north of Al-Madinah ,and for that purpose, Amre Ibn Al-Aas was ordered to command three hundred men to summon the Arab tribes of the north to Islam. He reached the water wells of the tribe of Khuzam at a place called Al-Salsal. There ,he feared to engage himself in battle, and sent for reinforcements. These arrived numbering two hundred men commanded by Abu-Ubaidah Ibn Al-Garah and among the men commanded by Abu-Ubaidah Ibn Al-Garah and among the men were Abu Bakre and Omar Ibn Al-Khatab, with instructions to submission to Amre Ibn- Al-Aas and not to differ with him. This was very necessary indeed, since this reinforcement included early Muslims of Muhagereen of great esteem. They engaged with the enemy and compelled their retreat and dispersed. Amre gave orders not to follow the retreating tribes to avoid penetration into enemy land for fear of ambush. The party returned to Al-Madinah victoriously. This expedition of Al-Salsal was in Jumad

dexterity in battle command made him realise that face to face combat in this situation was futile; and gave his orders to circle round and gather without involving in actual combat. He remained in that manner of skirmish till nightfall when both armies put down their arms till morning . During the night, Khalid Ibn Al-Waleed rearranged his troops and changed his strategy by reversing the positions of the men. He made the right flank become the left, and the left flank become the right; the rear to be infront ,and the front become the rear. In the morning, the enemy thought that the Muslims army was reinforced and consequently became very reluctant to attack. Khalid Ibn Al-Waleed also did not attack but kept his ground with appearances of strength and confidence. Both armies eventually left the battle ground and the Muslims returned to Al-Madinah certainly in victory by being saved from certain defeat if they had engaged the enemy. Such success was due to the excellent command of Khalid Ibn Al-Waleed. Some authors report that on the second day of battle, the Muslims under Khalid Ibn Al-Waleed attacked the enemy in combat and compelled their retreat, but did not pursue the retreating Roman forces. Whatever the exact events were, it was certainly a triumph for the Muslim army to be saved disaster and misfortune; and returned to Al-Madinah in safe ranks with minimal losses considering the multitude of the enemy forces and the numbers of their casualties.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) received the returning troops with much satisfaction inspite of his deep sadness for the death of Zaid Ibn Harithah, Gafar Ibn Abi Taleb and Abdullah Ibn

ibal troops. The Muslims fought fervently and zeal penetrating through enemy lines with daring courage causing real damage among the rank and columns. However, the mammoth gigantic bulk of the consolidated troops could bear the quick sporadic stab injuries by the rapid Muslim assaults.

The dominating power was eventually with the colossal masses; and the tide of battle was very much in their favour. Zaid Ibn Harithah was killed in battle, and so were Gafar Ibn Taleb and Abdullah Ibn Rawahah. Never before in the history of mankind in battle has so much been spent in want and desire for victory or martyrdom as has been spent by these men They demonstrated the supreme example of how human life can become so cheap a price to give gallantly and without hesitation to establish the roots of real faith and belief. It has been related in the details of the literature that the bodies of these men and others who had fallen in battle suffered several deadly wounds; both arms of Gafar Ibn Abi Taleb were found amputated. The situation of the Muslims was gravely distressing, and after the fall of the three commanders Thabet Ibn Arqam from Bani Al-Aglan took the banner and declared among the men to choose a man to command them, as instructed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The men chose Khalid Ibn Al-Waleed to command them, he had joined the men going to Muatah. Khalid Ibn Al-Waleed took the banner and commanded the men.

This was the first time for Khalid Ibn Al-Waleed to command Muslim troops. His well reputed proficient

that if he is killed, then it is Gafar Ibn Abi Taleb, and if he is killed; then it is Abdullah Ibn Rawahah, and if he is killed; then it is left for the men to choose one man from amongst them to command. The instructions were to summon people to Islam and the word of Allah; not to kill women or children or the elderly; not to cut trees or destroy property. The march north of three thousand men started in Jumad Al- Awal in the eighth year of Hijra, and the men reached the Syrian borders at Maan. The news of the march reached the Romans in Syria and the Arab tribes resident around the Syrian borders as the tribes of Lokhem, Khuzam , Al-Yakin, Bahra and others. The Roman troops togeter with men from these tribes gathered in more than hundred thousand men to face the Muslims at Maan.

The Muslims remained at Maan for two nights considering the situation of how to face the massive forces marching towards them. The consensus of opinion was to inform the Prophet(prayers and peace from Allah Upon him) of the situation and wait for instructions. However, Abdullah Ibn Rawahah came up with an audacious defiant opinion, stating that they were out to face the horrors of battle and the triumph of either victory or the glory of martyrdom. This boldness of opinion found acceptance unanimously, and the Muslims marched out of Maan to meet the combined massive forces of the Romans and Northern Arab tribes at the village of Masharef. When the Muslims envisaged the situation, they reclined to the village of Muatah as a better ground for battle strategically. At Muatah, the battle started between three thousand Muslims and more than one hundred thousand Roman and Arab tr-

The Battle of Muatah

BY: Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR MD, PHd.

One year had elapsed since the Truce of Al-Hudaibiah, and the accomplishment of the Umra of Al-Qada which firmly established the terms of the Truce of Al-Hudaibiah between the Muslims and Koraysh. This resulted in the fact that the long lived conflict between the Muslims and Koraysh had reached a situation of pacification and detente. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) desired to safeguard the northen territories of the Arab peninsula occupied at the time by the colossals of the Roman Empire. This inistigated by the murder of Al-Harith Ibn Umair Al-Azdi the envoy of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to the king of Basra, and also by the murder of fifteen Muslims at Al-Talh on the Syrian borders. Some authors state that the normal spread of Islam outside the Arab peninsula was towards the north. Whatever the reasons were, the activity of the Muslims at Al-Madinah was now by the beginning of the eighth year after Hijra certainly directed to the north.

The Prophet (prayers and peace form Allah upon him) summoned his companions to rally north to the Syrian borders. Three thousand men gathered for that expedition including several outstanding companions. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) deputised Zaid Ibn Harithah to command, and dictated

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى الأزهر

تعاقبت حكومات مصر - على مناهجها المختلفة - متفقة على احترام كلمة الأزهر، وتنفيذ ما أرادت من نهجه، لكن لم يحدث أن حاولت إحداها أن تقطع الطريق على فتوى أفتاها، أو تأخذ عليه السبيل في إذاعتها، أو تجعلها مناط دراسة تؤخذ و ترد.

وإنما كان ذلك لأن الأزهر عاش لله ورسوله ثم لهذا العلم، ولهذا الجوهر العلمي عَمِلَ لا يبتغي جزاء ولا شكورا، فلم يُصدر عن دنيا، ولم يُفْتِ عن جزاف.

• الجزء السادس •

• السنة الثامنة والخمسون •

• جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ •

• فبراير/مارس ١٩٨٦م •

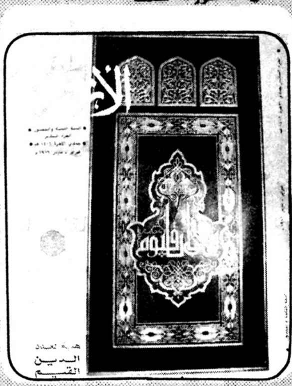
الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

• صورة الغلاف



من الفن الإسلامي

فتوى الأزهر

لهذا استقبل المسلمون عامة فتوى الأزهر الصادرة فى ١٥ / ٥ / ١٩٨٥ م راضين شاكرين لله هذا التوفيق الذى جاء مصداقا لدينهم ولمشاعرهم القومية الخالصة بالطاعة لله - سبحانه - ولرسوله - صلى الله عليه وسلم ، ثم بالحب الخالص لأوطانهم الجريحة .

كانت الفتوى بيانا بتحريم عضوية المسلم لبعض النوادى التى عسعست فى بعض البلاد الاسلامية ، ووضعت مراكزها بها فى هذا القرن تحمل أسماء ليست من لغتنا لنوادٍ لا مضمون لها من قومية ديننا ، إنما هى فروع غريبة عنا تستسقى مواردها من وراء البحار ، قامت أساسا يرأسها قوم نُنكرهم ويُنكروننا ثم خلصت من بعدهم لأشباههم المخلصين لأصولها ، فَتَوَلَّوْا قوما غَضِبَ اللهُ عليهم يُسِرُّونَ إليهم بالمودة ، ويحادون بها الله ورسوله والمؤمنين مهما ألقوا بها من محاضرات فى الدين والذكر الحكيم؛ فإنما هى مسجد « الضرار ».

ولقد نجح كثير من إخواننا العرب فصكوا ديارهم فى وجوههم فلا تسمع لها بأوطانهم حسًا ، ولا يرتفع لها فيهم شعارا .

وطافت الفتوى بالعالم أجمع حملها البريد إلى أقصى من ماليزيا شرقا ، والبرازيل غربا فجاء القوم يهددون ويرعدون ثم صمتوا وفاجأونا بتكثيف جهودهم وحفلاتهم ..

لكن الفتوى قائمة والتحريم موجود .

ترى :

هل تتكرر الأحداث ..؟

أذكر ، ويذكر من القراء من عاش فى الخمسينيات حَدَثًا أبطاله ثلاثة :

« سيسل دى ميل » الذى حضر إلى مصر ليخرج جزءا من « فيلم » الوصايا العشر .

و « الفريد ليلنتال » الكاتب اليهودى الذى نادى فى العرب يحذرهم أن هذا « الفيلم » خدمة للأهداف الصهيونية .

وثالثهم ... أكبر مسئول فى « النيل » للإعلام ، وكان مقرها بالقاهرة شارع الجمهورية - إبراهيم سابقا - أدلى بتصريح قال فيه : إن هذا عمل فنى بعيد عن الأهداف الصهيونية .

انتهت قصة الحدث .

« إن الله مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ »

الجيد

بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف - (عن:)

البهائية والبهائيين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعـــد :

فقد ظهرت البابية أو البهائية فى بلاد فارس: بدعة نشرها نفر من الخارجين على الاسلام ، بل وعن سائر الديانات السماوية الأخرى . وقد حمل وزرها رجل يدعى : « ميرزا على محمد الشيرازى » الذى أطلق على نفسه لقب (الباب) أى الواسطة الموصلة الى الحقيقة الالهية ، وكان هذا اللقب من قبل شائعا عند الشيعة التى ظهرت بينها هذه البدعة مأخوذة من حديث الترمذى « أنا مدينة العلم وعلى بابها »

ومن ثم أطلق على هذه البدعة (البابية) .

ثم كان من خلفاء هذا المبتدع اسمه (حسين نورى) أطلق على نفسه لقب (بهاء الله) وأطلق على هذه البدعة اسم (البهائية) .

وكان من آخر زعمائها وأشهرهم (عباس أفندى عبد البهاء) . المتوفى عام ١٩٢٣ ثم (شوقى أفندى الربانى) المتوفى عام ١٩٥٧ .

ولقد كان مصير صاحب هذه البدعة الأول القتل فى عام ١٨٥٠ م بمعرفة الحكومة الايرانية القائمة فى ذلك الوقت ، استجابة لآراء العلماء والفقهاء الذين أفتوا بردته عن الاسلام .

كما نفت حكومة إيران خليفته ميرزا (حسين على نورى) الى تركيا حيث انتقل الى أرض فلسطين ومات فيها ودفن فى حيفا عام ١٨٩٢ م .

٥

والبابية أو البهائية فكر خليط من فلسفات وأديان متعددة ، ليس فيها جديد تحتاجه الأمة الاسلامية لاصلاح شأنها وجمع شملها ، بل وضح أنها تعمل لخدمة الصهيونية والاستعمار ، فهى سليلة أفكار ونحل ابتليت بها الأمة الإسلامية حربا على الإسلام وباسم الدين .

ومبادىء هذه البدعة كلها منافية للاسلام ومن أبرزها : -

١ - القول بالحلول بمعنى : أن الله سبحانه وتعالى بعد ظهوره فى الأئمة الاثنى عشر وهم أئمة الشيعة - ظهر فى شخص اسمه (أحمدالاحسائى) ثم فى شخص الباب ثم فى أشخاص من تزعموا هذه الدعوة من بعده .

- ولقد ادعى " بهاء الله " أولا : أنه الباب ، ثم ادعى أنه المهدى ، ثم ادعى النبوة الخاصة ، ثم ادعى النبوة العامة ، ثم الألوهية . وذلك كله باطل ومخالف لنصوص القرآن الكريم .

فالله سبحانه منزه عن المكان وبالتالى عن الحلول ، وادعاء النبوة تكذيب للقرآن الكريم أو جحود له إذ قال الله سبحانه (**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**) .

٢ - جحود البهائيين (يوم القيامة) المعروف فى الاسلام ، ويقولون ان المراد به ، ظهور المظهر الالهى ، وأن الجنة هى الحياة الروحانية .وأن النار هى الموت الروحانى .

٣ - ادعاء بعضهم نزول الوحى عليهم وأن بعضهم أفضل من سيدنا محمد ﷺ ووضعهم كتبا تعارض القرآن ، وادعاء أن إعجازها أكبر من اعجاز القرآن .

وتلك قضايا يضللون بها الناس ، ويصرفونهم عما جاء به القرآن فى شأن كل أفاق أثيم .

٤ - ادعاء أن بدعتهم هذه بتطوراتها منذ نشأت ناسخة لجميع الأديان .

٥ - الاسراف فى تأويل القرآن والميل بآياته الى ما يوافق مذهبهم ، حتى شرعوا من الأحكام ما يخالف ما أجمع عليه المسلمون من ذلك أنهم :

١ - جعلوا الصلاة تسع ركعات والقبلة حيث يكون بهاء الله ء وهم يتجهون الى حيفا بدلا من المسجد الحرام مخالفين قول الله سبحانه وتعالى . (**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**) ..

إذ صارت قبلة المسلمين هذه أمرا معلوما من الدين بالضرورة لا يحل لمسلم إنكاره أو التحول عن هذه القبلة ، وكذلك عدد الصلوات ومواقيتها وركعاتها وسجداتها وما يتلى فيها من القرآن ، وما يبدى فيها من دعاء كل ذلك مجمع عليه من المسلمين بعد ثبوته ومعلوم من الدين بالضرورة .

٢ - إبطال الحج إلى مكة ، وحجهم حيث (بهاء الله) إلى حيفا مخالفين بهذا صريح القرآن الكريم فى شأن فريضة الحج .

٣ - تقديسهم العدد ١٩ ووضع تفريعات كثيرة عليه فهم يقولون : الصوم تسعة عشر يوما بالمخالفة لنصوص القرآن فى الصوم وأنه مفروض به صيام شهر رمضان .

ويقولون : إن السنة تسعة عشر شهرا ، والشهر تسعة عشر يوما ، مخالفين قول الله سبحانه : " **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِى كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ** " وقول الله تعالى : " **يَسْأَلُونَكَ عَنِ**

الاهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ والْحَجِّ " ومخالفين الأمر المحسوس المحسوب أن الشهر القمرى إما تسعة وعشرون يوما وإما ثلاثون يوما ، وهو أيضا ما أنبأ به الرسول محمد ﷺ .

٤ – إلغاؤهم فريضة الجهاد ضد الأعداء الثابتة بصريح القرآن ، وصحيح السنة النبوية ودعوتهم هذه قضاء على الأمة الاسلامية ، بل وعلى كل دولة من دولها ، إذ فى الاستجابة لها قضاء على روح الكفاح ودعوة إلى الاستسلام للمستعمرين والمغامرين ، وهذا ما يؤكد انتماءهم للصهيونية العالمية ، بل وأنهم نبت يعيش فى ظلها وبأموالها وجاهها .

مقاومة المجتمع الاسلامى لهذه البدعة :

لقد عارض الشعب الايرانى وعلماؤه وحكومته هذه البدعة حين ظهورها ، وناظروا مبتدعها الأول (الباب) وحكم عليه بالردة وأعدم فى تبريز فى شهر يولية سنة ١٨٥٠ .

وحين وفدت هذه البهائية إلى مصر قاومتها كل السلطات على الوجه التالى :–

أولا :

١ – أفتى الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر بكفر (ميرزا عباس) زعيم البهائيين ونشرت هذه الفتوى فى جريدة مصر الفتاة فى ١٩١٠/١٢/٢٧ بالعدد ٦٩٢ .

٢ – صدر حكم محكمة المحلة الكبرى الشرعية فى ١٩٤٦/٦/٣٠ بطلاق امرأة اعتنق زوجها البهائية باعتباره مرتدا .

٣ – أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر فى ١٩٤٧/٩/٢٣ ، وفى ١٩٤٩/٩/٣ فتويين بردة من يعتنق البهائية .

٤ – صدرت فتاوى دار الافتاء المصرية فى ١٩٣٩/٣/١١ ، وفى ١٩٦٨/٣/٢٥ ، وفى ١٩٥٠/٤/١٣ بأن البهائيين مرتدون عن الإسلام .

٥ – وأخيرا أجابت أمانة مجمع البحوث الإسلامية على استفسار نيابة أمن الدولة العليا عن حكم البهائية بأنها نحلة باطلة لخروجها عن الإسلام بدعوتها للإلحاد وللكفر ، وأن من يعتنقها يكون مرتدا عن الإسلام .

ثانيا : عندما سجل البهائيون محفلهم فى المحاكم المختلطة برقم ٧٧٦ فى ١٩٣٤/١٢/٢٦ م حاولوا أن يوجدوا لهم صفة الشرعية لكن الحكومة قاومتهم ويتضح هذا مما يلى :

١ – قدم المحفل الروحانى المركزى للبهائيين بمصر والسودان طلبا الى وزارة الشئون الاجتماعية لتسجيله ، وقد رفض هذا الطلب بناء على ما رأته إدارة قضايا الحكومة فى ١٩٤٧/٧/٥ كما رفض طلب صرف إعانة له من هذه الوزارة .

٢ – رأت إدارة الرأى بوزارتى الداخلية والشئون البلدية والقروية فى ١٩٥١/١٢/٨ أن فى قيام المحفل البهائى إخلالا بالأمن العام ، وأنه يمكن لوزارة الداخلية منع إقامة الشعائرالدينية الخاصة بالبهائيين

وقد تأيد هذا بما رآه مجلس الدولة فى ١٩٥٨/٥/٢٦ من عدم الموافقة على طبع إعلان دعاية لمذهب البهائية لأنه ينطوى على تبشير غير مشروع ، ودعوة سافرة للخروج على أحكام الدين الاسلامى ، وغيره من الأديان المعترف بها ، ورأى منع ذلك لمخالفته للنظام العام فى البلاد الإسلامية .

٣ – حكمت محكمة القضاء الادارى بمجلس الدولة فى مصر فى القضية رقم ١٩٥ لسنة ٤ ق بتاريخ ١٩٥٢/٥/٢٦ برفض دعوى أقامها

بيان لمجمع البحوث الإسلامية

بهائى وجاء فى تسبيب هذا الحكم تقريرها : أن البهائيين مرتدون عن الإسلام .

٤ - صدر القرار الجمهورى رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠ م ونص فى مادته الأولى على أنه : تحل المحافل البهائية ومراكزها الموجودة فى الجمهورية ويوقف نشاطها ويحظر على الأفراد والمؤسسات والهيئات القيام بأى نشاط مما كانت تباشره هذه المحافل والمراكز .

ونص فى مادته الأخيرة على تجريم كل مخالف وعقابه بالحبس والغرامة .

٥ - وتنفيذا لهذا القرار بقانون أصدر وزير الداخلية قراره الرقيم ١٠٦ لسنة ١٩٦٠ - بتاريخ ١٩٦٠/٧/٣١ بأيلولة أموال وموجودات المحافل البهائية ومراكزها إلى جمعية المحافظة على القرآن الكريم .

٦ - حكم بالحبس والغرامة فى القضية رقم ٣١٦ لسنة ١٩٦٥ على عناصر من أتباع البهائية لقيامهم بممارسة نشاطهم فى القاهرة ، كما قبض على غيرهم فى طنطا فى سنة ١٩٧٢ وكذلك فى سوهاج .

٧ - قبض على مجموعة منهم أخيرا فى فبراير سنة ١٩٨٥ برياسة أحد الصحفيين ، وقد اعترفوا بإيمانهم برسولهم بهاء الله وكتابهم المقدس ، وإن قبلتم جبل الكرمل بحيفا فى اسرائيل .

وقد وجهت إليهم تهمة مناهضة المبادىء الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم فى البلاد والترويج لأفكار متطرفة بقصد تحقير وازدراء الأديان السماوية الأخرى .

٨ - أوصى المؤتمرالعالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية بتحريم هذا المذهب وتجريم معتنقيه .. وبعد ..

فإن فيما تقدم تعرية للبهائيين وكشفا لخطوطها الفكرية الموجهة نحو العقيدة الإسلامية وجحودها بل وحربها الدائب منذ أكثر من قرن من الزمان على الإسلام والمسلمين ، وأنها تظاهر أعداء الأمة الإسلامية وتناصرهم فى القضاء على هذه الأمة وعلى الإسلام .

إن البهائيين (ودعوتهم هذه التى مرت بهذه التطورات ووجهت بتلك المقاومة فى البلاد التى نبتت فيها « ايران » حيث أعدم مبتدعها بوصفه مرتدا عن الإسلام ، ونفى خليفته) . ما زالوا مثابرين عليها .

وفى مصر صدرت الفتاوى من علماء الإسلام ، والأحكام من جهات القضاء المختلفة ثم الفتاوى القانونية المتعاقبة وكل أولئك قد أثموا هذا المذهب وحكموا ببطلانه .

ثم صدر القرار الجمهورى الذى حظر نشاط البهائية دون أن يجرمها بعقاب رادع ، يتساوى مع خطورتها على عقيدة الناس الإسلامية بل وعلى العقائد السماوية الأخرى بوجه عام - اليهودية والمسيحية .

ومن ثم أطلت الفتنة برأسها مرة أخرى وفى وقت تزاحمت فيه الأفكار الموفدة الفاسدة التى ساعدت على بروز طوائف من الجماعات كل له فكر شارد ، بل وادعى بعض الناس النبوة - وما تزال محاكمة هذا وذاك تسير الهوينى . وما زال المجتمع يترقب ما تسفر عنه هذه المحاكمات .

- إن مصر - وفيها الأزهر - الذى انعقدت لها به راية زعامة العالم الإسلامى ينبغى أن

يطارد فيها كل فكر منحرف عن الإسلام بكل الحزم حتى تظل فى مكان القيادة والريادة الإسلامية ،

– إن هذا المذهب البهائى وأمثاله من نوعيات الأوبئة الفكرية الفتاكة التى يجب أن تجند الدولة كل إمكانياتها لمكافحته والقضاء عليه .

– إذ أن عقيدة الإسلام وصيانتها لا تقل فى مرتبتها عن حماية الأجساد من الأوبئة المرضية التى تسارع الدولة لعلاجها بالحزم والحسم ، بل العقيدة أولى لأن فى صحتها نقاء الحياة وعبادة الله .

إن الأمة إذا افقدت عقيدتها انمحت ذاتيتها وغلبها أعداؤها .

إن مصر يجب أن تذكر دائما أنها قامت بالدفاع عن الإسلام وعن أرض المسلمين منذ دخلت فيه ، وأنها سبق أن استردت القدس وحررت فلسطين باسم الإسلام . لنذكر أن مصر

إنما حاربت فى رمضان سنة ١٣٩٣ هـ – أكتوبر ١٩٧٣ . تحت نداء الإسلام « الله أكبر » وبهذا النداء وتحت لوائه انتصرت ، وأن عليها

أن تطهر أرضها من هذه الأرجاس ، وأن تنفى عنها هذا الخبث ليستقيم بها الأمر وتظل باسم الإسلام ، رائدة ناهضة .

والأزهر يقرر :

إن الإسلام لا يقر أى ديانة أخرى غير ما أمرنا القرآن باحترامه ، فلا ينبغى ، بل يمتنع أن يكون فى مصر ديانة غير الإسلام ثم المسيحية

واليهودية لأن كل ديانة أخرى غير مشروعة ومخالفة للنظام العام .

وإن الأزهر ليهيب بالمسئولين فى جمهورية مصر العربية أن يقفوا بحزم ضد هذه الفئة الباغية على دين الله وعلى النظام العام لهذا المجتمع ، وأن ينفذوا حكم الله عليها ، ويسنوا القانون الذى يستأصلها ويهيل التراب عليها ،

وعلى أفكارها ، حماية للمواطنين جميعا من التردى فى هذه الأفكار المنحرفة عن صراط الله المستقيم .

إن هؤلاء الذين أجرموا فى حق الإسلام والوطن يجب أن يختفوا من الحياة لا أن يجاهروا بالخروج على الإسلام .

إن الأمر جد يدعو إلى المسارعة النشطة من السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية لإعمال شئونها ولنذكر دائما أن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

إن هذه الفتنة لم تحظ بالاهتمام المناسب مع أنها جريمة الجرائم من الكبائر فلنبادر إلى الدفاع عن حقوق الله التى تنتهك وتستباح ،

وعن دين الله الإسلام الذى يفتن الناس عنه بباطل من القول وزورا . وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .

ألا هل بلغ الأزهر ..
اللهـــم فاشهـــــد ..

شيخ الأزهر
ورئيس مجمع البحوث الإسلامية

(جاد الحق على جاد الحق)

نص رسالة فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

إلى مؤتمر الأقليات المسلمة

المنعقد في الرياض

لقد حملت إلينا الأنباء انعقاد المؤتمر العالمى السادس للندوة العالمية للشباب الاسلامى فى فترة لاحقة واختيار قضية الأقليات المسلمة فى العالم لتكون موضوع المؤتمر هذا العام .

ولقد كانت أمانة المؤتمر موفقة حين اختارت هذا الموضوع فى هذا الوقت بالذات ، لأن هذه القضية من أهم القضايا التى تواجه الاسلام والتى لابد من مواجهتها بما يضمن للأقليات المسلمة فى العالم كيانا اسلاميا مستقلا .

ويقينى أن المؤتمر باختياره هذه القضية سيتوصل بأخوتنا الدعاة والمفكرين والمشاركين فيه الى تنظيم أسلوب يمكن القائمين على أمر الدعوة الاسلامية من رعاية شباب الأقليات الاسلامية ثقافيا ودينيا وتبصيرهم بأمور الاسلام الصحيحة حتى لا تختلط عليهم بغيرها من أفكار البيئة التى يعيشون فيها .

وأمل أن يوفق الله المؤتمرين فيباعدوا بين الأقليات وبين الخلافات السائدة فى الشرق الاسلامى .

إذ كلها فى أغلبها خلافات شخصية تنبع من نزعات الحكام الذين قد يرون فى التوافق الاسلامى على المستوى العام طمسا لمعالمهم .

كما آمل أن يواجه المؤتمر مشكلات هذه الأقليات بعلاج من واقع الاسلام يكون حاسما وميسرا وعمليا وليس مجرد نصائح أو بيانات تصدر .

وأقترح على القائمين على المؤتمر وأعضائه أن يفكروا بجدية فى الوسائل التى تنمى الالتزام بالدين الاسلامى لـ دى شبابنا المسلم طواعية واختيارا ، وشرح القضايا المعاصرة بمنطق الإسلام وحكمه بما يميزه عن غيره من النظريات الاجتماعية والسياسية المتضاربة التى تسود العالم والتى يسوقها مبتدعوها كثقافة عالية الى العالم الاسلامى ليوقعوا الخلل فى صفوفه ، وليصرفوه بذلك عن التماس علاج علله الاجتماعية والسياسية من واقع أحكام الاسلام ومصدريه الأساسيين : القرآن والسنة .

إن الاعلام الخارجى يوجه سمومه النافذة الى الشباب لأنهم هم المستقبل للأمة الاسلامية فهم يفرغون صدورهم من مضمون الاسلام بأفكار قد تأخذ ثوب الاسلام ومظهره ولكنها فى واقعها هدم للقيم الاسلامية وللإسلام .

واننى على يقين من أن المؤتمر سيتحقق باذن الله من خلاله كل خير للأقليات المسلمة فى العالم ، وأبتهل الى الله أن يوفق القائمين عليه لكل خير ويكلل مساعيهم بالنجاح والتوفيق ..

شيخ الازهر

جاد الحق على جاد الحق

دراسات إسلامية

التوحيد عقيدة الفطرة الإنسانية

نشأة العقيدة الدينية

أول بيت وضع للناس

التوحيد

عقيدة الفطرة الإنسانية

إن سلامة العقل توجب احترام الحقائق ، وإدراك الواقع ، والوقوف بالظنون عند حدودها ، ورفض الأوهام ، وعدم الإيمان بالخرافات ، والإنسان بفطرته التى خلقه الله عليها يدرك وحدانية الاله مثلما هو يدرك بفطرته أن العدل جميل والظلم قبيح ، وأن العلم مفخرة والجهل معرة ، قال الله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّين حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) . (١)

فالناس كما خلقهم الله يولدون على فطرتهم فهم مستعدون لها مؤثرون لمنهجها يتدافعون فى مجراها تدافع الماء الى منحدره ، لكن العوائق المصطنعة هى التى تقطع عليهم طريقهم وتردهم عن وجهتهم ، يقول الله تعالى فى الحديث القدسى (إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فأجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا) (٢)

ويشير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بعض تلك العوائق بقوله (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (٣)

---

(١) سورة الروم ٣٠

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح النووى جـ ١٧ صـ ١٩٧ كتاب الجنة باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار

(٣) صحيح البخارى ومسلم

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

وراثة العقيدة

مما يثير الأسى أن الناس درجوا على هذه الأرض منذ وجدوا على وراثة العقيدة الإيمانية وتقليد الآباء والأجداد دون مواجهتها والبحث فيها مع أن الدين لم يكن فى يوم من الأيام إقرارا لأوضاع متبعة بائرة ولا انسياقا لطقوس قائمة ، وانما كان الدين اتساقا مع الفطرة دعوة الى الحق وثورة على الباطل ، ولو كانت العقيدة إرثا وتقليدا لما انتقل الناس من باطل الى حق ومن عبادة الأصنام والأحجار الى عبادة خالق الأرض والسموات ومن السجود للبشر الى السجود لرب البشر .

تبرم القلب بفطرته على الشرك

والقلب المشرق على فطرته يشق طريقه وسط الظلمات والأشواك متبرما بما ورث من عقائد الشرك أو الثنائية أو التثليث حتى يصل الى التوحيد الخالص فيعب من ينبوعه المتفجر ولا غرو فى ذلك فالتوحيد يعنى أنه « لا إله إلا الله » تلك الكلمة الطيبة التى شبهها الله فى قرآنه العظيم بالشجرة الطيبة قال تعالى (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) (١)

التوحيد دعا اليه كل الرسل والأنبياء

وكلمة التوحيد الخالدة « لا إله إلا الله » قالها كل نبى ورسول من الله ودعا اليها قومه منذ نزل آدم على هذه الأرض وحتى أكمل الله دينه وأتم نعمته على الناس جميعا بدين الإسلام .

١ – فهى أساس دعوة نوح عَليه السلامَ كما يفهم من قوله تعالى (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا الله إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**) (٢)

٢ – وهى دعوة هود عَليه السلامَ الى قومه عاد .

كما يفهم من قوله سبحانه (**وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ**) (٣)

٣ – وهى دعوة صالح عَليه السلامَ إلى قومه ثمود .

كما يفهم مَن قوله جل شأنه (**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُم مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ**

٥

(١) سورة ابراهيم ٢٤ ، ٢٥

(٢) سورة هود ٢٥ ، ٢٦

(٣) سورة هود ٥٠

وَاسْتَعْمَرَكُم فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُم تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ). (١)

٤ ـ وهى دعوة شعيب عليه السلامَ إلى قومه أهل مدين .

كما يشير الى ذلك قول الله تعالى « **وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** » . (٢)

٥ ـ وهى دعوة إبراهيمَ عليه السلامَ إلى قومه .

يقول الله تعالى فيما يقصه عنه « **وإِبْراهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّه وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنَ دوُنِ اللَّه أَوْ ثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاَ ، إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّه لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِزْقِ وَاعْبدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** » . (٣)

٦ ـ وهى دعوة موسىَ عليه السلامَ وأول كلام تلقاه عن الله

كما يشير إليه قوله جل شأنه فيما يقصه عنه لما توجه فى طريق عودته الى مصدر النار التى رآها « **فَلَمَّآ أَتِاهاَ نوُدِىَ ياموُسَىَ إِنىِّ أَنَا ربُّك فَاخلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوَى . وأنا اخْتَرْتُكَ فَاَسْتمِعْ لِماَ يُوحىَ ، إِنَّنى أَنَا اللَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا أنَا فاعْبُدْنىِ وَأقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى** » ((٤))

٧ ـ وهى رسالة المسيح بن مريمَ عليه السلامَ إلى قومه .

كما يفهم من قول الله تعالى فيما يقصه القرآن عنه فى دعوته الى قومه « **مَا قُلْتُ لَهُم إِلَّا مَاأمَرْتَنِى بِهِ أن اعْبُدُوا اللَّه رَبِّى وَربَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنْتَ الَّرقِيب عَلَيهِمْ وَأَنْتَ عَلَىَ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ** » . (٥)

٨ ـ وهى دعوة ورسالة خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ

وذلك فى دعوته الى الناس كافة إذ يقول تعالى فى كتابه الكريم هاديا ومرشدا ومعلما « **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه** » . (٦)

فكرة توحيد الاله غاية استهدفتها البشرية منذ القدم .

مما يثير الدهشة والعجب أن فكرة توحيد الاله وتنزيهه عن الشبه والمثيل

(١) سورة هود ٦١
(٢) سورة الأعراف ٨٥
(٣) سورة العنكبوت ١٦ - ١٧
(٤) سورة طه ١١ - ١٤
(٥) سورة المائدة ١١٧
(٦) سورة محمد ١٩

جنحت إليها البشرية على طول تاريخها الطويل ، فلم تكن قضية الرسالات السماوية وحدها بل هى قضية العقول المستنيرة وموضع عنايتها والدفاع عنها :

فقد وصل إليها الهنود أخيرا بعد أن كانوا يقولون بتعدد الآلهة التى وصلوا بعددها الى ثلثمائة وثلاثين ألفا فتخلصوا منها جميعا واقتصروا على إله واحد قالوا عنه إنه واحد لاشريك له فى الملك ولا يشبه أحدا من مخلوقاته وهو حى لا يموت ولا يحس جوعا ولا ظمأً وهو الذى يضطر الإنسان الى معرفته . (١)

أما فى بلاد الإغريق فقد انتهى (أفلاطون) الى القول بأن اللّٰه هو خالق الكون وأنه هو المثل الأعلى الذى يحب الخير لعباده .

كما أثبت (أرسطو) أن اللّٰه هو واجب الوجود لذاته وأنه واحد قديم لا يتغير ولا يتبدل .

أما المفكر (اكسينوفان) فقد دأب على محاربة الشرك بين الإغريق وجَدَّ فى دعوتهم إلى تنزيه اللّٰه عن المشابهة لمخلوقاته لأن اللّٰه منزه كل التنزيه عن أن يتصف بصفات البشر فلكى نحتفظ للألوهية بقدسيتها لابد أن ننزهها عن صفات الإنسان ، ولما كان اللّٰه هو الكمال المطلق فإنه يجب أن يكون واحدا لأن تعدد الآلهة يجعل بعضها يخضع لبعض وهذا لايتفق مع مقام الألوهية ، كما أن الإله ليس فى حاجة الى أن يتخذ أتباعا يعاونونه فى الألوهية ولذلك فليس هناك إله أكبر وآلهة أصغر تكون دونه ولا آلهة متماثلون يكون بعضهم بجوار بعض بل يجب أن يكون الاله واحدا . (٢)

العقل هو دليل التوحيد الفطرى

وهذا هو ماتادى به الإسلام فى دعوته الخالدة الى التوحيد ، فلم يلجأ إلا الى العقل ، فهو يضع قضية التوحيد أمام العقل المجرد فى بساطة ووضوح ودون أى تعقيد أو غموض ثم يدعوه الى التفكير فى هدوء وتبصر دون ميل أو هوى حتى يصل الى حقيقة التوحيد التى تشهد بها آيات الخلق وظواهر الكون والتى يبينها القرآن الكريم ويجليها للناس فى منطق واضح وأسلوب رائع وشرح مبدع باستحالة وجود أكثر من إله واحد فى الكون ، ذلك أن التعدد بين الآلهة يقود الى التناحر والتنازع بينها والى انحياز كل إله الى ماخلق مما يؤدى الى اضطراب نظام الخلق واختلال نواميس هذا الكون ، بل الى انهيار الوجود ودماره يقول الله تعالى (**مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنَ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إلَه إِذًا لَذَهَبَ كُلُ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىَ بَعْض سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ**) . (٣) ويقول جل شأنه (**لَوْ كَانَ**

---

(١) كتاب نافذة على الايمان لفضيلة الشيخ مصطفى الحديدى الطير صـ ٩٢ - ٩٣ سلسلة البحوث الإسلامية

(٢) المرجع السابق صـ ٩٣ - ٩٤

((٣)) سورة المؤمنون ٩١

فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)(١)

الموحدون فى أزمان الجاهلية العربية

لم تخل الأرض فى عصور الجاهلية وقبل ظهور الإسلام حتى فى جزيرة العرب من وجود أناس موحدين ، استنارت بصيرتهم فاستطاعوا أن ينزعوا أنفسهم من ظلمة الشرك ورجسه الى ضياء الوحدانية بما وضح لهم من آيات التوحيد نذكر منهم على سبيل المثال

زيد بن عمرو بن نفيل الذى رفض الاعتقاد فى آلهة قومه وسائر المعبودات المصطنعة ، وعبد الله وحده فى ذلك يقول

تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل الصبور (٢)
فلا العزى أدين ولا ابنتيها
ولاصنمى بنى غنم أزور (٣)

كما كفر بتعدد الآلهة عربى آخر فأخذ ينشد :

أربا واحدا أم ألف رب
أدين إذا تقاسمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل الخبير

ومنهم أمية بن الصلت الذى أخذ ينشد ويشيد بالتوحيد وبالاله الواحد فيقول :

إله العالمين وكل أرض
ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعاً شدادا
بلا عمد تزين ولا رجال
وسواها وزينها بنور
من الشمس المضيئة والهلال
وشق الأرض فانبجست عيوناً
وأنهاراً من العذب الزلال
وكل معمر لابد يوماً
وذي دنيا يصير الى زوال
وسيق المجرمون وهم عراة
الى ذات المقامع والنكال
وحل المتقون بدار صدق (٤)
وعيش ناعم تحت الظلال

النصرانية المثلثة لم تعدم فى شعوبها من ظهور الموحدين لله على مر الزمان

يحدثنا الأستاذ مجدى مرجان (وقد كان شماسا نصرانيا فى زماننا المعاصر) أن شعوب النصرانية التى فرض عليها التثليث فى عهد الامبراطور قسطنطين سنة ٣٢٥ م لم تخل فى تاريخها الطويل من قيام موحدين لله رفضوا أن يشركوا بالله أحدا وأعلنوا توحيدهم لله على الملأ فى صراحة ووضوح ودون خوف أو وجل ولاقوا فى سبيلها الأهوال وتعرضوا للأخطار وذاقوا العنت والعذاب .

(١) سورة الأنبياء ٢٢
(١٧) اللات والعزى من أصنام العرب فى الجاهلية
(١٨) يقصد الشاعر بابنتيها صنمى اللات ومناة
(١٩) كتاب « نافذة على الايمان » لفضيلة الشيخ مصطفى الحديدى الطير صـ ٤٦ ، صـ ٤٧

١ – فهذا « آريوس » المصرى أسقف كنيسة بوكاليس بالاسكندرية فى الربع الأول من القرن الرابع الميلادى يعلن أن الله هو الواحد الأحد القائم وحده (أى القيوم) وهو الوحيد الذى لم يولد وليس له بداية أو نهاية ولا يمكن إدراكه أو التعبير عنه وليس له معادل أو مكافىء على الاطلاق .

أما المسيح فإنه بطبيعته منفصل تماما عن الله ومختلف فى شخصه عن الذات الإلهيـة ولا يتساوى فى المجد مع الله ولو كان غير ذلك لكان هناك إلهان .

ثم يتكلم عن الروح القدس فيقول إن شأنه شأن المسيح مخلوق مستقل عن الله ، لكن مؤتمر « نيقية » المسكونى الذى انعقد سنة ٣٢٥ م تحت مظلة امبراطور الرومان الوثنى قسطنطين تبنى عقيدة التثليث ورفض مقالة آريوس وحكم عليه بالكفر والهرطقة ، ثم تقرر قتله مع مشايعيه .

٢ – وهذا « أوريجانوس » يعلن أن الله لا تدركه الأفهام وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بالإنسان وأن الله لا يتجزأ ولا يحد ولا يحصر فيحكم على هذا المفكر بالحرمان وتحرق كتبه ثم يطرد مع أتباعه .

٣ – والأسقف (نسطورا) ينكر ألوهية المسيح ويقرر أنه إنسان كسائر البشر مملوء بالنعمة والبركة فيقرر حرمانه وطرده .

٤ – وفى أسبانيا يجهر المصلح الأسبانى (ميشيل سرڤيتوس) برأيه بوحدانية الله وإنكار عقيدة الثالوث ويدمغ مؤتمر « نيقية » المسكونى بالخطأ والانحراف فى تقريره تلك العقيدة إذ كان الأجدر بذلك المؤتمر أن يتبطن عقيدة التوحيد ، لأن عقيدة الثالوث والجوهر لا يوجد لها أى أساس فى أسفار الكتاب المقدس ، فكان جزاء هذا المصلح الأسبانى أن يتقرر إحراقه حيا سنة ١٥٥٣ ميلادية .

٥ – وفى بولونيا نادى العلامة (سوسيتس) بوحدانية الله وبشرية المسيح مقررا أن الإله لا يحل فى البشر وقد تفرع عن عقيدته مذهب النصارى الموحدين الذين قاموا يدعون الى تطهير ملة النصرانية أو المسيحية كما غلب على تسميتها فى زماننا المعاصر من أدران الوثنية وجهالة التجسيد (أى تجسد الإله فى صورة البشر وهو على حد اعتقادهم فى صورة المسيح الذى هو من البشر) وقد لقى أشخاص هؤلاء النصارى الموحدين من الاضطهاد والتعذيب ما اضطرهم الى هجر وطنهم والنزوح الى مختلف البلاد ومع ذلك لاحقهم العذاب أينما حلوا بواسطة عشاق الزور والبهتان وعباد الزيف والضلال فخططوا دائما للقضاء عليهم وتآمروا لتجويعهم ، وتشريدهم أو سجنهم وإحراقهم وتقتيلهم حتى تاهت حقيقة التوحيد النقية وسط زحام الباطل بين شعوب هؤلاء المفكرين والمصلحين).(١)

انتهى كلام الأستاذ مجدى مرجان بتصرف .

ويلقى الأستاذ المهندس أحمد عبد الوهاب فى أبحاثه مزيدا من الضوء على طائفة الموحدين فيقول .

١ – لقد حدث أن انتعشت عقيدة التوحيد فى بلاد المجريين النصارى هناك بسبب الروح الاستقلالية للمجريين وابتعادهم بطبيعتهم عن كنيسة روما ووصل الأمر بأولئك الموحدين الى أن كانت المجر فى فترة من فترات تاريخها تحت حكم

(١) كتاب « الله واحد أم ثالوث » للأستاذ مجدى مرجان ص ١٣٩ ، ص ١٤٠ ص ١٤١ مكتبة النهضة العربية

ملك موجد هو (جون سيجسموند) الفترة من سنة ١٥٤٠ الى سنة ١٥٧١ ميلادية .

٢ - وفى هولندا يعلن المفكر الهولندى (توماس أكمبس) فى كتابه (على خطى المسيح) التناقض الذى يقع عند الحديث عن المسيح باعتباره إلها أو الأقنوم الثانى من الثالوث الإلهى ثم يطلب الى الانسان العادى أن يسير على نهجه ، ولقد قوى فكر أولئك الموحدين هناك لدرجة أنه قرب منتصف القرن التاسع عشر صارت مدينة ليدن وجامعتها مركز التوحيد فى تلك الدولة الأوروبية .

٣ - وفى انجلترا أعلن المفكر الانجليزى (جون بيدل) بعد أن حصل على درجة الماجستير من جامعة أوكسفورد سنة ١٦٤١ وانتهائه من دراساته للكتاب المقدس الشك فى عقيدة التثليث مما أدى الى تقديمه للمحاكمة فحكم عليه بالسجن مرتين كما نفى الى جزيرة صقلية ، ثم ظهر فى أسواق انجلترا وقتئذ كتاب « عقيدة التثليث من الأسفار » لمؤلفه العالم اللاهوتى (صموئيل كلارك) وفيه يعلن أن الأب وحده (١) هو إلاله الأسمى وليس المسيح . ثم قام العالم الطبيعى (جون بريستلى) بتحرير رسالة باسم (التماس الى أساتذة المسيحية المخلصين الموقرين) وزع منها ثلاثون ألف نسخة بعد طبعها ونشرها فى جميع أنحاء انجلترا ، وفى هذه الرسالة يعرف المؤلف الاله الذى أنزل الوحى بأنه هو السبب الوحيد لكل الظواهر ، أما تعاليم المسيح فتعطى فقط مثلا أخلاقية .

ولقد كان من نتيجة شيوع تلك الرسالة أن اضطهد ذلك العالم الطبيعى وأرغم على ترك بلاده ونفى الى بنسلفانيا حيث قضى هناك حتى آخر سنوات عمره ، ثم ظهر المفكر الانجليزى (جيمس مارتينو) فى الفترة من سنة ١٨٠٥ الى سنة ١٩٠٠ ميلادية وفى كتاباته أعلن أن الكتاب المقدس لا يعدو أن يكون وثيقة بشرية وأن المسيح ليس أكثر من إنسان .

٤ - وفى الولايات المتحدة الأمريكية كان يمثل مذهب دعاة التوحيد الدكتور (تشارلز شاونسى) راعى كنيسة بوسطن وكذلك القس (يوناثان ميهو) الذى ناضل بشجاعة فائقة ضد التثليث .

٥ - وهناك كثيرون موحدون لله وينكرون عقيدة التثليث فى أماكن كثيرة من العالم . يوجد بعضهم فى « بلجيكا » و « الدانمرك » وفى « فرنسا » و « سويسرا » و « أيسلنده » و « تشيكوسلوفاكيا » وأغلبهم من رجال الدين لكنهم لم ينفصلوا عن كنائسهم المثلثة الأمر الذى لا يكشف للباحثين أمر أوضاعهم الدينية بكل دقة .(٢)

---

(١) يقرر المطران عبد الأحد داود الأشورى العراقى فى كتابه « الانجيل والصليب » المحفوظ نسخته الوحيدة بدار الكتب المصرية أن كلمة (أب) فى لغتها التوارتية هى بكسر الهمز ، وليس معناها والد بل تعنى موجد كافة الموجودات ومكون كل الكائنات فهو خالقها وصانعها وفاطرها

(٢) كتاب « طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون » تأليف المهندس أحمد عبد الوهاب ص ٤٢ ، ص ٤٥ ، ص ٤٧ ، ص ٤٨ ، ص ٤٩ ، ص ٥١ ، ص ٥٤ نشر مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة

السبب فى ظهور الموحدين على الدوام بشعوب النصرانية

يرجع هذا كما قدمنا آنفا الى أن عقيدة التوحيد بطبيعتها عقيدة فطرية ، فضلا عن ذلك فان تلك العقيدة هى التى كانت غالبة على شعوب النصرانية فى عهودها الأولى بوصفها عقيدة النصرانية الأصيلة وذلك قبل انعقاد مؤتمر « نيقية » المسكونى سنة ٣٢٥ م ، بل وقبل أن تفرض النصرانية دينا للدولة فى عهد الامبراطور قسطنطين .

ويحدثنا التاريخ أن كل الانحرافات التى لحقت بتلك العقيدة فحولتها من التوحيد الى التثليث كانت بسبب تدخل أباطرة الرومان الذين كان همهم الأول ليس سلامة العقيدة بل تثبيت حكمهم فطوعوا الدين لخدمة سياستهم ابتداء من الامبراطور الوثنى (قسطنطين) الى أن وصل العرش الى ابن شقيقه (يوليانوس) الذى تولى حكم الامبراطورية سنة ٣٦١ م ثم الى (يوبيانوس) الذى تولى حكم الامبراطورية بعد سلفه سنة ٣٦٣ م وكلهم كانوا رافضين لعقيدة التوحيد ، ولكن عندما تتوقف السلطات الحاكمة - سواء كانت مدنية أو كنسية - عن التدخل فى معتقدات الناس بالاكراه والحجر على تفكيرهم فيشعر الناس بنسيم الحرية يظهر هؤلاء الموحدون لله وينكرون ما عداها من عقائد ولا بأس أن نقدم مثالا عن فكر أولئك الموحدين بشرح واحد منهم .

العلامة شانينج يشرح فكره التوحيدى

مما يقوله ذلك المفكر النصرانى فى شرحه للتوحيد الذى يؤمن به هو وطائفته الآتى :

١ - إن القول بثلاثة أقانيم تتطلب ثلاثة جواهر وبالتالى ثلاثة آلهة ، وأن نظام الكون يتطلب مصدرا واحدا للشرح وللتعليل لا ثلاثة ، لذلك فإن عقيدة التثليث تفتقد أى قيمة دينية أو علمية .

٢ - إن المسيح نفسه لم يفكر فى نفسه إلا كزعيم دينى وليس كإله ، وبالمثل اعتقد تلاميذه أنه مجرد إنسان إذ لو كان عند بطرس أو يهوذا أى فكرة عن أن المسيح إله لما كان هناك أى تفسير معقول لانكار بطرس له ، وما كان هناك تبرير لخيانة يهوذا له لأنه بديهة أن الإنسان لا يمكن أن ينكر أو يخون كائنا إلهيا له كل القوى .

٣ - إن القول بأن المسيح مات من أجل خطايا البشر وبهذا وقاهم لعنة الله قضية مرفوضة قطعا وإلا كان ذلك طعنا فى أخلاق الله ، لأن الله يجب ألا يعرف عن طريق اللعنة . بل عن طريق الحلم والحكمة والمحبة ، فالأب الحكيم والمحب لبنيه لا يهلك الولد المخطىء الذى يقع فى المعاصى لكن يعلمه ويقوده فى طريق الحكمة والفضيلة ، وأن الموت الدموى على الصليب من أجل إطفاء لعنة الاله أمر يناقض الحلم الإلهى والصبر والود والمحبة التى لا نهاية لها .

٤ - إن الانسان على الرغم من أنه قد يخطىء أو يقع فى الخطأ لكنه صالح بالفطرة ، وأن العقيدة الدينية يجب أن يكون الغرض منها العمل على حفظ الإنسان من الخطأ والخطيئة

٥ - إن الموحدين ينظرون الى المسيح باعتباره واحدا من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر وهو

بعيشته الفاضلة يفقد كل ذرة من قيمه الفاضلة لو كان إلها لأن الانسان لا يستطيع تقليد الإله .(١)

ماذا تقول دائرة المعارف الأمريكية عن عقيدة التوحيد ؟

مما تقوله هذه الموسوعة (لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جدا فى التاريخ ، وفى حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين ..

لقد اشتقت المسيحية من اليهودية واليهودية صارمة فى عقيدة التوحيد ، وإن عقيدة التثليث التى أقرت فى القرن الرابع الميلادى لم تعكس بدقة التعليم المسيحى الأول فيما يتعلق بطبيعة الله ، لقد كانت على العكس من ذلك انحرافا عن هذا التعليم ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص

إن التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة أما التثليث فإنه انحراف عن هذه القاعدة . (٢)

إنتهى ما ذكرته دائرة المعارف الأمريكية .

ماذا عن الموحدين فى بلادنا المصرية

كان من حظ الموحدين ودعاة التوحيد فى مصر وكذلك فى البلاد الإسلامية أن جاوروا بنى وطنهم من المسلمين فعرفوا الإسلام بوصفه عقيدة الموحدين الرائدة فى عالمنا المعاصر ولما درسوه وفهموا عقيدته النقية الواضحة لم يلبثوا أن اعتنقوه وانتظموا فى صفوف المسلمين نذكر منهم المرحوم زكى النجار بطهطا والذى تسمى باسم محمد زكى الدين النجار .

والأستاذ ابراهيم خليل فيلبس وكان من رجال الدين الانجيليين وتسمى باسم ابراهيم خليل أحمد .

والأستاذ مجدى مرجان والذى تسمى باسم محمد مجدى مرجان .

وكذلك الأستاذ محمد فؤاد الهاشمى .

ولقد وضعوا العديد من المؤلفات التى تزخر بها الأسواق والمكتبات المختلفة شرحوا فيها رحلتهم العقدية حتى وصلوا الى الإسلام بعد أن تبينوا أنه رسالة السماء الخالدة الى الأرض ، وإنه المنهج الوحيد فى دنيا الناس الذى مصدره كلمات الله وحدها غير محرفة ولا مبدلة ولا مخلوطة بأوهام البشر وأغلاطهم وانحرافاتهم فهى ليست من وضع مجمع من المجامع ولا من اضافة هيئة من الهيئات ولا من إملاء كاهن أو حبر من الأحبار بل هى تنزيل من رب العالمين .

وبعد :

فإن اهتداء الإنسان الى فطرته ليس كسبا رخيصا ، بل هو كبير ، وغنم عظيم فيه يعيش

(٢) المرجع السابق ص ٣٨ ، ص ٣٩

(٢) المرجع السابق ص ٩ ، ص ١٠

المرء فى سلام ووئام مع نفسه ، ومع فطرة الوجود الكبير من حوله .

والحقيقة أن فى فطرة الإنسان فراغا لا يملؤه علم ولا ثقافة ولا فلسفة ، إنما يملؤه الإيمان بالله الواحد الأحد جل شأنه .

وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ حتى تجد الله وتؤمن به وتتوجه اليه فتحس بالهداية بعد الحيرة والاستقرار بعد التخبط ، والاطمئنان بعد القلق .

وفى هذا المعنى يقول الإمام محمد بن القيم (فى القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار اليه)(١)

ولقد مثل القرآن الكريم فطرة الخلق السليمة فى معرفة الله وثبوت وحدانيته وربوبيته وأنه لا إله إلا هو بعد أن غرس ذلك فى نفوسهم وفطرهم عليها بقوله سبحانه وتعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (٢)

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

الى السـادة كتـاب مجلة الأزهر

نرجو الاحاطة بأن ادارة المجلة ليست لها خزانة خاصـة بها ، لذا ترجو ادارة المجلة السادة الأفاضل كتابها أن يتعاونوا معها فى تسـلم مكافآتهم من خزانة الأزهر بادارة الأزهر فى الفترة من ٢٠ الى ٢٥ من كل شهر عربى ، واننا اذ نشكر لهم هذا التعاون لنرجو سيادتهم الحرص على ذلك حتى لا تتكبد المجلة ما تنوء به .

(١) كتاب « الخصائص العامة للإسلام » للدكتور يوسف القرضاوى نقلا عن كتاب مدارج السالكين للإمام ابن القيم

(٢) سورة الاعراف ١٧٢ - ١٧٤

نشأة العقيدة الدينية عند البشر

للدكتور
محمد إبراهيم الجيوشى

رأى علماء الغرب فى نشأة الدين :

على الرغم من وضوح نشأة الدين وكونه جزءا من الفطرة الإنسانية فإن الباحثين فى أصل الأديان ونشأتها من علماء الغرب يرون أن التدين عند الإنسان يرجع إلى أسباب أخرى نلخصها فيما يلى

١ ـ يذهب كثير من الباحثين إلى أن (الأساطير هى أصل الدين) وبخاصة بين الهمج ، ولعل السبب فى اعتناق كثير منهم لهذا الرأى انهم رأوا أن العقائد الهمجية قد امتزجت بالأساطير عند جميع القبائل البدائية ، ولأن هذا الامتزاج قد حصل بالفعل فإننا نرى الأستاذ العقاد فى رده هذا الرأى يقول : « فلا يسهل من أجل هذا أن نرفض القول بالعلاقة بين الأسطورة والعقيدة ، ولكن لا يسهل من جهة أخرى أن نطابق بين العقيدة والأسطورة فى كل شىء وفى كل خاصة ، لأن العقيدة قد تحتوى الأسطورة ، ولكن الأسطورة لا تحتويها ، إذ يشتمل عنصر العقيدة على زيادة لا يشتمل عليها عنصر الأسطورة ، وهى زيادة الالزام الأخلاقى ، والشعور الأدبى بالطاعة والولاء ، والأمل فى المعونة والرحمة من جانب الرب المعبود[1] .

٢ ـ رأى تايلور TYLOR

ويذهب تايلور إلى أن (الإنسان البدائى كالطفل فى نظرته للأشياء وتخيله لها فى صور الأحياء) . فكما أن الطفل يتعامل مع الجمادات دائما من حوله مضفيا عليها صفة الحياة إما فى حالة الرضى ، وإما فى حالة الغضب ، فهى محببة إليه مقربة عنده فى حالة الرضى ، وهى بغيضة إليه بعيدة عنده فى حالة الغضب ، فكذلك الإنسان الأول فى نظرته إلى الأشياء من حوله ،

١ ـ راجع كتاب « الله » للأستاذ العقاد ص ٩ ، ١٠ وراجع أيضا كتاب (الدين) للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٣٣ طبع دار القلم ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م

ولهذا كان تقديسه للنجوم والقمر والرياح ، والسحب والينابيع ، وما يعرض له من أحداث الطبيعة التى تسبب له سرورا أو حزنا ، خوفا أو أمنا ، وقد تعامل معها جميعا على أنها أحياء لها كل مميزات الأحياء من سمع وبصر وغذاء ومتاع ، ولهذا كان إحساس الإنسان البدائى بها إحساس الرهبة والرغبة ، ومن أجل ذلك شعر بحاجته إلى استجلاب رضاها بالصلاة والدعاء وتقديم القرابين .

٣ ـ رأى سبنسر : ويرى سبنسر أن الإيمان بحياة الأرباب ناشىء عن عبادة الأسلاف التى يراها أقدم العبادات ، وكانت رؤية الأطياف فى النوم تجعله يظنها باقية ترجى وتخشى ، وأنها تتقاضاه فروضا لها عليه كفروض الآباء على الأبناء وهم على قيد الحياة ، وعلى الرغم من أن الأستاذ العقاد ينسب هذا الرى إلى[1] سبنسر فإن الدكتور دراز ينسبه إلى تيلور وأتباعه .

ويرد الأستاذ العقاد على هذا الرأى فيقول :

« ولكن يرد على القول بعبادة الأسلاف أنها لم تستغرق عبادات الأقدمين فى زمن من الأزمان وأن النائم يرى أطياف الغرباء كما يرى أطياف الآباء ، ويرى أطياف الأطفال الضعفاء ، بل يرى أطياف السباع التى يخافها فى يقظته فلا يعبدها ، لأنه يخافها ، وتتردد عليه أطيافها ، بل يقتلها ويحول بينها وبين الطعام » .

« ومهما يبلغ من قصور العقل عند الهمج ، فهم لا يجهلون أن الروح الذى يحوم حولهم فى طلب الطعام والشراب يحتاج إليهم ، ولا يستغنى عنهم ، فان شاءوا منعوا عنه القوت فأردوه ، وإن شاءوا والوه بالقوت ، فأبقوه ، ولو لم يكن محتاجا إليهم لما حام حولهم ولا انتظر منهم أن يسترضوه بإشباعه وإروائه ، ولماذا يسعى لنفسه كما كان يسعى لها ، وهو مقيم » .

ثم يتابع الأستاذ العقاد مناقشة هذا الرأى فيقول :

« إذا كان الهمجى كالطفل ينظر إلى جميع الأشياء كنظرته إلى الحىّ الذى يقصد ما يفعل ، ترى لماذا لم يعبد الهمجى جميع الأشياء ، ويرى أنه قد عرف قبل العبادة وصفا للربوبية تتميز به بعض الكائنات عما سواها .

والذين قاموا برحلات إلى أفريقيا الوسطى والتقوا بالأقذام هناك ، وهم فى أدنى درجات الهمجية عرفوا من دراستهم لأمورهم أنهم يؤمنون برب عظيم فوق الأرباب »[2] .

٤ ـ (ويذهب بعض الباحثين إلى أن السحر هو أصل العبادة ، وأصل الشعائر الدينية) ولو أمعنا النظر لوجدنا أن السحر د السحرة والكهان الذين يقومون على خدمة الآلهة . فكيف يقال : إن السحر هو أصل العبادة ، وهو لم ينشأ إلا على أيدى سدنة الآلهة الذين يدعون أنهم قريبون منها عليمون بما يرضيها ويغضبها .

ومن المسلم به منذ القدم أن طبيعة السحر تختلف عن طبيعة العبادة لأن مجال السحر دائما مرتبط بالأساليب المنحطة والأمور الخبيثة

١ ـ راجع كتاب الدين ص ١٣٣

٢ ـ كتاب الله ص ١١

والأشياء البغيضة المستقذرة التى تكرهها النفوس وتعافها .

أما العبادة فهى دائما طريق إلى الخير ، وتوجه بالرجاء إلى الإله طمعا فى النيل من كرمه ، وهى دعوة إلى التطهر على النقيض من أساليب السحر الخبيثة ، وقد ميز الناس منذ قديم بين السحر والعبادة ، فاتخذوا ما يرجى من الآلهة أربابا يتوجهون إليها بالعبادة ، واتخذوا أرباب الشر والفساد أعوانا على السحر[1] .

٥ ـ ويذهب غالبية الباحثين فى الأديان من الأوربيين إلى (أن الضعف الانسانى هو الأصل فى نشأة العقائد الدينية) لأن الانسان لما أبصر نفسه ضعيفا أمام مظاهر الكون ، بما فيه من أحياء ، وقوى طبيعية احتاج إلى سند يستشعر الأمن والطمأنينة فى حماه ، فابتدع فكرة الإله يعتمد عليه ، ويتوجه إليه بالدعاء والصلاة كلما خشى عدوان الآخرين عليه .

ولو تمشينا مع هذا الرأى قليلا لكان معنى ذلك أن الضعفاء من الناس هم المتدينون ، أما الأقوياء فليسوا متدينين ، وهذه قضية ينقضها الواقع التاريخى .

منذ أقدم العصور ، فأصحاب العقائد والأديان هم الأقوياء فى أخلاقهم وإرادتهم وعزائهم ، وهم المستعدون دائما للتضحيات الجسام . وذوو المقدرة على مواجهة الصعاب ، والصبر على الشدائد مما لا يقدر عليه إلا الأقوياء الأشداء ، أما غير المتدينين فلم يعرف عنهم ما عرف عن المتدينين من صلابة وقوة فى الحق لا تلين ، وهذا الواقع البديهى يقضى على الرأى القائل بأن العقيدة الدينية ملجأ الضعفاء قضاء مبرما ، وينقضه من أساسه ، وفى التدليل على صحة ما استنتجناه .

يقول الأستاذ العقاد : « فليس معدن الإيمان من معدن الضعف فى الانسان ، وليس الإنسان المعتقد هو الإنسان الواهى الهزيل ، ولا امام الناس فى الاعتقاد هو امامهم فى الوهن والهزل .

وربما كان الأصح والأولى بالتقرير والتحقيق أن العقيدة تعظم فى الإنسان على قدر إحساسه بعظمة الكون ، وعظمة أسراره وخفاياه ، لا على قدر إحساسه بضغر نفسه وهوان شأنه .

ومن هنا تكون الحاسة الدينية مجاوبة صحيحة للوجود العظيم الذى يحيط بالإنسان سرمديا بعيد الاغوار عميق القرار .

فليس الكيان الصحيح هو الذى يمرّ بهذا الوجود السرمدى كأنه لايراه ، ولا يهتزّ له ، ولا يستجاش من أعماقه إذا سبر غوره فقصّر عن مداه .

وإنما الكيان الصحيح هو الذى يجيش بتلك الحاسة القوية ، فيستهول الكون ، ويستقبله بالحيرة والتقديس ، لانه فى الواقع هائل محير جامع لمعانى القداسة من حيث نجمت فى لغة اللسان أو لغة الضمير .

---

١ ـ راجع كتاب الله ص ١٢ .

وعلى هذا تكون العقيدة من مصدر الصحة ، لأنها تجارب الوجود المحيط بالنفس الإنسانية ولا تكون من مصدر النقص والغفلة عن حقائق الأمور[١] .

وقريب من الرأى السابق رأى فرويد Freud الذى يقول : إن العقيدة الدينية نشأت من الشعور بالخوف الممزوج بالعاطفة الجنسية عند بعض أصحاب الأعصاب السقيمة ، والذين يغلب عليهم الهوس فى اعتقادهم ، ويرى أن الحب الإلهى هو بمنزلة الحب الجنسى فى حالة التسامى أو حالة الحماسة[٢] .

٦ ـ الطوطم : نظر لما لاحظه الباحثون من انتشار فكرة الطوطم بين القبائل الهمجية فى القارات المختلفة أفريقيا واستراليا والأمريكيتين ، وبعض بلاد آسيا وجزرها فقد ذهب جماعة من العلماء إلى الربط بين الطوطم والدين ، وهم لهذا يرون (أن الطواطم هى بداية الأديان عند الهمج) .

وقد نشأت فكرة الطوطم من اعتقاد بعض القبائل أن أباها الأعلى قد حلّ فى حيوان أو نبات أو حجر فتقدسه وفى حالة الزعم بحلول الأب فى الحيوان تدعى القبيلة أن هذا الحيوان أب لها وفى هذه الحالة يحرمون قتل هذا الطوطم وأكله وكذلك يحرمون الزواج بين الذكور والاناث المنتمين إلى طوطم واحد ، وإذا كانت القبيلة كبيرة العدد ، وكانت تشتمل على عدد من البطون اتخذ كل بطن منها (طوطما) خاصا به ، وعند ذلك يجوز التزاوج بين اناث هذه البطون وذكورها ، إلا أن التحريم يظل قائما بالنسبة لمن ينتمون للطوطم الكبير ، ويورد الأستاذ العقاد خلاصة لرأى المخالفين لفكرة نشأة العقيدة عن الطوطم ، وهم يرون أن الطوطمية ليست أصل العقيدة الدينية لأنها تنشأ بعد أن تعرف القبائل أنظمة الزواج ، وآداب التعامل ، وليس من شك أن الإنسان يهتدى إلى تلك النظم وهذه الآداب بعد أن يكون قد عرف بعض العقائد والأعراف التى تنظم له هذه الأمور ، وهذا يعنى أن الالتزام بهذه النظم والآداب لا يمثل المرحلة الأولى فى الاعتقاد .

هذا إلى جانب أن هناك قبائل عدة تعتنق فكرة الطوطم ، ولكنها فى الوقت نفسه تتخذ لها آلهة أخرى تتوجه إليها بالعبادة ، وكذلك وجدت قبائل لا تضفى على الطوطم صفة الأرباب[٣] .

ويرى علماء الاجتماع أن نظام الطوطم نظام مدنى قضائى اقتصادى أكثر منه نظاما دينيا ، ويذهب لانج (Lang) وفريز (Frazer) الفرنسيان إلى أن نظام الطوطم ليس له صلة بالدين البتة ، ويرى الدكتور دراز أن الطواطم تشير إلى شعارات قومية تعرف القبائل بها أنسابها وتنمى فى أفرادها الشعور الوطنى ، وأنها باعثة على التعاون ، واحترام توزيع الملكية وسائر قوانين الجماعة ، فهم لا يعبدون تلك الرسوم ولا مدلولاتها ، بل لهم معبود

١ ـ راجع كتاب الله ص ١٣ .
٢ ـ راجع كتاب الله ص ١٤ .
٣ ـ راجع كتاب الله ص ١٥ ، ١٦ .

روحى يعتمدون عليه فى جلائل أعمالهم ودقائقها حتى انهم ليستلهمونه أو يدعونه ليرشدهم انتقاء أمثل الأسماء لأبنائهم .

ويورد رأى دوركايم الذى يعترف أن عددا من قبائل استراليا قد وصلوا إلى فكرة الإله الأعلى أو الإله الأحد ، وأنه كائن أزلى أبدى تسير الشمس والقمر والنجوم بأمره ، وانه هو الذى يثير البرق ويرسل الصواعق ، وإليه يتوجه فى الاستسقاء وفى طلب الصحو ، وهو الذى خلق الحيوان والنبات وصنع الإنسان من الطين ، ونفخ فيه الروح ، وهو الذى علم الإنسان البيان ، وألهمه الصناعات ، وشرع له العبادات . وهو الذى يقضى فى الناس بعد الموت فيميز بين المحسن و المسىء(١) .

٧ ـ ويرى أوجست مساباتيه (**أن التدين نشأ عند الإنسان نتيجة صراع وجد نفسه فيه بين الاحساس والإرادة ، وأصيب الإنسان بصدمات متوالية نتيجة لهذا الصراع الدائم ، فعاش المرء فى أزمة داخلية نتيجة الصراع بين الإحساس والإرادة ، فأراد أن يجد عونا على التغلب على هذه الأزمة فنشأت عنده فكرة الدين ليجد فى رحابها حلا لهذه الأزمة الطاحنة**) وذلك لأن الإنسان بحكم فطرته يلازمه شعور ثابت بالتبعية المطلقة لقانون الوجود العام ، وعن هذا الشعور بالتبعية تنبثق فى النفس العقيدة الإلهية(٢) .

٨ ـ ويرى هنرى برجسون أن العقيدة الدينية نشأت عند الإنسان من مصدرين رئيسيين أحدهما اجتماعى والآخر فردى ، أما المصدر الاجتماعى فهدفه فائدة المجتمع ونفع النوع كله ، ويرى أن الإنسان لما أراد أن يكبح جماح نفسه ، ويكف من غلواء أنانيته ، ويخفف من رغبته الجارفة فى التملك ، ويتشجع على نسيان مصالحه الخاصة فى سبيل المصلحة العامة ، لجأ إلى فكرة الدين ليجد فيها عوضا مستقبلا عما يتنازل عنه فى حياته لصالح الجماعة ، وعن هذا الطريق نشأت عند الإنسان فكرة الجزاء والعقاب الأخروى من الإله الذى يعبده ، ويجازيه على أعمال الخير والشر .

وفى تفسير رأى برجسون يقول الأستاذ العقاد : « ولما كانت إرادة الحياة مستكنة فى النوع كما هى مستكنة فى آحاده على انفراد نشأت من الغريزة النوعية ملكة يسميها برجسون بملكة الخرافة أو الرمزية أو ملكة الأساطير ، وتكفلت للإنسان بخلق العوض الذى يستعيض به عن منافعه ولذاته ، حين يهجرها لمنفعة نوعه ، فاعتقد الجزاء بعد الحياة ، وأحسّ أنه محاسب على الاضرار بغيره ، مثاب على الخير الذى يسديه إلى أبناء نوعه ، واقترنت فيه أثرة الفرد بأثرة النوع .

---

١ ـ راجع كتاب الدين ص ١٥٦ ، ١٥٧

٢ ـ راجع كتاب الدين ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

فاستقامت على التوازن بينهما مصلحته ومصلحة الناس أجمعين[1] .

أما المصدر الفردى فهو ما نجده عند العباقرة وذوى القدرات الممتازة فانهم لا يصدرون فى فكرتهم عن الإله من منطلق النفع والعوض على ما يقدمون ، ولكنهم يدركون بما أوتوه من قوة الالهام والبصيرة ضياء الحق فيندفعون نحوه ، ويسوقون الناس إلى الاخذ به ، فهم الذين يؤثرون فى مجتمعاتهم بما يرسون فيها من قواعد اخلاقية وسلوكية ، ويضعون القوانين والنظم للآخرين على هدى ما رأوه من نفاذ الرأى وسداد البصيرة ، وبالجملة فهم فى نظرتهم لا تحكمهم منفعة ولا عوض وإنما يسعون إلى تأصيل القيم العليا للإنسان ، وهذه القدرات فيهم جعلتهم يصلون إلى إدراك أن هناك قوة عليا دائمة سرمدية تغير وتؤثر ولا تتغير ولا تتأثر بغيرها وهى الذات الإلهية[2] .

ومن الملاحظ أن برجسون يعترف هنا بالحقيقة الإلهية ، وإمكانية الوصول إلى معرفتها والاهتداء إلى حقيقتها العليا .

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يجعل نشأة العقيدة الدينية عند الجماعات العادية أمرا مخترعا . ؟

ألآ يكون ذلك كما يقول الأستاذ العقاد من باب التلمس البديهى لتلك القوة الكونية ، لماذا لا يكون نتيجة لبحث متواصل اهتدى إليه الإنسان مع الزمن أو عرفه عن طريق الهداة والرسل الذين بعث الله بهم لهداية البشرية كما أخبرنا فى قرآنه .. وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ

وإذا سلم برجسون بأن هناك ذاتا إلهية فكيف يسمى البحث عنها حيلة أو وهما ؟

وفى نقد رأى برجسون يقول الدكتور دراز :

بعد أن يدلل على خطئه .. أما إذا أخذنا قانون الأخلاق فى جوهره الصحيح ، واعتبرنا ما له من سلطان مركوز فى طباع الناس على اختلافهم موحيا للعقيدة الإلهية ، ودليلا على صنعة الفاطر الأول الذى ألهم النفوس هداها ، ورسم لها طريق فجورها وتقواها ، فتلك فكرة سليمة ومنطق مستقيم[3] .

هذه هى أهم الآراء التى تداولها الباحثون الغربيون الذين اهتموا بالبحث فى أمور العقيدة ونشأة الدين ، وهى كما ترى تنظر إلى العقائد الوضعية فقط ، وتفضل أو تتغافل عن الحقيقة التى أشرنا إليها فى مطلع هذا البحث ، وهى أن العقيدة نشأت مع الإنسان منذ أن خلق الله آدم وعلمه الأسماء كلها .

وبهذا نكون قد انتهينا من ذلك الفصل الذى عرضنا فيه لما نرى من وجهة النظر الاسلامية فى نشأة العقيدة ، وما سجلناه من آراء الباحثين الغربيين فى هذا المجال . معقبين على آرائهم كاشفين عن وجه الخطأ فيها ، وقد آن الأوان أن ننتقل بالبحث إلى قضية أخرى تتناول نشأة العقائد المختلفة التى أشار إليها القرآن الكريم ، وما اعتراها من تحريف وتبديل مع كرّ الليالى ومرّ العشى .

---

١ ـ راجع كتاب الدين ص ١٦ ، ١٧ .

٢ ـ راجع كتاب الدين ص ١٤٠ وكتاب الله ص ١٧ .

٣ ـ راجع كتاب الدين ص ١٤٢ .

سورة النصر
من أعلام النبوة

سورة النصر من أعلام النبوة

قال الله تعالى : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا(٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً(٣) »

البيـــان

المرَاد بالفتح هنا فتح مكة ، وبالنصر الظفر بأهلها ، فإن هذا وذاك هما اللذان دخل الناس بعدهما فى دين الله أفواجا ، وهذا هو الذى ارتضاه جمهور المفسرين .

وإخبار السورة بالفتح والنصر قبل حدوثهما ، وبدخول الناس أفواجا وجماعات فى الإسلام بعدهما ، يعتبر من أعلام النبوة ، وآيات صدق الرسول ﷺ ، حيث تحقق كل ذلك على أتم وجه وأكمله ، ولا شك أن ذلك برهان على أنه وحى من العليم الخبير ، وأنه ﷺ « لا ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى »

فراسة ابن عباس وفطنته فى السورة :

أخرج الإمام البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال (كان عُمر يُدْخلنى مع أشياخ بدر) ، فكان بعضهم وجد[1] فى نفسه فقال : لِمَ يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله .

فقال عمر : إنه مِمَّنْ علمتم ، فدعاهم ذات يوم

(١)أى غضب .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الطير

فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذ إلَّا ليريهم .

فقال : ما تقولون فى قول الله تعالى : « **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ** ... » .فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا .

فقال لى : أكذلك تقول يابن عباس .

فقلت : لا .

فقال : ما تقول .

فقلت : هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله إياه .

قال : « إذا جاء نصر الله والفتح » فذلك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا .

فقال عمر : لا أعلم منها الا ما تقول)

ولست أدرى أكان هذا استنباطا ذهنيا لا بن عباس ، حيث فهم من السورة أنه تعالى يخبره فيها أن تبليغه رسالة ربه قد شارف غاية ، وأن عليه أن ينتظر لقاء الرفيق الأعلى – وهذا هو ظاهر الخبر – أم أنه عرف ذلك من الأحاديث التى جاءت فى هذا الشأن .

فقد جاء فى عدة روايات أنه ﷺ قال حين نزلت « نُعِيَتْ إلىَّ نفسى » .

وفى رواية للبيهقى عن ابن عباس قال : « لما نزلت دعا ﷺ فاطمة رضى الله عنها وقال : « إنه قد نُعِيَتْ إِلَيَّ نفسى » فبكت ثم ضحكت .

فقيل لها ما أبكاك وما أضحكك ؟ فقالت : أخبرنى أنه قد نعيت اليه نفسه فبكيت ، ثم أخبرنى بأنك أول أهلى لحوقا بى فضحكت .

وقد كان النبى ﷺ بعد نزولها يفعل فعل مودِّع ، وعلى أى حال فإن ذلك يشهد بيقظة ابن عباس وفطنته استنتاجا أو حفظا مع صغر سنه ، ولا غرابة فى ذلك فقد دعا له النبى ﷺ قائلا « اللهم فَقِّهه فى الدين وعلمه التأويل » .

أخرج البيهقى فى الدلائل عن ابن مسعود قال : « نعم ترجمان القرآن ابن عباس » وكان محمد ابن الحنفية يسميه – حبر الأمة –

مناسبة السورة لما قبلها وأسماؤها

دلت السورة التى قبلها « **قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ** » على أنه لا أمل فى إيمان الكفار من أهل مكة عن طريق الإقتناع ، وأنه تعالى أمر نبيه بإخبارهم أنه مصر على عدم عبادته أوثانهم ، حتى يقطع أطماعهم فى استجابته لهم ، وأنهم مصرون على عدم عبادة الله وحده ، ومصممون على إشراكهم به ، وأن يعلمهم بأنه لا لقاء بين توحيد وإشراك !

وجاءت هذه السورة لتبين أن الله تعالى يكافئه على صبره بالنصر والفتح ودخول الناس فى دين الله أفواجا ،وفى جملتهم هؤلاء المشركون الذين أمره بموادعتهم حتى يأتى أمر الله ، والعاقبة للصابرين ، والحمد لله رب العالمين .

وكما تسمى هذه السورة « سورة النصر » تسمى أيضا « سورة التوديع » لما فيها من الإيمان الى وفاته ، وهى ثلاث آيات باتفاق .

الاعداد للفتح والنصر

لما خانت قريش فنكثت عهدها معه ﷺ بمعاونة حلفائهم بنى بكر سرا على خزاعة حليفة رسول الله ﷺ ، تجهز الرسول ﷺ للسفر وأمر أصحابه بذلك ، واستنفر الاعراب الذين حول المدينة ، وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة ، فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار مزينة وأشجع وجهينة ، وطَوَى وجهته عن الجيش كيلا تعلم قريش فتستعد للحرب ، والرسول ﷺ لا يريد أن يأخذ مكة حربا ، بل يريد أن يباغتها فيستسلم أهلها بسلام ، ثم سار بالجيش فى منتصف رمضان ، بعد أن ولى على المدينة ابن أم مكتوم ،وكانت عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد .

ولما وصل الرسول ﷺ بالجيش الى الكديد أمرهم بالفطر وأفطر معهم ، وقد قابل ﷺ فى الطريق عمه العباس بن عبد المطلب مهاجرا بأهله وعياله ، فأمره أن يعود معه إلى مكة ويرسل عياله إلى المدينة .

ولما وصل الجيش الى مَرِّ الظهران ، أمر بإيقاد عشرة آلاف نار ، وكانت قريش قد بلغهم أن محمدا زاحف بجيش عظيم لا تدرى وجهته ، فأرسلوا أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ وجيشه ، فلما أتوا مر الظهران إذا هم بنيران كأنها نيران عرفة .

فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ لكأنها نيران عرفة، فقال بديل ابن ورقاء : نيران بنى عمرو .

فقال أبو سفيان : عمرو أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس الرسول ﷺ فأتوا بهم إليه ، فأسلم أبو سفيان ، فلما سار قال النبى للعباس : احبس أبا سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين ، فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة على أبى سفيان عند حطم الجبل وهو يسأل عنها وهو يقول : مالى ولها ، حتى اذا مرت به قبيلة الانصار - وحامل رايتها سعد بن عبادة .

فقال سعد : يا أبا سفيان : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة .

فقال أبو سفيان : ياعباس .حَبّذا يوم الذمار ، ثم جاءت كتيبته وهى أقل الكتائب فيها رسول الله ﷺ وأصحابه ، وحامل الراية الزبير بن العوام ، فأخبره أبو سفيان بمقالة سعد .

فقال ﷺ : « كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » ثم أمر عليه الصلاة والسلام أن تركز رايته عند الحجون - جبل بأعلى مكة - وأمر خالدا أن يدخل مكة من أسفلها ، ودخلها ﷺ وسلم من أعلاها ، ونادى مناديه : من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، وهذه أعظم منة له ﷺ .

فأما جيش خالد بن الوليد فقابله الدُّعْرُ من قريش يريدون صده ، فقاتلهم وقتل منهم أربعة

وعشرين ، وقتل من جيشه اثنان ، ودخلها عنوة من هذه الجهة .

وأما جيش النبى ﷺ ، فلم يصادف مانعا ، ودخل مكة راكبا راحلته ، منحنيا عليها تواضعا لله وشكرا له على هذه النعمة ، وكانت جبهته تكاد تمس الرجل ، وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان ، حتى وصل إلى الحجون موضع رايته ، وقد نصبت له هناك قبة ، فاستراح فيها قليلا ، ثم سار وبجانبه أبو بكر يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح ، حتى بلغ البيت الحرام ، فطاف به سبعا على راحلته ، واستلم الحجر بمحجنه ، وكان حول الكعبة إذ ذاك ثلاثمائة وستون صنما ، فجعل يطعنها بعود فى يده وهو يقول صلى الله عليه وسلم « **جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ** » ثم أمر بالآلهة فأخرجت من البيت ، وفيها صورة ابراهيم واسماعيل فى أيديهما الأزلام ، فقال ﷺ « قاتلهم الله : لقد علموا ما استقسما بهما قط » وهذه أول مرة تطهر فيها الكعبة من هذه الأوثان الباطلة.

العفو عند المقدرة

ثم دخل النبى ﷺ الكعبة وكبر فى نواحيها ، ثم خرج إلى مقام ابراهيم وصلى فيه ، وشرب من زمزم وجلس فى المسجد والناس حوله والعيون شاخصة اليه ينتظرون ما عو فاعل بمشركى قريش الذين آذوه وأخرجوه من بلاده وقاتلوه ، وهنا نظهر مكارم الأخلاق التى عرف بها ﷺ ، ويلزم المسلم أن يقتدى بها ، بأن يكون غضبه ورضاه الله ، لا لهوى النفس إذ قال ﷺ يامعشر قريش « ما تظنون أنى فاعل بكم » ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال ﷺ « اذهبوا فأنتم الطلقاء »

ثم خطب النبى ﷺ خطبة بيّن فيها كثيرا من الأحكام ، منها أن لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا تنكح المرأة على عمتها أوخالتها ، والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع زوجها أو ذى محرم ولا صلاة بعد الصبح والعصر ، ولا يصام يَوْمَا عيد الفطر والأضحى ، ثم قال : « يا معشر قريش .إن الله قد أَذْهَبَ عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالأباء ، والناس من آدم وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية « يَأَيّهاَ النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »

ثم شرع الناس يبايعون رسول الله ﷺ ، وممن أسلم فى هذا اليوم معاوية بن أبى سفيان ، وأبو قحافة والد أبى بكر الصديق .

بيعة النساء

ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء ، وكُنَّ يبايعن على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصين الرسول ﷺ فى معروف .

ثم أمر عليه الصلاة والسلام بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة لأول مرة ، وأقام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوما يقصر فيها الصلاة ، وولى عليها عتاب بن أسيد ، وجعل رزقه كل يوم درهما ، فكان عتاب رضى الله عنه يقول : لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم .

تفسير السورة

« **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحِ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً** ... » السورة الخطاب فى هذه السورة للنبى ﷺ ، والناس فيها العرب ، ودين الله هو الإسلام الذى بعث بها محمد ﷺ ناسخا للأديان السماوية التى قبله ، فهو الدين عند الله تعالى : « **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** » والأفواج والجماعات – جمع فوج .

وقد كان الناس من قبل الفتح يدخلون الإسلام فرادى ، فلما فتحت مكة دخلوه جماعات دون قتال أخرج الإمام البخارى عن عمرو بن سلمة قال : « لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ ، وكانت الاحياء تَتَلَوَّم – أى تنتظر – بإسلامها فتح مكة ، يقولون دعوه وقومه ، فإن ظهر عليهم فهو نبى »

وعن الحسن قال : (لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت الأعراب : أمّا إذ ظفر بأهل مكة وقد أجارهم الله تعالى من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان ، فدخلوا فى دين الله أفواجا)

ومن الجماعات التى دخلت الإسلام بعد الفتح جماعة من أهل اليمن ، يبلغون سبعمائة – كما رواه عكرمة ومقاتل – وفى شأنهم أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال بينما رسول الله ﷺ فى المدينة إذ قال « الله أكبر الله أكبر ، جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن » .

قيل يا رسول الله ﷺ : وما أهل اليمن ؟
قال « قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » .

وأخرج البخارى ومسلم والترمذى عن أبى هريرة مرفوعا ، أنه ﷺ قال أتاكم أهل اليمن ، وهم أرقُّ أفئدة وألين قلوبا ، الإيمان والحكمة يمانية .

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً .

هذه الآية جواب الشرط الذى صدرت به السورة وما عطف عليها وجملة « إنه كان توابا تعليل للاستغفار ، أى استغفره لأنه كان توابا ، فهى تذييل تعليلى وخلاصة معنى السورة ما يلى :

إذاجاءك أيها الرسول النصر على أهل مكة والفتح لها ، ودخل الناس من أهلها ومن غيرهم دين الله جماعات ، بعد أن كانوا يدخلونه فرادى . فسبح ربك بكل ما يدل على التنزيه عما لايليق به تعالى ، حامدا له على تلك النعم التى أتمها عليك ، واطلب المغفرة منه تائبا إليه ، إنه كان منذ خلق المكلفين توابا على المستغفرين التائبين ، يقبل متابهم ويعفو عن ذنوبهم إذا كانوا مخلصين فى توبتهم ، ولا يزال الله يمنح التائبين هذا الفضل العظيم رحمة منه وكرما .

الحكمة فى طلب الاستغفار من الرسول ﷺ .

أنت ترى أيها القارىء الكريم أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بتسبيح الله واستغفاره والمَتَاب ، مع أنه الكامل فى عبادته لربه ، المعصوم من جميع المعاصى ، والحكمة فى ذلك أن تنزيه الله تعالى عما لايليق به ، حق الله على جميع خلقه ، وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلون .

وبما أنه تعالى وعد نبيه ﷺ بالنصر والفتح ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، وأن ذلك

نعمة كبرى تقتضى المزيد من الطاعات لله تعالى وهضم النفس ، فلهذا أمره الله سبحانه بتنزيهه عن أن يكون تأخيره فتح مكة لغير حكمة ، بعد أن يعرف أن ذلك بسبب كونه تعالى شاء استسلام أهلها جميعا ، ودخولهم وغيرهم فى دين الله أفواجا ، وما قلناه بشأن التسبيح يقال بشأن أمره بالحمد ، فكأنه قيل له : فسبح ربك واحمده على تأخير النصر والفتح ، وصفه بأن توقيتهما على هذا النحو كان لحكم جليلة لا يعلمها سواه سبحانه ، وأى حكم أعظم من أن يدخلوا هم وغيرهم فى دين الله أفواجا .

وأما أمره بالإستغفار والتوبة ، فلأنه ﷺ كان دائما فى الترقى ، فإذا ترقى إلى مرتبة استغفر لما قبلها ، ولأنه قد يطرأ عليه السهو بحكم بشريته ، وكلما كان الانسان أعرف بربه ، كان أخوف وأكثر اعترافا بالتقصير نحوه - وان لم يكن فى شريعة الله مقصرا ، لأنه سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها ، ولكنه تعالى يأخذه بالأفضل كلما ارتقى إلى درجة أعلى عند ربه ، وقيل استغفاره لأمته أو لتعليم أمته .

مواظبة الرسول ﷺ على التسبيح والاستغفار بعد النصر .

أخرج الامام مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر من قوله سبحان الله وبحمده أستغفره وأتوب إليه .

قالت فقلت يارسول الله ﷺ . أراك تكثر من قول « سبحان الله وبحمده أستغفره وأتوب إليه » .

فقال : أخبرنى ربى أنى سأرى علامة فى أمتى ، فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفره وأتوب إليه ،

فقد رأيتها « **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ۝وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً۝فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً** » ونحوه أخرجه أحمد فى مسنده .

وفى الصحيحين عن مسروق عن عائشة قالت : (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : فى ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اغفرلى » تعنى هذا) أى تعنى امتثال أمر الله فى هذه السورة .

وأخرج ابن جرير من طريق حفص بن عاصم عن الشعبى عن أم سلمة قالت (كان رسول الله ﷺ فى آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجىء إلا قال « سبحان الله وبحمده » .

قال : (إنى أمرت بهذا وقرأ السورة) .

فأنت ترى فى هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم واظب على حمد مولاه واستغفاره والتوبة إليه جل وعلا ، بعد أن حقق له ما وعده من النصر والفتح ودخول الناس أفواجا .

مع أنه ﷺ هو المثل الأعلى فى الصلاح والتقوى ، ومجانبة المعاصى والمآثم . وإنما فعل ذلك امتثالا لأمر ربه ، وهضما للنفس ، وتعليما لأمته ، لكيلا يغرهم الانتصار ولا يطغيهم الفتح ، ولا تحملهم العزة بهما على الإثم والعدوان ، بل يحمدون ربهم على ما أنعم ، ويستغفرونه من كل مأثم ، ويطهرون أنفسهم من الخيلاء والاستعلاء ، ويجعلون من الطاعة والاستقامة على منهاج الحق خلفا وسلوكا ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الإسلامية

أول بيت وضع للناس

قال تعالى : (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَاكَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّهَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) آل عمران ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - والآيات مدنية .

إن لحوم الإبل وألبانها كانت محللة لإبراهيم عليه السلام ، وإنما حرمت على بنى إسرائيل ، لأن إسرائيل حرمها على نفسه (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِبَنِى إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَاحَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ) .

وحينما أفتى محمد صلى الله عليه وسلم . بحل لحوم الإبل وألبانها فقد أفتى بملة ابراهيم .

فقل يامحمد : صدق الله فى أن ذلك النوع من الطعام صار حراما على بنى إسرائيل بعد أن كان حلا لهم .

أو صدق الله فى أن كل الأطعمة كانت محللة لبنى إسرائيل ، وأنها حرمت على اليهود جزاء قبح أفعالهم (فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا) أى مايدعوكم إليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة إبراهيم (وما كان من المشركين) حيث لم يدع مع الله إلها آخر كما فعل اليهود والنصارى من حيث ادعى اليهود أن عزيرا ابن الله ومن حيث ادعى النصارى أن المسيح ابن الله .

أو كما فعل بعض الناس من عبادة الكواكب والقمر والشمس أو كما فعل مشركو العرب من حيث عبادة الأصنام التى نحتوها أربابا وخروا لها سجدا ، وقالوا مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله .

وإبراهيم كان مائلا عن الباطل إلى الحق مخلصا لله وحده ، ومحمد على دينه فى الأصول والفروع يدعو إلى توحيد الله والبعد عن كل معبود سواه .

ولقد طعن اليهود فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حينما تحولت قبلته إلى الكعبة ، وقالوا بيت

للدكتور محمد محمد خليفة

المقدس أفضل وأحق بالاستقبال ، لأنه أقدم من الكعبة ، ومن المحشر ، وهو قبلة جميع الأنبياء ، وانتهوا من ذلك إلى أن تحويل القبلة باطل .

وأجاب الله عن ذلك بقوله : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ) فبين بهدا أن الكعبة أقدم وأشرف ، وكان نسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة مايفيد النسخ فى الأطعمة التى كانت مباحة لبنى إسرائيل ثم حرم الله بعضها عليهم .

وقد زعم اليهود والنصارى أنهم على ملة إبراهيم فلم لايحجون ، لأن الحج جاءت به ملة إبراهيم وعدم حجهم دليل كذبهم فى اتباع ملة إبراهيم .

وأول بيت وضع لطاعة الناس لله وعبادتهم هو الكعبة ، وبيت المقدس يشاركه فى أنه بيت الطاعة والعبادة .

ويحتمل أن يكون المراد بالأولية فى قوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ) أنه أول فى الوضع والبناء والأول فى كونه مباركا .

وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أول بيت وضع للناس ، فقال : المسجد الحرام ، ثم بيت المقدس ، وسئل كم بينهما ؟ فقال أربعون سنة .

أقوال العلماء والمفسرين التى دارت حول البيت :

١ - روى عن مجاهد أنه قال : خلق الله تعالى هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض .

٢ - وروى عن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله بعث ملائكته فقال : ابنوا لى فى الأرض بيتا على مثال البيت المعمور وأمر الله من فى الأرض أن يطوفوا به كمايطوف أهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم .

٤ - وروى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما إنه أول بيت وضع على وجه الماء وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الأرض تحته .

٥ - إن الطيور لاتمر فوق الكعبة بل تنحرف عنها .

٦ - إن صاحب الفيل أهلكه الله حين أراد هدم الكعبة وقد ذكرت سورة الفيل تلك القصة وخلدت السورة على الزمن ما فعل الله بأصحاب الفيل .

٧ - للكعبة أسماء : منها الكعبة - البيت العتيق ، لأنه قديم ، أو لأن الله أعتقه من التخريب ، أو أعتقه من أن يكون ملكا لأحد من المخلوقين كما سمى : المسجد الحرام .

٨ - ومن أوصافه أن جعله الله هدى للعالمين أى أنه قبلة يهتدون بها إلى جهة صلاتهم أو أنه صاحب هدى للعالمين .

٩ - وقد وصفه الله بأن فيه آيات بينات منها مقام إبراهيم ، وفيه معجزات وآيات كثيرة وقيل : المراد : مقامات إبراهيم وهى ما أقامه إبراهيم

أول بيت وضع للناس

عليه السلام من أمور الحج وأعمال المناسك وهى كثيرة ومن تلك الآيات التى خص الله بها البيت الحرام أن الله جعله أمنا .

قال تعالى : « **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً** » **وقال** : « **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً** » . **وقال** : « **إِنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِناً** » . وقال إبراهيم فى دعائه « **رَبِّ اجْعَلْ هَـذاَ بَلَداً آمِناً** » .

وقال لقريش : **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِن جُوعٍ وآمَنَهُمْ مِّن خَوْفٍ** .

وقال عليه الصلاة والسلام : من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا .

من فضائل مكة ..

أنها قبلة النبيين السابقين ، وقد ثبت أن الأنبياء كانوا يسجدون لله ، ولم يثبت لأحد منهم قبلة فإذا قرأت قوله تعالى : **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ** .

أمكننا أن نقول : إن البيت الأول كان قبلة الأنبياء .

أما سجود الأنبياء فقد ثبت بآية سورة مريم التى يقول الله فيه : « **أُولَـئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ومن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَـنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** » .

أسماء مكة ..

من أسمائها غير مكة : أم القرى وذلك يدل على سبقها فى الفضل والشرف على بقاع الأرض وعلى القرى كلها ومن أسمائها : البلد الحرام .

ومن أسمائها : بكة وهى لغة فى مكة وقيل : مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة : اسم للبلد .

وقيل : بكة ومكة : اسمان لمسمى واحد .

ومن أسماء مكة : البشاشة ـ الحاطمة .

وجوب الحج ..

قال تعالى : **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** .

الاستطاعة شرط فى وجوب الحج وهى تتمثل فى وجود الزاد والراحلة وفسر بعضهم الاستطاعة بصحة البدن والقدرة على المشى ، فمن صح بدنه وقدر على المشى إذا لم يجد مايركب أو أجرة مايركب فهو مستطيع .

وأضاف بعضهم إلى الصحة والقدرة على المشى ووجود الزاد والراحلة أمن الطريق .

الحج فرضه فى العمر مرة ..

روى أن سائلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أكتب علينا الحج فى كل عام ، وكرر السائل السؤال ثلاث مرات ، وسكت الرسول على الرغم من تكرار السؤال عليه وفى المرة الرابعة قال عليه الصلاة والسلام لو قلت نعم ، لوجبت ، ولو وجبت ماقمتم بها ، ولولم تقوموا بها لكفرتم ، ألا فوادعونى ماوادعتكم ، وإذا أمرتكم بأمر فافعلوا منه مااستطعتم وإذا نهيتكم عن أمر فانتهوا عنه فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم .

ومن هذا يستفاد أن الأمر فى قوله : ولله على الناس حج البيت لايفيد تكراره كل عام (**وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**) .

قد يكون المقصود فى قوله ومن كفر : الكفر بالله ويكون هذا وعيدا عاما .

وقد يحمل على تارك الحج ، أو من لم يعتقد وجوبه .

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا .

وعن أبى أمامة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : من مات ولم يحج حجة الإسلام ولم تمنعه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر فليمت على أى حال شاء يهوديا أو نصرانيا .

وقيل : لمانزلت آية الحج : جمع الرسول كل الطوائف : المسلمين ـ اليهود ـ النصارى ـ الصابئين ـ المجوس ـ المشركين وخطبهم فقال :

إن الله كتب عليهم الحج فحجوا فآمن به المسلمون ، ونفرت منه الآخرون وقالوا لانؤمن به ولانصلى إليه ولانحجه فأنزل الله (**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**) فسر بعضهم قوله : ومن كفر ، فقال : ومن لم يحج ، وقد قال الله : فإن الله غنى عن العالمين ، ولم يقل فإن الله غنى عنه أى عن من كفر ، لأنه إذا استغنى عن العالمين ، فسيدخل فيهم ذلك الذى كفر فهو غنى عنه وعن طاعته وذلك أدل على سخط الله وغضبه على من ترك الحج .

وقوله : ولله على الناس ... الخ يدل على وجوب انقياد الناس لطاعة الله فى هذه العبادة من عرف منهم الحكمة فى هذه الطاعة- ومن لم يعرف .

وظاهر الآية يقتضى الإيجاب على كل مستطيع .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : حجوا قبل ألا تحجوا ، حجوا قبل أن يمنع البر جانبه أى يتعذر عليكم السفر فى البر إلى مكة لعدم الأمن .

حاسدو الناس على فضل الله

قال تعالى : (**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَاآتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا . فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً**) . **النساء ٥٤ ، ٥٥ والآيتان مدنيتان .**

(أم) منقطعة ، وتفسر ببل والهمزة أى بل أيحسدون الناس ، وتفيد الانتقال من وصفهم فى الآية السابقة بالبخل إلى وصفهم فى هذه الآية بالحسد ، وهو من أقبح الرذائل وأل فى الناس للعهد ، والمراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبر عنه بالجنس وهو الناس للإشارة إلى أنه هو الناس لاغير ، وقد عبر الله عن الفرد بالكثير فى قوله تعالى : **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً** .

وقد يراد بالناس :الرسول ومن معه من المؤمنين .

واختلف فيما حسد عليه النبى صلى الله عليه وسلم أو هو ومن معه من المؤمنين فقيل .

١ ـ النبوة وما وراءها من شئون الدين ، وجلال الدين فى النصرة وازدياد العز .

٢ ـ كثرة ماأبيح له من النساء الزوجات التسع .

ولقد أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم النبوة ، وكثر أنصاره ، وعظمت شوكتهم ، وإن كثرة النعم التى أفاضها الله على المسلمين هى التى دفعت اليهود إلى حسد محمد على ماآتاه الله وحسد أتباعه على ماأوتوا من الشرف وسموا المنزلة الدنيوية والأخروية ومن قبل آتى الله إبراهيم عليه السلام الكتاب والحكمة ، وآتى آله الملك العظيم فلم تحسدون محمدا ، وتعجبون مما أوتى وأوتى أصحابه ، ولم تتعجبوا مما أوتى إبراهيم وآل إبراهيم وهم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد أتى الله بعض أبناء إبراهيم ملكا ولم تحسدوهم أيها اليهود من أمثال يوسف وداود ، وسليمان ، كما أن الله آتاهم الكتاب والحكمة أى

(البقية ص "٨٤٣")

إن لم تغل أمتي

لفضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب

حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة يعنى ابن عمّار حدثنى سماك الحنفى أبو زمبل قال حدثنى عبد الله بن عباس حدثنى عمر بن الخطاب قال :

لما كان يومُ خيبر أقبلَ نفرٌ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : فلان شهيد ، فلان شهيد ، حتى مَرُّوا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلَّا ، إنى رأيتهُ فى النار فى بُردة غلَّها أو عَباءة ، (ثم قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم) : (يا ابن الخطاب ، اذهب فَنَادِ فى

المفــــردات :

النفر والنفيرة والنفرة : عدة رجال الشهيد معناه على وجوه منها : الشهيد بالبلاغ يعنى الأنبياء : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ يعنى نبيهم شاهد عليهم بتبليغ الرسالة وَجِئْنَابِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يعنى بتبليغ الرسالة ٤١ النساء ، النحل ٨٤ ، المائدة ١١٧ هود ١٨ . ومنها : الشهيد الحافظ « للملك الذى يكتب عمل ابن آدام ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ ق ٢١ وانظر الزمر ٩ ، غافر ٥١ .

ومنها الشهيد يعنى القتيل فى سبيل الله النساء ٦٩ ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ يعنى بالشهداء الذين استشهدوا فى سبيل الله وفى الحديد ١٩ والشهداء عند ربهم يعنى الذين استشهدوا فى سبيل الله ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ .

ومنها الشهيد يعنى الذى يشهد على حق رجل أو على حقوق الناس ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ البقرة ٢٨٢ .

ومنها الشهيد يعنى الحاضر النساء ٧٢ القصص ٤٤ المدثر ١٣ الفرقان ٧٢ البقرة ١٣٣ النور ٢ .

البردة بضم الباء : كساء مخطط أو أسود فيه صور قاله أبو عبيد .

لم يقم لهم عدو أبدًا

الناس : أنه لا يدخل الجنةَ إلا المؤمنون) قال فخرجت فناديت : ألا إنه لا يدخل الجنةَ إلا المؤمنون .
أخرجه الامام أحمد فى مسند عمر بن الخطاب ، والامام مالك فى الموطأ ، والامام مسلم فى باب "غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنةَ إلا المؤمنون" شرح النووى ، والامام الترمذى فى باب ما جاء فى الغلول . وقال حديث حسن صحيح غريب والبخارى بنحوه فى باب لا يقال فلان شهيد .

●●●●●●

والعباءة ويقال فيها عباية قاله ابن السكيت وغيره وهى معروفة .

الغل والغلول والاغلال : لخيانة والسرقة من الغنيمة ، وكل من خان فى شىء خفية فقد غل وأغل ، وقيل الغلول الخيانة فى الغنيمة خاصة (الاغلال : الخيانة مطلقا) والغل العداوة وأغل : صار ذا اغلال أى خيانة ، « وما كان النبى أن يغل » أى ينسب إلى الخيانة .

الإيمان : يستعمل تارة للشريعة التى جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم ويوصف به كل من دخل شريعته مقرا بالله وبنبوته صلى الله عليه وسلم .

ويأتى فى القرآن بمعنى الإقرار باللسان من غير تصديق ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ المنافقون ٣ يعنى أقروا باللسان فى العلانية ، ثم كفروا فى السر ولم يصدقوا النبى صلى الله عليه وسلم ولا ما جاء به المنافقون ٩ ، الحديد ١٦ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكْرِ اللهِ ﴾ يعنى أقروا والممتحنة ١٣ .

ويستعمل الإيمان فى التصديق سرا وعلانية البينة ٧ الفتح ٥ الأحزاب ٦ ، ٣٥ الصف ١٣ الفتح ١٨ المنافقون ٨ .

ويأتى الإيمان بمعنى التوحيد المائدة وغافر ١٠ والنحل ١٠٦ ويأتى الإيمان فى الشرك .. ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ يوسف ١٠٦ يعنى مشركى العرب

وإيمانهم مع الشرك ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُم لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ . الزخرف ٩ فهذا منهم إيمان وهم فى ذلك مشركون ، لقمان ٢٥ والزمر ٣٨ ، النساء ١٥٩

المعـــنى :

ورد فى تحريم الغلول وتغليظ العقوبة عليه أحاديث كثيرة ، ونقل الامام النووى الاجماع على أنه من الكبائر ، وقد صرح القرآن والسنة بأن الغال يأتى يوم القيامة والشىء الذى غله فضيحة له على رءوس الأشهاد يوم القيامة ، سواء كان هذا المغلول حيوانا أو إنسانا أو ثيابا أو ذهبا أو فضة أو أى مال قل أو كثر .

وهذا الحديث وجميع أحاديث هذا الباب تفسير لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ آل عمران ١٦١ .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ آل عمران ٣٠ .

وقوله تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ الكهف ٤٩

وقوله صلى الله عليه وسلم : « كلا إنى رأيته فى النار » زجر ورد لقولهم فى هذا الرجل : « إنه شهيد أى محكوم له بالجنة أول وهلة .. بل هو فى النار بسبب غلوله وأخذه البردة أو العباية خفية قبل قسمة الغنيمة ، ولا يحكم بالجنة إلا للمؤمنيون المخلصين فى إيمانهم .

وفى هذا الحديث :

ردع لمن يتسرع بالحكم بالجنة ، لأنها غيب لا يعلمه إلا الله ورسوله .

وفيه أن المؤمن الصادق يكون دائما بين الرجاء والخوف يدعو ربه خوفا وطمعا . ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ المعارج ٢٧ ، ٢٨

وفيه أن هذا الوعيد كما يلحق الغالين الخائنين يلحق بطريق الأولى كل الظلمة من الولاة والأمراء وكل من ولى أمرا من أمور الناس ، لأنه إذا لحق الوعيد الغال مع أن له شركة فى الغنيمة فالغاصب والسارق والمختلس والمرتشى والمقامر والمرابى وكل من يحصل على مال ليس له كل هؤلاء ليس لهم شركة فيما أخذوه فأولى أن ينالهم ما لحق الغال من العقوبة والفضيحة يوم القيامة ، لأن الخيانة ضد الأمانة وانما سميت خيانة ، لأنه فعل فعلا فى سر ومكر وفى ذلك الفعل نبذ للأمانة ، وإنما صارت أمانة بقبولها علنا فيمسكها فى المأمن والمأمن القلب فإذا نبذها فقد بطل القبول والظلم خيانة لأنه دنس الأمانة بدنس الغدر والمكر ، ونقض العهد خيانة ، لانه نبذ للأمانة و « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » وكل معصية خيانة ، لأن كل طاعة أمانة .

والشهيد هو الذى شهد المكان وحضره ولذلك صار فى مكان الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لأنه شاهد بقلبه أمر الملكوت وشهد بقلبه صلى الله عليه وسلم ـ موضع الوحى من العرش ، وشهد على الأمة بالقبول يوم القيامة ، والشهيد أشهد جميع جوارحه ما نطق به لسانه أى أحضرهم كأنه حين نطق إنما نطق عن جميع الجوارح .

والشهيد فى سبيل الله روحه شاهد عند الله محل الرزق فهو مرزوق عنده من الجنة ، ولأنه تجرع مرارة الموت حبا لله ، لأنه تمنى الموت لحب

لقاء الله وللشوق إليه بذل نفسه لله حتى قتل ولم يبذل نفسه للقتل الا للشوق إليه ولو ساعة من نهار فى وقت المحاربة : فمنهم من يظهر هذا الشوق عليه أيام حياته كلها لعظيم ما انشرح به قلبه من معرفة الله ، ولما امتلأ قلبه من حب الله فهذا ولى لله مشتاق إليه باذل نفسه للموت قبل مجيئه ، ومنهم من لا يظهر الشوق عليه إلا عند الحرب فيظهر الحمية لله ويبذل نفسه من أجله للحرب وتهون عليه الميتة فحارب حتى قتل .

لهذا كله كان ليس من السهل إلقاء الحكم بلا روية على أن الغال الذى قتل فى الحرب فى خيبر من أهل الجنة مما اضطر النبى صلى الله عليه وسلم أن يكشف عن غيب لم يحن بعد كشفه منه صلى الله عليه وسلم على المؤمنين رأفة بهم أن يقعوا فى الكذب على الله فى مواطن الشهادة ، أو يتهاونوا فى قليل أخذوه من متاع الدنيا بغير وجه شرعى .

وتختم بقوله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أحمد حسن جابر رجب

أول بيت وضع للناس - بقية

النبوة والعلم وآتاهم ملكا عظيما وإذا كان حسدكم لمحمد لكثرة ماأبيح له من الزوجات فلم لم تحسدوا داود وسليمان وقد كان لداود مائة زوجة ولسليمان ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية .

من جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من اليهود .

١ - من آمن بما أوتى إبراهيم وآله من الكتاب والحكمة والملك .

٢ - ومنهم من صد عنه وأنكره مع علمه بصحته أو من اليهود .

١ - من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - ومنهم من أنكر نبوته . أو من آل إبراهيم .

١ - من آمن بابراهيم .

٢ - ومنهم من كفر كدأب أمم الأنبياء فيما سبق .

فلا تتعجب يامحمد مما عليه قومك فهكذا كانت أمم الأنبياء من قبل وفى ذلك تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم .

(وَكَفَى بِجَهَنَّم) فى عذاب هؤلاء الكفار المتقدمين والمتأخرين (سعيرا) ووقودا بل هم والحجارة وقود جهنم التى أعدت للكافرين

من نفحات

السنة المباركة

حاجة الناس إلى التعاون

عن أبى موسى رضى الله عنهَ عن النبى صَلى الله علَيه وسلمَ قال « إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك أصابعه »: رواه البخارى

وعن أنس رَضى الله عنهَ أن النبى صَلى الله عليه وسلمَ قال :« الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله » رواه الطبرانى والبزار

ومعنى عيال الله أى أن الخلق كلهم فقراء الى الله تعالى وهو يعولهم :

يسير الناس فى هذه الحياة منذ بدء الخليقة وراء حاجاتهم الشخصية المتعددة وتحت تأثير ميولهم الغريزية المختلفة .

وقد قضت الفطرة ألا ينهض الفرد وحده بشأن نفسه . فهو مدنى بطبعه محتاج الى معاونة بنى جنسه فى إدراك مآربه وتكميل أسباب حياته مما تقصر عنه يده ولا تتسع له مداركه ولا تحتمله قواه فأمرت الشريعة الاسلامية بالتعاون فقال تعالى :« وَتَعَاوَنُوا عَلَىَ الْبِرِّ والتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىَ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَان» : المائدة

وذلك لأن التعاون من أكبر الدعائم القوية فى بناء المجتمع الصالح . وسبب من أسباب الفلاح . وثمرة من ثمرات المحبة والمودة بين الناس وصفة من أخص صفات المؤمنين . ومن هنا جعل صَلى الله عليه وسلم المؤمنين كالبنيان فى التماسك والترابط من أجل تعاونهم وسعى بعضهم فى مصالح بعضهم .

ومن أجل ذلك قال ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قضى لأخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له »: رواه أبو نعيم فى الحلبة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« من مشى مع أخيه فى حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين

للدكتور محمد محمود شعبان

النار سبعة خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض »: رواه أبو نعيم وابن أبى الدنيا .

وإذا بحثنا فى أسباب الرقى والتقدم للأمم والشعوب فإنا نجده فى التعاون فيما بينها . فما نالت أمة نصيبها من رغد العيش ولا فاز شعب بحظه فى التقدم والرقى إلا باتحاد أفراده واجتماع كلمته وتعاونهم فيما بينهم على ما ينفعهم وتضامنهم فى تنفيذ كل عمل يفيد وشعور كل فرد منهم بشعور الآخرين . ولذلك وجه الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أمته الى التعاون حتى ينهض المجتمع الاسلامى برسالته خير قيام .

فقال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » متفق عليه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له سرورا دون الجنة » رواه الطبرانى .

ومن هنا أثنى الله تبارك وتعالى على الأنصار الذين آمنوا بالله ورسوله وفتحوا صدورهم وبيوتهم وجادوا بأموالهم لإخوانهم المهاجرين من أهل مكة وآثروهم على أنفسهم وتعاونوا معهم على بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى نصرة دين الله .

فقال تعالى فى حقهم :« وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» . الحشر ولهذا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الأنصار من الإيمان فقال صلى الله عليه وسلم :« حب الأنصار من الايمان » رواه البخارى .

وقال :« الناس دثار والأنصار شعار » : البخارى :

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :« الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله »: رواه البخارى .

ويكفيهم فخرا ثناء الله تعالى عليهم وما أعده لهم فى الآخرة بقوله :« وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »: التوبة

لهذا ارتفعت راية الإسلام وعلت كلمة الله وعظم شأن الأمة المحمدية وصار قرنهم خير القرون وساد الأمن والأمان فكنت لا تجد محروما ولا جائعا ولا مظلوما ولا خائفا . بل أصبحوا سادة فتحوا البلاد ونشروا السلام ورفعوا لواء العدل والمساواة وأسقطوا صروح الظلم والطغيان

◄

والله يعلم إنهم ما نالوا ذلك بكثرة عدد ولا وفرة عُدد فقد كان أعداؤهم يفوقونهم فى ذلك أضعافا مضاعفة ولكنه الحب لله والاعتصام بحبل الله والتعاون على البر والتقوى كما وجههم القرآن الكريم بقوله « وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا »: آل عمران

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :« لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا » رواه البخارى .

وليس التعاون قاصرا على تقديم المساعدة للغير ولكن التعاون له صور كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم :« أنصر أخاك ظالما أو مظلوما فقالوا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال :« أن تأخذوا على يديه » رواه البخارى .

فانظر حفظك الله كيف جعل الأخذ على يد الظالم نصرة له وإعانة على البر مع أنه فى الظاهر معابسة له وعداوة . وذلك لأن ظلمه إضرار بنفسه يعرضها للعقوبات الدينية والدنيوية ويشين سمعتها بين البرية ويدنسها بالعيش من الحرام واستمراء أكل الحقوق فمن المعونة له أن تحول بينه وبين ذلك الشر كله ليكون قويا فى نفسه قويا فى دينه مرضيا بين الناس فى حياته .

فمن أراد قتل إنسان مثلا أو إتلاف عضو من أعضائه فأرخيت له العنان وسكت عما يريد أن يقدم عليه فقد عرضته لاتلاف نفسه أو لما هو دون ذلك من عقوبات وربما كنت سببا قويا فى ترمل زوجته وتيتم ولده أو قطع رزقه إذا لم تحل بينه وبين ارتكاب تلك الجريمة

وهذا ينطبق على كل من رآه يرتشى أو يسرق أو يغصب أو يختلس أو يرتكب المعاصى والمحرمات فى بلاد الاسلام وبين المسلمين . فالمؤمن الحق هو الذى يتعاون مع إخوانه ويساعدهم على قضاء مصالحهم وردعهم عن ارتكاب المظالم سواء كان حاكما أو محكوما رجلا أو امرأة أميرا أو خفيرا

وليعلم كل مسلم بأن من تخاذل عن القيام بهذا الواجب أو تراخى فى معونة أخيه فليس من الله فى شىء .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس إليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال » رواه الطبرانى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أحب الناس اليه ؟

قال :« أنفع الناس للناس » قيل يا رسول الله : فأى الأعمال أفضل :

قال « إدخال السرور على المؤمن » قيل وما سرور المؤمن قال « اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه .. ومن مشى مع أخيه فى حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ، ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام . ومن كف غضبه ستر الله عورته وإن الخلق السىء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » رواه الطبرانى وأبو منصور الديلمى .

● وفى هذا المعنى يقول صلى الله عليه وسلم :(١)

ومن التعاون على البر والتقوى أن تمشى مع

١ - من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة . واحدة منها فيها صلاح أمرة كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة : البخارى فى التاريخ . والبيهقى

المظلوم حتى تزيل ظلامته وتثبت له حقه إن وجدت السبيل الى ذلك .

وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :« من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط » « يوم تزل الأقدام » الطبرانى.

ولذلك جعل الله تعالى خلقا من خلقه يفزع اليهم الناس لقضاء مصالحهم وهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة .

قال صلى الله عليه وسلم :« إن لله خلقا خلقهم لحوائح الناس يفزع الناس اليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله » رواه الطبرانى .

وإن الله تعالى يحسن الى قوم من عباده فيفيض عليهم كثيرا من نعمه لأنهم يكونون فى حوائج الناس ومصالحهم فإذا تنكبوا عن ذلك الطريق القويم واعتزوا بما عندهم من النعم وانصرفوا عن حوائج المسلمين سلبهم الله تلك النعم لأنهم لم يقوموا بحفظها وحقها ولم يؤدوا واجبها .

ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله عند قوم نعما أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين ما لم يملوهم فإذا ملوهم نقلها الى غيرهم » رواه ابن أبى الدنيا . والبيهقى .

ومن صور التعاون أن تحمى المسلم من المنافق وأن تذب عنه غيبة الفاسق فذلك من صميم الإيمان .

روى معاذ الجهنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمى لحمه من نار جهنم » أبو داود

والاسلام يحرم خذلان المسلم فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه عرضه قال صلى الله عليه وسلم « ما من امرىء يخذل امرأ مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته . وما من امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موضع يحب فيه نصرته »: رواه أحمد

ومن صور التعاون ما يكون بعمل الجمعيات وإنشاء الشركات وما يكون بالسعى فى إيجاد عمل للعاطلين أو تجهيز جيش المسلمين واستمع فى هذا الغرض الى قول النبى صلى الله عليه وسلم « من جهز غازيا فى سبيل الله : فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا » متفق عليه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا الى بنى لحيان من هذيل فقال « لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما » رواه مسلم .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن فتى من أسلم قال يا رسول الله انى أريد الغزو وليس معى ما أتجهز به ؟ قال : إئت فلانا قد كان تجهز فمرض فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول « أعطنى الذى تجهزت به ».

فقال : يا فلانة أعط الذى تجهزت به ولا تحبسى منه شيئا فيبارك لنا فيه . رواه مسلم .

وليكن الغرض من إنشاء الجمعيات والشركات إنما هو نفع المسلمين جميعا دون غرض آخر من الثراء المحرم للتجارة فى قوت الشعب واحتكار ما يحتاجون اليه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« من احتكر الطعام على أمتى أربعين يوما وتصدق به لم يقبل منه » ابن عساكر

وليعلم الذين يخلقون الفوضى فى التوزيع والبيع والشراء وايجاد طبقة من الناس يرتفعون على أكتاف غيرهم من الضعفاء ويسلبون الناس أموالهم ويغشونهم فى معاملاتهم بأنهم من المفسدين فى الأرض لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من غشنا فليس منا »

وقد قال تعالى « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » المائدة

وليعتقد هؤلاء القوم بأن الإحسان الى الناس من أقوى الأسباب التى تجعلهم من الآمنين وفى مقدمة صفوف المسلمين المفلحين وتجعل الألسنة جميعا رطبة بالثناء عليهم والدعاء بالخير لهم لأن الله تعالى يحب المحسنين ويكره البخلاء والمتجبرين .

وليسمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق » رواه البخارى .

وقال تعالى :« إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا . الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ »: النساء

وليكن قدوته سيد خلق الله فى الجود والكرم والتعاون مع أصحابه فى كل أمورهم لا فرق عنده بين سيد وعبد ورجل وامرأة وكبير وصغير لأنه كما وصفه ربه عز وجل بالمؤمنين رءوف رحيم . وكذلك صحابته رضوان الله عليهم أجمعين .

محمد محمود شعبان

١ ـ رواه ابن عساكر عن معاذ

٢ ـ رواه الترمذى عن أبى هريرة

مشكلة الإدمان

بين الطب والدين

للدكتور السيد الجميلى

الناس أخياف مختلفون . فى اختلافهم حكمة ورحمة وفى اجتماعهم قوة وعزة ومنعة وأن يجمعهم الإسلام على اختلاف غرائزهم وتباين طبائعهم - على جادة مستقيمة واحدة لَدَليلُ قويٌّ على عظمة الإسلام .

والدليل القاطع على عظمة الدين الاسلامى إنما هو شموخه وصموده حيال أعدائه ، المبغضين الكاشحين ، رغم تخلف المسلمين . فالإسلام قائم بقيومية القدرة التى أرادت له الظهور والانتشار غريبا بين أهله ، كما بدأ ، وكما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

والمصيبة التى جلت عن الوصف ، وأربت على البيان ، هى باقعة البواقع ونائبة النوائب التى انحدر إليها الشباب فى المجتمع المسلم هذه الأيام بالإقبال على المخدرات والمسكرات والإدمان على تعاطيها للهروب من واقع الحياة ، وحياة الواقع التى كان حريا به أن يتصدى لها ، ويواجه مشقاتها بجلد الشبيبة ، وجدة الشباب .

هذه الطريق الوعرة التي تنكبها شباب الإسلام تجعل القلب يتفطر حزنا وأسى ولوعة ، لأن طاقات حية يستنزفها الشيطان ، ويذهب بها بعيدا إلى غيابات الضلال والتحلل ، ويهوى بها إلى دركات الخسران .

قال تعالى : « وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ »الأعراف (١٥٧/٧) وكل خبيث عند العرب فهو (محرم) راجع غريب القرآن ص ١٧٣ وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (٢٩٩/٧) ومابعدها وإذ يقول القرطبى نقلا عن مذهب مالك رضى الله عنهما :- « إن الطيبات هى المحللات ، وبحسب هذا نقول فى الخبائث : إنها المحرمات ، ولذلك قال ابن عباس : الخبائث هى لحم الخنزير والربا وغيره » أهـ . بتصرف .

ومذهب الشافعى أن الطيبات من جهة

الطعم ، إلا أن اللفظة عنده ليست على عمومها .

وقد ذهب الطبرى (٩/٥٧) نفس مذهب القرطبى (٧/٣٠٠) فى تعريف الخبائث بأنها لحم الخنزير ، والربا ، وما كانوا يستحلونه من المحرمات التى حرمها الله .

والمخدرات ، والمسكرات التى يتعاطاها الشباب المغمور أُعتبرها انتحارا وقتلا للنفس ، وذبحا للعقل الذى كرَّمه الله سبحانه وتعالى ، وأنعم على الإنسان به .

وأهم هذه المخدرات مادة الأفيون ..... OPIUM .

والمادة الفعالة فيه Active subst-ance هى : -

١ - المورفين ويمثل ١٠٪ من الأفيون الخام Morphine (chief alkaloid) 10%

٢ - الكودايين ٥ و٪ من الأفيون الخام Codeine ,5%

٣ - البابافيرين ١٪ من الأفيون الخام Papaverine 1%

أما مادة الهيروين Heroin فهى تحضر من المورفين .

راجع كتاب Forensic Medicine and Toxicology By Y.A. SHERIF & and M.EL-BAHNASAWY. P.233, 1964

وأخطر ماف عوارض الإدمان هو أن يزج بالمدمن إلى اقتراف الجرائم ، وارتكاب المنكرات .

وفى كتابه القيم عن الطب الشرعى يقول الدكتور على عبدالنبى (Page 300) ماترجمته : - « وقد ثبت أن هناك حالات إدمان بالوراثة حيث يتأثر الجنين بإدمان أمه ، وهذه الحالة إسمها :Congenital Morphinism .

فإذا ماصار الوليد مدمنا بالوراثة فكيف يرجى منه خير ؟؟ إنها محنة ومدلهمة نسأل الله الإفاقة منها .

فإن المستقبل المشرق منوط بالعقل السليم ، والبدن الصحيح ، المستقيم ، ولايمكن للعقل المنهوك المعتل أن يرى الحياة أو يرى فى الحياة غير اليأس والقنوط والضياع والحرمان ، والحقد على الناجحين .

وإذا صار مطلوبا إزاء هذا الخطر الداهم تعديل قانون العقوبات بالتشديد على التجار والمهربين الذين يجرمون وينالون من وطنهم وأهليهم وأبناء بلدهم ، فإذا كان عقابهم بحسم وشدة أصبح أمرا لاخيار فيه ، ولاخلاف عليه ، إلا أننا يجب أن ننظر إلى المدمن نظرة أخرى عملية وهى علاجه من الإدمان وذلك لأن الدكتور على عبدالنبى أستاذ الطب الشرعى يراه مريضا يقتضى العلاج حيث يقول ماترجمته :

«والمدمن شخص مريض ، يجب إيداعه المستشفى ولايجب أن يعامل كمجرم » .
ثم يضيف : - « وإدمان الأفيون والمورفين صعب للغاية أن يعالج ، فهو يحتاج إلى اهتمام طبى مستمر ، وتمريض وعناية يستمران لعدة شهور فى مستشفى خاص أو معهد أو ساناتوريوم » أهـ .

فإذا كان المدمن مريضا ، فإن علاجه غير متعذر ، وهو وقف على اقتناعه ، ومعاونته واستعداده للتجاوب والتفاعل مع الأطباء المعالجين ومع المرضين .

وإنى لأرى التاجر المحترف هو المجرم الحقيقى الذى لايعفى من العقوبة للخطأ المقصود ،وإصراره عليه ، فإن أخطر أنواع المجرمين هو ذلك المجرم الذى لا يبالى أن يراه الناس مجرما .

فى هذه الأيام ، نحن محتاجون إلى شباب قوى ، وسواعد متينة ، وأفهام صحيحة ، لحماية الوطن وحمل المسئولية وما أكثرها ولايخامرنى شك أن أعداء الإسلام هم المسئولون عن تدمير شبابنا ، وإحراقه فى

أتون هذه النار الملتهبة التى تأكل اليابس والأخضر ، ولكن المعافى غير مخدوع فإن الله سبحانه وتعالى معنا نسأله أن يرد غيظهم إلى صدورهم ، ونعوذ به من شرورهم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

د.السيد الجميلى

أباطيل مؤلف

"قبل السقوط"

من أخطر الأمور التى تمس قدر الكاتب ، وتنال من منزلته فى نظر القراء ، أن يتجاسر على اقتحام أمر ليس له علم به ، أو يدس قلمه فى موضوع لم يتخصص فيه ، ولم يعرف من جوانبه إلا النذر اليسير ، وقدر كبير من احترام الانسان لنفسه ، يكمن فى احترامه لما تخصص فيه ، ورحم الله رجلا عرف قدر نفسه ، والتزم حدود معرفته ، أما ذلك الذى يصور له خياله أنه عبقرى زمانه ، وفيلسوف عصره وأوانه ، ثم يتمادى به الخيال فيعتقد أنه قد أصبح مجمعا علميا متنقلا فى شتى جوانب العلوم والمعارف ، فى العلوم والآداب والفتاوى والتشريع والأحكام ، فذلك هو المسلك الذى يكشف عن غرور صاحبه ، ويفصح عن إستهتاره بمعايير التخصص العلمى التى تمثل الفيصل عند إحتدام النقاش وتعارض الآراء ، وهذا وحده كاف لعدم الاطمئنان له ، أو الأخذ عنه أو التصديق لما يقوله .

الزراعة والفقه والتشريع :

ولو أن كاتب السقوط أدرك هذا المعنى لوفر على نفسه الجهد الذى بذله فى كتابه ، وأراح الناس من همومه ، فقد كان الأولى به وهو المتخصص فى علوم الزراعة والحشرات والمبيدات ، أن يركز أهتمامه على مجال علمه ، ليتمكن من خلاله أن يخدم أمنا العزيزة مصر ، التى كثيرا ما تغنى بحبها فى ثنايا كتابه ، فمصر التى دفعه حبها الى كتابة السقوط ، فى مسيس "حاجة الى علم أمثال الرجل فى الزراعة والرى ،

لأنها بلد زراعى نسعى جميعا لتنمية موارده ، كل فى مجال عمله وعلمه ، وقد بذلت مصر من

مالها وطاقتها فى تخريج الرجل وتعليمه القدر الكثير ، وأقل واجبات الحب الذى يشدو به

للدكتور عبد الله مبروك النجار

لمصر ، أن يؤدى ضريبة الوفاء مما تعلمه ، وليس من مقتضيات هذا الحب أن يترك الجندى ميدان خدمته وعلمه ، الى ميدان آخر لن يثمر فيه ، فحاجتها اليه (دكتور) زراعيا أشد منها فيلسوفا اسلاميا أو فقيها شرعيا ، أو مفكرا دينيا ، وكم فى مصر من المجالات الحيوية التى يمكن أن يعبر فيها بقلمه عن شعوره الوطنى ، كالتنمية الزراعية والثروة الحيوانية وغيرهما ، وفى اعتقادى أن ذلك هو المدخل الصحيح لحب الوطن ، اللهم إلا إذا كان يعتبر أن الفكر الاسلامى مهنة يمكن أن تهوى وتحترف .

ميدان لم يؤهل له :

كان لابد من تقرير ذلك ، ونحن نستشعر مقدار الحرج الذى وضع الرجل فيه نفسه ، حين اقحم قلمه فى مجال جديد عليه ، وموضوع ليس له باع فيه ، فلم يتحصن بالعلم ، بل ولم يتسلح بأبسط المبادىء التى تساعد عقله على فهم الأمور من وجهها الصحيح ، فدخل معركة بغير سلاح ، واقتحم ميدانا لم يؤهل له ، ورغم تفانيه فى تزويق أسلوبه بالمألوف من العبارات وغير المألوف منها ، على نحو ما ورد فى كتابه ، من ألفاظ : التسطيح والتمويه ، والتسربل ، إلا أن الكتاب قد تمخض فى جملته عن مجموعة أفكار مشوهة ، خاطئة ، متناقضة ، يناطح بعضها بعضا ، وهى بالطبع لم تستق من مصدر يمكن الاستناد إليه ، ولم تؤخذ من أصل يوحى بلأطمئنان له ، بل جاءت تعبيرا ذاتيا عن فكر صاحبها ، فكشفت فيه عن فهم متواضع ، وعلم محدود ، وقصد الله به أعلم .

ظن فى غير محله :

وكنا نظن بعد (الزياط) الذى أحدثته احدى المجلات الأسبوعية ، التى تخاطب القلوب الشابة ، والعقول المتفتحة ، حول الكتاب والكاتب ، حين جعلت من الأخير إسلاميا(١) ،

أقول : كنا نظن بعد تلك الضجة المفتعلة حول الرجل ونتاجه ، أنه قد قدم شيئا يمكن الانتفاع به ، أو أسدى للعلم جديدا يرقى لمناقشته فيه ، ولم أكد أتصفح الكتاب حتى تبدد ذلك الظن ، وظهر جليا أن الرجل لم يكن يفكر فيما خطر لى

---

(١) ليس هذا أول ولا آخر « المفكرين الإسلاميين » الذين تقدمهم تلك المجلة ؛ فإنه يمكن لأى إنسان يكتب ضد الشريعة الإسلامية أن يحظى منها بلقب « مفكر إسلامى » كما حظى أيضا بعدة صفحات لنفثاته .... مجلة الأزهر

من ظن ، بل كان يفكر فى أمر آخر بعيد عن العلم ، بمقدار بعده عن الصواب .

مقاصد كاتب السقوط :

وكاتب السقوط رجل عاقل ، مؤمن بأن العقل كما يقول : لم يخلق للإمتهان ، ولكل عاقل قصد من فعله ، وقد أفصح الرجل عن قصده من خلال ما كتب ، وظهر واضحا أنه إنما يستهدف تشويه صورة الاسلام ، وتاريخه ، ورجاله ، بدءا من الخلفاء الراشدين إلى عصرنا الحاضر ، ليصل من خلال ذلك الى هدف محدد أقسم أن يستميت فى سبيله[١] ، وهو منع تطبيق الشريعة الاسلامية فى مصر ، فالرجل يريد أن يعزل الاسلام عن الدنيا ، وينأى به عن تنظيم الروابط الفردية والعلاقات الدولية ، ليكون مجرد أمر روحى يقتصر نطاقه على المسجد ولا يتعداه الى خارجه ، وهو لا يريد لمصر أن تكون مسلمة بل يريد أن تكون فرعونية ، ظنا منه أن الاسلام وشريعته سينالان من حقوق الأقباط فى مصر ، ونعى على التاريخ الاسلامى بما يشوه عصر الخلفاء الراشدين والسلف الصالح ، ولم ينس أن يشوه صورة علماء الاسلام ويرميهم بالجمود والتخلف كما لم ينس رجال الدعوة الاسلامية فوصفهم بالساسة المتسربلين بالدين ، والحالمين بمقعد السلطان ، والمختلفين فى الآراء الى حد التقاتل .

كان ما سبق تلخيصا موجزا لأهم المسائل التى ركز عليها المؤلف فى كتابه بناء على قصد مبيت منه للهجوم على الاسلام ، وتشويه تاريخه ، والطعن على رجاله ، لينتهى من خلال هذا المسلك الى الافصاح عن رأيه فى عدم صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق لأنها فى نظره لاتصلح منهاجا للحياة ، حيث ستكون كمايزعم فى كتابه : « مدخلا مباشرا للفتنة الطائفية بل ربما تمزيق الوطن الواحد »[٢] ، وقد سخر كل ما أملاه عليه خياله فى الكتاب الى ذلك الهدف المقصود بالنسبة له ، فتاريخ الاسلام عنده كله قتل واغتيال وعنف ، والدعوة إليه هدفها الوصول الى الحكم ، والخلاف فى الرأى عند الفقهاء يجر الى التصارع والتقاتل ، الى غير ذلك من الترهات التى بثها على صفحات كتابه ، والتى هى أوهى من أن يرد عليها ، وتعلن بنفسها عن خطأ صاحبها ، والتى ما جره إليها غير شيئين ، هما : الفهم المشوه لحقائق التشريع الاسلامى ، والموقف الذى ترسب فى أعماقه عليه ، وذلك من جراء العكوف على مواطن الفكر المشبوه .

ليس هذا من مسلك العلماء :

والكاتب وهو يبث أفكاره هذه على صفحات كتابه ، سلك مسلكا يدل على أنه حديث عهد بالقلم ، فهو مفتون بنفسه ، معجب بفكره ، تراه يطلق العبارة بطريقة لا تقبل شكا عنده ، كأنه قد قرأها من اللوح المحفوظ ، أو كأن الله قد أوقفه

(١) قبل السقوط ـ لفرج فوده ـ ص ٨٥ وما بعدها .

(٢) المرجع والمكان السابقين .

على علم ما فى الكتاب ، وبأسلوب يظنه فوق المناقشة ، وهذا وهم كبير ، لا يهمه أن يتعارض مع الحقائق الثابتة ، أو العقول المتزنة ، فالرجل لا يعنيه شىء من ذلك ، وكل ما يعنيه أن يقول ما يريده حتى ولو كان ظاهر البطلان ، وبالطريقة التى تعجبه ، حتى ولو طعن بها مشاعر الملايين المسلمة ، ومزق قيما بنص الدستور على حمايتها ، ويمنع القانون العابثين من التطاول عليها ، إنها الجرأة التى فاقت كل تصور ! ! ،

والمعهود عن العلماء ، أصحاب الفكر السوى والعقول الكبيرة ، أنهم على جلال قدرهم ووفرة علمهم ، لا ينظرون الى الأمور نظرة المغرور المفتون ، ولا يعتبرونها قضايا مسلمة ، أو رأيا مقطوعا به ، أو قولا لا يقبل الشك ، لأنهم علماء مؤمنون باختلاف الرأى فيما للرأى فيه مجال ، فاختلاف الأفهام أمر وارد مشاهد ، يؤيده الواقع ، ويقره الشارع ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ، وأن كل واحد يؤخذ من كلامه ويرد ، الا الصادق المصدوق ﷺ ، ومن ثم كان الخلاف فى الفهم الذى هو أساس اختلاف الرأى أمر واردا ، ولهذا كان المشهور من أخلاق العلماء ، والمأثور عن سلوكهم ، أن الواحد منهم يعتبر رأيه صوابا يقبل الخطأ ، ورأى غيره خطأ يقبل الصواب ، ولو كان الرجل كذلك لا لتمسنا له عذرا ، ولقلنا : إنه إن لم يكن عالما فهو فى طريقه لأن يتعلم ، ولكنه ليس كذلك ، إنه من طراز آخر غيرهم ، كلامه مسلم به ، وفكره مقدس عنده ، وقف عند رأيه وانتهى ، ومن هنا كان حريصا فى كثير من فقرات كتابه على التعبير عن هذا المسلك غير السوى ، بعبارات تدل عليه ، من ذلك مثلا كلمة : « لاشك فى ، أولا أشك فى » [١] أو قوله مثلا : « أنت لاتشك معى فى هذا » [٢] ، « فأنت لا تستطيع أن تنكر » [٣] « أنت تتفق معى على » [٤] « وأنت لا تستطيع أن تختلف معى » [٥] ، فهو يعتبر كلامه تنزيلا ، ورأيه فوق المناقشة ، وهل مثل صاحب هذا المسلك يبتغى وجه الحق والحقيقة ؟ ، أعتقد أن هذا ليس من منهج العلماء ولا من أسلوب المفكرين .

ثم إن أمره لعجيب ، إنه لا يخلو من مغالطة ، حين يقصد الى إيهام القارىء بأن ما انتهى إليه ، لا يعد نزوق فكر أو طيش قلم أو شذوذ رأى ، بل يحاول أن يصور الأمر على أنه محل اتفاق عام من جميع الناس ، من ذلك مثلا قوله فى كتابه : « أيها السادة .. دعوا المغالطة ، فقضية الحكم الدينى ليست قضية أغلبية وأقلية بل هى قضية اتفاق عام » [٦] ، ولست أدرى من الذى يجب عليه أن يدع المغالطة ؟ ، وإلا فكيف استطاع ذلك الرجل أن يتصور مثل هذا الاتفاق العام المزعوم على ما يقوله ، يعد أن عبرت كل طوائف الشعب عن رغبتها المخلصة فى الاحتكام الى شرع الله ، وذلك فى أكثر من استطلاع للرأى ، واستفتاء عام رسميين محايدين ، إلا إذا كان الرجل يعتبر نفسه هو كل الناس ، وهذا ليس معقولا ، أو وصيا عليهم وهذا ليس ممكنا .

◄

(١) المرجع السابق ص ٢٦ ، ٤٥ .
(٢) (٣) ، (٤) ـ نفس المرجع ـ ص ٤٤ .
(٥) ـ نفس المرجع ـ ص ٤٥ .
(٦) المرجع السابق ص ٨٥ .

ذكريات الدعوة فى مهدها :

ثم ان أمره مع المغالطة ، لا يخلو من تناقض واضح ، وتضارب ملحوظ ، فهو فى الوقت الذى يرفع فيه شعار « إقصاء الاسلام عن سلوك الحياة » ، ومنع تطبيق شرع الله وحصره فى المسجد ، ينعت الدعوة إليه والاقناع به بالرجعية والجمود والتخلف ، فإذا ما سألته عن البديل للأسلام الذى استقر فى كيان مصر وضميرها ووجودها وتاريخها عقيدة ، وشريعة ، وسلوكا ومنهاج حياة ، أجابك بأن البديل هو القومية المصرية الفرعونية ، فالدعوة الى القومية المصرية الفرعونية ليست رجعية ، وإنما هى حداثة ومعاصرة ، والدعوة الى المصرية الاسلامية الرائدة ، فى معياره رجعية وتخلف ، وهذا تناقض واضح .

وهو فى الوقت الذى يرفع فيه شعار « إقصاء الشريعة عن حياة الناس » ، يعلل ذلك ، بأن البديل لن يكون مقبولا من المسلمين المستنيرين ، أو المتنورين على حد تعبيره فى كتابه (١) ، فالمسألة عنده تقدم ومعاصرة وتنور ، وقد غاب عن ذهنه أنه وهو يناكف بآرائه ، ويتطاول بأقواله على الاسلام قد جسد أمامنا وفى شخصه تاريخا رجعيا قديما يبعده عن مجال الاستنارة والمعاصرة ، ويجعل فكره أسير فترة زمنية بالية معروفة لكل المسلمين ، تلك الفترة التى عاصرت بداية الدعوة الاسلامية فى مهدها ، حين تجمع المشركون بقيادة أبى جهل للنظر فى مواجهة الدعوة الفتية الناشئة لأنهم قد استشعروا فيها خطرا على مراكزهم ، ومن ثم لم ينظروا الى الإسلام كدين يدعو الى الحق والعدل والخير والفضيلة والمساواة والرقى والتقدم ، ويفتح أمام الإنسان كل أسباب التكريم ، وأبواب الأمل والنصر والعزة ، لأن كل هذه المعانى لا تعنيهم إلا بقدر ما سينالهم من عائد ، ومن ثم ربطوا بين العقيدة ، ومظاهر الحياة وادياتها وجعلوا تحصيل الثانية مدخلا لقبول الأولى ، وما هكذا يكون الايمان !

وأنت حين تتأمل ما أثاروه من آراء فى مواجهة النبى ﷺ ودعوته ، تجد أن منه فى فكر السقوط الشىء الكثير ، قالوا للداعية الأعظم ﷺ : إنك تريد زعامة ، فإن كان الأمر كذلك نصبناك علينا ، وهذا نفسه هو ما يصف الرجل به الدعاة ، فهم عنده مسيسون ، متسربلون بالدين يحلمون بالسلطة والزعامة (٢) ، وقالوا : إنه يفرق بدعوته الأهل ويمزق وحدة المجتمع ، ويبعد الولد عن أبيه ، والمرء عن زوجه ، وكاتب السقوط يقول إن الاسلام سيجعل من مصر لبنانـاً آخـر ، وسيفرق بين المسلمين وغيرهم ، وقالوا كما حكى القرآن الكريم : « **وَقَالُواْ لَن نُّؤمِنَ لَكَ حَتَّى تَفجُرَ لَنَا مِنَ الأَرضِ يَنبُوعاً ، أَوتَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنهَرَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً ،** » ، إلى أن قالوا كما حكى الله عنهم : « **أَويَكُونَ لَكَ بَيتٌ مِّن زُخرُفٍ أَوتَرقَى فِى السَّمَاءِ وَلَن نُّؤمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَينَا**

---

(١) نفس المرجع ـ والمكان السابقين .

(٢) المرجع السابق ـ الغلاف الأخير .

كِتَاباً نَّقرَؤُهُ ، قُل سُبحَانَ رَبِىّ هَل كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَّسُولاً » (١) .

والرجل يقول للدعاة الى تطبيق شرع الله : لن نقبل حتى تقدموا لنا برامج للاقتصاد والاسكان ، وحل المشاكل ، أليس هذا بروحه ومعناه ، هو نفس ما خطر للمشركين من مزاعم فى مستهل الدعوة الاسلامية ، لقد نسى الرجل أنه « وهو مسلم يشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمدا رسول الله » بعد مرور تلك القرون الطويلة إذ به يفكر تفكيرا أحيا به فى الأذهان ذكرى أبى لهب ، وابنى ربيعة ، والحكم بن هشام والعاص بن وائل وغيرهم ممن وقفوا فى سبيل الدعوة ، وربطوا بين العقيدة والمنفعة ، وأرادوا الدنيا على حساب الدين ، فجاء فهمهم بعيدا عن الاسلام ، لأنه لا يخاطب فى الانسان بطنه ، وانما يخاطب فيه روحه وقلبه وعقله ، وهو لايريده ماديا خالصا ، وإنما يوازن فيه بين الروح والمادة ، بما يحقق سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، من خلال منهاج يحفظ الحق ويصون الكرامة .

نور الاسلام وشموخه :

وللقارىء أن يتساءل بعد ذلك عن ما انتهت إليه كل تلك المحاولات ؟

إنها لم تستطع أن تعطل مسيرة الاسلام قيد أنملة ، بل مضت دعوته فى طريقها ، وانتشر نوره بمشيئة الله القائل : « **وَيَأبَىَ اَللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَو كَرِهَ الْكَفِرونَ** » (٢) .

إن الإسلام الذى استقر فى وجدان المسلمين بكل حقائقه وكامل أحكامه ، لن تنال منه ذبابة ، فهو شمس الوجود ،

لقد تبخرت مزاعم الأولين ، وظل الإسلام على قوته وشموخه ، وستنهى أوهام الآخرين ويظل نوره هاديا للحيارى ، ومنارة للتائهين .

فى المقال القادم بإذن الله .

والله الموفق والمعين ؛ ؛ ؛

يتبع ؛

دكتور

عبد الله مبروك النجار

---

(١) سورة الاسراء ـ آيات : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ .

(٢) سورة التوبة ـ آية ـ ٣٢ .

الإسلام .. والمسلمون في الصين

(٤)

الخروج من الجحيم !!

للدكتور عبد الودود شلبى

فى بداية الستينيات .. هبت النار فى كل أنحاء الصين فلم تدع قديما ، ولا جديدا الا أحرقته . ولم تترك وراءها سوى الحرائق التى اكتوى بلهبها كل إنسان كريم حر .

إنها . « الثورة الثقافية » التى استهدفت تغيير وجه الصين وتاريخه ، والتى كانت أعصارا اقتلع كل شىء فى طريقه من الدين .. إلى الأدب .. إلى الثقافة .. إلى الانسان نفسه حيث أصبح هذا الانسان فى مفهوم هذه « الثورة » شيئا كغيره من الأشياء التى لم يعد لها ثمن عند جحافل الشباب من الحرس الأحمر .

ولم نجد وصفا لما حدث فى هذه الفترة .. أشمل مما كتبه مؤلف « الاسلام فى الصين »[1] لما اتسمت به كتابته من التفصيل والدقة ، وبخاصة فيما يتعلق بالاسلام والمسلمين إبان هذه الثورة .

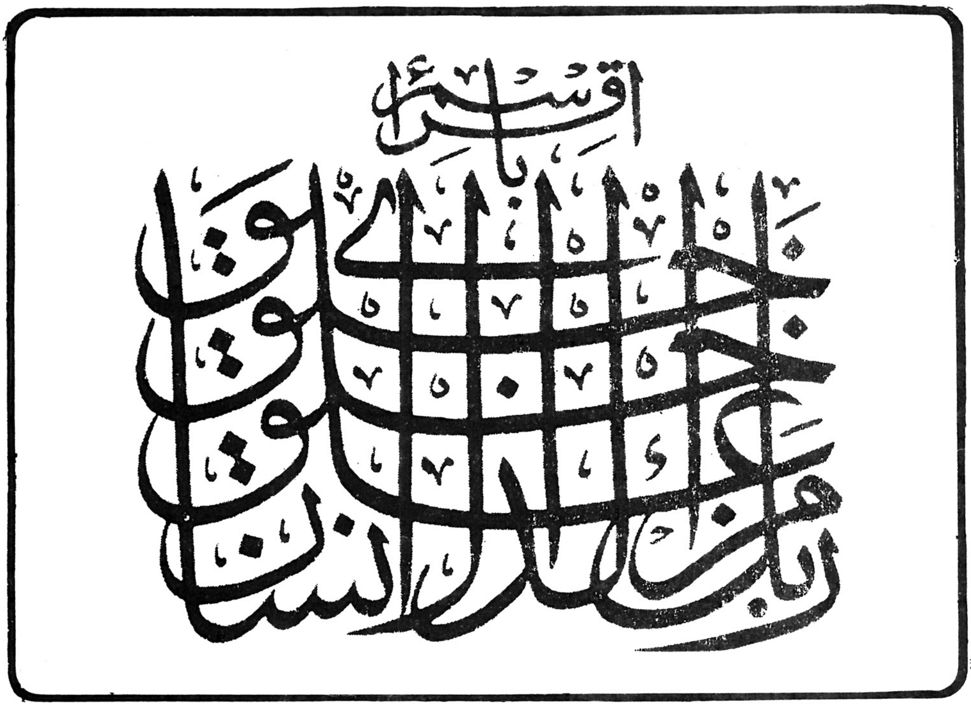
ولسنا هنا فى مجال تحليل الدوافع التى حدت بالرئيس « ماو » إلى تفجير هذا الزلزال الذى قلب الصين رأسا على عقب طوال عشر سنوات ، ولا ما أسفرت عنه هذه الثورة من نتائج .

فتلك كلها مسائل ما زالت مثار جدل ، فضلا عن صعوبة تحرى الحقيقة سواء فيما يطرح من أسباب أو فيما يرصد من نتائج .

وفى مناخ كالذى تعيشه الصين منذ عام ٧٨ ،

---

(١) « الاسلام فى الصين » ص ١٤٤ ومابعدها . من سلسلة « عالم المعرفة » التى تصدر فى الكويت - تأليف فهمى هويدى



فإن الجو كله معبأ ضد الثورة الثقافية ولا محل لمناقشة موضوعية هذه القضية .

ولكن الذى يعنينا فى هذا المقال هو تأثيرات هذه الثورة على مسيرة الإسلام والمسلمين فى الصين ، وهو جانب يمكن الخوض فيه بلا محاذير ، لان عناصره سلبية على طول الخط ، وأى استطراد أو تفصيل فى شرور عصابة الأربعة ، هو مقبول بل مطلوب ، لأنه ينسجم مع « الخط » المرسوم .

... تريد أن تعرف ماذا فعلت بنا عصابة الأربعة ـ سألنى الحاج إلياس شين نائب رئيس الجمعية الاسلامية ـ هذه مسألة يطول شرحها ، بل يتعذر الالمام بها ، لأنهم خربوا كل شىء .. فى بلادنا .

❋ سمعت أن رئيس الجمعيه ، (الحاج محمد على تشانغ[1] ، تعرض للضرب من قبل شباب الحرس الأحمر .

❋ الملاعين ، لم يتركوا واحدا منا الا وأهانوه . لقد كان الأذى الذى تعرض له الحاج محمد على

محدودا من الناحيه المادية ، وهو فادح وكبير إذا ما راعينا منصبه ، أما ما جرى معى فلا يمكن

(١) زعيم مسلمى الصين .

الإسلام والمسلمون فى الصين

وصفه ، فقد كان من الناحيتين المادية والمعنوية شيئا فظيعا للغاية ، الحمد لله ، فقد ذهبوا وراحت أيامهم السوداء .

قالها الحاج إلياس بمرارة ، وعيناه زائغتان فى الفضاء ، تبحثان عن شىء أو تستعيدان شيئا .

وعلمت فيما بعد أن الرجل ضرب ضربا مبرحا فى « قانصو » ، حيث كان نائبا لرئيس الجمعية الاسلامية فى المقاطعة ، وواحدا من تسعة نواب للرئيس يباشرون نشاطات الجمعية فى مختلف أنحاء الصين .

كما علمت أن رجال الدين الذين كانوا متواجدين فى العاصمة لم ينلهم كأشخاص أذى بدنى كبير، بسبب وجود سفارات الدول الاسلامية فى بكين .

وحتى لا يطلع الأجانب على عمليات كهذه يقوم بها شباب الحرس الأحمر ولكن الذين كانوا فى الأقاليم لقوا الكثير من الإهانات ، فقد اعتقل كثيرون من رجال الدين ، مئات منهم اقتيدوا إلى السجون ، وعذبوا تعذيبا شديدا والذين لم يسجنوا ضربوا فى الشوارع ، أو اقتيدوا وسط تهليل الجماهير وسخريتهم ، وقد علقت على ظهورهم كلمات مثل الشياطين والأشباح والغيلان . ليس هذا فقط ولكن هؤلاء الشباب اقتحموا بيوتهم ، وأخذوا ما لقوه من مصاحف وكتب ، وأحرقوها علنا فى الشوارع ، على اعتبار أن هذه الكتب تروج للخرافات ،

وبسبب هذه الحرائق فقد المسلمون مئات من الكتب المخطوطة النادرة ، وهى خسارة فادحة لأن الأسر المسلمة ، ورجال الدين خاصة ، يحتفظون بعشرات المخطوطات المتوارثة منذ قرون مضت ، والتى كان يلجأ المسلمون الى كتابتها بخط اليد نظرا لتعذر طباعتها .

أهدر هذا الكنز الثمين من الكتب التراثية ، وتحول الى رماد داسته أقدام تلك الحملة المجنونة .

لقد ظلت أعداد كبيرة من رجال الدين حبيسة البيوت أشهرًا طويلة ، خشية الخروج الى الشارع والتعرض للاهانة والسخرية ، ولكنهم لم يسلموا من ذلك المصير المؤلم ، فقد كانوا ينتزعونهم من منازلهم ، ويوجهون إليهم الشتائم والسباب وكلمات التجريح باعتبارهم رموزا للرجعية .

وامتدت الحملة الى المساجد ، التى أغلقت جميعها فى خارج بكين ، وهدم بعضها وحول البعض الآخر الى ورش ومخازن ومحال تجارية .

وتعرضت المقاطعات ذات الكثافة السكانية المسلمة الى قدر متزايد من هذه الاجراءات ، حدث ذلك فى مقاطعات « سينكيانج » و« قانصو » و« نينغشيا » بوجه أخص .

وقد أبقوا على مسجد واحد فى بكين (مسجد تونج سى بالو) ليصلى فيه الدبلوماسيون العرب فى الأعياد المناسبات .

وقد قال لى أحد هؤلاء الدبلوماسيين:إنه ذهب الى مسجد العاصمة لصلاة الجمعة فى ذلك الحين ، فلم يجد سوى خمسة أشخاص فقط : الامام ، ومساعده ، والمؤذن ، وخادمين .

وقال لى الحاج محمد على رئيس الجمعية الاسلامية ان من كان يريد أن يؤدى الصلاة العادية فى بيته آنذاك كان يتخفى فى ركن جانبى ، ويؤدى الفريضة بينما هناك من يحرسه ليحذره من أى قادم يضبطه « متلبسا » بالوقوف بين يدى الله .

وكان طبيعيا أن يتعرض ما تبقى من أضرحة يقصدها المسلمون الى عمليات الهدم والإحراق ، وسط تهليل وصيحات شباب الحرس وأشياعهم .

حدث ذلك بوجه خاص فى مقاطعتى « نينغشيا » و« جيلين » .

وإلى جانب هذه الإجراءات ، فقد اتخذت خطوات أخرى فى الاتجاه ذاته .

*ألغيت عطلة عيد الأضحى والفطر ، « حتى لا يتعطل الإنتاج » . وكانا من الأعياد المعترف بها ، والتى يسمح للعاملين من المسلمين بالتغيب أثناءها وهما يومان فقط فى العام ، كانا ثلاثة من قبل حيث اعتبرت ذكرى المولد النبوى عطلة للمسلمين ، ولكن لاعتبارات « استمرار عملية الانتاج » حذفت عطلة المولد من الأعياد المعترف بها للمسلمين .

* أغلقت المطاعم الإسلامية ، التى كانت تقدم وجبات للمسلمين خالية من شحم ولحم الخنزير .

* منع المسلمون فى مقاطعة « سينكيانج » من استخدام الحروف العربية فى الكتابة وأجبروا على استخدام الحروف الصينية ، وهذه الحروف العربية يستخدمها المسلمون ذوو الأصول التركية ، الذين يعرفون بقومية « الاويغور » .

* منع المسلمون فى مناطق الكثافة السكانية الاسلامية من ارتداء ثيابهم القومية ، وأجبروا على استخدام الثياب الرسمية الزرقاء اللون (الجاكت المغلق والبنطلون) .

* جرت عمليات التضييق على المسلمين فى تقاليدهم وحياتهم الخاصة . فقد أعلن وقتئذ أن كل مسلم - مثلا - يموت يأخذ ١٥ قدما من القماش الأبيض للكفن وذلك بمقتضى كوبونات خاصة تعطى المسلمين هذا الحق فى حالات الوفاة مراعاة لتقاليدهم ، ولكن قيادة الثورة الثقافية اعتبرت هذا الاستثناء عبئا اقتصاديا على الدولة ، فضلا عن أنه « عادة رجعية » يجب التخلص منها . وفعلا أوقف صرف هذه الكوبونات للمسلمين .

وكان مما أثار انزعاج المسلمين أكثر وأكثر أن أصواتا دعت أثناء الثورة الثقافية الى إحراق جثث موتاهم أسوة بغيرهم من الصينيين ، بحجة أن مقابر المسلمين تحتل مساحات من الأرض ، مما يعوق فرص استثمار هذه الأراضى بصورة اقتصادية أفضل ، ويبدو أن رد فعل المسلمين كان عنيفا بدرجة أوقفت تنفيذ هذا الاقتراح .

وسمعت من شاهد عيان عاش تلك التجربة أن المسلمين ذهبوا بأنفسهم لحماية مقابر موتاهم ، وكانوا مستعدين للصدام مع شباب الحرس الأحمر اذا اقتربوا منها .

وروى هذا الشاهد كيف ان المسلمين فى بكين ذهبوا لتطويق المقبرتين المخصصتين لهما فى أطراف العاصمة ، فتجنب شباب الحرس الصدام معهم بينما هدموا مقابر المسيحيين ، التى كانت بغير حراسة واستخدموا جرارات لتسوية الأرض وحرثها ، بحجة تحويلها الى أرض زراعية لزيادة الانتاج .

وخلال هذه المرحلة أيضا تم تهجير بعض المسلمين من مراكز تجمعهم وتوزيعهم على

الاسلام والمسلمون فى الصين

مختلف المقاطعات ، واستقدام صينيين من قومية الهان« وزرعهم » وسط تجمعات المسلمين .

وقد تم ذلك كله وسط جو اعلامى شن حملة عنيفة على الأديان جميعا ، وكل (الغيبيات الموروثة عن عصور المجتمع القديم ، داعية الى القضاء على بورجوازية الفكر والتقاليد التى تقف حجر عثرة فى طريق التطبيق الاشتراكى) .

إلى آخر تلك الصياغات التى تهدم فى حقيقتها كل ما أعلنته الثورة فى عام ١٩٤٩ من شعارات وضمانات تحمى المتدينين وحرية الاعتقاد .

وكما كان للاسلام موقع متميز بين الأديان الأخرى منذ بداية الثورة ، فقد كان له نصيب متميز - بنفس القدر - من إجراءات القمع وعمليات التشهير والتجريح حتى أن الثورة الثقافية شكلت منذ بدايتها « مجموعة ثورية لمقاومة الاسلام » . تولت ترتيب وإصدار كل هذه الاجراءات ، وغيرها بطبيعة الحال[1] .

بهذه الصورة مرت على المسلمين سنوات الثورة الثقافية العشر من ٦٦ الى ٧٦ - التى أعادت الى أذهانهم ظلامات العهود الغابرة ، وبددت كل ما تعلقوا به من أحلام وأوهام ، وأهدرت كل ما أنجزوه وبنوه منذ إعلان الجمهورية فى عام ١٩١١ ، وسدت طريق الأمل الذى انفتح أمامهم عشية « التحرير » فى عام ٤٩ ، وبدا المستقبل أمامهم قاتما وكئيبا ، لا يرون فى آفاقه سوى سحابات حزن لانهائى .[2]

كانت الصورة التى تركتها هذه الثورة هى صورة « يأجوج ومأجوج » اللذين تحدث عنهما القرآن الكريم فى سورة « الكهف » لقد لطخوا صورة الصين فى العالم بلون الدم ولعبت النبوءات القديمة دورها فى قرب نهاية العالم وقدوم « هولاكو » متأبطا ذراع « ماوتسى تونج » ليبيدا الأخضر واليابس من على وجه هذه الأرض .. وليثيرا الفزع والرعب فى قلب كل كائن حى .

ولكن هذه العاصفة قد - اكتسحت - فى النهاية مثيريها والنافخين فى أتونها .. فكما يخرج اللبن - من بين فرث ودم - خرجت الصين من بين وهدة النار لتتلمس طريقها الجديد الى الحرية والرخاء والتقدم ، ولتدفن - والى الأبد - أشباح هذه الهمجية وفى مقدمتهم عصابة الأربعة أو « فور اف جانج FOUR OF GANG» .

***

كانت هذه الفترة ظاهرة وافدة على الصين وتاريخها فى السلام والأمن ،

وقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته العجيبة الى الصين أنها - أى الصين - آمن البلاد وأحسنها حالا للمسافرين فان الانسان يسافر منفردا مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها وترتيب ذلك أن لهم فى كل منزل ببلادهم فندقا عليه حاكم يسكن به فى جماعة من الفرسان والرجال فإذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخرة جاء الحاكم الى الفندق ومعه كاتبه فكتب أسماء جميع من يبيت به من المسافرين وختم عليها وأقفل باب الفندق عليهم فاذا كان بعد الصبح جاء ومعه كاتبه فدعا كل انسان

(١) المصدر السابق ص ١٤٩ .

(٢) انتهى من كتاب « الاسلام فى الصين » .

باسمه وكتب بها تفسيرا وبعث معهم من يوصلهم الى المنزل الثانى ويأتيه ببراءة من حاكمه أن الجميع قد وصلوا اليه وان لم يفعل طالبه بهم وهكذا العمل فى كل منزل ببلادهم من صين الصين الى خان بالق وفى هذه الفنادق جميع ما يحتاج اليه المسافر من الازواد وخصوصا الدجاج والأوز أما الغنم فهى قليلة عندهم(١) .

وقد خرج المسلمون من هذه المحنة أشد إيمانا وقوة فقد أعيد فتح المساجد بعد أن تم إصلاح ما خرب ، وعادت الدراسة الاسلامية الى المعاهد ، بعد أن خرجت الحرية من السجن ، وبعد أن لعلعت أصوات المؤذنين فى « بكين » و« شنغهاى » و« كانتون » و« كانصو » و« سنكيانج » .

لكن ماذا كان موقف هذه الثورة من المسيحية ؟

لقد قضينا فى الصين أكثر من خمسة عشر يوما لم تصادفنا فيها كنيسة واحدة ، ولم نسمع بالمسيحية ـ الا فى مدينة قريبة من « قوانجشو »عاصمة ولاية « كانتون » حيث قال محدثنا : إنه يوجد هنا فى هذه المدينة مسيحيون وكاثوليك .. فلما سألت مستفسرا عن الفرق كان جوابه : نحن نعتبر « الكاثوليك » ديانة مستقلة عن المسيحية ...!

للموضوع بقية

(١) نقلا عن رحلة ابن بطوطة .

طرائف

« رجال »

رجال إن هموا ابتسموا لمرضى
لقيت من ابتسامتهم طبيبا
وإن نظروا إليك وأنت عاص
رجعت بمدهم عبدا منيبا
وإن نظروا إليك وأنت عار
وجدت من التقى ثوبا قشيبا
هموا اتبعوا الشريعة فى خطاها
فألقوا ما تضيق به رحيبا
فمدوا ظلها شرقا وغربا
وخاضوا الحجر واعتنقوا اللهيبا

« أحمق الناس وأعقلهم »

قال الإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - لعامر بن مرة الزهرى ، من أحمق الناس ؟ .

فقال : من ظن أنه أعقل الناس .

قال : صدقت .

ثم قال : من أعقل الناس ؟ .

فقال : من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة الجهال .

« بم سوّدك قومك ؟ »

قال رجل للأحنف ، بم سَوَّدَك قومك ، وما أنت بأشرفهم بيتا ، ولا أصبحهم وجها ، ولا أحسنهم خلقا ؟ .

قال : بخلاف ما فيك يا ابن أخى .

قال : وما ذاك ؟ .

قال : بتركى من أمرك ما لا يعنينى ، كما عناك من أمرى مالا يعنيك .

أبلغ تعزية

أصيب على بن أبى موسى بمصيبة ، فصار إليه الحسن بن سهل .

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

فقال : إنا لم نأتك معزين ، بل جئناك مقتدين . فالحمد لله الذى جعل حياتكم للناس رحمة ، ومصائبكم لهم قدوة .

« حقا »

يحب المرء أن يلقى مناه
ويأبى الله إلا ما يشاء

« النهى عن اتباع الهوى »

قال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - : أخاف عليكم اثنين :
اتباع الهوى ، وطول الأمل

وقال الشعبى : إنما سمى الهوى هوى لأنه . يهوى بصاحبه .

وقال بعض الحكماء : من أطاع هواه ، أعطى عدوه مناه .

وقال غيره : العقل صديق مقطوع (أى مجهول) ، والهوى عدو متبوع .

وقال هشام بن عبد الملك - الخليفة الاموى

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى
إلى كل ما فيه عليك مقال

« دعاء »

اللهم رضنى بقضائك ، وبارك لى فيما قدر لى ، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :

مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة

قيمة الاشتراك سنويا

ـ جمهورية مصر العربية

جنيه	مليم
٢	٤٠٠

* اتحـاد البريد العـربى والافريقى

« بالبريد الجـوى »

١٥ خمسة عشر دولارا أو ما يعادلها ٠

* باقى دول العالم ٣٠ ثلاثون دولارا أو يعادلها ٠

يكتب بالاشتراك مباشرة :

الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة ٠

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

تأملات في قانون الحياة

(٩)

الأعجاز العلمى

فى القرآن الكريم

العمق الثامن للاعجاز العلمى فى القرآن الكريم :

يتصل هذا العمق بحقيقة أن القرآن الكريم أول كتاب يعلى من شأن العلم والعلماء ، ويأمر بالاستزادة من العلم ، من غير تحديد لتخصص علمى معين ولا لنهاية للدرس والبحث بالذات .

ويمكن للانسان ان يستمد علومه ومعارفه عن طريقين أساسيين :

الأولى : طريق الدين ، وأساسها كتاب الله وسنة رسوله الكريم :

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) . ــ البقرة (٢٨٥) ــ

ويبصرنا الدين بعالم ماوراء الحس أو ماوراء الإدراك أو عالم الغيب ، وكذلك يحدثنا عن الروح ، تلك التى لاتخضع لتجاربنا وقياساتنا المعملية :

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ــ الاسراء (٨٥) ــ .

وسوف نتحدث فى مقال لاحق عن ماورد من ذكر الروح فى كتاب الله العزيز كعمق من أعماق الاعجاز العلمى .

وأما الطريق الثانية التى تمدنا بالمعرفة فهى طريق العلم الطبيعى أو التجربة والقياس والرصد والتتبع لما فى الكون (كتاب الله المنظور) من ظواهر ومادة وإشعاع وطاقات باستخدام الحواس أو الأجهزة والآلات المعدة لذلك . ولا

أ.د. محمد جمال الدين الفندى

دخل العلم الطبيعى بعالم ما وراء الحس وهو (أى العلم الطبيعى) جزء لايتجزأ من رسالة الاسلام الخالدة ، وبه نهض علماء المسلمين الأولين عندما فهموا الاسلام على حقيقته فكتبوا العلم الطبيعى الى جانب علوم الدين ، وقادوا البشرية الى عصر العلم ، بعد أن ورثوا القيادة والسيادة على الأرض :

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ) ـ الأنبياء (١٠٥) ـ أى الصالحون لعمارتها وتيسير سبل العيش عليها . وما تخلف كثير من المسلمين بعد ذلك الا بسبب نبذهم وتركهم العلم الطبيعى لأهل الغرب .

ولقد صنع العلم الطبيعى مايشبه المعجزات فى هذا العصر ، وبهر الأنظار ، واستحوذ على عقول الناس بما وفر من مصادر القوة . وواجبنا اليوم اللحاق بالركب تمشيا مع قوله تعالى :

(وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ....) ـ الأنفال (٦٠)

والقرآن الكريم يفرق بين مجرد الظن والوهم والخيال وبين الحق واليقين أو العلم فيقول مثلا :

١ ـ **(وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) ـ يونس (٣٦) .**

٢ ـ **(قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ـ الزمر (٩)**

ورغم ذلك فقد انتشر الجهل بين صفوف المسلمين بانتشار ما أوحت به الأحاجى من أوهام مثل ألف ليلة وليلة ونحوها .

ويأمر القرآن الكريم بالأخذ بالأسلوب العلمى ونعنى به ـ كما سبق أن ذكرنا ـ التثبت بالرصد والقياس والتتبع والتيقن من صحة الأشياء ، فيقول مثلا :

٣ ـ **(قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ....) ـ الأنعام (١٤٨) .**

كما يرفع من شأن العلماء ويعلى من قدرهم فيقول على سبيل المثال لاالحصر :

٤ ـ **(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ـ العنكبوت (٤٩) .**

٥ ـ **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ...) . فاطر (٢٨) .**

٦ ـ **(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) ـ المجادلة (١١) .**

٧ ـ **(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ) ـ الحج (٥٤) .**

وبالعلم ميّز الله تعالى آدم على سائر المخلوقات ومنها الملائكة فقال فى سورة البقرة :

(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَـؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِم قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَاكُنتُمْ تَكْتُمُونَ) ـــ البقرة (٣١ ـــ ٣٣) .

ولا تكون الأسماء الا للمخلوقات ومنها الأشياء الكونية وصفاتها وخواصها ، وهى مضمون دراسات العلم .

ولاعجب إذا أن تكون أولى آيات الذكر الحكيم على الاطلاق طلبا للعلم والمعرفة ، حين نزل جبريل عليه السلام يردد قول المولى سبحانه وتعالى : ـــ

٨ ـ
(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ) ـــ العلق (١ ـــ ٥) .

ويُقْسِمُ الخالق ـ جل شأنه ـ بالقلم الذى هو أداة العلم والتعليم فيقول فى سورة القلم .
٩ ـ (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) ـــ القلم« ١ » .

ويجعل القرآن الكريم سر السعادة فى الآخرة العقل المفكر السليم الذى يجرى صاحبه وراء الحق ، فيقول بلسان أهل النار :

١٠ ـ (وَقَالُوا لَوْكُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَاكُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ) ـــ الملك (١٠) .

كما يقول فى وصف المكابرين الجاحدين :
١١ ـــ (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) ـــ الأنفال (٢٢) .

والمعروف أن السبيل الى اتساع أفاق العلم والى تقدمه فى الجامعات والمعاهد هو البحث العلمى ، الذى يؤدى الى المزيد من الكشف والرصد والقياس لما فى الكون من آيات رائعة ونظام مبدع

وأن تدبر كتاب الله وتفهم آياته (الكونية) فى ضوء الآفاق الواسعة التى يفتحها أمامنا البحث العلمى تباعاً ، وعدم الوقوف عند حد ما قاله الأولون المجتهدون هو من ألزم واجباتنا فى هذا العصر ، خصوصا إذا تذكرنا أن القرآن الكريم بوصفه معجزة خالدة لايقف إعجازه عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات وينير لنا كتاب الله العزيز الطريق ، ويطالبنا بالمزيد من العلم ، فيقول مشيرا الى علمنا المحدود :

١٢ ـ (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) ـــ يوسف (٧٦) .

١٣ ـ (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) ـــ الاسراء (٨٥) .

١٤ ـ (وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً) ـ طه (١١٤) .

وعلى هذا النحو نشأ العلم الطبيعى فى أحضان الدين عند المسلمين فى أول عهدهم ، وظهر منهم العلماء الذين أرسوا قواعد العلم التجريبى ، وعلم الحساب ، والفلك ، والفيزياء ،

والكيمياء ، فابتدع الخوارزمى علم الجبر ، كما وضع أساس حساب (اللوغاريتمات) ، واشتقت كلمة (لوغاريتم) ، فى الأصل من كلمة (خوارزم) .

وأدخل المسلمون الصفر فى الحساب العشرى الذى استخدموهُ فى معاملاتهم ، ونبذوا الحساب الستينى الذى كان سائداً الى جانب الحساب العشرى آنئذ إلا أنه لايزال يستخدم فى حساب الزمن مثلا حيث نقول أن الساعة ٦٠ دقيقة والدقيقة ٦٠ ثانية .. وهلم جرا .

ولقد تم ذلك بطبيعة الحال بايحاء من الدين الحنيف . أنظر مثلا الى قوله تعالى :

١٥ ـ (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) ـ الأنعام (١٦٠) .

١٦ ـ (وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) ـ سبأ (٤٥) .

١٧ ـ (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُل فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ) ـ هود (١٣) .

والذين فصلوا العلم عن الدين هم الأوروبيون إبان العصور الوسطى حتى لايكون الدين عندهم حجر عثرة فى سبيل انطلاقهم العلمى . وللأسف الشديد رحنا نحن ننقل العلم عنهم فى هذا العصر مفصولا عن الدين كذلك .

وللأسف الشديد أيضا كان من الطبيعى أن أدت نهضة الغرب العلمية والصناعية التى تمت بعيدا عن أحضان الدين القويم والقيم الروحية السامية إلى انحلال الأخلاق ، وانتشار الرذيلة ، وظهور المبادىء الهدامة مثل الوجودية وتقوضت أركان الأسرة ، وارتمى كثير من الناس فى أحضان الرذيلة ، وتعاطوا المسكرات والمخدرات ونحوها .

ونحن عندما ننادى بالأخذ بأسباب التقدم العلمى إنما نريد أن يتم ذلك فى أحضان الدين ، تماما كما فعل آباؤنا من قبل ، ونحافظ على قيمنا الروحية . ولنا من الاسلام الحنيف أكبر نصير للعلم وأعظم درع يقينا من شرور المادية ، ويضمن لنا سعادة الدارين .

والحق أن النهضة إنما تبنى على العلم ، وان المسلمين يوم أن خلطوا بين عالم الحس (الكون) وعالم ماوراء الحس (مثل الأرواح والأشباح) تاهوا فى بيداء الأساطير والأوهام ، وتخلفوا عن ركب الحضارة ، فانكسرت شوكتهم ، وضاعت هيبتهم .

واذا كانت الفنون وكان الابداع فيها سمتا من سمات بعض الحضارات ، فان الابداع التكنولوجى ـ ويعنى التطبيق العلمى للمكتشفات واستخدام قوى الطبيعة المختلفة ـ هو أكبر صفة من صفات الحضارة الحديثة التى نعيشها . وعلى هذا النحو صار العلم أكبر مصدر للقوة التى استخدمها البشر .

فمثلا فى أثناء الفترة التى تم فيها تشييد (تاج محل) ليكون أعظم قطعة فنية لا يرقى الى مستواها فَنٌّ الأنجليز صاغ نيوتن قوانين الحركة ، ودخل مبدأ رد الفعل ميدان التكنولوجيا عند الانجليز خاصة والاوربيين عامة ، فصنعوا البنادق والمدافع التى بواسطتها استعمروا الشرق وغلبوا المسلمين حينا من الدهر .

ويكمن السر فى النهضة العظمى للمسلمين فى عصر صدر الاسلام وراء فهمهم الدين على حقيقته ، ومن ثم تكريم الخلفاء ، والأمراء ، والأثرياء للعلم والعلماء ، والاعلاء من شأنهم يوم أن تبدل الأمر .

يوم أن تبدل الأمر ، وانتهى البحث العلمى ، وقفل باب الاجتهاد ، وركن الناس الى الخيال والأوهام كان التخلف المشين ، خصوصاً وقد عملت بعض الروايات اليهودية (الاسرائيليات) على ترويج تلك الأباطيل بشتى الطرق ، والله تعالى أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« آلم ، ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَارَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ »

« البقرة : ١ ، ٢ »

تأملات فى قانون الحياة

النظرية النسبية

(٢)

تناولنا فى مقال سابق بعض التأملات فى العلوم المختلفة ، واهتدينا من خلالها الى قانون الحياة وأن « لا آله إلا الله » هو ذلك القانون الذى يحكم كل أنواع المعرفة البشرية بمختلف فروعها وتشعباتها .

وأنا أدعو القارىء الى رحلة عقلية نتجاوز فيها سوياً جزئيات المعرفة ونحلق معاً فى عالم رحب نشاهد فيه ماذا أنجز العقل البشرى فى آخر ماوصل إليه لنرى النسبة بين انجاز العقل البشرى فى أحدث نظرياته العلمية وما ذكر فى « ذلك الكتاب » .

إن آخر النظريات العلمية التى ربطت بشكل علمى بين علوم شتى جاء فى النظرية النسبية على يد صاحبها العلامة الرياضى « البرت اينشتين » .

فما هذه النظرية وما مدى قربها من واقعنا فى الحياة على الرغم من تعقدها الرياضى وفلسفتها العلمية العميقة ؟

قبل أن نبدأ بعرض فكرة النظرية النسبية ، نبدأ بمقدمة رياضية بسيطة حتى لا نتجاوز حصيلة العقل البشرى فى المجال الرياضى قبل هذه النظرية .

العلوم الرياضية : هى كل أنواع العلوم المجردة والتى تعبر « كمياً » عن أية ظاهرة ومعنى هذا أننا إذا قلنا ـ مثلاً : س + ص = ع .

فإن هذه المعادلة من الممكن أن تنطبق على أية ظاهرة بغض النظر عن ما هية (س ، ص ، ع) .

هل هى أطوال أوزان أو أعمار .. أو سرعات أجسام ؟ .

لكن المهم فى كل هذا ـ أن س ، ص ، ع فى المثال السابق هى كميات أو مقادير .

للدكتورة سعاد حسين البيلى

وفى العلوم الرياضية تنقسم الكميات الى « كم » ثابت و« كم » متغير .

ومن أمثلة الكميات الثابتة : .....

إذا فرضنا وجود مبنى معين فإن أبعاد هذا المبنى الطول والعرض والارتفاع تظل ثابتة ، وبالتالى فإن حجم هذا المبنى يكون ثابتاً وعدد حجرات هذا المبنى أيضاً لا تتغير بتغير الظروف المحيطة .

ومن أمثلة الكميات الثابتة أيضاً .... كتلة قطعة من المعدن لها أبعاد ثابتة ولا تتعرض لتفاعل كيميائى أو ظروف أخرى كالقطع أو التشكيل .

أى إن الكميات الثابتة أو « الكم » الثابت هى خاصية للموجودات المادية عندما لا تتغير الظروف المحيطة بها .

واذا ما انتقلنا الى الكميات المتغيرة ..... وجدنا فى حياتنا اليومية أمثلة لا يأتى عليها الحصر ...... من حركة أصغر الجسيمات فى هذا الكون إلى حركة النجوم والكواكب والمجرات .

ومن الأمثلة الشائعة لذلك ..... زيادة وزن الانسان مع الزمن ، فإن الانسان يولد ومتوسط وزنه ثلاثة كيلو جرامات ، ثم يصل الى ٧٠ كيلو جراما ، أو اكثر فى مرحلة الشباب والاكتمال .

وليس معدل هذه الزيادة ثابتا ؛ لأنه قد يصل فى العام الأول من عمره الى عشرة كيلو جرامات .

ومن الممكن تمثيل هذه الزيادة بالمعادلات الرياضية المناسبة حيث يكون « الكم » المتغير هو « وزن » الانسان فهو يتغير بالنسبة للزمن .

ولنأخذ الآن مثالاً آخر للكم المتغير وهو أيضاً من الأمثلة الملموسة فى حياتنا ..... فعندما يسقط انسان من شرفة النافذة من الدور الأول من المنزل فإنه يصل الى الأرض بسرعة بسيطة قد تؤدى الى بعض الرضوض أو الكسور البسيطة .

أما اذا سقط مثلاً من الدور العاشر فإنه اذا وصل الى الأرض حياً فإن صدمة ارتطامه بالأرض كافية تماماً لأن تنهى حياته وتحوله الى حطام فى لحظة الارتطام .

والسبب فى ذلك أنه كلما زاد ارتفاع السقوط ، ذادت السرعة النهائية للجسم ، وفى هذا المثال فإن السرعة لحظة ارتطام الجسم الساقط من الدور العاشر تساوى تقريباً عشرة أمثال سرعة الجسم الساقط من الدور الأول .

فى هذا المثال ...... كان الكم المتغير هو السرعة النهائية لوصول الجسم الى سطح الأرض ، حيث تتغير السرعة بالنسبة الى الارتفاع أو المكان بشكل عام .

من المثالين السابقين نستنتج أن « الكم » المتغير اما أن يكون متغيراً بالنسبة للزمان أو بالنسبة للمكان .

تأملات فى قانون الحياة

وكان يعبر عن المكان باتجاه الطول واتجاه العرض واتجاه الارتفاع ـ لذلك سمى الزمن بالبعد الرابع .

ونظراً لعجز الانسان عن التحكم فى الزمان والمكان فقد سماها بالمتغيرات المستقلة أما أى متغير آخر فإنه متغير تابع ....؛ لأنه يتبع تغير الزمان أو المكان فى قيمته كما أوضحنا فى المثالين السابقين .

لنا هنا وقفة ، مؤداها أن الزمان متغير مستقل وهذا هو جوهر النظرية النسبية فى أبسط صورها .

فما هو هذا الزمان ؟

أخبرنا علماء الفلك قديماً بنظرية تقول : إن نتيجة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس دورة كاملة ينتج تعاقب الليل والنهار أواليوم .

أما دوران الأرض حول الشمس دورة كاملة فإنه ينتج العام بفصوله الأربعة وهذا التفسير يبدو متناقضاً مع أبسط فهم للنظرية النسبية حيث إن هذا التفسير يقول لنا ـ ببساطة : إن الحركة تنتج الزمن ، أما النظرية النسبية فإنها تقول : ان الزمن متغير مستقل سواء تمت فيه حركة أم لم تتم .

يحار العقل البشرى فى نتائج العلم ، وفى تفسيراته لأقرب الملموسات الينا : ...... « الزمن » ! ! .

كيف نحل هذا اللغز ؟ فهو أحد الألغاز الهامة فى الحياة .

لنعد الى « ذلك الكتاب » فماذا أخبرنا الحق تبارك وتعالى فى هذه القضية ؟

يقول جل وعلا :

« وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ، وَاللَّيلِ إِذَا يَغْشَاهَا ، » . (الشمس ١ ـ ٤)

سبحان الله . ! ! النهار هنا هو الذى يجلى الشمس والليل هو الذى يغشيها حقاً ..... « **إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ** » .

أى أن الزمن (النهار والليل) هو الذى يظهر الشمس أو يغشيها وليست الشمس هى التى تنتج الزمن من حركة الأرض بالنسبة لها .

أما حركة الشمس والقمر فإن الحق قد قدرها ويسرها لنا حتى نعلم عدد السنين والحساب .

وعندما يذكر الحق تبارك وتعالى ..... « **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا** » فهذه إشارة الى أن من تفانى فى تزكية نفسه وتطهيرها فإن حصيلة هذه الرحلة الطاهرة النقية فى تزكية النفس لابد أن تكون فلاحاً لاحدود له .....

وسبحان من أعطى هذا العطاء وجعل « ذلك الكتاب » كنز الكنوز فإذا أردناه كنزاً للعقل وجدناه ، واذا أردناه للروح وجدناه واذا أردناه للضمير كان كتاباً كاملاً ونشهد أن « لا اله الا الله » قانون عام للحياة ـ جاءت إلينا بالهدى وضاعت من غيرنا بالضلالة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د . سعاد حسين البيلى

شعر وشاعر

إشراف: د. حسن جاد

يا رب

إشراقة

من وحي السبعين

يارب

للشاعر رشاد محمد يوسف

بك أستعين ومن سواك يعين ** ويُعز معتصماً به ويصونُ
بك أستعين على المكاره والأسى ** وأنا بأغلال الحياة سجين
بك أستعين إذا تشابكت الرؤى ** وتكحلت وهم السراب عيون
بك أستعين فأنت نور بصيرتي ** تعنو إليك مشاعر وعيون
ياعالم النجوى وكل سريرة ** يامدركاً للغيب كيف يكون
سويتني جلت يداك بحكمة ** تجلو لأصحاب النهى وتبين
كرمتني بين الخلائق شامخاً ** تختال منى هامة وجبين
وحفظتني ورعيتني في مأمن ** وأنا بأكناف الظلام جنين
رحم به الرحمات مهد عناية ** يحنو بكل تلطف ويلين
أحيا على درب الحياة مسافراً ** مهما تطاول أزمن وقرون
لا بد من موت وضجعة راحل ** لم تغن عنه موانع وحصون
يارب والدنيا صراع دائر ** تحنو علينا تارة وتخون
والفكر أثقله الصراع وهزه ** وتملكته حيرة وظنون
وخطاي في الدرب الطويل ترنحت ** حيرى يفزعها أسى وشجون
تشتاق عيش السائمات طليقة ** ويشدها نحو الصواب يقين
يارب جنبنا العثار ونجنا ** فبغير نورك لن يسير سفين
وامنن علينا من رضاك تكرما ** فرضاك كنز للقلوب ثمين
يارب يارحمن صرخة حائر ** بك يستعين ومن سواك يعين

إشراقة

للشاعرة: جليلة رضا

أيها الطارق الحياة ملولا ... في صباح منغم الأوتار
قم تقدمْ وسر على الدرب حرا ... ضاحك الوجه في سنى الأنوار
وامض في رحلة النهار فتيا ... في شموخ وعزة واقتدار
واغْزُ هذا النهار بالعمل المتقـ ... ـن حتى تفوز بالإكبار
واغز هذا النهار بالأمل الحلـ ... ـو ونور اليقين والإصرار
فإذا ما التقيت باليأس حينا ... فتغلَّبْ عليه بالإنكار
وإذا ما التقيت بالليل حينا ... فانْتزع منه ألفَ ألف نهار
كن مضيئا كمقلة الشمس بشاً ... كمُحيًّا الضفاف والأنهار
كن رقيقاً ثر الوداعة غضا ... مثل قطر الندى وعود الثمار
أرهف السمع فالطبيعة تشدو ... لك أحلى اللحون والأشعار
ولتكن زهرة تفيض عبيرا ... في نفوس من الحنان قفار
لا تعد السنين، لا تحسب العمـ ... ـر فليس الشباب بالأعمار
إن قلبا حوى الطبيعة يوما ... لهو طير يشدو مع الأطيار
قُمْ تقدَّم وسر على الدرب حراً ... وتوكَّل على الإله الباري

من وحي السبعين

للدكتور عزت شندى موسى

مضى العُمر .. إلاما أراه قليلا وأصبحت أخشى في القريب رحيلا
ودارت بي الأيام ، حتى تثاقلت بنجمي فأبدى في العشي أفولا
وجفت عصارات الحياة بهيكلي فصار على مرَّ الزمان نحيلا

*****

على أنها مرَّت كأضغاث حالم تجشم ليلا قد طواه ثقيلا
وتلك لعمري سنَّة الله في الورى وما نرتجي فيما قضى تبديلا
فلا يشمت الجُهَّال فالكأس لا تني تدور عليهم : صبية وكهولا
وليس لمخلوق ، وإن طال مكثه سوى الموت يغدو موردا و سبيلا

*****

فيا أيها الغافي تنبَّه ولا تَنَمْ فسوف ينام الجَفْنُ منك طويلا
ولا تدع الأيام تمضي عواقرا فقد تنتضي ثوب الشباب عجولا
وقد سلب الدهرُ الأحبَّة شملهم فأمسوا على كرِّ المنون .. فلولا
وباتت مغانيهم خلاءً دوارسا وقد تركوا الذكريات طلولا

*****

فقفْ خاشعاً في معبد الطهر خافضاً جناح التدلِّي رهبة وذهولا
وخذ من صفاء الحق خلا وصاحبا إذا لم تجد بين الأنام خليلا
وعطِّر بذكر الله في كل لحظة فؤادك واغمر بالثناء .. رسولا
ومهما يكن من عثرة في جهالةٍ فغفران ربي لا يزال جزيلا
ومازال ذا عفو يجود بفيضه على كل من يرجو لديه قبولا
وليس يذوق العفو إلا الذي كبا نَزَا بُكرةً .. ثم استقام أصيلا

جولة في ديوان أعاصير وأنسام

للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين

بقلم الدكتور مختار الوكيل

سعدت بمطالعتى ديوان (أعاصير وأنسام) للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين ولقد تجلى لى بمجرد مطالعة هذا الديوان أن شاعرنا نهل من ينابيع الأزهر الشريف منذ نعومة أظافره ، فهو من أبناء هذه الجامعة الخالدة التى أنجبت للمسلمين والعرب على امتداد أكثر من ألف عام فطاحل وعباقرة فى كل لون من ألوان المعرفة الدينية والدنيوية ، والذى ينكر عظمة الأزهر وعطاءه كمن ينكر ظهور الشمس فى رابعة النهار ، ومن منا لم ينهل من معين الأزهر حتى وان كان قد نشأ بعيداً عن رحابه ، فالامة الاسلامية كلها قدأخذت عن الازهروأفادت منه ، ولاتزال تفيد الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ونعود الى صاحب الديوان فنقول : ان نشأته الأزهرية الخالصة لم تعقه عن الافادة من المدارس الثقافية الاخرى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من الألباء الاذكياء ، ممن سبقونا الى الانتهال من موارد المعرفة والثقافة ، فى شتى أرجاء الدنيا .

ولقد كان الاتجاه « الرومانسى » أيام شباب الشاعر الأولى هو الاتجاه الظاهر البارز فى شتى مرافق الحياة الأدبية فى مصر ، فقد كان كثير من الشباب يعكفون على دراسة أدب الرومانسيين وشعرهم فى الغرب فى تلك الحقبة واهتمت جماعة « أبولو » بتقديم كثير من شعراء الرومانسية وأدبائها فى الغرب الى جمهور المثقفين فى مصر ، ففى العشرينيات والثلاثينيات وما قبلهما من هذا القرن كثرت

الدراسات والأبحاث عن شــعراء الرومانسية وأدبائها عندنا فى مصر وفى عدد من الأقطــار العربية الأخرى ، ومن ثم سمع أدباء العــربية بأسماء (فيكتور هوجو) ، (لامرتين) و (ريمبو) و (هانيى) ، و (وورد شوورث) . و (شيلى) (و كيتس) ، (بايرون) الخ . الخ .

من هذه الكوكبة اللامعة من شعراء الرومانسية الأفذاذ فى أوروبا ، تولى كثير من الشـــعراء والأدباء المجددين نقل طائفة من أشعار أولئك الشعراء الرومانسيين الى اللغة العـــربية ، فأضافوا بذلك ثروة ثمينة الى الشعر العــربى الحديث كان لها أثرها العظيم فى تلقيح هـــذا الشعر العربى الحديث بالصور والأخيلــة التى ابتدعها أولئك الشعراء الرومانسيون فى الغرب وكان أعظم المستفيدين من هذه الترجمات هــم أولئك الذين لم يقفوا على تلك الأشـــعار فى لغاتها الأصلية .. وبالفعل ظهرت طائفـــة من الشعراء الذين لم يعرفوا الا اللغة العربية بانتاج رومانسى رائع . وأعتقد أن هذا الاستنتاج ليس بحاجة الى دليل ، ويستطيع متتبع النهضـــة الأدبية عندنا أن يستخرج الأمثلة العـــديدة المؤيدة لهذا .

ولا يعنى هذا أن شاعرنا (صان الدين) كان مجرد مستفيد مما ترجم الى العربية عن شعراء الرومانسية فى الغـــرب ، اذ الواقع يؤكد أن صدره كان ممتلئا بالاتجاه الرومانسى ، وأنـــه تقابل مع هذا اللون الجديد من الشـــعر ، حين ذاك لاستعداده الفطرى . ولأن هذا الاتجـــاه الشعرى ، كان سائدا فترة شبابه الأول .

وهذا التقابل بينه وبين الرومانسية قد أنجب لنا شعرا نسعد به ، ومن أهم قصائد الشـــاعر وأجملها قصيدة : (حلم شاعر) وفيهـــا يتجلى هذا الميل الشديد الى العـــزلة والى العيش فى أحضان الطبيعة . فهى خير أنيس وأصـــدق صديق للنفس الشاعرة .. انظر اليه يقول :

* * *

يا حبذا العيش الوديع بواحـــة
شجراء قد ناءت عن العمـــران
فى عـــزلة ما شـــاهدتها أعين
أبدا ولا خطرت بهـــا قـــدمان
يضفى عليهـــا الطهر روعة حسنه
فتخالها من جنـــة الرضـــوان
وهناك فى حضن السكون أشيد من
سعف النخيل ويابس الأغصان :
كوخا تحف بـــه الزهور ويكتسى
بقشـــيب ظل الدوح والأفنان

* * *

وهذا الاتجاه الى اعتزال الناس ، والنزوع الى العيش فى رحاب الطبيعة بعيدا عن الحياة والأحياء من البشر . هو اتجاه رومانسى صادق ومن عجب أن هناك تطابقا بين ما اتجه اليـــه الشاعر ، وما ذكرته أنا فى قصيدة لى ، فى ذكرى شاعر أبولو الكبير اسماعيل سرى الدهشان .. حيث قلت فى أثناء الحديث عن الريف المصرى :

* * *

آه من روعة الشروق على الريف،
وآه من فتنـــة الغيطـــان
حبذا شرفة وكـــوخ صـــغير
قابع بين هـــذه الأجـــران

فهنـــاك الشــاع يبدو رقيقا
مزحيا يحنو على البســـتان
والعــذارى يحملن ماء زلالا
فى جـرار فياضة بالحنـــان
وهنا شاعر على ضــفة النيل
يغنى فى لهفــة الولهـــان

يقبس اللحن من غنـاء السواقى
وثغاء الخـــراف والحمـــلان
كم تمنى لو عاش بين المـراعى
يقطع العمـــر هانئا لا يعـانى
يفلح الأرض قانعا مجهـــولا
لا يقاسى فى العيش ذل الهـوان
بالنفس معـــذب قيل له غـــن
فغنى فى لجـــة الحـــرمان

* * *

فهناك تماثل فى الاتجاه الرومانسى ، الــذى يؤثر العزلة ويهرع الى أحضان الطبيعة ، حيث الصفاء والنقاء ، البعيد عن الزيف والتكلف .

* * *

والشاعر ممتلىء بحب الطيور والحيوانات وشتى المخلوقات التى أبدعها الخالق ســبحانه وفى قصيدته : (صمت الطيور) ملامـــح من قصيدة « شللى » عن القبر وهى قصــيدة مشهورة ترجمت الى معظم اللغات الحية ، وقد كان لى شرف ترجمتها الى اللغة العربية ونشرت بمجلة (أبولو) عام ١٩٣٣ .. فهى من أعمـال الشباب الأولى بالنسبة لى ، وقد نشرت أخيرا فى ديوانى : « موكب الذكريات » .

وفى قصيدة صمت الطيور لشاعرنا المجيد / محمد صان الدين ، نجده يسأل الطيور قائلا :

* * *

لم لا تغنى يا طيـــور
لم لا تطيرى فى البكور
مالى أراك قد انطـويـ
ـت فلا رفيف ولا ظهـور
وركنت للصمت الحزيـ
ـن وأنـــة القلب الحسير
أنى عهـدتك تصدحيـ

ـن بكل الحـان السرور
وترفرفين على الخمائـ
ـل والجداول والجسور
وتغازلين مع الصـــبا
ح البكر فتـان الزهور
وتبادلين الشــمس فى
سبحاتها كأس الحبـور
حتى يواريها المســا
ء وراء مسدول الستور

* * *

والحق أن الشعر العربى قد حفل بصـور كثيرة صاغها وأبدعها الشعراء للطيور ومن منا لا يعرف قصيدة أبى فـراس الحمدانى التى نظمها وهو أسير لدى الروم حيث قال :

* * *

أقول وقد ناحت بقربى حمـامة
أيا جارتا لو تعلمين بحـــالى
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
تعالى أقاسمك الهموم تعـالى

* * *

ويبدو أن شاعرنا مولع بالطيور ومناجاتها حقا ، فنحن نطالع له قصيدته (حكمة طائر) ولا سيما فى الأبيات التى أجراها على لسان الطائر وفيها يقول : —

* * *

كم ذا ألاقى فى حيـاتى مزعجا
وأمر بين فجاجهـا بمخـاطر
أجتاز فى وضـح النهار حبائـ
ل الصياد أو فخ الصبى الهـاذر
ويقوض الأطفال عشى عنـوة
فأعـود أبنيه بعـزم مثـابر

الى أن يقـول :

حتى اذا ولى الظلام بهـوله

وبـدت تباشير الصباح السافر
أشدو وأرقص مغفـلا ما كان أو
سيكون فى الكون الرحيب الهادر

* * *

الى أن يقول :

ان الحيـاة كما أحس بفطرتى
أفراح يوم وانتهازة حاضـر

وفى البيت الأخير حكمة رائعة — على بساطتها — فهو يستسلم لمشيئة الخالق القادر ويسعى الى أن يفرح بيومه وينتهز حـاضره ، وأسمعه حين يقول فى فلسـفة رقيقة عـذبة تستسيغها النفوس مشيرا الى الحياة بقوله : —

* * *

خذهـا كما شاء الاله مطيـة
فى رحلـة أو واحة لمسـافر

وهذا الشاعر الذى فلسف علاقته بالطبيعة وبالطيور وسائر مخلوقات الله يقول فى قصيدة (الجمرة) وهى القصيدة التى تبلور فيها ايمانه بالله وبالقيم السامية فهو من أشـد الناس تمسكا بدينه وتعاليمه مستمدا كثيرا من أشعاره من أصداء النصوص الدينية فى نفسه مع تمسكه بقيم دينه قدر أستطاعته استمع اليه متحدثـا عن الاسلام وعن حبه له بحيث لا يسـتطيع أن يعيش بمعزل عنه يوما حيث يقول : —

* * *

كيف أنأى عنـه يومـا
كيف لا أرضـاه زيـا
والـذى من غـير دين
ليس انسـانا سـويا
انـه جـرم عليـل
قـد حـوى داء خفيا
حائـر فى التيـه تطـو
ى عمـره الأوهـام طيا

* * *

وهو بشر قبل كل شىء ، فالدنيا تنـاديه بمفاتنها : أن هيت لك ! وهو يخشى أن يضعف أمام نداء الدنيا الصارخ :

* * *

هـذه الدنيـا تنادى
تلك أقـداحى فهيـا
وارتشـف منهـا رحيقا
سـائغا حلوا شـهيا
لا تقـل : هذا حـرام
انـه غنـم تهيـا

من تحـــاماه ابــــاء
عاش محـــروما شـــقيا

* * *

ولكنه بشدة ايمانه ينبذ الغى ويعاف الاثــم وينأى عنه وفى ذلك يقول لمن يحـــاول اغراءه بمفاتن الدنيـــا :

* * *

قلت يا مفتـــون دعـــنى
ليس طيب العيش غيـــا
وانتبذ فى الاثـــم ركنـــا
نائبـــا عنى قصــــيا
ان غـــزا الاسلام قلبـــا
كـــان بالتقـــوى حـــريا
لست من دنيـــاك أبغى
متعـــة تغرى غـــويا

* * *

وهذا الحوار اللطيف ينبىء عن نفس عامرة بالايمان مشرقة بالتقوى ولست أدرى : لمـــاذا شعرت وأنا أقرأ هذه القصيدة ببعض شـــعر (محمد اقبال) ذلك الفيلسوف العظيم الـــذى دافع عن الاسلام وأظهر روح الايمان جليـــة نقية أمام أهل الغرب ففتنوا به فتونا •

واذا استطردنا فى الجانب الايمانى عنـــد شاعرنا صان الدين أحسسنا براحة نفســـية وشعرنا بنسيم الايمان يهب على صـــدورنا فينعشنا ويطمئننا الى أن روح الشاعر يغمرها الايمان ويدفعها الى الابداع فى الميـــادين الروحية ، وهو فى أغنيته : (صلوات) يمتـــع ويبدع وتسيطر عليه الروح الغنائية اللطيفة ، ونفس الشىء ينطبق على قصيدته : (مراقى السمو) التى تتسم بروح الحيرة والغـــربة فى هذه الحياة •

على أن الشاعر يحلم أحلاما كثيرة وهو فى أحلامه كلها يبحث عن الحقيقة شأنه فى ذلك شأن (ديجونيس) الذى كان يحمل مصباحـــا فى وضح النهار للبحث عن الحقيقـــة وســـط سخرية الناس ، ولكنه هو الـــذى كان يسخر منهم ومن سخريتهم ، وهكذا شـــاعرنا فى قصيدته : (أجل انها أحلام) •

وكما قلت آنفا فان شاعرنا امتداد لروح شاعر الاسلام العظيم محمـــد اقبـــال كمـــا سمعناه فى صلواته وفى قصـــيدته : (رباه) وكذلك نسمعه فى قصيدته : (أشجان مسلم) حيث يقول :

الله عـــدل فى الخليقـــة انمـــا الـــ
انســـان فى نزواته ظـــلام
فالمسلمون غثاء ســـيل أغـــرموا
بالغث من متـــع الحيـــاة وهامـــوا
وتقاعســـوا عن كل مكرمـــة لهم
واســـتعذبوا صـــاب الخنوع وناموا
ميـــدانهم عنـــد النفير مـــلاعب
وســـيوفهم فى الغاشـــيات كـــلام
يتراشـــقون بكل ســـهم قـــاتل
ويمجـــدون الخصـــم وهو حمـــام

وينهى قصيدته الطويلة بقوله :

يـــارب أيـــة فتنـــة تلك التى
حارت أمـــام ضـــبابها الأحلام

لكن نور الحق لا يخبو وان
غشاه من ذرو الصغار رغام
فله رجال يكشفون ضياءه
فى كل حين للعيون •• عظام
هل يكشف الغمم النوازل بالحمى
الا عليم مؤمن وحسام

ولا أستطيع أن أختتم حديثى عن الجانب الاسلامى فى شعره دون أن أنوه بقصيدته الرقيقة عن سلام (روجيه جارودى) الذى انبثق ايمانه بعد جولات فى شتى دروب الفكر والعقائد ، وقد أعجبنى فى هذه القصيدة قوله :

لمح الطريق الى الهدى فتقدما
ورأى الحقيقة كالصباح فأسلما
وجد الغدير فراح ينهل بعدما
قد كان فى البيداء يقتله الظما
كم راح خلف الآل يعدو لاهثا
ويعود مغبر الشعور محطما
كم ظل فى تيه المذاهب حائرا
بيد الضياع يخوض ليلا مظلما
ويدوس أشواك الأسى بفؤاده
حتىغدا مزقا تقاطر معدما
لكنه قد رآه ومضا باهرا
يبدو له بين الضباب ملثما
فمضى بثاقب فكره متلمسا
مشكاة هذا النور حيث تبسما
فاذا به الاسلام فى آلائه
جهل العقول سطا عليه وخيما
فانكب يكشف عن جواهر عقده
ويجوس بين كنوزه متوسما
واذا جلا الاسلام فى عقل امرىء
أضحى به صب الفؤاد متيما
لما رأى نور النبوة ساطعا
من أحمد صلى عليه وسلما

أفلم أقل لك ان فيه ملامح من شاعر الاسلام الكبير محمد اقبال ؟

ويبدو أننا لن نستطيع أن نترك الجانب الاسلامى فى شعره دون التنويه بقصيدته (يا أخا الاسلام فى أفغان) التى يقول فيها :

ياأخوة الأفغان ان سلاحكم
روح سمت حتى تبوأت الذرا
كنتم على لوح الزمان قصيدة
هزت مشاعره وأرقصت الورى
بهرته آيات البطولة والفدا
وكذا البطولة شأنها أن تبهرا
ان البسالة منحة قدسية
أغلى من الذهب الصفى جوهرا

فهذه القصيدة تشتمل على كثير من العواطف الجياشة ، حيال هذه الأمة المجاهدة التى تدفع عن حماها وحمى الاسلام جيوش البغى والعدوان ، كما أن قصيدته : (من وحى المولد الشريف) حافلة بالعاطفة الجياشة ، والمحبة الخالصة الصافية للمصطفى عليه الصلاة والسلام ، واسمعه يقول مناجيا له :

رسول الله والأزمان فينا
كأنك فى ضحى الأمس القريب
حياتك فى فم الدنيا نشيد
وذكرك فى المسامع والقلوب

تردده الليـــــالى راقصـــات

غــلى قيثارة الدهــر الطــروب

وتهفـــو كل روح حين تشـــدو

بك الأجيـــال فى الفجــر الحبيب

وخلاصة القول فى هـــذا الشـاعر : أنه شاعر اسلامى رومانسى فى آن واحد وقصيدته العاطفية : (الحنين الى أرض الكنانة) مزيج من هذا الائتلاف ، ويتسم بالحب الصـادق للوطن ، وهل هناك أغلى من الوطن وأعز ، انه يحن الى هذا الوطن الغالى حنينا عارما جارفا ، وكل من بعد عن الوطن شعر بمثل حنينه ولكنه ربما عجز أو قصر عن الافصاح عن هـــذا الحنين الجياش بمثل ما صنع الشاعر (محمد صان الدين) واسمعه يقول :

فيـا مصر أنى غـــريب الديـار

مشـــوق الفـــؤاد مــريد الهوى

وأنت الـــرواء لــذاك الغليـــل

وأنت الـــدواء لـــذاك الـــدوى

ومـــن لى بشــربة مـــاء روى

من النيـــل تطفىء حــر الجــوى

هذا هو الشاعر محمد عبد الرحمن صـان الدين كمـا بدا لى فى ديوانه : (أعاصير وأنسام) .

نسأل الله العلى القدير أن يحفظـه للأصالة الاسلامية السمحاء ، وللابداع الشعرى الرومانسى الأخاذ .

والله ولى التوفيق .

د. مختار الوكيل

من أعلام الأزهر (١)

محمد عبد الله دراز

باحث منهجي متفرد

رزق الدكتور محمد عبد الله دراز نباهة ساطعة فى الدوائر العلمية العالمية ، لأن الرجل كان طرازا خاصا من المفكرين ، حيث لم يكن يكتب غير الجديد الطريف الذى لم يسمع به القارىء من قبل ، مهما تنوعت ثقافته واتسع ادراكه ، لقد كان يقدر نبعة القلم تقدير العالم الطامح المشرئب للكمال ، فهو لا يدرس غير المفيد النافع ، ولا يؤلف فى غير المجهول الذى تتطلع الأنظار الى كل كلمة من كلماته ! لقد عهدنا أناسا من الكتاب يكثرون المؤلفات تباعا ، ولكنهم يجمعون ويلخصون ، فقارئهم الدارس يرد كل جملة الى موضعها ، ويعرف خلاصة ما يقرأ قبل أن يلم به ، وما أكثر هؤلاء فيمن تتردد أسماؤهم فى كل مناسبة !

لذلك كان محمد عبد الله دراز نمطا نادرا فيما يكتب ، انه يؤثر البحث الهادىء دون عجلة . ويضع الخطة المحكمة دون تسرع ، ولا يهمه طال الأمد فى بحثه أم قصر ، ان الذى يهمه جدا أن يستخرج من المعلوم مجهولا ، وأن يكتب فى موضوع قد اشتهر بين الناس ليأتى بما يجهل الناس ، لذلك عرفه الصفوة من الدارسين فتتبعوا آثاره فى اللغتين العربية والفرنسية ، وتلمسوه فى مظان البحث ، فاذا مر وقت ما دون أن ينفحهم ببعض آثاره تشوقوا اليه متوحشين ، وأخذوا يترقبون كلماته ارتقاب الغيث عند الظمأ ، وهو رحمه الله دائما يصدقهم الوعد فيشرق عليهم بما يمتع ويقنع ويشبع !

لذلك كانت الكارثة مروعة حين سافر الى المؤتمر الاسلامى بلاهور ، ليلقى بعض ماعرف من آياته فى حفل اسلامى مشهود ، ثم جاءت الأنباء بموته المفاجىء ، فكان لنعيه حسرة دامية فى نفوس من يعرفون أن الرجل قليل النظير فى ابداعه الفكرى ، وأنه نسيج وحده كاتبا ومؤلفا وأستاذا بالجامعات !

ومع أن الدكتور لم يبلغ أرفع المناصب العلمية الرسمية التى كان يستحقها عن ثقة وجدارة ، فقد كان المثقفون جميعا يجمعون على سموق منزلته الفكرية ، ويعدونه رأسا بارزا من رءوس الفكر الاسلامى المعاصر ، وقد أثبت تاريخه العلمى حقائق سافرة لم تعد بعد

للدكتور محمد رجب البيومى

موضعا للنزاع من أحد .

منها أن العبرة لدى الدارسين تعظم بجودة التأليف لا بكثرته ، وبطرافته لا بتقليديته .

ومنها أن صاحب الانتاج العلمى المتميز ، يفوق سواه ممن سبقوه بالمناصب الرسمية ، فهم دونه فى ميزان الفضل . مهما فتنت البوارق ولمعت الأضواء .

ومنها أن الاخلاص للروح العلمى يجد التقدير البالغ من الخاصة ، وهم وحدهم مكان الترجيح ، وموضع الاختيار ، لأن النفوس الواعية أعقل من أن تزجى الثناء البالغ لغير السابق الطموح ، وكما قيل :

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا
مالم يروا عنده آثار احسان

لقد قرأت تفسيرا لفاتحة الكتاب كتبه الدكتور دراز ، فأعجبنى أن أجد من حسن الاستنباط ، ودقة التعليل ، وبراعة التحليل ما جعلنى أطالع الجديد حقا ، وفاتحة الكتاب معروفة مشروحة ، وقد فسرها آلاف الشارحين فى القديم والحديث ، ولكن الرجل المبتكر ، يلقى نظرة وراء السطوح الخارجية ليرى فى اللفائف المستكنة ما غاب عن سواه ، حين نظر للسورة الكريمة من جهة مقاصدها . ومن جهة خطابها ، لأن الفاتحة فى رأيه توجز المقاصد الأساسية التى عناها القرآن اذ تتضمن مقصدين نظريين هما : معرفة الحق ، ومعرفة الخير ، كما تتضمن مقصدين عمليين هما : تقديس الحق ، والالتزام بالخير ، أما قوله تعالى (رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين) فشذرات ثلاث انتظمت أركان العقيدة القرآنية الثلاثة من حيث المبدأ فالواسطة فالمعاد . فرب العالمين هو المبدأ والرحمن الرحيم هو مصدر الرحمة فى الحياة ومالك يوم الدين هو صاحب الأمر النهائى عند الحساب ، فاذا كان الله وحده هو الذى أعطى كل شىء خلقه ، وتعهده بالامداد حتى بلغ مداه ، واذا كان هو الذى يملك خزائن الرحمة فى السموات والأرض يضاعفها كيف يشاء ، واذا كان هو الذى بيده فصل القضاء وتقرير المصير فأى شىء أحق منه بنعوت الجمال والجلال بل أى شىء غيره يستحق الحمد والثناء ، والنتيجة الطبيعية لذلك أن يضمحل فى عينك كل ما ترى فى الوجود من مظاهر زائفة ، وأن تهتف من أعماقك متجها الى ربك « اياك نعبد واياك نستعين » . نعبد أولا فنؤدى واجبنا ، ونستعين ثانيا فنطالب بحقوقنا ، وهذا هو الجانب الالهى : نظريه وعملية .

أما الجانب الانسانى فيتضمن المنهجين نظريا وعمليا ، تضمنته السورة فى كلمتين هما الصراط المستقيم ، ثم وصفته بأنه الطريق الموصل الى رضوان الله ، وأشارت الى مثله التاريخية فى سيرة الذين أنعمت عليهم ، ثم وضعت معيارا لأنواع الطرق المنحرفة فبينت

● محمد عبد الله دراز

أن الانحراف على ضربين ، انحراف عن علم وقصد ، وهو انحراف المغضوب عليهم ، وانحراف عن جهل وطيش وهو انحراف الضالين .

ثم يقول الدكتور دراز ما نصه « ان سورة الفاتحة هى السورة الوحيدة التى وضعت أول الأمر لا على لسان الربوبية العليا ، ولكن على لسان البشرية المؤمنة ، تعبيرا عن حركة نفسية جماعية متطلعة الى السماء ، بينما سائر السور تعبر عن الحركة المقابلة ، حركة الرحمة المرسلة من السماء الى الأرض ، وهكذا حين ننظر الى القرآن فى جملته نراه يتمثل أمامنا فى صورة مناجاة ثنائية ، الفاتحة أحد طرفيها ، وسائر القرآن طرفها الآخر ، الفاتحة سؤال ، وباقى القرآن جواب ، الفاتحة هى طلب الهدى ، والباقى هو الهدى المطلوب » .

هذه خلاصة غير دقيقة لا تغنى عن صفحات رائعة كتبها الدكتور فى تفسير الفاتحة ، لأن مقالا علميا للدكتور دراز يتضمن تفسير الفاتحة ، لا يقوم باحتوائه تلخيص ما ، فالمقال العلمى لدى الكاتب البصير لبنات متعاقبة يسند بعضها بعضا ، وتقديم بعض اللبنات دون بعض عرض للنوع فقط ، وهو عرض لا يفى بالأصل المرصود ، وهبك قرأت قصة فنية فى صفحات ، أتستطيع تلخيصها دون أن تخل ببنائها الفنى ؟ كذلك المقال العلمى التحليلى لا يلخص الا ليدل على المثال ، لا لأن يعبر عن حقيقة المقال .

كانت نشأة محمد عبد الله دراز العلمية فريدة فى بابها فقد ولد فى بيت علم وخلق وورع ، فوالده الشيخ الكبير الأستاذ عبدالله دراز من كبار علماء الأزهر المشار الى تضلعهم العلمى . وصلاحهم الخلقى ، وقد ولد نجله سنة ١٨٩٤ ، وسرعان ما تفتحت عينه على زملاء أبيه يغشون منزله كل ليلة لدراسة كتب العلم ، والحديث فى مسائل الاصلاح الدينى وكان الوالد يأخذ منزله بآداب التقوى ، يؤم أهله فى صلاتى العشاء والفجر ويقرأ صحيح البخارى فى ليالى رمضان ، ويسهر على تثقيف أبنائه وتعويدهم على سنن الخير صلاة وصياما وزكاة ، وحبا للمعروف ، وبعدا عن الدنايا .

وطبيعى أن يلتحق ولده بالأزهر بعد أن حفظ كتاب الله ، واستظهر بعض المتون العلمية الذائعة لوقته ، وقد ظهرت دلائل نبوغه ، اذ كان متقدما فى امتحاناته السنوية حتى نال شهادة العالمية سنة ١٩١٦ وعين مدرسا بالأزهر ، اذ هو الأول فى ترتيب الامتحان ، ولم تشغله أعباء التدريس عن تعلم اللغة الفرنسية حيث حذقها فى ثلاث سنوات ، وقامت ثورة ١٩١٩ ليسهم الشيخ الشاب فى كتابة المنشورات باللغة الفرنسية . ويطوف بها على السفارات ، ثم ليكتب فى جريدة الطان الفرنسية ملخصا ما يدور بالجامع الأزهر من خطب السياسة كما أشار عليه ابن عمه الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، وهو يومئذ من رجال الثورة البارزين فى المحيط القاهرى ، حتى اذا هدأت الأمور استأنف التدريس بالأزهر ، ودأب على نشر المقالات الدينية فى أمهات الصحف ، كما أشرف على طبع كتاب «الموافقات» للعلامة الشاطبى فى أصول الفقه ، اذ شرحه والده الكبير شرحا يدل على غوص ونفاذ .

وليست مهمة العالم الشاب بالسهلة فى هذا

المضمار ، فالشاطبى هو الشاطبى ، والعلم هو الأصول ، والشارح هو الوالد العلامة ، فاذا خرج الكتاب بأجزائه الأربعة محققا برعاية الشيخ الشاب فقد دل على جده البالغ واهتمامه الحريص ، وحين أنشئت كليات الأزهر اختير أستاذا للتفسير بكلية أصول الدين مع أساتذته الكبار من أمثال ابراهيم الجبالى ومحمد الخضر حسين ومحمد سلامة وعلى محفوظ ، ولم يكن محمد عبد الله دراز بأقل منهم كفاءة واقتدارا على حداثة السن ، بل كان أقرب منهم الى قلوب الطلاب لحسن تواضعه، وقرب اتصاله بشباب لا يزيد عنهم فى الزمن أمدا ذا بال .

وقد شاع فضله فرشحته مواهبه لعضوية البعثة الأزهرية الى فرنسا سنة ١٩٣٦ ، بجامعة السوربون ، فكان فى طليعة أبنائها فهما وأصالة وسعة أفق ، ثم هيأت له الظروف السعيدة مناسبة سارة سطع فيها نجمه العلمى فجذب اليه أنظار الدارسين فى أوروبا ، اذ عقد مؤتمر الأديان بباريس سنة ١٩٣٩ . وشاء الامام محمد مصطفى المراغى أن يكون محمد عبد الله دراز ممثل الأزهر فى هذا المؤتمر العالمى الذى ضم صفوة المفكرين من رجال الأديان فى الشرق والغرب ، فانتدبه ليلقى كلمة الأزهر ممثلة للاسلام فى هذا المؤتمر ، وليست المهمة بسهلة فى مناسبتها ومجتمعها ورجالها ، لأن الرءوس فى كل دين سيتحدثون بما يجلو النقاب عن عقائدهم ، ولكل فكره الصوال وحجاجه الدقيق .

وقد أنعم الله بالتوفيق على الأستاذ دراز ، حين واجه العالم المتحضر ممثلا فى رءوسه المفكرة بايضاح معنى السلام فى الاسلام حيث يهدف الى اسعاد الانسانية بازالة ما يكدر الصفاء ويسبب الشقاء ، اذ تحدث عن الواقع العالمى الراهن بما ينبىء عن قلقه وفزعه ، وهكذا كان العالم قبيل الحرب العالمية الثانية التى لم تلبث أن نشبت بعد ثلاثة أشهر فحسب !! فتساءل الأستاذ عن سر الشحناء السائدة بين الدول ورد باعثها الى سيطرة المادية سيطرة حازبة ، ولا علاج الا بانعاش القوى الروحية فى الأمم عن طريق الدين ، وقد كان المتكلم صريحا حين قال فى وضوح :

غير أننا اذا رجعنا الى الأديان نلتمس منها المعونة هالنا ما نراه من اختلافها اختلافا ظالما كان من أسباب الخصومات والحروب بدل أن يساعد على حسن التفاهم والتقريب فهل نستطيع أن نجد من وراء هذا الاختلاف وحدة مشتركة فى المبادىء والمطامح تصلح أن تكون محورا لتقرير السلام بين معتنقيها وتسهيل تعاونهم على الخير المشترك ؟

وأجاب الأستاذ على هذا السؤال الحاسم بقوله : أما أنا فأميل الى أن يكون الحل على أساس الفصل فى الأديان بين ناحيتها الاجتماعية وبين نواحيها الأخرى وأعتقد أن افتراق الأديان فى عقائدها وشرائعها لا يمنع التقاءها من الوجهة الخلقية عند قاعدة واحدة ، هى أساس التعاون المطلوب وذلك أنها كلها تأمر بالعدل والاحسان وتنهى عن الظلم والعدوان ، وكلها تسوى فى هذه المعاملة الدنيوية بين أتباعها وأعدائها .

وأخذ الباحث يعرض نصوصا من كتب الأديان تؤيد منحاه الصريح لينتهى الى أن الأديان كلها بدلا من أن تكون سببا للنزاع يجب أن تكون باعث الائتلاف والوئام ، كما أن السبب

الحقيقى للخصومات الدينية هو تعمد الانحراف عن الدين وهجر تعاليمه الصحيحة . وليس من علاج لآلام الانسانية الحاضرة غير عناية رجال الأديان بالجانب الخلقى ليكون نواة ارتكاز ينهض عليها السلام ، وهذه خطوة أولية فى سبيل التفاهم فى الحقائق الدينية نفسها •

وحين ختم المحاضر كلمته أعلن السير فرنسيس رئيس المؤتمر أن كلمة مندوب الازهر تعد الكلمة الرئيسية فى المؤتمر ، وأثنى عليها المعقبون بما تستحق من تنويه ، وكان من حظها أن تخصها الصحف الفرنسية بخلاصة وافية وأن تجمع على أنها الكلمة الأولى فى المؤتمر •

واذا كانت محاضرة الأستاذ دراز فى المؤتمر العالمى للأديان كانت مشرق نجمه فى الدوائر العلمية العالمية • فقد شاء الله أن تكون آخر محاضرة له فى مؤتمر مماثل هو المؤتمر الاسلامى الدولى المنعقد بلاهور « الباكستان » فى يناير سنة ١٩٥٧ حيث أعد بحثا ممتازا تحت عنوان (موقف الاسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها) وهو بحث شاء الله أن يلقيه سواه ، اذ لبى الأستاذ نداء ربه أثناء انعقاد المؤتمر ، وقبل أن يسعد الناس بالقاء كلمته ، وفى هذا البحث الضليع تتجلى أستاذية الدكتور دراز المكينة ، كما تتجلى سعة أفقه حين اعتمد على المنطق التحليلى المؤيد بالدليل فى جميع ما قرر من القضايا ، ونحن نضطر الى الالماع لبعض ما قال حينئذ ، اذ صور موقف الاسلام من الأديان الأخرى تصويرا جامعا مانعا ، على دقة بالغة لا تسمح بالايجاز أو الاستطراد اذ أعلن مبدئيا أن كلمة الاسلام بمدلولها القرآنى تشمل جميع الديانات السماوية ، وضرب الأمثلة الدالة على ذلك من مثل قول الله على لسان نوح **« وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ »** سورة ١٠ آية ٧٢ وعلى لسان يعقوب مخاطبا نبيه **« فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ »** سورة ٢ آية ١٣٢ وقول موسى **« يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ »** سورة ١٠ آية ٨٤ وقول الحواريين لعيسى **« آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »** سورة ٣ آية ٥٢ ويعقب على ذلك بأن الاسلام بمعناه القرآنى لا يصلح لأن يكون محلا للسؤال عن العلاقة بينه وبين الأديان السماوية ، **اذ لا يسأل عن العلاقة بين الشىء ونفسه ، فهاهنا وحدة لا انقسام فيها !**

فاذا ترك المدلول القرآنى لكلمة الاسلام الى المدلول العرفى لدى الناس فاننا نجد الاسلام حينئذ يدل على مجموعة الشرائع والتعاليم التى جاء بها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أو التى استنبطت بما جاء به وفى تحديد العلاقة بين الاسلام بهذا المعنى واليهودية والمسيحية نجد الدكتور دراز يقسم البحث الى مرحلتين مرحلة الصورة الأولى لهذين الدينين قبل التبديل ومرحلة الصورة الثانية لهما بعد التبديل ، وعن المرحلة الأولى يؤكد المحاضر أن القرآن جاء مصدقا لما قبله فهو مصدق للتوراة والانجيل معا ، وليس معنى التصديق هو التذكير فقط دون تبديل ، اذ جاء الانجيل بتعديل أحكام التوراة فأعلن عيسى أنه أتى ليحل لبنى اسرائيل بعض ما حرم عليهم ، وكذلك جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الانجيل اذ أعلن كتاب الله أنه نزل ليحل للناس كل الطيبات •• ويحرم عليهم كل الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم •

يقول الدكتور دراز : ولكن يجب أن يفهم أن هذا وذلك لم يكن من المتأخر نقضا للمتقدم ، ولا انكارا لحكمة أحكامه فى ابانها ، وانما كان وقوفا بها عند وقتها المناسب ، مثل ذلك مثل ثلاثة من الأطباء جاء أحدهم الى الطفل فى الطور الأول من حياته فقرر قصر غذائه على اللبن . وجاء الثانى للطفل فى مرحلته التالية فقرر له طعاما نشويا خفيفا وجاء الثالث فى المرحلة التى بعدها فأذن له بغذاء كامل . وهكذا كانت الشرائع الاسلامية كلها صدقا وعدلا فى جملتها وتفصيلها ولكن هذا التصديق على ضربين :

تصديق للقديم مع الاذن ببقائه واستمراره .

وتصديق له مع ابقائه فى حدود ظروفه الماضية . ولولا اشتمال الشريعة على هذين النوعين ما اجتمع لها العنصران الضروريان لسعادة المجتمع البشرى : عنصر الاستمرار ، وعنصر التجديد » .

ثم انتقل الأستاذ الى أمثلة تشريعية جعلها موضع التطبيق الصادق لما يقول ، لينتهى الى الحديث عن العلاقة بين الشريعة الاسلامية والشرائع السماوية بعد أن طال عليها الأمد فنالها شىء من التطور والتجوير ، فيعلن أنه اذا كان القرآن فى المرحلة الأولى مصدقا فهو فى هذه المرحلة مهيمن على تلك الكتب حارس عليها ، ومن مقتضيات الحراسة ألا يكتفى الحارس بتأييد ما خلفه التاريخ فيها من حق وخير ، بل عليه أن يحميها من الدخيل الذى يضاف دون حق ، فمهمة القرآن حينئذ أن ينفى عنها الزائد ، وأن يتحدى من يدعى وجوده فى هذه الكتب ، « **قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** » « **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** » .

وكان من الضرورى أن يختم البحث بايضاح موقف الاسلام من الديانات الأخرى من الوجهة النظرية . فعرض لآراء المنحرفين ممن فهموا هذا الموقف على غير وجهه ، وكر على باطليهم بالدليل ليعلن أن الاسلام ليس فاترا ولا منطويا على نفسه ، لأن الدعوة الى الحق والخير ركن أصيل من أركانه . وفى الوقت نفسه يدعو بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة . فنبى الاسلام هو أول من يعرف أن كل محاولة اجبارية لفرض دين معين هى مقاومة لسنة الوجود .

« **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** » .

« **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** » .

« **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** » .

« **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** » .

أقول مرة ثانية ان تلخيص آراء الأستاذ دراز لا يغنى عن استقصائها ، لأن كل لبنة فى بنائه تحمل كيانها الخاص ، وانى أدعو رجال الدعوة الاسلامية الى تتبع كل ما كتبه الأستاذ الكبير عن علاقة الدين الاسلامى بالأديان السابقة ، لا ليلموا بالأفكار وحدها بل ليدرسوا منهجه المنطقى فى تقرير القضية وعرضها ، والاستدلال عليها .

وعليهم أن يعرفوا أن الاسهاب فى غير موضعه خطل بائر ، لأنه يقذف بالقضايا الواضحة الى متاهات مضلة ، وقد صرنا فى عصر متفتح المنافذ لكل ضوء ، وضوء الاسلام بحقائقه الثابتة أقوى شعاعا . وأهدى سبيلا ، وعلينا أن نعرضه واضحا ساطعا ، وعلى الله قصد السبيل .

« يتبع »

عباقرة مصريون

الأستاذ الدكتور

على مصطفى مشرفة

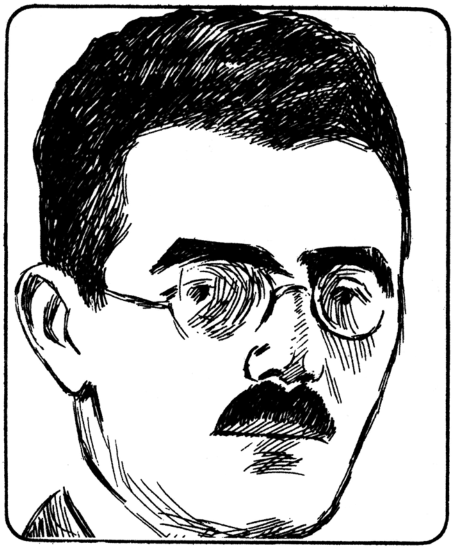
نحن مدينون كبشر بحضارتنا الراهنة ، ومستوى مدنيتنا ، وما بلغناه من رقى ورفاهية للآلاف من جبابرة العقول الذين أخذوا بيد العالم منذ بدايته الى طريق التقدم والمعرفة حتى يرث الله الارض ومن عليها ٠

وإذا كنا لانعرف من هو أول من وضع البذرة فى الأرض لتخرج لنا نباتا طيبا وثمارا يافعة ، وان كنا نجهل أيضا من هو أول من ضرب الزناد على الزناد لتنطلق أول شرارة من النار ، وان كان لايمكننا أن نحدد أول من صنع العجلة ، وأول من بنى مسكنا الى آخر هذه الخطوات الجبارة التى أوصلت الانسان الى ما صار اليه الآن★ فاننا نعرف يقينا وعلى وجه التحديد من الذى قاد أول ثورة صناعية باكتشافه قوة البخار (١) ، وأول من اخترع مركبة سكة حديدية (٢) ، وأول من وضع أساس علم(٣) الجبر ٠٠

١ ــ هو جيمس وات James Watt (١٧٣٦ــ١٨١٩م)
٢ ــ هو جورج ستيفنسن Georgc Stephinson (١٧٨١ ــ ١٨٤٨ م)
٣ ــ هو محمد بن موسى الخوارزمى عالم الرياضيات والفلك ولا يعلم تاريخ ميلاده أو وفاته ولكنه أشار الى الخليفة المأمون فى كتاباته والخليفة المأمون تولى الخلافة من ٨١٣ الى ٨٣٣م٠

★ أورد شيخنا المحدث أحمد شاكر ــ رحمه الله بتفسير الطبرى الحديث الشريف الذى يذكر ان آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة كان معه من « ثمار الجنة ، وعلمه الله صنعة كل شىء » قال حديث صحيح رواه الطبرى مرفوعا حكما موقوفا لفظا ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل مرفوعا صراحة راجع الحديث الشريف حيث هذا الجزء بتفسير الطبرى ١/٣٩٣ الحديث رقم ٥٢٧ دار المعارف بمصر ٠٠٠ مجلة الازهر

للأستاذ محمد عبد المنعم ابراهيم



وأول من اكتشف قانون الجاذبية الأرضية (١) .. وكذلك نعرف تماما من تبحر فى المنطق والرياضيات (٢) .

ولاشك أن الكثيرين من هؤلاء الأفذاذ كانوا من المسلمين والعرب .. والنهضة التى يفخر بها العرب كان الفضل فيها للعلماء المسلمين والعرب مما أوتوا من عبقرية وسعة أفق ودأب ، وقبل ذلك بما من الله عليهم من ايمان عميق .. فقد استوعبوا علوم الأقدمين ودرسوها وقدموها للعالم فى ثوب قشيب ، بعد أن أضافوا اليها الكثير من ثمار عقولهم وفيض عبقريتهم .. وهذا أمر مسلم به الآن على الصعيد العلمى العالمى .. فكتاب ابن سينا « القانون فى الطب » وهو فى ستة عشر جزءا كان الكتاب الوحيد الذى يدرس فى الطب فى جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر ، وكان ابن سينا يلقب لدى الأوربيين (أمير العلماء).

وربما تناولنا بعضا من هؤلاء العباقرة واكتشافاتهم فى مقالات تالية .. ولكننا اليوم نقدم رجلا من مصر – من رجالات القرن العشرين ، كان أحد خمسة – على قول – وسبعة على قول آخر – ممن حذقوا (نظرية النسبية) فى العالم كله . باعتراف جهابذة العلم من الغربيين أنفسهم ، وهو عالم الرياضيات الفذ الدكتور على مصطفى مشرفة .. وخير مانقدمه به ، هو كلام الرجل نفسه الذى ينم عن علمه الغزير ووافر معرفته العميقة .

١ – هو اسحاق نيوتن Isaac Nwton (١٦٤٢ – ١٧٢٧ م)
٢ – هو موفق الدين عبد اللطيف البغدادى (٥٥٧ – ٦٢٩ هـ) وله ١٧٢ مؤلفا فى المنطق ، ١٠ فى الطبيعيات .

يقول الدكتور مشرفة فى احدى محاضراته :

ماذا يحدث عندما نتحرك فى الفضاء ؟ هل نستمر نبتعد عن النقطة التى بدأنا منها ، وننظر الى مبدأ رحلتنا كلحظة ماضية ؟ أم نعود الى حيث بدأنا ، ولو بعد حين .. كما يعود المسافر الى النقطة التى بدأ منها . هنا يمتزج التفكير الرياضى بالتفكير الفلسفى .

ثم بعد أن يستعرض بعض النقط يقول :

« ولست أحب أن أخوض بكم الليلة فى بحث النظرية النسبية ولكنى أكتفى بأن أذكر أن مستقيمنا اللانهائى ربما كان . بدلا من التوغل فى فضاء لانهائى — كما نتصور ، هو فى الواقع ملتو على نفسه كما يلتوى خط الاستواء على نفسه فيعود الى حيث بدأ ، بحيث أن أبعد مسافة يمكن الوصول اليها ، هى فى الواقع ونفس الأمر ، مسافة محدودة ، وان كانت كبيرة نسبيا ، بحيث تقارن بأبعاد السدم اللولبية عنا » (١) .

والواقع أن من النظريات التى استرعت أكبر انتباه فى القرن العشرين ، والتى أضافت وأثرت العلوم الرياضية والفلسفية معا ، والتى اضافت بعدا جديدا للعلم . هى نظرية النسبية للعالم الشهير اينشتين » (٢) .

وقد قيل ضمن ما قيل أنه لولا عقلية اينشتين الجبارة ، ولولا ذكاؤه النادر ، لما أمكن له أن يصل الى لب هذه النظرية والتى حتى بعد أن جلى انيشتين غوامضها ، وفك طلاسمها ، لازالت مستعصية على العقول والأفهام ، وقيل ان من أمكنهم أن يستوعبوا هذه النظرية خمسة — وقيل سبعة — كان الدكتور مشرفة أحدهم كما تقدم ، وكانت له محاضراته وأبحاثه ونظرياته.. حتى ان اينشتين لما بلغه خبر وفاة الدكتور مشرفة قال : « كلا .. كلا .. لاتقولوا ان مشرفة قد مات .. انها خسارة جسيمة للعلم (٣) » .

ولقد كان تقدير العلماء العالميين للدكتور مشرفة كبيرا جدا وكان على وشك الحصول على (جائزة نوبل) الا أنه أصيب — بكل أسف — بانهيار عصبى نتيجة الارهاق والعمل المتواصل وتحضير الدراسات والأبحاث « لنيل الجائزة » (جائزة نوبل) ومات عقب هذا الانهيار بالقاهرة .. ولاقى ربه الكريم — شهيدا للعلم والعمل والواجب (٤) .

وليعرف القارىء .. مبلغ تمكن الدكتور مشرفة فى العلم ، وامتلاكه لناصية اللغة العربية واستيعاب لغتنا الجميلة لمتطلبات العلم ، ننقل له هذه السطور من محاضرته التى أشرنا اليها سابقا :

---

١ — محاضرته فى المجمع المصرى للثقافة العلمية سنة ١٩٢٣ بعنوان فكرة اللانهاية — مطبوعة فى القاهرة بمطبعة الاعتماد .

٢ — نظرية النسبية The Thearyof Relaturity للاستاذ البرت أينشتين المولود سنة ١٨٧٩

٣ — مجلة الثقافة — السنة السادسة العدد ٦٩ مقال الاستاذ « السيد أبو ضيف المدنى » .

٤ — المرجع السابق الذكر .

« قد يخطر لأول وهلة ، أن كل شيء يجب أن يكون محددا قبل أن نستطيع الكلام عنه كلاما مضبوطا ، والا فنحن نتكلم عن شيء نجهل حدوده ، ولكن هذا الخاطر سرعان مايفارقنا اذا نحن بحثنا الامر بشيء من التدقيق • ولاضرب لكم مثلا على ذلك • فنحن نستطيع أن نعدد الأعداد الصحيحه الموجبه بترتيب تصاعدى فنقول : واحد . اثنين ، ثلاثه الى اخره •• ثم انه من الصعب على العقل البشرى ان يتصور وجود حد أعلى لهذه الأعداد اذ كلما ذكر عددا أمكن دائما ذكر عدد أكبر منه ، فعدد هذه الاعداد اذن نستطيع أن نقول عنه انه لانهائى » •

تصور أيها القارىء الكريم ما فى هذا القول من بساطة وعمق فى نفس الوقت ، وكيف كان يقدم العلم بأسلوب واضح جميل وما ذلك الا لأنه يحمل عقلا استوعب العلم ، والنظرية التى سماها تواضعا (فكرة) ، فأمكن أن يعبر عما فى نفسه بمنتهى اليسر والوضوح •

واذا كان لابد أن نذكر فى أى بحث حياة عالم فنذكر تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته ، فاننا نقول ان الدكتور مشرفة قد ولد فى ثغر دمياط فى ١١ يوليه سنة ١٨٩٨ م •• وكان أبوه ثريا ولكن لم يلبث أن افتقر • فانفصلت أمه عن والده وتزوجت بغيره • وكانت أزمة سنة ١٩٠٩ الطاحنة الخاصة بالقطن فأودت بجميع ثروة والده ومات محسورا •

وكان لابد أن ينتقل الصغير مع أخويه (عطية ومصطفى) ليعيش مع جدته لأمه بالقاهرة ، ولم يكن لها من مصدر رزق سوى ماكينة خياطة قديمة •• فيالهذه الجدة التى أنهكها الفقر والسهر والتعب (١) •

ثم ماتت أمه قبل أن يكمل دراسته الثانوية•

ولاشك أن هذه الحوادث المتلاحقة •• انفصال أمه عن أبيه •• زواجها من رجل آخر •• نزول أبيه من آفاق الثروة والثراء الى حضيض الفقر •• وفاة والده •• انتقاله للقاهرة لتكفله جدة كانت فى حاجة لمن يكفلها •• كل هذه الأحداث كان لها أعمق الاثر فى شخصيته •• وهنا يظهر المعدن الطيب للانسان •• أو قل ان الطحن يخرج من القمح دقيقه •• والضرب ينقى الأرز من شوائبه •• والنار تصفى الذهب من كل خسيس يلصق به •• وهكذا صقلت المحنة هذه النفس التى لم ترض بغير الريادة سواء فى دراستها لتكون دائما فى الصفوف الأولى أو فى الحياة العملية لتكون فى الصفوف الأولى فى العلماء الأفذاذ •

ويمكننا أن نقول أن الطالب مشرفة قد كفل نفسه بنفسه فى مصاريف الدراسة ، لأن تقدمه واحرازه قصب السبق ضمن له (المجانية) التى استحقها عن جدارة •

وبعد أن أتم الطالب مشرفة دروسه الثانوية التحق بمدرسة المعلمين تلك المدرسة التى كان

---

١ ـ يراجع كتاب الاستاذ محمد محمد الجوادى : « الدكتور مشرفة بين الذرة والذروة »

لها الأثر العميق فى حياتنا الثقافية عامة ، اذ تخرج منها العديد من رجالات مصر الأفذاذ أمثال الأديب الكبير محمد السباعى (١٨٩٩) الذى كان يعمل بالادارة الأوروبية بوزارة الاشغال ، ثم استقال منها ليشتغل بالأدب تأليفا وترجمة والأديب الفذ ابراهيم عبد القادر المازنى وزميله الشاعر الرائد عبد الرحمن شكرى (١٩٠٩) والعالم الأثرى سليم حسن بك (١٩١٢) صاحب موسوعة (مصر القديمة) وكل من الشاعر أحمد رامى وعبد الحميد العبادى ، ومحمد فريد أبو حديد والدكتور أحمد زكى ومحمد أحمد الغمراوى (١٩١٤) وغيرهم (١) ، ثم أوفد بعد ذلك — لتفوقه — فى بعثة علمية الى انجلترا ، حيث حصل من كلية نوتنجهام (٢) على بكالوريوس الرياضة مع مرتبة الشرف •

والذى يؤكد أصالة مشرفة وعبقريته أن الدراسة للحصول على بكالوريوس الرياضة تستغرق أربعة أعوام ولكن مشرفة استطاع أن يختصرها الى ثلاث سنوات (٣) فقط •

ثم حصل على الدكتوراه فى فلسفة العلوم فى أقصر مدة تسمح بها قوانين الجامعة سنة ١٩٢٣ ثم كرمته الجمعية الملكية ببريطانيا — أو كرمت نفسها — باختياره عضوا فيها •

وقد أنشئت جامعتنا المصرية سنة ١٩٢٥ وعين الدكتور مشرفة أستاذا مساعدا ، ثم فى سنة ١٩٢٦ عين أستاذا للرياضيات ، ثم انتخب وكيلا للكلية سنة ١٩٣٠ ثم عميدا لها سنة ١٩٣٦ •

ويعلق الأستاذ محمد محمد الجوادى على ذلك فى كتابه السابق ذكره « الدكتور مشرفة بين الذرة والذروة » :

(وهكذا سلك طريقه فى المناصب الجامعية كما سلكه من قبل فى الدرجات العلمية ، بسبب مواهبه وقدرته وجده واجتهاده) •

آثاره العلمية :

قدم الدكتور مشرفة للمكتبة العربية العديد من البحوث المبتكرة فى نظرية الكم وفكرة اللانهاية وتفسير الكثير من الظواهر ، بالاضافة الى اقتران اسمه بنظرية (المادة والاشعاع) • المذهب اليه من امكان اعتبارهما صورتين لشىء واحد ، تتحول كل منهما الى الأخرى •

وللدكتور مشرفة عدة كتب مدرسية من تأليفه بالعربية وأخرى علمية تحمل عناوين : (العلم والحياة) و (نحن والعلم)وغيرها كما قام بمراجعة بعض الكتب العلمية الهامة مثل كتاب

---

١ — انظر الكتاب الذهبى لمدرسة المعلمين العليا ، والذى صدر عن جمعية المعلمين سنة ١٩٣٥ بمناسبة مرور ٥٠ عاما على تخرج أول فرقة منها صفحة ١٢٥ •

ملاحظة : ما بين القوسين هو تاريخ تخرج من ذكرناهم •

٢ — كتاب « مشرفة بين الذرة والذروة للأستاذ محمد محمد الجوادى » •

٣ — المرجع السابق •

(الكون الغامض) للسير جيمس جينز ، والذى قام الأستاذ عبد الحميد حمدى مرسى بترجمته الى اللغة العربية .

وقام سنة ١٩٣٧ بالاشتراك مع تلميـــذه الدكتور محمد مرسى أحمد أستاذ الرياضـــة البحتة بنشر كتاب « الجبر والمقابلة » الذى ألفه محمد بن موسى الخوارزمى فى عصر الخليفـــة المأمون ، وقد علقا عليه وأوضحا ما استغلق من بحوثه ومؤلفاته .

والمطلع على كتاب « الجبـــــر والمقابلة » للخوارزمى يلمس فيه المجهود العلمى الــذى بذل لاخراجه . ويرى أن المقدمة والتعـــريف بالخوارزمى دلنا على علم مقدمى الكتــــاب ، الدكتور مشرفة والدكتور محمد مرسى أحمــد .. وان كان لايمكننا أن ننقل كـــل ماكتباه ، فاننا نجتزىء منه بما يلى :

« ليس يكفى أن نتحدث عن مجدنا العـــلمى كما لو كان أسطورة أو حديث خرافة يتغنى به الشعراء ويتغالى فى وصفه الخيال ، بل يجب أن يظهر هذا المجد فى صورة ملموسة تراهـــا الأعين وتتناولها الأيدى . لذلك كان من المهـــم أن نعنى بنشر الكتب التى وضعها آبـــاؤنا وأجدادنا خصوصا اذا كانت هذه الكتب هامة الأثر فى تكييف التفكير البشرى .

وقد راعينا فى نشر هذا المخطوط العناية بما كان منه أساسيا فشرحنا هذا الجزء ، وعلقنـــا عليه وحللنا مسائله معبرين فى ذلك بعبــــارات الاصطلاح الحديث » .

وفى مقال لمشرفة بعنوان أين يسير بنا العلم الى العمران أم الى الدمار ؟ (١) يقول : « العلم أثر من آثارنا نحن وشىء من صنعنا .. فوضعه موضع القيادة وتسليمه دفة السفينة البشرية ، قلب لأوضاع الأمور ، اذ السفينة سفينتنا ونحن وحدنا المسئولون عن قيادتها » .

ويقول « على أن هذا التشبيه انما تنعكس فيه صفة قديمة من صفات الانسان وغريزة من غرائزه .. فقد صنع الناس تماثيل وأصناما ، ثم عزوا اليها قوة التحكم فى مصــــــائرهم ، وأسندوا اليها القدرة على تكييـــف شئونهم ، ومازالوا يخدعون أنفسهم فى أمرها » .

وفى المحاضرة التى ألقاها الدكتور مشرفة عن العلم والتصوف (٢) يدلل على عدم وجـــود تعارض بين العلم والدين بما قدمه مــن آراء حصيفة .

وأدق وصف لشخصية الدكتور مشرفة هــو قول الصحفى الكبير الاستاذ مصطفى أمين : « لقد عرفت مشرفة سياسيا وشاعرا وفيلسوفا وأديبا ، قبل أن أعرفه عالما .

وقد توفى مشرفة بالقاهرة فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٠ وسيظل دائما نبراسا وهاجا ، وعلما من أعلام النبوغ والعبقرية وسيظل رائدا من رواد العلم ولواء مرفوعا فى ساحة العلماء والعظماء .

رحم الله عالمنا الجليل رحمة واسعة ، وليت المسئولين يقومون بترجمة آثاره العلميـــة التى كتبها بلغة أجنبية الى اللغة العربية ، وكـــذلك بطبع أعماله كاملة ، تخليدا لذكراه ، وتحقيقـــا للفائدة لجمهرة المثقفين عامة . والله سبحانه تعالى ولى التوفيق .

---

١ – عدد مجلة الهلال الصادر عام ١٩٣٤ ص ١٥٠

(٢) – مجلة المقتطف عدد ابريل سنة ١٩٣١ .

مجلة الأزهر من خمسين عاما

الأمانة

لفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

الأمانة زينة العلم وروحه وبها يزكو فينفع ويفيد ، وأنت إذا دققت وأمعنت النظر فى تراجم رجال العلم فى العالم عامة رأيت فيهم الأمين وغير الأمين .
الأول : فى مكانة مرموقة محفوفة بالإجلال والوقار ، وانتفاع الناس منه فى ازدياد .
الثانى : فى منزلة أدنى ، ونفوس الناس عنه منصرفة ترمقه بازدراء . وتذهب ثقتهم به فلا يكادون ينتفعون منه بشىء ومن هنا يظهر مقدار صلة العالم بمزية الأمانة . فالأمانة فى العلم لها صلة وثيقة بخلق العالم عندما يسأل عما لا يعلم

قال الشيخ - رحمه الله :

فلاح (١) الأمة فى صلاح أعمالها ، وصلاح أعمالها فى صحة علومها ، وصحة علومها أن يكون رجالها أمناء فيما يروون أو يصفون ، فمن تحدث فى العلم بغير أمانة فقد مس العلم بقرحة ، ووضع فى سبيل فلاح الأمة حجر عثرة .

لا تخلو الطوائف المنتمية الى العلوم من أشخاص لا يطلبون العلم ليتحلوا بأسنى فضيلة .. أو لينفعوا الناس بما عرفوا من حكمة ، وأمثال هؤلاء لا تجد الأمانة فى نفوسهم مستقرا فلا يتحرجون أن يرووا مالم يسمعوا ، أو يصفوا ما لم يعلموا ، وهذا ما كان يدعو جهابذة أهل العلم الى نقد الرجال وتمييز من يسرف فى القول ممن يصوغه على قدر ما يعلم ، حتى أصبح طلاب العلم على بصيرة من قيمة ما يقرءونه ، فلا تخفى عليهم منزلته من القطع بصدقه أو كذبه أو رجحان أحدهما على الآخر ، أو احتمالهما على سواء .

قيض الله للسنة النبوية رجالا أشربوا فى قلوبهم التقوى ، فنهجوا فى روايتها نهج أصحاب رسول الله - ﷺ - فلا يروون الا ما وثقوا من صحته ، وهم بعد هذا الاحتراس البالغ على فريقين : فريق يحافظون فى الرواية على الألفا ظ لا يغيرون منها حرفا ، ومن أصحاب هذه الطريقة القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، ورجاء ابن حيوة ، ومحمد بن سيرين .

(١) نور الاسلام (مجلة الأزهر) ربيع الآخر ١٣٥٠هـ

تقديم : عبد الفتاح حسين الزيات

وفريق من أولئك الراشدين يحافظون فما يروون من الحديث على المعنى ، ولم يروا بأسا فى التعبير عنه بلفظ غير لفظ الرواية على شرط أن يؤدى المعنى كما هو ، ومن أصحاب هذه الطريقة الحسن البصرى . والشعبى وابراهيم النخعى

اندس بين هؤلاء الأمناء أشخاص يتشابهون فى الاستخفاف بصدق اللهجة ، ويختلفون فى الأغراض التى دعتهم الى هذا الاستخفاف ، فمنهم الجاهل الذى يحسب أن من طرق الاحسان الى الدين وضع أحاديث للترغيب فى بعض ماندب اليه من أعمال صالحة ، كما وضع نوح بن أبى مريم أحاديث فى فضل سور القرآن ، وقال : رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن اسحاق ، فوضعت هذه الأحاديث حسبة .

ومنهم المغلوب على رشده : يضع الحديث لنحو تأييد مذهب أو إصابة عرض زائل كأن يصنع حديثا فيما يوافق هوى ذى سلطان ليزداد عنده حظوة . مثل غياث بن ابراهيم رأى المهدى يلعب بالحمام . فتصرف فى حديث (لا سبق الا فى نصل أو خف أو حافر) فزاد فيه (أوجناح) وقد شاء الله تعالى أن يتنبه المهدى لهذه الخيانة ، فأنَّبَ غياثا وترك الحمام وأمر بذبحها .

ومنهم الزنديق : يضع أحاديث ليفسد القلوب ويزعزع الايمان كما وضع بعض عباد الأوثان حديث « لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه » .

ونهض باللغة العربية وآدابها رجال طبعوا على الأمانة ، مثل أبى عمرو بن العلاء ، والمفضل الضبى ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والأصمعى ، وابن الأعرابى ، وأبى عمرو الشيبانى ، ومحمد بن مسلم الدينورى ، ولم تخلص اللغة وآدابها من أن ينتمى اليها نفر لا يتحاشون أن يدخلوا فيها ماليس من حقائقها ، كقطرب (١) ، وحماد الراوية ، ولولا العلماء الذين ينقدون مايرويه أمثال هؤلاء لأصيبت اللغة بفساد كبير .

وللتاريخ القسط الأوفر من اختلاق الرواة وتزوير الكتاب ، فكم من حقائق شاخصة حاولوا أن يذهبوا بها هباء ، وكم من سير نقية أخرجوها فى صورة مايستحق هجاء ، وسير مدنسة ألبسوها ثوب مايستأهل ثناء ، ومن ناحية المحرومين من نعمة الأمانة فى العلم صدرت كتب مثل كتاب الامُامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة وصفت كثيرا من أفاضل السلف فى غير انصاف ، وولغت فى أعراض الصحابة وهم خير أمة أخرجت للناس ، وقد حذر أهل العلم من التسرع الى تسليم مايكتبه المؤرخون فى شأنهم ، وإنما يعول فى أخبارهم على الروايات الموثوق بها كالأخبار الواردة على طريق علماء الحديث .

وكذلك ترى فى غير الحديث واللغة والتاريخ من العلوم رهطا يمسونها بأيد غير مؤتمنة ،

(١) كان متهما فى رأيه وروايته عن العرب (مقدمة التهذيب لأبى منصور الأزهرى)

الأمانة

ويحشرون فيها ما لا يصح رواية أو لا يقبل دراية ، فيتناولها الجهابذة بالنقد ، فينفون خبثها كما تنفى النار خبث الحديد .

فالأمانة زينة العلم وروحه الذى يجعله زاكى الثمر لذيذ المطعم . وإذا قلبت النظر فى تراجم رجال العلم ، رأيت بين العالم الأمين وقرينه غير الأمين بونا شاسعا ، ترى الأول فى مكانة محفوفة بالوقار ، وانتفاع الناس منه فى ازدياد ، وترى الثانى فى منزله صاغرة ، ونفوس طلاب العلم منصرفة عن الأخذ عنه أو متباطئة .

وقد تقرأ كتابا . فتراه حافلا بالمسائل النادرة ، فكبر صاحبه فى عينيك ، ومتى عرفت أنه من المطعون فى أمانتهم ، شعرت بأن شطرا من ذلك الاكبار قد ذهب ، وخالطك الريب فى صحة ماأعجبت به من المسائل الراجعة الى الرواية .

كيف تكون منزلة الجاحظ عندك لو درست حياته فخرجت مالئا يدك بالثقة من أنه راوية أمين ؟ لا شك فى أن الأمانة اذا انحازت الى مثل ذكاء الجاحظ وسعة اطلاعه بلغ صاحبها فى الشرف والسؤدد المكانة القصوى ، ولكنك تقرأ ما شهد به بعض (١) ناقدى علماء العربية من أن الجاحظ غير مأمون فيما يروى ، فلا يبقى فى نفسك من احترامه الا ما جاءها من ناحية سعة علمه وبراعة بيانه . ولا أظنك بعد أن تعلم أن أبا الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى غير معدود فيمن يطمأن الى روايته (٢)الا أن تقرأ كتاب الأغانى على أنه كتاب أدب يجمع بين الصحيح والسقيم ، حتى إذا أردت تحقيق موضوع تاريخى ، لم تعول على ما ينفرد بروايته فتورده كما تورد مايرويه ابن جرير الطبرى مثلا - وأنت مطمئن اليه ، ولو كنت إذ درست حياة أبى الفرج وجدتها خالصة مما يخدش فى أمانته لأخذ فى نفسك مكانة فوق المكانة التى حازها من جهة سعة اطلاعه واتقانه لصناعة التأليف .

فالرجل الذى يكون على جانب من العلم ولا يتصرف فيه بأمانة حصينة ، يرمقه الناس بازدراء ، وتذهب ثقتهم به فلا يكادون ينتفعون بما يمكنهم أن ينتفعوا به من معلوماته الصحيحة وهذا صاعد بن الحسين البغدادى دخل قرطبة أيام المنصور بن أبى عامر . وكان عالما باللغة والأدب والأخبار . ولكن أهل العلم اختبروه فوجدوه يتنفق بالكذب ، فأعرضوا عنه ولم يأخذوا منه شيئا ، وألف كتابا سماه الفصوص نحا فيه نحو الأمالى لأبى على القالى فغلب شؤم ما فيه من كذب على ما فيه من صدق ، وكان شكرهم لهذا الكتاب أن طرحوه فى النهر .

قد يقع الرجل فى حال يرى أن الاعتراف فيه بالجهل يذهب بشىء من احترام سائليه له ، فيقف بين داعيين : فضيلة الأمانة تدعوه الى أن يقول « لا أدرى » وحرصه على أن يبقى احترامه فى نفوس سائليه غير منقوص يدعوه الى أن يستمد من غير الحقيقة جوابا ، وفى مثل هذا الحال يظهر مقدار صلة العالم بمزية الأمانة ، فان كان راسخا فيها رسوخ الجبل تشتد به العواصف فلا تزحزحه قيد شعرة ، أجاب داعيها ، واستيقن أن الاحترام الحق فى الوقوف عند حدودها ، وان كانت الأمانة كلمة يقولها بفمه ويسمعها بأذنيه دون أن تتخلل مسلك الروح منه ، آثر لذة الاحترام فى ذلك المشهد ،

(١) أبو منصور الأزهرى فى مقدمة « كتاب التهذيب »

(٢) انظر « عيون التواريخ » لابن شاكر

وأجاب بما ليس له به علم حضر بعض أدباء المغرب مجلس السلطان اسماعيل أو ابنه محمد وقرأ هذا الاديب بين يديه صحيفة ، نجاءت كلمة « الوخيد » (١) فقرآها «الوخيذ» بالذال المعجمة ، فأرجعه السلطان ، فقال ذلك الأديب : أنه بالمعجمه والمهملة ، فطلب منه شاهدا على ذلك فارتجل :

أقول لصاحبى لما ارتحلنا
وأشرعنا النجائب فى الوخيذ
تمتع من لذيذ كلام حولى
فما بعد العشية من لذيذ

واذا كان هذا الأديب قد خرج من مجلس السلطان فى ستر ، فقد لقى ما يلقاه المستخف بحق الأمانة فى العلم ، فافتضح أمره ، ووعت صحف التاريخ حديثه ، فأزرى بقدره .

واذا أبديت فى العلم رأيا ، ثم أراك الدليل القاطع أو الراجح أن الحق فى غير ما أبديت ، فمقتضى الأمانة أن تصدع بما استبان ذلك أنه الحق ، ولا يمنعنك من الجهر به أن تنسب الى سوء النظر فيما رأيته سالفا ، فما أنت الابشر ، وما كان لبشر أن يبرىء نفسه من الخطأ ، ويدعى أنه لم يقل ولن يقول فى حياته الا صوابا ، والأمانة هى التى كانت تحمل كبار أهل العلم على أن يعلنوا فى الناس رجوعهم عن كثير من آراء علمية أو اجتهادات دينية تبينوا أنهم لم يقولوا فيها قولا سديدا ، تجد هذه الفضيلة فى الأئمة المقتدى بهم كمالك بن أنس وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل ، والفتاوى التى رجع عنها أمثال هؤلاء العظماء منبه عليها فى كتب الأحكام ، ولا يعدشىء منها فيما يصح الاقتداء به الا أن يراه بعض المجتهدين صحيح الاستنباط ثابت الأصل فحكمه العمل على ما رأى .

يسأل العالم ذو الخلق العظيم عما لا يعلم ، فلا يجد فى صدره حرجا أن يقول « لا أعلم » وهذه سيرة علمائنا الاجلاء ، يلقى الواحد منهم السؤال فى العلم الذى علا فيه كعبه ، فاذا لم يحضره الجواب أطلق لسانه بكلمة «لا أدرى» غير مستنكف ولا مبال بما يكون لها من الأثر فى نفوس السائلين ، واذا فاته أن يجيب طالب العلم عما سأل ، لم يفته أن يعلمه خلقا شريفا هو أن لايتحدث فى العلم إلا على بصيرة ، فيحفظ مقامه من أن يرمى بضعف الرأى ان كانت المسألة من قبيل الدراية ، أو بقلة الأمانة إن كانت عائدة الى الرواية ، ولأن يقال : سئل فقال لا أدرى ، خير من أن يقال : سئل فقال خطلا ، أو روى ما لم يكن واقعا .

قال ابن هرمز : ينبغى للعالم أن يورث جلساءه قول « لا أدرى » .

والمسائل التى قال فيها كبار العلماء « لا أدرى » بالغة من الكثرة ما لا يحيط به حساب .

سأل رجل مالك بن أنس عن مسألة ، وذكر أنه أرسل فيها من مسيرة أشهر من المغرب ، فقال له : أخبر الذى أرسلك أنه لاعلم لى بها .

◄

(١) الوخيد للإبل : الإسراع

قال : ومن يعلمها ؟ قال : من علمه الله ، وسأله آخر عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب ، فقال : « ما أدرى ماهى » فقال الرجل : يأأبا عبد الله تركت خلفى من يقول : ليس على وجه الأرض أعلم منك ، فقال مالك غير مستوحش : إذا رجعت فأخبرهم أنى لا أحسن ، وقال الكاتبون فى سيرته : لو شاء رجل أن يملأ صحيفته من قول مالك « لا أدرى » لفعل .

ونقرأ فى سيرة الشعبى أنه سئل عن مسألة فقال « لاأدرى » فقال له السائل فبأى شىء تأخذون رزق السلطان فقال : لأقول فيما لا أدرى « لا أدرى »

ومن شواهد أمانة محمد بن الأعرابى أن محمدا بن حبيب سأله فى مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح ، فكان يقول : لا أدرى ، ولم أسمع ، أفأحدس لك برأيى !

وقد تخون الرجل ذاكرته أو تأخذه غفلة فيقع لسانه فى خطأ ، وينبه بعد أو يتنبه من نفسه الى هفوته ، فان كان على حظ عظيم من الأمانة بادر الى اصلاح خطئه بنفسه غير مستنكف من الاعتراف بما أخذه من ذهول قلب أو غلط لسان ، حضر أبو بكر بن العربى[1] مجلس أبى الفضل النحوى فسمعه يقول : طلق رسول الله ـ ﷺ ، وآلى وظاهر ، فلما انصرف قصده الى منزله ، وقال له : أصلحك الله ! قلت : إنه ـ ﷺ ـ طلق وآلى وظاهر ـ وأنه ﷺ لم يظاهر ، فإن الله جعل الظهار منكرا من القول وزورا ، فكان من أبى الفضل أن شكره ، ومن الغد قال أبو الفضل لأهل مجلسه بعد أن قرب ابن العربى اليه : إنى قد قلت لكم بالأمس : أن رسول الله ـ ﷺ ـ طلق وآلى وظاهر ، وأن هذا أرشدنى الى أنه لم يظاهر ، وهو كما قال ، وأنه شيخى فى هذه المسألة .

من الأمانة الرجوع الى الحق ، وهو كمال لاتحرص عليه الأنفس ذللت لها سبل المكارم تذليلا ، ومن الأمانة أن تنقد الآراء ولا تغمض فيما تراه باطلا وان كان بينك وبين صاحبها صلة الصداقة أو القربى .

قدم أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهرى الملك المنتصر فى تونس كتابا فى النحو ، فدفعه المستنصر للأستاذ أبى الحسن حازم ، فزار أبو جعفر حازم يوما ، فرأى الكتاب بين يديه ، فقال له يا أبا الحسن « وعين الرضا عن كل عيب كليلة » فقال له حازم : أنت سيدى وأخى ، والعلم لا يحتمل المداهنة ، فقال له أبو جعفر : فأخبرنى بما عثرت عليه ، فأراه مواضع فسلمها وأصلحها بخطه .

ومن أمانة العالم أن لايفتى أو يقضى بما يراه باطلا ، فحرام عليه أن يفتى أو يقضى برأى غيره وهو لايتردد فى بطلانه ، ويبقى النظر فى المسائل التى تعود الى الاجتهاد ولا يتعدى حكمها مراتب الظنون ، وهذا ما يمكن أن يكون موضع اختلاف الفقهاء فى قضاء العالم أو افتائه بغير مذهبه ، كأن يقضى بين خصمين من أتباع بعض المذاهب على مقتضى المذهب الذى تقلداه . كان العالم الجليل قاسم بن محمد بن سيار يفتى فى

---

(١) هكذا وردت هذه القصة فى كتاب « الفائق » لابن راشد القفصى وأوردها أبو بكر ابن العربى فى كتاب « الأحكام » على أنها وقعت لمحمد بن قاسم العثمانى حين حضر مجلس أبى الفضل الجوهرى .

الأندلس بمذهب مالك وهو يخالفه فى كثير من المسائل ، فقال له أحمد بن خالد : أراك تفتى الناس بما لا تعتقد ! وهذا لا يحل لك ، فقال : انما يسألوننى عن مذهب جرى فى البلد فعرف ، فأفتيهم به ، ولو سألونى عن مذهبى لأ خبرتهم به .

ويسهل على العالم السبيل لإفتاء القوم بمذهب إمام تقلدوه أن المجتهد وإن خالف غيره من المجتهدين فى بعض الأحكام المستنبطة ، يرى أن عبادات كل مجتهد ومن يقلدونه فى مذهبه صحيحة ، لأنها قائمة على الاجتهاد الذى هو أقصى ما كلفهم الله بالعمل عليه ، وليس عليهم أن يكون اجتهادهم مطابقا لما هو الصواب عند الله .

وممن لا يجيز للعالم أن يحكم بمذهب غير راجع فى نظره أبو بكر الطرطوشى ، فأنه كان ينكر ما يفعله ولاة قرطبة من أنهم إذا ولوا أحدا القضاء شرطوا عليه أن لا يخرج عن قول ابن القاسم ، وقال : هذا جهل عظيم .

والحق أن ولاية القضاء المتبعين لمذهب بعض الأئمة المقتدى بهم ـ عند فقد المجتهدين ـ صحيحة ولولى الأمر أن يشترط عليهم الحكم بالمشهور أو الراجح فى مذهب يعينه عند الولاية ، ضبطا للأحكام وسدا لأبواب اتباع الأهواء ، ولا حرج فى قضائهم على هذا الشرط وإن حكموا بما لا تطمئن إليه نفوسهم ، فإن آراء من لم يبلغ رتبة الاجتهاد المطلق أو المقيد تسقط أمام آراء المجتهدين ، وليس لها فى نظر الشارع من قيمة ، أما بالغ رتبة الاجتهاد فليس له أن يحكم بغير ما قامت الأدلة القاطعة أو الراجحة على أنه حكم الله الذى شرع لعباده .

وإذا كانت الأمانة فى العلم منبع حياة الأمم وأساس عظمتها ، زيادة على أنها الخصلة التى تكسب صاحبها وقارا وجلالة ، كان حقا علينا أن نعطف على نشئنا من طلاب العلم ، ونتخذ كل وسيلة الى أن نخرجهم أمناء يروون أو يصفون ، ذلك بأن نتحرى فى دروسنا الأمانة فيما نروى ، ولا نجيب سؤالهم إلا بما ندرى أو بقولنا « لا ندرى » وإذا أوردنا رأيا استبنا بعد أنه مأخوذ من غير أصل ، قلنا لهم فى صراحة : قد أخطأنا فى الفهم ، أو خرجنا على ما تقتضيه أصول العلم .

ومن أساليب تلقينهم الأمانة فى العلم أن نتلقى مناقشاتهم بصدر رحب ، ولا نقتل آراءهم بالكلمات الجارحة ، أو نتعسف فى ردها فندافعها بما نعتقد فى أنفسنا أنه غير كاف لدفاعها .

وعلى الأستاذ بعد أن يقوم بحق الأمانة ملاحظة سير الطلاب حتى إذا وقع أحدهم فيما يدل على أنه غافل عن رفعة شأنها وغزارة فوائدها ، أرشده الى أن العلم بغير أمانة شر من الجهل ، وأن ذكاء لا يصاحبه صدق اللهجة نكبة على العقل « وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً » .

محمد الخضر حسين

من نوادر مخطوطات "مكتبة الأزهر"

كتاب تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر

فى علم التفسير "للعالم الكواشى"

حظى القرآن الكريم بتفسيرات كثيرة تناولها العلماء فى شتى نواحيها لشرف علومها ومعلوماتها.

ومؤلف الكتاب هو : (٢) موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسين بن سويدان الشيبانى المعروف بالكواشى الموصلى عالم التفسير من فقهاء الشافعية ومن علماء القرن السادس الهجرى.

ولد : « بكواشة » عام ٥٩١ هـ سنة ١١٩٤ م.

وتوفى « بالموصل »عام ٦٨٠ هـ سنة ١٢٨١ م.

وبجانب هذا الكتاب له كتاب « كشف الحقائق » الجزء الثالث منه ويعرف بتفسير الكواشى.

وقالت عنه « النجوم الزاهرة » ج ٧ ص ٣٤٨ إنه صاحب التفسير الكبير والتفسير الصغير وهما من أحسن التفاسير، وكانت له اليد الطولى فى القراءات ومشاركة فى غير ذلك من العلوم.

وكان مقيما بالجامع العتيق بالموصل منقطعا عن الناس مجتهدا فى العبادة، وله مجاهدات وكشوف وكرامات، ولأهل تلك البلاد فيه عقيدة.

ومات وله تسعون سنة تقريبا ودفن بالموصل.

والكتاب موضوع الكلام هو « تبصرة المتذكر، وتذكرة المتبصر ».

قال فى مقدمته : أحببت أن آخذ شيئا من كلام من تقدمنى من أهل التفسير فأجمعه، وأذكر مع

عرض الأستاذ
محمد عميرة علي

ذلك « إن شاء الله تعالى » أنا ومن عساه أن يراه ممتنا ، إذ العمر قصير والعلم كثير ودرك المطلوب عسير وسميته « تبصرة المتذكر ، وتذكرة المتبصر » يتبصر به المبتدى ويتذكر به المنتهى ، والى الله تعالى أرغب أن يجعله خالصا لوجهه بمنه وكرمه .

ثم قال فى الإستعاذة . اختلف فى لفظ الإستعاذة . فالذى نرويه من قراءة وسماعا بأسانيد عن مشايخنا رضى الله تعالى عنهم . « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ومعنى أعوذ أستجير وأمتنع والشيطان : مشتق من شطن إذا بعد لأنه قد بعد من رحمة الله تعالى ، يقال : دار شطون وبئر مشطون أى بعيدة القعر فوزنه على هذا ، فيقال أو من شاط يشيط إذا هلك لهلاكه بمعصية الله تعالى فوزنه على هذا فعلان .

« والرجيم » بمعنى المرجوم « والمرجوم » الذى قد رجم بالشهب عند استراق السمع . قال تعالى « **وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ** » .

أو المرجوم المشئوم كقوله تعالى « لَأرجمنك » أو « المرجوم » الملعون والملعون المطرود .

وقوله تعالى « **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** » ، أى اذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله كقوله « **إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُواْ** » أى أردتم القيام الى الصلاة فصار معنى الكلام أستجير وأمتنع بجلال الله تعالى وعظمته من البعد من رحمة الله تعالى أو الهالك المرجوم على الوجوه الثلاثة .

وذكر فاتحة الكتاب وقال سميت فاتحة الكتاب لأنها بها افتتح القرآن .

وهى أم القرآن لأنها الأصل منها يبدأ القرآن ، وأم الشىء أصله كقوله لمكة أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها أو لأنها مقدمة بكتابتها فى المصحف وبقراءتها فى الصلاة أو لاشتمالها على المعانى التى فى القرآن من الثناء على الله تعالى بالأمر والنهى والوعد والوعيد .

هى السبع المثانى لأنها سبع آيات باتفاق العلماء ، وهى المثانى لأنها تثنى فى الصلاة أو أن الله تعالى إستثناها لهذه الأمة ، وهى مكية أو مدنية . أو نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة .

قالوا : ولذلك سميت مثانى ، والأول أصح لقوله تعالى « **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِى** » .

وقال رحمه الله فى « الحمد لله » الحمد والمدح بمعنى ولفظه خبر كان يخبر أن المستحق للحمد هو الله وتقديره قولوا الحمد لله .

« والحمد » بمعنى الشكر على النعمة ، والبناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة .

تقول : حمدت فلانا على إحسانه الى ، وحمدته على علمه وشجاعته ، والشكر لا يكون الا على النعمة ، فالحمد أعم من الشكر ، واللام فى « لله » للإستحقاق كقولهم « الدار لزيد » .

◄

وقال فى « رب العالمين » الرب المالك كرب الدار ورب الشىء اذا ملكه وبمعنى التربية والإصلاح كقولهم رب فلان الضيعة يربها اذا أتمها وأصلحها فهو رب كطبيب ، فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم .

ولايقال للمخلوق هو الرب معرفا إنما يقال رب كذا مضافا .

والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهم الجن والانس ، وجميع المخلوقين أو الملائكة والجن والانس والشياطين .

وقال فى قوله تعالى : « **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** » .

فقال عاصم والكسائى بألف ومن بقى بغير ألف ، ومعناها واحد كفارهين وفرهين ، ومعناهما الرب كرب الدار أى مالكها والمالك والملك القادر على اختراع الأعيان من العدم الى الوجود ولايقدر على ذلك غير الله تعالى .

أو مالك أجمع وأوسع من ملك ، يقال هو مالك العبيد والطير والدواب ، ولا يقال ملك هذه الأشياء لأنه لايكون مالكا لشىء إلا وهو يملكه ، وملك يوم الدين قاضى يوم الحساب ، والدين الجزاء ويقع على الجزاء الخير والشر جميعا لقولهم كما تدين تدان ، أو ملك يوم الدين ، أى لاينفع فيه إلا الدين ، أو الدين القهر .

يقال : دنته فدان أى قهرته فذل ، أو الدين الطاعة أى يوم الطاعة ، وإنما خص يوم الدين بالذكر وان كان مالكا جميع الأيام لأن الأملاك يومئذ آيلة .

قال تعالى جل شأنه « **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** » .

وقال « **وَ الأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** » .

وذكر فى « **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** » أيا ضمير منفصل منصوب بنعبد مفعول مقدم مخصوص بالإضافة ولو تأخر لم ينفصل ولصار كافا متصله .

فقلت نعبدك ونعبد بوجه ونطيع خاضعين ، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع ومن العبد وطريق معبد .

وقال فى « **إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** » أى نطلب منك المعونة على توحيدك وعبادتك وجميع أمورنا اذ لاقدرة الا الله تعالى ، وكرر إياك ولم يقل نعبد ونستعين لنفى احتمال ونستعين بغيرك .

وقوله « اهدنا » أرشدنا وقرىء بها أو ثبتناكما يقول للقائم قم مكانك حتى أعود أى دم وهذا دعاء على سبيل التثبيت والدوام على الهداية .

« الصراط » وسرات ، رواه قنبل عن ابن كثير وهو الأصل .

وحمزة باشمام الصاد الزاى ومن بقى بالصاد الخالصة وقرىء بالزاى الخالصة وكلها بلغات صحيحة .

« المستقيم » هو الاسلام أو القرآن ، وعن على - رضى الله عنه - « كتاب الله تعالى » ، أو الطريق السنة والجماعة ، أو الطريق الجنة ، أو الحج ، أو رسول الله ﷺ ، أو هو وصاحبك أو صاحبك وأصله فى اللغة الطريق الواضح .

« صراط الذين أنعمت عليهم » أى تمنيت عليهم بالهداية والتوفيق أو بالثبات على الايمان والاستقامة وهم الأنبياء وكل من ثبته الله تعالى على الايمان .

« غير المغضوب عليهم » أى غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب ارادة الانتقام من العصاة .

وغضب الله تعالى لايلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق عصاة الكافرين ، وأصل الغضب الشدة . ولا يوقف على عليهم الأولى اختيار الجر غير بعدها . بدلا من الذين أنعمت عليهم أو نعتا لهم .

« ولا الضالين » أى وغير الضالين عن الهدى والضلال أصله الهلاك والغيبوبة من ضل اللبن فى الماء إذا غاب وهلك .

ونذكر بعض تفسيراته على سبيل المثال لا الحصر لضيق المقام فى عملية النشر حيث يمكن للقارىء أو الباحث أن يضع يده على مايريد من هذه الأبحاث العلمية النادرة .

قال فى تفسير سورة محمد ﷺ . وتسمى سورة القتال وهى مدنية الا آية وهى : « **وَكَأَيِّنْ مِن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ** » أو مكية أو ثمان أو تسع وثلاثون آية « بسم الله الرحمن الرحيم » قال ابن عباس نزل فى المطعمين ببدر على حرب رسول الله ﷺ ، أو فى أهل الكتاب أو فى كل كافر .

« **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ** » أى أعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام أو صدوا غيرهم عن الدخول فى الاسلام .

« **أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** » أبطلها فلم يقبلها لأنهم كانوا يطعمون الطعام ويصلون الأرحام والمعنى أن أعمالهم وان كانت جميلة قد غابت فى كبرهم وانعدمت كما يغيب اللبن فى الماء فلم ينتفعوا بها .

قال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى ﷺ وجعل الدائرة عليهم .

وقال مقابل ونزل فى ناس من قريش أو فى ناس من الأنصار أو فى مؤمنى أهل الكتاب أو فى كل مؤمن .

« **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** » أى بما جاء به محمد ﷺ مؤكدا ذلك بقوله : « **وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** » وعلى جميع الأنبياء ثم زاد ذلك إيضاحا وتصديقا بقوله « **وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ** » والمعنى آمنوا بما نزل على جميع الأنبياء من ربهم وذلك المنزل حق أويكون قوله وهو الحق جملة أعتراضية تأكيد أيضا تلخيصه والمؤمنون بالمنزل الصالحون « كفر عنهم سيئاتهم » المعنى ستر الله تعالى بإيمانهم وأعمالهم الصالحة ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم منها ، تلخيصه غفر بإيمانهم شركهم « **وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ** » حالهم .

وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم والمعنى أصلح حالهم بتوفيقهم للدين وتسليطهم على أعدائهم ثم أومأ تعالى الى سبب اضلال الكفار وهداية الأبرار فقال « **ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ** » أى الشيطان وبما يقع فيه اتباع الباطل ارتكاب الشهوات واتباع الحق اتباع الأوامر والسنن .

وقال جعفر لا يوفق لسلوك طريق الحق من لم يحكم مبادىء أحواله مع الحق ، « **وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ** » يعنى القرآن والمعنى ذلك الموانع من الضلالة والهدى كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ، وذلك يكون مبتدأ والجار والمجرور بعده مرفوع المحل أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر كما ذكر بهذا السبب فيكون الجار والمجرور على هذا منصوب المحل ، ثم أومأ الى علة ضرب الأمثال بقوله « كذلك » أى مثل ذلك الضرب « **يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ** » الضمير يرجع الى الناس والمعنى بذكر هؤلاء الناس أشباههم وما جرى للناس المتقدمين عليهم ليتعظوا بهم أو الضمير يرجع الى الفريقين المذكورين الكافرين

والمؤمنين . والمعنى يضرب الله أمثال هذين الفريقين ليعتبروا بهم .

وضرب الأمثال هو جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين . وتقريبه أن يقول بطل ثواب الكافر لبطلان عمله وحق ثواب المؤمن لحقوق عمله فشبه الهالك بالهالك والواجب بالواجب ... الى آخر ما أورد فى سورة محمد ﷺ .

وختم الكتاب تفسيره بسورة الناس « **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** » خص تعالى الناس بالذكر وأن كان رب كل شىء تشريفا لهم لقوله تعالى « **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ** » أو لما أمر بالاستعاذة من شرهم أعلم أنه ربهم وأنه هو الذى يعيذ من شرهم . ويجوز أن يكون خصهم بالذكر إعلاما لهم أن لا معاذ لهم سواه وتخويفا فلا يعتمدون على غيره ولا يراقبون إلا إياه ، والناس أصله عند سيبويه أناس والألف واللام بدل من الهمزة قال ابن الأنبارى لا واحد له من لفظه كالقضاة قال والناس ليس بواحد الناس والقاضى ليس بواحد القضاة قال ووزن الناس من الفعل فعل ؛ فاضل نسى من نسيت فأخرت العين وقدمت اللام فصار ينسا فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجعل قوله « **مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ** » بديلين من رب أو عطف بيان الرب وذلك أنه لما قال رب الناس بين بملك الناس لأنه قد يقال لغيره رب الناس لقوله « **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ** » ولما قال ملك الناس بين بإله الناس لأنه قد يقال لغيره ملك الناس ولا يقال لغيره إله الناس والمعنى أنه أمر أن يستعيذ بالله « **مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاس** » .

الوسواس اسم بمعنى الوسوسة ، والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسوسة الحلى ويكون مصدرا والمراد به الشيطان . وتكسر واو المصدر فيقال وسواس كزلزال أو المعنى ذو الوسواس « **الْخَنَّاسِ** » هو الشيطان ينسب الى الخنوس لكثرته منه وذلك أن الشيطان جاثم على قلب الانسان فإذا ذكر الله خنس وولى وإذا غفل رجع ووسوس اليه .

قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب **فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس أن جعلت محل قوله « الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ » أى فى قلوبهم جرا صفة لما قبل ، لم تقف على الناس ، وإن نصبته أو رفعته وما وقفت على الناس كان كافيا الى آخر ما أورد فى شرحه لسورة الناس .**

والنسخة فى مجلد بقلم معتاد قديم . بأولها وآخرها أوراق بخط مغاير وبها نقص وآثار رطوبة وترميم فى ٤٤٣ ورقة ومسطرتها مختلفة .

والله ولى التوفيق ، ، ،

محمد عميرة على

دراسات في الإعلام

الاعلام الاسلامى الاسس والمبادئ

يهود الفلاشا

قضايا إعلامية

الإعلام الإسلامى

الأسس والمبادئ

القيم الاخبـارية

عود على بدء :

غنى عن التعريف ، بل من تحصـيل الحاصل ، أن نقول : أن مواجهة الاسلام للتحديات ، وحملات التشهير التى عايشته منذ البـداية حتى يومنـا هذا ، وكان « الخبر » ثم « الاشاعة » سلاحين هامين استخدمهما أعداء الاسلام بذكاء شـديد فى محاربة الاسلام لتحويل الناس عنه ، ولهذا أهتم الاسلام بالخبر و « النبأ » وجعل الصدق هـو الركيزة الأولى فى صناعة الأخبار •

ولقد ذكرنا ـ فى الحلقة الماضية ـ تعريف الخبر ، لغة واصطلاحا ، ثم تحدثنا عن منابع الأخبار ووسائل نشر الأخبار ، وفى هـذه الحلقة نتناول :

١ ـ استقاء الأنبـاء والأخبـار والقيم المتصلة بها •

٢ ـ صناعة الخبر (قبل النشر) والقيم المتصلة بها •

٣ ـ قيم خبرية عامة •

أولا ـ استقاء الأنباء والأخبار :

تتفق المؤسسات الاعـلامية والصحفية ووكالات الأنباء نفقات باهظة من أجل استقاء الأنباء والحصول عليها بأى شكل وبأى ثمن وبأى طريقة ! بل هـذا هـو الشعار لهذه المؤسسات الاعلامية من أجل الحصول عـلى « الخبر » !•

أما فى الاسلام فان لعملية استقاء الأنبـاء ضوابط وأصولا تراعى ولا يمـكن بحـال أن نتجاوزها ، وفى السطور التالية نعرف الفـرق بين اعلامنا واعلامهم •

* انه برغم المعدات الضخمة ، والأجهزة الفنية المعقـدة ، و « كاميرات » التجسس ، والأقمار الصناعية •• رغم كل هـذا وكـل

للأستاذ حسن على العنيبسى

ما يستخدم فى استقاء الأنباء ، فان عملية الاستقاء تقوم بشكل أساسى على الفرد ، « الانسان » ، « المخبر الصحفى » فهو الأساس الأول فى استقاء النبأ بمساعدة هذه الأجهزة . وهذا مكمن الخطورة وبيت الداء فى صناعة الأخبار .

* فهذا الانسان ينتمى الى مذهب معين أو عقيدة ما ثم له رؤيته الخاصة فى الحياة ، فضلا عن أنه تابع لجهاز اعلامى معين ، وهذا الجهاز يخدم سياسات معينة لدولة ما ، ثم هو – فى نشره للخبر – يقصد به التوجه الى دولة ما ، مهاجما أو مدافعا .. الخ .

اذن – فى مضمون ذلك كله – لن نحصل على خبر واحد صحيح – وهذا هو الواقع – مهما قيل لنا عن الحيادية واستقلال المخبر الصحفى وحرية الحركة فى الاستقاء ونشر الأخبار ! .

فالانسان هو الانسان .. يحب .. ويكره، ويؤيد ويعارض ، ويخاف ويرجو .. الخ مما يجعله (يلون) الأخبار بالألوان التى يريدها من بعثوا به لاستقاء النبأ ، وهنا يخرج الخبر موجها عاريا عن صحة المضمون ، مشوها أو مبتورا وأحيانا ملفقا ، لاأساس له من الصحة.

ولا شك أن دخول السياسة ميدان صناعة الأخبار أفسدها فسادا مدمرا ، وكثيرا مارأينا خبرا كاذبا ينشر مدسوسا وسط بعض الأنباء الصحيحة بنسبة ما ، ويكون المقصود من وراء نشر هذه الأخبار معرفة ردود الأفعال لدى دولة ما ، وبالتالى يمكن لأهل الحكم فيها توجيه سياساتهم من خلال هذا « الفخ الاعلامى » الذى تسهم فيه وسائل الاعلام بقسط وافر وكبير .

وكثيرا ما تسرب الدولة بعض الأخبار المحتوية على نسبة من الصحة ، وذلك ضمن عملية « الخداع الاستراتيجى » كما فعلت مصر فى رمضان المبارك ١٣٩٣ فى نشرها أخبارا صحيحة وعلى أساسها قام العدو الاسرائيلى بعمل خطط معينة كانت سببا فى هزيمته .

واذا كان المخبر الصحفى هو الأساس الأول فى استقاء الأنباء ، فانه جدير بنا أن نتوقف قليلا ونعرف أثر هذا الأساس فى عملية صناعة الخبر .

* المخبر الصحفى .. فى اعلامهم قد يكون جاسوسا الى جانب اشتغاله بالعمل الصحفى كمندوب لوكالة أنباء معينة أو كمراسل لصحيفة ما من الصحف ، وهنا تكمن خطورة هؤلاء الصحفيين على العالم الاسلامى، حيث يعاملون معاملة الصحفيين فى تيسير الحصول على الأنباء وهم فى واقع الأمر عملاء وجواسيس ، ونحن نلفت النظر الى خطورتهم من كل ناحية.

قضايا إعلامية

* والمخبر الصحفى ، فى اعـــلامهم ٠٠ لا تهمه « الحقيقة » وهى جـــوهر العمــل الصحفى بقدر ما تهمه مصلحته الشخصية ثم مصلحة بلاده ، ومن هنا كم من خبر نشر عن المسلمين وفيه الكذب والافتراء ، وكم من خبر نشر فيه تهويل وتضخيم فى خطر الجمــاعات الاسلامية أو تطبيق الشريعة أو كل ما يتصل بالاسلام لتصوير المسلم فى صورة الارهابى المتعصب ٠٠ وهذا يخدم سياســات معينــة مخطط لها ٠

* والمخبر الصــحفى ، فى اعلامهم يخفى الحقائق والأخبــــار كاملة ولا ينشرهـــا اذا ما تعارضت مع سياسات بلاده أو اذا كانت تقدم صورة مشرقة لنا ــ نحن المســلمين ــ وهذا خيانة الكلمة ، وخيانة الحقيقة ، وخيانة لأبسط قواعد ميثاق الشرف الصــحفى الدولى الذى تدوى طنطنته دائما ٠

* والمخبر الصحفى فى بلادهم ــ بهــذا كله ــ يجعلنــا نستشــعر الخطــر ــ نحن المسلمين ــ ويوجب علينــا أن نلحظهم بعين الريبة والشك ، ويجعلنا نسعى ســعيا حثيثا الى تكوين « الاعلامى المسلم » و « الصحفى المسلم » ليواجه هؤلاء ٠

فأما استقاء الأنباء فى الاعلام الاسلامى فانه يقوم على المبادىء التالية :

١ ــ اذا كان المسلم عامة يتميز بصـــدق الحديث فى حيــاته ويجعــل قول النبى ﷺ : (اياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار (١) » ٠٠ اذا كان الصدق مبدأ فى حياة المسلم العادى فانه أكثر أهمية فى حياة الصحفى المسلم ٠٠ الصدق فى الحديث ، الصدق فى نقل الخبر وتوصـــيله الى النـــاس دون خلطــه بشـــوائب الرأى والمصلحة والتوجيه ٠

هذا ، ولنقل الخبر هنا ضـــوابط ينبغى مراعاتها :

أ ــ ألا يكون فى استقاء هذا النبأ كشــف لعورة من عورات المسلمين ٠

ب ــ ألا يكون فى استقاء هذا النبأ ما يثير الفتن بين الطوائف من أبناء الشعب ٠

حـ ــ أن يراعى مصلحة الأمة والصـــالح العام لعامة المسلمين ٠

د ــ ألا يستخدم فى حصوله على الخبــر التدليس أو الغش أو الخداع ، مهما كـــانت قيمة الخبر الذى يسعى اليه ومهمـــا كانت خطورته ، ويجب أن يذكر دائما أن الفـــرق بيننا وبينهم انما هو فى هذه المبادىء الراسخة من ديننا الاسلامى، وأن يترك الوسائل الملتوية الى جهات أخرى تجيدها ، وليذكر أنه صحفى يبحث عن الحقيقة ، حيث لا تضر وليس رجل مخابرات يقابل الأسلوب بنفس الأسلوب ٠

٢ ــ أن ينشد الحقيقة ــ قدر المستطاع ــ متجردا عن الأهـــواء والتميزات وأن يلتزم الصدق فى تقديم هذه الحقيقة الى الناس ٠

---

(١) جزء من حديث صحيح ، كان ينبغى تحديد مرجعة ــ مجلة الازهر ٠

٣ ـ ألا يتسرع فى نشر الخبر ـ ابتغاء لسبق صحفى ـ فالخبر الكاذب يهدم مستقبل الصحفى ، ويجعل جريدته تعلن افلاسها لفقدانها ثقة القارىء • فان رصيد الصحفى هو ثقة القارىء القائمة على صدقه فى قوله وأمانته فى أداء رسالته •

وليذكر هذا المبدأ الخالد الذى أرساه النبى صلى الله عليه وسلم : « بحسب امرىء من الكذب أن يحدث بكل ما يقال » •

ومن صدق الحديث « الاخبار بما تحتمل العقول » •

هذان المبدآن هما جوهر العمل الصحفى الاسلامى وهما شعار الصحفى المسلم ، فليجعلهما نصب عينيه دائما •

فاذا ما عدنا الى كتاب الله الكريم وجدنا أساسا خطيرا ومبدأ هاما فى استقاء الأنباء وصناعة الأخبار ، وتأمل معى قوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » (١) •

أنظر الى وصف القرآن للمخبر بخبر ليس على وجهه الصحيح « فاسق » ، ويوجه القرآن تحذيره الى المؤمنين من مثل هذا المخبر بخبر كاذب ، لأن نشر هذا الخبر قد يجلب العداوة بين شعبين أو حكومتين أو جماعتين أو فردين •• مما يؤدى الى تطاحن المسلمين وتخاصمهم مثلما نحن عليه الآن •

فالقرآن ينادى المؤمن بوجوب الصدق فى القول ، وينادى المستمع بوجوب التثبت والتأكد من صدق الخبر •

فاذا ما تأملنا الساحة الاعلامية الآن فى شتى الميادين وجدنا عجبا :

كم من (فاسق) قدم أنباء كانت سببا فى اشعال الفتنة بين المسلمين ـ حتى شغلوا بخلافاتهم عن الجليل والخطير مما حولهم •• ولعبت وكالات الأنباء دورا مؤثرا فى هذا الشأن •

ويكفى أن نعلم أن ٩٥ ٪ (٢) من الأخبار المنشورة فى العالم مستقاة بواسطة وكالات الأنباء العالمية ، وهى تغطى حوالى ٩٩ ٪ من سكان العالم •

ومن المحزن حقا بل والمثير للقلق أن جل صحفنا واذاعاتنا تستقى أخبارها من وكالات الأنباء الأجنبية الغربية ، وهذا فيه ما فيه اذا علمنا أن معظم هذه الوكالات يسيطر عليها رأس المال الصهيونى ويوجهها ، بل منها ما أسسه يهود مثل وكالة الأنباء الفرنسية التى أسسها « هافاس » اليهودى ، وكم من خبر دسته هذه الوكالة ضد المسلمين ! •

---

(١) الحجرات ـ ٦ •
(٢) وكالات الانباء : رؤية جديدة ، شفيق محمود عبد اللطيف ، دار المعارف ، ص ١٠ • المعروف ان وكالات الانباء العالمية هى : يونيتدبرس ، اسوشيتدبرس ، وهما أمريكيتان وتخدمان السياسة الامريكية ثم وكالة الانباء الفرنسية ، ثم « رويتر » وهى بريطانية وتخدم أهداف السياسة البريطانية ثم وكالتا « تاس » و « نوفوستى » وهما سوفيتيتان تخدمان أهداف الاتحاد السوفيتى ولا توجد وكالة دولية واحدة مسلمة أو عربية •• !!

*** الوجه القبيح لوكالات الأنباء العالمية :**

لاشك أن أى وكاله انباء يخضع جانب منها لسيطرة الدولة ان لم تكن كلها ، فأية وكالة مهما تكن شخصيتها لابد أن تستغلها الدولة فى التركيز على (لون سياسى معين) تهدف اليه السلطة العليا للدولة .

* ومما يؤسف له أن نجد الكثير من مراسلى وكالات الأنباء يقعون تحت تأثير الاغراء بالمال ويتسللون الى المواقع الحساسة فى الدولة ويعملون لحساب المخابرات فى دولة ما .

* ولسنا بحاجة الى الحديث عن دور بعض مندوبى وكالات الأنباء الذين طردتهم الدول عندما استشعروا منهم هذا الخطر ، وقد فعلت بعض الدول العربية ذلك فى نطاق محدود .. بينما الواجب يقضى بمعاملة هؤلاء المراسلين بما يناسبهم .

* وكثيرا ما انكشف أمر عميل من هؤلاء العملاء فأسرعت وكالة الأنباء التابع لها الى تكذيبه والتبرؤ منه .

وازاء هذا التصرف المتكرر عمدت أجهزة التجسس الى محاصرة مندوبى هذه الوكالات لتحديد مناطق نشاطهم .

* يكفى أن نعلم أن وكالة « رويتر » و « هافاس » يهوديتان تعملان لحساب الصهاينة فى حربهم ضد الاسلام .

* وهذا يدعونا الى توجيه الدعوة الى انشاء « وكالة أنباء اسلامية » تقدم خدمة صحفية خبرية وخدمة « مصورة » فى مستوى ينافس ويفوق مستوى الوكالات الدولية المعروفة .

*** وكالة أنباء اسلامية مصورة لاستقاء الأنباء (١) :**

لا شىء يقتل الاشاعة سوى الخبر الصحيح الصادق ، ولا شىء يجعل وكالات الأنباء الدولية تحجم عن محاربتنا بنشرها الأخبار الكاذبة والمشوشة والمبتورة الا اذا قامت خدمة صحفية اسلامية قوية لنشر الخبر الصادق مدعما بالصورة ، وهنا فقط نصبح فى مأمن من كيد أعداء الاسلام فى هذا المجال .

* ومن الملاحظ أن وكالات الأنباء بشكلها الحالى سواء العالمية منها أم الاقليمية لا تفى ولا تصلح لأن نأخذ منها أو نقدم لها .. فهى تفتقد الضمير المسلم الذى توجهه الأمانة ويتلقاه التثبت .

---

(١) قدم الباحث فى مؤتمر القمر الصناعى العربى بحثا فى هذا الشأن ، وقد عقد هذا المؤتمر فى العام الماضى ؛ وأقامة المركز الاعلامي للدراسات والبحوث القومية والاستراتيجية وحضره وفود ثمانى دول عربية .

* فالخبر الاعلامى ينبغى أن يكون مجردا من أى شائبة أو قوى مؤثرة موجهة ، وانما يخرج الى الناس مطابقا واقعه بعيدا عن الضرر بالمسلمين •

* ومن منطلق حق الانسان أن يعرف ، ومن منطلق الحيادية فى نقل الخبر ، ونشره وتبادله نكرر الدعوة الى انشاء وكالة أنباء اسلامية ونقترح التالى :

* **أن يتولى أمر هذه الوكالة اما ادارة الأزهر** (١) بوصفها أكبر مؤسسة ثقافية واعلامية اسلامية فى الشرق أو ما يتصل بمبادىء هذه المؤسسة كمنظمة المؤتمر الاسلامى أو منظمة الاذاعات الاسلامية بوصفها تجمع اعلامى للمؤسسات الاعلامية الاسلامية •

* **التمويل :**

ويكون من عائد اشتراكات المؤسسات والأجهزة الاعلامية فى العالم الاسلامى ، ثم لمن يريد من الدول الأخرى مع تقديم بعض الخدمات الاعلامية فى غير محرم أو مكروه لتسهم فى تمويل هذه الوكالة •

* **« الكوادر » العاملة :**

والحمد لله فالعالم الاسلامى يموج بالكفاءات المؤهلة القادرة على ادارة مثل هذه الوكالة مع الالتزام بمبادىء العمل الاعلامى الاسلامى وشىء من التدريب على عمل وكالات الأنباء •

* أن يدرب للعمل — بهذه الوكالة — مراسلون يأخذون فى العمل — على هدى الاسلام وشروطه •

* أن تلتزم الدول الاسلامية بتسهيل حركة مراسلى هذه الوكالة ومساعدتهم فى الحصول على المعلومات والأخبار •

* أن تجعل هذه الوكالة قضايا العالم الاسلامى فى المقام الأول وأن تواجه وكالات الأنباء الغربية وتتعقبها فى حال نشرها لأخبار كاذبة عن المسلمين فى أى دولة من بلاد العالم •

ثانيا : صناعة الخبر وتحريره وأهم القيم الخبرية فى هذا الشأن :

يمر الخبر الصحفى بالكثير من « حراس البوابات »(١)

من المراسل : المندوب ثم الجهة التى سوف

من المراسل : المندوب ثم الجهة التى سوف

تقوم بالبث ، ثم الجهة التى تستقبل الخبر ثم محرر الخبر فى هذه الجهة ثم قارىء الخبر فى الاذاعة أو محرره فى الصحيفة فضلا عن تحريفات الترجمة من لغة الى أخرى الى ثالثة •

مثلا :

خبر قيام الثورة الايرانية أو زيارة مسئول

(١) المشروع بالتفصيل تحت يدى لمن يريده من المسئولين •

الى دولة ما .. يستقى هـذا الخبر المندوب الصحفى بطريقته ، ويكتبه بأسلوبه فقد لايحسن التعبير لسبب ما ، وقد يتجاهل ذكر تفاصيل معينة هامة لكنها ليست فى نظره ذات أهمية ..

ثم تلتقطها أجهزة وكالات الأنباء فيقوم

المحررون فيها بدورهم الرقابى بحذف أو اضافة أو تعديل ثم يرسلون الخبر الى الجريدة وتستقبل أجهزة « التيكرز » هذه الأخبار فيقوم المترجم بترجمتها وفقا لقدراته اللغوية والمامه بمسائل العمل الصحفى ، ويقوم المحرر باعدادها ويقدمها لرئيسه الذى يحذف أو يضيف وهكذا يمر الخبر بكل هذه المراحل الخطيرة التى تجعل من الحقيقة فى جوهر هذه الأخبار شيئا لا قيمة لها وتجعلنا نعيد النظر عشرات المرات قبل أن نقطع بحدوث الخبر على الوجه الذى أشارت اليه هذه الصحيفة أو تلك !!

وفى الاعلام الاسلامى توجد الثقة فى صدق المخبر الصحفى لسبب بسيط هو أنه مسلم قد التزم بقيم دينه ثم هو يتحدث لغة بلده وبالتالى فان حراس البوابات هنا على شاكلته أمنا وايمانا ولن يكونا أكثر من اثنين : المخبر الصحفى والمحرر ، والحديث بالعربية والصحيفة ناطقة بها وبذلك •

نتفادى أخطاء الترجمة ، ونتفادى حالات الكذب والغش التى يقوم بها مندوبو وكالات الأنباء العالمية •

ثالثا : عند صياغة الخبر لابد من الالتزام :

ــ بعدم ذكر الكلمات التى تعطى أكثر من معنيين لتدل الكلمة على ما يراد منها فى وضوح •

ــ وبالوضوح فى الصياغة والبساطة فى الكلمات المستخدمة •

ــ وعدم التقعر فى اللغة والميل الى غريب الكلمات أو استخدام الصور البلاغية اذ لا مجال لها فى العمل الاخبارى •

ــ الدقة فى استخدام المصطلحات وعدم الحدس •

ــ استخدام أقل عدد ممكن من الكلمات لتؤدى المعنى المراد توصيله فالمساحة فى الصحف لها أهمية كبرى ومكلفة للغاية •

ــ البعد عن التورية والتعريض فان الوضوح أمر أساسى فى كتابة الخبر وفى كل كلمة منه •

ــ الالتزام بأدب الكلمة فلا بذاءة ولا تجريح •

ــ البعد عن التهويل واستخدام «المانشتات» أى العناوين الكبيرة الا فيما يستحق أن نبرزه بهذا الشكل من فنون الكتابة الصحفية •

ــ الاهتمام بابراز الحقيقة فلا يتعمد كتابتها « ببنط » صغير غير مقروء أو تكتب فى صفحة محاطة باعلانات أو ينشر الخبر فى ركن يندر أن يمر به قارىء •

ـ مراعاة الدقة والأمانة فى الاخراج الفنى وتوزيع الأخبار بين الصفحات والأبواب مع مراعاة الصالح العام .

كل هذا أساس فى مبادىء الاعلام الاسلامى:

البساطة والصدق والوضوح والدقة والأمانة فى تقديم الخبر بشتى المراحل التى يمر بها حتى يصل الى الناس

مجلة الازهر :

نخشى أن يفسد هذه الصورة المثلى أن تنشأ وكالة أنباء اسلامية فتفتقد المراسل المؤهل لمبادئها فتستعين بالسوق .. والله الهادى الى سواء السبيل ..

مصادر الدراسة :

١ ـ كتاب الله ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفصيل آيات القرآن الكريم ـ جول لابوم ـ دار الوحى المحمدى
وترجمة محمد فؤاد عبد الباقى

٣ ـ نظرات اسلامية للانسان والمجتمع : د. رشدى فكار ، مكتبة وهبة .

٤ ـ وسائل الاعلام والتنمية الاجتماعية : د . شاهيناز طلعت ، ط أولى مكتبة الانجلو ١٩٨٠

٥ ـ الاعلام العربى : د. محمد على العوينى، عالم الكتب

٦ ـ نحو وكالة أنباء اسلامية ـ خدمة مصورة : بحث قدمه الباحث فى ندوة القمر الصناعى العربى ونشر فى مطبوعات المركز الاعلامى للبحوث القومية والاستراتيجية .

٧ ـ وكالات الانباء ، شفيق محمد عبد اللطيف ، سلسلة كتابك ، دار المعارف .

٨ ـ المدخل لدراسة الاعلام الاسلامى : د. عمارة نجيب ، دار الفاروق للطباعة الحديثة

٩ ـ فقه الدعوة والاعلام : د. عمارة نجيب ، دار الكاتب الاسلامى .

هذا وبالله التوفيق ..

يهود الفلاشا

بيدو أن قضية « الفَلَشَا » ستظل تطرح نفسها على صعيد الاعلام العربى ولفترات طويلة ، فقد نشرت جريدة الأهرام المصرية فى صفحتها الرابعة من عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٥/١٠/٢٧ نبأ تقديم « عمر الطيب » نائب رئيس السودان السابق الى المحاكمة بشأن قضية « تهريب اليهود الفلشا من اثيوبيا الى اسرائيل عبر السودان سرا ».

وكانت عملية التهريب قد بدأت فى يوم ٢١ نوفمبر ١٩٨٤ وقدر لها أن تنتهى من تحقيق أهدافها يوم ١٣ يناير ١٩٨٥ الا أنها توقفت قبيل نهايتها بأسبوع بسبب تسرب أخبارها الى صحف الغرب عن طريق وكالة « رويتر » التى أذاعت تفاصيلها بتاريخ ١٩٨٥/١/٢ نقلا عن مجلة « يكودا » الاسرائيلية .

و « الفلشا » هو الاسم الذى يعرف به يهود اثيوبيا ، ومعناه فى اللغة الاثيوبية (الأمهرية) « الغرباء أو المنفيون أو المهاجرون » ، لكنهم يكرهون تسميتهم فلشا ويطلقون على أنفسهم « بيت اسرائيل » وهم ينطقونه بلفظ قريب الى هذه الصيغة العربية .

وموطن الفلشا هو اقليم (سمن) الجبلى شمال بحيرة « طانا » منبع النيل الأزرق ويبلغ تعدادهم نحو خمسة عشر ألف أو ستين ألفا على اختلاف فى التقدير .

أصل الفلشا :

يعتقد « الفلشا » منذ ألفى سنة أنهم سلالة الملك سليمان من زواجه بملكة سبأ التى تداول الناس تسميتها بـ « بلقيس » ، وقد رفض هذا التصور كثير من الباحثين ، منهم «كسلر» مؤلف كتاب « الفلشا » و « ليتمان » الذى توصل فى دراسته عنهم أنهم ليسوا سلالة من اليهود وانما هم فى حقيقة أصلهم فرع من قبائل « أجو » الحامية ، ويتكلمون لهجه من لهجاتها الحامية ، وأنهم اعتنقوا اليهودية على يد مبشرين من الجالية اليهودية العسكرية التى كانت تعيش فى جزيرة « الفنتين » تجاه أسوان ابان سيادة الفرس على مصر (٥٢٥ — ٣٣٢ ق . م) والتى يبدو أنها أجليت بعد ذلك من الجزيرة .

ولأن علاقتهم لم تكن وطيدة بيهود فلسطين اتجهوا الى الحبشة ، وأقاموا بين بعض قبائل

للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

« أجو » ونشروا بين هذه القبائل عقيدتهم على نحو من البدائية .

ويرى « ليتمان » أن اسم « فلشا » انما أطلق أولا على أولئك اليهود اللاجئين من مصر، ثم بعد ذلك على قبائل « أجو » التى هودوها .

ويتفق « أولندروث » مع « ليتمان » فى أنهم ليسوا سلالة من اليهود ، ولكنه يرجح أنهم أحفاد « الأكسوميين » المتهودين الذين لم يقبلوا الدخول فى المسيحية التى صارت دين الدولة بعد أن اعتنقها ملك « أكسوم (١) » المسمى « عيزانا » الذى تولى عرش أكسوم عام ٣٢٥ ميلادية على وجه التقريب .

ودليله على ذلك أن يهودية الفلشا ليست الا بقية من الطقوس والعقائد العبرية واليهودية التى سادت أرجاء الركن الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية فى القرون الأولى بعد المسيح ودخلت الحبشة بعد ذلك .

ونحن نميل الى ما ذهب اليه « أولندروث » فى شأن الفلشا ، والذى يدفعنا الى ذلك أن اليهودية كانت أسبق الى الوجود فى الحبشة من المسيحية التى اعتنقها « عيزانا » — ملك أكسوم — لأسباب سياسية القصد منها كسب تأييد بيزنطة فى صراعه مع مملكة سبأ اليمنيه على السيطرة على طرق التجارة بخاصة وأن أكسوم كانت مركزا كبيرا لتجارة العاج والبخور ، وكان هذا العامل كثيرا ما يدفع ملوك أكسوم الى التوسع شرقا للسيطرة على اليمن الى أن تمكن ملوكها من ذلك عام ٥٢٥ ميلادية مستغلين محاولة ملكها « ذو نواس » فرض اليهودية على مسيحى اليمن ، فتدخلوا لنصرتهم وظلت سيادتهم على اليمن حتى عام ٥٧٥ م عندما أخرجهم الفرس منها .

يهودية الفلشا :

ويهودية الفلشا هى صورة غريبة من اليهودية المعاصرة اذ تختلط بها عناصر وثنية نصرانية مما ترتب عليه مخالفتهم لأقرانهم من اليهود الحاليين فى كثير من الأمور التى تمس العقيدة، فهم لا يعرفون عن اللغة العبرية شيئا مع أنها لغة كتاب اليهود « المقدس » وهم لا يعرفون عن هذا « الكتاب المقدس » سوى الأسفار الخمسة المنسوبة لسيدنا « موسى » — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — ، ويجهلون « المشنا » و « التلمود » ويؤدون

١ — اكسوم A×UM مدينة قبطية مقدسة فى الحبشة كانت عاصمة مملكة اكسيوم فى القرون النصرانية القديمة

صلواتهم باللغة الحبشية كما يفعل النصارى الأحباش ، ولا يحتفلون بالأعياد اليهودية التى يرجع أصلها الى ما بعد النفى مثل « عيد البوريم » •

أما الأعياد التى ورد ذكرها فى الأسفار الخمسة فيحتفلون بها ، ولكن بطريقة تخالف طريقة غيرهم من اليهود •

وهم بوجه عام لا يتفقون مع سائر اليهود الا فى تقديس يوم « السبت » اذ يكرهون — حتى السفر فيه •

وأهم ما يميزهم هو التشدد فى عقائدهم والتعصب لها •

ويبدو أن هذا التعصب هو الذى مكنهم من أن يظلوا مقيمين فى موطنهم قرونا طويلة يقاومون كل صور الضغط التى كانت تفرض عليهم ويحتفظون فى نفس الوقت بتراثهم الدينى •

فمنذ القرن الرابع عشر الميلادى وحتى حكم « هيلاسلاسى » والأباطرة الأحباش يعمدون الى حرمانهم من تملك الأراضى وممارسة شعائرهم ويلجأون الى تعذيبهم والاشتباك معهم فى حروب متتالية بهدف تشتيتهم أو ادخالهم كرها فى النصرانية ، وخففت هذه القيود قليلا بعد اسقاط حكم « هيلاسلاسى » عام ١٩٧٤ •

علاقتهم بيهود اسرائيل :

١ — منذ أن قامت اسرائيل لم تكن تعترف بالفلشا يهودا ، وكانت « جولدا مائير » تعتبرهم مجرد افريقيين، لذا لم يسمح لهم بالاستفادة بـ « قانون العودة » الذى يبيح لكل يهودى يذهب الى اسرائيل اكتساب جنسيتها ، وحقوق المواطنة فورا وتلقائيا •

٢ — ولم تتبدل تلك النظرة اليهم الا ابتداء من عام ١٩٧٣ وبعد حرب أكتوبر مباشرة ، تلك الحرب التى غيرت منحى « الهجرة » الى اسرائيل فدفعته الى اتجاه معاكس ، هو « النزوح » منها ، فقد بلغ عدد الذين غادروها بصفة نهائية عام ١٩٧٤ (٢٥) ألفا ، وقد واظب هذا الرقم على الارتفاع بشكل سنوى وصل فى نهاية السبعينيات الى ما يربو على نصف المليون حسب تقديرات وزارة العمل الاسرائيلية فى أغسطس ١٩٨١ • بالاضافة الى أن معظم المهاجرين كانوا من الشباب الذى أنهى دراسته الثانوية مباشرة ويطمع فى ألا يلتحق بالخدمة العسكرية التى تبلغ مدتها ثلاث سنوات •

٣ — يقابل ذلك اتجاه الهجرة البيضاء (١) القادمة من شرق أوروبا الى أمريكا وأوروبا الغربية والاقامة هناك بدلا من اسرائيل ، وذلك لتوافر ظروف العمل المجزى والاستقرار الأمنى •

ولما كان المجتمع الاسرائيلى هو المجتمع الوحيد فى العالم الذى يقوم بنيانه الأساسى

---

١ — أى من اليهود البيض

على الهجـرة اليه نظرا لأن ٤٨ ٪ وأكثر من أفراده ولدوا خارجه .

وازداد الاخفاق فى جلب الهجرة البيضـاء فانه لم يعد أمـام اسرائيـل الا التفكير فى « الفلشا » السود لتعويض ذلك العجـز فى القوة البشرية ، والعمل على تهجيرهم بأى حال من الأحوال ، وقد تم ذلك على مرحلتين :

أ ـ المرحلة الأولى :

وكان الهدف منها تقبل « البيض » فى اسرائيل لهم عن طريق اثبات نسبهم الى بنى اسرائيل وقد تميزت هذه المرحلة بصدور تصريحات من رؤساء الدين اليهودى تعلن أن « الفلشا » هم يهود حقيقيون ، كما أعلن الحاخام « شلومو غورن » أنهم من سبط « دان » ، وذلك فى عام ١٩٧٤ م وظهرت نظريات أخرى تسير فى هذا الاتجاه فتنسبهم مرة الى سيدنا موسى عن طريق زواجه بملكة حبشية ، وتنسبهم مرة أخرى الى سيدنا هارون ـ على نبينا وعليهما أفضـل الصلاة والسلام ـ .

وفى عام ١٩٧٦ م ، وبناء على تلك الأحكام التى أصدرها الحاخامات اليهود تم تطبيـق « قانون العودة » السابق الاشارة اليه على « الفلشا » .

ب ـ المرحلة الثانية :

وهى التى شهدت التحـرك العملى لنقـل الفلشا من موطنهم الى فلسطين المحتلة ، وقد بدأت عام ١٩٧٧ عن طريق اتفـاق مباشر بين حكومة « أديس أبابا » واسرائيل تعهدت الأولى فيه بالموافقة على تهجيرهم الى اسرائيـل فى مقابل أن يقوم الطرف الثانى بتزويد اثيوبيـا بالأسلحة والفنيين . بالاضـافة الى تدريب قواتها المسلحة ، وفعـلا كانت الطـائرات الاسرائيلية تقوم بنقل الأسلحة الى اثيوبيـا وتعود حاملة أعدادا من الفلشا .

ولم تتوقف عملية التهجير الا بعد أن أعلن « موشيه ديان » نبأ هذا الاتفاق عام ١٩٧٨ فى أثناء زيارة له الى « سويسرا » ممـا سـبب الحرج لحكومة اثيوبيا أمام الدول الافريقية .

ثم تكررت المحاولة عام ١٩٨٠ وبتنسيق بين « جهاز الموسـاد الاسرائيلى » ـ جهـاز المخابرات ـ ومكتب (وكالة اغاثة اللاجئين فى السودان) و (كينيا) ، كانت عملية التهجير تتم تحت ستار معـاونة الفلشـا على العمـل بـ « نيروبى » ، ثم توقفت العملية بناء على قرار من « الموساد » بسبب بعد المسافة بين كينيا والسودان ، وعدم توافر المواصلات الجيـدة التى تساهم فى نقلهم .

وفى عام ١٩٨١ تم تهجير بعض الفلشا عن طريق البحر الأحمر من مينـاء « سـواكن » السودانى الى ميناء ايـلات الاسرائيـلى .

وفى عام ١٩٨٢ جرى نقل نحو ألفين مـن الفلشا بالتعاون مع (وكالة الاغاثة الدوليـة) .

وكانت عملية التهجير وهى التى أطلقت عليها اسرائيل اسم « عملية موسى » تتم بتجميـع الفلشا من مخيمات غوث اللاجئيـن فى (أم راكوبة ، وطيوادا ، ووادى الحلو بالسودان) ثم نقلهم الى الجزء العسكرى من مطار الخرطوم حيث تنتظرهم طائرات شركة « عبـر أوروبا البلجيكية » لتقلع بهم الى « تل ابيب » مـارة بمطارات بعض دول أوروبا ـ بلجيكا ، سويسرا

ايطاليا ــ للتضليل وفى شكل رحلات دوريــة منتظمة ٠

وقد بلغ عدد الرحلات خمسا وثلاثين رحلة كان آخرها يوم ١٩٨٥/١/١٥ وقد جــرى بموجب هذه العملية تهريب أكثــر من عشرة آلاف من اليهود الفلشاء

الفلشا فى اسرائيل :

كشفت مظاهرات الفلشا التى كانت تجوب شوارع « تل أبيب » وتناقلتها الصحف عــن أوضاع غريبة فى معاملة الفلشا اذ طلب اليهــم اتباع طقوس واجراءات كالتى تتبع مــع المتهودين الجدد بحجة « تجديد »يهوديتهم ، كما تقرر الحاق جميع أبنائهم بالمدارس الدينية فقط بدعوى ظاهرها تعليمهم الدين من جــديد أما باطنها فهو ابعادهم عن التعليم المــدنى الذى يخرج منه قادة وحكام اسرائيل ٠

كما رفض السكان « البيض » فى مختلــف المناطق اسكانهم الى جوارهم بدعــوى أنهم بدائيون متخلفون ٠

وعندما أنزلتهم الادارات الصــهيونية فى الفنادق احتج المديرون ورؤساء البلديات ، ولم يقبلهم الا مستوطنو المناطق التى توجد بهــا كثافة عربية والتى تشهد توترا بلغ أقصى مداه بين الفلسطينيين والاسرائيليين ٠

كما قبلهم رئيس بلدية « عكا » بتحفظ ٠

ولاشك فى أن هذه المعاملة تتناقض مع ماقال به زعماء الدين اليهودى من أنهم سبط « دان » اذ أن « دان » هذا هو الابن الخامس لسيدنا يعقوب على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وأحد الأسباط العشرة التى فقدت فى التــاريخ بعد الغزو الآشورى لمملكة اسرائيل الشمالية الغابرة عام ٧٢٢ قبل الميلاد ٠

نتائج العملية على الكيان الصهيونى :

لقد كشفت هجرة الفلشا عن عدة حقــائق تهتك أستار الصهيونية وتهدم دعاويها فقــد أثبتت أن الهجرات الجماعية اليهودية قليــلا ماتحدث دون مؤامرة مسبقة من الصــهيونية العالمية كما فضحت دعاويها بأن اليهود شعب واحد تشتت فى أنحاء الأرض ، وأن اليهودية (هوية قومية) اذ تؤكد « الفلشا » عكس ذلك،

فاليهودية ديانة كغيرها قابلة للانتشار مثــل سواها ولا يمنع شعوب كثيرة من اعتناقها رغم تباين أصولهم كما أزاحت الستار عن الكيــان الصهيونى فبدا مجتمعــا للبيض يدين بالتفرقة مثله مثل جنوب أفريقيا ٠

محمد عبد العزيز عبد اللطيف

المراجع ٠
١ ــ الفلاشا خنجر فى ظهر الامــة ــ مصطفى بكرى ــ كتاب على طريق القدس عــدد (٢) سبتمبر ١٩٨٥
٢ ــ الحضارات السامية ــ ترجمة يعقوب بكر ص ٣٧٩
٣ ــ يهوو الفلشا يواجهون عيــادة فالوس ــ عبد الرحمن شــاكر ص ١٥ مجلة الهلال عــدد اغسطس ١٩٨٥

اللغة والأدب والنقد

غـراس الأساس

محمود سامى البارودى

الشيخ الباقورى

من روائع تراثنا المخطوط

غراس الأساس

للحافظ ابن حجر العسقلانى

باب الثاء المثلثة

* (ثبت) أَثْبَتَهُ : حبسه . وضربه حتى أثبته : أى أثخنه ، والأصل : منعه الحركة ، ومنه : أثبتته الجراحة ، وأثبته السَّقَم (١) : اذا لم يقدر على الحركة . ونظرت إليه فما أثبته ببصرى ، ، وأثبت اسمه : كتبته ، وَأَثْبَتَ الشئَ معرفة : قتله علما ، وَثَبِتَ لَبَدُك : دعاء بدوام الأمر .

* (ثبج) تسنم أثباج الآكام : أصله من الثبج وهو ما يلى الكاهل الى الظهر ، وثبج الكلام : لم يأت به على وجهه ، وركب ثبج البحر ، وثبج من الليل ، والتقم لقما مثل أثباج القطا ، وهى أوساطها .

* (ثبو) ما يعدله عندى مال مُثبَىَ (٢) ، وَثَبَىَ اللهُ لك النعم : ساقها .

* (ثجج) : غيث ثجّاج ، وخطيب مثجّ (٣) .

* (ثجر) : أقاموا فى ثجرة الوادى : أى وسطه .

* (ثجل) : حلة ثجلاء : أى واسعة (٤).

* (ثخن) : أثخنته الجراحة ، وتركه مثخنا ، وأثخن فى العدو ، وأثخن فى الأرض : أكثر فى القتل ، وأثخن فى الأمر : بالغ فيه ، وأثخنته علما : قتلته معرفة ، وأثخنه قوله : بلغ فيه ، وامرأة مثخنة : ضخمة ، واستثخن بى المطر : غلبنى ، وكذا النوم ، وفلان ثخين رزين : للحليم .

* (ثدى) : ارتضع ثدى الكرام .

* (ثرد) : فى شفته تثريد : أى تشقيق ، وثردت ذبيحتك : اذا كانت المدية كالّة فَفَتَّتَ (٥) ولم تَفِر .

---

(١) فى الأصل : السفر

(٢) فى الأســاس : ما يعدله عندى مال مُثَبَّىَ ولا ولد مُرَبَّىَ .

(٣) فى الاساس : خطيبه مثج مسح .

(٤) فى الأُساس : حلة ثجلاء ومزادة ثجلاء : واسعة .

(٥) فى الأُساس : ولم يفر .

تحقيق الدكتور
توفيق محمد شاهين

* (ثرر) : ناقة ثَرَّة وثرور : واسعة الأحاليل كثيرة الدُّر . وطعنة ثرة وثرور ، وفرس ثرّ .

* (ثرى) أثرى الرجل : أى صار ثريا ، مثل أترب : صار ذا تراب (١) ، والمراد ، كثرة المال ، ورجل مُثْرٍ وذو ثروة ، ومنه : ثرى القوم يثرون : اذا كثر عددهم ومن الأمثال :

« التقى الثريان » فى سرعة تواد الرجلين ، وأصله : أن الغيث التقى نداه ثرى الأرض (٢) ولا تويبس (٣) الثرى بينى وبينك :

أى لا تقاطعنى ، وظهر ثرى الماء من الفرس : اذا بدا بالعرق ، وأرى ثرى الغضب فى وجهه ، و « فلان قريب الثرى بعيد النبط » :

لمن ينطق بالجود ولا يفعل ، وبلغت ثرى فلان : اذا بلغت ما تطلب ، وثريت بك : سررت ، وهو ابن ثراها ، وفلان ما يثرى فيه شىء : أى ما ينجع (٤) فيه ، وما يثريه كذلك .

* (ثعب) : صاح به فانثعب اليه : اذا وثب يجرى اليه . وشدٌ أثعوب ، وثعب عليهم الغارة : شنّها ، وثعب البعير شِقشِقته : أخرجها .

* (ثَغَر) : أمسى الناس ثغورًا : أى متفرقين (٥) ، وفلان يسد الثَّغْر ، وكل فرجة فهى ثُغْرة ، وفلان يخترق ثغر المسجد : أى مسالكه .

* (ثغم) أَثْغَمَ رأسُ الرجل : اذا ابيض .

* (ثفر) : استثفرت المستحاضة : تَلَجَّمَت ، واستثفر المصارع : رد طرف ثوبه

إلى خلفه (٦) فغرزه فى حجزته (٧) ، واستثفر الكلب بذنبه ، وَأَثْفَرَ المرأة : وطئها من خلف (٨) وقيل : كان أبو جهل (٩) مثفارًا ، وَأَثْفَرُوه بيعة سوء (١٠) .

---

(١) فى الأصل : صار ذا أتراب بالهمزة .
(٢) فى الاساس : أن يسقط الغيث الجود فيلتقى نداه وندى الارض العتيق تحتها .
(٣) فى الأصل : لا تؤنس بالنون .
(٤) لقساوته .
(٥) ضُيَّعًا .

(٦) فى الأصل : الى خلف .
(٧) فى الأصل : الى حجرته بالراء .
(٨) فى الأساس : وأثفره : ساقه من ورائه .
(٩) فى الأساس : مثفارًا وكَذَّب قائله .
(١٠) فسرها فى الأساس بقوله : الصقوه باسته .

* (ثفل) : وجدتهم مثافين : أى متبلغين بالثفل ، وأهل البدو تسمى ما سوى اللبن من تمر أو حب ثفلا وتلك حال شديدة عندهم ، وليس الثفل كالمحض (١) : أى ليس الذى يشرب المحض كالذى يأكل الحب ، وثفال : جماعة ، وتبرذعت فلانا وتثفلته : اذا علوته فجعلته بمنزلة الثفال والبرذعة (٢). وتثفل استه : اذا قعد .

(ثفن) : [قولهم لعلى بن عبد الله] : ذو الثفنات ؛ لأنه كان لركبته كثفنات البعير ، وثافنته باسته : كان ينقب على كذا : أعنته عليه (٣) .

وثفنت يده : نجلت (٤) .

* (ثقب) كوكب ثاقب : شديد الاضاءة كأنه يثقب الظلمة . وَثَقَبَ ثقوبا ، وكذا السراج والنار ، وثقبهما : ارتقبهما ، واثقب نارك بثقوب أى ببعر ونحوه ، ورجل ثقيب : يشبه لهب النار فى الحمرة ، وفيه ثقابة ، وحسب ثاقب : شهير ، وثاقب الرأى : جزله [وأنتنى عنك (٥)] عَيْنٌ ثاقبة : أى خبر يقين ، وثقب الطائر : اذا حلّق كأنه يطلب السكاك (٦) وثقب الشيبُ فى اللحية : أخذ فى نواحيها ، وثقبه الشيب : اذا وخطه ، وهو طلاع المثاقب أى الثنايا ، الواحد مثقب كأنه ينفذ (٧) فى الجبل يثقبه (٨) ، وسلكوا المثقب : اذا مضوا من العراق الى مكة وثقب غُرز الناقة ، وناقة ثاقب وثقّب : غزيرة (٩) . وقد ثقبت ثقابةً : للبعير ومن فيها ، ونوق ثقب ، ومنه ثقب عود العرفج وثَقّب : اذا جرى فيه (١٠) الماء وأورق .

---

(١) فى الأساس : المحض بالحاء .
(٢) فى الأصل : البردعة بالدال .
(٣) فى الأساس : سافنته على كذا : اعنته عليه .
(٤) فى الأساس : أكنبت ومجلت .
(٥) الزيادة من الأساس .
(٦) فى الأصل : السكال باللام والتصحيح من الصحاح .
(٧) فى الأصل كأنه يتقد .
(٨) فى الاصل : يثقنه بالنون .
(٩) فى الأصل : غريزة .
(١٠) فى الأصل : منه .

الامالة

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم على الشناوى

الامالة : مصدر أملته أميله امالة . والميل : الانحراف عن القصد ، يقال منه مال الشىء . ومنه : مال الحاكم اذا عدل عن الاستواء ، وكذلك الامالة فى العربية عدول بالألف عن استوائه وجنوح به الى الياء .

والامالة فى الاصطلاح ــ كما قال ابن الحاجب ــ أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة ــ وهذا التعريف ــ كما قال الرضى ــ جامع لأنواع الامالة .

لأن الامالة ثلاثة أنواع : امالة الفتحة قبل الألف الى الكسرة ، فيميل الألف نحو الياء ، وامالة فتحة قبل الهاء الى الكسرة ، كما فى رحمة ، وامالة فتحة قبل الراء اليها ، نحو الكبر ، فامالة الفتحة نحو الكسرة شاملة للأنواع الثلاثة ، ويلزم من امالة فتحة الألف نحو الكسرة شاملة للأنواع الثلاثة ، ويلزم من امالة فتحة الألف نحو الكسرة امالة الألف نحو الياء ، لأن الألف المحض لايكون الا بعد الفتح المحض ، ويميل الى جانب الياء بقدر امالة الفتحة الى جانب الكسرة ضرورة ، فلما لزمتها لم يحتج الى ذكرها ــ اه .

وبمقدار جنوح الألف الى الياء تكون الامالة ــ فبحسب قربها من الياء تكون شدة الامالة ، وبحسب بعدها تكون خفتها وبعضهم ــ كالرضى ــ لا يسمى هذا امالة الا اذا بولغ فى امالة الفتحة نحو الكسرة ــ وما لم يبالغ فيه يسمى « بين اللفظين » و « ترقيقا » ، والترقيق خاص بالفتحة التى قبل الألف .

الامالة عند العرب

اعلم أن التفخيم هو الأصل ، والامالة طارئة .

والذى يدل على أن التفخيم هو الأصل .

أنه يجوز تفخيم كل ممال ولايجوز امالة كل مفخم ، وأيضا فان التفخيم لا يحتاج الى سبب والامالة تحتاج الى سبب .

ومع هذا فهى كثيرة فى كلام العرب : فمنه ما يكون فى كثرة الاستعمال تفخيمه وامالته سواء • ومنه ما يكون أحد الأمرين فيه أكثر وأحسن — وكان عاصم يفرط فى الفتح (عدم الامالة) وحمزة يفرط فى الكسر — قالوا :

وأحسن ذلك ما كان بين الكسر المفرط والفتح المفرط — ولقد اشتهر بين النحويين : أن الامالة لغة خاصة ببنى تميم دون الحجازيين — ولهذا قال الرضى : وليست الامالة لغة جميع العرب ، وأهل الحجاز لا يميلون ، وأشدهم حرصا عليها ، تميم (شافية جـ ٣ ص ٤) •

والحق أن الامالة لها أسباب فمنها ما يعتد به التميميون فقط ، ومنها مايعتد به الحجازيون ومنها ما يعتد به الجميع •

ولقد نص الفراء على أن ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد يفتحه (لا يميله) الحجازيون ثم قال : وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يميلون منه ما كان من ذوات الياء — ولعل قول الفراء هذا فى تلك الجزئية الخاصة بفعل المعتل العين — هو الذى حمل النحويين على أن يعمموا هذا الحكم ويجعلوا الامالة جميعها خاصة ببنى تميم — وهذا خطأ ظاهر •

فان سيبويه نفسه قال فى تلك الجزئية : (جـ ٢ ص ٢٦١) : ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو ، مماهما فيه عين اذا كان أول فعلت مكسورا (أى تكسر فاؤه عند اسناده الى التاء وذلك بأن يكون يائى العين كبعت ، أو واويا مكسور العين كخفت) •••

وهى لغة لبعض أهل الحجاز فأما العامة فلا يميلون — ا هـ •

وقال سيبويه فى جزئية أخرى — وهى ما اذا كانت الألف طرفا وليس أصلها الياء نحو غزا ، وحبلى — قال : وجميع هذا لا يميله ناس كثير من بنى تميم وغيرهم — وفى موضع آخر قال : وكثير من العرب وأهل الحجاز لا يميلون هذه الألف (جـ ٢ ص ٢٦١) — وقال أيضا :

وجميع هذا لا يميله أهل الحجاز وجماع الأمر فى هذا ما قاله سيبويه (جـ ٢ ص ٢٦٣) ! واعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه فينصب (لا يميل) بعض ما يميل صاحبه ويميل بعض ما ينصب صاحبه ، وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين فى الكسر (الامالة) فاذا رأيت عربيا كذلك فلا تظنه خلط فى لغته ولكن هذا أمرهم — اهـ •

قال السيرافى : يريد أن أمر العرب فى الامالة لا يطرد على قياس لايخالفونه ، وكذلك ترك الامالة لا يطرد — اهـ •

والآن : وقد ظهر لنا أن الامالة ليست خاصة بفريق — نستطيع أن نقول من تتبعنا لأسباب الامالة والاعتداد بها — ان الامالة فى التميميين أكثر منها فى الحجازيين — وليست خاصة بهم •

الغرض من الامالة

الغرض منها تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل :

وبيان ذلك أنك اذا قلت : عالم ـ كان لفظك بالفتحة تصعدا واستعلاء ، فاذا عدت الى الكسرة ـ كان انحدارا وتسفلا ، فيكون فى الصوت بعض اختلاف فاذا أملت الألف قرب من الياء ، وامتزج بالفتحة طرف من الكسرة فتقارب الكسرة الواقعة بعد الألف وتصير الأصوات من نمط واحد ـ وكثيرا ما تبدو هذه الظاهرة فى الأساليب العربية : فما قلبت التاء طاء فى نحو اصطبر ولا السين صادا فى نحو سقت ، والسويق ، ولا الصاد زايا فى نحو الصراط وصقر ـ الا حرصا منهم على تقارب الأصوات وجعلها من نمط واحد .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٥٩) « هذا باب ما تمال فيه الألفات » .

فالألف تمال اذا كان بعدها حرف مكسور نحو عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وغدافر وهابيل ، وانما أمالوها للكسرة التى بعدها أرادوا أن يقربوها منها . كما قربوا فى الادغام الصاد من الزاى حين قالوا : صدر فجعلوها بين الصاد والزاى فقربها (المتكلم) من الزاى والصاد التماس الخفة ... فكما يريد فى الادغام أن يرفع لسانه من موضع واحد كذلك يقرب الحرف الى الحرف على قدر ذلك ،فالألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقربوها منها الخ ما ذكر .

وقال ابن يعيش موضحا رأى سيبويه : وكذلك فى الامالة قربوا الألف من الياء ، لأن الألف تطلب من الفم أعلاه ، والكسرة تطلب أسفله وأدناه فتنافرا ، ولما تنافرا ـ أجنحت الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء فصار الصوت بين بين فاعتدل الأمر بينهما وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر فاعرفه ـ اهـ .

(جـ ٩ ص ٥٥) وقد فصل الرضى الغرض من الامالة ـ وان كانت لاتخرج عما أجملوه فقال (جـ ٣ ص ٥) :

وسبب الامالة : اما قصد مناسبة صوت نطقك بالفتحة لصوت نطقك بالكسرة التىقبلها كعماد ، أو بعدها كعالم أو لصوت نطقك بياء قبلها كسيال (شجر) وشيبان ، أو قصد مناسبة فاصلة لفاصلة ممالة ، أو قصد مناسبة امالة لا مالة قبل الفتحة ، أو قصد مناسبة صوت نطقك بالألف بصوت بأصل تلك الألف وذلك اذا كانت منقلبة عن ياء أو واو مكسورة كباع وخاف ، أو لصوت مايصير اليه الألف فى بعض المواضع كما فى حبلى ومعزى، لقولك : حبليان ومعزيان ـ اهـ .

حكم الامالة ومحلها

علم مما تقدم أن أسباب الامالة ليست موجبة لها . بل هى المجوزة لها عند من هى فى لغته ـ وكل موضع يحصل فيه سبب الامالة جاز لك فيه الفتح لأنه الأصل لأن الألف اذا لم تمل كانت حقيقة فاذا أميلت ترددت بين الألف والياء والأصل فى الحرف الا يمازج صوته صوت غيره .

ومحلها : الأسماء المتمكنة والأفعال غالبا أما الأسماء غير المتمكنة والحروف فلا يمالان الاسماعا .

منطق الأشياء

عند الشروق تتجه أشـعة الشمس الى الأرض وعند الغـــروب تتجه الى السـماء ، كذلك الانســان ٠

*　　　*

لن تصـــير الأرض سماء وان يرق فيها الذهب ولمع الدر ٠

*　　　*

الحضارة فى مفهوم العصر أن تلعن الماضى ٠
فما الجحـــود اذا ؟ ٠

*　　　*

تحت ضــوء الشموع دمــوع ٠

*　　　*

قد بلغت أصيل العمر ، وما زلت أنشد الفضيلة وأبحث عن صديق ٠

*　　　*

الصلف يحبط الفضل ، والمن والرياء يبطلان السخاء ٠

*　　　*

لا تضيىء الشمس مغموراً ، ولا يعز الناس مقهوراً ٠

*　　　*

يا صانع الســلاح ، لصدرك منه شـــظية ٠

*　　　*

فى البيضـــة غيضة ، وفى النواة حياة ٠ (١)

*　　　*

صرفنى عن بهاء الزهرة التى فى شمالك بريق المدية التى فى يمينك ٠

---

(١) غيضة　　منبت الاشجار

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

كثرة الآراء بلبلة ، وتناقضها مهزلة •

* *

الترف يقتل الهمة ، ويخمد الفطنـــة •

* *

فى الليل تدب العقارب والأفاعى ، وتسرح الذئاب ، وتتراكض الأشباح •

* *

ما أبطل حكمة الحكماء الا جلجلة الهــراء •

* *

من ذاق مائدة السماء لا يشتهى من الأرض الغذاء •

* *

خبيث من يطعمك ليأسرك ، وأخبث منه من يأكل طعامك ليدخر طعامه •

* *

فيم تخاتل(١) أيهــا الراحل ؟

* *

أفيقوا يابنى البشر ، قد لاحت النذر ، فليس على الله ببعيد أن يذهبكم ويأتى بخلق جـــديد •

* *

يا رائد الفضاء أعرف لك كوكبا مأمونا قبل أن تصير الأرض أتونا (٢) •

* *

اذا اختل الميزان رجحت الكفــة الفارغة •

* *

فتيان اليوم شيوخ الغد ، وان غدا لناظره قريب •

* *

رباه : أى السبل أسلك ؟ انما أعنى النهاية قبل البداية • فهــل الى ذلك من ســبيل ؟

◄

---

(١) تخاتل = تخادع .

(٢) أتونا = لهبا .

منطق الأشياء

ماذا تكون أحكام العقول فيما هو مجهول ؟ هل غير التناقض ؟

* *

تتنافر الأحياء وتختلف ، وتتواءم الأموات وتأتلف ٠ فهل تعرف السبب ؟

* *

فى الأكمام زهر ، وفى الأصداف در ٠

* *

للموت أتراح ، وله أيضا أفــراح ٠

* *

للمال سورة كسورة المدام ، وللسلطان سطوة كسطوة الضرغام (١) ٠

* *

حين بلغ منى الهدف ، تنحى عنى وصدف (٢) ٠

* *

حتى الجماد يتنافر ويتزاحم ، والساكن يمور ، والشاهق يغور (٣) ٠

* *

تغرب الشمس بين الجبال والبحور ، وتغرب الحقيقة فى الجدال والصدور ٠

* *

أيتها الأرض ليس لك منى الا جسمى ، وسأخليه لك بعد حين ٠

* *

عندما ترقد الأشباح ، تنطلق الأرواح ٠

* *

انما يتكدر الصــافى ويعوج المســـتقيم ٠

* *

أيتها الزهور المتغضنة الذابلة ٠٠ لقد كنت فى الصباح باسمة ناضرة ٠

* *

---

(١) سورة = تأثير الخمر فى العقل ، الضرغام = الاســد .

(٢) صدف = أعرض .

(٣) يمور = يموج ويضطرب ، يغور = يسفل.

غترب لتقترب ، وانصـــب لتترب (١) ٠

* *

حجبت الغيوم ضوء القمر حين كان بدرا ، وعندما انقشعت كان فى المحاق ٠

* *

لكى أرضى عنك دعنى آكلك ٠

* *

لأرض تطعمك ثم تطعمك ٠

* *

جمل الزهور وأبهاها ، لا أريج له (٢) ٠

* *

قال لى جئت لخدمتك : قلت له أفصح عن حاجتك ٠

* *

عدل القاضى يرهقه ، وجوره يوبقه (٣) ٠

* *

تقوض الأبدان عند رحيل الســكان ٠

* *

فى منطق العصر : النهاب غلاب ، والمضياف متلاف ٠

* *

يا ملاح الفضاء : هل لك فى الكواكب ملجأ حينما لا يكون على الأرض مرفأ ٠

* *

ليس للكائنات ثبات ، ولا فى الوجود جمود ٠

* *

وضع الندى موضع السيف ليس كرما بل سفها ٠

* *

انما يعمر الأرض انســان ٠

* *

ما أبدع الصباح وأقدسه قبل أن يصحو الانسان !! ٠

* *

---

(١) تترب = تستغنى .
(٢) أريج = عطر .
(٣) يوبقه = يهلكه .

منطق الأشياء

نعيب البوم والغربان يطغى على سجع الكروان .

*　　*

ليس التواضع ذلة .

*　　*

الحلال عند جل الناس ما وافق الهوى وان أشقى .

*　　*

اذا أردت أن تعرف طبيعة الحياة ، فانظر الى موج البحر .

*　　*

يحطم الناس البوق ويغفلون عن النافخ فيه ، أليس ذلك حمقا .

*　　*

الظلام خير من ضـــياء الحريق .

*　　*

هل تكشف الكونَ ذبالةُ العقل ؟ ذلك هو الجهل .

*　　*

عفة العاجز ادعاء ، وعلم الجاهل هـــراء .

*　　*

الغيث ينمى الحياة ، والسيل يجرفها ، وكلاهما ماء .

*　　*

الاطراء معشوق ، وان كان كاذبا .

*　　*

كم فى قاع البحر من در ، وكم بين الأحجار من نضار .

*　　*

القســـــوة تنبت الجفوة .

*　　*

أنت ابن العصر ، وان طال العمر وأحنى الظهر .

مع محمود سامي البارودي

للأستاذ محمد الطاهر الزنكلوني

البارودى من نسل الجراكسة الذين كان منهم المماليك حكام مصر قبل العهد التركى وهو ابن حسن حسنى بك من أمراء المدفعية فى الجيش المصرى ابن عبدالله بك الجركسى من الكشاف فى أوائل عهد محمد على وسبب نسبته الى ايتاى البارود وهى من مديرية البحيرة كانت من « التزام » أحد أجداده قديما .

ولد البارودى عام ١٢٥٥ هـ ١٨٤٠ م بقصر أسرته بباب الخلق ونشأ فى نعمة وثراء وعز وسيادة ضمنت له هذا الشمم الذى يتجلى فى شعره كما حققت اليه ما صبت اليه نفسه من أنواع العلوم ورفيع الدرجات .

مات أبوه وتركه فى السابعة من عمره فلم يسلمه اليتم – ومعه هذه الثروة – الى الضياع فقد تعلم القراءة والكتابة ومبادىء العلوم على يد أساتذة يحضرون اليه فى منزله ويقومون بتربيته وتثقيفه حتى اذا بلغ سن الحادية عشرة كان مستعدا لدخول المدرسة الحربية فدخلها ولبث فيها أربع سنوات أتم فيها علومها فتخرج منها سنة ١٨٥٥ م ، وعمره خمسة عشر عاما وهى سن صغيرة اذا قيست بسن غيره من الزملاء كان ذكاؤه قد مكنه من تحصيل العلوم فى تلك السن المبكرة كما أن قوة جنابه قد صيرته فى نظر الرؤساء أهلا لأن يعد فى صفوف الرجال بل الفرسان والقواد .

اعماله بعد الحياة العسكرية :

بعد أن تخرج البارودى فى المدرسة الحربية وكان ذلك فى أوائل عهد سعيد باشا ، لم تقف همته عند طلب الوظائف فى مصر بل ذهب الى الآستانة وعمل بها كاتما للسر بوزارة الخارجية وتمكن بذلك من اتقان اللغتين التركية والفارسية وحدث أن رآه فى الآستانة الخديوى اسماعيل سنة ١٨٦٣ م على اثر ارتقائه للخديوية لمصر فأعجب به وضمه الى بطانته فرجع معه الى مصر والتحق بالخدمة العسكرية سنة ١٨٦٨ م ثم ذهب فى الحملة التى ساعدت بها مصر الدولة العلية فى اخماد ثورة (قريطش كريت) ولما عاد منها انضم الى حرس الخديوى اسماعيل

مع محمود سامى البارودى

فرأى نبوغه عن كثب فزادت منزلته لديه ، وعينه كاتم سره الخاص وبعد سنتين عاد الى سلك الجندية ، ولما أعلنت الدولة الروسية الحرب على الدولة العثمانية سنة ١٨٧٧ م أمدت مصر الدولة العثمانية بجيش عظيم كان البارودى أحد قواده العظماء وأبدى من المهارة والشجاعة الحربية ما استحق عليه لقب (أمير لواء) وبعد عقد الهدنة عاد الى مصر فاختير مديرا للشرقية ثم رئيسا لضبطية القاهرة ، ولما جاء الخديوى توفيق اختير البارودى ناظرا للأوقاف فأدخل بها كثيرا من ضروب الاصلاح وبحكم كونه من النظار استطاع أن يخدم العرابيين الذين كان البارودى يحنو كثيرا على مطالبهم ، ويعتقد عدالتها ، ثم هو من ذوى المطامح الكبيرة يريد أن يهيىء لنفسه مكانة عند هؤلاء الثوار حتى اذا كانت لهم دولة عرفوا له معونته لقضيتهم ، وكانت خدمته للعرابيين أن ينقل اليهم ما يدور فى مجلس النظار من خطط تدبر ضدهم ليكونوا على أهبة لمقاومتها . وقد نجح البارودى فيما أراد وتحققت مطامعه فقد عين ناظرا للحربية ثم رئيسا للنظار برأى عرابى وأصحابه ثم استعفى لما وجد أن الأمور تسير على غير مايريد ومالبثت الثورة آن اشتعلت ثم انجلت سريعا عن فشل عرابى وأصحابه فكان البارودى من المتهمين باشعال نارها فحوكم مع العرابيين وحكم عليه وعليهم بالنفى المؤبد الى جزيرة (سرنديب) حيث مكث فيها أكثر من سبعة عشر عاما بلغه فيها وفاة زوجته وبعض أصدقائه فكانت حياته فيها كلها آلاما ومحنا بالرغم من مشاغله بتعلم اللغة الانجليزية وبتعليم مسلمى الجزيرة القراءة العربية والكتابة .

وفى أيام الخديوى عباس الثانى عاد الى الديار المصرية فى جملة المعفو عنهم سنة ١٩٠٠ فشكر لعباس صنعه بقصائد ومقتطعات لاسيما أنه اختصه برد حقوقه اليه من ثروة ورتبة وأقام بمصر موفور الكرامة ومثابة لمحبيه والمعجبين به وبشعره من الأدباء والعلماء حتى مات سنة ١٣٢٢ هـ الموافق سنة ١٩٠٤ م وقد كف بصره فى آخر أيامه .

شعر البارودى :

كانت صناعة الشعر أواخر العصر الماضى وأوائل العصر الحاضر قد انحطت الى الدرك الأسفل فى البلاد العربية لاسيما فى مصر لأن صناعة البديع وتكلف أنواعه اللفظية كانت قد غطت على محاسن الشعر فى قمته الفنية وأصبح مباءة لانواع منه اتخذت مسارا للمباهاة والمعاناة يضاف الى ذلك ما كانوا يختمون به قصائدهم من تواريخ السنين بحساب (الجمل) ومن شعراء هذه الطريقة الدرويش والخشاب وغيرهما .

ثم نشأت طائفة أخرى أدخلت على هذه الطريقة بعض الاصلاح فانصرفت قليلا الى تجديد أساليب الشعر البليغ الا أنها لم تنصرف عن التمسك بالبديع مثل على الليثى وأبى النصر وغيرهما .

ولم ينصرم زمن هذه الحلبة حتى راع كل من يعانى الأدب شعر ذلك الجندى العجيب

الذى طفر بالشعر العربى الى مستوى الجزالة والروعة التى كانت لشعراء القرن الرابع والخامس ذلك هو البارودى فحمل لواء الشعراء وكان زعيمهم فى النهضة الشعرية الحاضرة ومقدم فحول الطبقة الأولى منها ومن عجب أن ينبغ فى الشعر ذلك النبوغ الفذ على غير بصر بالنحو والصرف والبلاغة اذ لم يقرأ كتابا فى شىء من هذه العلوم (١) ، ولكنه لكثرة ماحفظ من دواوين الشعراء تصور فى برهة يسيرة هيأت له التراكيب العربية ومواقع حركاتها حتى صار يقرأ ولا يكاد يلحن فى شىء منها .

أغراض شعره :

البارودى — كما علمت — من أبناء النعمة وكان له ثقافته العسكرية التى لا يستبعد أن تكون قد وجهت أغراض شعره الى الفخر والحماسة والتحدث بشرف الأصل والنجار استمع اليه مفتخرا .

أنا ابن قولى وحسبى فى الفخار به
وان غدوت كريم العم والخال

ولى من الشعر آيات مفصلة
تلوح فى وجنة الأيام والخال

ولما خاض غمار الحروب فى قريطش والبلقان وصف الحرب فى شعره وذكر حسن بلائه فى مواطن القتال .

ولما نفى الى سرنديب اعتاض عن كل ذلك التحسر على زمان الصبا والحنين الى الأوطان وبكى فراق أهله وأولاده ورثى زوجته واخوانه فقال يصف الفراق :

محا البين ما أبقت عيون المها منى
فشبت ولم أقض اللبانة من سِنّى

عناء وبأس واشتياق وغربة
ألاشدّ ما ألقاه فى الدهر من غبنِ

ومن قصيدته التى يرثى بها زوجته التى ماتت بمصر وهو لايزال بمنفاه :

لا لوعتى تدع الفؤاد ولايدى
تقوى على رد الحبيب الفادى

يا دهر فيما فجعتنى بحليلة
كانت خلاصة عدتى وعتادى

مماسبق تعلم أن أكثر أغراض شعر البارودى مستمد من ظروف حياته وأن الحوادث التى مرت به كونت له تجربة حية كانت لها من عاطفته ووجدانه بوتقة صهرت هذا الشعر عن صدق ، فخرج روائع سمت الى الحكمة والمثل فى روعة وجلال .

---

(١) ذلك رأى الكاتب ، ويرى العقاد — رحمه الله ورحم البارودى — أن البارودى لم يتعلم النحو والصرف والبلاغة والعروض كما كان الطلاب يتعلمونها فى عصره . والعبارة تفيد أنه تعلم ذلك كله ولكن بطريق أبسط وأيسر من تلك التى تعلم بها أبناء عصره . الخطيب .

مع محمود سامى البارودى

أسـلوبه :

حسبك أن تعلم أنه كان يفضل اللفظ على المعنى ويرى أن المعانى قد تكون مشتركة تطرأ على خواطر كثيرين ولكن الشاعر يمتاز بحسن لفظه وجمال عبارته وتأنقه فى اختيار كلماته وقدرته فى الملاءمة بينها ، ولذلك كان البارودى يفضل أباتمام على المتنبى لعناية أبى تمام باللفظ وان كان البارودى لم يحاك أبا تمام فى تكلف الجناس والطباق ولقد بدت فى شعر البارودى مميزات يمكنك أن تستنتج منها :

أ ـ جذالة الأسلوب وفصاحة الالفاظ لشدة عنايته بالجانب اللفظى ووضعه له فى المحل الأول من الاهتمام •

ب ـ تجديد الروح البدوية فى الشعر واستخدام الالفاظ والاساليب التى سعدت بكثرة ورودها على ألسنة الشعراء الأقدمين •

جـ ـ الجنوح الى أنواع من البديع ينمق به أسلوبه ولكن بقلة وبدون تكلف •

د ـ معارضه بعض فحول الشعراء المتقدمين فى عيون قصائدهم كالنابغة الذبيانى والشريف الرضى وأبى فراس الحمدانى •

قال النابغة :

من آل مية رائح أو مغتدى
عجلان ذا زاد وغير مزود

فعارضه البارودى بقوله :

ظن الظنون فبات غير موسد
حيران يكلأ مستنير الفرقد

وقال الشريف الرضى قصيدته التى مطلعها :

لغير العلا منى القلا والتجنب
لولا العلا ما كنت فى الحب أرغب

عارضه البارودى بقوله :

سواى بتحنان الأغاريد يطرب
وغيرى باللذات يلهو ويلعب

وقال أبو فراس الحمدانى قصيدته التى مطلعها :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهى عليك ولا أمر

عارضه البارودى بقوله :

وأنى امرؤ لولا القرائن أذعنت
بسلطانه اليد والمغيرة والحضر

والمعارضة فى الشعر أن ينهج الشاعر نهج شاعر آخر فى الوزن والقافية والمعنى دون اللفظ •

هذا وللبارودى الفضل الأول فى رد الشعر فى هذا العصر الحديث الى فتوته وقوته ونضارته فقد طويت صحيفة الشعر الماضى بما عليها من تكلف ومافيها من اضطراب وظهرت بالبارودى صورة قوية نقية فيها كل معانى الحياة وفيها شباب العربية يترقرق وعذوبتها تتدفق ومن العجب أن هذا الرجل على كثرة شعره لايكاد يلحقه الاسفاف فى بيت واحد من قصيدة مع كثرة تصرفه فى فنون الشعر فراع وأصاب وأبهر سامعيه •

مع الشيخ الباقورى

ويسألونك عن ذى القرنين

لفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى

عرض وتعليق
الأستاذ السيد حسن قرون

فى هذا الكتاب تقرأ عقليتين لم يجد الزمان بمثلهما من البشر ، حاشا الأنبياء والمرسلين .

وقد أشرت فى المقال الأول الى المقدمات التى مهد بها الشيخ أحمد حسن الباقورى متحدثا عن رحلته الى الشرق الأقصى حيث زار أندونسيا والهند والصين ، وذكر انطباعات تلك الزيارة ، وكيف اتصل الود بينه وبين مولانا أبو الكلام أزاد المسلم الهندى والوزير والمفكر الكبير .

وعاد وفى قلبه شوق اليه ، وتلهف على سماع أخباره ، وحين أرادوا تكريم « أزاد » اتصلوا بالباقورى ليكون من الخطباء ، ولكن المنية حالت بين الباقورى وتكريم أبو الكلام أزاد ١٩٥٥ — فكان التأبين تكريما وتنويها وعرضا لعبقريته وأفكاره .



يقول الباقورى : « لقد كان وهو حى يملأ مجالات ما كنا نحس بفراغ فيها .. حتى اذا مات وجفت هذه الموارد الغزيرة التى كان يتدفق بها قلم أزاد وينطق بها لسانه — شعرنا بهول الفاجعة ، وأحسسنا المصيبة فى هذه

النعمة التى انتزعها القدر منا ، وأصبحنا نتلفت الى مكانه فى كل حدث يقع ، وفى كل عظمة تظهر » .

وما يقوله الباقورى عن أزاد جدير أن يقال له ، لأنه فى هذا الوصف يلقننا وصف نفسه الجياشة بالعطاء وجمال الأداء . ولماذا حرص الباقورى على نشر بحث أزاد القيم ؟ الجواب من الباقورى هو :

« قد وقع الى ذات يوم عدد من مجلة الأزهر تضمن حوارا حول « ذى القرنين » فى القرآن ، فاذا كاتب يدعى لنفسه رأى أزاد أو بعض رأيه ، ومنذ ذلك اليوم بدأت أخشى أن تلتهم البحث الجليل شهوة جشعة أو تدعيه أثرة ظالمة ، فاعتزمت أن أخلده فى كتاب حماية له واعتزاز به ، وان كنت أعرف أننى ربما تعرضت بنشر هذا البحث لعتب ولى مشفق ، أو نيل عدو كاشح .. » وقد أدى ما وعد به فكان هذا الكتاب .

وساق الباقورى أقوالا ينتظر أن يقولها شانئوه وحاسدوه ، أشدها فى نظرى أن يقولوا : ان ذا القرنين كان قائدا فارسيا ، وأنه هو الذى رد الى اليهود ملكهم واستنقذهم من ذل الأسر فى بابل وأعادهم الى بيت المقدس بعد أن كان « بختنصر » قد دمرها تدميرا كاملا ، وأسر جميع أهلها من اليهود آنئذ .

وفند هذا بقوله :

ان الأمانة العلمية فوق النعرات العصبية والعلوم والمعارف ينبغى أن تكون فوق الأهواء والمجاملات واهتمام مولانا أبو المكارم آزاد نابع من حبه العلم وكلفه بالبحث ، فالحقيقة هى بنت البحث عنده ، والقرآن ذكر ذا القرنين لسؤال قريش عنه صاحب الرسالة بايعاز من اليهود لسبر نبوته واعطاء قريش سلاحا لمناوءته ، وأراد هو أن يكشف لنا تلك الشخصية بوسائله العلمية ببراهين عقلية وحفريات عملية وبين لنا اعجاز القرآن فى هذا المقام .

ومولانا أبو الكلام أزاد ولد فى مكة ، وتربى فى وطنه الهند فى أسرة مسلمة تتخلق بأخلاق الإسلام ، لو قرأت دفاعه عن نفسه حين حاكمه القضاة الانجليز لثورته عليهم لرأيته يصف نفسه بشجاعة الاسلام وأنه لا يقر الظلم ويرى الاستشهاد دفاعا عن دينه ووطنه هو الحياة ، فهو ينظر الى ما يبحثه بمنظار العلم بعيدا عن أهواء النفس وهتافات الجماهير .

والشيخ الباقورى قبل أن يعرض علينا نص بحثه أتى لنا بما قاله المفسرون والمفكرون الاسلاميون من الأسلاف ليرينا ما قالوه وما يقوله مولانا أبو الكلام أزاد ، فمنهم من نفى أن يكون الاسكندر المقدونى هو ذا القرنين ، ومنهم جعله الاسكندر المقدونى ... والمراجع التى اعتمد عليها الباقورى لم ينسها أزاد بل ذكرها وذكر غيرها من كتب الشرق والغرب . وسأترك ما رواه الباقورى عن أسلافنا ، لأن مولانا

أبو الكلام أزاد لم يتركه ، بل ذكره وناقشه ، واتخذ فيه طرق التحليل والتركيب ، والمقدمات والنتائج ، وانك اذا قرأته سمعت نبضات قلبه وخطوات ذهنه ، ونقف منه على الحقيقة التى عنى نفسه من أجلها ، ليبلغ بذلك قصدا رصده ، وكشفا أراده ، واعجازا للوحى يحتاج الى منطق وبرهان .

وقد اتخذ فى سبيل ذلك محاور ثلاثة أساسية بنى عليها ما يخرج به من نتائج فى حاجة نحن نريدها كما يريدها والمحاور الثلاثة هى : القرآن الكريم ، وتاريخ اليهود القوى من خلال العهد القديم ، وخريطة الأرض الجغرافية وبجوار هذه المحاور الأساسية لم يترك التاريخ العام ومعالجة الديانات الأخرى .

ذو القرنين فى القرآن الكريم

قال تعالى :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا . قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا . وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا . ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا . كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا . ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا . قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ مَامَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . آتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا . فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا . قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا » (سورة الكهف الآيات ٨٣ ــ ٩٨) .

وعلى طريقة السلف يذكر سبب النزول ويوضح معنى الآيات . فيقول :

الظاهر من أسلوب الآيات أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ سئل عن ذى القرنين فجاءت الآيات جوابا للسؤال ، روى الترمذى والنسائى والامام أحمد فى مسنده : أن قريشا بايعاز من علماء اليهود سألت النبى عن أمور

ويسألونك عن ذى القرنين

منها ذو القرنين فقالت : من هـذا الـرجل وما أعماله ؟؟ •

وروى القرطبى عن السدى : قالت اليهود : أخبرنا عن نبى لم يذكره الله فى التـوراة الا فى مكان واحد • قـال :ومن ؟ قـالوا ذو القرنين •

وقد أحصى ابن جرير وابن كثير والسيوطى الـروايات بهـذا الصـدد فى تفاسـيرهم لخصائص ذى القرنين فى القرآن الكـريم • خصائصه كمـا ذكرها الباحث أزاد هى :

١ ـ الرجل الذى سألوا النبى عنـه كانوا يسمونه ذا القرنين ، أى أن هذا الاسـم أو اللقب لم يضعه القرآن من عنده ، بل الذين سألوا عنه هم الذين أطلقوه عليه ، ولـذلك قال : « **وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ** » •

٢ ـ أعطاه الله الملك وهيأ لـه أسـباب الحكم والغلبة •

٣ ـ كانت حروبه الكبرى ثلاثا :

الأولى غربية زحف من بلاده متوجهـا الى المغرب حتى وصل مكانا حده المغرب فوجـد الشمس هناك كأنها تغرب فى عين •

والثانية : شرقية ، فمازال يتقدم حتى بلغ أرضا لا عمران فيها تقطنها القبائل البدوية •

والثالثة : وصلت به الى مكان بـه مضـيق جبلى يشن من ورائه قوم الغـارات على الأهالى الذين سموهم يأجوج ومأجـوج ، وكان هؤلاء همجا حرموا المدنية والعقل •

٤ ـ أقام الملك سـدا فى المضـيق الجبلى لمنع غارات يأجوج ومأجوج •

٥ ـ لم يتكون هذا السد من الحجر والآجر فقط ، بل استهلك فيه الحديد وأفـرغ عليـه النحاس فأصبح سـدا منيعا تعجز دونه همم المغيرين •

٦ ـ كان الملك مؤمنا بالله وبالآخرة •

٧ ـ كان ملكا عادلا رحيما لا يظلم ، فلما تغلب على قوم فى الغرب عاملهم معـاملة حسنة وقال لهم : **لا خوف على الأبريـاء** ، فمن عمل خيرا يجز به ، فاطمأنوا الى عـدالته فكسب رضاهم •

٨ ـ لم يكن حريصا على المال ، فلما أراد المفتوحون أن يجمعوا له المال لاقامة السـد أبى أخذه منهم قائلا : ان ما أعطاه الله يغنينى عن أموالكم ، ولكن أعينونى بقوة أيديكم أشيد لكم سدا حديديا •

وخلص مـن هـذا ليتحـدث عن حـيرة المفسرين ، وقد أتت الحـيرة من الاسـم أو اللقب « ذى القرنين » فلم يعرفوا من التاريخ ملكا له قرون أو قرنان ، ومن ثم راحوا الى استراحة المجاز ، فأولوا القـرن بالعهـد ، ومعنى هذا أن الملك المتحدث عنه حكم حكمـا طويلا يقدر بعهدين كبيرين ، واختلفـوا فى تحديد مدة القرن وذهبوا مذاهب شتى وذو القرنين هـذا •

أملكا كان أم نبيا ؟ •

ومتى كان زمانه ؟ •

أعاصر ابراهيم عليه السلام أم جاء بعده ؟•

ودار بحث جلبه لفظ « ذو » وهـو يسـبق

أسماء ملوك حمير فى اليمن ، ففى اليمن : ذو الأزعار وذو نواس وذو رعين ولو كان الأمر كذلك لعرفه عرب مكة ولما خفى على المسئول محمد الرسول ، والأوصاف التى ذكرها القرآن لا تنطبق على أحد من ملوك اليمن •

وجاء قوم ينظرون الى التاريخ بفكرهم فجعلوا من الاسكندر المقدونى ذا القرنين الذى ذكره القرآن لكثرة فتوحه ، ولكنه لم يكن عادلا ولم يكن يؤمن بالله واليوم الآخر ولم يبن سدا ولم يجعل للمغلوبين رأيا •

اليهود وتصور شخصية ذى القرنين

اتجه مولانا أبو الكلام أزاد الى التاريخ القومى لليهود ، وتاريخهم مدون فى الكتاب المقدس « العهد القديم » ولا سيما أن السؤال عن ذى القرنين جاء منهم أو جاء موعزا به حسب تفكيرهم ، فماذا وجد ؟ •

وجد بين دفتى « العهد العتيق » سفرا نسبوه الى « دانيال » النبى ، وذكروا فيه بعض أعماله ، وما كشف له عنه فى رؤياه أيام أسر اليهود ببابل •• فجاء فى الباب الثامن من هذا السفر :

فى السنة الثالثة : لجلوس « بيلشن فسر » الملك كنت بمدينة سوس هيرا من أعمال علام على شاطىء النهر أولائى ، فرأيت الرؤيا للمرة الثانية ، رأيت كبشا واقفا على شاطىء النهر له قرنان عاليان ، وكان الواحد منهما منحرفا الى ظهره ، ورأيت الكبش ينطح بقرنيه غربا وشرقا وجنوبا لا قبل لحيوان بالوقوف أمامه • فهو يفعل ما يشاء وصار هو كبيرا جدا • وبينما أنا أفكر فى هذه الظاهرة اذ رأيت تيسا أقبل من جهة الغرب وغشى وجه الأرض كلها ، وكان بارزا بين عينى التيس قرن عجيب ، ثم ان التيس اقترب من الكبش ذى القرنين ونفر منه مغضبا ثم عمد اليه فكسر قرنيه ، وصرعه وداسه فأصبح الكبش ذو القرنين عاجزا عن مقاومته ، محروما من ناصر ينصره عليه « سفر دانيال ٨ : ١ » ثم ذكر الكتاب على لسان دانيال أن الملك جبريل ظهر له وشرح رؤياه قائلا :

ان الكبش ذا القرنين يمثل اتحاد المملكتين : مادا وفارس ، فيملكهما ملك قوى لا تقدر دولة على مواجهته •

أما التيس ذو القرن الواحد الذى رآه بعد الكبش فالمراد منه ملك اليونان ، والقرن البارز بين عينى التيس يدل على أول ملك من اليونان (٨ : ١٥) •

ومن الميسور توضيح تلك الرؤيا ، فالمملكتان : مادا وفارس ستتحدان وتصبحان مملكة واحدة وقد مثلت شخصية ملكها بكبش ذى قرنين ، والذى سيقضى على تلك المملكة هو قرن تيس اليونان : أى الاسكندر المقدونى •••

المهم من هذا كله أن ملكا عظيما للفرس هو « غورش » الذى سماه اليونان (سائرس) واليهود « خورس » وحد مملكتى مادا وفارس وأنشأ منهما مملكة عظيمة ، ثم هاجم بابل واستولى عليها دون عناء ، وسيقوم بالحروب الثلاثة التى ذكرناها فى صدر البحث ويحرز الانتصارات العظيمة ، وينقذ اليهود من أسر بابل .

وتكررت الرؤى تتحدث عن غورش منقذ اليهود ، فمما جاء فى نبوءة يشعياه وقد شبه غورش بعقاب الشرق : « ها ، انظروا ، انى أدعو عقابا من الشرق ، أدعو ذلك الرجل الذى أتى من أرض بعيدة ويتم سائر مرضاتى » (٤٦ : ١١) .

وهكذا تقرأ فى كتاب ير مياه :

« نادوا فى الأمم ولا تخفوا ، قولوا آخذت بابل ، خزى البعل (صنم بابل الشهير) بهت مردوك (صنم بابلى آخر) لحق العار بجميع أصنامها ، جعلت أوثانها شذر مذر ، لأن شعبا من الجنوب مقبل زاحفا نحو بابل ، يخرب أرضها حتى لا ترى بها بشرا » يرمياه (٥٠ : ١) .

وانا ليس من صنيعى ان انقل كل ما نقله من العهد العتيق ولا آتى على جميع النبوءات التى جاءت فى سبيل أسر اليهود بأرض بابل على مدى سبعين عاما ، وكان المنقذ هو الملك العادل غورش أو قورش كما ننطقها اليوم .

ويستخلص من تلك النبوءات والرؤى أن القومية اليهودية أو الاسرائيلية كان بدء ظهورها فى مصر حين استعبد المصريون بنى اسرائيل وأساءوا معاملتهم واقترن ظهورها بشخصية موسى عليه السلام الذى بعثه الله لانقاذ بنى اسرائيل وانها ضهم ، وأن مشيئة الرب اقتضت بأن يفضل الشعب المختار على سائر الشعوب ومن هذا نشأ تخيلان ثبتا ثبات الايمان فى العقلية اليهودية : أنهم شعب الله المختار وأن لهم منقذا اذا ضاقت بهم سبل الحياة .

وفى أسر بابل انتظروا المنقذ وكان المنقذ غورش الفارسى ، قال الله : « ان خورس (غورش) راع لى وهو يتم مرضاتى كلها » وقال : « أنا أخذت بيده اليمنى لأجعل الأمم فى حوزته » ثم يخاطب الله خورس نفسه قائلا : « أفعل كل ذلك لتعلم أننى الرب اله اسرائيل الذى ناداك باسمك صراحة لأجل اسرائيل ، شعبه المختار » .

هكذا يقول العهد القديم ولا جدال فى أن غورش قد فتح بابل لا لأجل اسرائيل وانما لأن أهل بابل ضاقوا ذرعا بطغيان ملكهم فرأوا أن ينقذوا أنفسهم منه بالارتماء فى أحضان غورش الفارسى ، وأن فتح بابل حل مشكلة اسرائيل فقد عادوا الى فلسطين باذن من غورش ، ومن المعلوم أن الهيكل بأورشليم قد بنى من جديد ، وأن خلفاء غورش ساروا على نهجه فى حسن معاملة اسرائيل .

ومهمة الباحث تتجه الى تحقيق شخصية غورش وهل هو ذو القرنين ؟ فمازلنا نسير

وراء هذا المقصد ، فقد عرفنا من رؤيا دانيال الكبش ذا القرنين وفسرناه بملك مادا وفارس أى غورش ، وفسرنا التيس الذى غلبه بقرن واحد هو الاسكندر المقدونى ، ولم يحارب الاسكندر غورش وانما حارب دارايوش فزال عهد أسرة غورش الى الأبد .

مادام الأمر كما ذكر فبطبيعة الحال يكون المقصود فى سؤال اليهود عن ذى القرنين » هو شخص غورش ليس غير ، أى ذلك الملك الذى رآه دانيال فى هيئة كبش « لو قرانائيم» ترجمته العربية « ذو القرنين » اذ لفظ القرن اشتركت فيه اللغتان العربية والعبرية على سواء ، ومن المؤكد أن يهود العرب كانوا يسمون غورش بـ « ذى القرنين » ورواية السدى تؤيد هذا التفسير ، اذ جاء فيها ان اليهود قالوا : ان ذا القرنين ذكر فى التوراة مرة واحدة فقط . وهو الواقع بعينه ، فالكبش ذو القرنين لم يرد ذكره فى التوراة الا مرة واحدة ، وذلك فى سفر دانيال وحده .

بهذا التفسير ارتفعت الاشكالات كلها دفعة واحدة ، فلا حاجة الى صرف كلمة القرن عن معناها اللغوى العام ولا أن نضل فى بيداء التأويلات والتكلفات الباردة ، فشخصية ذى القرنين التاريخية قد برزت للأعين . أما ما ذكره القرآن فستراها تطابق سوانح غورش مطابقة تامة دون أن نجهد أنفسنا فى هذا التطبيق .

العثور على تمثال غورش الحجرى :

وقبل أن نطبق ما جاء فى القرآن الكريم على ذى القرنين نتحدث عن الدليل الذى ما بعده دليل هو وجود تمثال لغورش له تلك الصفات التى جاءت فى العهد القديم ، ومؤرخو العصر الحاضر لا يأخذون بروايات الكتب الدينية وانما يأخذون بمعطيات الحفريات ، لذلك كان مولانا أبو الكلام أزاد مستريحا لوجود ذلك التمثال ، يقول :



« خطر ببالى لأول مرة هذا التفسير لذى القرنين المذكور فى القرآن وأنا أطالع سفر دانيال (يريدأنه غورش) ثم اطلعت على ما كتبه مؤرخو اليونان فرجح هذا الرأى عندى ، ولكن شهادة أخرى خارج التوراة لم تكن قامت بعد .. والشهادة هى العثور على تمثال لغورش الملك .

ان هذا الكشف الأثرى الهام هو تمثال حجرى لغورش بعينه ، وجدوه منصوبا فى مكان يبعد عن عاصمة ايران القديمة

« استخر » نحو خمسين ميلا على شاطىء النهر « مرغاب » وذكر أقوال علماء الآثار الأوربيين من أمثال جيمس موريز ، والسير رابرت كيربورتر ، وقد تكلم القس فورستر سنة ١٨٥١ فى المجلد الثانى من كتابه على التمثال واستدل به على نصوص التوراة ، وكذلك نشر صورة للتمثال أوضح من الأولى لم يكن اللثام عن الخط المسمارى أزيح كلية الى ذلك الحين ، الا أنه كان تقرر أن التمثال « لسائرس » أى لغورش لا غير •

انه تمثال على القامة الانسانية ظهر فيه غورش وعلى جانبيه جناحان كجناحى العقاب وعلى رأسه قرنان كقرنى الكبش ، ولكن ليس كسائر الكباش ، بل كان القرن الواحد منهما وراء الآخر • هكذا نرى القرنين فى التمثال • أما الجناحان فوجودهما يطابق ما جاء فى سفر « يشعياه » من قوله : « أدعو عقابا من الشرق ، أدعو ذلك الرجل الذى يأتى من أرض بعيدة ويتم سائر مرضاتى » (الباب ٤٦ : الآية ١١) ولهذه الأجنحة اشتهر التمثال بالطير والنهر الذى يجرى تحته سمى « بمرغاب » أى نهر الطير •

ويستمر مولانا أبو الكلام فى بحثه ويناقش المدة التى صنع فيها التمثال ، أصنع فى عهد غورش نفسه أم فى عهد أردشير من خلفائه ؟ المهم أن لقب ذى القرنين كان لغورش وقد أصبح اللقب مشهورا ومسلما به فى ذلك العصر حتى أنهم توارثوه بعد غورش ، ولما أرادوا نصب تمثال له زمن أردشير حملهم ذلك التصور على تصويره بهذه الصورة • ومعنى هذا أن مولانا أبو الكلام يرجح صنع التمثال مؤخرا فى عهد أردشير •

وهنا يذكر تاريخ أسرة « هخا منشى » التى بدأ حكمها لايران بظهور غورش ، ونشأة غورش نفسه أسطورة فقد أراد جده لأمه أن يقتله عند ولادته ولكن الله قيض له من ينقذه ، فينشأ بين الصحارى والجبال نشأة فطرية ثم يظهر فتؤيده القبائل ثم يصير ملكا يضم شمال البلاد مع جنوبها ، ويعفو عن جده فلا يقتله ولا يروعه •• ثم تظهر فتوحاته ، ثم انقاذه بنى اسرائيل بعد فتح بابل •• ومن أبناء غورش « قمبيز » الذى فتح مصر •• ثم انتقل الملك بعد قمبيز الى بنى عمه بعد موته عقب فتح مصر •

وقد توفى غورش سنة ٥٢٩ قبل الميلاد بعد أن لهجت الألسنة فى الشرق والغرب بعظمته ، فبعد فتحه بابل لم يبق على وجه البسيطة أحد يعارضه فكان هو وحده امبراطور العالم كله فى ذلك الحين •

وأنا لا أحب أن أسترسل معه فى تاريخ الفرس وما حدث لاسرائيل من بابل وضياع التوراة وبكاء أنبياء بنى اسرائيل فان ذلك أمر يطول ، ولنأخذ فى التطبيق الذى أشرت اليه آنفا •

ذو القرنين المذكور فى القرآن وغــورش

استـــتراح مولانا أبو الكـــلام أزاد الى استدلالاته العقلية والنقلية والحفرية بل جعل التمثال شهادة حسية ملموسة وبقى الآن أن نرى هل الحلة التى فصلها له القرآن توافقه أم لا ؟ وسنرى أنها توافقه كل الموافقة :

« إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ »

ان أول ما وصف به القـــرآن ذا القـــرنين هو قوله : « **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ وَآتَيْنَـــاهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا** » أى اننا منحنـــاه السلطان والتثبت فى الملك وهيأنا له جميع الوســـائل والمعدات التى كان يحتاج اليها لدعم حكمـــه واتمام فتوحه •

ـ ومن أسلوب القرآن أنه كلما ينســـب نجاح شخص وسلطانه الى الله مباشرة كمـــا تراه فى هذه الآية يريد بذلك أمرا عظيما قـــد وقع على خلاف المعهود ، ولذلك صـــار هبـــة من الله ورحمة خاصة من لدنه ، فمثلا نرى فى سورة يوسف أنه يقول : « **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ** » (١٢ ـ ٥٦) أى جعلنا يوســـف متمكنا فى أرض مصر ، وذلك لأن يوســـف ـ عليه السلام ـ وصـــل الى حـــكم مصر بطريقة عجيبة غير معهودة ولذلك نســـب الى الله ليبين أنه كان من نعم الله عليه أن أخرجه من السجن وأجلسه على عرش البلاد •

ولما كان أسلوب الكلام عن ذى القرنين نفس هذا الأسلوب كان لزاما أن يكـــون وصـــول ذى القرنين كذلك الى مقام الملك والســـلطان فى ظروف غير عادية فيكون منحة خصوصيته مـــن الله •

وحياة غورش كما أوردها التاريخ تطـــابق ما صورها القرآن ، فقد بدأ حياته فى ظروف أحاطت بها الحوادث المحيرة للعقـــول حتى سبكتها فى قالب أسطورة ، انه لم يولد بعد ،

الا أن والد أمه أصبح عدوا لدودا له ، يريد الفتك به ، ولكن الرجل الذى انتـــدبه لقتلـــه امتـــلأ قلبه عطفـــا وحنـــانا عليـــــه ، فاختطفه من براثن الموت ، ثم انه ينشـــــأ فى الغابات والصحارى والجبـــال ، ويعيش عيشة الرعاة المهملين المجهولين ، فبينما هـــو كذلك اذ تتغير الأحوال فجـــأة وتقـــوده الى ساحات الجد والعمل ، فيخلـــو له عـــرش « مادا » دون مزاحمة •• لا ريب أن ســـير الحوادث العادية لا يكون هكذا ، انـــه حقـــا أمر فذ ، نادر عجيب •

ثم قال « **وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا** » أى وهبنا له كل الوسائل للعمل والنجاح • انظر كيف تطابق هذه الكلمات من الآيـــة الأمـــر الواقع ؟ ان الشاب الذى كان بالأمس راعيا مجهولا قد استوى اليوم على عرش الملك وملك جميع ما يحتاج اليه من وسائل العمـــل دون حرب ولا نضال •

يقول مؤرخو اليونان : ان جميع قبـــائل فارس قد اتفقت على طاعته من تلقاء نفسها ، وظهرت فى التاريخ أول مرة المملكة الفارسية المادية المتحدة ثم احتشـــــدت له جيـــوش عظيمة لم تملكها مملكة من قبل •

ثم ذكر القران لذى القرنين ثلاث مهمات كانت الأولى منها الى مغرب الشمس ، والغرض الواضح من «مغرب الشمس» الجهة التى ترى الشمس تغرب نحوها ، أى جهة الغرب ، وليس معنى ذلك مكان غروب الشمس حقيقة اذ لا يوجد ولا يمكن أن يوجد مكان كهذا ، وان كل اللغات لتعبر عن الشرق والغرب ب « مَغْرِبَ الشَّمْسِ » وب « مَطْلِعَ الشَّمْسِ » •

وفى العهد القديم تعبيرات كهذه فتقرأ مثلا فى صحيفة زكريا : « يقول رب الجموع انى أنجى شعبى من البلد الذى تطلع منه الشمس ومن البلد الذى تغرب فيه الشمس » (٨ : ٧) أى أنجى بنى اسرائيل من مصر وبابل ، اذ مصر لفلسطين بلاد المغرب وبابل بلاد المشرق — هذا أمر واضح لا يحتاج الى البحث الا أن أمرا جليا كهذا أصبح معقدا لولع المفسرين بالعجائب ، فتوهموا أن ذا القرنين وصل الى المكان الذى تغرب فيه الشمس حقيقة ، وعلى هذا فمهمته الأولى كانت الى الغرب ، ولا ريب أنها كانت مهمة « ليديا » ، لأنك ان مشيت من ايران الشمالية الى آسيا الصغرى تكون قد مشيت نحو الغرب تماما •

وقد رأينا آنفا أن غورش ما كاد يضع تاج فارس ومادا على رأسه حتى فاجأه ملك آسيا الصغرى « كروسس » بالهجوم ••

فاضطر غورش الى رد سيف المهاجم الى نحره ، فخرج من عاصمة « مادا » هغ متانا « همذان » وانقض كالصاعقة على خصمه ، فسقطت مملكة « ليديا » كلها ساجدة أمام قدميه بعد موقعتين : بنزيا وسارديز • وقد أتى « هيردوت » على تفاصيل هذه الحرب وهى ممتعة ، فقال : كان انتصار غورش سريعا جدا لم يتوقعه أحد ، فما مضت على معركة بنزيا أربعة عشر يوما الا وخضعت عاصمة ليديا المنيعة ووقف ملكها كروسس أسيرا بين يدى الفاتح ، فأصبحت آسيا الصغرى كلها من بحر الشام الى البحر الأسود خاضعة لغورش ، ولكنه مازال يتقدم ويتوغل حتى بلغ آخر المغرب ، أى الى ساحل البحر — وهنا — طبعا — وقفت أقدامه كما وقفت بعد اثنى عشر قرنا أقدام موسى ابن نصير على الساحل الشمالى من افريقية •

اجتاز غورش من همذان الى ليديا ألفا وأربعمائة ميل ، وكان لا يقدر على المشى فوق أمواج البحر فوقف ، فاذا هو يرى الشمس تغرب فى عين الخليج الساحلى ، وكان له هذا المقام بلا ريب « مغرب الشمس » أى نهاية المغرب ، وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما :

لنضع خريطه الساحل الغربى لآسيا الصغرى أمامنا نرى فيها معظم الساحل قد تنقطع فى خلج صغيرة ولاسيما على مقربة من أزمير ، حيث اتخذ الخليج صورة عين ،

كانت ساردىز على مقربة الساحل الغربى ولا تبعد كثيرا عن أزمير الحاضرة ، فلنا أن نقول : ان غورش لما تقدم بعد استيلائه

على ساردیز وصل من ساحل بحر ايجة الى مكان قريب من أزمير ، ورأى الساحل قد اتخذ صورة تشبه العين ، وكان الماء قد انكدر من وحل الساحل فرأى الشمس تغرب مساء فى هذه العين . هذا ما عبر عنه القرآن بقوله : « **وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ** » أى أنه تراءى له كأن الشمس تغرب فى بقعة كدرة من الماء .

ومن المعلوم أن الشمس لا تغرب فى مكان ما ، ولكنك ان وقفت على ساحل بحرى رأيت الشمس كأنها تغرب رويدا رويدا فى البحر .

المهمة الشرقية :

وكانت مهمته الثانية الى مشرق الشمس أى فى جهة الشرق فهيرودوت وفى سياز يذكران كلاهما هذه المهمة الشرقية التى قام بها غورش بعد فتح ليديا وقبل استيلائه على بابل فقالا : « ان طغيان بعض القبائل الهمجية الصحراوية حمله على القيام بهذه المهمة » وهذا يطابق ما قاله القرآن :

« **حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا** » أى أنه لما وصل الى نهاية الشرق رأى الشمس تطلع على قوم ليس لديهم ما يسترون به أجسامهم، يعنى أنه كانوا من القبائل الرحالة التى لا تسكن المدن ولا تبنى لها البيوت .

من كانت هذه القبائل الرجالة ؟ .

يظهر من بعض ما صرح به مؤرخو اليونان أنها كانت قبائل « بكتريا » أى « بلخ » لو نظرنا فى الخريطة لوجدنا بلخ بمثابة الشرق الأقصى لايران ؟ لأن الأرض بعدها ترتفع وتسد الطريق ، والظاهر أن قبائل « غيدروسيا » كانت أخذت تسعى فى الفساد على الحدود الشرقية ، فقام من مكانه حتى وصل بلخ فاتحا . والمقصود من غيدروسيا البلاد التى تسمى الآن مكران وبلوخستان .

المهمة الثالثة الشمالية وسد يأجوج ومأجوج :

وقام بهجوم ثالث على جبلية كانت تغير عليها من ورائها يأجوج ومأجوج ، وهنالك لك بنى السد كانت هذه مهمته الثالثة ، وصل بها تاركا على يمينه بحر الخزر الى جبال القوقاز حيث وجد مضيقا بين جبلين منها .

ذكر القرآن هذا الخبر قائلا : « **حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا** » أى أنهم كانوا جبليين متوحشين ، حرموا من المدنية والعقل والفهم.

والمقصود بسدين مضيق فى جبال القوقاز ، وانك تجد على يمين القوقاز بحر الخزر الذى يسد طريق الحافة الشرقية منها وعلى اليسار البحر الأسود الذى يسد طريق الحافة الغربية ، وترى فى الوسط سلسلة حبالها الشاهقة التى صارت جدارا طبيعيا ، فلم يكن هنالك منفذ للمهاجمين من الشمال الا مضيق وسطى فى هذه الجبال ، يجتازه المهاجمون

ويشنون الغارات على البلاد الواقعة وراءه ، فبنى غورش فى هذا المضيق سدا حديديا أخذ به الطريق على المهاجمين ، ولم يأمن أهل سهول قوقاز وحدهم بهذا السد ، بل أصبح السد بابا مقفلا منيعا لسلامة سائر بلاد آسيا الغربية ، فأمنت جميع الشعوب القاطنة فى آسيا الغربية وفى مصر من جهة الشمال .

ويذكر الخريطة ويشرحها مؤكدا ما سبق بيانه ثم يقول :

أما القوم الذين وجدهم ذو القرنين هنالك ، وكانوا خلوا من العقل فيحتمل أن يكونوا القوم الذين ذكرهم اليونان باسم « كولشى » وذكروا فى لوحة « دارايوش » باسم « كوشيا » هؤلاء الذين شكوا الى غورش هجمات يأجوج ومأجوج ، ولما كانوا مجردين من الحضارة وصفهم القرآن بقوله : **« لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً »** أى لا يفهمون الكلام .

أوصاف ذى القرنين الأخلاقية فى القرآن :

أشرت فى صدر البحث الى أخلاقه الكريمة التى نتمناها لكل حاكم ، فلقد جعله القرآن نهاية فى العدالة والرحمة يخبر القرآن أن الله قال فى شأن الذين وجدهم فى الغرب : **« إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا »** فماذا فعل ؟

قال : أعاملهم بالحق فلست ممن يميلون الى الظلم ، وقد حكى القرآن مقاله : **« أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا . وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا »** .

وقد اتفقت كلمة اليونان على أن ما فعله غورش بعد فتحه ليديا لم يكن العدل الصراح فحسب ، بل كان أكثر من ذلك ، ولما وقف ملك ليديا بين يديه وأمر باحراقه عاد فعفا عنه .

وحين بنى السد أراد المغلوبون أن يقدموا المال له فأبى وذكر لهم نعمة الله عليه وتمكينه من المال والسلطان وطلب اليهم أن يعينوه بقوة أيديهم .

وفى مقدمة هذا كله ايمانه بالله وحده واخلاصه عبادته ، وحسبه أنه كان يفتح البلاد ثم يجعل لأهلها الحكم الذاتى ويكفيه طاعتهم والرجوع الى عدالته ، ومن ثم نجيز لأنفسنا الدعاء له ووضعه فى مقام المثال الذى يحتذى للملوك والحكام . ورحم الله مولانا أبا الكلام أزاد ونفعنا بفضله .

وجزى الله الشيخ أحمد حسن الباقورى حسن الثواب لنقله عمل أبى الكلام الينا للفائدة والمتعة .

دمعة وفاء على
فقيد العلم والأدب والإسلام

الأستاذ أحمد حسن الباقورى

أين المعز الفاطمى وجوهر … يريان كيف اليوم يبكى الأزهر ؟
يبكى الخطيب أخا الشجاعة والحجا … والشاعر الفذ الذى لا يقهر
المجمعى الألمعى ترى له … فى كل حرف جلوة تتبختر
يبكى الوزير المقتدى بفعاله … والباعث الآمال فيما يأمر
حمل الأمانة مازهاه منصب … حفظ المبادىء فى سناها يظهر
فهو المثال لكل صاحب منصب … وهو الرجاء لكل من هو معسر
يبكى المدير وحزمه ومضاءه … وطرائق المثل التى تتخير
سارت مع الخريج وفق مرامه … فبدا سراجا للأنام ينور
يبكى الرئيس على شباب مسلم … عرف الحقيقة من بيان يسحر
هو مطلع (الباقورى)منذ هلاله … حتى استوى قمرا ينيرويبهر

انى أراه على المنصة قائما … يهدى الى الأسماع درا ينثر
من لى بمثلك والدموع غزيرة ؟ … من لى بشعر فى رثائك ينثر ؟
لم أنسه اذ قاد ثورة جيلنا … كان الزعيم الحر فيما يصدر
ما حاد عن سنن البطولة والفدا … ومضى يزلزل كل طود يعسر
حتى تجلى النصر فوق لوائه … وأتى المراغى فى الكرامة يخطر
اليوم يضمت ليس يخطب جمعنا … من ذاك يخطب بعده ويسطر ؟
اليوم لا يرقى المنابر قائلا … ونائم سعى شوقا اليه المنبر
فلئن بكيت فما وفيت بحقه … ولئن صبرت فان صبرى مهدر

السيد حسن قرون

مقاييس الإبداع
فى النقد عند الآمدى

بقلم أ.د. عبد الحميد محمد العبيسى

لم يكن الآمدى ناقدا عاديا ، بل كان ذواقة متميزا ، يملك ثقافة لغوية عالية ، وملكة أدبية ابداعية راقية ، وفى اطار « الموازنة » نستنبط — باذنه تعالى — أبرز المقاييس والمبادىء النقدية فيها ، مع الاشادة بالمبتكر منها ، وفى نظرى أن هذه المبادىء ، وتلك المقاييس تتمثل فى الآتى :

(أ) نظرته للفن الشعرى من خلال « عمود الشعر » .

(ب) الابداع والروعة الأدبية فى نظره .

(ج) الأديب ابن البيئة ومرآتها .

(د) مقومات الناقد الموضوعى .

(هـ) حتمية الذوق التفسيرى فى النقد « عمود الذوق » .

(و) موقفه من السرقات الشعرية .

(أ) نظرته للفن الشعرى :

ان منطلق الآمدى فى تصوره للفن الشعرى هو ايمانه العميق بمذهب العرب الأوائل فى صياغة الشعر الذى سماه : « عمود الشعر » متأثرا بالجاحظ حين سمى : « عمود الخطابة » فقد ورد فى كتابه « البيان والتبيين » « رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة » (١) !!

ان « عمود الشعر » قد ورد ثلاث مرات فى « الموازنة » (٢) على سبيل الحصر والاستقراء ولكن الرجل ألفيناه كاشفا عن حقيقة الشعر المطبوع ، بقوله : « وليس الشعر عند أهل العلم به الا حسن التأتى ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ فى مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه ، المستعمل فى مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه ،

---

(١) الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر « البيان والتبيين حـ ١ ص ٦٤ » .

(٢) الآمدى : الحسن بن بشر « الموازنة حـ ١ ص ٤ ، ص ١٢ ، ص ١٨ » .

فان الكلام لا يكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف » (١) .

والمتأمل فى تعريف الآمدى للشعر يدرك أمورا مهمة :

١ ـ من حيث الصياغة ، فان هذا الكلام ورد فى عبارات موجزة وافية مؤكدة ، وقد استعان **الآمدى بالصياغة القصرية** : التى طريقها النفى والاستثناء مرتين ـ كما ترى ـ والأسلوب القصر البلاغى عند ذوى البصر بصناعة الكلام دلالاته وآثاره ، ولامراء فى أن الآمدى انما عمد الى هذا البناء العصرى ، ليفيد الانحصار فى مواجهة الانكار ، فان جملة « وليس الشعر عند أهل العلم به الا حسن التأتى .. » هى فى قوة جملتين : احداهما مثبتة ، والأخرى منفية ، فالجملة التى معنا فى معنى :

(أ)الشعر حسن التأتى .. (ب) ليس الشعر سوء التأتى .

فالمعنى الذى تعطيه الجملة الأولى المثبتة فأخوذ م نمنطوق جملة القصر ، والمعنى الذى تعطيه الجملة الثانية المنفية مأخوذ من مفهومها فالمعنيان يفهمان معا من جملة القصر ، ومن ثم أفادت الجملة القصرية الايجاز .. كما أفادت التأكيد ، لأن « النفى والاستثناء » طريق حصر ، والحصر فى نظر البلاغيين : « توكيد على توكيد » ، اذ أن جملة القصر تقال فى أمر حاصل ، والاثبات توكيد لحصول الفعل الحاصل ، والنفى المفهوم لزوما : توكيدلهذا لتوكيد ، فقد فهم المعنى من طريقين : طريق ثباته مرة ، ونفى ما عداه أخرى (٢) .

وعلى هذا فقد أفادت الصياغة القصرية هنا معانى : الانحصار ، والايجاز ، والتوكيد ، وكذلك الأمر فى الجملة الأخرى : « فان الكلام **لايكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف** » !! .

وهكذا يبدو حذق الآمدى البلاغى فى اختيار تلك الصياغة القصرية ، وصولا الى رفض التعريفات التى نراها عند معاصريه مثل ابن طباطبا العلوى سنة ٣٢٢ هـ فى : « عيار الشعر » ، وقدامة بن جعفر سنة ٣٣٧ هـ فى : « نقد الشعر ، فهى تعريفات عروضية شكلية تصلح للنظم ، ولكن لا تصلح للشعر ، فان الشعر ايحاء وتصوير !! .

والآمدى بهذا الرفض المفهوم ضمنا لا يرى خيرا فى غير الشعر المطبوع ، وهذا دليل ترديده : « الطبع » فى ثنايا كتابه ، وحفاوته به !! .

٢ ـ من حيث المضمون : فان الآمدى قد حدد خصائص للشعر المطبع فى نظره وهو متأثر فيها بالجاحظ مؤسس البيان العربى فان الشعر عنده : « اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك ، فانما الشعر صياغة ، وضرب من النسج ، وجنس من

---

(١) المصدر السابق « حـ ١ ص ٤٢٣ » .

(٢) العبيسى : د. عبد الحميد « دراسات فى الأدب والنقد ص ١٥٧ » ، « مع بلاغة القرآن حـ ٢ ص ١٠٥ » .

التصوير ، « .. ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعانى نوع من الأسماء ، فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف ، والجزل للجزل » (١) .

وانك لتجد حرص الآمدى فى توثيق قوله : « عند أهل العلم به أى بالشعر » ، مما يدلنا على أنه قد استوعب آراء هؤلاء العلماء ، ثم جعل يحكى ما استقام له منها فى ضوء نظراته

ولم يشأ الآمدى أن يصرح بأسماء هؤلاء العلماء ، وان كان قد أشار الى بعضهم كابن سلام الجمحى سنة ٢٣١ هـ صاحب « طبقات الشعراء » ، والمبرد م سنة ٢٨٥ هـ صاحب « الكامل » ، وابن المعتز م سنة ٢٩٦ هـ فى كتابيه « البديع » ، و « سرقات الشعراء » ، وقد نقل عنه كثيرا مشيدا بفضله وعلمه بالشعر (٢) ، وغيرهم أمثال ابن الأعرابى ، وأحمد بن يحيى الشيبانى ، ودعبل بن على الخزاعى ، ومحمد بن داود الجراح ، وأبو سعيد الضرير ،وأبو العميثل الأعرابى(٣) ومع هذا التصريح ، وذاك الكشف والتوضيح اجمالا ، فانه يؤسفنى أن أرى بعض المعاصرين ينعى على الآمدى مسلكه فى عدم تسمية من ينقل عنهم الآراء ، فيقول : « .. واذا كان الآمدى قد نسب الآراء السابقة كلها الى من سماهم : « أهل العلم بالشعر » الذين لانعرف عنهم شيئا ، فانه فى موضع آخر يسميهم : « المطبوعين ، وأهل البلاغة » ، ويتبنى رأيهم صراحة ، ويؤيدهم فيما ذهبوا اليه » (٤) !! .

ولا أدرى هل كان من واجب الآمدى دوما أن يصرح فى كل موضع بأسماء هؤلاء العلماء .. ان مطالبة الآمدى بمثل هذا الطلب — فى نظرى — غير مستقيمة ، خاصة أنه يقدم لنا خلاصة هذه الآراء بعد صياغتها بأسلوبه الخالب — على أنه اذا كان الرأى فرديا فانى رأيت الآمدى حريصا على اسناده الى صاحبه، ومن هنا فلا مكان لنقد ما .

ان الآمدى قد كشف جليا عن سمات الشعر الخالص غير مغفل للخيال ، بل انه جعل الصنعة المألوفة غير المفرطة سمة من سمات الشعر المطبوع الخالص ، وهذا برهان قوى على أن « عمود الشعر » عنده لايتجافى مع الصنعة المقبولة التى لا افراط فيها ، ولا تكلف معها .

٣ — أن مفهوم الآمدى للشعر ينبع من أصل بلاغى ، فان أجود الشعر — عنده — أبلغه ، والبلاغة انما هى اصابة المعنى ، وادراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف « كافية » ، لاتبلغ الهذر الزائد على

---

(١) الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر « الحيوان حـ ٢ ص ١٣١/١٣٢ ، حـ ٣ ص ٣٩ » .
(٢) الآمدى : الحسن بن بشر الموازنة حـ ١ ص ٣٣ » .
(٣) المصدر السابق «حـ ١ ص ١٨/١٩/٢٠»
(٤) قصاب : د . وليد « قضية عمود الشعر فى النقد العربى القديم ص ١٢٧ » .

قدر الحاجة ، ولا تنقص نقصا دون الغاية ، وذلك كما قال البحترى :

والشعر لمح تكفى اشـــارته
وليس بالهذر طـولت خطبـه

وكما قال أيضا :

ومعـان لو فصـلتها القوافى
هجنت شــعر جرول ولبيـد
حزن مستعمل الكلام اختيـارا
وتجنبن ظلمـة التعقيـد
وركبن اللفظ القريب فأدرك
ن به غـاية المراد البعيد

فان اتفق مع هذا — معنى لطيف ، أوحكمة غريبة ، أو أدب حس ، فذلك زائد فى بهـاء الكلام ، وان لم يتفق فقد أقام الكلام بنفسه، واستغنى عما سواه (١) .

ولن تتأتى تلك البلاغة الا اذا تحققت البلاغة الذاتية للقول ، ولذلك رأينا الآمدى فى تعريف الشعر الخالص يحرص على بلاغة المقام ، فان لكل كلمة مع صاحبتها مقام ، ووضع الألفاظ فى مواضعها تعبير عن مراعاة بلاغة المقام ، كما أن ايراد المعنى باللفظ المعتاد فيه ارســـاء لفصاحة الكلمة التى هى أساس فصاحـــة الأسلوب ، حتى لا تكون الكلمة غريبة ، لايفهم معناها ، وكذلك انتقال الذهن من المعنى الأول الى الثانى فى وضوح تام لن يتأتى الا اذا كانت الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له

وغير منافرة لمعناه ، وذلك كله ليكون للكـلام حظه من التأثير فى السامعين أو القارئين .

٤ — أن مصطلح : « عمود الشعر » الـذى أبرزه الآمدى يشـمل التعبـير الجميـل ، والأسلوب الخالب ، والخيال المقبول الأخاذ ، وفق ما قاله الأوائل من العرب ، فانـه قـد وجد أكثر أصحاب « أبى تمام » لايدفعـون البحترى عن حلو اللفظ ، وجودة الرصـف ، وحسن الديباجة ، وكثرة الماء ، وأنه أقـرب مأخذا ، وأسلم طريقـا مـن أبى تمـام — ويحكمون مع هذا — بأن أبا تمام أشعر منه .

وقد شاهد وخاطب منهم على ذلك عـددا كثيرا .

وهذا مذهب من جل ما يراعيه من أمـر الشعر دقيق المعانى ، ودقيق المعانى موجود فى كل أمة ، و« فى » كل لغة (٢) .

فأنت ترى فى كلام الآمدى أنـه لم يكتف بالقراءة أو السماع ، بل انه ليلتقى بأنصـار أبى تمام ، فيشاهدهم ويخاطبهم مشافهـة ويسمع منهم ، وهو — وحده — مسلك سوى فريد فى تقصى الحقائق الذى يعـده البعض أسلوبا مبتكرا من مستحدثات العصر الحاضر، ولكن الآمدى قد تعاطاه ومارسه وطبقه ، معلنا أن سبب ميل هؤلاء لأبى تمام مرجعـه الى المعانى الدقيقة التى اشتهر بها أبو تمام ، هذه المعانى الدقيقة لم تختص بها أمة دون أمـة ، ولالغة دون لغة ، فان دقيق المعانى موجود فى كل أمة ، وفى كل لغة .

---

(١) الآمدى : الحسن بن بشر « الموازنة حـ ١ ص ٤٢٤ » .

(٢) المصدر السابق « حـ ١ ص ٤٢٣ » .

هذا ويكشف هذا النص عن اقتدار ناقدنا ، حتى انه ليقر صراحة بأن دقيق المعانى موجود فى كل أمة ، وفى كل لغة ، مما يدلك على احاطته بالمعانى الدقيقة فى الأمم واللغات الأخرى غير العربية ، وذلك سر تفوقه ، وأمارة ابداعه فى نقده أبا تمام الذى أعده بحق شاعر العربية الغواص على المعانى الدقيقة •

وهذا لا يعنى أن الآمدى من أصحاب المعانى ، كما ذهب الى ذلك المرحوم الدكتور غنيمى هلال ، حين استنبط من قول الآمدى تعقيبا على قول المتمدحين من أصحاب أبى تمام :

« •• ان اهتمامه أى (أبا تمام) بمعانيه أكثر من اهتمامه بتقويم ألفاظه ، على شدة غرامه بالطباق ، والتجنيس ، والمماثلة ، وانه اذا لاح له « المعنى » أخرجه بأى لفظ استوى من ضعيف أو قوى »(١) •

فيقول الآمدى : « واذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشىء الذى هو ضالة الشعراء ، وطلبتهم ، وهو لطيف المعانى ، وبهذه الخلة دون ماسواها فضل امرؤ القيس ، لأن الذى فى شعره من دقيق المعانى ، وبديع الوصف ، ولطيف التشبيه ، وبديع الحكمة — فوق مافى أشعار سائر الشعراء من الجاهلية والاسلام، حتى انه لا تكاد تخلوله قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع أو أنواع ، ولولا لطيف المعانى واجتهاد امرىء القيس فيها ، واقباله عليها — لما تقدم على غيره ، ولكان كسائر الشعر من أهل زمانه ، اذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ، ولا ألفاظه من الجزالة والقوة ماليس لألفاظهم ، وأن معانيه لو ترجمت للفارسية والهندية كقوله :

واذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاوزت
ما كان يعرف طيب عرف العود

لمافقدت « هذه المعانى قيمتها (٢) •

ويعقب الدكتور هلال بقوله : « وتظهر قيمة هذا الرأى اذا نظرنا فى ضوئه الى أدب أصحاب التصنيع ، ممن يتخذون الأدب صناعة ، ولا يرون فيه الا وصف الألفاظ ، وجودة السبك ، دون العناية بخطر الموضوع وأهمية الموقف ، فيجىء كلامهم هينا ، خفيف الشأن ، لا يمس الا ظاهر الأمر (٣)

ونحن لا ننكر قيمة المعانى الدقيقة اللطيفة الرائقة فى التجربة الشعرية ، بيد أنها وحدها لا تكفى ، ومن ثم كان الحاح الآمدى وحرصه على الصياغة الشعرية ، التى عبر عنها بـ « عمود الشعر » — فهو من أصحاب الصياغة

(١) المصدر السابق « حـ ١ ص ٤٢٠ »
(٢) المصدر السابق : « حـ ١ ص٤٢٠/٤٢١/ ٤٢٢ » « بتصرف » •
(٣)هلال : د محمد غنيمى « النقد الأدبى الحديث ص ٢٥٦ » •

المقوم الحق للأدب ، وهو فى هذا يلتقى كثيرا مع الجاحظ رائد الاتجاه الصياغى فى النقد العربى ، انظر الى قول الآمدى حاكيا عن الشعر المطبوع :

« هو مستوى الشعر ، قليل السقط لا يبين جيدة من سائر شعره ببينونة شديدة ، ومن أجل ذلك صار جيد « شعر » أبى تمام معلوما، وعدد محصورا ، وهذا عندى — أنا هو الصحيح ، لأنى نظرت فى شعر أبى تمام والبحترى فى « سنة سبع عشرة وثلثمائة ، واخترت جيدهما » ، وتلقطت محاسنهما ، ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مر الأوقات ، فما من مرة الا وأنا ألحق فى اختيار شعر البحترى مالم أكن اخترته من قبل ، وما علمت أنى زدت فى اختيار شعر أبى تمام ثلاثين بيتا على ما كنت اخترته قديما » (١)٠

ثم نراه يقرر فى موضع آخر : أن المعول فى الشعر هو جودة السبك ، وقرب المأتى ، مع الالمام بالمعانى وأخذ العفو منها ، يقول الآمدى: « والمطبوعون وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعانى ، والاغراق فى الوصف ، وانما يكون الفضل عندهم فى الالمام بالمعانى ، وأخذ العفو منها ، كما كانت الأوائل تفعل ، مع جودة السبك ، وقرب المأتى ، والقول فى هذا قولهم ، واليه أذهب » (٢) ٠

وهكذا ترى الآمدى من أنصار الصياغة الجيدة فى الفن الشعرى ، حتى لاح للبعض(٣) أن يتهمه بالانحياز الى جانب البحترى وأصحابه مقتديا بما قرره الأستاذ الدكتور ابراهيم سلامة « رحمه الله تعالى » ، حيث قال : « تعجل الآمدى الحكم من أول الأمر ، ويكاد يحكم للبحترى أو هو قد حكم فعلا ، كما أنه أبان عن الأسباب التى جعلته يقف الى جانب البحترى (٤) ٠

ومقتفيا كذلك أثر الأستاذ الدكتور شوقى ضيف ، حين قال :

« هم الآمدى دائما اعلاء كفة البحترى ، ومن خير ما يصور ذلك حديثه عن ابتداءات الشاعرين ، فقد أزرى على كثير من ابتداءات أبى تمام ، بينما نوه طويلا بابتداءات البحترى ، والكتاب « الموازنة » فى جملته دفاع عنه ، وعن البلاغة على نحو ما كان يتصورها المحافظون من الرواة واللغويين (١)

ومحتذيا أيضا بالأستاذ الدكتور احسان عباس فى أن « عمود الشعر » نظرية وضعت ، خدمة للبحترى (٢) ٠

وبالنظر فى هذا الكلام نلمح شيئا غريبا ، وهو انحياز الآمدى للبحترى ، مما يذهب حيدته ، وليس الأمر كما قالوا ، فان تشدد

---

(١) الآمدى : الحسن بن بشر (الموازنة حـ ١ ص ٥٤/٥٥) ٠

(٢) المصدر السابق (حـ ١ ص ٥٢٥) ٠

(٣) قصاب : د ٠ وليد قضية عمود الشعر) ص ١٢٧ ٠

(٤) سلامة د. ابراهيم (بلاغة ارسطو بين العرب واليونان) ص ٢٩٤ ٠

(٥) ضيف د ٠ شوقى « البلاغة تطور وتاريخ ص ١٣٢ » ٠

(٦) عباس : د. احسان « تاريخ النقد الأدبى عند العرب » ص ١٦٢ ٠

الآمدى لطريقة العرب الأولى ، وقد رأى بثاقب فكره ، ورقيق احساسه — أن صنيع البحترى صورة مثلى لالتزام تلك الطريقة اذ لا يتصور بداهة أن يكون تأييد الآمدى لشخص البحترى وذاته ، أوتهوينه لأبى تمام يقصد به ذاته وشخصه ، ولكن المسلك الذى سلكه كل منهما كان السبب وراء استحسان البحترى ، واستهجان أبى تمام فى بعض شعره واستحسانه فى البعض الآخر — فى نظر الآمدى •

وأعتقد أنه بعد هذا العرض لست بحاجة الى أن ترفض اتجاه المرحوم الدكتور هلال الذى يقضى بأن الآمدى من أصحاب المعانى ، وفيما تقدم دليل صادق قوى على أنه من أنصار الصياغة الشعرية المطبوعة الأصيلة٠٠!!

٥ — أن تمسك الآمدى بـ « عمود الشعر » كمعيار أساسى فى المفاضلة بين الطائيين — راجع بالدرجة الأولى الى تلك الهجمة العنيفة لأصحاب الاتجاه البديعى فى الشعر العربى الذى راده بشار بن برد سنة ١٦٨ هـ • ومسلم ابن الوليد سنة ٢٠٨ هـ ، وأبو تمام سنة ٢٣١ هـ أى أن تشدد الآمدى فى مذهبه رد للفعل القوى عند هؤلاء البديعيين ، والمطلع على جو الصراع بين المحافظين والمجددين يدرك بجلاء أحقية الآمدى فى تمسكه وتشبثه بـ « عمودية الشعر » • !!

٦ — أن الآمدى الذواقة قد فرق بين لغة الشعر وبين لغة النثر ، فالشعر عنده : لغة العواطف والشعور ، لغة الاحساس والوجدان همه أن يصل الى القلب من أقرب السبل وأيسرها ، وهو ليس لغة العقل والتفكير التى تتمثلها فى الكلام المنثور عند مخاطبة الملوك ، أو طلب الحاجات ، وعليه فان الناثر فى هذه الحال مطالب بأن يكون صادقا لا كاذبا ، أما الشاعر فليس بمطالب أن يكون صادقا من الوجهة الأخلاقية ، وهذه نقطة الضعف — للأسف — التى نراها عند النقدة العرب عموما، اذ أنهم فصلوا بين دائرة الشعر وكيان الخلق ، مكتفين بتحقق الصدق الفنى عند الشاعر ، لتصح تجربته وتجود ، ومن ثم ساغ لبعضهم أن يصرح :

« أعذب الشعر أكذبه !! »

وقد سبق أن نعيت على هذا المسلك الذى نأمل أن يتلاشى ويزول ، وتتأكد الحقيقة الاسلامية الكبرى التى لا تعترف بهذا الفصل ، وذلك من خلال التصور الاسلامى الشامل للكون والحياة والانسان ، وحينئذ يتوجه الأدباء والشعراء تلقائيا ، بدافع ايمانهم ووعيهم بالمنهج الاسلامى للأدب الى المعانى الأخلاقية ، والمثل الاسلامية (١) فيتفاعلون معها ، وينفعلون بها ، فتفيض قرائحهم ، وتلتهب شاعريتهم ، ويبدو نتاجهم الأدبى والشعرى متسما بالصدق الأخلاقى ، والمضمون الاسلامى !!

---

(١) العبيسى د. عبد الحميد « فى أدب المخضرمين والاسلاميين ص ٧٧ » •

وقد يكون من باب الانصاف أن نسجل للآمدى تفانيه فى تحقيق السهولة مع الدقة للمعانى ، ورفضه الشديد للتعقيد والالغاء فيها ، وذلك مقياس فنى اسلامى فى النقد ، رأيناه فى صدر الاسلام ، ووضع أساسه معلم هذه الأمة الأكبر ، رسولنا الأعظم ، ونبينا الأكرم — صلى الله عليه وسلم — ، ثم حرص عليه من بعده الخلفاء الراشدون رضوان الله تعالى عليهم (١) .

ومن أجل ايثار هذا المقياس الاسلامى النقدى « السهولة وعدم التكلف » كان موقف الآمدى من الفلسفة التى يتعاطى صاحبها الشعر ، فهو لايرى الفيلسوف شاعرا ، اذ للشعر ميدانه ، وللفلسفة ميدانها ، ولا تداخل بين الميدانين ، فالشاعر الذى يسلك طريق الفلسفة اليونانية ، أو الحكمة الهندية ، أو الأدب الفارسى — ليس بشاعر ، وانما هو حكيم ، انظر الى قول الآمدى مخاطبا الفيلسوف الذى يحسب نفسه شاعرا :

« فان شئت دعوناك حكيما أو سميناك فيلسوفا ، ولكن لا نسميك شاعرا ، ولاندعوك بليغا ، لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ولاعلى مذاهبهم (٢) » .

ولم يكن موقف الآمدى من العالم الشاعر أقل رفضا من الفيلسوف الشاعر ، « فقد كان الخليل بن أحمد عالما شاعرا ، وكان الأصمعى عالما شاعرا ، وكان الكسائى كذلك ، وكان خلف ابن حيان الأحمر أشعر العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقة من كان فى زمانهم من الشعراء غير العلماء ، فقد صار التجويد فى الشعر ليست علته العلم ، ولو كانت علته العلم لكان من يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم .

فقد سقط فضل أبى تمام من هذا الوجه : « الشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم» — على البحترى ، وصار البحترى أولى بالفضل اذ كان معلوما شائعا أن شعر العلماء دون شعر الشعراء ، ومع ذلك فان أبا تمام تعمد أن يدل فى شعره على علمه باللغة وكلام العرب ، فتعمد ادخال ألفاظ غريبة فى مواضع كثيرة من شعره ، وذلك نحو قوله :

هن البجارى يا بجير
أهدى لها الأبوس الغوير

وقوله :

أقرم بكر تبارى أيها الحفض
ونجمها أيهذا الهالك الحرض

وهذا فى شعره كثير موجود ، والبحترى لم يقصد هذا ولا اعتمده ، ولا كان له عنده فضيلة » (٣) .

ولعلك أدركت هنا — أن علم أبى تمام فى نظر الآمدى قد أفسد شعره أحيانا ، بخلاف شعر هؤلاء العلماء الذين ذكرهم ، ومما يؤخذ على الآمدى فى هذا الصدد أنه لم يفرق بين علم أبى تمام وعلم العلماء المذكورين ، ذلك « أن بين أبى تمام والخليل تفاوتا فى غير موضع

◄

(١) العبيسى : د. عبد الحميد « النقد الأدبى العربى ص ٥٣/٥٤ » .
(٢) الآمدى : الحسن بن بشر « الموازنة حـ ١ ص ٤٢٥ » .
(٣) المصدر السابق : « حـ ١ ص ٢٥/٢٦ » .

فأبو تمام مطبوع مفطور على الشعر ، فأما الخايل فليس الشعر من طبعه ، ولا من جبلته فاذا جاء بشعر استمده من اللغة والأعاريض ليس الا ، فيكون جافا قليل الماء والرونق ، وعلم الخليل فى النحو والعروض وفى الاستقراء والاستنباط ، وفى ارجاع مواد اللغة ، وتفاعيل الأوزان الى أصول وقواعد ،

علم الخليل من ذهنية العلماء الخلص الذين يبحثون عن نتائج علمية ، ورسوم عامة لما يخوضون فيه ، فأما علم أبى تمام فى اللغة والأدب فهو تبحر من طبيعة الشعر ، وثقافة تغنى عن الابانة والافصاح ، وتوحى بالأفكار والمعانى ، وشتان ما بين الذهنين » (١) ٠

ومع هذا فان الآمدى يؤمن بأن الشعر فى «عموده الشعرى» انما هو تصوير للأحاسيس والمشاعر ، لا للمعانى والأفكار ٠

ومن هنا فانه يجب أن تتوافر فيه هذه الفطرية ، وتلك السهولة اللتان نراهما فى معانى الجاهليين والاسلاميين !!

وبعد فان تصور الآمدى للفن الشعرى كان مطابقا لما آمن به من أصالة وعراقة الأدب العربى ، ومنسجما مع روح تلك المرحلة التى اشتد فيها الصراع بين المجددين التماميين وبين المحافظين البحتريين ، وهو تصور — فى نظرى — — مهما قيل عنه — فيه حذق وفطنة وأصالة وابداع !!

ا ٠ د / عبد الحميد محمد العبيسى

من الفن الاسلامى

(١) ابراهيم : طه أحمد « تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٧٥ » ٠

أنباء .. وآراء

إعداد
احمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد

دعا فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر خلال لقائه بالأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى الدول الاسلامية الى عقد مؤتمر عالمى للدعوة الاسلامية تحت اسم « مؤتمر الجهاد الاسلامى » تحدد فيه مهام رجال الدعوة فى العالم الاسلامى فى المرحلة المقبلة . كما طالب شيخ الأزهر بضرورة انشاء وكالة أنباء اسلامية باعتبارها ضرورة ملحة يحتمها واقع المسلمين الراهن ، وما يواجهه المسلمون من تحديات معاصره ، وما يستتبع ذلك من تشويه صورة الاسلام .

● وافق المجلس الأعلى للأزهر برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جادالحق شيخ الأزهر على افتتاح دراسات عليا بقسم اصول الدين بكلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنين بالقاهرة كذلك وافق على برنامج التأهيل العلمى والتربوى لمعلمى المرحلة الأبتدائية الأزهرية من حملة دبلوم المعلمين والمعلمات الأزهرى والعام وعلى مشروع موازنة الأزهر ومعادلة بعض الشهادات العلمية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة وكلية الطب بجامعة « اولو » الفنلندية بنظائرها فى جامعة الأزهر .

منع الخمر فى فنادق الشارقة

أصدر الشيخ سلطان بن محمد القاسمى عضو المجلس الأعلى لدولة الامارات وحاكم الشارقة مرسوما بمنع حيازة أو شراء أو بيع المشروبات الكحولية فى فنادق الامارة . وتضمن القرار أيضا منع الرقص فى هذه الفنادق بعد أن كانت عدوى الفرق الأجنبية قد انتشرت فى الفترة الأخيرة . وتقرر أن تقوم الشرطة بحملات تفتيش مستمرة على الفنادق لمراقبة تنفيذ هذه القرارات الذى لقى ترحيبا كبيرا فى أوساط المسلمين .

أنباء وآراء

مركز للدراسات الاسلامية

قررت جامعة اكسفورد تأسيس مركز للدراسات الاسلامية يهدف المركز الى التعريف بالاسلام وشرحه أمام الدارسين فى جامعة اكسفورد التى تعد من أعرق الجامعات البريطانية عن طريق تنظيم المحاضرات العلمية لكبار أهل العلم والفكر المسلمين ، وتهيئة فرص الاستفادة العلمية للراغبين فى دراسة الاسلام ومعرفته • وذكر مصدر مسئول بأن انشاء مركز الدراسات الاسلامية بجامعة اكسفورد سوف يكون سببا لتقريب الاسلام الى أذهان الغربيين •

مجلة الأزهر:

آخر ما يحلم به المسلمون أن يتصوروا أن مركزا كهذا سيدرس الاسلام دراسة نزيهة •

٦٠ شخصا يشهرون اسلامهم بالأزهر

أشهر ستون شخصا اسلامهم أمام لجنة الفتوى بالأزهر خلال شهر ديسمبر ١٩٨٥ م منهم سبعة وعشرون مصريا ومصرية واثنان وثلاثون من جنسيات مختلفة من بينهم ثمانية من الانجليز ، وستة من الامريكيين وأربعة من الفرنسيين ، واثنان من كل من ألمانيا والسودان وواحد من كل من الفلبين وهولندا وتايوان وقبرص واسكتلندا ورومانيا والنمسا وايطاليا واليابان وسوريا ولبنان • أعلن هذا فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر • وأضاف أن عدد الذين أشهروا اسلامهم أمام اللجنة خلال عام ١٩٨٥ م قد بلغ حوالى خمسمائة شخص اعتنقوا الاسلام عن يقين واقتناع •

أكبر مستشفى بجامعة الأزهر

قررت جامعة الأزهر البدء فى انشاء أكبر مستشفى تعليمى بالشرق الأوسط على مساحة عشرين فدانا يتكلف المستشفى مائة مليون جنيه ويضم ألف سرير ، وسيتم تزويده بأحدث الأجهزة العلمية والتخصصات الطبية • وقسم التخطيط بكلية هندسة الأزهر يقوم باعداد الخرائط والرسومات الخاصة بالمستشفى الذى سيتم انشاؤه بجوار كلية طب البنين بالأزهر •

المؤتمر الطبى الأول بالأزهر

أعلنت توصيات المؤتمر الطبى الاسلامى الأول الذى نظمته كلية الطب جامعة الأزهر • وقد جاء فى التوصيات :

ـ ضرورة العمل على تثقيف الطبيب بالثقافة الاسلامية • مع صبغه بالصبغة العلمية والانسانية حتى يكون الطبيب المسلم متميزا عن غيره من الأطباء •

ـ ضرورة وضع مناهج علمية اسلامية تستمد من الكتاب والسنة وتراث الأطباء المسلمين ، وتطوير فكر الطبيب المسلم وتجديد رسالته فى الحياة ، والعمل على ايجاد مدرسة طبية اسلامية متميزة •

– توحيد جهود دول العالم العربى والاسلامى لابقاء البلاد خالية من دخول مرض « الأيدز » واستمرار دعم البحوث الخاصة بهذا المرض والتنبيه على ضرورة اتقاء أسباب وجوده •

– نشر الوعى الطبى بين المسلمين بعدم تعاطى المخدرات والخمور وحبوب الهلوسة التى تؤدى لكثير من الأمراض •

– البدء فى اتخاذ الخطوات الايجابية فى سبيل انشاء قسم الطب الاسلامى بكلية طب الأزهر يستمد من اشارات القرآن الكريم وأبحاث العلماء مادته العلمية •

– تدريس الطب باللغة العربية فى الجامعات المصرية • وكان المؤتمر قد عقد بجامعة الأزهر وحضره نحو أربعمائة طبيب ناقشوا نحو مائة وستين بحثا من مختلف المعارف الطبية •

الزكاة تكفى لحل مشاكل المسلمين

فى بحث تقدم به الدكتور شوقى اسماعيل شحاته المستشار المالى لبنك فيصل الى مؤتمر البنوك الاسلامية الذى عقد فى باكستان مؤخرا قال : ان مشكلة التطبيق المعاصر للزكاة أهم ما يشغل معظم الاقتصاديين بين المسلمين فى الوقت الحالى •

وأوضح الدكتور شحاته أنه لو طبقنا مبدأ زكاة المال على عوائد البترول بواقع ٢٫٥ ٪ على كل برميل بترول • لأصبحت الحصيلة فى النهاية على مستوى العالم الاسلامى أربعين مليار دولار •• تساءل صاحب البحث : لو أخرجنا هذا المبلغ الضخم عن عائدات البترول فى الدول الاسلامية الغنية • وحولناه الى من يستحقه فى الدول الاسلامية فهل يعانى المسلمون من مشكلة فقر بعد ذلك •

ثم أجاب : لاشىء غير الزكاة يكفى لسد الاحتياجات التى يعوزها العالم العربى والاسلامى •

فى الاقتصاد الاسلامى

افتتح مركز الدراسات الاسلامية بجامعة اليرموك فى الأردن برنامج الدراسات العليا فى « الاقتصاد الاسلامى » للعام الدراسى الحالى كأول محاولة أكاديمية عالمية لتدريس هذا التخصص بشكل مستقل •

قال الدكتور محمد البطاينة مدير المركز فى تصريح له : ان هذا البرنامج يعتبر أول محاولة فى العصر الحديث لتدريس الاقتصاد الاسلامى بشكل متخصص ومستقل مشيرا الى عدم وجود جامعة فى العالم الاسلامى تمنح درجة الدكتوراه فى هذا المجال •

وأضاف بأن الغرض من ذلك يهدف الى ابراز دور الاقتصاد الاسلامى فى تنمية وتطوير المجتمعات خصوصا وأن الدولة الاسلامية طبقت فى فترات عنفوانها الاقتصاد الاسلامى بالشكل السليم ونجحت فى ذلك التطبيق • وأشار الى أن ذلك يهدف الى تعريف الاقتصاديين المعاصرين بالاقتصاد الاسلامى من خلال وصل الماضى بالحاضر والاستعانة والاستفادة من التجارب التى قامت بها الدول الاسلامية فى الماضى لدعم الاقتصاد المتدهور

البقية ص ٩٦٥

من خير ما كتب

الاستاذ : انيس منصور ..

مواقف

عند نهاية كل سنة نتمنى أن يكون العام الجديد سعيدا علينا جميعا ، وعلى الشعب الفلسطينى الذى لا وطن له ولا مأوى ولا سكن .. ولا حل .. وليس بيننا واحد لا ينفطر قلبه حزنا على الذى أصاب الاشقاء فى الاربعين عاما الماضية .. واذا بقى فى القلب جزء لم يتقطع فاننا نمزقه بأظافرنا يأسا من أى أنواع الوحدة العربية من أجل هذه القضية .

وأصبحنا نصفها بالقضية وكفى — فهى قضية القضايا ، ومشكلة المشاكل . وبيت الداء وانسان العين الباكية ، وسويداء القلب — الى آخر المرادفات اللغوية . فلا تزال اللغة هى سلاحنا الوحيد ، وأكثرنا فصاحة . هو الأقوى وأكثرنا دموعا هو الأصدق ، وأكثرنا جنونا هو الشهيد .

ولا أكون عربيا واقعيا اذا قلت انه كان فى امكان « العرب » أن يطيلوا حكم بيريز وذلك بتشجيعه على اجراء انتخابات جديدة ، ينفرد فيها بالحكم ، لا شريكا مع تحالف الليكود . فهذا الذى أقوله مستوى رفيع جدا من السياسة العربية الموحدة ، ومن التخطيط السياسى البعيد المدى ، ومن التغلغل العميق فى الشعب الاسرائيلى وتحريكه على النحو الذى نريد ؟.

وهو ما لن يحدث ، فلا قدرة لنا على ذلك . لأن سياستنا قامت من عشرات السنين ولمئات السنين على ان اسرائيل هى التى تحرك العرب والامريكان والروس والكرة الارضية والكواكب وأنه لا حول ولا طول لنا .. وانما نحن أحجار الطاولة والدومينو والشطرنج ينقلوننا من الأبيض الى الأسود الى سلة مهملات التاريخ.

لقد ظل اليهود ألوف السنين يهنئون أنفسهم مع بداية كل عام عبرى جديد قائلين : العام القادم فى أورشليم — ونحن الآن فى سنة ٥٧٤٦ عبريه — ولذلك يجب الا نفقد الامل ، فكل سنة وأنت طيب فى مصر ، وطيبون فى العالم العربى .. والله قادر على أن يبقينا حتى نرى حلا للقضية .

الأستاذ : نجيب محفوظ ..

رسالتنا الأولى فى الحياة

موقع أمة من العالم المحيط قد يرسم لها دورا يحتم عليها أن تلعبه ، ولكن عليها بالحكمة والبصيرة أن تحدد الوقت المناسب للعمل . فهى لا تتحرك فى فراغ ولا تتعامل مع الأمانى والأحلام .

ولكن ثمة أمما أخرى تجد فى الوقت نفسه وراء مصالحها مستندة الى ما يتاح لها من قوة

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام

وبأس ، أما الواجب العاجل المقدم على غيره فهو أن تبنى نفسها فى الداخل ، وأن تقيم البنيان على أسس متينة من المبادىء الهادية والقواعد العلمية القادرة على العطاء والثوابت الاقتصادية التى تحقق لها الاستقلال فى ضروريات الحياة على الأقل . عند ذاك فقط يجوز لها أن تتحرك لتجسيد أحلامها الخارجية فى نطاق قواتها الذاتية ودون اغفال لقوى الآخرين ، ولعله من الخير دائما أن نذكر أن ثورة يوليو أتاحت لنا فرصة لم يجد بها الدهر منذ آجال مديدة حررتنا من عرش غشوم واحتلال أجنبى وولت علينا حكاما من أبنائنا فتوحدت لأول مرة أهداف الحاكم والمحكوم ، ووعدت الآمال بخلق أمة معاصرة تنهض على أسس من القيم والعدالة والعلم ولكنها بدلا من العكوف على البناء الداخلى طمحت الى الزعامة العربية،بل زعامة عالمية تستهدف تحرير المظلومين فى الأرض ، متجاهلة تماما المسافة بين قوتها الذاتية وأهدافها العالمية ، متحدية قوى عملاقة لاقبل لها بها ، حتى تردت فى اليوم الأسود يوم ٥ يونية وجاء الرئيس حسنى مبارك ليتولى أمر تركة مثقلة بالسلبيات والديون والعظات ، فتعامل أول ما تعامل مع عظاتها ليقهر فى النهاية سلبيتها فكان اتجاهه المخلص نحو الشعب والقانون والبناء . ولذلك .. يدهشنا ـ بل يسعدنا ـ أن

نراه كل يوم فى موقع عمل أو مجتمعا برجال حزبه أو بزعماء المعارضة ، فهذا هو دوره التاريخى وواجبه الحضارى ، وهو رسالتنا الأولى فى الحياة التى يجب أن نضعها نصب أعيننا وفى صميم قلوبنا وألا نحيد عنها قيد أنملة .

أنباء وآراء - بقية

حاليا بالاضافة الى تقديم خبرات الدول الاسلامية على شكل بوتقة جاهزة للاستفادة منها .

وقال الدكتور البطاينة : ان حاجة المجتمع الاسلامى لاقتصاديين مسلمين خصوصا بعد قيام مؤسسات مالية اسلامية يعد من الدوافع الأساسية التى حدت بمركز الدراسات الاسلامية لانشاء هذا التخصص للاستعانة بعلماء الاقتصاد والمسلمين والاسترشاد بجهودهم فى هذا المجال .

وأوضح بأن المركز يجرى اتصالات مكثفة بهذا الخصوص مع المركز الاقتصادى العالمى فى جدة والباكستان ، وفى جامعة الأزهر ومع مختلف الجهات العالمية بالاضافة الى التنسيق والتعاون مع كل من الجامعتين الأردنية واليرموك لدعم نجاح هذا البرنامج .

من خير ما كتب

الأستاذ : محمود عبد المنعم مراد ..

كلمـــات

من العشرينيات الى الخمسينيات ،كانت لنا قضية قومية ، هى محور الاهتمـــام وأساس النقاش ، ومفجـر الطاقـات ، نختلف بشأن الطرق المؤدية الى حلها ، ولكننا نتفق على أنها القضـية الأولى ، قضية التحرر من الاستعمار البريطـانى وجلاء الجنود الانجليز عن أرض الوطن.

كان البعض يقولون انه لا مفاوضة الا بعد الجلاء ، وكثيرون قالوا بعد ذلك ان الجـلاء بالدماء ، ورغم ذلك فقد أجريت سلسلة طويلة من المفاوضات ، انتهت بعقد معاهدة ٣٦ ، ثـم بالغائها من جانبنا ، ثم تطورت الأحداث المحلية والاقليمية والعالمية حتى خرج الانجليز من مصر وفرحنا وقلنا اننا الآن نحكم أنفسنا بأنفسنا ، وجاء لنا أول رئيس للجمهورية ، ولد فى مصر ، وجاء من صلب اباء وأجداد مصريين . ثم ماذا حدث .

كانت لنا قضية الاستقلال الوطنى . وكـانت لدينا أحزاب واتجاهات سياسـية ، من أقصى اليمين الى أقصى اليسار . وفى أواسـط الأربعينيات بالذات ، كان كل المصريين مشتغلين أو مهتمين بالسياسة . الطلاب والعمال والمثقفين والسياسيين المحترفين . كل يقول رأيه ، ويعبر عن وجهة نظره ، وخرج الحوار أحيانا عـن حدوده ، فتكلم الرصاص ، وقتل أحمد ماهـر والنقراشى وحسن البنا . وآخرون كثـيرون . ولكن كانت لنا قضية واحدة تشغل البال وتثـير الجدال ، وتدور حولها المناقشات ، وتـؤلف الاغانى والاناشيد وترفع الشعارات وتصـدر الصحف والمنشورات السرية .

ولكننا بعد أن حققنا الاستقلال ، لم تعد لنا قضية واحدة رئيسية ، نحاول جميعا الاهتمـام بها والنقاش حولها ، بل تفرقت السـبل ، وتعددت القضايا الحقيقية والوهمية ، ولم يعد لنا محور نلتف حوله ، أو حتى نتخاصـم . وأصبح كل واحد يضرب الاخـر ، فى سـبيل قضايا جزئية ، أو شخصية ، وانقطع الربـاط الذى يربط بيننا جميعا ، وأصبحنا فى متاهـة لانعرف لماذا نؤيد ولماذا نعارض ولماذا نلـزم الصمت ، أو نكتفى بالفرجة والمشاهدة ثـم التثاؤب .

وفى كل أسبوع أو كل شهر على الأكثر ، تدفع الى السطح قضية جديدة لا صلة لها بما نعانيه فى حقيقة الأمر ، ولم نعد نركز اهتمامنا عـلى قضية قومية واحدة تكون محـور النقاش والحوار بدلا من التخبط فى متاهات الشـوارع والطرق الجانبية والى متى نظل هكذا حيـارى بعد أن أصبحت أمورنا فى أيدينا ؟

الأستاذة : فاطمة سعيد ..

المساجد للصلاة وليست للأفراح ..

بمناسبة ما نشـر أخيرا من أن وزيـر الأوقاف قد قـرر تخصـيص مشرفات بالمساجد الكبرى لتعريف السيدات أصول

العقيدة الاسلامية والسلوك الاسلامى فى زيارة المساجد ٠

أجدنى مضطرة الى الحديث عن المساجد وما يحدث فيها من تصرفات تحتاج الى وقفة ومراجعة لأنها بعيدة كل البعد عن الدين الاسلامى وتعاليمه وقدسيته مما يتطلب من كل الزائرين مراعاة آداب هذه الزيارة ٠٠ فلا تدخل سيدة عارية الرأس وملابس قصيرة وعارية ٠٠ ويمنع من الدخول تماما كل انسان سواء كان سيدة أو رجلا لا يراعى هذه الأصول البديهية ٠٠ فان الله سبحانه وتعالى طالب بأن نكون على أفضل صورة عندما نذهب الى المساجد لنصلى ٠

واذا كان الاسلام شدد على الالتزام بآداب الزيارة والحديث والتعامل فى كل شئون الحياة الدنيوية ٠٠ أفلا يكون أولى أن نراعى هذه الأصول ونحن نزور المساجد ونصلى بها ٠

فقد حدث كثير من التجاوزات التى لايجب السكوت عليها لما قد تفهم خطأ بأن الدين الاسلامى يسمح بها خاصة فى مسجد الحسين ٠٠ فان نظافة المساجد التى تفرش بالسجاجيد والموكيت لابد من كنسها وتنظيفها يوميا وقبل كل صلاة بحيث لاتتعفر جباه من يسجدون بالأتربة ٠٠ ثم أين هى المباخر ورائحتها الزكية التى كانت تنتشر فى أرجاء المساجد ٠

وما هذا الذى يحدث بالنسبة لاقامة الأفراح فى هذه المساجد وخاصة مسجد الحسين ٠٠ ان هذه البدعة لابد من الغائها تماما فبعد أن كانت تقتصر على عقد القران بين العريس ووكيل العروس والشهود فقط أصبحت الآن مهزلة من دخول المدعوين والمدعوات بالزغاريد والشربات والحلوى وبالملابس العارية كل هذا أمام الزوار السائحين الذين لابد أن يعرفوا تعاليم ديننا على حقيقتها بدون تشويه ٠

اننا عندما كنا نزور الكنائس الأثرية فى « روما » و « مدريد » وكل الدول الأوربية كانوا يطلبون منا ارتداء أكمام طويلة ونضع ايشاربا على رؤوسنا ٠٠ وكان هذا هو مانطالب به الزوار الأجانب عندما كانوا يزورون مساجدنا الأثرية فماذا حدث ٠٠

بل اننا عندما زرنا مسجد الامام على والحسين فى نجف والكوفة وكربلاء فى العراق كانوا يطلبون منا عربا وأجانب ارتداء العباءة السوداء التى كانوا يوزعونها علينا على باب كل مسجد ٠

ثم لابد أيضا أن يكون هناك تفتيش على كل مايباع مع الباعة حول المساجد بحيث تكون كلها تتعلق بالدين فقط مثل المسابح والمصاحف والبخور ونحيط المساجد بكل ما يزيد رهبتها وقدسيتها ونظافتها وجمالها بدلا من أن تشوه بالشحاذين والمجذوبين وأكوام القمامة والمأكولات من كل صنف ونوع ٠

ان المساجد لها قدسيتها ولها احترامها ولها تقاليدها التى لا يجب أن تشوهها بتصرفات بعيدة كل البعد عن الدين ٠٠ لأنها بيوت الله٠

الفتاوى

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

س١ : من السيد/ ع . ع . على ـ ش قصر العينى ـ القاهرة

١ ـ شقة مملوكة لإدارة عيادة طبية مؤسسة وشغالة ... ماهى طريقة تقديم عناصر العيادة بمشتملاتها لتحديد الزكاة الشرعية ؟

٢ ـ الأسهم المكتتب فيها المدفوع عنها مبالغ محددة .. هل يدفع عنها زكاة من قيمتها الاسمية ؟

٣ ـ ثمن الثمار المنتج سنويا من حديقة موالح ... هل يدفع زكاة عن الثمن السنوى دون ثمن الأرض بالسعر الحالى ؟

٤ ـ فى كل الأمور المتقدمة ... هل يخصم ما يدفع من ضرائب للدولة عن هذه العناصر من الزكاة الشرعية ؟

ج ١: عن الأول : فإنه لايجب عليها زكاة ...

عن الثانى : يجب عليها زكاة حسب قيمتها الحالية ـ متى بلغت النصاب وحال عليها الحول .

وعن الثالث : فيها زكاة عند أبى حنيفة رضى الله عنه بنسبة (٥٪) خمسة فى المائة إن كانت تروى بآلة ، وعند غيره من الأئمة لا زكاة ..

وعن الرابع : يجب عليه الضرائب

س٢ : من السيد/ ع . م . المهيلمى

ماهو الحد الأدنى للصداق (المهر) فى زماننا هذا ؟

ج٢ذهب الحنفية إلى أن أقل المهر عشرة دراهم فضة عيار تسعين ـ وهى تساوى (٥٤ر٢٩) جراما ـ مقدم الصداق أو مؤخره أو بعضه مقدم والبعض مؤخر .. وذلك بسعر يوم العقد .

للزوجة أن تهب المهر لزوجها أو لغيره ... وأجاز الشافعية أن يكون المهر بأقل مايتمول من نقد أو عين أو خدمة أو منفعة ..

اعداد: عبدالحميد شاهين

س٣ : من السيد/م . ح . غندور - من السعودية .

دخلت منزلى فى حالة شديدة من الغضب ، نتيجة لخسارة فى التجارة ، ودارت مناقشة حادة بينى وبين زوجتى فقلت لها : (أنت طالق بالثلاثة وتحرمى) علما بأن هذا الطلاق لم يسبقه طلاق ... فما الحكم ؟

ج٣ : هذا الطلاق يقع به طلقة رجعية مادام تم ذلك فى مجلس واحد ... وللزوج أن يراجع زوجته مادامت فى العدة . ولاتلزمه كفارة لقوله « تحرمى » لأنه وقع بعد لفظ الطلاق ...

س٤ : من السيد/ س . سالم . المنصورة .

شاب عقد على فتاة ثم زنى بأمها . فهل تطلق الزوجة أم لا ؟ وما الحكم ؟

ج٤ : بالعقد على هذه الفتاة أصبحت زوجة شرعية له ، وحيث أنه زنى بأمها فهذا عمل محرم شرعا . يجب الابتعاد عنه وعدم تكراره والتوبة الى الله توبة نصوحا من فعله .. هذا ولا تحرم عليه زوجته .

س٥ : من السيدة/س . ع . عبدالعال . القاهرة

توفيت امرأة عن : أربع أخوات شقيقات ، خال شقيق فقط دون أحد من العصبة فمن يرث وما نصيبه ؟

ج٥ : للأخوات الشقيقات الأربع الثلثان فرضا ، ولهن الباقى ردًّا عليهن لعدم من يحجبهن أو يعصبهن .

ولاشيء للخال الشقيق لأنه من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

س٦ : من السيد/ خ . ح . خليل .. القليوبية

١ - توفى رجل عن زوجة ، أب . أولاد ذكور .

٢ - ثم توفى الأب سنة ١٩٨٥ عن : ابن - أولاد ابن ذكور .. فمن يرث وما نصيبه ؟

ج٦ : عن الأول : للزوجة الثمن فرضا ، وللأب السدس فرضا بوجود الفرع الوارث وللأبناء الذكور الباقى تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى .

وعن الثانى : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لأبناء الابن المتوفى قبل والده بمقدار ماكان يستحقه الابن لوكان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦م ... فتقسم التركة ثلاثة أجزاء : جزء منها وصية واجبة لأولاد الابن يقسم بينهم بالتساوى .

والباقى وهو جزءان هو الميراث للابن الموجود تعصبا ...

والله أعلم ..

فهرس العدد

الموضوع		الصفحة

شعر وشاعر

اللغة والأدب والنقد

القسم الانجليزى

مراجعة وعناوين داخلية الاستاذ عبد المنعم مهنا

4. Guidance for the bewildered" of Ebn Maimun, and the explanation of "Abstraction of Kalam by Nasr Eldin Al-Taussi, with a comment by Galal Eldin Al-Diwani.

5. "The bases of religion" by AL-Guwaini - manuscript copy Vo. I. Plate 337.

6. "The basis of religion" by Al-Guwaini - manuscript copy Vol. I. Plate 39.

7. "The bases of Religions by Al-Guwaini Vol. I plates 39, 40 and 41.

8. Al-Bagilani said: "Accidents are those that cannot last, "The prelude" P. 18. Refer also the "The Bases of religion" by Al-Guwani - manuscript copy b Vol. I plates 52 and 57.

9. AlBaghdadi said "Accidents are characteristics that depend on substances in their being".

"Bases of religion" P. 33.
Refer also the the bases of religion manuscript copy Vol. I plate 57.

10. "Bases of religion" by Al-Baghdadi. P. 33
Refer also to "Luma" by Al-Guwaini. P. 77.

11. "Bases of religion by "Al - Baghdadi P. 35
"The bases of religion" by Al-Guwaini (manuscript copy) Vol. I Plate 72.

Notice that Al-Eegui in his "attitudes" favours the definition of Al-Guwaini. Vol. 2 First attitude- of accidents.

and the thing that covers it is outside the range of what the mind can imagine.

Since no mutation can happen except in time, no movement over a distance can be done except in time, they have emphasized the fact that there is a lapase of time, however short. Thus, we can see that the Muslim thinkers knew how to assert themseleves and emphasized their concepts in a field which was difficult for all the others to approach, and to change the conceptions thereof.

Accident of predicate was described as "that whose existence is not permanent"; or "that which depends on others for its being. It was also said that "accident is what depends on substance for its existence". It was further defined as the "contingent which has no space and exists in a being which has space".

These are all definitions that stress dependence of predicate on substance and their interrelationship according to what was expected by the mere concept of substance within its limits and definitions.

(To be continued)

REFERENCES

1. "The attitudes" by Al-Eegui, Cairo Edition 1907, Vol.(5). Third attitude. It is noticeable that Al-Eegui takes the spiritual characteristic as representative of or being in itself bias.

2. "The Guidance" by Al-Guwaini. Cairo Edition. P. 30.

3. The basis of religion, by Al-Guwaini manuscript copy. VOl. I. Plate 38.
"The Guidance to irrevocable proofs of the bases of religion" by Al-Guwaini-Cairo edition. P. 10.

differentiated from each other because all of them have the same ability to accept accidents and the same ability to occupy space. Thus, substance has no shape, this is an important point which means that substance cannot be imagined, because we can only imagine bodies. Obiously, by imagination here is meant perceiving something in a specific shape of form.

Al- Guwaini had explained this ideas when he said "This problem is only difficult for the ignorant who tried to conceive the indivisible substance in their minds, and on that visualisation they based their conception contact with it, whereas only bodies can be conceived inside one's soul or mind.

This explains the importance of the "material thing. So what emphasizes the contrast between Muslim and Greek background is "indivisible substance" where we find a clear indication of relating the ideaa of "finiteness" (intiha) to the idea of a perishapable existent" (inquida). Thus, we see that the Mutakallimun have proposed this relationship on the assumption that there can't be any assumed case in which perisphability can cope with the perception of infinity. This means that every "body" whose perishability can be evaluated has to be finite, as it has individual parts that form it. What we mean by its divisibility here is that which happens in the real perceptible reality. The division into substance and accident is mainly mental. Obviously, the reason for this is the interest of the Muslim thinkers to keep reality. They have assumed a background for the relationship which is mainly realistic, which has proved that infinite divisibility is groundless.

Therefore, divisibility in reality is the one that ought to be continuously perceived by an observer; and the idea of finiteness here is based on the limited distance that we can perceive covered. It is based on continuous tangency between the covered distance and the one or thing that covers it. This is an idea, which has been conceived mainly by the leaders of "Asharites" and on that basis they have refused the idea of mutation "Tafra". They have shown that the idea of covering a distance without any kind of continuous contact between the distance covered

substance cannot exist without accident or predicate. What emphasizes this is what the Mutakallimun said concerning the "Subjective Quality" of substance. They considered that its acceptance of accident is a main quality, without which substance cannot be imagined. The concept of "Subjective Quality" from the point of view of the Mutakallimun is popular. Al-Egui states that is the quality which defines the Subject without any additional meaning, and which the subject should not be void of. The Mutazalites considered it to be the fixed characteristic of a subject. One of the most significant sayings about the "subjective quality" is what Al-Guwaini said : It is every "Positive Quality" which is necessary as long as the subject is there, and which is not produced by any causes having to do with the described subject. Therefore, substance by its subjective quality cannot be imagined separately from accident. The Mutakallimun have given "Substance" a special significance different form that in the Greek thought.

Furthermore, the Mutakallimun have affirmed that substance has no independent existence because it does not represent the real existence of things. Such an existence would destroy the external existence in its reality and cancel its ability to be perceived. Substance has no real existence by itself because the real existence cannot be realized except for the "thing which is the solid palpable external existent. Another definition of substance that Mutakallimun mentioned that shows another "Subjective quality" is that substance is what occupies space, or it is an occupied space. There is no difference between occupied space and what occupies space; occupying space is the other subjective quality of substance. This make it impossible to imagine a space which is apart from what occupies it, for space and its occupant are one thing. These concepts characterize Muslim thought about substance and accident with an Islamic intellectual background that had always remained within the framework of a situation which is not separated from recognizing an existent being with its perceived mass.

Several other concequences have been derived that coped with Islamic intellectual background of substance and accident. One of the characteristics of substance that is based on subjective quality, is homogenity. Substances are all homogeneous because they are similar to each other in their "subjective qualities" Substances cannot be

Islamic Theology after the first Century of Hijra

By: Dr. Fawkia Hussein Mahmoud

(Continued)

The Mutakallimun's treatment of substance and accident have given two concepts that were in complete harmony with Islamic principles. Other indicators existed with Islamic principles. Other indicators existed concerning Muslim thought on these concepts. These indicators were related to what they termed "Subjective Quality-Sifa Nafsia" which defines the properties that constitute the unique identity of an existent; also the opinion of "finiteness" of the substance. By means of the type of accident through which the mind perceives existence "Kawn", the Muslim thinker showed his realistic outlook.

The Mutakallimun defined substance, as something that accepts accidents as part of its identity and they refused the saying of the Greeks that it just "bears" accident. The Mutakallimun's definition as we shall clearly see has special significance which emphasizes that the character-istic nature of substance, without which it would have no identity is its acceptance of accident or predicate. The Greek definition stops at stating that substance can bear accidents, which means that its identity and being are not related to accidents. For the Greeks, substance exists with or without accident. The Mutakallimun's definition emphasizes a characteristic of substance, that it cannot be imagined while void of accident. This means that

The fortune tellers as those people who write on sand or look into crystal balls, cups or palms or open books claiming to know and reveal the unseen. They are all rejecters and disbelievers because they are claiming to have attributed that are very particular only to Allah.

On the authority of Abu Hurairah may Allah be pleaseed with him that the Prophet (prayers and peace be upon him) said "who comes to fortune tellers or soothsayers and believes in what is said, he has denied that which is revealed to Mohammed.

The above treatise gives the explicit understanding that the association of another deity with Allah is an absolute unforgiven iniquity that in essence expels man from Islam and completely rejects true belief. Also, the practice of magic in any form is certainly a grave offence being in itself akin to skirk. May Allah provide us with the light and intellect to understand the reality of the teachings of our creed.

The remaining types of destructive evils will be considered in a further article.

(to be continued)

The practice of magic is a grave offence forbidden by Allah and it is rejected and prohibited in His book and in Prophet's tradition. Magic is unbelief and heresy. The Quranic verses state:

> "And they follow that which the devils falsely related against the kingdom of Solomon. Solomon disbelieved not; but the devils disbelieved, teaching mankind magic and that which was revealed to the two angles in Babel, Harut and Marut. Nor did they (the two angles) teach it to anyone till they had said; we are only a temptation therefore disbelieve not (in the guidance of Allah".

(Surat Al-Baqra, II, 102)

Magicians, fortune tellers who predict the future from the stars and soothsayaers do not know the unknown. They only pretend knowledge and speak falsehood. Allah alone knows the unknown Allah says in His Holy Quran what means".

> "(He is) the knower of the unseen and revealth unto none his secret. Save into every messenger whom He hath chosen and then he maketh a guard to go before him, a guard behind him).

(Surat Al-Jinn. LXXII, 26, 27)

It is reported that the Prophet (prayers and peace be upon him) said, "The verdict of a magician is a stroke with the sword". It has also been reported that Omar Bin Al Khattab commanded to kill both male and female magicians. On authority of Jundab Al Khair Al- Azdie that Hafsa and Aisha wives of the Prophet (prayers and peace be upon him) said "Some people asked the Messenger of Allah (prayers and peace be upon him) about fortune telling. He said: They are nothing and they said :"Oh Messenger of Allah, sometimes they do inform us things which prove right. Then the Messenger said; "That word of truth is caught by the Jinn and put into the ears of his agent which he mixes with hundred lies".

Fourthly, the shirk of love to others which should be due to Allah alone. Allah says in the Holy Quran what means:-

> "Yet of mankind are some who take onto themseleves (objects of worship which they set as) rivals to Allah loving them with a love like that which is due only to Allah.
>
> Those who believe are stauncher in their love for Allah. Oh that those who do evil had but known when they behold the doom, that power belongeth wholly to Allah and that Allah is severe in Punishment.
>
> (Surat Al-Baqra, II, 165)

The other type is the minor shirk which does not expell man out of Islam but is only considered as a grave iniquity because it makes man lose his reward from Allah. The Prophet (prayers and peace be upon him) explained the minor shirk by saying "What I fear most for you is the minor shirk". His Companions said "But what is the minor shirk Prophet of Allah"? It is equivocation or the desire for appearance. On the day of resurrection when Allah rewards people for their deeds, He shall say to such men; Go to those whom you were pretending and showing your deeds to see whether they have a reward for you.

The meaning of desire for appearances, or displaying off one's piety and good deeds to people in order to get their praise is a type of pretense not in reality meant to please Allah, but to get social prestige and authority; such deeds are rewardless.

There is another shirk besides both the major shirk and the minor, one which is called the concealed inconspicuous shirk. This implies inward dissatisfaction with the inevitable condition that has been ordained by Allah: conscientiosly lamenting the decree of Allah. This inconspicuous shirk is expiated by affirming the following phrases " O Allah I take refuge from that which I should ascribe anything as partner in your worship, and I am conscious of that, and I beg your forgiveness for that wrath which I am not aware of".

The major shirk has four aspects. Firstly, the shirk of invocation. This aspect of shirk implies to invoke, supplicate or pray to other dieties besides Allah. The Almighty Allah says in the Holy Quran what means:-

> "And when they mount upon the ships they pray to Allah making their faith pure for Him only; but when He bringeth them safe to land, behold! they ascribe partners (unto Him).
>
> (Surat Al-Ankabut, XXIX, 65)

Secondly, the shirk of intention, purpose and determination in acts of worship or religious deeds not for the sake of Allah but directed to other deities. Allah says in the Glorious Quran what means:

> "Whose desireth the life of the world and its pomp, we shall repay them their deeds herein; and therein they will not be wronged. Those are they for whom is naught in the hereafter save the fire. (All) that they contrive here in vain and (all) that they are wont to do is fruitless".
>
> (Surat Hud, XI, 15 - 16)

Thirdly, the shirk of. obedience which includes rendering obedience to any authority contrary to the orders of Allah. In the Holy Quran, it is stated:

> "They (Jews and Christians) have taken as lords beside Allah their rabbis and their monks, and the Messiah son of Mary; when they were bidden to worship only one God. There is no god save Him. Be He glorified from all that they ascribe as partner (Unto Him).
>
> (Surat Al-Taubah. IX,31)

The Seven Destructive Evils

By: Nasr Eldin Abdel Fattah Sholkomy

Praise be to Allah and prayers and peace by upon his Prophet Mohammed who delivered the message of guidance to establish the codes for human refinement. Teachings from the Holy Quran and tranditions of the Prophet (prayers and peace be upon him) continue to instruct Muslims of all races and at all ages the true basic elements of their faith.

A true Hadith reported after the Prophet (prayers and peace be upon him) states: Avoid the seven destructive evils. They said "what are they O'Messenger of Allah"? He said: "Association with Allah, practice of magic, to kill an inviolable person that is forbidden by Allah except for the truth, to eat usury, to cheat the wealth of the orphan, to run away at the time of combat, and false accusation of an innocent chaste believing women".

Association with Allah (shirk) is a grave injustice and a major unforgivable offence.All sins are ogiven by Allah except the sin of shirk. The major shirk is associating partners and setting up equals with Allah in worship or believing that the source of power, harm or mercy is from others than Allah. Such action or understanding expels man from Islam. It is great sin to worship creatures in association with Allah who creates, sustains, grants life and has the dominion. These concepts are repeatedly stated in the Glorious Quran in order to inoculate them deeply in the minds and souls of Muslims. Allah says in the Holy Quran what means:-

> "Yet they choose beside Him, other gods who create naught but are themseleves created; and possess not hurt not profit for themseleves, and possess not death nor life nor power to raise the dead".
>
> (Surat Al-Furqan, XXV, 3)

Prayers and Peace upon our Magnanemous Prophet.

(to be continued)

References :

1) Alsira Albabawiah
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Puplisher, Dar Al Sharook ,Jeddah

2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohamad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial library, Cairo

3) Mashahid min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo - Printed 1980

4) Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo

5) The Holly Quran
Text, Translation and Commentary
Abdullah Ysuf Ali.

6) Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramandan Albooty
7th. Edition ,1977
Dar Al-Fikr, Cairo

7) Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol.2, 1983 ,Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8) Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut,1981.

of Al-Hudaibiah; Koraysh as a whole was in utter confusion and in apathetic understanding of what tommorrow may bring. They were in a state of mental paralysis unable to think what action to undertake, they remained stagnant awaiting events.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had decided to march to Macca and made preparations for that by declaring his intentions among Muslims at Al-Madinah and Arab tribes at large. This was in the month of Ramadan in the eighth year of Hijrah. The utmost desire of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was to take Koraysh by surprise and enter the city of Macca without blood-shed, and prayed to that effect that Koraysh will remain ignorant of the march of Muslims to Macca. This desire was to save the holy sacred city of Macca the dreary hideous spectacles of battle and human violence. All the necessary provisions and preparations were made in keen expedient effort. As the Muslim forces were ready to move, a man named Hateb Ibn Abi Baltaah sent a written message to Koraysh informing them that Muslim troops were marching south to Macca. He sent the note with a women called Sarah. By some way or another, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) got to know of the action of Ibn Abi Baltaah which in all consideration was considered treason. Aly Ibn Abi Taleb and Al-Zubair Ibn Al-Awam were sent after the woman to recover the message; which they succeeded in doing. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) summoned Ibn Abi Baltaah and asked him how to account for such ignoble action. Abi Baltaah answered that his intentions were to gain favour with Koraysh with the hope of protecting his Kinsfolk when the Muslims enter Macca. Omar Ibn Al-Khatab considered that action of Ibn Abi Baltaah an act of treason for which the sentence was death. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) considered the fact that Hateb Ibn Abi Baltaah was one of the close companions, and was highly esteemed as an attendant of the battle of Badre, and was therefore forgiven. The Muslim forces marched out of Al-Madinah towards Macca in ten thousand strong, clans from Al-Muhagereen, from Al-Ansar, from muslim tribes of Sulaym, Muzainah, Khataffan and others; all armed with unfaultering faith and the challenge to keep the word of Allah as supreme and to expand and spread the true elements of the new creed. They marched out of Al-Madinah in Ramadan of the eighth year of Hijrah.

discuss matters and ask the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) for recognition of the truce of Al-Hudaibiah and extenstion of its period of effect. On his way to Al-Madinah, Abu Sufyan met Budayl Ibn Warqa at Ussafan and understood that he was at Al-madinah obviously to ask support and action in relation to the incidence of Al-Wateer. On reaching Al-Madinah, Abu Sufyan went straight to his daughter Um Habibah wife of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), in order to probe the situation before indulging into any direct confrontation with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

In the house of Um Habibah, Abu Sufyan came to sit on bed spread on the ground; but Um Habibha collected the bed and refused to allow her father sit on it saying that it was the bed of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and that Abu Sufyan her father was an unbeliever and therefore unchaste and soiled. Abu Sufyan went to meet the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) for his demands regarding the extension of the truce of Al-Hudaibiah; but received no reply. Abu Sufyan then went to Abu Bakre to induce him to talk to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in respect of the truce of Al-Hudaibiah. Abu Bakre answered that he cannot approach the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in a matter upon which a decision had already been taken. A more severe and contentious reply was received from Omar Ibn Al-Khattab. Abu Sufyan finally went to Aly Abi-Taleb in a last trial to obtain the pardon, protectorship and approval of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to his demands. The answer of Aly Ibn Abi Taleb made Abu Sufyan realize that his efforts at Al-Madinah were futile and that no body at Al-Madinah would approach the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in any matter concerning Abu Sufyan and his demands, and that what was decided was beyond any change. With this understanding, Abu Sufyan asked Aly Ibn Abi Taleb to advise him regarding what to do in this situation he was in. Aly Ibn Abi Taleb replied that the only channel possible for Abu Sufyan was to announce his request for protection from the people of Al-Madinah and to leave directly. Abu Sufyan did that precisely and left Al-Madinah to return to Macca in a condition of pitiful depression and sinking dispair. To his person as the chief of the greatest tribe in the Arab peninsula, it was poisoning humility and mortifying disgrace. To the issue regarding the incidence of Al-Wateer and its effect on the truce

Khoraysh also supplied Bani Bakre with arms, finances and also men. One night when the clans of Khuzza were at one of their water wells called Al-Wateer, they were suddenly and treacherously attacked by Bani Bakre supported by men from Khoraysh. Several men form Khuzza were killed. The leaders of the tribe of Khuzza rode directly to Macca to inform one of their chiefs Budayl Ibn Warqua of the incidence, and record the fact that Koraysh and Bani Bakre have severed and disrupted the terms of the treaty of Al-Hudaibiah. On the other hand, Amre Ibn Salem Al-Khuzzay hurried to Al-Madinah to inform the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) of the details of the deceitful dishonest incidence of Al-Wateer. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) answered Amre Ibn Salem that he will be supported. Budayl Ibn Warqa and a group of men from Khuzza went to Al-Madinah to report the betrayal of Koraysh and Bani Bakre to the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him).

This very crucial incidence of Al-Wateer initiated the making of a major decision by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This decision was the march to Macca, the most outstanding and impressive acheivement by Muslims since the Hijrah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from Macca to Al-Madinah eight years before. Such a very important decision could not have been sudden just because of the incidence of Bani Bakre attacking Khuzza at Al-Wateer. A decision of that order of magnitude and importance both strategically and politically must have dominated the thoughts of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in prior deliberation planning and organisation. The incidence of Al-Wateer only triggered the making of the decision to march to Macca, and gave allowance to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to release himself and Muslims from the commitment of the terms of the truce of Al-Hudaibiah.

After the incidence of Al-Wateer, the leaders of Koraysh recognised the gravity and seriousness of the situation, understanding that Muslims were now at full liberty to take any action that was considered apropriate under such circumstances of betrayal of a signed sealed truce between the two dominating powers in the Arab peninsula, namely, the Muslims and Koraysh. With this dilemma and perplexity on hand, Koraysh deputised Abu Sufyan Ibn Harb to go to Al-Madinah to

THE TRIUMPHANT RETURN TO MACCA

BY: DR. ANAS MUSTAFA EL- NAGGAR MD;, PhD.

In the name of Allah, most Gracious most Compassionate.

The Truce of Al-Hudaibiah, the Umra of Al Qada, and the potential results of the battle of Muatah certainly affected far reaching repercussions on the status of Muslims among the Arab Tribes in the Arabic Peninsula. Most of these tribes were highly impressed by the achievements of Muslims and the confidence and martyrdom displayed in the face of collosals of the Roman forces. The old standing chronic enmity between Muslims and Koraysh remained in compliance with the Truce of Al-Hudaibiah in a condition of detente. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the Muslim Community at large very confidently remained adherent to the terms of the Truce of Al-Hudaibiah and with intelligent patience awaited the sequence of events. Koraysh, however, complied with the terms of the Truce only in order to maintain a situation of frozen hostilities with the Muslims; but in reality, were ready to break these terms under any circumstances that may appear to be to their advantage.

After the battle of Muatah, Koraysh developed the impression that the back bone of the Muslim strength and stability in battle was disrupted, and their spirit and skill in combat was humiliated and depressed. This impression on the part of Koraysh instigated some of their younger more antagonistic individuals to encourage hostile activities against Arab Tribes in alliance with Muslims. Among such tribes, was the tribe of Khuzza, who had allied with muslims at Al-Hudaibiah; in distinction to the tribe of Bani Bakre, who had allied with Koraysh. These two tribes of Khuzza and Bani Bakre had previous old enmities, which were subdued as an indirect consequence of the truce of Al-Hudaibiah. After the battle of Muatah, when Koraysh developed the wrong understanding about Muslim strength, they motivated the clans of Bani Bakre to attack the tribe of khuzza and raid their homes to revive and flare up old enmities.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION